



يوميات إيجناس جولدتسيهر

نشرها: أليكسندر شايبير

ترجمها وقدم لها وعلق عليها: محمد عوني عبد الرؤوف

شارك في الترجمة: عبد الحميد مرزوق



بدأ جولدتسيهر في كتابة يومياته الكاملة في اليوم الذي بلغ فيه الأربعين عام 1890م، واستمر في كتابتها حتى عام 1919م؛ قبل وفاته بعامين.

ونشرت هذه اليوميات بعد وفاته بزمان طويل في 1977-1978م. وورد بها الكثير من آرائه في الأديان السماوية الثلاثة، وصلته بمعتقداتها، وبخاصة الإسلام والمسلمون.

وتتضمن هذه اليوميات ما مرَّ به في حياته من أحداث، وما عاناه من تجارب جعلت حياته شديدة المرارة، عدا بعض أيام سعيدة نعم فيها بالهدوء، وقابل فيها رجالاً يقدرون مكانته العلمية. وبخاصة أثناء وجوده في الشام ومصر؛ حيث يذكر ما قابله فيهما بالخير، ويشيد بما لاقاه فيهما من صداقة وود.

يَوْمِيَّاتِ اِيْجَناسِ جُولْدَتْسِيْهَر

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2694
- يوميات إيجناس جولدتسيهر
- أليكسندر شايبير
- محمد عوني عبد الرؤوف، وعبد الحميد مرزوق
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:

Tagebuch

Von: Ignaz Goldziher

Herausgegeben von: Alexander Scheiber

Copyright ©Alexander Scheiber, Budapest 1977

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

يَوْمِيَّاتُ إِيجَنَاسِ جُولِدَتْسِيَهَر

نَـشْرُهَا : أَلِيكْسَنْدَرُ شَايِير

تَرْجَمَهَا وَقَدَّمَ لَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا : مُحَمَّدٌ عَوْنِي عَبْدُ الرَّءُوفِ

شَارَكَ فِي التَّرْجَمَةِ : عَبْدُ الْحَمِيدِ مَرْزُوقِ



2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

جولدتسيهر، إيجانس.

يوميات إيجانس جولدتسيهر، مقدمة نقدية: أليكسندر شايبير /
ترجمة: محمد عوني عبد الرؤوف / عبد الحميد مرزوق /
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦
٨٢٤ ص، ٢٤ سم

١ - جولدتسيهر، إيجانس، ١٨٥٠ - ١٩٢١

(أ) عبد الرؤوف، محمد عوني (مترجم)

(ب) مرزوق، عبد الحميد، ١٩٥٧ (مترجم مشارك)

(ج) شايبير، أليكسندر (محرر)

(د) العنوان ٩٢٠

رقم الإيداع: ٢٠١٥/ ١٦١٥٨

التقييم الدولي 5 - 0380 - 92 - 977 - 978

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

7	شكر
9	تصدير
11	مقدمة الترجمة
15	مقدمة نقدية
الجزء الأول (الترجمة)	
55	مقدمة يوميات جولدتسيهر
59	يوميات جولدتسيهر
604	فهرس اليوميات
الجزء الثاني (الدراسة)	
607	ملخص ما جاء باليوميات عن ثقافة جولدتسيهر العامة والشرقية
663	الملاحق
665	أولاً: الأعلام
669	أعلام المشرقيين
716	أعلام الغربيين
761	أعلام اليهود والمصطلحات اليهودية
791	ثانياً: عقد تأسيس الجامعة المصرية (الأهلية)
793	ثالثاً: خطابات بعض المستشرقين إلى الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة ..
799	رابعاً: فهرس الأعلام الكامل بالحروف اللاتينية

شكر يعبر عن امتناني

أما الجميل الذي يطوق عنقي، وسأظل ألهج بذكره فما قدّمته الزميلة المبجلة الأستاذ الدكتور: إيمان السعيد جلال؛ إذ تكرّمت عليّ بمراجعة ما ترجمته عن الصفحات المائة والثلاثين الأولى من الأصل الألماني، وما جعلته أول الترجمة من تقديم ودراسة.

وما قدّمته تلميذتاي د. هناء كامل علي، وأ. هالة جمال القاضي - تكملاً - من صف الكتاب، ومراجعة الدراسة، وضبط الفهارس.

وأما الشكر امتناناً فلمن قدّموا مساعدة جليّة من الزملاء الأجلاء والأبناء الأعزاء أيضاً:

- أ. د: محمد حمدي إبراهيم، لتكرّمه عليّ بترجمة ما ورد باللغتين اليونانية واللاتينية باليوميات.
- أ. د: علوية الحكيم، لترجمة العبارات التي وردت باللغة الفرنسية.
- د. محمد السامي، لمساعدته في التعريف بالمصطلحات العبرية ولكتابتها بالحروف العبرية.
- د. هدى عبد الغني باز، لتزويدي بمعلومات عن شيوخ الأزهر.

٢٠١٤/٣/٣١

عوني عبد الرؤوف

تصدير

أحمد الله تعالى على التوفيق في تقديم هذه الترجمة ليوميّات إيجناس جولدتسيهر، ليصبح عدد ما تُرجم له من أعمال ثلاثة؛ عملان من دراساته، وكان لي شرفُ تقديم الطبعة الأخيرة منهما، بتكليف من المركز القومي للترجمة، حيث صدرا بالعديدين ١٩٥١، ١٩٦٣ من سلسلة ميراث الترجمة / عام ٢٠١٣:

الأول: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: د. عبد الحليم النجار.

الثاني: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: د. محمد يوسف موسى، د. على حسين عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق.

وقد اقتصر ما قدمته في طبعة المركز القومي للترجمة على المقدمة والدراسة وإعداد قائمة المراجع.

أما العمل الثالث - الذي أشرف بتقديمه اليوم - فهو ترجمة اليوميّات التي كتبها جولدتسيهر، ويشاركني في الترجمة د. عبد الحميد مرزوق. وقد راجعتها د. إيمان السعيد جلال.

قمتُ بتقديم الترجمة، وعرضتُ ما جاء باليوميّات وعلقتُ عليه، وألحقت بالترجمة ملاحق أعرف فيها بما ورد باليوميّات من أعلام المشرقيين والغربيين وبأعمالهم، ثم ما ورد بها أيضًا من أعلام اليهود، وبعض مصطلحاتهم. وعقبت على ذلك ببعض خطابات المستشرقين التي أرسلت إلي

الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة المصرية آنذاك، اعتذارًا عن عدم التمكن من قبول دعوته لهم للتدريس بالجامعة^(١).

وإني لأمل - بعد تقديم هذه الأعمال الثلاثة - أن تصبح صورة جولدتسيهر الشخصية والعلمية والإنسانية واضحة، ليتمكن القارئ العربي من إصدار حكم صادق عليه، وأن يتبين منزلته بين زملائه المستشرقين، وما قدم من جهد في دراسة العقيدة الإسلامية والحضارة العربية.

والأمل موصول لتقديم أعمال ودراسات أخرى لجولدتسيهر وغيره من المستشرقين في ترجمات عربية، لنتعرف على وجهات النظر عند الآخر سلبيًا وإيجابيًا، وكى نستطيع أن نتعرض لها بالتحليل والنقد، والإفادة منها أو الإعراض عنها.

والله الموفق، وبه نستعين

محمد عوني عبد الرعوف

المعادي في ٢٠١٣/٩/١

(١) نقلًا عن الأستاذ أحمد بنير: الأجانب في الجامعة المصرية، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٨.

ص٤٧ وما يليها.

مقدمة الترجمة

في عام ١٨٩٠ نشر جولدتسيهر الجزء الثاني من كتابه "دراسات إسلامية" *Muhammedanische Studien* وكان ذلك يوم عيد ميلاده الأربعين. وفي اليوم نفسه بدأ في كتابة يومياته الكاملة، واستمر في كتابتها حتى عام ١٩١٩، قبل وفاته بعامين (١٩٢١).

وكان هذا الجزء الثاني من "دراسات إسلامية" عن الحديث الشريف، وكان أنضح دراسة مما كتبه من قبل. أما اليوميات فلم تكن في مستوى الدقة العلمية التي كتب بها في الدراسات الإسلامية؛ إذ إنها كانت تتميز بأنها اجترار لما مر به في حياته من أحداث، وما عاناه من التجارب التي جعلت حياته شديدة المرارة، عدا بعض أيام سعيدة نعم فيها بالهدوء والراحة النفسية، والمتعة بقاء الأصدقاء أو الرجال الذين يفترون مكانته العلمية، بعيداً عن زملائه في العقيدة والملة، ومن ثم فإنه لم يكن في كل ما كتبه في يومياته متوازناً. وهو لم يكن يقصد أن يقدم هذه اليوميات للطباعة والنشر؛ إذ إنه يريد أن يُطلع عليها نجليه وأحفاده فقط، كي يفيدوا منها، ويعرفوا سيرته ويترحموا عليه بعدها. وهذا هو كل ما أراده. ومن ثم لم تنشر هذه اليوميات إلا بعد وفاته بزمان طويل، حين دفع بها نجله الأصغر إلى أحد أصدقائه، وهو أليكسندر شايبير *Alexander Scheiber* الذي نشرها بدار النشر بريل بلين ١٩٧٧/١٩٧٨.

ولم أحاول الإقدام على ترجمة هذه اليوميات إلا بعد أن طالعت هجوم العلماء العرب، وبخاصة المصريون على هذا المستشرق، بعد اطلاعهم على ما تُرجم من كتبه إلى اللغة العربية؛ إذ تُرجم له كتابان:

١- "مذاهب التفسير الإسلامي"، ترجم دكتور علي حسن عبد القادر جزءاً منه عن الترجمة الفرنسية ونشره، ثم ترجمه دكتور عبد الحليم النجار عن الألمانية مباشرة، وصدر عن دار اقرأ سنة ١٩٥٤.

٢- "العقيدة والشريعة في الإسلام"، ترجمه الأستاذة: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، د. عبد العزيز عبد الحق عن الترجمة الفرنسية، ونشر ببغداد سنة ١٩٥٩.

وقد أعدتُ نشر الكتابين بتكليف من الأستاذ الدكتور جابر عصفور مدير المركز القومي للترجمة عام ٢٠١١، مع كتابة مقدمة ودراسة لكل من الكتابين، وصدرا عن المركز عام ٢٠١٣، وذلك في سلسلة "ميراث الترجمة". وقد حفزني على الإسراع في نشرهما ما قدمته شعبة التعليم الأزهرى بالمجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا من دراسة عن "دور التعليم الأزهرى في دراسة الاستشراق والغزو الثقافي" في ٢٠٠٥/٣/٥. وجاء أول بند بالتوصيات عن ضرورة إنشاء وحدة ذات طابع خاص تابعة لجامعة الأزهر، تكون مهمتها العكوف على فحص وتمحيص ما كتبه المستشرقون، والرد عليه، بما يوضح سماحة الإسلام وقبول المسلم للآخر، على أن تضم هذه الوحدة فريقاً من الخبراء المتخصصين في العلوم الآتية: علم الأديان المقارن، اللغات الأجنبية باختلاف أنواعها، المناهج،

الاجتماع، مع تكليف أساتذة كليات التربية التابعة للأزهر، المتخصصين في المناهج الدراسية، بتحليل محتوى الكتب الصادرة من المستشرقين، لإبراز أهم ما ورد بها من هجوم على الإسلام والمسلمين، حتى يمكن وضع استراتيجية تحدد كيفية المواجهة والتصدي لكل معاداة للإسلام والمسلمين.

وعند قراءة الدراسة وتقسيم كتب المستشرقين ومؤلفاتهم إلى مجموعات، ذكر سيادة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم اسم جولدتسيهر ضمن مجموعة المهاجمين للإسلام، الذين تغلب على كتاباتهم صفة الهجوم المباشر عليه، والذين كالوا له التهم جزافاً بغير دليل في كثير من الأحيان، أو بأدلة غير مقنعة، وذكر من أمثلتهم: مرجليوث، وفيلهاوزن، ثم أضاف اسم جولدتسيهر رغم أنه لم يكن موجوداً بالدراسة المقدمة.

وقد راجعتُ ما وُجّه من نقد لكتابي جولدتسيهر المترجمين فوجدت بين مَنْ وجهوا النقد إليهما عالَمين جليلين هما: الشيخ محمد الغزالي في كتابه "دفاع عن العقيدة والشرعية"، والأستاذ الدكتور محمد حسن حسن جبل في كتابه: "الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية".

وقد أردتُ بترجمتي كتاب "يوميات جولدتسيهر"، بوصفه كتاباً ثالثاً يُضاف إلى المكتبة العربية من أعمال هذا الرجل المطعون على مقاصده، أن أعين على استجلاء وجه الحقيقة؛ حيث ورد باليوميات الكثير من آرائه في الأديان السماوية الثلاثة؛ وصلته وعلاقته بمعتقداتها وبخاصة الإسلام والمسلمون، كي يتمكن السادة الأجلاء والعلماء المختصون بالدراسات

القرآنية ودراسات الحديث الشريف والمتخصصون في علم الأديان المقارن وكذلك السادة المختصون بالدراسات الدينية المسيحية أن يستقرئوا ما جاء لدى جولدتسيهر من آراء أو إشارات عن الإسلام وعن الديانة المسيحية والطقوس الدينية وممارستها. ولعل الوحدة التي كونتها الجامعة الأزهرية من الخبراء المتخصصين في علم الأديان المقارن واللغات الأجنبية والمناهج وعلم الاجتماع يمكن أن تساعد في هذا الصدد، فيتمكنوا من التعليق على ما جاء بأعماله الثلاثة المترجمة، راجيًا أن أكون قد وفقتُ فيما أجتهدُ في تقديمه إليهم جميعًا.

والله الموفق، وبه نستعين.

محمدٌ عوني عبد الرعوف

مقدمة نقدية

جولدتسيهر.. مستشرق تار حوله جدل كثير

أولاً: عن يوميات جولدتسيهر:

لم تُنشر اليوميات إلا عام ١٩٧٧ / ١٩٧٨ بعد سنوات طويلة من وفاة جولدتسيهر في ١٩٢١؛ إذ إنه عندما كتبها أراد أن يقدمها لابنيه وأحفاده، كي يعلموا ما لقيه في حياته من عناء وسوء معاملة، وبخاصة من بني جنسه، وليكتسبوا خبرة ويفيدوا من تجاربه. وبعد وفاته، دفع ابنه الأصغر الأستاذ كارل جولدتسيهر *Prof. Karl Goldziher* بيوميات أبيه إلى المستشرق أليكسندر شايبير (١٩١٣ - ١٩٨٥) لينشرها.

وحيثما نشرت تأسف البعض صراحة من نشر الكتاب دون تقديم مختصر لما ورد به. وكانت مفاجأة لمن تابع أعمال جولدتسيهر؛ إذ تبين الفرق بين دراسة الكاتب الباحث المتزن الذي لا يدبج سطرًا قبل أن يتأنى في التفكير، ويدلل على ما يكتب ببراهين من المراجع التي يستند إليها، بمخطوطات التراث العربي التي يتتبعها بمكتبات أوروبا، أو سبق لزملاء مستشرقين أن حققوها، أو حصل عليها مدونة من الشرق العربي أثناء رحلته إليه، وصرح في يومياته أنه سينتفع بها في دراسته وكتاباته أكثر من خمسة عشر عامًا بعد رجوعه إلى أوروبا.

كانت الصدمة عظيمة؛ إذ لم يتوقع أحد أن يصدر عن هذا الكاتب المتزن كل هذا الجيشان العاطفي؛ إذ تكشف اليوميات في مواقع كثيرة منها

عن تعصب ديني صريح - وبخاصة للإسلام - صادر عن كاتب رفيع الثقافة، ويمكن أن نجد شيئاً من هذا في الجزء الخاص برحلته إلى الشرق الأوسط، ومنها تعليقه المشهور حول رغبته في البقاء بدمشق (ص ٥٩).

وهو يكتب هذا بيوميته عند استعادته الأحداث التي مرت به وعاشها قبل ستة عشر عاماً، وينقل أيضاً عن يومياته الصغيرة حول رحلته إلى سوريا ومصر (في عامي ١٨٧٣ و ١٨٧٤) يوماً بيوم، وقد نشرها رافائيل باتاي *Raphael Patai* بالإنجليزية عام ١٩٨٧ بديترويت / بالولايات المتحدة، وذلك نقلاً عن مخطوطة ألمانية قمنها له شايبير.

ثانياً: النقد الذي وجه إلى جولدتسيهر:

في دراسة للأستاذ جون فان إس *John van Ess*^(١) بعنوان:

Goldziher as a Contemporary of Islamic Reform.

يتساءل: "لماذا كانت صورة جولدتسيهر في العالم الإسلامي بهذا القبح رغم أن صورة الإسلام عنده كانت إيجابية فوق التصور؟ لماذا يتخذ المسلمون في أيامنا هذه موقفاً ضد جولدتسيهر؟".

ويحاول فان إس أن يجيب عن هذا السؤال، ويعلل ذلك بأنه عندهم نموذج للاستشراق، وأنهم لا يحسنون الظن بالمستشرقين، لأنهم يظنون أن ما يقوله جولدتسيهر عن الحديث النبوي في الجزء الثاني من كتابه "دراسات إسلامية" يخالف ما جاء بالجزء الأول، وكان آنذاك شاباً يبلغ من العمر ٢٣

(١) نُشرت في كتاب:

Goldziher Memorial Conference, edited by Éva Apor and Istvan Ormos / Budapest 2005.

عامًا فقط؛ إذ إن تحليله للحديث في الجزء الأول لا يحتاج إلى تفسير، ولذلك وجد في الدراسات الأوربية قبولاً واستحساناً. وكان هو ما زال متأثرًا بما لقيه من معاملة طيبة أثناء زيارته لسوريا ومصر؛ فهو يتكلم العربية، وإن كان قد تعرض للنقد والملاحظات والإضافات. ويواصل فإن إس القول بأنه عندما تُرجم كتاباه: "مذاهب التفسير الإسلامي" و"العقيدة والشريعة في الإسلام" ازداد الصدام وتطور، بعد أن لاحظ أحد تلاميذ د. عبد القادر^(١) أن أستاذه يترجم ما كتبه جولدتسيهر في كتابه "دراسات إسلامية" وفي كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" ترجمة حرفية. وأنه حينما بدأ في تدريس مادة "تاريخ التشريع الإسلامي"^(٢) قال في أول محاضرة يلقيها على طلاب السنتين الثانية والثالثة في قسم تخصص المادة في الفقه والأصول وتاريخ التشريع العالمية (من درجة أستاذ في كلية الشريعة عن تاريخ التشريع الإسلامي) "إنني سأدرس لكم التشريع الإسلامي، ولكن على طريقة علمية لا عهد للأزهر بها. وإنني أعترف لكم بأنني تعلمت في الأزهر قرابة أربعة عشر عامًا، فلم أفهم الإسلام، ولكنني فهمت الإسلام حين دراستي في ألمانيا"^(٣).

فعلق التلميذ - واسمه مصطفى السباعي - على قوله فيما بينه وبين زملائه، وقالوا فيما بينهم: "لنستمع إلى أستاذنا لعله حقًا قد علم شيئًا جديرًا

(١) المقصود هو د. علي حسن عبد القادر الأستاذ بالأزهر، وهو ثالث ثلاثة ترجموا كتاب "العقيدة والشريعة"، ثم نشر كتابه "نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي".

(٢) بعد عودته من ألمانيا التي قضى بها أربع سنوات انتهى فيها من دراسته، وعُين بالأزهر الشريف.

(٣) د. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٩٩، ص ١٢.

بأن نعلمه عن الإسلام مما لا عهد للأزهر به"، وابتدأ درسه عن تاريخ السنة النبوية ترجمة حرفية من كتاب ضخيم بين يديه، علمنا فيما بعد أنه كتاب جولدتسيهر "دراسات إسلامية"، وكان أستاذنا ينقل عبارته، ويتبناها على أنها حقيقة علمية. واستمر في دروسه نناقشه فيما يبدو لنا - نحن الطلاب - أنه غير صحيح، فكان يأبى أن يخالف جولدتسيهر بشيء مما ورد في هذا الكتاب، حتى إذا وصل في دروسه إلى الحديث عن الزهري، واتهامه بوضع الأحاديث للأمويين ناقشته في ذلك، بحسب معلوماتي عن الزهري من أنه إمام السنة، وموضع ثقة العلماء جميعاً، فلم يرجع عن رأيه، مما حملني على أن أطلب منه ترجمة ما قاله جولدتسيهر عن الزهري تماماً، فترجمه لي في ورقتين بخط يده^(١).

ويستمر د. مصطفى السباعي في روايته، ويبين كيف شغل بتتبع ما كتبه شيخه بمخطوطات كتب التراث بمكتبة الأزهر، مدة ثلاثة أشهر حتى اهتدى إلى المعلومات الصحيحة كما يقول^(٢).

ثم يروي: "قلت لأستاذنا دكتور عبد القادر: لقد تبين لي أن جولدتسيهر قد حرق نصوص الأقدمين فيما يتعلق بالزهري. فأجابني بقوله: لا يمكن هذا؛ لأن المستشرقين - وخاصة جولدتسيهر - قوم علماء منصفون لا يحرفون النصوص ولا الحقائق"^(٣).

ثم ألقى مصطفى السباعي محاضرة تناول فيها ما انتهى إليه في دار جمعية الهداية الإسلامية، حضرها د. عبد القادر الذي نهض بعد المحاضرة،

(١) السابق ص ٣، ٤، وليرجع إلى ترجمة مصطفى السباعي بملحق الأعلام في هذا الكتاب.

(٢) يعني كتب مصطلح الحديث وصحة الإسناد، ومنزلة الرواة.

(٣) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ١٣.

وقال بصوت سمعه الحاضرون جميعاً: إنني أعترف بأنني لم أكن أعرف من هو الزهري حتى عزفته الآن، وليس لي اعتراض على كل ما ذكرته^(١).

ويمضي السباعي في روايته فيذكر أن رئيس الجمعية الأستاذ محمد الخضر حسين (الذي أصبح شيخ الأزهر فيما بعد) قال: "إن بحثك هذا فتح جديد في بحث المستشرقين، وأرجو أن تعطيني نسخة من هذه المحاضرة، لأبعث بها إلى المجلات العلمية التي تعنى ببحوث المستشرقين في ألمانيا. وإنني أعتقد أنها ستحدث دويًا في أوساط المستشرقين"^(٢).

وتمثل محاضرة مصطفى السباعي المبادرة في الهجوم على أعمال جولدتسيهر في العالم العربي، أعقبها دراسات عديدة تتناول كتابيه بالنقد، نذكر منها:

ما ورد لدى د. محمد حسن حسن جبل بكتابه "الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية" من أن بعض العلماء المسلمين قاموا بالرد على مطاعن جولدتسيهر في القرآن، وهو يعرض هذه الردود ويقيّمها، ومنها:

١- ردّ العلامة محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط (كاتب مصحف مكة المكرمة) وذلك في كتابه "تاريخ القرآن وخرائب رسمه"- في طبعته الأولى ١٣٦٥هـ، والثانية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م - وقد بنى رده على مقولة جولدتسيهر إن القراءات نشأت عن الاجتهاد

(١) السابق، ص ١٣.

(٢) السابق.

الشخصي الحر في إعجام الرسم القرآني وشكله، لأنه كُتِبَ أولاً مجرداً من الإعجام والشكل، فردّ هذه المقولة بأن "القراءات كانت أسبق من الرسم".

٢- الدكتور عبد الوهاب حمودة في كتابه "اللهجات والقراءات" ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م، وردّ ردّاً علمياً جيداً.

٣- الدكتور عبد الفتاح شلبي في كتابه "رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين" ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م. وردّ ردّاً مجتزئاً.

٤- الدكتور عبد الحليم النجار الذي قال عنه د. محمد جبل إنه قدم "تعليقات تعد من أحسن الردود على مطاعن جولدتسيهر". وذلك في ترجمته الثانية لكتاب "مذاهب التفسير الإسلامي" بذيل الترجمة.

٥- الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه "القراءات في نظر المستشرقين والملحدين" ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ "وفيه جهد طيب مشكور" كما يصفه د. جبل.

٦- الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة في كتابه "دراسات في مناهج المفسرين" ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩، "أقام رده على مطاعن جولدتسيهر على تعليقات د. عبد الحليم النجار".

٧- الدكتور شعبان محمد إسماعيل في كتابه: "القراءات: أحكامها، ومصادرها" ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

٨- الدكتور حسن ضياء الدين العتر في كتابه: "الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها" (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م).

٩- الشيخ محمد الغزالي: "دفاع عن العقيدة والشرعية" تناول فيه فصول كتاب جولدتسيهر "العقيدة والشرعية" بالنقد الإجمالي في ردود عامة وإجمالية دون تركيز على المصادر والمراجع، معتمداً أحياناً في رده على علماء وشيوخ معاصرين.

وبالإضافة لما أورده د. جبل يمكن أن نجد لدى الشيخ الغزالي في كتابه سالف الذكر ص ٣: "إن هذا المستشرق من أعمدة المستشرقين ودهاتهم، ولا شك أنه قرأ كثيراً من الأصول والمصنفات الإسلامية، ولكنه منذ قرأ وكتب، لم يحمل بين جنبه إلا فؤاداً مترعاً بتكذيب الإسلام، فهو يدس إصبعه في كل شيء ليتخذ من أي شيء دليلاً على أن محمداً كاذب، وقرآنه مفتعل وسنته مختلفة، والإسلام كله - منذ جاء إلى أن بلغنا - مجموعة من المفتريات. ورجل مصطبغ الفكر والشعور بهذا المبدأ الثابت لا يجوز أن تكون له حرمة أهل العلم".

ويواصل الغزالي في ص ١١ "فيجب أن يكون القرار الذي أصدره الأزهر قبل بضع سنين في ترجمة أمثال جولدتسيهر ونشرها مشروطاً باستيفاء الردود عليها كاملة غير منقوصة وفي غير هوادة، وإلا كان الأزهر يعمل نقیض واجبه، ويؤدي عكس رسالته".

١٠- الدكتور علي حسن عبد القادر: تعقيب إجمالي على موضوعات كتاب "المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن".

١١- الدكتور نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث.

١٢- الدكتور محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، دار القدس، ١٩٩٩.

١٣- الدكتور عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة للنشر والتوزيع د. ت.

١٤- الدكتور ساسي سالم الحاج: "الظاهرة الاستشرافية وأثرها في الدراسات الإسلامية" (١٩٩١، ١٩٩٣، ١٩٩٧).

١٥- الدكتور رشاد محمد سالم: "القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية". (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

١٦- الدكتور مصطفى السباعي في كتابه "الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم"، دار الوراق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

١٧- جلال عبد الباقي في رسالته للدكتوراه وعنوانها: "آراء جولدتسيهر في تفسير القرآن".

وتعرض لجولدتسيهر - أيضًا - دارسون كتبوا بغير العربية، انتقدوا أفكاره بطريقة مبتدعة وجدل موضوعي مثل:

١- فؤاد سيزكين الذي كتب باللغة التركية:

Buhârinin kaynaklars hakkında, Arastumaler, Istanbul 1956.

٢- محمد مصطفى العظمي الذي كتب باللغة الإنجليزية كتابًا بعنوان:

Studies in Early Hadith Literature with a critical edition of some

early tests, Beirut 1968.

وتعرض بالمقدمة لجولدتسيهر، وإن لم يذكر اسمه، فهاجمه وناقش آراءه التي أثارها عليه السباعي، الذي كان أستاذًا للعظمي، عن رأي جولدتسيهر في الزهري.

وقد أخذوا على ما ورد بكتّابي جولدتسيهر:

- تخلى عنه قلم العالم النزيه في نقد المسائل نقدًا سليمًا، ومعالجتها في جو علمي لا تشوبه الأهواء، ولا تعكر صفاءه الأوهام والشكوك (دكتور علي حسن عبد القادر).

- شكوكه في الحديث النبوي الشريف والتجني على رواته، والقول بوجود أحاديث موضوعة، ومزورة، (الشيخ الغزالي) وأنه وُضع في القرنين أو الثلاثة الأولى للهجرة.

- انتقاده للسند والمتن، وأن العلماء المسلمين اهتموا بالنقد الخارجي وحكموا على الأحاديث بحسب شكلها الخارجي، ولم يهتموا بنقد متن الحديث (د. نور الدين عتر، د. محمد بهاء الدين).

- تناقضات جولدتسيهر، ومنهجه المضطرب في تناول القراءات القرآنية ومغالطاته وزعمه بأن القراءات تزداد مع مرور الزمن، مع كثير من الأمثلة الموضحة (دكتور محمد حسن جيل).

- صلة التشريع وما ورد بالقرآن الكريم بما جاء بالديانات السابقة السماوية أو الوضعية (د. محمد بهاء الدين).

- رجوع جولدتسيهر واستشهاده بكتب لا صلة لها بعلم الحديث، واعتماده عليها في دراساته العلمية.

ولم يكن هجوم بعض الدارسين العرب على جولدتسيهر والمستشرقين فحسب، بل تناولوا بالهجوم والنقد العنيف والتجريح مَنْ أنصفه من العلماء العرب وأعلام الثقافة في الوطن العربي، فتعرضوا لكل من:

١- الأستاذ أحمد أمين، إذ كتب دكتور محمد بهاء الدين في كتابه "المستشرقون والحديث النبوي": "تم جاء أحمد أمين ليضرب بأوفر سهم في هذا الميدان، مردداً أكاذيب وأباطيل جولنتسيهر وغيره من المستشرقين حول الأحاديث النبوية، متونها وأسانيدها ورجالها ومكانتها التشريعية في الإسلام. وذلك حينما ألف كتابه "فجر الإسلام" سنة ١٩٢٩، وعقد فصلاً خاصاً فيه عن الحديث يأتي بأفكار وآراء حوله. وهي لا تخرج بجملتها عن أفكار وآراء المستشرقين، ولكن دون أن ينسبها إليهم، لحاجة في نفس يعقوب، إلا أنه أظهرها لبعض خلاته"^(١).

ويواصل دكتور بهاء الدين: "ومما يدل على أن أحمد أمين كان في مقمة الطاعنين في الحديث النبوي والمشككين فيه أنه حينما نشر إسماعيل أدهم سنة ١٣٥٣هـ (أي ١٩٣٤م) رسالة عن "تاريخ السنة" أعلن فيها أن الأحاديث الموجودة ليست ثابتة الأصول والدعائم، بل هي مشكوك فيها، ويغلب عليها صفة الوضع. قوبلت هذه الرسالة بالرفض من قبل المسلمين وعلمائهم، واضطرت الحكومة المصرية إلى مصادرتها دافع عن نفسه قائلاً: إن ما ذهبْتُ إليه من الشك في صحة الحديث يشاطرني فيه جماعة من كبار الألباء والعلماء، وفي مقدمتهم أحمد أمين، فلم ينكر ما نسبته إليه زميله فيما بعد"^(٢).

وقال الدكتور. محمد بهاء الدين عن الأستاذ محمود أبو رية وعما جاء به في كتابه "أضواء على السنة المحمدية" ص ١٤٨: "فنشر فيه مزاعم

(١) د. محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، دار القنس، ١٩٩٩، ص ٢٦٧.

(٢) السابق ص ٢٧٠.

واتهامات تجاوز الحد حول الحديث. وأخذ يخلط بين كل ما قاله من سبقه من المستشرقين ومن سار على طريقهم من المسلمين. فجاء كتابه مزيجاً من مختلف الآراء والأفكار التي قيلت للتشكيك في الحديث النبوي كمصدر للتشريع الإسلامي^(١).

ويحيل الدكتور. بهاء الدين إلى محمود أبو رية الذي يقول: "ومن شاء أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي، فليرجع إلى التفسير والحديث والتاريخ، وإلى كتب المستشرقين أمثال جولدتسيهر، وفون كريمر، وغيرهما"^(٢).

٢- الدكتور. طه حسين الذي نقل عنه محمد بهاء الدين "كيف نتصور أستاذاً للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج المستشرقون من النتائج العلمية المختلفة، حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة. وإنما يُلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا"^(٣). (من تاريخ الألب العربي للدكتور طه حسين ج ١ ص ١٩).

وينقل الدكتور. محمد بهاء الدين تعقيلاً للدكتور السباعي بكتابه "الاستشراق والمستشرقون" ص ١٠ عن مدى تأثير دكتور طه حسين بالمستشرقين في آرائه السالفة قائلاً: "فما جاء في كتاب طه حسين كان

(١) السابق، ٢٧١.

(٢) السابق ص ٢٧١.

(٣) السابق ص ٢٨٩.

ترديدًا لآراء غلاة المستشرقين أمثال مرجليوث الذي نقل طه حسين آراءه في كتابه ونسبها إلى نفسه^(١).

على أن عددًا غير قليل من الدارسين العرب قدّر جهود المستشرقين، وأشاد بفضلهم مثل:

- الأستاذ نجيب العقيقي في كتابه "المستشرقون" حيث يقول: فلو لم يقدر لثرائنا من مخطوطات وآثار، تلك الأيدي فتجمعه وتكشف عنه، وتحل رموزه، ثم ترتبه وتصونه وتفهرسه، وتيسر سبل الانتفاع به، لما قدر لجلة آثارنا أن ترى الشمس، ولفقد قدر عظيم من مخطوطاتنا، وظل آخر طي الكتمان، إلا من أسمائه في الفهرست لابن النديم وكتب الأعلام والسير، ولغى النسيان على غيره، ولما استطعنا تصويره كما فعل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، والمكتبات العامة والعلماء، وتحقيقه والتصنيف فيه، ولا عرفنا قدره وأثره في الأمم الأخرى، ولو أن المستشرقين أرادوا بثرائنا شرًا، كما زعم البعض منا، لما استتقنوا أحجاره وأوراقه من الضياع، بل عمدوا إلى طيه، إن لم يكن عن العالم فعنا^(٢).

- ويقول الدكتور مصطفى السباعي^(٣):

"في الحق إن كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما

(١) المآيق ص ٢٩٠.

(٢) نجيب العقيقي، المستشرقون، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣) الاستشراق والمستشرقون، ص ١٥.

تطرقوا إليه من أبحاث. ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم: "يَجْرِ مِّنْكُمْ شُنَّانٌ قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا آعِدُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٨﴾" (١).

ويعلق دكتور محمد بهاء الدين على هذه المقولة: "وفي الواقع إن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجابًا أو سلبيًا، لهذا فلا يمكن تجاهله أو الاكتفاء بمجرد رفضه، فهو موضوع يفرض نفسه، ويتطلب دراسة أبحاثه وتأثيراته بالنسبة للإسلام والمسلمين" (٢).

ويعود دكتور محمد بهاء الدين فيقول: "فليس من العدل القول إن جميع المستشرقين الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية قد أبرزوا الأحقاد ضد الإسلام، وإن كانت محاولة الدس وفتح المنافذ للطعن هي السمة الغالبة على أكثر دراساتهم" (٣).

"ولا شك أن الاستشراق قدم خلال مهمته في الفكر الإسلامي أشياء نافعة لا يمكن تجاهلها، وخاصة في مجال إحياء التراث والتبويب والفهرسة وجمع المخطوطات وغير ذلك من أعمال قام بها المستشرقون، فتركت آثارًا جانبية على مسار النهضة الحديثة في البلاد العربية والإسلامية، كما أن بين المستشرقين أناسًا أصحاب حياد وإنصاف، ولهم كتابات وآراء معتبرة، ولهم مواقف جريئة وصريحة إزاء الإسلام، وأهله صرحوا فيها بالحق، والحقيقة الإسلامية" (٤).

(١) سورة المائدة: آية ٨.

(٢) د. محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، ص ٢٩٣.

(٣) السابق، ص ٢٩٥.

(٤) السابق، ص ٢٩٥.

ثمّ يقول: "فهناك مجموعة من العوامل تدعونا إلى الاهتمام بالدراسات الاستشراقية الإسلامية:

١- حبّ الاطلاع على آراء المفكرين غير المسلمين في الإسلام وفي كتابه ونبيه، ولا سيما المستشرقون الذين نظروا إليه من عدة زوايا، بحسب ثقافة كل باحث وتخصّصه وهوايته.

٢- الردّ على مطاعن المستشرقين المتعصبين على الإسلام والمسلمين وتقنيد ادّعاءاتهم والكشف عن مفترياتهم في حق الإسلام وتراثه.

٣- تصحيح ما وقع فيه المستشرقون من أخطاء لغوية أو علمية أو تاريخية عن جهل أو عن سوء فهم وضيق نظر.

٤- الإفادة من بحوث المستشرقين بالأخص تلك التي نلمس فيها تحرراً من ضوابط الأيديولوجيا الكنسية الاستعمارية، ويغلب عليها الطابع العلمي المجرد من الأهواء والأحكام المسبقة.

منزلة جولدتسيهر بين من قدره من العلماء العرب:

على أن الأمر لا يخلو من بعض الآراء التي قنّرتة ومنها قول د. محمد يوسف موسى في مقمّة ترجمة "العقيدة والشريعة" ص ٥، ٦: "والكتاب دراسة تفصيلية للإسلام من جميع نواحيه: من ناحية رسوله، والشريعة ونموها، والعقيدة وتطورها، والزهد والتصوف ونشأتها، والعوامل التي أثرت فيهما. والفرق الإسلامية المختلفة، ثم الحركات الأخيرة الإصلاحية في رأي أصحابها. وقد استند المؤلف في كل قسم من أقسام الكتاب، وكل بحث من

بحوثه، إلى طائفة كبيرة من المراجع الإسلامية الموثوق بها؛ ويسعفه عقله الألمعي وبصيرته النافذة. ومع هذا، فقد انساق إلى أخطاء غير يسيرة بعوامل قد يكون منها أنه لم يستطع أن ينفذ تمامًا إلى روح الإسلام ومبادئه وأصوله. وقد يكون منها كذلك ما هو طبيعي في كل ذي دين وثقافة خاصة من العصبية لدينه وثقافته".

ثالثًا: منهج جولدتسيهر في دراساته الإسلامية:

- يشير جولدتسيهر في يومياته عدة مرات إلى إعجابه بابن حزم وبطريقته الجدلية (ص ٤٧، ٤٨، ٨٩، ٩٢، ١٩٣). ويرجع أيضًا إلى الجدليين الإسلاميين (ص ٨٩)، وينقل عنهم جزازات. وهو يعيد قراءة ابن حزم مرة أخرى مع قراءة سلسلة من الكتب عن العقيدة الإسلامية (ص ٩٢). ويذكر أنه رجع إلى "مخطوطات فخمة" لابن حزم في ص ١٩٣. ولم يكن مقيدًا بمذهب إسلامي معين، فكل المذاهب الإسلامية عنده سواء.

- وقد طلبت منه حكومة الجزائر (حاكم الجزائر العام) أن يكتب مقدمة لكتاب عن سيرة محمد بن تومرت (١٠٨٧ - ١١٣٠ هـ) وهو مصلح ديني، اتصل عن قرب بأراء ابن حزم، ووضع أساس دولة الموحدين فكتبها (ص ٢٣٠، ٢٣٥ باليوميات).

- كان ينظر إلى المذاهب والنظريات والآراء نظرة زمانية، لا نظرة مكانية، نظرة حركية لا نظرة سكونية، نظرة تاريخية لا نظرة مذهبية. أي كان ينظر إلى هذا المذهب أو ذاك في الفقه والتفسير ورواية الحديث والعقائد على أنه كالكائن الحي سواء بسواء: يولد وينمو وينضج، وليس طائفة من

الصيغ الجامدة والتصورات المجردة التي قيلت مرة واحدة وإلى الأبد؛ فهو إذا عرض المذهب عرض قانون حياته وتطوره، وإذا بحث في نسيجه الحي وجس عروقه النابضة بالحياة^(١).

- كان معجباً بطريقة المستشرقين الهولنديين في دراسة الأديان بمفهوم تحليل النصوص كما ينبغي، والالتزام بالتقاليد الفلسفية في نقد الوثائق الدينية التي تختلف في دلالتها عن الطريقة المعتادة لقراءة هذه النصوص، وبطريقة مقارنة الأديان.

- تأثر بكتابات جايغر *Geyger* واتبع نظامه في التفكير، وهو ما زال في السابعة عشرة من عمره.

- وينكر أنه تأثر بآراء المعتزلة، وإن اختلف مع عدد منهم في بعض الآراء، ولكنه كان يوافق ما رأوه عن المتن قبل الإسناد، ولذلك يستشهد في يومياته ص ٢١٥ بنص حديث ورد لدى ياقوت الحموي، وبحديث آخر ورد على لسان جارية، بحكاية من حكايات ألف ليلة وليلة.

- وهذا يتفق مع رأي زملائه المستشرقين الذين كانوا يجتهدون في تحليل النصوص الدينية الذي أدى بهم إلى اكتشافات عديدة، وبخاصة بعد أن كثرت الحفريات في مناطق كثيرة بالشرق العربي، وتمكن العلماء من قراءة النقوش الأكديّة والأوحيّة وغيرها، فتبين الناس أنها تخالف ما ورد بالتوراة، وتسبب هذا في بليلة الأفكار الدينية.

(١) نقلاً بتصرف عن د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين ١٩٩٣،

وبتحليل النصوص الدينية تبين أن التوراة تعتمد على أربعة مصادر: المصدر اليهودي، والمصدر الإلهومي، والمصدر الكهنوتي، وسفر التثنية^(١). وتبين أيضاً - فيما ورد عن فيلهاوزن *Wellhausen* - أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى يلزم أن يضم إليها سفر يشوع الذي يليها لتصبح أسفار موسى الستة *Hexateuch* وليس الخمسة فقط *Pentateuch*^(٢)، وأن سفري صموئيل الأول والثاني يرجعان أيضاً إلى مصادر كثيرة متعددة متفاوتة الموضوع والتاريخ، ويعدان سفرًا واحدًا ضمن هذه المجموعة من الأسفار.

- في تلك الحقبة الزمنية التي عاشها جولدتسيهر (النصف الثاني من القرن التاسع عشر والخمس الأول من القرن العشرين) بدأت الدراسات الدينية المقارنة، ولكنها للأسف لم تمارس باعتبارها مقارنات، بل اعتبروها محاكاة وتقليدًا لما ورد بالتوراة، أو ورد بديانات غير سماوية مثل المجوسية والزرادشتية، وغيرهما.

والحق أن الأمر ليس كذلك، فما ورد متشابهًا بين الديانات السماوية إنما يرجع إلى أن المصدر واحد، وهو اللوح المحفوظ. أما التشابه بين ما ورد بالأديان الوضعية والسماوية فمعظمه يرجع إلى ما يجب أن يكون عليه الخلق البشري، كي يصلح المجتمع الإنساني، أو لكي تعيش مجموعة الناس في بيئة واحدة في سلام، ولا يتأذى منه أحد، ولم يلجأ الإنسان في المجتمعات المبكرة إلى الطوطمية إلا للخوف من الشر والرغبة في اتباع الخير.

(١) هذا الترتيب مخالف لترتيب الترجمة السبعينية.

(٢) يُرجع إلى رأي فيلهاوزن في كتابي "جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة"، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦، ج٢، ص ١١٨، ١١٩.

- كان جولدتسيهر ينهج في أبحاثه منهجًا استدلالياً، يقبل على النصوص، ويحاول التوفيق بينها وبين ما يوحي به ظاهر النص حتى يتلاءم المعنى المقصود، بل يدع النص نفسه يقدم ما يريد ظاهره أن يقدم ثم يجمع ما تقوله النصوص جميعاً. ويضم الواحد إلى الآخر لتعبر جميعاً عن المعنى المراد.

فهو يعتمد على النصوص كل الاعتماد، ويسوق العديد منها تأييداً لأقواله دون أن يكرها على معنى يفرضه عليها، أو يتوهمه من دلالتها الظاهرة، فمنهجه منهج استدلالى يعتمد على البصيرة والوجدان، استطاع به أن يتجنب خطر الضيق والسطحية في المنهج العلمي الدقيق، وخطر الإفراط في السعة والتأويلات البعيدة الخيالية في المنهج الاستدلالي^(١).

رابعاً: منزلته العلمية:

اكتشفت الحضارة الإسلامية في أوروبا بفضل دارسي الإسلاميات، وكان هذا الاكتشاف نتيجة اجتهاد مستشرقين أوروبيين توفروا على دراستها في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وأسفرت تلك الدراسات عن فكرة تدور حول مدنية إسلامية عالمية. ونتيجة لذلك تحرر شباب المسلمين المتقنين من عقد النقص المزمنة التي كانت تلاحقهم تجاه ثقافة التحرير الأدبية الأوروبية. وكان انتحار أوروبا في حربين متتاليتين عالميتين، وتحرير البلاد الإسلامية التي كانت تحت الاستعمار الأوروبى عاملاً سياسياً في تقوية

(١) مقامة طبعة المركز القومي للترجمة لكتاب "مذاهب التفسير الإسلامى"، عوني عبد الرؤوف،

شعور المسلمين بالتححرر والاستقلال والافتخار بقوميتهم ودينهم، ثم ازداد هذا الافتخار باكتشاف البترول في بلادهم.

وكانت الصحيفة ربع السنوية "الإسلام *Der Islam*" التي أنشأها كارل هاينريش بيكر (١٨٧٦ - ١٩٣٣) *Carl Heinrich Becker* عام ١٩٠١ العامل الرئيس في نشر الفكرة الإسلامية.

ويقرر بيكر أن المسئول عن نشر هذه الفكرة أربعة مستشرقين متخصصين في الدراسات الإسلامية، وأن أهمهم هو جولدتسيهر (كما يشير إلى ذلك في يومياته). وعندما كتب بيكر نعيًا لجولدتسيهر بيّن أنه كان يقرأ يوميًا صفحة من صفحات التلمود، وأنه استطاع أن يدرك حقيقة الإسلام، جاعلا فكرة التشريع الإسلامي نقطة الانطلاق في دراساته، وأفلح في أن يقدم أفكار المدنية الإسلامية. وقرر بيكر أنه كان مهتمًا بالحياة العامة عند المسلمين اهتمامه بالأفكار الفلسفية الإسلامية وأفكار التصوف الإسلامي، فضلا عن توفره على دراسة التاريخ الإسلامي السياسي، والشعر العربي القديم، قبل ابتداع مصطلح الدراسة البيئية *area study*.

وقد تناول المستشرق المجري برنارد هيللر (١٨٥٧ - ١٩٤٣) *Heller, B.* الذي نشر أعمال جولدتسيهر العلمية في مائة صفحة مباحثه الإسلامية واليهودية، وما نشره من مقالات في دوائر المعارف والمجلات العلمية، ترجمةً لحياته، مدلا بالشواهد على قيمته ومرتبته العلمية. وأضاف إليها المستشرق الروسي كرتشكوفسكي (١٨٨٣ - ١٩٥١) *Kratchkovski* في ذكرى جولدتسيهر سنة ١٩٤٨ عددًا غير قليل من المقالات.

ونذكر هيللر أن جولدتسيهر أول من قدم نقدًا تاريخيًا للدراسات الإسلامية، وعبر عن تقديره للتمدن العربي والشريعة الإسلامية.

وبين أنه أفاد كثيرًا من معرفته بالديانتين اليهودية والمسيحية، ودراساته للكتب الدينية المختلفة مثل التوراة والإنجيل والتلمود والمدراس في إقامة موازنات مع ما في الإسلام من مواد تاريخية أو تشريعية، وإن كان قد أخطأ في اعتبار هذا كله نقلًا عن التوراة أو امتدادًا لها. ناسيًا أن مصدر الكتب السماوية واحد، وأنه لا يمكن أن يقع بين هذه الكتب الدينية مخالافات، وأن الأمر لا يعدو أن يكون مقارنة أديان.

وقد رجع ناشر يوميات جولدتسيهر المستشرق المجري أليكسندر شايبير *Alexander Scheiber* في ملحوظاته عن اليوميات إلى ما كتبه هيلر، ويمكن تبين ذلك بقائمة أعمال المستشرقين عن جولدتسيهر آخر الكتاب، وهي من وضع شايبير.

ولهذا كله أطلق على جولدتسيهر "أبو الإسلاميات" *Father of Islamology* (أو مؤسس الإسلاميات)، وأطلق عليه أيضًا "صاحب الملل والنحل" (١) لمعرفته الدقيقة بالملل والنحل دقةً كافيًا بها الشهرستاني صاحب "كتاب الملل والنحل".

خامسًا: مكتبة جولدتسيهر:

عندما غادر جولدتسيهر مصر صرح أنه حمل من الكتب العربية زائدًا يكفيه في دراساته أكثر من خمسة عشر عامًا، جمعها من الشام ومصر في صناديق كثيرة، منها صندوق مليء بكتب عربية.

(١) لقبه بذلك الأمير شكيب أرسلان. (راجع اليوميات ص ٣٠٨، ٣٠٩).

ويكتب في يومياته: "قسمتها بالباخرة، ولم أكن أعلم أن هذا الصندوق الممتلئ بالمصادر اللازمة لدراساتي سيكون السلوى الوحيدة لي في السنوات التالية"^(١).

ويقول نجيب العقيقي إن مكتبة جولنتسيهر "أربت على ٤٠ ألف مجلد في العلوم والفقه والفلسفة والفنون واللغة والأدب، أسبغ على القسم الشرقي منها قيمة علمية بما علقه عليه من الحواشي والاستدراكات والتحقيقات. وأضاف إليها نسخاً تبلغ الآلاف، عدا مقالات المجالات العلمية التي أهداها إليه المستشرقون من جميع أنحاء العالم، تقديراً لعلمه واعترافاً بفضله".

وهو يكتب في يومياته كثيراً عن الكتب العربية التي حملها معه من مصر، ولو رجعنا إلى ثبت المصادر العربية الذي جمعه من صفحات كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي" الصادر عن المركز القومي للترجمة عام ٢٠١٣، لوجدنا أنه رجع في هذا الكتاب وحده إلى ٢٠٧ كتب عربية و١٢٥ كتاباً بلغات أوروبية، ووجدنا أن معظم هذه الكتب ورد ذكره باليوميات، وأنه يصرح بقراءته هذه الكتب، ويستشهد بها، ويرجع في دراساته إليها، وأحياناً يصرح بأنه قرأ بعضها مرتين. وهذا يدل على دقته، وعدم التلخيص في كتاباته.

ومن هذه القائمة أيضاً، ومن إشارات لما قرأه في يومياته، نجد أنه كان يقرأ بعض هذه الكتب مخطوطاً، لأنه لم يكن قد حقق بعد، ومن هذه المخطوطات ما هو ما زال مخطوطاً ولم يُحقق، ولا نعرف عنه شيئاً بالشرق العربي.

(١) اليوميات عن عام ١٨٧٥، ص ٧٤، ٧٥.

وقد عُني عناية خاصة بكتب الحديث النبوي الشريف، لأنها كانت معروفة في زمانه، مثل:

- صحيح البخاري بشرح القسطلاني.

- كتب السيوطي، وله بها عناية خاصة، ومنها: المزهري، والإتقان في علوم القرآن، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة.
أما عن كتبه ومؤلفاته الإسلامية فقد تحدث عنها بمقدمة طبعة كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي"^(١) وهي:

١- الظاهرية: تعاليمهم وتاريخهم.

- *Die Zahiriten, Ihr Lehrsystem und ihre Geschichte, Leipzig 1884.*

٢- دراسات إسلامية (جزآن).

- *Muhammedanische Studien 2 vols., Halle 1889 – 1890.*

٣- تطور الحديث

- *Über die Entwicklung des Hadith 1890.*

٤- دراسات عن تاريخ تعلم اللغة العربية

- *Beiträge zur Geschichte der Sprachgelehrsamkeit, bei den Arabern, 1871.*

٥- دراسات عن فقه اللغة العربية

- *Abhandlungen zur arab. Philologie, I. Leiden 1895.*

٦- تحقيق ديوان الحطيئة بشرح السكري متناً وترجمةً وتعليقاً، ليبزج

١٨٩٣.

(١) طبعة المركز القومي للترجمة، ص ٥٠ - ٥٢.

٧- ترجم كتاب "توجيه النظر إلى علم الأثر" للشيخ طاهر الجزائري
١٨٩٨.

٨- تحقيق كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني، لندن ١٨٩٩

٩- تحقيق جزء كبير من كتاب "المستظهيرية في فضائح الباطنية
وفضائل المستظهيرية" بمقدمة ألمانية، لندن ١٩٠٦.

١٠- مقالات كثيرة عن الإسلام وعن الأدب العربي.

١١- مقدمة لكتاب عن محمد بن تومرت بتكليف من الحكومة الجزائرية.

وقد أوردت السيدة إريكا بير قائمة بالأعمال الإسلامية والسامية التي
أنجزها جولدنسيهر بكتابه^(١)، وتقع قائمة أعمال جولدنسيهر في ٣٨ صفحة
بالجزء الثاني منه (ص ٣٠٧-٣٤٥) موزعة وفقاً لتاريخ نشرها. ثم جمعت بعد
ذلك في أجزاء ستة (الأعمال الكاملة)، وردت في الجزء نفسه من كتاب بير
ص ٣٤٥-٣٥٢، وبلغ عدد هذه المؤلفات ٥٩٢ كتاباً وبحثاً ودراسة في
مختلف اهتماماته العلمية، وقد وردت هذه الأعمال أيضاً لدى هيللر *B. Heller*
في كتابه "بيليوغرافيا لأعمال جولدنسيهر"، باريس ١٩٢٧

Bibliographie des Oeuvres de Ignace Goldziher Paris 1927.

وأضاف إلى هذه القائمة ألكسندر شايبير قائمتين أخريين بالكتابين

التذكاريين؛ الأولي:

I. Goldziher Memorial Volume I. Budapest 1948, pp. 419-429.

(1) Erika Bär: *Bibliographie zur deutschsprachigen Islamwissenschaft und Semitistik von Anfang des 19. Jahrhunderts bis heute Bd. 1-3 Wiesbaden, 1985 - 1994 / Dr. Ludwig Reichert Verlag.*

والثانية في: II. Jerusalem 1958 pp.209- 214

وبهاتين الإضافتين أصبح عدد المؤلفات والدراسات ٧٤١.

ثم اكتشف شايبير بعد ذلك أعمالاً أخرى لم يرد ذكرها بالقوائم السابقة، ومعظمها كتب باللغة المجرية، ووردت في مجلات علمية في السنوات ١٨٧١ ١٩٧٣. وبذلك أصبحت أعمال جولدتسيهر ٨٠٧ مؤلفات ودراسات.

سادساً: من أهم الموضوعات التي وردت باليوميات:

(أ) سبب كتابتها:

لعلنا عندما نقدم ما كتبه جولدتسيهر في يومياته التي أراد أن يقدمها لابنيه وأحفاده، مشروطاً عليهم ألا يقدموها لغيرهم، فإنما نقبم للقارئ العربي ما يساعده على تكوين فكرة حقيقية عنه وعن آرائه، كي يصدر حكماً موضوعياً عنه وعما كتب.

بدأ جولدتسيهر كتابة يومياته عند بلوغه الأربعين من عمره، في ٢٢ من يونيو سنة ١٨٩٠، ولو أمعنا النظر فيما كتب لوجدنا أنه إنما كتبها لنفسه أيضاً كي يخفف عن نفسه آلامها، وليفرج عنها التوتر الذي تعانیه، وبخاصة عندما يسترجع ما لقيه في رحلته إلى سوريا ومصر (دمشق، والقاهرة) بين عامي ١٨٧٣ و ١٨٧٤، فقد كانت بالنسبة له النقطة المضيئة في حياته التي عانى فيها الكثير، كانت أشبه بما يقال عنه *Fairy Tail*، أو قصة من ألف ليلة وليلة: خرج له عفريت من القمقم، ولَبَّى جميع ما طلبه منه من لقاء أصحاب الحظوة بالبلدين، وتعلم اللغة والفقه والتشريع بالأزهر الشريف، وحظي باحترام الناس وحبهم له، وهو لم يبلغ بعد الثالثة والعشرين من عمره.

وفضلاً عن ذلك فثمة نقاط أخرى مضيئة في حياته مثل المؤتمرات الاستشراقية التي يلتقي فيها مع زملائه المستشرقين وضيوف المؤتمر الشرقيين، وما يلقاه فيها غالباً من تقدير وتكريم، وكذلك ما يجعله يفخر بنفسه عندما ينشر كتاباً يرضى عنه زملاؤه وقراؤه.

ويتبين من اليوميات أنه يكثر من استبطان ما يشعر به لما يعتمل في صدره، حتى إنه أحياناً ينتابه أثناء الكتابة غممة عاطفية في عامية ألمانية مغايرة للمستوى اللغوي الذي يكتب به يومياته عادة، بل إنه يستعين أيضاً ببعض الألفاظ اللاتينية واليونانية^(١)، ويكثر من استخدام الألفاظ والمصطلحات العبرية، كأنه يكتبها لنفسه أو لولديه اللذين حرص على تعليمهما العبرية وقراءة النصوص الدينية العبرية. وقد كان هذا - في الواقع - يخالف الأسلوب الذي كان يكتب به يومياته عن رحلته إلى المشرق العربي، أو لعل المترجم رافائيل باتاي *Raphael Patai* الذي نقلها من الألمانية إلى الإنجليزية قد تصرف في الترجمة. واللغة التي كتب بها اليوميات أميل إلى العامية الألمانية في عصره، وكانت تتميز بالتعقل أيضاً، وهي تكشف عن تعصب ديني صريح لليهودية والإسلام ولبيئة مثقفة تعلق بها أثناء رحلته إلى الشرق الأوسط.

وترجع أهمية اليوميات إلى أنها تعرف بجميع علماء الإسلام الشرقيين الذين قابلهم جولدتسيهر في رحلته إلى الشرق الأوسط، واللغويين العرب أيضاً، واستمرت علاقته بهم، بمراسلة بعضهم أو لقاء آخرين عند

(١) فهو ينقل نصاً عن أفلاطون باليونانية، ثم يترجمه إلى الألمانية ص ١٧١، ويكثر من استخدام ألفاظ فرنسية ولاتينية ومجرية، وأحياناً يلبس الألفاظ الفرنسية الثياب الألمانية (أي يصوغها صياغة ألمانية).

حضورهم المؤتمرات التي يعقدها المستشرقون في بلادهم. وكان يحرص على حضور هذه المؤتمرات طمعاً في لقائهم ولقاء المستشرقين الذين يشاركونه فكره أو يعترضون عليه، ليعرف أسباب انتقادهم له.

وحينما ننظر في دراساته التي أصدرها بالعربية نجد أنها تشتمل على تحقيق ثلاثة كتب عربية: ديوان الحطيئة وترجمته والتعليق عليه، تحقيق كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني، وجزء كبير من كتاب المستظهرية في فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية. أما العمل الذي يدل على صلته بأصدقائه العرب ووفائه لهم - بحق - فهو ترجمته لكتاب "توجيه النظر إلى علم الأثر": للشيخ طاهر الجزائري ١٨٩٨، وكان قد تعرف عليه أثناء زيارته لدمشق وأفاد منه.

(ب) دراسة اليهودية والإسلام:

بدأ جولتسيهر حياته بدراسته للديانة اليهودية، وكانت الممارسات الدينية اليهودية بوطنه المجر آنذاك، وكأنها جرح مفتوح ظل يعاني ألمه طوال حياته، ومن ثم أصبح انشغاله بالدراسات الإسلامية يليه عن ذلك، ويجعل حياته محتملة.

إذ إنه عند زيارته لدمشق بدأ يقارن ما يراه من سلوك المسلمين ومزاويلتهم لشعائر دينهم ببساطة فطرية، بما كان يعيشه في وطنه، وكانت علاقته بكل من اقترب منه علاقة إخاء ومحبة دون أن يكون لدينه أي أثر. أقبل على تعلم العربية، ودرس العلوم الإسلامية باللغة العربية، وحفظ الأشعار العربية والأدب، كما تحدث بالتركية والفارسية أيضاً. ولم ينس في ذلك كله أن يتعلم العامية في دمشق والقاهرة.

كان يعقد صداقات مع العلماء والأشراف بالمدينة في دمشق. اتصل بالأمير عبد القادر القائد السابق للمقاومة الجزائرية الذي حضر للإقامة بدمشق عام ١٨٥٥، وبابنه محمد بن عبد القادر، وشيخه عبد الغني طالب الميداني، وطاهر الجزائري، ومصطفى السباعي وغيرهم من أصحاب المناصب والنفوذ. وفي مصر اتصل ببعض أصحاب المناصب مثل مصطفى رياض باشا، وعلى مبارك باشا، وأرتين باشا، ومنصور فهمي باشا، وأمين سامي باشا، واتصل بشيوخ الأزهر مثل: المفتي محمد العباسي المهدي، والشيخ الأشموني، والشيخ محفوظ، فضلا عن رجال من المثقفين المصريين وغيرهم مثل: السيد صالح مجدي، وجمال الدين الأفغاني، وأحمد زكي، كما اتصل أيضا بالأب مكاريوس. وقد عرفتُ بمعظمهم بملحق الأعلام.

وقد أفاد جولدتسيهر من هذه الفرصة بالأزهر، ومن ساعات القراءة التي قضها بالكتبخانة المصرية، وعرف أفكار الصفوة من المثقفين في جلسات مجدي صالح. ولم يفته أيضا أن يتعاش مع الحياة العامة بطرقات المدينة، وتعلم اللهجة الشعبية المصرية والأغاني الشعبية وحضر الأنكار، واستمع إلى السير الشعبية التي تنشد في المقاهي.

وقد زار جولدتسيهر القاهرة مرة أخرى في عام ١٨٩٦ مع مجموعة من الطلاب المجريين، وزار الأزهر ودار العلوم وقابل أمين سامي باشا، ويعقوب أرتين باشا، وزار درب الجماميز، وأبدى بعض النقد لما رآه (ص ١٩٠).

وفضلاً عن ذلك فقد عرض عليه عام ١٨٧٤ أن يخلف لودفيج شترن في رئاسة الكتبخانة المصرية فاعتذر. ثم عرض عليه الأمير أحمد فؤاد -

حين زاره في بودابست - العمل أستاذًا بالجامعة المصرية، لكنه اعتذر أيضًا، وكتب إليه رسالة في ٢٧/١٠/١٩١١ لأنه كان يرفض مغادرة وطنه.

ظل جولدتسيهر طوال حياته مبشرًا بالتمدين الإسلامي، ومعلقًا عليه، وكان على اتصال دائم بكل تطور يحدث في العالم الإسلامي. ويشهد على ذلك الفصل الأخير من المحاضرات الإسلامية *Vorlesungen*، ومن كتاب المذاهب *Richtungen*. ومراعاة لذلك فإن يومياته تبين في اليوم الأول من سبتمبر سنة ١٩١٩ (أي قبل سنتين من وفاته - أنه كان يائسًا مما وصل إليه حال المسلمين بالعالم الإسلامي) كما كان غير راضٍ عن بالتهويد قبل ذلك، وما يمارسه اليهود من طقوس بالمجر. وهذا ما ننبينه أيضًا من رسائله إلى المستشرق صمويل بوزاننسكي *Samuel A. Pozananski* في قارشاو *Warschau* عام ١٩٠١ (وبعضها مكتوب بالعبرية بسبب الرقابة). وظل يرسلها حتى نوفمبر ١٩٢١ (قبل وفاته بعشرة أيام).

وكان جولدتسيهر يبدي عدم رضائه ويأسه من أحوال المسلمين بالعالم الإسلامي؛ إذ إن المسلمين الشبان لم يكن لديهم معلومات عن الإسلام الحقيقي ولا يفهمونه، وأنهم - غالبًا - لا يهتمون بعقيدتهم؛ ولم يدرسوا دينهم بطريقة تاريخية ليرتقوا إلى مستوى أعلى في حياتهم الدينية، مكتفين بتقليد الغرب في كل ما يصدر عنه أو يلاحظونه من تصرف أهله في كل أنواع الحضارة المدنية.

ألا يذكرنا هذا بقول الإمام محمد عبده الذي رأي في فرنسا إسلامًا بلا مسلمين، وفي مصر مسلمين بلا إسلام؟!

ج) نصوص وردت باليوميات عن الإسلام:

ص ٥٩- "وعلى الرغم من أن ديني مغاير للإسلام، فإنهم كانوا يعتبرونني واحدًا منهم، ولم يتعرض لي أحد بسوء، سواء من الشيوخ المتطرفين أو من الطبقات المتواضعة. وقد عشت في هذه الأسابيع أنعم بالروح الإسلامية التي آمنت بها كلية، فأصبحت مُسلمًا بكل جوارحي، ومؤمنًا بأن الإسلام هو الدين الأوحَد الذي يمكن بتكوينه وصياغته المذهبية الرسمية أن يرضى المفكرين والفلاسفة. وكان هدفي الأعظم أن أرتفع باليهودية إلى هذه المرتبة المنطقية. فالإسلام كما علمتني تجاربي هو الدين الوحيد الذي ينكر بتعاليمه الأرثوذكسية (القومية)، وليست الفكرية الخرافات والإلحاد".

ص ٦٠- "وفي قاعة رئيس الأساقفة ازداد حبي للإسلام، أكثر من حبي له عندما أكون بين المسلمين".

ص ٦٤- "وتبينت أن الذكريات الإسلامية الجميلة التي عشتها ونعمتُ بها تفقدُها روعي في حياة الدير هنا".

ص ٧١- "شغل الإسلام تفكيري كلية، وكانت مشاركتي الوجدانية تجذبني موضوعيًا إليه فأطلقت على فكرتي عن التوحيد "الإسلام". فالتوحيد عندي هو الإسلام، ولم أكن كاذبًا حين قلت إنني أعتقد في نبوة محمد، ويشهد على ذلك نسخة القرآن التي أحتفظ بها، إذ تبين مدى اهتمامي بالإسلام".

ص ٧٢- "ولكن كانت لدي رغبة ملحة (عارمة) في أن أشارك الشيوخ في صلاة الجمعة، وإن كنت لم أدع لذلك لأنني غير مسلم، مع أنني كنت

أرغب جاهداً في الانحناء مع آلاف المؤمنين والركوع والسجود أمام الله، وأنادي "الله أكبر"، بل وأعفر وجهي في التراب مع الآخرين أمام الواحد القهار. ومن ثم صممت على أن أؤدي صلاة الجمعة مع المسلمين".

"... عندما كنت في القرافة لزيارة قبر الشافعي، أجريت تجربة للتعبير عن مدى إيماني، فسلكت الطريق المستقيم إلى المسجد، راكباً الحمار، وكنت أرثي العمامة والقفطان - لسماع خطبة الجمعة والصلاة، وكان أصدقائي ممثلين ذعراً، خوفاً عليّ، ولكن المغامرة الجريئة نجحت، وتمكنت من وضع جبیني على الأرض وسط آلاف المصلين، ولم أكن في حياتي مخلصاً في صلاتي مثلما كنت في يوم الجمعة هذا الرائع".

ص ٩٢-٩٤ - مواصلة دراسة تاريخ الأديان والدراسات الإسلامية.

ص ١٣٥ - يقول عن العلماء اليهود "إنني أشعر بالاشمئزاز والنفور من مجتمعكم، حتى إنني أفضل مؤانسة أتباع محمد عنكم، وذلك تضحية كبرى من جانبي لا يدفع ثمنها أي فرد، عن أن أحيا معكم ولكم".

ص ١٨٥ - عن أحد شيوخ جماعة الإخاء البيض بأفريقيا كان في طريقه إلى مارسيليا وتحدث معه باللهجة المغربية "اعتقد الشيخ أنني محمدي (مسلم) لأنني اتخذتُ موقف الدفاع عن الإسلام في حديثي معه، كما دافعتُ عن القرآن فيما نسب إليه من نصوص مغلوطة، واستشهدت بالصحيح منها، وربما كان حكمه هذا لأنني أتجاوز معه بالعربية".

ص ١٩٠ - "في الصيف الأخير اكتشفتُ أحد اليهود المعتنقين للإسلام واسمه سعيد بن حسن الإسكندر، وقد قام بتأليف كتاب دفاعاً عن الإسلام، وعن هذا الموضوع كتبتُ مقالا بديعاً لمجلة *Revue des Ét. Juives*، وتطرقت فيه مرة أخرى إلى التداخل المذهبي والعلاقات في الإسلام".

ص ١٩١- يتحدث عن إجرائه امتحاناً لأحد المسلمين بالبوسنة، يرغب في تعيينه بالمدرسة العليا بسرانيفو أستاذاً لفقه اللغة العربية القديمة، بتكليف من وزير التعليم المجري.

ص ٢٠٦- قيامه بتدريس الإسلام والحديث بخاصة لطلابين أرسلوا إليه: أحدهما أمريكي والآخر روسي، وكان يقوم بالتدريس لهما ثلاث مرات أسبوعياً، ويذكر أنه درس لهما صحيح البخاري مع شرح القسطلاني "إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري". ويقول: "وتمركزت مناقشتي الجدلية معهما حول أسلوب معالجة المسائل الدقيقة، في هذا التوقيت لا يوجد في أوروبا أستاذ لديه طالب واحد أكثر تحرراً للحق في العلم".

ص ٢٠٨- وفضلاً عن ذلك استمر في التراسل مع الشيخ محمد عبده بعد أن رآه في جلسات بفرنسا مع جمال الدين الأفغاني في دار المستشرق رينان *Renan* وكانا يتجادلان معه عن الإسلام. وقد واطب على قراءة مجلة المنار، وكان يستند في كتاباته إلى ما يقرأه بها، وبخاصة ما يكتبه الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا.

د) ما ورد باليوميات عن اليهودية والإسلام ومعتقديهما

يذكر جولدتسيهر في صفحة ١٥ الشعارين اللذين ظلا يتحكما في حياته منذ صباه: الأول: قول نبوي مأثور انطبع في نفسه يوم تعميده وهو: "أيها الإنسان بلغك ما هو الحق، وما يطلبه يهوى *Jahwa* منك، وهو ليس إلا أن تتبع العدل، وأن ترحم غيرك، وأن تخشع أمام ربك" (سفر ميخا/ الإصحاح السادس/ آية ٨).

الثاني: آية من آيات القرآن: "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"
(سورة يوسف آية ١٨).

وفي صفحة ١٨ يقول: "علما بأنني طُبعت منذ نعومة أظفاري أن أتسامح مع من يدينون بدين آخر، وأن أحترم مشاعرهم الدينية".

اهتم جولدتسيهر بعقد مقارنات بين ديانات التوحيد الثلاثة، إذ إنه كان قبل رحلته إلى المشرق العربي يعيش في زمن كانت الجماعة اليهودية التي ينتمي إليها متساوية في الحقوق مع السكان المسيحيين، بعد موافقة البرلمان المجري الملكي في ١٨٦٧/١١/٧ على القانون. عقب ما يسمى بالتفاهم التي يمنح المجريين استقلالاً داخلياً تاماً بالإمبراطورية النمساوية المجرية. ولكن اليهود المجريين كانوا مقسمين بين أرثوذكس وحراس العقيدة الذين يتبعون الاتجاه الذي يحدده لهم الحبر حاتم صوفر *Hatim Sófér* (كاتب موسوي ١٧٦٢ - ١٨٣٩) وزميله يشيفا *Yeshiva* في براتسلافا وسلوفاكيا في جانب، وعصبته نيولوج *Neolog* في جانب آخر، وبينهما فريق ثالث يدعى *Status quo congregationists* (جماعة الإصلاح).

وقد حاول أن يتجنب المشاجرات البسيطة بين الفريقين. كان من السهل على جولدتسيهر أن ينتمي لهذه الجماعة، إذ إنه شاهد - وهو طفل - كيف أن أحد الأبحار الذي ينتمي إلى فريق الإصلاح أجبر على ترك مكتبه في شيكسفيرفات/ شتولفايزنبورج *Székesfehérvár/Stuhlweissenburg* حيث ولد جولدتسيهر^(١).

(1) van Ess; Goldziher as a Contemporary of Islamic Reform, p. 42.

كانت اليهودية بالنسبة لجولدتسيهر دينَ دراسة، ثم اكتشف أن الإسلام يُعدُّ الدراسةَ واجبًا دينيًا أيضًا. وهما في هذا يختلفان عن المسيحية، وهو يعني بالمسيحية - هنا - الوسط الكاثوليكي بالمجر، ومن ثم خرج بفكرة عامة، وأقبل بتقوى حقيقية على دراسة ما وجده بين أصدقائه المصريين، محاولاً أن يبرهن على مقارنة فكرة التوحيد في الديانتين، والطقوس الدينية بينهما أثناء وجوده في مصر، حيث تعرف الممارسات الدينية عند المسلمين، وكانت لديه فرصة لمعرفة الإسلام في حقيقته الإنسانية، عندما كان في سنواته التي يكون التأثير فيها أقوى منه في أي سن أخرى، فضلاً عن أن اتصاله بالعالم الإسلامي كان أمراً نادراً في زمانه على المستشرقين؛ إذ لم يكن متاحاً للمستشرقين الألمان في القرن التاسع عشر أن يقوموا بهذه الرحلة إلى الشرق العربي، أو أنهم لم يهتموا بذلك، لأن الدولة قبل ١٨٧١ كانت فقيرة، وكانت مقسمة إلى أجزاء صغيرة، فلم تتح الفرصة إلا لعدد قليل منهم، أو لعله كان الاستثناء، الحضور إلى المشرق العربي، ومنهم المستشرق زاخاو (١٨٤٥ - ١٩٣٠) *Eduard Sachau* الذي كان يقوم بالتدريس بجامعة برلين وألفريد فون كريمير (١٨٢٨ - ١٨٨٩) *Alfred von Krämer* الذي عمل بقنصلية النمسا بالإسكندرية ثلاثين عاماً.

أما جولدتسيهر فقد أُنِحت له الفرصة بسبب احتياج المجر (عام ١٨٦٧) لتربية جيل من العبقرات الشابة للتدريس بالجامعة في بودابست، فأرسل إلى برلين وليبيزج ليدرس المناهج الأوربية *Methology*، ثم حصل على منحة لتعلم اللهجات العربية المحلية في سوريا ومصر، ولمعرفة اللغة العربية المستخدمة في الشؤون الإدارية بالقنصليات الأوربية. وإن كان لم يكمل

الواجب الذي أرسل من أجله؛ إذ إنه عكف على دراسة العربية الفصحى ودراسة المخطوطات، ولم يزر القنصليات إلا قليلاً^(١).

درس اللغة الفصحى وتعرف أساليب الكتابة والإنشاء العربية، ودرس علوم القرآن الكريم وتفسيره، وعلوم الحديث، والشعر، والقواعد النحوية. وأعجبته الإقامة بين المسلمين، وبخاصة أنه قدم من عالم مليء باليهود المجريين، الذين كان لا يحبهم كثيرًا، ولا يعجب بطريقة ممارستهم للشئون الدينية، وكانوا في ممارستهم هذه بعيدين كل البعد عن ممارسات اليهود الأوائل الذين درس في صغره كل شيء عنهم، وفضلاً عن ذلك كانوا يفضلون الحديث بلهجة الـ *die Jüdische Sprache* إذا أرادوا أو فكروا في الحديث باللغة العبرية، ويرفضون أيضاً أي أفكار إصلاحية دينية جديدة، ولهذا كانت مقارنتهم بالمسلمين تسبب له صدمة عنيفة، لأن المسلمين يعيشون في عالم أكثر تقدماً دينياً، وينعمون بعقول متفتحة متحررة بثقافتهم الخاصة، ويتطلعون إلى ما يتصلون به من عالم يعتبرونه أكثر تقدماً منهم، دون سلطان ديني يتحكم فيهم.

ورغم ذلك فإن دمشق بالنسبة له هي الأفضل من القاهرة؛ إذ اختلط بالرجال الذين كانوا - عادة - من التجار، أو رجالاً ينتسبون إلى الطبقة المتوسطة، وكانوا منشغلين بحياتهم البسيطة، على حين أن الأمر - بالنسبة له - لم يكن كذلك بمصر؛ إذ وجد أن الطبقة الحاكمة كانت تميل إلى الحياة الأوروبية، وكان الأوروبيون يعيشون بها عيشة متميزة. ويعاملهم المصريون معاملة خاصة، إذ إنه كان مقتنعاً بأن العالم العربي عالم متجانس، وأنه يشكل نفسه بطريقة صحيحة.

(١) يُرجع إلى اليوميات، ص ١٢٥.

كان يبحث عن ارتباط الأدب العربي والدين الإسلامي بالحضارة العربية أو بحياة العرب، ولم ير من الثقافة المنتشرة بين السوريين المتقنين إلا ما يمكن أن يسمى بالماسونية الحرة، ويشير إليها باليوميات دون أن يعلق عليها. وكان الاتجاه الديني بينهم نوعاً من التصوف الروحي، ويُرجع ذلك - فيما يرى - إلى نفوذ الأمير عبد القادر (٥١٣٠٠ هـ / ١١٨٨٣ م) القائد السابق للمقاومة الجزائرية، الذي حضر للإقامة في دمشق منذ ١٨٥٥ - وكان من محبي ابن عربي - طبع كتابه "الفتوحات المكية". وعندما توفي دفن بجواره في المسجد الذي دفن فيه (ابن عربي) بضاحية الصالحية بدمشق وكتب ابنه محمد بن عبد القادر بن محيي الدين (١٢٥٦/١٨٤٠ - ١٣٣١/١٩١٣) سيرة والده بعنوان "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر". وقد عرفه جولدتسيهر، وصاحبه، كما عرف مصطفى السباعي وكان عربياً جليلاً، عقد جولدتسيهر معه صداقة حميمة. وكان أكثر أصدقائه من رجال الدين تبحراً في العلم، وكان يتولى الخطبة في مساجد دمشق، وكان ماسونياً حراً، ومحباً للتصوف، يمتلك مجموعة قيمة من المخطوطات.

حاول أن يقنع جولدتسيهر باعتناق الأفكار الماسونية، فلم يستجب له إلا بصلاة التراويح التي شارك فيها الكثيرون من المنصوفة. ويشاركه في الاسم رجل آخر درس بالأزهر الشريف^(١)، وعارض أستاذه دكتور علي حسن عبد القادر في رأيه عن كتابات جولدتسيهر وعن رأيه في الزهري

(١) أي صاحب كتاب الاستشراق والمستشرقين، ولعله من أسرة مصطفى السباعي الذي كان صديقاً لجولدتسيهر في الشام. يرجى الرجوع إلى الصفحات الأولى من هذه المقتمة.

(من أوائل رواة الحديث) في عام ١٩٣٩، وكتب عنه كتابه "الاستشراق والمستشرقون / ما لهم وما عليهم" الذي نشره ابنه بعد وفاته عام ١٩٩٩^(١).

وتعرف أيضًا على الشيخ عبد الغني بن طالب الميدان (١٢٢٢ - ١٢٩٨ / ١٨٠٨ - ١٨٨١) الذي حضر مع الأمير عبد القادر من الجزائر، وكان قاضيًا حنفياً بدمشق.

ولم تعجب الصوفية - وفقاً لأسلوب ابن عربي - جولدنسيهر تماماً؛ إذ كان يميل إلى المعتزلة، لهذا شارك حركة الاعتزال الجديدة التي انتشرت بين المفكرين المسلمين في القرن العشرين بعد ذلك. وكان يرى أن خير من يمثلها في هذا الوقت مدرستان:

الأولى: مدرسة نشأت في الهند بقيادة سيد أمير علي، وأحمد خان بهادر.

والثانية: نشأت في مصر بقيادة الشيخ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده.

محمد عوني عبد الرؤوف

(١) يُرجع إلى أعلام الشرقيين بنهاية هذا الكتاب.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- ١- إيجناس جولدتسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، تقديم ودراسة د. محمد عوني عبد الرعوف ط. المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣.
- ٢- د. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.
- ٣- د. محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، دار القدس، ١٩٩٩.
- ٤- د. محمد حسن جبل: الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، ٢٠٠٢.
- ٥- د. محمد عوني عبد الرعوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، مكتبة الآداب، القاهرة، جزءان، ٢٠٠٦، ٢٠١١.
- ٦- د. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٩٩.
- ٧- نجيب العقيلي: المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٥.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1- Bär, Erika, *Bibliographie zur deutschsprachigen Islamwissenschaft und Semitistik von Anfang des 19. Jahrhunderts bis heute. Bd.2*, Wiesbaden, Dr. Ludwig Reichert Verlag, 1985 – 1994.
- 2- Becher, C.H., *Der Islam*, Bd. 12/1922.
- 3- Chelonio Dov Goitein, *Review Article, Goldziher seen through his letters Goldziher Memorial Volume*, Budapest 1948, I, 22.
- 4- Fück, J., *Die arabischen Studien in Europa*, Leipzig, 1955.
- 5- Patai, Raphael, *Ignaz Goldziher and his Oriental Diary* – Wayne State University, Detroit 1987.
- 6- Scheiber, Alexander, *Ignaz Goldziher Tagebuch*, Brill – Leiden 1977, 1978.
- 7- van Ess, John; *Goldziher as a Contemporary of Islamic Reform, Goldziher Memorial Conference*, Edited by: Éva Apor and Istvan Ormos, Budapest 2005.

الجزء الأول

الترجمة

مقدمة "يوميات جولدتسيهر"^(١)

٩

تُوفي عالم الرياضيات، الأستاذ كارل جولدتسيهر *Prof. Karl Goldziher* وهو الابن الأصغر لإيجناس جولدتسيهر *Ignaz Goldziher* - في ٦ من نوفمبر عام ١٩٥٥، وقد أُلقيت خطبة القبر عند دفنه.

وفي وصيته ترك لي يوميات والده، التي لم يكن يعلم عنها أحد شيئاً إلا والده ووالدته. وكل ما نشر قبل ذلك من اليوميات - مثل بعض البيانات التي نقلها "ساندور بيشلر *Sándor Büchler*" في كتابه عن عائلة جولدتسيهر^(٢) أو في حديث "يوسف فالدابفل *Jozef Waldapfel*"^(٣) عن الجزء الخاص بشخصية "موريتس كرمان *Moritz Kármán*" - كان منقولاً عن النسخة التي كانت في حوزة كارل جولدتسيهر.

ولم يسلم كارل جولدتسيهر - بناء على تحذير والده - هذه اليوميات لأحد. وقد صانها بعناية شديدة، فكانت هي اليوميات التي بقيت سالمة حتى بعد عام ١٩٤٤، أما النسخ الخطيئة الأخرى بخط والده ومعها التكملة التي أعدها للنشر بعد ذلك، فقد ضاعت.

ورغم أن جولدتسيهر بدأ في كتابة يومياته في ٢٢ من يونيو سنة ١٨٩٠، وهو اليوم الذي يوافق عيد ميلاده الأربعين، فإنه لخص إذ ذاك كل ما يتعلق

(١) كتب هذه المقدمة أليكسندر شايبير *Alexander Scheiber* ناشر اليوميات.

(2) Büchler, *Múlt és Jövő (Vergangenheit und Zukunft)*. XXVIII. 1938. Pp. 18-20, 51-52, 82-83, 113-114, 152-153, 184-185.

(3) J. Waldapfel, *Semitic studies in Memory of Immanuel Löw*. Budapest 1947. Pp. 175-176.

بحياته السابقة حتى ذلك الحين، مستخدمًا فيها ما كتبه في يومياته عن رحلته إلى الشرق أثناء شبابه، وإنني أمتلك أصول هذه اليوميات أيضًا.

ولم تتوّن سيرته الذاتية حتى الآن؛ إذ إن المصدر الرئيس لهذه السيرة لا بد أن يكون هو هذه اليوميات؛ وهي مفيدة للغاية لمعرفة الحياة العامة والخاصة لرجل من أعظم المفكرين في مستهل القرن التاسع عشر، لقد أبى جولدشيهير أن يبوح بما لاقاه في حياته من محن ونكبات، ولكنه عندما جلس في سن الخامسة والخمسين؛ محققًا بذلك أملاً قديمًا ووجد أن حياته تتحوّ منحىً يرضيه، لم يجد بأسًا في أن يبوح بأسراره فيما يكتبه من يوميات، ومن ثمّ نتبين من خلالها سمو مشاعره، كما يتضح فيها أيضًا أحكامه المبررة - والخبيثة غالبًا - على أشخاص لهم أهميتهم في حياته، مثل ما كتبه عن "باخر" *W. Bacher* و"كاوفمان" *D. Kaufmann* و"كون" *S. Kohn* و"ليف" *I. Löw* و"مونكاسي" *B. Munkácsi*.

ومما يستحق الاهتمام، صداقته في شبابه مع باخر *Bacher* التي تدلّ عليها الرسائل الموجهة إليه، والموجودة حاليًا بأرشيف مدرسة الأحرار المحلية *Landesrabbinerschule*.

وهو يروي عن انقطاع هذه الصداقة في يومياته. وقد كانت آراؤه التي أطلقها بعد ذلك في باخر *Bacher* غير موضوعية؛ إذ لم يكن باخر أكبر مرجع في الدراسات اليهودية في عصره فقط، بل كان رجلًا لا تتاله الشبهات. / ومن المؤسف أن يعيش هذان المستشرقان الكبيران في مدينة واحدة دون أن يكون بينهما تواصل شخصي.

١٠

كانت له ملحوظات ينتقد فيها مدرسة أحرار بودابست المحلية، وهي مؤسسة تمنى أن يعين بها أستاذًا مرتين: المرة الأولى عند افتتاحها عام

١٨٧٧، والثانية بعد وفاة كاوفمان *Kaufmann* عام ١٨٩٩، ولكن رُفض تعيينه في المرتين، وكان يشكو من أن نجاحه الكبير، واعتراف المحافل العلمية به خارج وطنه لا يجد صدًى بالمعهد.

كان ما كتبه عن زوجة ابنه "ماريا فرويندبرج" ^(١) *Maria Freudenberg* أروع صفحات يومياته. كانت رائعة الجمال، ذات شخصية مميزة، دراسة موهوبة للأثار المصرية. وكان جولدتسيهر في الثالثة والستين من عمره عندما تعرف عليها عام ١٩١٣ فأصبحت ملهمته، وواحدة من معبودات الفن عنده، فتصابى وازداد حبه للحياة. وبهذا اتضح مؤخرًا - سبب رفضه للدعوات المشرفة التي كانت توجه إليه من الجامعات بالخارج وتفضيله البقاء في بلاده. ولما أصيبت في الرابع من ديسمبر ١٩١٨ - وكان عمرها آنذاك ثمانية وعشرين عامًا - بالحمى الإسبانية *Spanische Seuche* كتب بيومياته إنه فقد أي رغبة في الحياة. ونسي أنه يكتب باللغة الألمانية، فكتب في رأسه هذه السطور باللغة المجرية:

"سقط التاج من فوق رأسي؛ إذ سقطت ماريا ضحية الحمى الإسبانية. آه يا عزيزي كارل!"

وقد أهدى لذكرها كتابه الأخير ^(٢)، فكتب:

"إلى أثنى ذكرياتي، إلى الحبيبة التي اختطفنا، زوجة ابني: ماريا جولدتسيهر (ميلادًا فرويندبرج *Freudenberg*)، التي توفيت في ديسمبر ١٩١٨، أهدي الكتاب حسرة عليها".

(١) جزء من مخطفات ماريا فرويندبرج، نشرها هيلر (*B. Heller*) عام ١٩٢٨ في كتاب (حكايات

مصرية قديمة): *Ö-egyiptomi mesék (Altägyptische Märchen)*, Budapest 1928.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي:

Die Richtungen der islamischen Koranauslegung, Leiden 1920 .

ولم يمس دفتر يومياته بعد ذلك إلا قليلاً؛ إذ إنَّ آخر ما كتبه باليوميات كان في أول سبتمبر ١٩١٩.

ونلمس في يومياته تعاليه ووثوقه من نفسه في إجابته عن سقطات الجيولوجي "لوسيسوس *Lajos Lóczy*" على معاداة السامية في جلسة الأكاديمية العلمية المجرية يوم ١٨ من أغسطس. وبعد ذلك بقليل قدم استقالته من منصبه باعتباره رئيس النخبة الأولى.

وتعد هذه اليوميات ذات أهمية علمية عظيمة من وجهة تاريخ العلم؛ إذ نتعرف من خلالها على جميع علماء الإسلام المشهورين في أيامه. فهو يحكى عن علاقته بهم، وعن رحلاته، وعن جمعه لمصادر علمه، وعن إعداده لأبحاثه وأعماله، وعن الصدى الذي أحدثته. / وتقدم اليوميات أيضاً مادة غنية عن السياسة العلمية المجرية، وعن حياة اليهود المجرين.

فهذه اليوميات تعد مرجعاً تاريخياً. وقد احتفظنا في هذه الطبعة بقواعد الإملاء التي كتبت بها في النص الألماني الأصلي، كما احتفظنا بطريقة كتابته الصوتية للكلمات العربية، وأسماء الأعلام.

وإنني لأعبر عن جزيل شكري للأستاذ فودور *Dr. A. Fodor* المستعرب المتميز على إعداد الفهارس.

أليكسندر شايبير

يوميات جولدتسيهر

١٥

- بودابست في ٢٢ من يونيو ١٨٩٠ يوم عيد ميلادي الأربعين:

أبدأ اليوم كتابة خلاصة لسيرة حياتي وفقاً لما دونته من كتابات قديمة، ولما أتذكره. وقد كتبت هذا لزوجتي وأبنائي، وكل أصدقائي المقربين، على أن تبقى هذه الروايات بعيدة عن الآخرين ما دمت حياً. وإذا ما عرفها أحد - وسيكون هذا مصادفة غير متوقعة - فإنني ألتمس منه كلمة شرف ألا يذيع ما في الأوراق التالية، وأن يحتفظ بسرية وجودها.

لقد كانت حياتي منذ صباي يتحكم فيها شعاران:

الأول: قول نبوي مأثور انطبع في نفسي يوم تعميدي:

"أيها الإنسان بَلِّغْ ما هو الحق، وما يطلبه يهوى منك، وهو ليس إلا أن تتبع العدل، وأن ترحم غيرك، وأن تخشع أمام ربك" (١).

الثاني: آية من آيات القرآن [الكريم]:

قَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (٢).

(١) سفر ميخا، الإصحاح السادس، آية ٨ "قد أخبرتك أيها الإنسان ما هو صالح، وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق، وتُحِبَّ الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك".

(٢) سورة يوسف: آية ١٨.

الأعوام ١٨٥٠-١٨٦٦:

يرجع تاريخ عائلتنا - فيما تسجله شجرة العائلة - إلى بدايات القرن السابع عشر. كانت تسكن مدينة هامبورج التي ما زال يوجد بها حتى اليوم أسرة غنية ثرية عظيمة تحمل الاسم نفسه [أي لقب جولدنسيهر]، وهي ما زالت تسكن أقدم بيت سكنه أجدادي. وقد تفرع منها أسرة اتخذت المجر وطناً، تحمل لقب "هامبورجر"^(١) *Hamburger* وذلك لهجرتها من هامبورج؛ وهي مذكورة بسجل الجالية اليهودية المجرية هناك، الذي ورد به اسم موزس أبراهام جولدنسيهر *Moses Abraham Goldziher* وجونشك جولدنسيهر *Gottschalk Goldziher* بالقرن السابع عشر، بوثائق جمّة ممهورة بخاتم "يُعتمد" ويوجد بينها وثيقة لجدي الأول الذي ارتحل إلى كيتزي *Kittsee* بغايزنبورج لزواجه، كتب عنه الحبر في كيتزي عام ١٧٦٢/ بوثيقة شابر ١٦ *Chaber-Dokumente* "الزوج المسمّى يوم- توب *Jom-tob* (أي لييمان *Lippmann*) ابن موزس هامبورج *Moses-Sohn Hamburg*، وكان أول اسم ظهر من أسماء أسرتي. وقد ذكر اسم ابنه أيضاً وهو اسم جدي فيتوس *Vitus* (فيبوس شيراجا *Phoebus Scheraga*) وكان يحمل اسم جولدنسيهر أيضاً. ودعاه الحبر هيرش برودا *Hirsch Broda* عام ١٨١٧ باسم شيراجا يوم- توب - زونهاامبورج *Scheraga Jom-tob-Schamburg*، وقد هاجر بعد زواج والدي عام ١٨٤٢ إلى شتولفايزنبورج *Stuhlweissenburg* حيث توفي عام ١٨٤٤. ووفقاً لما وصفه لي رجال كبار السن من الذين عرفوا جدي في عنفوان شبابه، أنه كان رجلاً صالحاً فاضلاً، وكان رجلاً ذا خلق قويم. وقد

(١) هاجر موزس هامبورجر عام ١٧٣٥م إلى كيتزي، وابنه لييمان جوم توب.

اطلعت على ثراء معلوماته عن أدب الديانة اليهودية في كتاباته في بعض الصحف التي قرأتها. وقد أصبحت الكتب التي كانت على الرفوف، وكانت تعلق سرير جدي - الذي كان تاجرًا يهوديًا بسيطًا - أساسًا لمكتبتي اليهودية؛ وما زال والدي يتذكرانه، ويترحمان عليه، ويشيان عليه ثناءً عظيمًا.

وقد ظلت والدتي طوال حياتها تذكر حماها الطيب المخلص، وخلقه القويم، وحمايته ورعايته لها في الغربة يومًا بعد يوم. أما بالنسبة لأبي فقد كانت ذكرى والديه جزءًا من عبادته اليهودية الحقّة.

وفي أكتوبر ١٨٦٩ عندما وصلتُ في رحلتي العلمية الأولى إلى برلين، وفتحت حقيبة كتبي، وجدتُ بها ورقة مكتوبة باللغة العبرية يتمنى فيها والدي أن أحفظ ذكرى والديه، فأحبيها بأن أتعلم من سلامة نواياهما، وأن أصلي من أجلهما ما دمت حيًا. فكانت رغبة صالحة، ما زلتُ أحرصُ على تنفيذها حتى اليوم، وسأحرص على ذلك طوال حياتي. وكان لي أخٌ وُلد سنة وفاة جدي، وقبل ميلادي بسنوات أربع، سمي باسم جدي حفاظًا على هذا الاسم. أما أنا فقد أطلق عليَّ اسم جدي لوالدتي إسحق برجر *Isak Berger*، وكان يعيش في راجن دورف *Raggendorf*، ويحرص - على الرغم من اشتغاله بالتجارة - على مواصلة الدراسات اليهودية في نهاره وليله. ومثل هذا كان يفعله جدي لوالدي الذي كان على علاقة صداقة بهذا العالم الذي اعتلى كرسي حبر مدينة برسبورجر *Pressburger*، وفيزل بورجر *Wieselburger* ويزين لجنتها. وإنني أتأمل أسماء الذين أهملوا الترحم عليه واهتموا بكل أمور الحياة، وإن كانوا قد ورثوا عنه حبه لدراسة القانون اليهودي. ولذلك لم أحرم من ميراث مزايه العظيمة، وحظه الرائع الذي اشتهر في الجاليات السبع - ولها وعرضها - والذي ما زلتُ أحتفظ به ضمن التذكارات التي أحتفظ بها من أجدادي/.

وقد مرض جدي مرضاً شديداً استوجب نقله إلى مسكن أخيه في مدينة Teteny حتى توفي ودُفن هناك.

وإنني وإن كنت أدعى "هامبورجر" من جانب آبائي، فإنني أرتفع إلى أعلى قمة شجرة أسرة ميرين *Mähren* من جانب أجداد أُمي. وكانت جدة أُمي من مدينة تريش *Triesch* حيث كان والدها بيزاليل فاين ماير *Bezalel Weinmayer* يشغل منصباً رفيعاً في الحكومة التي تتمتع بالحكم الذاتي، وتتولى شئون يهود مدينة ميرين، وكان يفتخر بصداقة التحاخام المحلي للمدينة موردهاي بينت *Mordechai Benet*، الذي رحلت ابنته إلى شتولفايزنبورج *Stuhlweissenburg* عندما تزوجت أول مستوطن يهودي بها، وهو حايم فايزنبورج *Chajim Weissenburg*، وبقيت صديقةً لجدي التي كانت تسكن بالمنزل نفسه. وقد لعبت هذه السيدة الزكية دوراً مهماً في تربيتي، وكانت آنذاك امرأة عجوزاً، واعتادت أن تقص عليّ بعض التفاصيل المهمة عن يهود مدينة ميرين، بدءاً من أول القرن، وتتعش خيالي بما نقصه عن الحرب الفرنسية التي تمتد أحداثها الصغيرة حتى تصل إلى مكتب بريد مدينة راجن دورف حيث كانت تسكن قبل الزواج، وكيف أنها رأت نابليون الأول بمكتب البريد بالمدينة الصغيرة يستبدل جواده. وكانت تقص عليّ الكثير عن التحالف الثلاثي.

كنت أفتقد في صباي الأمور السعيدة التي يمكن أن أحتفظ بذكرياتها، وكل ما أتذكره عن طفولتي يفعم نفسي بمضامين رهيبة ما زالت حتى اليوم تؤثر على رغباتي

وأفعالي وتتحكم في نواياي وخلقِي.

رباني والداي على التمسك بالعدالة والرحمة، فأبي بأخلاقه الفاضلة، وإرادته الصلبة وتزمته وخلقه الجاد، وأمي طيبة رؤوم صبورة متسامحة ذات خلق إنساني رفيع. وترجع بي ذكرياتي معهما إلى الرابعة من عمري، وما زالت صورة والدي حية في خيالي حين كان يتريّض على الممر، ويعظ الطفل الصغير الذي لم يبلغ بعد مرحلة الوأوة والتأتأة، ويحضنه على كراهية الرياء والنفاق. وكان هذا ما يحتمه عليه حكمه الجاد الزاهد في معاملته الخاصة مع من يتعامل معهم من البشر، وأفكاره عن واجباته تجاه الرب. وهي التي تجعله يتحدث عن بؤس المساكين، وتجعل الدموع تتساقط من عينيه عن اقتناع بما يؤديه خدمة للبشرية وللشهداء. كانت هذه هي الدروس الأولى التي أستمع ذكراها. وقد رجعت بعد هذه النزهة إلى المنزل بقلب مكتئب. وفي الليلة التالية كانت الدموع المريرة تتساقط من عيني بلا انقطاع؛ حزناً وتعاسة لأنني تبينْتُ أنني أضعف من أن أقوم بالواجبات المفروضة عليّ، والتي يُحمني إياها أبي باعتبارها فروضاً لا يمكن إهمالها، لكي أحيا حياة عادلة. ولم تفلح الكلمات المهدئة لأمي رقيقة الإحساس؛ لولا تشجيع جدتي التي أسرعت بالخروج من حجرتها إلى حجرة حفيدها الطفل عندما سمعت بكاءه وعويله/.

١٨

كانت الأثانية مكروهة في منزلنا، وكان التعبير الواضح عن التراحم يتحكم في كل ما نعتاده في حياتنا الأسرية. وكان عابرو السبيل الفقراء الذين يمرون بمدينةتنا كل يوم تقريباً يشاركوننا على مائدة الطعام، ويحظى والداي بدعائهم، والثناء عليهما عند مصافحتهما الضيوف وتوديعهم عند الرحيل. ولكن كان يفسد عليّ هذا كله ما وُجّه إليّ من تنبيه صارم بأنني يجب أن أنفذ

جميع الشعائر اليهودية، وأن أخضع لكل ما يفرضه علينا كبار السن المتزمتون من طائفتنا، ومع ذلك فقد كانت كل أنواع النفاق مكروهة ومحترقة. وقد نُبِيت إلى ضرورة التدريب على ممارسة جميع الحقوق، وأن أقوم بكل ما تشتمل عليه، وكان عليّ أن أتجنب كل بريق يتعلّق بها عن روايات وأساطير دينية، وأن أكرهها. وكان من السهل على أبي أن يتبين أنني لا أشارك في الحياة الدينية، وإن كنت أمارس شعائرها حينما تكون بعيدة عن أنظار الآخرين، وبخاصة عندما تكون ملزمة، فالتقشف والزهد إنما يجب أن يكونا أساسيين للعبادة، مع تجنب الاستعراض، علماً بأنني طُبعتُ منذ نعومة أظفاري أن أتسامح مع من يدينون بدين آخر، وأن أحترم مشاعرهم الدينية. وكنت أزور الكنيسة كلما يحلو لي ذلك مع رفاق الطفولة وأطفال الجيران، ومن ثمّ كنت متعطشاً منذ الصغر لمقارنة الأديان والتفكير فيها. وكان هذا مدعاة للتفكير في عقيدتي مما جعلها أجدر بالاحترام.

وبزغ هذا الوعي والإدراك في نفسي منذ سنوات طفولتي الأولى، إذ إنّ الحياة الدينية تتطلب في أسرتنا في المقام الأول دراسة تاريخ الديانة اليهودية. وهذا ما جعل والدي - على الرغم من انشغاله بشئون تجارته - يوفر لها وقتاً لدراستها. وكان يشحذ همتي - بلا كلل - بضرورة أن أعمل على أن تتسم أخلاقي وحياتي بروح هذه القوانين (الدينية) بالتعمق في دراسة الأدب والتاريخ اليهودي الذي يكسب الإنسان معرفة بقانون ديننا.

تمكنت من أن أدرس النص الأصلي للعهد القديم دراسة جادة عندما بلغت في الخامسة من عمري، وفي الثامنة أخذت دروساً في التلمود، وفي الثانية عشرة من عمري قرأتُ واجبات قلب البشاي *Herzenspflichten der*

Bechaj أي "كتاب كازارن *Das Chasarenbuch*"، وفي السنة التالية قرأت أيضاً موريه نيبوخيم *Moreh Nebuchim* الذي نقلتُ منه مختارات ما زالت محفوظة بين أعمالي. وانهمكت في قراءة هذه الدراسات اليهودية بشغف وحب، واستقر في يقيني أن هذا هو المثل الأعلى الذي أرفض من أجله الأدب الدنيوي الذي أدرسه إلى جوار دراساتي الجادة دون أن أبتدعه.

ومن دراساتي للجدل التلمودي تبين لي الجهد النبيل الذي بُذل لتأسيس القانون الإسرائيلي، وأدهشتني حكايات الوعظ الديني *Aggada* بجاذبيتها، وأسرت قلبي. وانهمكت ليالي متتالية / في دراسة *En Jakob* والمدراش. [١٩] ودأب أبي على إثراء مكتبتي من وقت لآخر بتزويدها بالكتب، وما من مرة سافر إلى معرض براغ دون أن يُحضِرَ لي كتباً يهودية ثمينة. وقد قصّت عليّ والدتي بعد سنوات أنها باعنتني يوماً - وكنت في الثامنة من عمري - في منتصف الليل أضُم بعض الكتب التي أحضرتها معي من مدينة بست *Pest*^(١)، وأقبلها كما لو كانت معشوقة لي.

فرض عليّ وأنا في المدرسة الأولية أن أتوسع في دراسة اللغة العبرية، وتمكنتُ في سن الرابعة من معرفة الحروف، وفي سن الخامسة فرغتُ من قراءة السطر الأول من التوراة (سفر التكوين). وقد نصح الحاخام دكتور تسيسر *Dr. Zipser*^(٢) - الذي لا يمكن أن أنساه أبداً - أبي باقتراحاته، محمّساً إياه كي يشتري لي بعض الكتب. ولما فرغتُ من التعليم الأولي عام ١٨٥٩، كان عليّ أن أواصل دراساتي اليهودية إلى جوار الدراسة بالمدرسة،

(١) أي بودابست.

(٢) دكتور تسيسر (١٨١٥-١٨٦٩) *Zipser* أكبر حاخام لمدينة شتولفايزنبورج، وعالم تاريخ.

كلما أمكن ذلك، فتلقيتُ في السنوات الثلاث الأولى بالمرحلة الابتدائية دروساً خاصة بالمنزل، وعند البحث عن مدرس صالح لهذه المهمة وقع الاختيار أولاً على الأستاذ ليو فرانك *Leo Frank* الذي كان يعمل آنذاك سكرتير الجالية اليهودية بمدينة أوفن *Ofen*، واستأجر والدي لي ولزميلي شليزنجر *Schlesinger* مقرّاً خاصاً للدراسة، استمتع بالسكن به السيد فرانك الذي بذل ما في وسعه ليقوم بالتدريس لنا، واستخدم كافة الوسائل التعليمية، وشغلنا بالدراسة ما استطاع، ولكنني لا أستطيع أن أقول إن هذه الدروس، وما أضعناه فيها من وقت كانت مثمرة تماماً؛ إذ إنَّ معلمنا كان ينقصه الموهبة الكافية للقيام بدور المعلم فعلى الرغم من أنني تعلمت منه بعض الدروس، واكتسبت بعض المعارف، فإنه لم يبقَ في ذاكرتي عمّا تعلّمته في هاتين السنتين أي ذكرى؛ فما تعلمته منه عن التلمود، لم يكن إلا استثناءً لما حاولت دراسته من قبل. فهو لم يتمكن من أن يفهمني طبيعة هذه الدراسة الصعبة، وأن يرشدني لما تحتويه. ومن ثمَّ واصلت الدراسة -في سن الثامنة- لدى دكتور ماركس تسيسر *Dr. Marcus Zipser*. وكان رجلاً مسناً (وهو أخو الحاخام) حيث كنت ألتقي الدرس أسبوعياً. فدرست عليه القطعة الأولى من التلمود *B.M.11a* "الوعل المكسور" وأصبحتُ محور تسليتنا في الأسرة.

ثم استأنفتُ دراستها على يد السيد جوجنهايمر *Guggenheimer* بعد إعداد لها مع السيد موريتز ديساور *Moritz Dessauer*، ثم اختار لي والدي-الذي يحرص على تربيته تربية يهودية- عام ١٨٦١ مدرساً خاصاً يدعى موزس فولف فرويندنبيرج *Moses Wolf Freudenberg*، وكان معروفاً في الناحية بأنه متخصص قدير في الدراسات العبرية، استطاع أن يعلم نفسه

العبرية، ويوسّع مداركه حول المعارف الدينية. كانت حياته منذ صباه المبكر مفعمة بالتعليم. اقترح أن يتولى منصب المدير المساعد للمدير أنتون شميد Anton Schmid بعد وفاة بنزوى Benzew، ولا أدري لماذا لم يتول هذا المنصب. لم تكن بضاعته إلا الكتاب المقدس، ونحو اللغة العبرية، وعُرف بأنه متعصب أيضاً، / وعقلاني منطقي أزرق الناب. أوصلني إلى أبعد مما رغبتُ أن أصل إليه من فكر منطقي، وأمدني بما يرفع من همتي ومعنوياتي. إنني لأشعر دائماً بما أدين له من شكر، أحفظه لهذا الشيخ المبجل، الذي كانت سنوات رعايته لي مثمرة طوال حياتي، وعلى حين أنني في السنوات الأربع التي تعهدني فيها فرويدنبرج Freudenberg برعايته، ولقنني - يوماً بعد يوم - المبادئ التي يجب عليّ اتباعها، ووضع الأسس لعقيدي، إلا أنني لم أتقدم كثيراً؛ بسبب معاملته الخشنة التي أدت إلى الفشل الذي عانيت منه طول حياتي، ورغم ذلك فإنني ما زلت مديناً له بالشكر، ممتناً له، باراً به من كل قلبي، لأنني جعلت المبادئ التي تعلمتها منه ميراً أخلاقياً لأبنائي. وقد نقل هذا الشيخ عن رجل كان أكبر منه سناً، وأبهر به الصبي، فتأثر به في علمه وحياته بما يمكنه من أن يكون موضع إعجاب ينذر أن يوجد مثله، ولم يكن ممكناً أن تتغير هذه المبادئ في جزء من حياتي، فعندما أتأمل حياتي الخاصة، أفهم نظام فرويدنبرج جيداً، وفيما يلي أذكر نظام ما قمنا به من أعمال.

في الساعة التاسعة صباحاً يخضر المدرس إلى غرفتي، ونقضي نصف ساعة نقرأ فيها "واجبات القلب *Herzenspflichten*". وبهذا تبدأ عادة الدروس اليومية. وبعد القراءة يبدأ المدرس في استعراض الدرس. وبعدها

نقضي ساعتين مع التلمود بالطريقة التعليمية القديمة، مع اجتتاب الأمور الجانبية غير المناسبة. وكان علينا على مدى السنوات الأربع التي درس لي فيها فرويدنبرج - كما صرح لي بعد ذلك بسنوات - أن ندرس ستين ورقة من التلمود، وفيها الجزء الأكبر من حكايات الوعظ الديني (*En Jacob (Aggada)*). وقبل الظهر ندرس الكتاب المقدس (درسنا في السنوات الأربع الأنبياء، وأيوب، والأمثال). وكنت أتلو يوميًا ما درسته باليوم السابق، وحفظته عن ظهر قلب، وألخص ما جاء فيه من ظواهر نحوية يمكن تبينها بالبصر. أما فترة ما بعد الظهر، فقد كانت مخصصة للدراسات التي ألتقاها بالمدرسة الثانوية. وفي الساعة الخامسة مساءً يعود إلى السيد فرويدنبرج، فأستبعد الدراسات الدنيوية من عقلي، وأتفرغ لدراسة المدراس والفلسفة اليهودية، والقراءة في الكتاب المقدس (أسفار موسى الخمسة، وابن عزرا). كما كنت أنفرغ مرتين أسبوعيًا للتدريبات الأسلوبية للغة العبرية، وكتابة الخطابات ومحاولة تفسير النصوص الدينية.

وبعد الساعة السابعة مساءً أنقطع عن الدراسة فترة قصيرة لتناول العشاء، لأعود فأكمل دراسة مواد المدرسة الثانوية المتبقية. ولم أكن أذهب إلى الفراش إلا بعد منتصف الليل، حتى يحضر والدي بين الساعة الرابعة أو الخامسة لإيقاظي. وكان يقوم بتدفئة غرفة المكتب بنفسه - هذا الرجل الشيخ المريض - ويعد لي الشاي والقهوة. ولم يختلف النظام طوال سنتين من سنوات الدراسة الثانوية الأربع، لم أمتنع قط عن زيارة المدرسة / ولم يتغير بعد ذلك إلا تقسيم حصص الدراسة، فقد ازداد عدد الساعات المخصصة للدين. ثم واطبْتُ على تعلم دروس المدرسة الثانوية بالمنزل بإشراف طلبة

٢١

متفرغين، بداية من كاربليز *Karpeles* ثم سوموجي *Somogyi* (وهو محام في بودابست الآن) ثم إيمانويل فيشر *Emanuel Fischer* (وهو الآن محام في فيسبريم *Veszprém*). وكنت أذهب كل نصف عام للامتحان في دير سيسترسينسر *Cistercienser* وكان عليّ أيضًا -وفقًا لمتطلبات شهاداتي- أن أتفوق في الدراسات الإنسانية، أي اللغات القديمة والتاريخ القديم، وأن أحصل على أعلى الدرجات في المعارف التي اكتسبتها بجهد متواصل في الدروس الخاصة. وكانت معجزة لافتة للنظر، جعلتني أظهر مع مدير المدرسة وأسألتها بالمدرسة في دوراتهم اليومية بالمدرسة.

وكنت مُعْتَبَرًا طفلًا معجزة، وعوملت في المجتمعات بأني فخر للمدرسة الثانوية، مع أن هذا الحكم كان مبالغًا فيه، فإنني استطعت أن أعبر عن تمكّني من دراساتي أمام من يعتدل في الحكم عليها، وأبين أنني متمكن من دراسة معارف كثيرة غير معتادة بالنسبة لمن هم في سني. وأن أعبر عن معرفتي بالعلوم الإنسانية؛ فصاحة وكتابة بصورة لافتة. وكان والدي يحرص على أن تكون مخالطتي للرجال الناضجين فقط. وكانت هذه المخالطة فرصة لتبادل الأفكار الجديدة، التي لا يتمكن من الوصول إليها الصبية في سن العاشرة إلى الرابعة عشرة إلا نادرًا. وكان دكتور فويتس *Dr. Voytits* رفيقًا بالمنزل، وطبيب العائلة المخلص الذي يرعاني دائما حتى لا يضار جسدي باندماجي في دراساتي الذهنية واجتهادي في تحصيلها. وكان يناقش معي كثيرًا، ولمدة ساعات طويلة المسائل الدينية والمشاكل الفلسفية، ويثّلني على النصوص المناسبة لقراءاتي في مكتبته الغنية.

وأريد هنا أن أعرض بعض الذكريات عن هذه السنوات المفعمّة بالأحداث، ففي عام ١٨٥٦/١٨٥٧ تكونت جماعة من الصبية لممارسة الشؤون الدينية، وكنا ندرس الكتاب المقدس، ونقيم يوم الأحد من كل أسبوع قداساً، واعتدت أن ألقى خطبة دينية باللغة المجرية لرفاقي أيام الآحاد أسبوعياً، وكنت قد بلغت في هذه المرحلة سن السابعة. وفي سنتي ١٨٦١/١٨٦٢ تبادلت مع ابن عمي فيلهلم^(١) Wilhelm G. رسائل مفعمّة بالحيوية عن قيمة المحافظة على الطقوس اليهودية وتقاليدها، وكذلك عن خصومة هيرش - فرانكل *Hirsch - Frankel* التي وقعت وأثارت شجاراً بين تلميذ صغير في المرحلة الثانوية المدرسة الثانوية بشتولفايزنبورج، وابن خاله الطالب الكبير بجامعة فيينا؛ إذ كنت أقوم بدور الأرثوذكسي المتعصب، ولم أكن مستعداً لأن أضحي بأي أمر من أوامر التلمود الذي أحبه، وكان والدا/ كل طرف يزهران ويفتخران بقراءة الخطابات الطوال بين الطرفين. واستمرت حرب أقلام الكتابة بضراوة ووصل الأمر إلى تبادل الشتائم والسباب، إلى أن خبت بعد سنتين وحلّت بينهما العلاقات الدبلوماسية.

وفي أثناء ذلك اشتعل خلاف شديد بين أعضاء الجالية اليهودية بمدينةني لوصف السجل التاريخي لليهودية بالمجر بأنه مخجل. وتسببت الشعائر السخيفة في أن يُفلح دكتور جوجنهايمر *Dr. Guggenheimer*^(٢) النازح إلينا من الخارج في

(١) فيلهلم جولدتسيهر (١٨٤٩-١٩١٦) *Wilhelm Goldziher* طبيب عيون بكلية طب العيون الملكية بالمجر، جامعة المجر العلمية، بودابست.

(٢) جوجنهايمر *Guggenheimer* حاخام في أوس زي *Aussee*، بشتولفايسنبورج في الفترة (١٨٥٩-١٨٦١) وفي كوللين *Kollin*. وهو زوج ابنة هيرش *S.R. Hirsch*، السالف ذكره قبل سطور.

تقسيم الجالية الصغيرة التي أسسها الدكتور تسبسر Dr. Zipser، وجعلها جالية مثالية، إلى قسمين، وناهضه في ذلك أبي ومعه "المتقدمون" حفظة الأعمدة الذين ينتمي إليهم. وليس كراهية للمتعبين، ولكن ولاء لتسبسر الذي كان صديقاً له. أما أنا فقد تعلمت من فرويدنبيرج الذي ينتمي إلى الحزب الأرثوذكسي أن أزدري كلا الطرفين. فضلاً عن أن ما حصلناه من ثقافة في حجرة الدراسة جعلنا نتأثر بما مرت به عقيدتنا من عذاب، ونصبح أقرب إلى التمسك المثالي الذي لا يأبه كثيراً بالشعارات المجنونة التي يطلقها كلا الحزبين. ومن ثم زار أبي ومعلمي معبدن للرئيسين المتحاربين، وعاشا هناك في صداقة وتعاطف كانا أساساً لتربيتي التي أصلّت عندي بغضّي لبشاعة الأطماع المنتشرة آنذاك، فجعلتني أُنْجِه إلى اهتمامات أخرى.

وفي سنة ١٨٦٢ أمضيت بعض الأسابيع من العطلة الدراسية عند أقاربي في مدينة بست Pest. واصطحبت معي مخطوطة معنونة باسم شحات إسحق Sichath Jizchak، وهي مقال عن الصلوات^(١)، طبعتها وأنا في الثانية عشرة عند يوهان هيرتس Johann Herz لأعود بها مع العمل الأصلي إلى المنزل. وكان هذا الأصل (Opus) هو السبب الرئيس في إطلاق صفة الزندقة عليّ. كان اليهود في فايسنبورجر Weissenburger مغتاضين من وجود العمل (الأصلي) لديّ. وكانوا ينعوتونني بأنني أشبهه سبينوزا^(٢) أي أنني غريب الأطوار أو (سبينوزوي Spinozist مثل من يعتقد فكره). أما فرويدنبيرج فقد

(1) Abhandlung über Ursprung, Einteilung und Zeit der Gebete, Pest 1862.

دراسة عن أصل وتقسيم وقت الصلاة (شحات إسحق ש'חח 'צחק).

(2) سبينوزا (١٨٣٢-١٨٧٧) Spinoza، فيلسوف هولندي.

استقبلني بشغف شديد، وقال لي في اليوم التالي: عندما نتطلع إلى هذه الثمرة التي حصلتَ عليها نتيجة لطموحك، بعد سنوات عشر، سيحمر وجهك خجلاً، ولكن لا تنسَ عندما تحتفل عام ١٨٨٧ بعيد ميلادك السابع والثلاثين أن تحتفل أيضاً بمرور ٢٥ عامًا على ميلادك كاتبًا، وستكون - بمشيئة الرب - قد أدبت أعمالاً عظيمة في إسرائيل.

وفي المدرسة الثانوية، كان مدرس الفصل الذي ألحقت به في أكتوبر يدعوني إيجناتيوس أوتوركليس *Ignatius auctorculus*، ولكن ريشة الكتاب ما زالت ملتصقة بأصابعي.

وكان من اللازم أن يحل بي أمر عظيم، فقد اقترب يوم *Barmizwahtag* وكنت قد قررت إعلان مذهبي الديني في حضرة موعظة رسمية من فوق منبر معبدنا، ولم تفلح أي معارضة لإثنائي عن قراري. وفي مايو ١٨٦٣ أعلنت ذلك في جمع من المسؤولين اليهود، على الرغم من معارضة والدي في البداية. وفي يوم السبت الثالث من يوليو ١٨٦٣ *Sabbath Balak* قررت اعتلاء المنبر لإلقاء موعظتي. واقترب اليوم، وانتظرت النتيجة بأعصاب متوترة. وعندما استرجعُ هذا الحدث اليوم يشد اضطرابي متعجبًا كيف كانت حالتي آنذاك، هل أعجب من شجاعتي ورباطة جأشي عندما كنت أمر بهذا الحدث؟ / إذ إنني ألقيت كلمتي في هدوء، ليس كما يلقي تلميذ كلمته، إنما كما يُلقي الإعلان، وكما أردت أن تكون عليه، لأثبت مكانتي في المجتمع الذي أعيش فيه. ولم تتغير حالتي النفسية طوال هذه السنوات من حيث الخضوع للمقدسات والطاعة، ولم يكن الثالث من يوليو إلا لحظة بارزة لحالتي المزاجية. وقد توافد ساكنو مدينتنا زرافات - دون اعتبار للمذاهب

٢٣

العقائدية - إلى المعبد اليهودي. وعندما دُعِيَ هواة الأغاني إلى جماعة الغناء الجماعي بالمعبد لإنشاد التوراة أديتُ النذور صامتاً، واعتزمتُ أن أحرص طوال حياتي على خدمة الحقيقة، وكررت هذا عند إلقاء كلمتي التي استمرت ساعة، والتي استمع إليها الجميع بأنفاس مقطوعة. ولم أنسَ مطلقاً هذا اليوم، وهذه الساعة، فذكرها ظلت منارة عظيمة في حياتي، ففي كل الظروف التي مرت بي في حياتي، حلوها ومرها، سواء أكنت بالمنزل أم على سفر، لم تبتعد عن ذاكرتي مطلقاً، تذكرتها وأنا فوق قمة هرم خوفو، وأمام نعش والدي، وفي حفل اجتماع المستشرقين بستوكهولم، منظر الصبي ذي الاثني عشر عاماً، واقفاً أمام والديه ورجالات المدينة وهو يقدم النذور الحرة، ويتعهد بأن يحافظ على الإيمان بما يلتزم به - وهو صبي - من التحلي بالمثل العليا. آنذاك حملتُ عند عودتي للمنزل عصراً رسالة تلمود. وعندما كنا نجلس حول مائدة العشاء شربتُ نخب معلمي وأصدقاء صباي، ولم أتمكن من إنهاء كلمتي، لأن الدموع انهمرت من عيني.

وبهذا انتهى هذا اليوم المبارك، وبه انتهت مرحلة الطفولة الأولى التي يمكن أن نعدّها كذلك بالنسبة لسني حياتي، إذ لم تكن طفولة بالمعنى المفهوم، ولكنها كانت زمناً كنت فيه جاداً، أجتهدُ في أن أعد نفسي لمستقبلي، وأتزود له في حياتي المقبلة.

بقينا في شتولفايزبورج سنتين أخريين، ثم رحلنا بعد نهاية الصف الخامس نظراً لأن أحوال والدي المادية تغيّرت بتغير الظروف الاقتصادية، وانتقلنا إلى مدينة بست Pest.

الأعوام ١٨٦٦ - ١٨٦٨:

ظَلَّتْ ذكرى الأيام السابقة تعكر عليَّ صفو حياتي. أعني تلك الأيام التي قضيتها مع والدي في شتولفايزنبورج *Stuhlweissenburg* فتدهورت أعمال والدي التجارية؛ إذ إنه نشأ وتربى على أصول المدرسة التجارية القديمة، ولم يتمكن من مسايرة أساليب المنافسة الجديدة التي استوطنت منطقتنا منذ عدة سنوات، أو الخضوع لأصولها. فاشتدت حالتنا سوءاً، وخسر آلاف الجولدن في تصنيع بضاعته، ومن ثمَّ ولَّى المدينون له وجوههم عنه/ دون أن يدفعوا ديونهم له، واتجهوا شطر أصحاب المصانع المنافسين له. ٢٤ وعندما كنت صبياً في الخامسة عشرة كان عليَّ أن أصحب والدي في رحلة الإنذارات إلى المدينين صنَّاع المواد الخام. وسمعتُ منهم وشاهدتُ أشنع هجوم عليه؛ رفع أحدهم سكيناً ملقاة على منصة العمل في وجه والدي، وكان هذا الشقي عديم الشرف لم يدر شيئاً عن تسوية الديون. وقد تركت أمثال هذه الأحداث الذكريات ما زلت أستعيدها عن الأسابيع الأخيرة التي قضيناها في شتولفايزنبورج، وكنت أسمع والدي - في الليل - يبكي ويتوجع دون توقف، ولا يقلع عن ذلك، وحينما يظن أنني ما زلت مستيقظاً ينبهني إلى ضرورة الاعتماد على الله، وأن العلم سيرفع عني مثل هذه المحن، ويجنبني مثل هذا الذل، ولم تحتمل أعصابي وعقلي المرهق -المتقل بالدراسات التي أتطلع إليها- المحن التي مرت بنا في هذه الأسابيع، فسقطت صريع داء خفي، لا أعرف حتى الآن كنهه أو أن أصفه كلما حاولت أن أتذكره؛ إذ أصبت بسعال متهيج، وتغير في مظهري. وقد نصح الطبيب الذي لم يعرف السبب الحقيقي لمرضي، والدي بأن أمتنع مدة عام كامل عن إجهاد نفسي بالدراسات

الجادة عندما تنتقل إلى بست *Pest*. وأن عليّ ألا أذهب إلى المدرسة طوال هذه السنة.

وفي سبتمبر ١٨٦٥ حزمنا كل ما نملك من أمتعة، ومنها أيضاً مكتبتي التي تشتمل على ستمائة مجلد، وتركنا منزلنا الكائن في حارة المدرسة رقم ٤٤ خاويًا، المنزل الذي رأيت نور العلم أول مرة في حجراته، وربيت فيه علميًا وخلقياً. وانتقلت إلى بعض حجرات كنيبة في فناء أحد المنازل بمدينة بست. وقد هُدمَ منزلنا بعد ذلك، وشيد مكانه قصر منيع للبنك الوطني. وفي هذا المنزل الجديد الصغير نظم والدي تجارة الجلود الصغيرة التي يمارسها. وكنا نظن أنها محاولة فاشلة لتغيير ظروفنا. ومنذ هذا الوقت بدأت أحوالنا المادية تسوء، وتتحدر إلى أسفل. وكنا نستطيع بالكاد البقاء على قيد الحياة، إلى أن حلت بنا الطامة عام ١٨٧٤؛ إذ مرت بنا تسع سنوات شديدة الوطء، وقمنا جميعًا بأعمال نتكسب منها؛ فأمي كانت تتسابق مع زوجها في أعمال المحل المباشرة، وأختي الطيبة التي كانت في الثالثة عشرة من عمرها ساعدت بماكينه الخياطة، وكان ذلك سببًا في مرضها، وبحث أنا عمن أعطيه دروسًا خاصة، ووجدتها بمكافآت ضئيلة. وهكذا مررنا بأسوأ أحوالنا المادية في تلك السنوات.

كان عليّ أن أنقطع عن الدراسة مدة عام كامل، وكان ذلك بسبب الأحداث التي ذكرتها، ولم يكن هذا أمرًا محتملاً بالنسبة لي.

كان أبي أثناء وجودنا في شتولفايزنبورج كلما أظلمت ليلة من الليالي يقول لي إنَّ العلم سيعفيني من أي مصير سيئ، وكان هذا معتقده في أيامه الأخيرة. كان هذا الدرس هو الدافع لتغيير ما كنت قد خططت له من

أعمال./ فلم أسجل تلميذاً بالمدرسة، ولكن دراستي اتجهت في طريق آخر؛ إذ كان منزلنا متاخماً لمبنى مكتبة الجامعة، وكان هذا الاكتشاف سبباً في القرار الذي اتخذته وقمت بتنفيذه (إذ كنت أتردد كثيراً على المكتبة)، وعلمت أن الجامعة فتحت أبوابها للاستعارة لغير النظاميين، وكان هذا - بالنسبة لي - حلاً لمشكلتي؛ إذ تمكنت من الدراسة بالجامعة دون أن أتم دراستي بالمرحلة الثانوية، ولم يستطع أبي تفهم ذلك، وواصلت دراستي. ففي الفصل الدراسي الشتوي عام ١٨٦٥/١٨٦٦ سجلتُ اسمي مستمعا غير نظامي، وسجلت من المواد: الفلسفة، والدراسات اللغوية الكلاسيكية، والدراسات اللغوية العامة، واللغات الشرقية.

وكان المحاضرون الذين درست عليهم: "تلفي Tély" ^(١) و"هورفات سيريل Horváth Cyrill" ^(٢)، و"ريدل Riedl" ^(٣)، و"فامبيري Vámbéry" ^(٤)؛ وكان الأخير قد سجل نفسه محاضراً بالجامعة بعد رحلته الصوفية مباشرة. وكان أول موضوع يحاضر فيه عن المتصوفة (الدراويش) الذي نُشرت عنه إعلانات كثيرة، وكتبت عنه كل الصحف تمدحه بحق، وبوصف إنشائي أيضاً، وزُوِّدْتُ جدران العاصمة بإعلانات كبيرة، وبوسطها صورة الدراويش اليهودي (أي فامبيري) تمتدح كتابه.

لم يملأ عيني رجل أعظم منه، فقررت أن أجلس تحت قلمي هذا العملاق، وكنت أول مستمع سجل محاضراته بسجل محاضرات الجامعة.

(١) أستاذ دراسات فقه لغة كلاسيكي (١٨١٦م-١٨٩٨م).

(٢) أستاذ فلسفة بيودايست (١٨٠٤م-١٨٨٤م).

(٣) أستاذ جرمانستك بجامعة بودايست (١٨٣١م-١٨٧٣م).

(٤) أستاذ لغة تركية (١٨٣٢م-١٩١٣م).

وكان من بين الكتب التي امتلكتها أثناء طلبي العلم بموطني الأول، واعتنى أبي بتوفيرها لي معجم جزيئوس اللغة العبرية *Gesenius , Das hebräische Handwörterbuch*. وهو معجم أساسي صالح لكل الأزمنة، بمقدمة توضع أساساً للغة العبرية، ومقارنات بين اللغات السامية المختلفة، ولذلك كان يجذبني دائماً بشدة للرجوع إليه.

وفي صيف ١٨٦٥ تعطلت لانتهاز هذه الفرصة لأبدأ دراساتي في اللغات الشرقية، وبدأت بتعرف الحروف السريانية، وجمع بعض المعلومات من المعجم، وأحضرت هذا كله معي إلى بست *Pest*. ودفعني حنيني للتعمق في هذه الدراسات أن أنتهز فرصة استماعي للأستاذ فامبيري، فتقدمت إليه، وعرفته بنفسي في يوم من أيام شهر أكتوبر سنة ١٨٦٥ مع دفتر محاضراتي، باعتباري أول من سجل بدفتره "مستمعاً"، فرحب بي بسرور وإعجاب؛ لأنني كنت فتى صغيراً يقبل على سماع محاضراته. وسجل بعدي طالبان مستمعان آخران، ولكنهما لم يكونا جادين، إنما أرادا فقط أن يسجلا في دفترهما عنوان هذه المحاضرات الغريب. عني بي الأستاذ عناية خاصة، فسمح لي بزيارته كل يوم تقريباً في مسكنه الخاص ليعطيني محاضرات خاصة، وبدأ معي دراسة أعماله الأدبية الخاصة، واستخدمني ناسخاً لكتبه، ومترجماً إياها من الألمانية إلى المجرية، وشملي بعطفه. ولما تبين له - فيما صرح لي - ما حققته من تقدم في دراستي في وقت قصير أذاع عني أنني مجتهد، وأشاد بقدراتي في كل محفل يتردد عليه.

كانت التركية والفارسية اللغتين اللتين تنتميان إلى اللغات السامية^(١)، ولم تكونا من اللغات التي اهتمت بدراستها من قبل، ولكنهما كانتا مطلوبتين كي

(١) يقصد الشرقية الإسلامية. (عوني)

أتمكن من معرفة الشرق، ولذلك عمدت إلى دراسة نصوص مختلفة من المختارات التركية في الفصل الدراسي الشتوي ١٨٦٥/١٨٦٦، وألقيت نفسي وسط صعوبات النشر الفني التركي، وفضلاً عن ذلك قرأت كتباً أخرى، ومنها "الجلستان للسعدي Sa'di's Gûlistan"، وقد خدمني "الملا إسحاق Molla Ishak" المنغولي التتري - الذي أحضره فامبيري Vámbéry معه من وسط آسيا. وكان يعمل خادماً عنده - في الاستعدادات لهذه الدراسات. وكان من المفروض أن أدرس اللغة العربية جيداً استعداداً لقراءة هذه النصوص. وكان لفامبيري في التدريس طريقة علمية محضة. وفي الحقيقة - كما تبين فيما بعد - أن البداية كانت أخباراً غير صحيحة تماماً؛ فالمعلومات التاريخية التي قدمت لي كانت سقيمة، وخبرات ضارة، ففقت بتصويبها بقراءتي اللاحقة عن أعمال الرحلات، وبخاصة Muradjea d'Ohsson (تاريخ الإمبراطورية الفارسية القديمة)، إذ إن وجهة نظر مدرسي بشأن المعرفة الحقيقية وتعرف الحقائق التاريخية التي استخدمها العجوز د. هيربيلو D'Herbelot كانت كتاباً مساعداً. ولم تراغ الظواهر النحوية أو اللغوية؛ وأن الصعوبات التركيبية للجملة التركية يمكن أن تفهم بالسليقة، وليس بالدراسة النظرية، وعلى ذلك لعنت باعتبارها صادرة عن جمهور أوربي مزعج ضد علماء ألمان. ولم يكن لدي فرصة للحكم على ما يراه معلمي من آراء هدامة. وقد صاحب هذه الدروس الجادة من أولها اعتزاز مبالغ فيه بقدراتي الخاصة. فكل يوم أسمع أن رحلة الدراويش أعظم جهد للسياحة العلمية، وأن معلمي هو أول مستشرق في العالم. وكنت أعتقد ذلك بشدة، وكيف أجرؤ على غير ذلك؟ إذ إن فامبيري حباني بحب أبوي، وأنا أحمد له المعلومات المهمة التي أخذتها عنه في ميدان تعلم اللغتين التركية والفارسية. وكان حبي له يزداد يوماً بعد يوم، ويزداد شكري له وإعجابي به. وكان اجتهادي يصاحبه حرص على أن أعترف بعبوديتي له في

السراء والضراء، وبإقبالي على إكمال دراستي التي هداني إليها، ولو لم أفعل ذلك، أو لو نسيت أن أشكر له ذلك أو أنكرته لأصبحت شريراً؛ فإن فامبيري هو الذي حبَّب إليَّ دراسة الاستشراق.

ولكن ثمة أمراً يجب أن أشيد به، فإن معلمي حاول أن يشحذ همتي مع قدراتي، إذ كان يمدحني في كل مكان باعتباري طفلاً معجزة، وعبقري اللغات الشرقية. وسرعان ما جعلني أهتم بالكتابة ونشر دراساتي، وهو ما ندمت عليه فيما بعد.

وفي يونيو ١٨٦٦ أرسل فامبيري بعض ما ترجمته عن المختارات التركية مصحوبة / بمديح مفزع إلى ناشر مجلة *Hazánk és a Külföld* فطبعت ٢٧ المجلة رسالة المديح والترجمة. كذلك استعرض في مجلة *Vasárnapi Ujság* اجتهاداتي في البحث العلمي في السنة نفسها. وفي الأكاديمية أيضاً نوقشت ترجمتي لبعض النصوص عن تاريخ العلاقات التركية المجرية. وفي سنة ١٨٦٧ ظهر فامبيري ومعه ترجماتي لبِتْشَفي *Petschewi* أمام منضدة محاضرات الأكاديمية، وقرَّظها مادحاً إياها، وما تضمنته أيضاً من مشاريع، حتى احمر وجهي خجلاً وأنا جالس بين الجمهور، ولكن كل العلماء الأجلاء كانوا ينظرون باشمئزاز.

أما أعداء فامبيري *Vámbéry* الذين يعد من أوائلهم علماء اللغة المجريون: "هانفالفي" *Hunfalvy*^(١) و"بودنز" *Bundenz*^(٢) وغيرهما فقد نقلوا كراهيتهم إليّ، واعتبروني التلميذ المفضل للغشاش المخادع، وكثيرون غيرهم

(١) *P. Hunfalvy* (١٨١٠ - ١٨٩١) عالم متخصص في الشعوب البدائية *Ethnograph*.

(٢) *J. Bundenz* (١٨٣٦ - ١٨٩٢) باحث لغوي، أستاذ بجامعة بودابست.

يطلقون عليّ أيضًا صفة "تلميذ الغشاش" و"الجاهل"، وكان المديح الذي ألقاه أستاذي في كل المحافل يعوضني عن الشك في قدراتي والارتياح الذي قاسى منه فامبيري. وكان من التابعين لـ "كالفينر" *Kalviner* القيم على معبد اليهود الدراويش، حيث قُدمتُ إلى حلفتهم، وكان مديرهم الأكبر "بول توروك" *Paul Török*^(١) ذا شخصية إنجيلية حقيقية، استقبلني بحفاوة، وأظهر لي مودة، ورحب بي أيضًا بلطف السيد "بول جونسى" *Paul Gönczy*^(٢) الذي كان مديرًا للمدرسة الثانوية، ثم أصبح مستشارًا للوزارة ووزيرًا لها. وكذلك كل أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة الثانوية النموذجية، وفي مناسبة لاحقة قابلت "موريس بالاجي" *Moriz Ballagi*^(٣) الذي احتضنتني وأسبغ عليّ حماية مناسبة. وقد تميز بالاهتمام الحاني الذي يدفعه إلى تشجيع كل عبقرية يهودية، وكان بذلك يعوض عن ارتداده عن اليهودية. وقد فتحت لي مكتبته الغنية - التي سمح لي باستخدامها - منبعًا جديدًا للتعلم في ميدان أدب الكتاب المقدس واللاهوت. وقد تمكنت من خلال اتصالي المستمر معه، الذي حرصت عليه كلما أردت، من معرفة إجابة الكثير من الأسئلة المتعلقة بتاريخ القصص بالكتاب المقدس. ولن أنسى مطلقًا النظرة التي ألقاها عليّ عندما عرفت كلمات مثل الهويست *Elhowist*، ياهوويست *Jahowist* إلى آخره، التي قرأتها لأول مرة بالكتب التي أعارني إياها الأستاذ بالاجي، وقربني كذلك من أساتذة المدرسة الثانوية النموذجية، وجعلني أعتقد أنني أخطأت حين درست بالجامعة، كما درست نصوصًا فلسفية متنوعة، وكذلك نصوصًا من علم

(١) *P.Török* (١٨٠٨ - ١٨٨٣) قسيس بيودابست.

(٢) *Paul Göncz* (١٨١٧ - ١٨٩٢) تربوي، سكرتير دولة (وزير).

(٣) *M. Ballagi* (١٨١٥ - ١٨٩١) رجل دين، وباحث لغات، سكرتير دولة (وزير).

اللغة. وكان ذلك في الوقت نفسه الذي نُشِرت فيه محاضرات "ماكس Max Müller" وعرفها العالم عن دراسة الكتاب المقدس (تاريخ إيفالد Ewald's Geschichte بمكتبة الجامعة التي كنت أتردد عليها بعد الظهر يوميًا؛ إذ كنت أدرس مواد المدرسة الثانوية صباحًا، دون أي مساعدة، وبإرشاد بعض تلاميذ المدرسة. /

بلغت في دراسة اللغة اللاتينية واللغة اليونانية مستوى أعلى من ٢٨ مستوى تلاميذ الصف السادس - وفقًا لدليل المدرسة. وساعدتني دراسة الرياضيات، وعلم الطبيعة على أن أقوى من عزيمتي. ساعدني في دراسة الرياضيات محام شاب يدعى "تاتانيل جرين هوت Nathanael Grünhut" الذي قدم علينا من باكس Paks، والتحق بالجامعة - باعتباره مسيحيًا رومانيًا. وكذلك "تولناي أنتال Tolnai Antal" القاضي في مدينة فيوم Fiume. وبالمثل قمت أنا بإعطاء دروس خصوصية درت عليّ بعض الفلورينات Florin شهرًا، وجعلني ذلك أقبل بكل شغف على الدراسات اليهودية المحببة إليّ. ولكي أستطيع مواصلة دراسة التلمود بحثت عن المقر الذي استقر فيه قاضي الحاخام "صموئيل ليف بريل Samuel Löw Brill" ^(١) (قضيت جزءًا من عطلة المدرسة الثانوية عام ١٨٦٥ بمدينة بست) ورجوته أن يلحقني بمعهد Schiur، فسمح لي بذلك. وكنت أتردد على المعهد كثيرًا أثناء وجودي في بست، وأحضر دروس التلمود. وعندما كنت أدرس بهذه المدينة فيما بعد، أفدت من هذه الدراسات كثيرًا. بتعميق معرفتي باليهودية. وكان بريل Brill يتبع الطريقة المثلى في التدريس؛ إذ إنه يعلق صفحة يذكر فيها نقاط الدراسة

(١) S. L. Brill (١٨١٤م-١٨٩٧م) حبر يهودي ببودابست.

أسبوعيًا، ويجعلها محورًا للدراسة تجدر مراجعته دائمًا، وكان لا بد أن تتناول الدراسة أيضًا موضوعات جانبية، وأن تدور مناقشات علمية وفقًا لمواعيد دراستها بالجامعة، وأن تتكرر هذه المناقشات.

بدأ الحبر العالم واسع المعرفة حديثه معنا، فأثار دهشتنا بدراساته عن الأدب اليهودي؛ إذ تعرّض لموضوعات لا يمكن أن يتابعها جماعة اليهود في بست، ويمكن أن تحجب عنهم. ولم تقتصر الدراسة على أدب التلمود مع تضخمها فحسب، بل تمتد أيضًا إلى ما تطمح إليه الدراسات اليهودية العلمية الجديدة. وعلى الرغم من رقة أحوال السيد بريل فإنه يمتلك مكتبة غنية مدهشة مليئة بالمصادر الأساسية التي تغطي مجالات الدراسات اليهودية، والكثير من الكتب النادرة والمطبوعات التي تساعد عند التحاور معه وعقد المناقشات في هذه المجالات. وقد وجد في هذه المنطقة فرصة مثلى يقوم فيها بتدريس تاريخ الأدب اليهودي. لقد تعلمت في مكتبة بريل الكثير؛ إذ قرأت فيها أيضًا الكتب التعليمية، والمصادر المساعدة، وكذلك الكتب الأم لهذه الدراسات، وفيها قرأت كتب زونز *Zunz*، وجايجر *Geiger*، وعرفت طموحات القرون الماضية العلمية والدينية، وبذلك تمكنت من قطع مرحلة علمية جبارة بفضل ما تعلمته من فرويدنبرج *Freudenberg*. ولكنني أثناء تلقي العلم على فرويدنبرج لم أكتفِ بتعميق معارفي فقط، بل كان هدفي هو العمل على اكتساب الخلق القويم، ولم يكن للجانب الأخلاقي أي اهتمام في العملية الدراسية عند بريل *Briil*، ولم يعطني معلمي الجديد - بشكوكه وسخريته - انطباعًا بأنه شخص حكيم مترن يراعي الخلق / إذ إن طرق تعليمه وأفعاله ٢٩ تعكس صورة يهودي أرثوذكسي قديم، وإن كان لم يكف أبدًا عن إطلاق

ملحوظات ساخرة تجعل الشاب الصغير يتشكك في قيمة المواد التي يدرسها وطريقة تناوله لها.

كان لديّ مفهوم عن العمل متعدد الجوانب، تمكنت بسببه من الحصول على استراحة عام ١٨٦٥/١٨٦٦، وكان هذا سبباً في اجتھادي ونجاحي. فعندما كنت في نهاية العام الدراسي - الذي اختصر بسبب اندلاع الحرب النمساوية البروسية- قمت باستغلال منحة الرحلة الصيفية بالذهاب إلى فيسبريم *Veszprém* وبالأتن فيرد *Balaton Füred*، وكنت قد حصلت على شهادة الثانوية بتقدير ممتاز، بشهادة هيئة الأساتذة الجامعيين، وحملت معي عددًا من الكتب باللغة التركية لتكون قراءاتي في الرحلة. وقد استطعت قراءتها بسهولة، دون الرجوع لأي معجم. ويمكنني أن أقرر أنني تقدمت في دراستي تقدمًا يجعلني أعتقد أنني أصبحت مستشرقًا مرموقًا، وعارفًا بالعقيدة اليهودية، وأتمتع بحب وتقدير رجال مشهورين.

واستمرت حياتي على النسق نفسه، وواصلت دراساتي الاستشرافية على أسس عريضة، ولكن كانت الغلبة للدراسات التركية؛ إذ بعد أن فرغت من تحصيل الدراسات اللغوية بعامة، كان هدفي الموضوعي يتجه دائمًا إلى العلاقات المجرية التي يكتب عنها المؤرخون الأتراك، ومن ثم قرأت تاريخ بيشفي *Petschewi* المخطوط بالأكاديمية، وعرفت مجموعة فيريدونس *Feriduns* من بوليتين وإيرلاسن *Bulletin u. Erlassen* التي خرجت على هيئة نشرات وفرمانات للسلطين المظفرين - وعرفت اسم موهاش *Mohatsch*. وبعد عامين لم أجد نفسي عالمًا بمناهة أساليب المنابر للتركية فقط، بل تعرفت أيضًا تدريجيًا على صعوبات صناعة الطباعة البائدة للخط الديواني.

حمل فامبيري، وبالا جي مقالاتي ومؤلفاتي أمام الأكاديمية، تلك التي فاخر بها أبي وأقربائي وكانت تفرحني أنا شخصيًا. كانت صلاتي بالسيدتين نقوى يوماً بعد يوم؛ إذ منحني فامبيري وقتاً أكبر لدراساتي معه، وازدادت عنايته بي أكثر من ذي قبل، فأتسع أفقي لمعرفة العالم، وأصبحت أقل سذاجة على غير المتوقع، عند اعتبار بعض خصوصيات هذا الرجل التي ظهرت لي بعد عدة سنوات، وثمة بعض الكلمات عن ذلك:

أولاً: كان يجب عليّ -أنا في الخامسة عشرة والسادسة عشرة- أن أتبين عدم وفاء الرجل بالوعود، وكذبه، فقد كانت كل كلمة يلفظ بها كذبة. وكانت حكاياته عن ماضيه وسيرته الذاتية ملئية بالكذب، مثل كذبه الفاضح عن الفرص التي يتوقعها لي في حياتي المستقبلية، وعن تأثيره الذي يمكن أن يستخدمه مع الرجال المختصين، وأنه سيجعلني عضواً في جمعية المستشرقين الألمان DMG وأنني بناء على كلمة منه سأنضم إلى الجمعية اللغوية بباريس./

كان يبالغ في الحديث عن صلاته، وعن النجاح العلمي الذي أحرزه، والمحاضرات التي ألقاها، وعما أحدثه في دنيا الصحافة كي ينشر هذه الأخبار الكاذبة بالصحف المليئة يومياً بالكاذيب وتخيلات، مثل مينشهاوزن *Münchhausen*^(١) فسرعان ما كُلف بإلقاء محاضرة من جماعة الكتاب المقدس، وتكليف آخر بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة النترية، أو القيام برحلة دبلوماسية بدعوة من إنجلترا أو من السلطان.. إلخ. وكان يتحدث عن

٣٠

(١) صاحب أكاذيب وتخيلات معروفة بالأدب الألماني.

أشياء يجهلها ولا يعرفها، فيقول مثلاً إنه حج بمكة، ويدّعي أنه مستعرب، أو أنه عالم باللغة المنغولية.

ثانيًا: لاحظتُ بخجل كيف ينسج بخياله أمورًا لم تحدث، وكيف يطمع في اكتساب المال، وكنت أراه بخيلاً قذراً، يعامل أقاربه المقربين بخسة ووضاعة، سواء أكانت أخته أو ابن عمه.. إلخ، وكيف يتحدث عن والديه باحتقار. وقد شعرت بخسته حينما قص عليّ أنه عندما كان مدرساً بمدينة كسكمت *Kecskemét* سرق نقود أمه من حقيبتها.. كان لزاماً عليّ أن أحتقر مثل هذا الإنسان، وأن أشعر بأن كل ما تعلمته منه، وما هو عليه، وما يتقوه به من كلام فارغ عن المستقبل أشبه بقميص قذر عليّ أن أخلعه وألقي به بعيداً عني.

ثالثًا: ولن أنسى كيف كان يتحدث بسخرية عن صباه، ويعلن يومياً تأفّفه من تمسّك أبيه بعقيدته، ويستاء من ارتباطي بالدين، ومن كل ما له صلة بالمثالية (ولو كان لا صلة لهذه المثالية بالعقيدة أيضاً). وعندما كنت أنظر إليه بمنظار ما ربّيت عليه من مقاييس أخلاقية كنت ألاحظ بخله وقذارته ووضاعته، ولكنني أغفلت ذلك، فعوّبتُ عليه؛ إذ إنني حين أتذكّر اليوم أنني كنت على صلة حميمة بهذا الرجل، مؤمناً بما يقول، وكنت تحت سيطرته وتحكمه، يجب عليّ أن أعترف بلا خجل أنني كنت آنذاك تحت وطأة اعتداء خبيث، وكدتُ أفقد شخصيتي بتسلّط نفوذ الدرويش تماماً عليّ.

قررت منذ بداية سنة ١٨٦٧ الاستعداد جيّداً للتقدم لامتحان الأبيتور (شهادة إتمام الدراسة الثانوية)، واستمر استعدادي إلى يوليو من السنة نفسها. وكان عليّ أن أتقدم للامتحان، ولكنني أصبت بالتهاب في الرأس اضطررت

معه قبل أيام من موعد الامتحان أن أعذر عن عدم دخوله، وأن أؤجل امتحاني إلى عيد القيامة ١٨٦٨. وكان "تورداو" *Max Nordau* ^(١) زميل دراسة. أدبت الامتحان بنجاح لم يكن متوقعًا، فتفوقت في مواد الرياضيات الثلاث، وأثبتت تمكني من معرفتها، إذ إن "جليك" *Glück* - الذي أصبح نسيبي (شقيق زوجتي) بعد ذلك - قد أفلح باجتهاده معي بإعطائي دروسًا إضافية، في أن يسدّ فجوات معرفتي باللغات الكلاسيكية (اللاتينية واليونانية). وبهذا أتممت دراسة الفصول الثلاثة / بمجهوداتي الذاتية في وقت أقصر مما لو كنت التحقت بالمدرسة، مع أنني كنت في الوقت نفسه أتكسب بإعطائي دروسًا خصوصية. وممن كنت أدرس لهم السيد فالينتين أونودي *Valentin Onody* في شتاء ١٨٦٧ (وقد أصبح فيما بعد متخصصًا في زراعة البطيخ التركستاني، كما أعددت السيد كسانادي *Csanády* من مدينة *Nagykároly* لامتحان الثانوية العامة *Maturitätsprüfung* استجابة لتوصية المدرس الأول *Török*. توروک

٣١

كنت قد أمضيت فترة النقاهة من التهاب الرأس في مدينة ميسكولز *Miskolcz* في ضيافة أقاربي مدة ستة أسابيع. وفي هذه الفترة إعجابًا شديدًا بالشباب اليهودي بالبلدة، وقمت معهم بتشكيل اتحاد ثقافي وطني، واقتضى مني تشكيله إلقاء كلمات حماسية كثيرة لقيت استحسانًا كبيرًا عند السامعين، ولكن هذا الاتحاد لم يستمر طويلًا، إذ انحل بعد عدة سنوات بسبب الطامعين في رئاسته وصراعهم عليها.

وفي الشتاء التالي حضر إليّ السيد "يوسف فايتز" *Josef Weisz* الذي أتى من مدرسة فيتزبريمر *Westzprimér* الثانوية ليدرس بمدرسة بست *Pest*

(١) (1849-1923) صحفى وكاتب. انظر *A. Schreiber: Max Nordau's Letters to Ignace Goldziher. Jewish Social Studies. XVIII. 1956. Pp. 199-207*

والسيد "برنهارد ألكسندر *Bernhard Alexander*" بتوصية من الحبر هوخموت *Rabbiner Hochmuth*^(١) فالسيد فايتز ريبب هوخموت اختير لوظيفة الحبر. وأعجب ألكسندر بهذا القرار، وأراد أن يفيد منه. واختارني الحبر المذكور للقيام بتدريس الدراسات اليهودية، وبخاصة التلمود لهذين الشابين (وكلاهما أكبر مني بنصف عام). وقبلت بسرور، منتهزاً هذه الفرصة للتدريس لهما كل مساء في حجرتي الصغيرة عن تلمود خولين *Talmud Chullin*، وشعرت بأنني أشغل وظيفة مهمة تجعلني أدرّس أبنًا محببًا لحبرين متقنين. وكانت أُمي الطيبة تقدم الطعام كل مساء للشابين اللذين انقطعا عن الأمور الدنيوية، ولكنهما تمكنا من دراسة التلمود جيدًا. وقد أفادتي هذه الدروس أيضًا في السنتين ١٨٦٧، ١٨٦٨.

أصبح تلميذاي رجلين مهمين، ولا أدري إن كان السبب في هذا تدريسي لهما، وكان عاملا في وصولهما إلى هذا المستوى؟ هذا ما لا يستطيع أحد غيرهما أن يقرره.

لم يستغرق الحصول على شهادة الأبيتور أي وقت في حياتي؛ إذ إنني كنت من قبل طالبًا مستمعًا بالجامعة، وكنت أدرس دراسات عليا في الجامعة، وانشغل بها صباحًا ومساءً، ولكنني حين نزعت هلاهيل المدرسة الثانوية عني، سهّل عليّ كثيرًا أن استمر في دراستي الجامعية؛ إذ استطعت أن أواصل رحلتي دون أن أملاً حقيقيتي بأحمال إضافية لا ضرورة لها. وألحقت بالسنة الثالثة؛ إذ احتسبت لي السنتان والنصف الاستثنائيتان، وبهذا اعتبرت فيلسوف العامين. / وفي هذه الأثناء ضمنت دراسة فقه اللغة المجرية إلى ما أقوم بدراسته من لغات. وسعدت بدراسة هذه المادة. وقابل الأستاذ "قرانز

(١) (١٨١٦ - ١٨٨٩) حبر يهودي في فيتزبريم *Westprimér*.

تولدي *Prof. Franz Toldy*^(١) التحاقى بحلقات النقاش المختلفة، وأغلبها يتعلق بتحليل هالوتي بسزد *Halotti Beszéd* وفقاً للأسس التي وضعها ريفاي *Révay*. وامتدحتني معظم أساتذة الجامعة باعتباري التلميذ الصغير القادم من عند فامبيري *Vámbéry*. ووُعدت مرتين بالترشيح لنيل جائزة مخصصة لذلك؛ على الرغم من تبرم بعض الزملاء، ومنهم الزميل جيريج *Görög* الذي أصبح فيما بعد مدرساً بمدرسة ثانوية، فيما أتذكر.

وفي عام ١٨٦٧/١٨٦٨ تعرّفت على صديق طيب في بداية الفصل الدراسي بحلقات دراسة التلمود التي ينظمها الأستاذ بريل *Brill*. وهو شاب أتم تعليمه الثانوي بمدينة برسبورج *Pressburg* وحضر إلى العاصمة ليلتحق بالجامعة، يدعى "فيلهم باخر *Wilhelm Bacher*"^(٢). وقد جذبني إلى هذا الشاب كونه رزين الخلق، متواضعاً، وله معرفة جيدة بالمعارف اليهودية الكلاسيكية، ومتقفاً ثقافة عامة واسعة. اتفقنا سوياً على أن نتشارك في الدراسة الأدبية. علمته اللغة الفارسية، وقرأنا معاً أعمال سعدي الشيرازي، ودرسنا العربية والسريانية دون معلم قدر استطاعتنا. ولم تساعدنا دروس الأستاذ روتسشكا *Prof. Ruzsicska*^(٣) في التقدم كثيراً في دراستنا التي كنا ننتقلها في الكلية اللاهوتية، وأعني الدراسات التي كان يحصل عليها الطالب المستمع في هذه الدراسات، ويمكنني الآن أن أقرر أن صلتني بهذا الصديق استمرت أكثر من عشرين عاماً، ثم تراخت هذه العلاقة الحميمة. كان باخر يتمتع بروح ممتازة وفضائل كريمة، جعلني أتمكن من معرفة نفسي

(١) تولدي (١٨٠٥-١٨٧٥) مؤرخ أدب.

(٢) باخر (١٨٥٠ - ١٩١٧) أستاذ ومدير مدرسة الأخبار المحلية ببودابست.

(٣) (١٨١١ - ١٨٨١) عالم لاهوت وأستاذ بجامعة بودابست.

وقدراتي. وكانت له أحكام صائبة على الأحوال المعيشية، إلا أنه كان يلتزم دائماً بالواقع والموضوعية، ولم يحاول التفكير يوماً في أن يصلح من الواقع المرير لحياتنا الدينية آنذاك، أو التخلص من مساوئها، وهو ما كنت أصبو إليه، وكان يرفض هذا التمرد مني، يتجه دائماً للصالح، ولا يعبأ بالباطل؛ إذ كان يُعَدّ منذ صغره لكي يكون صادقاً، وألا يقع في حبال الكذب. من واجبي أن أذكر هذا كله عنه، وأن أقرر أن اتجاهه الفكري هذا لم يوقعه في ثنايا عقائد خبيثة، ولكنها تجعله ينتمي إلى جماعة من يطلقون أحكاماً متواضعة مثله،/ واستطاع بشرف أن يتغلب على التيار السائد؛ إذ كان منذ [٣٣] بدايته يبدو في صورة العالم، فاليهودية عنده حقيقة أدبية. ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لي؛ إذ إنني منذ عام ١٨٦٧ كان هذا الأدب نبضة حياتي، ومن ثمّ كانت دراستي للأدب اليهودي تعضيذاً ليهوديتي، وشغلي الشاغل في حياتي، وهكذا علمني فرويدنبرج *Freudenberg*، ومن ثمّ أصبحتُ - وفقاً لما عرفته عن الوحي مما قرأته بكتابات جايجر *Geiger* ^(١) - أتبع هذا النظام من التفكير، لأن فرويدنبرج علمني اتباع طريقة جايجر، وكان لهذه الطريقة تأثير عكسي على عقل باخر.

وهكذا كنت وأنا غلام في السابعة عشرة من عمري محتجاً على فساد الروح والخلق وطهارة القلب والفكر المتأصل في اليهودية المجرية آنذاك، في حين كان باخر قد أعدّ تربوياً ليصبح حاملاً للتشكيل الصامت لهذا الفساد. ونظراً لما مرّ بي في حياتي المهنية - إذ كنت فيما سبق محارباً في سبيل

(١) أبراهام جايجر (١٨١٠م-١٨٧٤م) *Abraham Geiger* رجل دين يهودي. عُيّن مدرّساً للعلوم اليهودية وتاريخها ببرلين.

الرب وتعاليمه - فقد صممت على أن أجذب إليّ باخر- الذي أهله إخلاصه وحماسه ليكون خادماً للحقيقة- ليخرج من سباته، وأن أحثه على الانضمام إلى للكفاح في سبيل تنظيم جيش ينقي العقيدة الدينية مما علق بها من أدران، لتصبح حقيقة دينية واضحة. ولكننا انفصلنا في سنة ١٨٦٨/١٨٦٩، وإن كنا انتظمنا في تبادل الخطابات. واحتفظ باخر بخطاباتي، وبها وجدت إنذاراتي طريقها إليه، وكذلك وجدت في حقيقة رسائلي رفضه لهذه الإنذارات، وكل ما يؤكد من أساليب التعبير الرفض التي يمكن أن تصدر عن تلميذ حلقات النقاش الكهنوتية. احتفظ صديقي برأيه، وتحتم عليّ أن أعاني من طريقة تفكيره معاناة شهيد يهودي. واهتديت بفكري إلى الحقيقة الربانية، وهو ما ساقني مع ما تعرضت له من إنكار وسوء التقدير إلى عزلة تامة، مكتفياً بحلقة صغيرة تجمع أطفال الصغار.

وفي أثناء الأعوام العشرين التي عرفته فيها كنت وثيق الصلة بباخر، واستمرت هذه الصداقة إلى عام ١٨٨٨، ولم أياس قط من أن أكتسب أفضل أصدقائي ليكون زميلي في العمل، وانتهزت كل دقيقة من حياته العملية الناجحة لتحقيق ذلك، ولكن دون جدوى؛ إذ لم يكن مهتماً إلا بالنصوص الدينية القديمة، وتمكن بذلك من أن يشغل مكانة ممتازة يستحقها بجدارة، وأن يحيا حياة هادئة مطمئة لا تتاح للكثيرين.

وفي هذا الوقت وقعت في عام ١٨٦٧ أهم حادثة عالمية في القرن التاسع عشر وهي إعادة الدستور المجري، وكان لهذا تأثير مباشر على مسار حياتي؛ إذ اقترح "يوسف اتفوس" *Josef Eötvös*^(١) وزير التعليم المجري أن

(١) البارون اتفوس (١٨١٣ - ١٨٧١) كاتب ورجل دولة، طالب بتحرير اليهود في المجر عام ١٨٤٠، وتقلد وزيراً في عام ١٨٦٧.

تَقَدَّمَ منح للطلاب للدراسة بالجامعات/ خارج الوطن، وذلك لتكوين هيئة [٣٤] تدريس بجامعتنا. وقد رشحتني لإحدى هذه المنح الأستاذان فامبيري Vámbéry، وبالا جي Ballagi وزكّاني بكل حرارة. وكانا على صلة وثيقة بالوزير، فاستدعاني للمثول أمامه، فذهبت إليه عصر أحد أيام السبت من شهر إبريل ١٨٦٨ بعد انتهاء امتحان شهادة الأبيتور مباشرة، وجلست بقاعة الانتظار - قبل الدخول على الرجل العظيم - أسترجع ما ذقته في حياتي من أيام ضيق، وكان سلواني في عزة نفسي وعلو همتي. ولما دخلت عليه طالبني الوزير أن أضع خطة لمسار رحلتي العلمية التي أطمح في القيام بها، ولم أكن مستعداً لهذا المطلب، ولكنني استعنت بحضور الذهن، وارتجلت خطة لما أطمح إليه آنذاك عن زيارة للشرق العربي، واستطردت في شرح أهمية القيام ببحث معاهد القوم، وتطور حياتهم الدينية والسياسية. وكان هذا فعلاً ما كنت أفكر فيه إذا أُتيحت لي الفرصة أثناء دراستي للتواجد في مناطق هؤلاء الساميين. ورد عليّ الوزير انفوس بقوله إن مثل هذه الدراسة يمكن أن تكون إثراءً للمعارف المجرية. ودعاني لزيارته في وقت قريب بمنزله الخاص. وبعد انقضاء أسبوع، ذهبت إلى منزله يوم الاثنين تلبية لهذه الدعوة الرفيعة. وكنت قد أبلغتُ أثناء ذلك بأن انفوس تحدث عني وامتنحني بقوله فيما بلغني: "لقد أعجبني الصبي اليهودي" وأكد لمن كنت في رعايتهما (فامبيري، وبالا جي) أنني سأرسل في رحلة دراسية إلى ألمانيا كي أتأهل لدراسة اللغات السامية وآدابها على أستاذ متميز في هذه الدراسات. وقد أفصح لي بهذه الكلمات تعبيراً عن رغبته هذه، عندما زرته يوم الاثنين. ثم انتقل إلى السؤال عن أحوال أسرتي، وعن دراساتي السابقة. وعندما أبلغته أنني طالب فقير واساني، ووعدني بأنه بمشيئة الرب سيكفل لأبي معيشة كريمة.

وفي شهر يونيو دُعيت لزيارة الوزير مرة أخرى، واستقبلني الرجل بقوله في لهجة ودودة: "يا جولدتسيهر نحن جاهزون"، وأنه يمكنني أن أعتبر نفسي مكلفاً بالذهاب في الفصل الدراسي القادم إلى برلين، وأن أبدأ هناك دراستي التي قُدمت تخطيطاً لها. ثم سافر الوزير في الأيام التالية إلى كارلزباد *Karlsbad*، ولكنه أوصى نائبه بالمعلومات الضرورية عني. وكان على النائب - روتينيا - أن يتقدم بالطلب إلى أعضاء مجلس الجامعة، وكان عليّ الانتظار لقرارهم بالسماح لي بالسفر إلى الخارج. واستقر اقتراحي بخطة الدراسة بمكتب رئيس الجامعة، وكان آنذاك رئيس الكنيسة الغبي "ألويس رودر *Alois Roder*"^(١)، وكان أستاذاً للدراسات التربوية العليا، وهو رجل محدود الأفق. وكان يرى أن حصول غلام يهودي على منحة دراسية بالخارج عار على الحكومة المجرية الجديدة. / فترك الملف في حقيبته إدارياً للوقت. فذهبت إلى فخامة رئيس الجامعة، ورجوته ملخاً، أن يرسل خطة الدراسة، فعبر لي عن رأيه بأنه لا مانع لديه من أن أحصل على البعثة من المنح اليهودية. وقال بصراحة إنني لن أحصل منه على أي منحة، ولما أبديت اعتراضي المتواضع على ذلك، أدار لي - محب الكنيسة - ظهره قائلاً في غضب: "أتظن أنك تخاطب حبراً يهودياً *rabbinus*؟ وتركني بين موظفي مكتبه أفكر متأملاً، كيف يمكن أن تترك حكومة انتفوس *Eötvös* الجامعة بين يدي رجل دين غبي مثله. ولكن فخامته سافر بعد يومين إلى كوريتنيزيا *Koritnyicza* دون أن يوقع على الملف شديد الأهمية بالنسبة لي، وأغلق عليه مكتبه دون أن يرسله. وكنت أشعر بما وقع عليّ من ظلم فادح، وانني كنت

٣٥

(١) *Alois Roder* (١٨٣١م-١٨٧٣م) أستاذ الفلسفة بجامعة بودابست.

ضحية لسوء تصرف هذا الرجل وغبائه. وتذكرت أنني حين كنت في الخامسة من عمري تتبأت لي عرافة غجرية بمدينة شتولفايزنبورج، كانت تقف أمام دكان أبي بأنني سأعاني في حياتي من رجل دين في منصب كبير، وسيصيبني منه ظلم فادح وسوء حظ. ولم أرغب في أن أدع هذا الظلم ينتصر عليّ دون أن أصارعه، فتشجعت وأرسلت خطابًا إلى الوزير في كارلزباد ضمنته اقتباسًا من كتابه "صاحب الجندول" *Gondolatok*، وجعلته خاتمة لرسالتي لأبين له أنه ليس من اللائق أن يرفض ما وقّع عليه من طلب المنحة لي، وأن خططه لا ينبغي أن يفسدها تحيز أحق. وبعد إرسال الخطاب له ببضعة أيام أخطرني رئيس القسم ميسيزاروس *Mészáros* بالوزارة أن بعثتي حظيت بالموافقة، ولا أدري إن كان هذا بسبب خطابي أم بسبب خطاب اتفوس إلى الوزير تاناركي *Tanárky* (كان موجودًا بكارلزباد آنذاك)، وقد طبع هذا الخطاب ضمن تأبين لورنز *Lorenz*.

وبعد عودة الرجل النبيل من كارلزباد تمكنت من لقائه مرة أخرى لأشكر له ما قام به من جهد ساعدني على أن أخطو خطواتي الجريئة. وقد قابلني بأبوة حانية، وحملني تحيات لوالديّ، وألزماني بالكتابة إليه من برلين كل شهرين لأعلمه بمسار دراستي. وزودني بتوصياته الشخصية إلى جراف فيمبفن *Graf Wimpffen* الوزير النمساوي المفوض - مجري الأصل - في برلين. وبهذا انتهت فترة دراستي بمدينة بست *Pest*. واستبشرت بانتيان فجر حياتي. وفي فرحة اخترنتها في نفسي / بدأت أتطلع إلى المستقبل، واصلت في خشوع في الأيام التالية وأيام الإجازات المباركة إلى جوار أبي في المعبد بالسيناغوجي القديمة (المعبد اليهودي)، ودعوت للوزير اتفوس *Eötvös* بدوام

الصحة والعافية. وجدتت نذوري بأن أحافظ على إيماني بعقيدة أجدادي فيما ألقاه في حياتي المقبلة في السراء والضراء.

الأعوام ١٨٦٨-١٨٧٢:

لم تساعدني الأيام الأولى التي قضيتها في برلين على الاحتفاظ بتفاؤلي بمستقبل مشرق؛ إذ كنت غلامًا في الثامنة عشرة من عمري. اعتدت أن أحظى برعاية أمي الحبيبة، وجدتي المعطاءة، وفجأة وجدت نفسي في مدينة كبيرة غريبة عني. وكان معي خطابات توصية كثيرة لأقدمها لأناس غير مَرَحِبِينَ. وأضعتُ في سبيل ذلك كثيرًا من الوقت دون أن أستطيع تأسيس صلات أسرية حقيقية في برلين، إلا أنني وجدت استقبالًا مريحًا من أسرة كلاوسنر *Klausner*. وكان السيد كلاوسنر كاتبًا وأديبًا واسع الاطلاع، وابنه صاحب مكتب كلاوسنر للمراسلات. وعندما ذهبت إلى منزله كان الرجل الوحيد الذي استقبلني مع أسرته بحرارة. واعتدت بعد ذلك أن أذهب لزيارة الأسرة في أمسيات أيام الجمعة.

كان لخطابات التوصية التي حملني إليها الوزير نفوس إلى الوزير المفوض فيمبفن *Wimpffen* تأثير قوي. كما تأثرت أيضًا برؤية الأكواب الفضية التي يقدمها خدم يرتدون زيًا خاصًا - (ولم أرَ مثل هذا الاحتفال قبل ذلك) في صالون الوزير المفوض، ثم اعتدت على رؤيته بعد ذلك. كان الخطاب الذي حملته لفيمبفن مليئًا بكثير من أوصاف المديح التي أسبغها عليَّ سيادة الوزير، مما جعل الوزير المفوض يستقبلني بترحاب وبشاشة غير معتادة، ويترك لي حرية التواصل معه كلما احتجت إلى ذلك. وأوصاني بأن

أقدم نفسي باسمه إلى مستشار الوزير المفوض جراف زالوسكي *Zaluski* الذي عينني مترجمًا للنصوص المجرية، ومترجمًا فورًا لهذه اللغة أيضًا بالمفوضية، فتجولت في متاهة أروقة المفوضية إلى أن وصلت إلى مكتب جراف زالوسكي. وبعد أن قدمت نفسي، ولج من باب الغرفة شاب طويل القامة له لحية حمراء. وقال لي بلهجة حادة: "ألم أقل لك إنني لا أستطيع مساعدتك أبدًا؟" وأضاف كلمات أخرى، فخرست ولم أنطق حرفًا واحدًا، واندفعت خارجًا من المبنى، وسعدت عندما وصلت إلى شارع فيلهلم. (لقد خلط زالوسكي بيني وبين منسول ألخ في سؤاله بالطريق). ولما دخلت مسكني الموحش بشارع أورانيين بورجر *Oranienburgerstr* رقم ٨ أجهشت بالبكاء لشدة الاستهانة بشخصي على نحو ما حدث. وظل الأمر منطبقًا في ذهني دائمًا./

كانت نافذة حجرتي تطل على المدفن القديم الذي دُفِن فيه بقايا موسى مندلسون *Moses Mendelssohn*^(١). واعتدت أن أتطلع إلى المدافن، واتحسر على الأمسيات التي قضيتها أتطلع فيها إلى جماعات من رجال أبرار يقطنون بشارع أورانيين بورجر، ويتمتعون بعيشة هادئة، ولا يحتاجون إلى رؤية الجراف زالوسكي ثم يضطرون إلى الإسراع في الهبوط على درجات سلم المفوضية للابتعاد عنه. وخطر لي في إحدى الأمسيات أنني أستحق ما حدث لي، وخطر في بالي آنذاك - وأنا أتطلع إلى سماء الخريف المليئة بالنجوم

(١) موسى مندلسون (١٧٢٩م-١٧٨٦م) *Moses Mendelssohn* فليسوف ألماني صديق الشاعر لسنج *Lessing* عم مبادئ عصر التنوير وأفكاره وأثر بذلك في تحرير اليهود الألمان *Emanzipation*. ألف حوارًا بعنوان *Phadom oden* سنة ١٧٦٧م عن الخلود (أو الأبدية) وهو عنوان حوار لأفلاطون بالعنوان نفسه.

فوق شواهد القبور المعتمدة الشامخة إلى أعلى- أن مندلسون لم يزر قصر المفوضية النمساوية، ولم يضطر إلى أن ينظر إليه أحد، وكأنه متسول.

وفي أحد الأيام زارني طالب مستمع للدراسات الإنجيلية الدينية يقطن في الحجرة المجاورة لي. جاء ليسألني عن سبب بكائي، ومناجاتي لنفسي بصوت عالٍ، وتحدث معي مواسيًا. وعندما كنا نجلس سوياً، دخل حجرتي رجل جاء إليّ بتكليف من جراف زالوسكي *Graf Zaluski* يعتذر عن سوء الفهم حين اختلط عليه الأمر، وظنني رجلاً آخر تسبب في ازعاجه بمكتبه في الأيام السابقة، ويتأسف كثيراً لتسرع في مخاطبتي بهذه العبارة، وأنه سيرتاح كثيراً إذا قمت بزيارته على الفور إن أمكن ذلك. ولم أذهب إليه، وفقدت الرغبة في أن أظأ دهاليز قصر المفوضية لأحظى برؤية السيد العظيم.

قمت بزيارة الأساتذة الذين سأدرس عليهم، وقابلني بعضهم بسخرية لاذعة؛ إذ كانت نظرهم إلى ما يقومون بتدريسه آنذاك بشمال ألمانيا بعيدة كل البعد عما يدرس بالنمسا من علوم يرونها ذات مدلول هزلي، وبخاصة نظرهم لما أريد التخصص فيه، الذي تعرفوا فيه على ما قام به "همر-بورجشتال *Hammer-Purgstall*"^(١). فضلاً عن ذلك كانوا يعتبرون المجر بلداً بربرياً تماماً، وبدا لهم من العبث أن يأتي أحد منها يطعم في أن يكون عالماً. وبخاصة أن أحد معلمي اللغات عندهم كان مجرياً يدعى "يوليوس دالوس *Julius Dallos*" وكان محتالاً وجاهلاً، يدعى في برلين آنذاك أنه مستشرق. وكان هذا هو السبب في ارتياب الأساتذة في قدراتي.

(١) همر - بورجشتال مستشرق نمساوي (١٧٧٤-١٨٥٦) كانت مترجماً بالبلاط النمساوي.

وعندما بدأت الدراسة سجلت إلى جانب دراستي لفرع من فروع الفلسفة، وحضور المحاضرات العامة، دراسة الكتاب المقدس، واللغتين العربية والسريانية عند "إميل ريدجر" *Emil Rödiger* ^(١) و"ديتريسي" *H. Dieterici* ^(٢)، و"هاربريكر" *T. Haabrücker* ^(٣) و"فيتزشتاين" *J. G. Wetzstein* ^(٤). وتعلمت معلومات ممتعة لي على يد هذا الأخير الذي كان قنصلاً معروفاً بأنه كان مدرساً خصوصياً، يحاضر عن لغة البدو، وعاداتهم. ولم أستمع إلا بمحاضراته؛ فلم أستمع بمحاضرات ريدجر؛ إذ كان يقرأ محاضراته عن العهد القديم من الكتب، وكانت محاضراته عن الدراسات العربية تعليمية محضة. ولم يلقَ علمه الغزير أي قبول من الطلاب، ولم يكن لدروسه أي أثر عند المتلقين؛ إذ لم يكن في استطاعته أن يقدم أي معلومة للطلاب دون إعداد سابق للمحاضرة، عدا الصرف وحالات الإعراب التي يمكن حفظها باعتبارها العناصر الأولى التي يمكن للمبتدئ / - أو لمن يتعلم العربية دون معلم مثلي في الدراسات ٣٨ السامية- أن يرجع إليها في كتب قواعد هذه اللغات. وكانت محاضراته تفتقد التعمق في الدراسات الأدبية أو دراسة الفرق الإسلامية. وكان يقيم ندوات علمية مرة أسبوعياً غالباً، يعقدها في منزله، ويخصصها للحديث عن الفرق الإسلامية. وكان الطلاب لا يهتمون بها، ولكنني أفدت منها كثيراً، لأنها أتاحت لي أن ألقى نظرة لأول مرة على مادة وموضوعات شغلنتني بعد ذلك طوال حياتي. وأفدت

(١) إميل ريدجر (١٨٢١-١٨٧٤)، كان يدرس في برلين منذ ١٨٦٠ للغات الشرقية.

(٢) ديتريسي (١٨٢١-١٩٠٣) مستشرق.

(٣) هاربريكر (ت ١٨٨٠) مستشرق، ترجم الملل والنحل للشهرستاني.

(٤) فيتزشتاين (١٨١٥ - ١٩٠٥) خبير بشئون سوريا وفلسطين.

أكثر من ذلك من محاضرات دكتور "شتاين شneider M. Steinschneider"^(١) الذي كان يشغل كرسي "فايتل هاينه Veitel Heine" عن الفلسفة اليهودية والأدب العربي اليهودي؛ إذ كانت مثيرة لي؛ لأنها جعلتني أزيد من اجتاهدي الشخصي لدراسة الأدب العربي الذي أنتجه اليهود.

تعمقت في دراسة المؤلفات النحوية والفلسفية، فدرست كتب حنوج Chaijug، وابن جناح Gannach، وموسى بن ميمون Maimonides دراسة متعمقة. وكانت هذه الدراسة الأساس الذي بنيت عليه رسالة الدكتوراه عن تانخوم جيروشالمي Tanchûm Jeruschalmi^(٢). وإلى جانب ذلك حرصت على زيارة السيد "زومبر L. Zomber" كي ألتقي دراسات في التلمود في بيت المدراس (بشارع الأزهار Rosenstrasse) فقد صاحبني حبي للتلمود في رحلتي إلى هذا البلد القاسي، ولكن لم أكتف بما يعرضه الأستاذ زومبر عن الدراسات التلمودية بتحليل نقدي بسيط، بل استمعت بمواصلة هذه الدراسات في حجرتي، ومن ثم كونت بحجرتي مكتبة يهودية زاخرة.

كان من معارفي في برلين السيد "ليبرشت Lebrecht" (١٨٧٦-١٨٠٠) ناقد التلمود المتميز (عالم يهودي بجامعة برلين تابع ما كتبه جيزايا Jesaia بجامعة برلين، وهيرش خايس Hirsch Chajes من دراسات نقدية للتلمود ونشرها)، فهو شيخ عالم كان يُطعم ثمرات الدراسة في قاعة محاضرات موزس سوفر Moses Sofar مع كتابات جرنينوس Gesenius الناضجة. وقد زرته كثيرا في الأيام الأولى من زيارتي لبرلين. وكان آنذاك رئيس معهد فايتل هاينه، ويقطن في المعهد نفسه.

(١) مستشرق وعالم بالكتاب المقدس.

(٢) عنوان الرسالة Studien über Tanchûm Jeruschalmi.

اهتم الشيخ جيزايا صيبانيّ التصرف بدراساتي الخاصة اهتمامًا ودودًا، واستمع لشكواي من حياتي الموحشة، ونفوري من معيشتي ببيت الضيافة، ومن الحي الذي أقطن فيه وأختلط بساكينه، ووجدتي أيضًا إلى جوار صانع الأحذية الشعبي الذي لا يعاشر، فتأثر كثيرًا، ووعدني أن ينقلني إلى مسكن أسرة طيبة.

وبعد أيام قليلة قدمني إلى السيد "أدولف برلينر *Adolf Berliner*" الذي كانت زوجته تهتم بشئون مسكني من قبل. وانتقلت إلى السكنى مع أسرة طيبة، ونعمت بتعاطفها معي، وعرفت معها معنى الصحبة اللطيفة والأخلاق الحميدة بعد أن كنت أرعب من وجودي في المدينة الكبيرة؛ إذ وجدت في السيد برلينر وزوجته أبا وأما، وشكرت لهما ذلك كثيرًا، لأنني صُنْتُ نفسي عندهما ولم أقع في الخطيئة. / كما أنهما عاملاني وكأنني طفل لهما؛ وسكنت في غرفة مكتب صاحب المنزل الذي شاركني في دراساتي، فنعمت معهما بحياتي، وأقبلت على دراساتي بشغف. فكنت أزالو الدراسات اليهودية والاستشرافية، وأجلس أمام المكتب ساعات طويلة، ويشند أسفي إذا ما اضطرت -حوالي الساعة الثانية صباحًا- إلى إطفاء مصباحي، لأعود فأشعله فيما بين الساعة السادسة والسابعة صباحًا كي أجلس إلى مكتبي.

كانت سنة زاولت فيها الدراسة الجادة التي أدين لها بالكثير، ويشهد على ذلك ما دونته فيها من ملحوظات دراسية. كنت آنذاك نهماً للعلم والدراسة، واختطت لنفسي الأسس اللازمة لمحاضرات الجامعة ولمعظم دراساتي الخاصة.

وفي الصيف قام دكتور "ريدجر *Rödiger*" بإعطائي دروسًا خاصة مع "جوستاف يان (1837-1917) *Gustav Jahn*"^(١) الذي هجر دراسة اللاهوت

(١) درّس له إميل ريدجر كتاب المفصل للزمخشري في جامعة برلين عام ١٨٧٠.

نتيجة مشاكل وقعت مع القائمين على الكنيسة، وبدأ في دراسة الاستشراق. وقد أثارتني صحة يان كثيرًا، فقد أفادني في دراسة فلسفة هيغل *Hegel*، والدراسات اللاهوتية التي كان ضحية لها، وتسببت في هجرته من تينجن إلى برلين. وكان يحاضرني أثناء نزهاتنا الكثيرة عن العهد الجديد (الإنجيل) الذي قرأناه سوياً، كما بدأت - بفضل - أفهم جيداً كتابات جايجر *Geiger* بعد أن درست شتراوس *Strauss*، وباور *Bauer*. وقد ساعدني يان كثيراً بتقديم المراجع اللاهوتية الدينية. وقد كافأته بإعطائه دراسات الأخبار، ودراسات في اللغة الفارسية.

كانت الدروس الخصوصية لريджер تشمل أيضاً المخطوطات وتحقيق المخطوطات، وغالباً ما كانت عن المخطوطات الموجودة بالمكتبة الملكية التي عهد إليه بتسجيلها، وكانت معظم هذه المخطوطات مدونة باللغة الفارسية. وقد أعطاني ريджер معظم ما كان يمتلكه منها باعتباري تلميذاً له. وقد اجتهدت في دراسة ما أخذته منه بعد ذلك؛ إذ جعلتني منعطشاً للرجوع لمصادر الغنية. ووجدت في المخطوطات ضالتي وبخاصة عندما حثني "الأستاذ فلايشر (١٨٠١-١٨٨٨) *Prof. Fleischer*"^(١) على قبول هداياه منها. وحتي ريджер على قبول هذه الهدايا.

وفي أغسطس ١٨٦٨ ودعتُ برلين مزوداً بمعلومات كثيرة اكتسبتها بها. وكانت دراستي عن تانخوم جيروشمالي شبه مكتملة في حقبة سفري. ومررت في رحلتي إلى وطني بمدينة برسلاو *Breslau*، حيث أحضرتُ معي باخر *Bacher*، وأمضيت معظم إجازتي بمدينة كوروشجي *Köröshegy* حيث نزلت ضيفاً على عائلة ليفن تربت *Löwentritt*، وهي عائلة تربطنا بها صداقة

(١) كان أستاذاً للغات الشرقية بجامعة لبيزج اعتباراً من ١٨٣٥.

حميمة، وقضيت أوقاتاً طويلة هناك للاستراحة من عنت دراساتي السابقة. وكثيراً ما كانت هذه القرية تجذبني إليها، لأنها قرية صغيرة تقع على بحيرة بلاتنزيه *Plattensee* ولوجود شارلوتي *Charlotte* الابنة الصغيرة لأسرة ليفن تربت، التي كانت صديقة لأختي وكنت صديقاً حميماً لها منذ عدة أعوام. وكانت الفتاة لا تعد جميلة، ولكنها كانت صريحة، صافية الروح مما جعلني أعاطف معها، ودفعني ميلي الصادق إليها إلى أن أقرب منها بتبادل الخطابات معها بانتظام،/ مما زادني حباً لها، وكان شوقي لها شوقاً روحياً، ٤٠ وهذا جعلني أقبل على دراساتي بطريقة منضبطة وبوعي يقظ.

قضيت عدة أسابيع في ضيافة عائلة ليفن تربت محترماً، وسعيداً بصحبة شارلوتي، نقرأ سوياً ما يُنشط حياتها العاطفية، ويقربها لمعرفة طموحاتي. وكانت تستمع مبهورة - كتلميذة تقدر أستاذها - لمحاوراتي معها التي أدت إلى توثيق علاقتنا بهذا الحوار الذي لا يجنح إلى أهواء دنيوية. وفي أثناء إقامتي لديهم اجتهدت في إنهاء رسالتي عن تانخوم جيروشالمي أيضاً، فأصبحت معدة للنشر، وقمت بنشرها عام ١٨٧٢ أثناء أسابيع الإجازة التي أقضيها كل عام بمدينة كوروشجي *Köröshegy*. ودامت هذه العلاقة التي رفعت من روحي المعنوية وقوتها دون أن يكرر صفوها أي شيء، إلى عام ١٨٧٣ الذي تزوجت فيه شارلوتي تاجر ثيران بمدينة تينتي *Tétény*.

وفي أثناء العطلة انتهزت فرصة وجودي بالمدينة، فزرت الوزير عدة مرات استفسر مني أثناءها عن دراساتي في الشهرين السابقين، وعبر عن رضاه عما أنجزته في دراساتي، وعن تصميمي على مواصلة دراستي بمدينة ليبزج. وبعد أن تحاورنا عن سبب قراري هذا وافق عليه كلية، وأخبرني

بزيادة منحتي المالية. واستمعت إليه، وحمرة الخجل تغلو وجهي، إذ تبيننت أن أنفوس Eötvös راضٍ عني تمامًا، بل أكثر من رضاه عن جميع من أرسلهم معي للدراسة بالخارج، وقد صرح بذلك أمام زملائه.

كان أول سؤال وجهه إليَّ عندما زرتَه بعد عودتي من برلين عن صحة والدي. ولعله فكر مليًا في عمق ما يَكُنْه له الطالب الصغير من مشاعر الاحترام، ومدى حبه إياه. ولن أنسى كذلك كلمات الوداع التي شيعني أنفوس بها عند رحيلي إلى ليبزج؛ إذ ألزمني بأن أتقدم برسالتني التي أعدها لنيل درجة الدكتوراه في غضون العام الجامعي ١٨٦٩ / ١٨٧٠، وأن أبدأ بعدها على الفور في التسجيل بجامعة بست Pest للحصول على شهادة الهابيل "Habilitation" (شهادة الدكتوراه التي تؤهل للحصول على الأستاذية)، وحين ذكرت له أن شابًا في العشرين من عمره لا يستطيع تسجيل نفسه للحصول على درجة الأستاذية الموقرة، ليصبح أستاذًا بالجامعة، فإن هذا غير مقبول لصغر سنه، قال لي: "العبرة ليست بالسن، فالتقارير التي بلغتني عنك تؤكد أن ما وصلت إليه في دراسائك تجعلني أثق في قدرتك على الحصول على هذه الدرجة، ومن ثمَّ يجب أن تحقق هذا، وستحصل على إجازة لنيل هذه الدرجة، وستشغل بعدها وظيفة بالمكتبة، ولكن يجب ألا تنهك نفسك كثيرًا بالعمل، وأن تحافظ على صحتك، ولا تتشغل كثيرًا بالدراسة، مثلما تبيننت من التقارير التي رأيتها". وبهذا يمكن تبين مقدار اهتمام هذا الرجل العظيم بتفاصيل حياتي./

وبعد عدة أيام من هذا التوديع الرائع قدمت نفسي إلى "الأستاذ فلايشر Prof. Fleischer" بجامعة ليبزج. وكانت توصية الأستاذ ريدجر عني قد

وصلته، تلك التي كتب فيها -فيما أخبرني الأستاذ فلايشر- ضمن ما كتب عني من صفات أخرى: "ستجد جولدتسيهر "مُرِيدًا"^(١) *Murid*، وليس ثمة ما يدل على أنه سيصبح "ماردًا"^(٢) *Mârid*."

وبعد أن تحدثت مع الأستاذ فلايشر عما اختطه لدراستي المقبلة، وما أبتغيه من دراسات خاصة بالمنزل، حمّلي عددًا من الكتب من مكتبته الخاصة، كي أقرأها. وفي هذه الزيارة قدّم لي أفراد عائلته، ودعاني لزيارته كلما عنّ لي ذلك مساء أي يوم، وأن أرجع إليه في جميع الأمور العلمية الحيائية في حرية تامة.

وسجلت اسمي لحضور جميع محاضراته في اللغة العربية والفارسية والتركية، سواء في الدراسات الأدبية أو اللغوية. كما سجلت أيضًا محاضرات "كريل (١٨٢٥-١٩٠١) *L. Krehl*" عن اللغة السريانية، واللغة العربية، ومحاضرات "بروك هاوس (١٨٠٦-١٨٧٧) *H. Brockhaus*" عن اللغة السنسكريتية (نحوها)، ومحاضرات "دروبش (١٨٠٢-١٨٩٦) *Drobisch*" عن الفلسفة، كما سجلت محاضرات أخرى.

وعلى الرغم من أن محاضرات فلايشر كانت تتعمق غالبًا عندما يتحدث عن أسس البناء اللغوي، ويشرح بنية التعبيرات اللغوية ودلالاتها، فإنني بعد استماعي لدروسه، واتصالاتي الخاصة به في وقت قصير، وجدت نفسي اهتم اهتمامًا خاصًا بتاريخ الإسلام، ومؤسساته (معاهده ومذاهبه). ومن ثمّ بدأت الفصل الدراسي الأول لالتحاقّي بالجامعة بدراسة الشريعة الإسلامية.

(١) مُريد: هي الكلمة العربية التي تدل على التلميذ المخلص لأستاذه.

(٢) مارد: هو العنيد المتمرد. وهذا هو المقصود هنا.

وقد أصبحت تلميذاً محظوظاً بين تلاميذ فلايشر، إذ إنَّ أسئلتي التي أوجهها إلى الأستاذ، وإجاباتي عن أسئلته، جعلتني - سريعاً - واسطة العقد بين التلاميذ، وموضع الاهتمام بينهم، فأطلق عليَّ التلاميذ لقب "الشيخ الصغير"، في حين أطلقوا على الأستاذ فلايشر لقب "الشيخ الأكبر".

وكان زملاء: "روزن (١٨٤٩-١٩٠٨) *Baron V. R. Rosen*"^(١)، و"شتادي (١٨٤٨-١٩٠٦) *B. Stade*"^(٢)، و"المكفست (ت ١٩٠٤) *L. Buonazia*"^(٣)، و"بونازيا (ت ١٩١٤) *H. Almkvist*"^(٤)، و"أورلي (١٨٤٦-١٩١٢) *Graf W.W. Baudissin*"^(٥)، و"أورلي (١٨٤٦-١٩١٢) *K. von Orelli*"^(٦)، و"تشندورف (١٨١٥-١٨٧٤) *C.von Tischendorf*"^(٧)، وهم أشهر الطلاب الذين حضروا المحاضرات وقاعة البحث. وكذلك "إنبيرج *W. Eneberg*" الفنلندي، والأمريكي "فيكس *W. Wickes*" وهو دارس للكتاب المقدس، ومؤلف كتاب *A.Treatise on the Accentuation of the Twenty- One socalled Prose- Books of the Old Testament , Oxford 1887* (معالجة النطق بالنبر في الواحد والعشرين كتاباً التي تُعرف بالكتب النثرية للتوراة).

كان فيكس ضمن الطلاب الذين حضروا المحاضرات. أما "كاوتش *E. Kautzsch* (١٨٤١-١٩١٠)" الذي أصبح أستاذاً للدراسات الإنجيلية بجامعة هاللي، فقد كان مدرساً بالمدرسة الثانوية ثم انضم إلينا.

-
- (١) كان يحاضر منذ ١٨٧٢ بجامعة بيلترزبرج بكلية اللغات الشرقية مدرساً ثم أستاذاً.
 - (٢) عالم بالدراسات الكهنوتية الإنجيلية، وأستاذ للدراسات الدينية بجامعة جيسن.
 - (٣) أمضى سنتين ونصف بسوريا ومصر والنوبة والسودان، وعنى بالدراسات الشعبية.
 - (٤) مستعرب وأستاذ في سينا *Siena*.
 - (٥) رجل دين ومؤرخ ديانات وأستاذ بجامعة برلين.
 - (٦) رجل دين إنجيلي وأستاذ بجامعة بازل.
 - (٧) رجل دين إنجيلي وأستاذ بجامعة ليبزج.

كنت موضع اهتمام الزملاء جميعاً، وكنت أعد في حجرتي للمحاضرات التي سنتلقى في اليوم التالي في منزل كاوتش للضيافة كل يوم أربعاء عن البيضاوي، وكان إعدادي لها يستغرق الأسبوع كله، ومن ثم كنت أتعرف على الكلمات والآيات إذ كنت أمتلك الكتاب. وقد عرف كاوتش ذلك، وشكر لي تحريرياً جهودي العلمية التي قمت بها، وكانت ذات نفع. وما زلت أحمل أجمل الذكريات التي استمتعت بها في حياتي كلها لمحاضرات فلايشر. وكان تقديره لي يزداد يوماً بعد يوم، وكذلك كان شعوره نحوي؛ إذ صرح بذلك مراراً أثناء المحاضرات. وكنت آنذاك راضياً عن نفسي؛ إذ اجتهدت في دراسة الكثير من المواد.

وليس لدي ما أقصه عن دراستي في أي مادة أثناء الفصل الدراسي الشتوي ١٨٦٩-١٩٧٠ مع أنني قرأت كل ما في المكتبة،/ وبحث عن المخطوطات التي تتحدث عن الرفاعية، وإن كان ما ألزمني به الأستاذ "أتفوس Eötvös" من ضرورة أداء امتحان الدكتوراه كان يثقل كاهلي، وكأنه حملٌ من الرصاص فوق عاتقي. ففرغت من الرسالة، ولكن كان على أن أعدّ لفرعين دراسيين آخرين، فاخترت مادتي التاريخ القديم والفلسفة. وكان لهذا الالتزام جانب حسن؛ إذ حفظني من أن أضع جهدي كله في دراسة فرع واحد، ومكنني من الاهتمام بالثقافة العامة. ومن ثم درست الفلسفة بمساعدة صديق لي، كان يجب أن أذكر اسمه من قبل، وأن أقرّ ب صداقتي له. وقد ساعدني في تكوين ثقافتي العامة، أقصد "مورس كلاين مان"^(١) (Kármán) Moriz Kleinmann (١٨٤٣-١٩١٥).

(١) تربوي وأستاذ جامعي، واسم الشهرة Kármán.

عرّفني به "باخر Bacher" في صيف ١٨٦٨. وكان آنذاك حاصلاً على درجة الدكتوراه، وجاء إلى بست للتدريس للتلاميذ اليهود بالأكاديمية التجارية، ولبعض تلاميذ المدرسة الثانوية مادة الدين. وعُهِدَ إليه آنذاك تحرير الصحيفة الرسمية لحزب التقدم اليهودي التي كان "أدولف فني فيسي (١٨٣٧-١٩٢٠) A. Fenyvessy^(١)" مسئولاً عنها، ولكن كان ينقصه فهم طبيعة العمل، ولا يهتم بذلك كثيراً.

وكان كلاين مان التلميذ المفضل عند "ليوبولد ليف (١٨١١-١٨٧٥) L. Löw" رئيس أخبار مدينة سيجد Seeged وكان هذا هو السبب في انتهاجه للتخصص في الدراسات الدينية اليهودية التي كان يعلق عليها آمالاً كبيرة.

وعندما زرت هذا الشاب العالم أول مرة أبهرني بسماته الجادة، وتصميمه على تحقيق مبادئ أساسية سمعناها منه، فضلاً عن خلقه الرفيع، وسعة اطلاعه المذهلة في كل المعارف. فقررت أن أقرب منه، طمعاً في أن أقتدي برزاقته. وتحادثنا عن تاريخ الديانة اليهودية. ووقفت متضائلاً أمامه لأنني تخصصت في مادة واحدة، ومعلوماتي العامة محدودة أمام هذا الإنسان، الذي سمعت منه في حديث سريع عابر حقائق كثيرة، كانت تتردد في أذني وكأنها وحي يوحى، وإن كان يطلقها وكأنها مسائل بديهية، تتدفق من بين شفتيه بسهولة ويسر، مع أنها أفكار عميقة تستحق التأمل.

وتَقَلَّ على أنه يريد أن يواصل الحديث مع قزم مثلي في معلوماته الدينية، يقف أمامه. ولذلك حرصت على أن أقرب منه وأن أصادقه كي

(١) ستينوجراف ببودابست.

أثري معلوماتي الدينية، طمعاً في أن لقائي المتكرر به سيفيدني جداً. وعند زيارتي الثانية له لم أشعر بأنه يقربني إليه كثيراً، ولكنني كنت دائماً معجباً بعبقريته النادرة. وتبينتُ للوهلة الأولى أنني منذ أن عرفت الشيخ "فرويدنبرج *Freudenberg*"، لم أتعرف بإنسان مثله، حصل كل هذه الحقائق والمعلومات التي أكسبته شخصية مهيمنة، وجعلته رجلاً معتدلاً، ذا قدرات متجانسة، شريفاً واثقاً بنفسه، متزناً في أفكاره وحديثه وأفعاله. / ولما اتضح له شناعة شؤون الصحافة اليهودية الرسمية وكرهها، حملني فني فيسي عبء هذا العمل، وكأنه كان ميراثاً له، فقامت بإدارة تحرير مجلة إسرائيليّنا كوزلوني *Izraelita Közlöny* ثلاثة أشهر متتالية. وكان الوقت قد حان للإعداد للمؤتمر، وينبغي أن أكتسب الخبرة الكافية التي تمكنني من إصدار الصحيفة اليهودية الرسمية يومياً، ولكن رحلتي إلى برلين تسببت في إبتعادي عن إتمام هذا العمل، بعد أن كنت زميلاً مجتهداً مشاركاً في إصدار الجريدة؛ إذ إنني اعتدت أن أحقق ما أصبو إليه، وأن أتم ما يُعهد إليّ به.

لم أوفق في محاولة مراسلة كلاين مان من برلين، ولكنني فرحت عندما علمت منه أنه شبع من الخبرات البغيضة التي مرّ بها أثناء عمله مدرساً للدين، وأنه أدار ظهره للوظيفة الدينية ليرحل إلى الخارج لحصوله على منحة أتفوس لدراسة التربية ووسائل التعليم؛ إذ إنه اختير ليصبح أستاذاً للتربية. ومن ثمّ كان علينا أن نجتمع سوياً في مدينة بالخارج، وعند ذلك منيتُ نفسي بالكثير. فلما وصلت إلى ليبزج لم أبرح حتى أصبحنا صديقين، وسكناً بمنزلة متقاربين، وبذلك تمكنا من التريض سوياً، وتبادل الحوار ساعات طويلة أسبوعياً، وقد ساعدتني هذه الحوارات في الاستعداد للامتحان المرتقب. وخلال هذه النزوات شرح لي كلاين مان اقتناعه التام بكثير من

الآراء التي عرَضَها عليّ، مما أثار اهتمامي العميق بهذه الأمور في الدراسات التي قمت بها فيما بعد. ولهذا كانت هذه النزعات مبعثاً لإثارة اهتمامي بأفكار وموضوعات استخدمها في أبحاثي المقبلة في مجال الأصول التاريخية للتطور الديني، والميثولوجيا (علم الأساطير) المقارنة نتيجة لما استمعت إليه. ومن محادثته في هذه النزعات توصلت لوضع اللبنة الأولى لدراستي عن تاريخ النصوص الدينية بالكتاب المقدس. ومن كلاين مان أيضاً عرفت لأول مرة أعمال كوينن *Kuenen*، وجراف *Graf*، وفاتكي *Vatke*، وكل النظريات الجديدة في أبحاث الكتاب المقدس وقدرتها. وهو الذي جعلني -دون أن يحضني صراحة- أراجع أفكاره وأتراجع عن كثير منها؛ كي أستطيع أن أتناول مع عقيدتي ونظرتي إلى الحياة. أما بالنسبة لدراستي المتخصصة، فقد كانت معرفته بها سطحية غير متخصصة، ترجع لدراسته لها في صباه، إلا أنه استطاع أن يدفعني دفعة قوية في هذه الدراسات أيضاً بما يملكه من معلومات دينية واسعة. وإنني مدين له حتى اليوم بالشكر العظيم لما أثاره عندي من وعي بمشكلات علمية، نبهتني إليها أسئلته التي كان يوجهها إليّ، مما جعلني أسعى إلى دراسة هذه الموضوعات، حتى أتمكن من الإجابة عنها، ومعرفة تفاصيلها. وقد كانت أسئلة لها اعتبارها لأنها تتعلق بوجهات نظر رفيعة في عمومها يرتبط بعضها ببعض، وتتطلب إصدار الحكم عليها؛ إذ إنه كان شغوفاً بتعميم الأهداف العلمية الكبرى، وإعادة تكوينها. أما أنا فكنت أفضل التحليل، ودراسة التفاصيل دون أن ينتبه إلى ذلك أو ينبهني إلى أن أحكامه كلية، ليقدمها إليّ في صيغها الكلية، ويضعها أمام عيني،/ وإنني لأشكر له هذه الصحبة التي نبهتني إلى ألا أغرق في دراسة التفاصيل الصغيرة، وألا أسعى إلى الغوص في كتابة ملحوظات

صغيرة، وإني وإن كنت لم أكتب من قبل عن كل ما أفدته كله من تعاليم كلاين مان، إلا أنني ما زلت أشكر له ذلك كله، وأعترف بأنني لولاه ما استطعت أن أفيد من أستاذية الأستاذ فلايشر *Fleischer* في حياتي العلمية كلها، وما كنت أتمكن مطلقاً من الوصول إلى تشكيل معارفي وأفكاري. وكان ينبغي أن يشعر كم أنا مدين له بالشكر لمساعدتي في دراساتي، ولأنه سمح لي بأن أصادقه. وقد أفدت مما تعلمته منه أيضاً أثناء امتحان الدكتوراه.

ففي نهاية شهر ديسمبر عام ١٨٦٩ أُدبِت الامتحان الشفوي مع اللزميل "بلوديسن *Baudissin*" مرتيناً حلة (بنلة) فراك استعرتها من "رونزلوب *T. Rudsløb*". وكنت قد درّست له مع شتادي *Stade*، و"روزن *Rosin*" من كتب "راشي *Raschi*"، و"إفودي *Efodi*"، ولهذا استعرت منه الفراك وأدبِت امتحان الدكتوراه مرتيناً إياه. واجتازت الامتحان بتفوق، وكان امتحاني أمام الأساتذة الثلاثة: "فلايشر *Fleischer*"، و"بروك هاوس *Brockhaus*"، و"درويش *Drobisch*"، وكلهم أشاد بقدراتي، واستحسن إجاباتي عما سألني عنه. وقد صرح درويش لفلايشر - فيما نقله إليّ الأخير - بحرارة أنه لم يمر به طالب يؤدي أمامه امتحان الفلسفة - باعتبارها مادة فرعية - يستطيع الإجابة عن أسئلته الفلسفية مثلي. وكانت أسئلته لي عن الأخلاق عند أرسطو *Aristoteles* وعن حكمة كانت *Kant* العملية، والأخلاق عند شوبنهاور *Schopenhauer* فأعجبته إجاباتي. وقد ساعدني على ذلك استعدادي لامتحان الفلسفة بطريقة هربرت *Herbart*. وبذلك حصلت في مطلع عام ١٨٧٠ على لقب دكتور، وأضيف أنني لم أشعر بمثل هذه الفرحة عند زواجي (في أسبوع العسل *Flitterwochen*)، وكان سرور صاحبة المنزل أكثر من فرحي، ورحبت به.

أقام لي الأستاذ "فيرست" (١٨٠٥-١٨٧٣) J. Fürst^(١) حفل عشاء بمناسبة حصولي على الدكتوراه، وقدمت زوجته فيه "تورته"، وضعت عليها لافتة باسمي، فكانت لفنة جميلة. وألقى ليفيوس فيرست Livius Fürst - وهو الطبيب الشاعر، وكان من الحاضرين - ختام "كارمن" على شرفي:

استخرج ذهبًا، واجتنب حليًا مزركشًا

فليحيا تانخوم جيروشالمي

وبهذا ذكر عنوان رسالتي للدكتوراه في نهاية القصيدة، ثم ألقى الأستاذ فيرست نفسه كلمة بليغة، ودعانا لكي نشرب نخبًا على صحة الدكتور الشاب الذي اجتمعت له حكمة العالم.

لم يكن للقب الجديد أي أثر في مسار دراستي، فقد واصلت دراساتي المزوجة (في الجامعة، وفي المنزل)، ولم أفقد حماسي، فاكتمست معارف عظيمة في دراساتي العلمية، ورجعت إلى كل الدوريات الألمانية والفرنسية والإنجليزية، وقرأتها بعناية، وتعرفت على المخطوطات الموجودة بجامعة ليبزج، وتعرفت على كل ما قام به الجيل السابق في التعامل مع هذه المخطوطات. ولما كنت مقيدًا بإرشادات فلايشر واتجاهاته، فقد أوليت الدراسات اللغوية عناية خاصة؛ كما اهتمت أكثر من ذلك بالتاريخ اللغوي باعتباره العنصر النحو المهم للتدقيق اللغوي، وقلبت نظري بطريقة كلية في النصوص الدينية، وأفدت مما توفره المحاضرات التي كانت تلقى بصورة متميزة بالمنصات الدينية بليبزج. وفي هذه الأثناء استمتعت بصداقتي "فرانز

٤٥

(١) فيرست: أستاذ تاريخ ومكتبات ومعجمي. حصل على الأستاذية عام ١٨٦٤ بجامعة ليبزج.

ديليتش (١٨١٣م-١٨٩٠م) *Franz Delitzsch* ^(١) الذي وجّه إليّ الدعوة لكي أزوره في غرفة دراسته، وشجعني على ذلك، حيث تدارسنا ساعات طويلة التلمود والفلسفة اليهودية التي كان يحاضر عنها طوال إقامتي بمدينة ليبزج. وكان يدعوني دائماً بقوله "يا صديقي المحبوب"، وكنت وما زلت أعجب بهذا الرجل المبجل حلو المعاشرة، وبعلمه وصدقه وإخلاصه، وبصوفيته الآسيوية، ومعاملته إياي بود. وعلى الرغم من ذلك كله كان فيه ما يستدعي الابتعاد عنه، وكأنه مريض بمرض معدٍ. لم أتمكن في شبابي أن أحتل تأهيل المبشرين المتعصبين ومنهم أرثوذكس ويهود أذلاء، ولم أناهض العلماء ذوي الشعر الأشيب، فقد اندفع لهيب من أتون الكراهية في اتجاهي بسبب تقديمي للحصول على شهادة الهابيل *Habilitation*. إذ رغماً عني أرسلتُ إلى الجامعة التماساً في نهاية الفصل الدراسي للتقدم لهذه الشهادة، ولكن بلغني أن ثمة نية سيئة لدى بعض أعضاء المجلس الجامعي تقف حجر عثرة في سبيل مستقبلي، لأنني كنت أول مدرس يهودي في هذه الكلية، وكان هذا هو السبب في معارضته أكلة لحوم اليهود، ومعارضة من اعتبرني تلميذاً "لفامبري *Vámbéry*" المحتال. وكان يمثلُه آنذاك (رجل يتصف بنفس أوصافه) المدرس "بودنز *Budenz*". إذ اعترض على أن يكون زميلاً لغلام. وحمل الاعتراض بشقيه السيد "لندرن *Lindner*" ^(٢) الذي يعد بوقاً للسيد "هونفالفي *Hunfalvy*". وهو الذي كتب تقريراً صحفياً شاملاً عن الموضوع، وبعث به إلى الأكاديمية بموافقة فامبيرى *Vámbéry*. قرأ الشيخ "بالاجي *Ballagi*"

(١) عالم بالمذهب الإنجيلي وأستاذ بجامعة روستوك وإيرلانجن وليبزج.

(٢) ليندرن (١٨٢٦-١٨٩٢) *E. Linder*، أمين مكتبة الأكاديمية العلمية المجرية.

المقال، وسخر من الصحفي الذي كتبه كما سخرتُ منه، وتسبب الطلب الذي قدمته كي أحصل على الموافقة للتقدم لنيل دكتوراه الأستاذية في خلق حوار حاد في مدينة بست نابلو *Pest Naplo* بين "بودنز *Budenz*"، وألدار مولنار *Aladár Molnar*^(١)، صديق أتفوس *Eötvös* الذي شن هجوماً عنيفاً على المسؤولين بالجامعة، بسبب اقتراحهم الأخير، فقررت الكلية عدم البت في موضوع رسالة الأستاذية هذه، حتى أعود من رحلتي الدراسية.

شغلت في صيف ١٨٧٠ بفهرسة الكتب بمكتبة ناجيشين *Nagy'schen* ومخطوطاتها التي جمعها صاحبها مكتبة ليست وفرائك *List und Frank* لبيعها للمتحف البريطاني. وقد قمت بأداء هذا العبث على الرغم من أنني كنت في حاجة للسعي وراء الحصول على البعثة؛ إذ اضطررت له لسوء حال أسرتي، كما اضطررت لإعطاء دروس خصوصية، ومنعني هذا كله من مواصلة دراستي العلمية،/ وإن كانت عملية الفهرسة قد جعلتني اقترب كثيراً من الأدب المجري والتاريخ. ولم يكن هذا العمل وحده السبب في بقائي بليبيج بعد انتهاء العطلة، فقد منعني اندلاع الحرب الفرنسية التي تسببت في قطع المواصلات من أن أتمكن من العودة إلى وطني إلا بعد موقعة سيدان *Sedan*، فعدت في صحبة "باخر *Bacher*" الذي حصل على شهادة الدكتوراه في نهاية الفصل الدراسي. وكان بحقيبة سفري عند عودتي مخطوطة الكراسة الأولى من كتاب: دراسة تاريخ تعليم اللغات عند العرب^(٢)

Beiträge zur Geschichte der Sprachgelehrsamkeit bei den Arabern

(١) نائب بالبرلمان المجري، وعضو الأكاديمية المجرية للعلوم.

(2) B. Heller: *Bibliographie des Œuvres de Ignace Goldziher*, Paris 1927 No.18

وقد أعدت للطبع مثل الكراسة الثانية في كيريشيجي *Köröshegy*، وكانا
العملين الأولين اللذين نُشرا عام ١٨٧٠ بتقرير جلسة الأكاديمية بفيينا.

تسبب عدم البت في قرار بعثتي للحصول على درجة دكتوراه
الأساذية في قلق أسرتي وبليلة أفكارهم. فقد كان أبي يشك منذ البداية في
أنني على الطريق الصواب للحصول على وظيفة ثابتة بالجامعة، لأنني
يهودي الديانة. وكان يرتعد دائما، ويغرق في الأوهام التي تتطرق إلى ذهنه،
فيتصور أن هذا الماجن فامبيري قد يعمد ببساطة إلى إلقاءي بحوض التعميد
(أي التعميد المسيحي)، أو أن الأساذة الصامتين سيشرطون أن أكفر
بيهوديتي. وصرّح لي أبي بهوموه وظنونه وخوفه، على الرغم من رغبة
الوزير ووعده بأن يزيل جميع العقبات، وكانت ظنونه تزداد حدة أثناء
النهار.

كانت منحتي للبعثة ستستمر على أسوأ الفروض، وكنت سأحصل
مؤكدًا على ١٢٠٠ فلورين *Florin* كل عام، ولكن أسرتي التي تبالغ في تقدير
إمكاناتي كانت ترى أنني أستحق أكثر من هذا، حتى لا أضطر إلى المعيشة
في ضنك وفاقاة طول العام، أتكفف الناس. كما كانوا يشككون دائما في حقيقة
الوصول إلى منصة التدريس كما وعدني أتفوس.

وقد وجدت أن ظنون الناس الذين كانوا يتمنون لي الخير حقًا، لم تكن
مبنية على أي سبب حقيقي. وكنت قد اكتسبت من خلال مخالطتي للناس
قناعة بأن أتفوس مثل صخرة ثمينة خرجت من بحر اللؤم والخبث. كان
فنارة في البحر ومرصداً عاليًا، وواحة بالصحراء التي يسكنها برابرة،
يعيشون على الفطرة. وبهذه الفكرة التي كونتها عنه، وبسبب قلقي، كنت

أرجو أن أخفي خلف صخرة. وكنت أعتقد أنه من الممكن أن أغامر بأن
أفتح قلبي لأنفوس رجل الخير والبر، وهكذا فعلت.

وفي سبتمبر التزمت - أن أعود إلى الوطن. وفي أكتوبر بدا لي - البقاء
في ليزج لسماع محاضرات فلايشر فصلاً دراسياً آخر ولحضور حفل التوديع.

ومرة أخرى استمتعتُ بكلمات الترحيب في حفل التوديع الذي أقيم لي،
وسعدتُ بالاستقبال الودود، وكلمات الترحيب والمديح التي أرضتني كثيراً،
وبخاصة عند التعبير عن عودتي إلى الجامعة، وطموحاتي. / وقيل لي: "إن لم
تقبل الكلية، سأعينك"، وكنت من الشجاعة والجرأة بحيث لاحظت أن مثل
هذا القول عند الحديث عن المستقبل عامة سيضع الكلية في موقف حرج،
وفضلاً عن ذلك فإنني وعائلتي سنعاني الحسرة ما لم أنطلق خلف التوهم بأنه
من الممكن أن يسمح بتعيين يهودي أستاذاً بالجامعة.

٤٧

وكان عليّ باعتباري عائل أسرتي أن أنكر دائماً أنني يجب أن أصل
إلى مركز متواضع يمكنني من أن أفي باحتياجات أهلي الضرورية.

ولم يدعني الوزير أكمل حديثي، فقد كان يستمع إليّ، وأنا واقف، وانتكأ
بساقيه ساقيه على كرسي أمامه. فأسرع - وكأن حيّة لدغته، وأغلظ لي القول
بكلمات مريرة، كما لو كنا نجهل أننا نعيش في دولة حرة يجب أن يعامل
فيها كل المواطنين معاملة واحدة، ولمواطنيها كلهم الحقوق نفسها دون
تفضيل لأحد على غيره. وليس كما كنا نحن اليهود نعامل بكل عنف، مثلاً
كان اليهود يعاملون في العصور الوسطى، أو أننا نعتقد ذلك، وما إذا كنت
أعتقد أنه يعتزم أن يلقي بأموال الدولة من النافذة لأي شخص - إهداراً لها -
بدلاً من أن ينفقها لتأمين مستقبل الدراسات العلمية بالمجر. واستطرد يقول

في رقة، وقد سكن غضبه، دون أن يسترسل في أفكاره وتخيلاته، بأنه سيعنى بمصيري، وأن مطامحي العلمية ستجد المكافأة، وقال: "كن مطمئناً، وقل لأبويك إنهما يستطيعان بحكم القانون أن يأملا في المستقبل".

وبهذا أمكنني أن أحبيه مودعاً، بعد أن وجدتُ فيه الرجل الطيب الشريف الذي عرفته في المرة السابقة. وبذلك لم يصله تقرير عن شهر فبراير، وكنت أرسلته وعنوانته باسمه المبارك.

أمضيتُ فصلاً دراسياً أخيراً بمدينة إيبزج، واشتغلتُ بهمة ونشاط كالمعتاد. وجمعت مواد أبحاثي من كل مكان، وكتبتُ أيضاً عدة مقالات نشرت في السنتين التاليتين. وفي هذا العام عملت مساعداً في مجلة المستشرقين الألمان DMG فبدأت بها نشاطي، وشاركت في إصدار أربعة وعشرين عدداً.

وضممت إلى دراساتي دراسة المصريات حين انتقل إليها إيبز ^(١)Ebers من مدينة جينا Jena، أستاذاً بليبزج، ولم أرد أن أترك هذه الفرصة دون أن أفيد من هذا الرجل العالم، الذي تلقاني مُرحباً في تودد، وأرهب نفسه كثيراً كي يعلمني شيئاً عن المصريات. ولم يذهب تعبهُ سدى؛ إذ إنني تعلمت الهيروغليفية سريعاً، وسعدت بالتغلب على صعوبات الطباعة الهيروغليفية القديمة، واتساع آفاق معرفتي بتاريخ الحضارات، وتمكنت بذلك من أن أحوز صداقة إيبز. ولما سمع بابا ^(٢) فلايشر بذلك أطلق عليَّ لقب "عزيز مصر" وهو لقب فرعون مصر زمن يوسف كما وصفه القرآن [الكريم]. ولم يكن الشيخ يميل إلى الشطط والاهتمام بالغرائب ^(٣)Allotriis، إذ إنه يفضل أن

(١) إيبز (١٨٣٧-١٨٩٨) G. M. Ebers عالم مصريات وأستاذ بليبزج.

(٢) "بابا" لفظ مجري بمعنى "الوالد" مثل اللهجة المصرية.

(٣) كلمة يونانية تعني "عَبَث".

ينصرف المرء كلية للغة الرئيسة للإسلام “*Die Hauptsprache des Islam*” كما كان يطلق على اللغة العربية.

صُدّمت صدمة عنيفة عندما سمعت خبر وفاة أنفوس في فبراير ١٨٧١، وعشت أياماً مهموماً محزوناً. وحاول كلاين مان *Kleinmann* - الذي صدمه الخبر مثلي- أن يبث فينا (هو وأنا) شيئاً من التفاؤل، ولكن وفاته بينت أنني كنت على حق في تشاؤمي. ولم يخرجني من هذه الحالة إلا كتاب مليء بالعلم والفكر، خفف حزني، وألهاني عنه. فقد عرفت في هذا الوقت “كتاب المزهري”، وانقطعت لدراسته نهاراً وليلاً، فملك عليّ حواسي، رحم الله السيوطي. وبذلك أصبحت نسخة المزهري كتاباً جديراً بالذكر بين كتبي، فهو يُذكّرني بالآلام الروحية التي خرجت منها بالاستغراق في دراسته.

كان من المقرر بعد وفاة أنفوس - أن أغادر ألمانيا، وأسافر إلى هولندا لأتصل بمدرسة ليدن *Leiden* العلمية مباشرة، كي أفيد منها، وأنقب عن كنوزها. ووجدت أن من الأفضل - وأنا في هذه الحال - أن أفرج عن نفسي بالسفر. وبعد أن ودعت الأحباء؛ فلايشر *Fleischer* وأصدقائي وزملائي سافرت من لبيزج في رحلة طويلة، مررت فيها على برلين حيث احتفلت مع أهلها بأمسية السيدر *Sederabende* التي يُقيمونها سنوياً في الربيع، ومررت بكثير من المدن الألمانية، إلى أن وصلت إلى أمستردام *Amsterdam* في العاشر من إبريل. وكنت قد درست الهولندية على زميلي بالمدرسة “سبيرو” *Spiro*^(١) وهو الآن أستاذ بالجامعة التونسية، وهو رجل دين يهودي من أصل هولندي.

(١) سبيرو (١٨٤٩-١٩١٤) *J. Spiro* مستعرب، أستاذ بجامعة لوزان.

ولم يمر عليَّ بأمر ديام ثمانية أيام حتى تأقلمت بها تمامًا، وتعرفت على "لاند" ^(١) Land، و"دينر" ^(٢) Dünner، و"كرافت" ^(٣) Kraft وغيرهم. وكنت أتطلع شوقًا إلى ليدن بسبب خطابات التوصية التي حملني إياها فلايشر إلى كل من "دي خويه" ^(٤) De Goeje، و"دوزي" ^(٥) Dozy، وخطاب توصية من "إيبرز" ^(٦) Ebers إلى "بلايتي" ^(٦) Pleyte. وقد استقبلني علماء ليدن بترحاب ودود ودافئ، وإن كنت لم أستطع الاقتراب من حلقات اجتماع دوزي؛ إذ منعتني من ذلك - بطبيعة الحال - أسلوب حياتي وتمسكي الشديد بالطقوس الدينية. فقد دعاني بعد أيام من وصولي إلى ليدن لتناول الغداء معه، فاعتذرت لأن طعامه نجس to'ebhā. ولم يكن من السهل عليه أن يتقبل هذه السببة بحكمة وبساطة. / وإن نظر الآخرون إلى الأمر نظرة متسامحة. وقد زرت دي خويه ٤٩ كثيرًا، وكان يستقبلني بود وترحاب.

كان للأشهر القليلة التي قضيتها في ليدن الفضل الكبير في اتساع أفق دراساتي؛ إذ لم يكن قد مرَّ على حصولي على درجة الدكتوراه إلا سنة واحدة فقط، ولم أكن مسجلًا بالجامعة، ولكنني حضرت محاضرات كثيرة - باعتباري مستمعًا - وبخاصة المحاضرات الدينية، فاستمعت إلى "كوينن

(١) لاند J.P.N.Land أستاذ لغة سريانية.

(٢) دينر Dünner (١٨٣٣-١٩١١) رئيس الأخبار بأمر ديام.

(٣) كرافت Kraft غير معروف.

(٤) دي خويه M. J. de Goeje (١٨٣٦-١٩٠٩) مستعرب في جامعة ليدن.

(٥) دوزي W. R. Dozy (١٨٨٢-١٨٢٠) مستعرب وأستاذ تاريخ بجامعة ليدن.

(٦) بلايتي Pleyte (١٨٣٦-١٩٠٣) هولندي، أستاذ مصريات.

Kuenen^(١) و"شولتن Scholten"^(٢)، وإلى عالم فقه اللغة "كوب Cobet"^(٣)، واتسعت بذلك دائرة معرفتي بالدراسات الدينية، وكنت أتمنى أن أتعرف على المدرسة الدينية الهولندية كلها، وإن كان تعمقي في هذه الدراسات يشكل خطرًا شديدًا على تخصصي لأنه فرع من الدراسات البعيدة عنه. وكنت أتسلل مع "بلايتي Pleyte" إلى غرفة التوابيت المصرية بمتحف Rijksmuseums van Oudheden، وفضلاً عن ذلك كنت متهمًا بالغرائب Allotriis، قضيت معظم أوقاتي مع المخطوطات والمطبوعات بالمكتبة، وواصلت دراساتي عن تاريخ علم اللغة. وبذلت جهدي في الاطلاع على كل المخطوطات الموجودة بالمكتبة. وفي لندن تعرفت على ابن حزم الذي ما زال يعاني حصار دوبرت Dupert بباريس، وعن طريقه عرفت أدب الجدل الذي ساعدتني المراجع الموجودة في لندن على معرفته كاملاً. وحفزني حبي للسيوطي على قراءة كل ما وجدت من كتبه بمكتبة لندن، وقابلتها بكل المخطوطات المنقولة عنها، وما وُجد منها مقتبسًا بالكتب الأدبية المماثلة، ونسخت كتاب فقه اللغة وفقاً لما كلفني به فلايشر، كل ما يتصل بمخطوطة لندن، كما نسخت كتاب ابن السكيت كله وبعض الكتب الأخرى التي طبعت بالشرق مثل كتاب الهمذاني وغيره، ووضعت في حقيبتي كل النسخ العربية للكتاب المقدس. وقرأت كل ما وجدت من مطبوعات بولاق ونسختها. وبهذا جمعت في ستة أشهر معظم ما أُطلق عليه فيما بعد "قراءات جولدنسيهر المثيرة للدهشة والإعجاب".

(١) كوينن A. Kuenen (١٨٢٨-١٨٩١) عالم ديني انجيلي، وأستاذ دراسات دينية بجامعة لندن.

(٢) شولتن (١٨١١-١٨٨٥) أحد المصلحين الدينيين، أستاذ بجامعة لندن ١٨٤٥.

(٣) كوبت (١٨١٣-١٨٨٩) أستاذ لغات كلاسيكية وفقهها بجامعة لندن.

كنت أواصل القراءة عادة إلى الساعة الثالثة صباحاً؛ إذ كنت أجلس إلى مكتبي دون أن يشغلني أي شيء عن القراءة، وإنما كنت أواصل القراءة ليلاً ونهاراً، وانشغل بالمخطوطات والتوابيت *Sarkophagen*. ولم أكن أتوقف عن ذلك إلا لكي أستمع إلى المحاضرات هنا وهناك، وللقيام بنزهات يوم الأحد إلى لاهاي *Haag* أو شيفنينجن *Scheveningen* مرة بعد أخرى، حتى أصبحت - كما لاحظت زوجة الأستاذ دي خويه - شاحب الوجه كالجثة. وقد ساعدني الأستاذ دي خويه خبير المكتبات في تنظيم دراساتي المستقبلية والتخطيط لها، فتمكنت بذلك من الإفادة من كل الكتب والمدونات التي أطلبها للقراءة بحجرتي. وكان دي خويه يحمل إليّ أحياناً مجموعة من المخطوطات والكتب كي أقرأها بالحجرة. ثم أنضمّ إلى تلميذه "ريتزهاوزن *Ritterhausen*" (وكان قد عُزل من منصبه مستشاراً للإرسالية بإسطنبول)، وهوتسما *Houtsma* الذي ذاع صيته بعد ذلك (وهو أستاذ بجامعة أوترخت *Utrecht*). وألقيت آنذاك دروساً من تفسير البياضوي / وهو ما سبق أن ألقيته أثناء محاضرات فلايشر في خشوع، عندما كانت المحاضرات تعقد بليبزج، وقد داومت على ذلك فترة طويلة.

٥٠

خصصت دراساتي في ليدن وحددتها في مجالات الدراسات الإسلامية الواسعة، وجعلتها مركزاً لأعمالي العلمية. وتعد ليدن عندي مدرسة للفروع الدينية ولتاريخ الديانة الإسلامية، وقد تعاملت معها بمفهوم تحليل النصوص كما ينبغي. وعلمتني صحبة علماء ليدن الالتزام بالتقاليد الفلسفية الهولندية في نقد الوثائق الدينية، التي تختلف في دلالتها عن تلك الطريقة المعتادة لقراءة هذه النصوص التي يمكن عن طريقها تصديق النص تارة والتحيز ضده تارة أخرى... وقد تأثرت تأثراً شديداً بهذه الطريقة الهولندية، واتخذتها أساساً

للطريقة العلمية التي أتبعتها بعد ذلك. وقد تلقى الهولنديون ما طرحته عليهم من أعماله عن الدراسات الإسلامية بتقدير. كما عبر دوزي *Dozy* - فيما أخبرني به دي خويه *De Goeje* - في أخريات حياته عن أنه استحسناها كثيراً. كنت أطلع في دراساتي بليدن إلى أن أتمكن من إدراك أسس الإسلام بوضوح تام، وأن أتعرف مذاهبه والتطور التاريخي للإسلام من أقدم المصادر. وبينت لي الكتابات الجدلية بما فيها من خلاف أساسي فيما بينها - حقيقة الإسلام. وهناك بدأت دراسة الحديث [النبي] بعد أن فرغت من قراءة البخاري كله بيقظة ووعي. وبدأت بالتدقيق في ملاحظة ما يتصل به من مواد في كتابات أخرى. ومن ثمَّ يمكن أن يتضح مدى إفادتي من بقائي نصف سنة بهولندا، فقد أثرت فيَّ هذه الشهور، مثلما أثرت فترة وجودي في ليبزج بعد زيارتي لبرلين. وسررت بذلك، ورضيت عما أحرزته بالخطوة الناجحة في إثبات وجودي، وبما أضفته من مواد جديدة إلى تخصصي؛ وقويت بها شخصيتي العلمية.

ولما عدتُ إلى وطني علمتُ أن منحتي الدراسية للحصول على درجة دكتوراه الأستاذية في طريقها الصحيح، وظننت أن الأساتذة الذين عارضوا حصولي على المنحة نكايّة في الرجل الذي كان يطالب لي بها، قد أقلعوا عن ذلك بعد وفاته. ودعيت لإلقاء محاضرة تجريبية، فألقيتها في سبتمبر عن "تطور التاريخ الأدبي عند العرب *Über die Entwicklung der historischen Literatur bei den Arabern*"

ونشرت بعد ذلك في العام نفسه بجريدة *Ballagi's Protestáns Szemle* ولا زلت حتى الآن، بعد ما يقارب العشرين عاماً على إلقاءي هذه المحاضرة - أتذكر شعوري حين وطنت قدمي قاعة انتظار أنفوس دون أن

أصاب بأي توتر أو جیشان عاطفي. وقدمت نفسي إلى خَلْفِهِ السيد "باولر T. Pauler" ^(١) الذي أخبرني بأن منحتي ستستمر لكي أتمكن من إجراء أبحاث بمكتبة فيينا، قالها ببرود دون أن تصدر عنه كلمة تشجيع أو تحفيز. وتركت المكتب- الذي طالما زرتُه مبتهَجًا مسرورًا مرفوع الرأس - بنفس هادئة./

كم كانت الكلمات التي يودعني بها أنفوس تسعدني. وكيف انقلب هذا ٥١ كله إلى بكلمات شديدة البرودة خرجت من فم باولر!! لقد سحقت قلبي.

وفي أكتوبر رحلتُ إلى فيينا، وكأني مكسور الجناح، معترماً الاجتهاد في الإفادة من مخطوطات البلاط الملكي. وكانت إدارة المكتبة بميدان جوزف، وهناك قابلت عقبات جسيمة، وعلى الرغم من ذلك استطعت أن أتغلب عليها. وفي سنة ١٨٧١ حصلت على مرسوم الدكتوراه، وكان زاخاو ^(٢) "Sachau" آنذاك أستاذاً للدراسات الشرقية بالجامعة. ولكني لم أتمكن على الرغم من محاولاتي ولقاءاتي العديدة معه من توطيد علاقتي بهذا الأستاذ المغرور. وعندما قدمت له نسخة من كتاب البيروني أعطاني - رغم رفضي الشديد- بضع عملات فضية (أو نحاسية). فإنه لم يرد أن يكون مديناً لي بشيء؛ كان ميللر ^(٣) D. H. Müller آنذاك طالبا لدى زاخاو. وكان يعلن تقديره لي باعتباري رجلا يؤدي عمله مستقلا. ما أشد التناقض ؟ كيف يتطور العالم كله ويتعاضم، وأصبح أنا بالنسبة لهم قزماً، على حين ينتقلون هم بطموحهم من نجاح إلى نجاح، بينما أُنقلب أنا في أحوال متدنية، أحاول في الحضيض أن أتأقلم معها.

(١) باولر (١٨١٦-١٨٨٦) وزير الثقافة، ثم أصبح وزيراً للعدل.

(٢) زاخاو (١٨٤٥-١٩٣٠) E. Sachau مستعرب، وأستاذ بفيينا ثم بجامعة برلين.

(٣) ميللر (١٨٤٦ - ١٩١٢) مستشرق، أستاذ لغات سامية بفيينا.

وحيثما كنت في فيينا تقدم زميل الطفولة الرائع جليك *Glück* لخطبة أختي، وكان مهندسًا بإحدى شركات البناء، فسعدتُ بهذا الأمر سعادة أخرجتني من البؤس الذي أعيش فيه. وفي ٢٥ من فبراير سنة ١٨٧٢ تزوجا. وانتهت في هذا اليوم أيضًا فترة إقامتي بفيينا، التي خرجت منها بعد أن تزايدت مجموعة الكتب التي أحملها معي وكثرت الأدوات التي أُنقل بها، ليس بأعداد تستحق الذكر، وإنما تستحق الإشادة بقيمتها.

ولم ألقَ في الشهور الأولى من عودتي إلى بست *Pest* ما يستحق الذكر؛ إذ باشرت عملاً أصابني بالملل حينما قمت به؛ إذ كلفني الكُتبي بتريك *Petrik* بتتقيح كتاب قواعد اللغة العربية الذي ألفه بالاجي *Ballagi* (نشر في بودابست ١٨٧٢) الذي كتبتُ مقدمته يوم عيد ميلاد أختي.

وبدأت محاضراتي بالجامعة بعد عيد القيامة. ولم يسجل لسماع هذه المحاضرات إلا عدد قليل من الطلاب، ولم يستمع إليها إلا عدد قليل منهم؛ إذ إن الحياة العلمية في بست كانت متواضعة آنذاك، بعد أن كانت الحياة الثقافية نشيطة جدًا في السنوات الأربع الماضية. أما الحياة الاجتماعية، فلم يكن لدي أي دقيقة تسمح لي بالمشاركة فيها. كانت تتميز بتجمعات ينفصل بعضها عن بعض، ونسبتهن الدوائر التي تديرها مجموعة من المحدثين الذين سيطروا على الاقتصاد، وعاشوا في جهالة مطبقة، وغالبًا ما كانوا ينعمون بالجهل الفاضح دون دراية بأي ثقافة أوروبية يمكن أن يحييها شعب طموح نشيط / وكانوا يعتقدون أن كبار السن شيوخ حمقى مافونون. وكان الرجل الوحيد

القوي حقيقة في هذه الجمعية يدعى كارمان *Kármán*، وكان رئيسهم الأكبر يدعى "جوستاف هاينريش *G. Heinrich*"^(١). وهو رجل فارغ العقل، جاهل، ولكنه محتال، قادر على الخيانة والغدر. وهو من مقاطعة شفاب *Schwab* وقد ترأس الجماعة مع اللويد *Lloyd* البستي (من مدينة بست) الذي كان يساعده في تدريس فروع الأدب. واستطاع أن يرهب الأساتذة أعضاء هيئة التدريس بالتحكم في الرأي العام بما ينشره بالصحيفة الشهرية التي أسسها بعنوان *Magyar Tanügy* التي يعمل بها أعضاء من شباب عصابته التي كونها؛ ومن ثم خربت كل الدوائر عداها.

لم يكن لهاينريش نفسه أي قدرات يمكن أن يظهرها، وإن كان يبدو وكأنه صاحب نفوذ، اختط لنفسه طريقاً يؤثر به في الرجال ذوي النفوذ في الحياة العلمية الذين يمدون أيديهم جادين لتحسين المستوى الفكري الضحل ومنهم سينجري^(٢)، وسرعان ما استجاب الوزير ومستشاروه. وبعد فترة قصيرة من سيطرة "بول *Paul*"، تولى في مطلع عام ١٨٧٢ السيد "تريفورت *Trefort*"^(٣) منصب وزير التعليم الذي كان يشغله أنفوس *Eötvös*. وكان رجلاً مضطرباً أو مبلبل الخاطر شبه أوربي، كتب مقالات في صحيفة *Revue-artikeln* فاعتقد أنه أصلح الحياة الثقافية بالمجر، ولكنه كان دعيّاً وقحاً بخيلاً. وانتشر في مدارس المجر - بتشجيعه وبسبب كذبه وتهوره - شخصيات من عصابة هاينريش وإن

(١) هاينريش (١٨٤٥-١٩٢٢) *G. Heinrich* أستاذ فقه لغة ألمانية بجامعة بودابست.

(٢) سينجري (١٨٨٠-١٨٢٢) مثقف سياسي *A. Csengery*.

(٣) تريفورت (١٨٨٨-١٨١٧) وزير ثقافة.

كانت تضم أيضاً شباباً جانين مثل "روبرت فريش" *Robert Fröhlich* ^(١) ولم يكن هذا الشاب الجاد هو المسيطر تماماً، وإنما كان يُعد المعارض للتيار القائم، والطامع في أن يرثه. وفضلاً عن ذلك وجدتُ عصابة أخرى مثل العصابة الأولى يطلق عليها البولسزكية نسبة إلى فيليب بولسزكي الأب *Pulszky* ^(٢)، وكان ابنه أوجست *A. Pulszky* ^(٣) يدعى البولسزكي الصغير، وكنا قادرين على ممارسة قوة طاغية لفرض حمايتهم على الناس. وكان الأمر يجري وفقاً لهوى العائلة، إما تبجيلاً أو تحقيراً. وكان الحصول على حظوة هذه العائلة مطمئناً لكل الشباب الذين يريدون أن يكون لهم مستقبل. وكانت الأستاذية بالجامعة مقصورة على أتباع البولسزكيين.

وفي عام ١٨٧١ ابتكر أستاذة جامعة كلاوزن بورجر *Klausenburger* *Uni.* كرسي أستاذية ليحتفظوا من خلاله بسيادة نفوذ العائلة، بل إن بوليكسينا *Polyxena* الفتاة التي كانت في الخامسة عشرة من عمرها كان من حقها أن تحمي أيضاً العلماء الشباب، وكانت تشارك الأسرة في اتخاذ القرارات، وتقديم تسهيلات مميزة لأتباعها. ولكن أخلاقي كانت تمنعني من الانتماء إلى أيٍّ من هاتين العصابتين، على الرغم من أن علاقتي بكارمان *Kármán* كانت تقربني كثيراً من الشباب؛ إذ كنت أعمل معهم بصحيفة *Tanügy*، وإن كان هذا لا يحتم عليّ أن أستخدم منظار / هاينريش صاحب الجريدة.

اقتربت كذلك من عائلة بولسزكي *Pulszky*، حيث اعتاد الأب أن يقيم أمسيات في أيام السبت من فصلي الشتاء والربيع، يحضرها جميع الزملاء الذين يشتغلون في الحقل الثقافي، وكذلك العلماء الشباب الذين ينضمون إليهم.

٥٣

(١) فريش (١٨٤٤-١٨٩٤) *Fröhlich* أثري، إخصائي مكتبات بمكتبة أكاديمية العلوم المجرية.

(٢) بولسزكي الأب (١٨١٤-١٨٩٧) *F. Pulszky* أثري وسياسي.

(٣) بولسزكي الابن (١٨٤٦-١٩٠١) *A. Pulszky* عالم اجتماع وفيلسوف قانون.

وقد انضمت إليهم بعد عودتي من الخارج. ولقيت حظوة لدى بولسزكي الأب ولدي ابنه أيضًا. وتعرفت على تريفورت *Trefort* في إحدى الأمسيات، وفهمت على التوالي التكوين السياسي المجري وحياتهم الأدبية، ودرست طريقة تمسح الشبان والمسنين بالأب بولسزكي لتتصلح أحوالهم المادية بمنحة أو بأخرى. وكان هذا ما يحدث للبعض منهم. وحدث هذا أيضًا ليوليوس كينج *Julius König*^(١) الذي فتحت أمامه كل الأبواب بحكم صداقته الحميمة لأوجست بولسزكي. وكنت أعمل مرتاحًا وسط هذه المجموعة، وإن لم أجد الوسيلة التي تمكنني من الحصول على أية منحة من سادة العصر. فظلوا على برودهم نحوي، وإن كانوا يمتدحونني في كل مكان ويثنون عليّ. ولم أقف في أي موضع يمكنني من أن أكون ضمن الجماعة التي تحرك الطاقة المجرية؛ إذ إنني كنت أشعر بقوتي لصلتي السابقة بالسيد "جنر *Gönner*" الذي أصبح نسيبه الآن وزيراً^(٢)، وكان من المفترض أن يحصل على هذا الإرث كاملاً بعد وفاة حميه، وأن يكون مثله، إلا أنه اكتفى بأن يتولى إدارة كنز أكاديميه.

في هذه الفترة عكفت على كتابة عدة مقالات:

- تاريخ التبحر في علم اللغة ٢-٣.

Geschichte der Sprachgelehrtheit 2-3

- دراسات لغوية من الأدب الصوفي / مجلة المستشرقين الألمان،
٢٦٤.

(١) كينج (١٨٤٩ - ١٩١٣) عالم رياضيات.

(٢) هو تريفورت *Trefort*.

- عمر المغربي / مجلة المستشرقين الألمان، ع ٢٨.

Omar al-Magribi ZDMG, 28.

- السيوطي (أكاديمية فيينا ١٨٧١) *Sujūti, Akademie, Wien 1871*

وسلسلة من المقالات المجرية، وموضوعات بالصحافة اليومية، كما جمعت موادًا للدراسات التي أزمع القيام بها. ولا يفوتني أن أذكر ما يستحق الذكر هنا، وهو أنني بطلب من المسئول الأول توروك *Török* قمت بتدريس الجزء الأول من "دراسات في الإصلاح الديني"، ووقفت بين هذه المحاضرات، ومحاضراتي طوال فصلين دراسيين بالجامعة. ولم يعتبرني الرئيس الأول المسئول عن الإصلاح الديني خطرًا على صغار دارسي اللاهوت، كما أخبرني فيما بعد المحامي دكتور سيمون *Dr. Simon*^(١) وأعلن ذلك للعالم أجمع. وكانت هذه الأعمال هي التي وجب عليَّ أن أهملها، وشغلت عنها أثناء رحلتي بالشرق عام ١٨٧٣، مما جعلني أعيش في هدوء نفسي مع ما أطمح إليه من تحقيق الإصلاح الديني بالمجر؛ إذ كنت أرى أن هذا المذهب السائد في المجر؛ يهمل الأسس الأصلية التي بني عليها تاريخ العالم، وهي الدراسات التوراتية والإنجيلية فبدراسات العهد الجديد وعلمه ينبغي أن يقفوا أيضًا على المستوى الديني في مراحل البدايات. وعلى كلِّ فإنَّ هذا يدلُّ على المستوى الفكري المخجل الذي يسود في هذه المرحلة الجديدة التي تعد ردة ضد الازدهار العلمي الذي انتعش بالقرنين السادس عشر والسابع عشر.

(١) د. سيمون (١٨٤٤-١٩١٥) *Dr. J. Simon* سكرتير المكاتب البلدية الإسرائيلية في المجر.

ليس بالمجر أيّ نصوص بروتستانتية تستحق الإشادة بها، سواء أكانت نتيجة لممارسات علمية أم نسخة مطبوعة لما وصل إليه العلم خارج المجر. والموجود بالمجر لا يختلف عما يسمّى بالمذهب الكاثوليكي إلا في أنه لا يؤمن بالنظام المحافظ على المبادئ الأولى لهذا المذهب.

رأيت أحد المصلحين الدينيين أثناء إقامتي للاستشفاء في لوسيفنا *Lucsivna*، وكان لا يعرف حروف الهجاء اليونانية التي تقدم لمن يعرفها الكثير. فكيف يمكن لهؤلاء إجراء أي دراسة عن العهد الجديد؟ فضلا عن ذلك فقد قدّم من يدعى "إيجناس هلفي" *Ignaz Helfy*^(١) وهو أحد أعضاء البرلمان المنتمين لحزب الأحرار أيام وزارة باولر *Pauler* العديد من النصائح لتأسيس أكاديمية للاستشراق مستقلة بالمجر. وتسلمت فور رجوعي من فيينا دعوة من باولر *Pauler* لكتابة تقرير عن إنشاء معهد لرعاية اللغات الشرقية، فانتهزت الفرصة لتقديم دراسة عن حالة هذه الدراسات وتاريخ تطورها في جميع الدول الأوروبية، وعبرت عن رأيي الخاص عن تنظيم الأكاديمية، ومسار الدراسة فيها بالمجر بصورة مسهبة، ولكن باولر ترك منصبه وانتقل إلى منصب آخر، وخلفه على الوزارة تريفور *Trefort* الطبيب.

وفي خريف ١٨٧٣ بدا لي أن وزير الثقافة الجديد تمسك بهذه المشروع، وعمل على تأسيس أكاديمية إلى جوار الجامعة للدراسات الشرقية. وكان فامبيري *Vámbéry* - على الأقل - هو الذي يحلم بإنشاء هذه الأكاديمية، طمعا في المنزل الإداري المخصص لمديرها، والمكافآت المالية الإضافية

(١) هلفي (١٨٣٠-١٨٩٧) *I. Helfy* سياسي.

المخصصة لهذه الوظيفة، وخاطب تريفورت مرارًا متسائلًا عنها. وكان الأمر حلمًا وحقيقة؛ إذ إن جزءًا من حقيقة إنشاء الأكاديمية المبالغ فيها أصبح ممكن الحدوث، فسرعان ما استدعيت لمقابلة تريفورت فأخبرني بأنني من المحتمل أن أحصل على بعثة للسفر إلى سوريا ومصر لتعلم اللهجة بالبلدين، وأن أتعلم لغة الدواوين بالقنصليتين المجريتين.

وفي شهر يونيو حصلت أيضًا على موافقة لسفري، مع تعديل مكافأة بعثتي في الرحلة لتصبح ألف فلورين لمصاريف الرحلة بالإضافة إلى ألف ومائتين فلورين كانت مخصصة مكافأة للتدريس بالجامعة بصفة مؤقتة من منح الدولة. وعندما كنت بصالة انتظار الزائرين لقبول هذه البعثة، كان يتقدمني أستاذ الدين هاتالا *Hatala*^(١) الذي ترك الصالة عندما دخلتها. ومن ثمَّ يمكن التكهن بالمناسبة التي تسببت في حضورنا. وفي الصيف أصبت بمرض شديد، فانتابنتي حالات من ارتفاع الحرارة تسببت في جعل سفري إلى الشرق موضع تساؤل مؤقتًا، ولكنني لحسن الحظ شفيت من مرضي بعد بضعة أسابيع، واستطعت قضاء ثمانية أيام في صحبة فامبيري حيث زرنا المعرض الدولي بفيينا، وكانت زيارة الجناح المصري به أول تجربة للتعرف عمليًا على الشرق؛ إذ وجدت نفسي مباشرة وسط محيط شرقي مع شرقيين، وكان الحديث معهم سهلاً للغاية. وبعد زيارة المعرض رجعت إلى المنزل.

٥٥

وفي شهر أغسطس ودَّعت والديَّ الحبيبين، وودعت جدتي وأختي ونسيبي، لأسارع بالسفر إلى جانب آخر من العالم.

(١) هاتالا (١٨٣٢-١٩١٨) *P. Hatala* أستاذ فقه اللغات السامية بجامعة بودابست.

- عام ١٨٧٣ - ١٨٧٤:

هذه السنة تستحق أن أقدم عنها كتابًا خاصًا من حياتي. إنها سنتي الشرقية، سنتي الإسلامية. وعلى الرغم مما عانيت في حياتي بعدها من شقاء، وما عشت بين رؤسائي بالجالية اليهودية من مراحل اليأس التي كانت تصيبني بالاكئاب، فإنني لم أنسَ مطلقًا ما حظيتُ به في هذه السنة من تجميل، وما نعمت به من سعادة مبهرة.

وقد كتبتُ عن ذلك بكتاب يومياتي الخاص تفصيلًا، وإن كنت أضيف هذا الرسم التخطيطي بهذه الأوراق التي أدونها خصيصًا لأبنائي لأبين لهم في خطوط عريضة كل اللحظات التي كان لها تأثير في حياتي الشخصية، ولن أكون قادرًا على التغاضي عن الأحداث قليلة الأهمية التي تخللت هذه الفترة وعكرت عليَّ صفو هذا الماضي المليء بالأحداث السارة، وإن كنت سأمر عليها دون تعليق.

رحلتُ إلى الشرق الأوسط في عبّارة تابعة لشركة ملاحه الدوناو *Dampfboot der Donaudampfschiffahrtsgesellschaft* في صحبة "جوستاف هاينريش *Gustav Heinrich*"، و"لاديسلاوس أراني *Ladislau Arany*"^(١) قاصدين إسطنبول. وكانت الرحلة عبر نهر الدوناو التي استمرت يومين رحلة رائعة ممتعة، ولما وصلت روستشوك *Rustschuk*، استبقتنا السلطات التركية مدة أسبوعين بالحجر الصحي. كان عليَّ أن أكفر عنها بإسطنبول أيضًا ثم أمضينا الليلة التالية في جورجيفو *Giurgievo*، ولكن اضطررنا لعدم

(١) لاديسلاوس أراني (١٨٤٤م-١٨٩٨م) *Arany, Ladislau* ابن الشاعر والمترجم *Janos*

خبرة الموظفين الرومانيين إلى العودة إلى روستشوك، ومنها ركبنا القطار للسفر إلى فارنا *Varna*، ولكن القطار تعطل فترة، بسبب حادثة في طريق شوملا *Schumla*. ومن فارنا عبرنا البحر الأسود إلى إسطنبول، وقضينا على الضفة الآسيوية أسبوعين بالحجر الصحي في شبه جزيرة كواك *Kawak* / مع حجاج أترك، كما أمضيت يوم عيد الغفران *Jom Kippur* بإسطنبول. إنني لم أتأثر برويتي محطة سكة حديد القسطنطينية المكتظة بالأوروبيين ولكنني أعجبت كثيراً بعاصمة الخلفاء وبالمساجد والأسواق. وأمضيت بالمدينة ثمانية أيام مستمتعاً بصداقة مواطني دانييل سيلاجي *Daniel Szilágyi* الذي أراني كل ما يستحق أن يُرى بالمدينة. ثم رحلت إلى بيروت، وفي الطريق توقفت في سميرنا *Smyrna*، والدرينيل *Dardanella*، وقبرص *Cyprn*، وحتى وصلنا إلى بيروت حيث قابلت فان دايك *Van Dyke* وأعطيته خطاب توصية من الأستاذ فلايشر *Fleischer*. واستمتعت بجولات رائعة مع علماء الجالية الأمريكية في سوريا، الذين انبهروا بطلاقة حديثي باللغة العربية كما قابلت بطرس البستاني. وقد اكتشفت بمجرد وصولي إلى بيروت أنني أستطيع أن أتحدث بالعربية بطلاقة، مما جعل جماعة من المثقفين يرحبون بي...

وقد أعجبت بالموارنة، وبالشاعر الصحفي خفيف الروح خليل الخوري الذي تغنى في ديوانه بسيدة إنجليزية من الطبقة الأرستقراطية (*Lady*) بأسلوب امرئ القيس، وتولى تحرير صحيفة رسمية ساذجة باسم "حديقة الأخبار" التي يملكها حاكم المدينة.

وقمت مع الإرسالية الفرنسية برحلة ممتعة إلى مدينة الخلفاء القديمة (دمشق) مارين بالغوطة، وكثيراً ما وُصفت هذه المدينة، ومن ثم لن أقدم لها وصفاً...

كان في انتظاري بدمشق مواطني دكتور "شفارتز Dr. Schwarz" الذي تعرفت عليه في بيروت. وهو طبيب يخدم في الجيش التركي، وقد أصبح فيما بعد طبيب روتشيفيلد بالقدس. وقد توسط لي في الحصول على مسكن بمنطقة اليونانيين من أصول سويسرية. وبمجرد وصولي إلى عاصمة الخلفاء الأمويين بدأت في تحقيق الهدف الذي جئت من أجله، ومع أنني أرسلتُ رسميًا كي أصبح آلة كلامية وفقًا لنموذج فامبيري Vámbéry^(١)، فإنني لم أقتنع بأن هذا الهدف كافٍ وحده، ولا يصح أن أركز عليه جهودي فحسب، ومن ثمَّ عاهدت نفسي على أن أحقق أهدافًا أعلى من ذلك، وهي الأهداف نفسها التي التزم بها وحققها "سنوك Snouck" بعد اثنتي عشرة سنة فيما بعد بمكة، فالزمت نفسي بأن أتعاش مع الإسلام وعلومه، وأن أصبح عضوًا في جماعة العلماء المسلمين، وأن أدرس أصوله / التي أرست قواعد الإسلام العالمية القوية على ما نقلته عن الحضارة اليهودية (نسبة إلى الإله يهوى) التي كانت لدى يهود مكة، وأردت أن أدرس بعد ذلك تأثير هذا النظام على المجتمع المكي وأخلاقياته. ولن يتحقق هذا الهدف المزدوج إلا بالاتصال بعلماء هذه الأمة وشعبها بالمساجد والأسواق ودور الملاهي. وابتعدت عن الرياضة المحببة عند معظم العلماء المستشرقين من البحث عن المخطوطات، إذ لم يكن لدي المال الكافي لذلك، ولم أكن أرغب في محاولة اصطيد الأوراق الصفراء، بل في السماع من الناس ومعرفة أفكارهم واتجاهاتهم. وقد تابعتني في دراساتي زميلان تعرفت عليهما في رحلتي البحرية من القسطنطينية إلى بيروت. وكان ذلك أفضل بكثير من خطابات التوصية التي

(١) أي يتعلم لغة الكلام فقط.

أعطانيها وزير الخارجية المجري لكي أقدمها للقناصل والسفراء في سوريا ومصر. في حين أن حماية الجهات الدبلوماسية كانت تكلفني أموالاً دون أن أقدم لي مساعدة تُذكر في دراستي العلمية. وكان أهم منها بالنسبة لي المواقف التي مررت بها وكنت أنتهزها بالخروج منها بفائدة ما، واستغلها لصالحِي. فقد إذ تعرفت بالسفينة التي أقلتني إلى بيروت بعزت باشا المحافظ العربي الجديد لمدينة دمشق وعلى الفريق المصاحب له، إذ إنني أثرت انتباههم بمداومتي على قراءة القرآن؛ لأنني عزمت على حفظ كتاب المسلمين المقدس قبل أن أصل إلى عاصمة الخلفاء، كما أنهم دهشوا من نطقي باللغة العربية بلكنة مجرية. فدعاني عزت باشا لزيارته فتمتعت طوال الأيام الثمانية بصحبته وصحبة حاشيته التركية. وكانت معرفتي بهؤلاء القوم الذين كانوا أصحاب نفوذ قوي بدمشق ذات فائدة كبيرة؛ إذ كانت سبباً في معرفتي بالشيخ الذهبي الذي قدم من إسطنبول إلى دمشق في تجارة، وكان له دكان في سوق البذورية بدمشق، فاقتربت منه وصادقته. وبذلك أصبحت صديقاً للعطار العالم. وكنت أزوره وأجلس معه ساعات بديكانه، وأتعرّف على زواره من علماء الشريعة الذين تبنوا معرفتي بالشريعة الإسلامية.

كان الذهبي نفسه من أسرة علمية، وقد كان أخوه خطيباً بضاحية من ضواحي دمشق أو بالصالحية. ووعني الذهبي بأن يقدمني لأصدقائه الدمشقيين، ويعرفني بهم. وأن يحقق لي كل ما أطمع فيه من وجودي بدمشق؛ إذ اعتبرني جازاً له عندما أخبرته بأن اسمي أيضاً الذهبي (*Goldziher*)، ومن ثم عُرِفْتُ في جميع المجتمعات التي تواجدت فيها بدمشق باسم الذهبي الصغير. وأصبح دكان الشيخ محمد الذهبي بالسوق مقري الرئيس طوال مدة بقائي بدمشق،/ حيث كان

محمد الذهبي يقدمني لزواره بأنني الفقيه الأوربي. وأصبحت مشهوراً في دمشق بأنني محب للشريعة الإسلامية، وعالم بالدراسات الدينية، وكل مكان زرته بالمدينة، رحب أهله بي تقديراً لعلمي. ثم اتخذت لي مقراً آخر بجوار مكتبة هاشم الوراق التي كانت محطاً لأدباء دمشق. وكنت أزورها كل يوم ساعتين أو ثلاث ساعات عصرًا لأتحدث مع علماء الإسلام الذين سمعوا عن علمي، فتعرفت عليهم واكتسبت معرفة بنفوذهم بالحي، وأثره على ثقافة الشعب. واطلعت أيضًا على العديد من الكتب والمخطوطات بمكتبة هاشم. ووجهت إليه أسئلة وأجاب عنها، كما وجه إلي أسئلة وأجبت عنها، كذلك وجهت أسئلة لهؤلاء العلماء، واستمعت إلى إجاباتهم.

ولما جاء شهر رمضان كنت أدعى كل يوم للإفطار عند واحد من هؤلاء الذين يجلسون عند هاشم الكتبي، وكنت أصلي معهم صلاة التراويح بقصر الحاكم الذي دُعيت للإفطار به أيضًا عدة مرات.

وجمع عزت باشا حولي عددًا من العلماء والمتصوفة. وكان الحديث الذي يدور أثناء الطعام حديثًا علميًا أشارك فيه. كانت الشوارع تعج بالمارة، فاعتدت أن أتجول فيها، وأحياناً كنت أواصل التجول حتى الساعة الثانية صباحاً مع جماعة من الأصدقاء والعلماء مثل صالح شاهيندر، وصالح الغزي حيث كنا نرتاد المقاهي نستمتع إلى القصاصيين والمدائح الصوفية والأنكار.

وفي الصباح اعتدت أن أزور العالم الديني صاحب الفكر الحر مصطفى بك سباعي، صاحب النفوذ القوي بسوريا، وكان لا يجهر بأفكاره الحرة، إذ كان مفتشاً للأماكن المقدسة بمكة والمدينة. وكان يتمتع باحترام كبير في المجتمعات العلمية والثقافية. وقد أباح لي زيارة مكتبته الغنية بالكتب

والمخطوطات، وأمكنني بعد ذلك أن أشير في مؤلفاتي إلى بعض ما قرأته بهذه المكتبة، ونقل نصوص منها. وقد تعرّفتُ بالمكتبة أيضاً على كثير من الأصدقاء العلماء ومنهم الشيخ الميداني *Al-Mejdâni* الذي قدمني له الشاب المغربي. وفي المكتبة أيضاً اكتشفت كتاب فقه اللغة لأحمد بن فارس، وكتبت عنه للأستاذ فلايشر *Fleischer* المتخصص في فقه اللغات. /

وكان الشاب المغربي وأصدقائه والأساتذة بمسجد بيدار مقاربين لي في العمر، ولذلك نشأت بيني وبينهم علاقة صداقة أكثر ممن وخطهم الشيب الذين تمتعت باحترامهم وحبهم أيضاً، وتناقشت مع الأخوين المنير وهما من علماء الشريعة الشبان ساعات عن مسائل شرعية. وشاع ذكر هذه المحادثات في دوائر المدينة العلمية، وقيل عني إن الفقيه الأوربي الشاب يفتي بأن من يضطر أن يقتل في سبيل الدفاع عن نفسه إذا تعرض للقتل، يصبح قاتلاً. وكثر الجدل في صحة هذه الفتوى، ومدى مطابقتها لفتاوى أصحاب السنة. وقد تعرفت بأسد الإسلام عبدالقادر، وابنه محمد السيدي *al-Sejdi*، وكان ذلك محل دهشة الناس، إذ إن صالح الغزي اصطحبني لزيارة الأمير، وقد بجلني الحاضرون في مجلسه حينما تبينوا أنني متمكن من العلم بالمذهب المالكي. ولقد أسفت لأنني لم أحضر المجلس الأدبي إلا في أخريات زيارتي لدمشق، إذ إن الأمير اعتاد أن يعتكف في رمضان، ولا يستطيع أحد أن يقطع عليه خلوته. وقد وجدت فيه رجلاً واتقاً من قدراته، وكان واحداً من أهم رجال دمشق، أما ابنه الذي حاول القيام بثورة مع الجزائريين في أثناء الحرب الفرنسية الألمانية فقد تعرفت عليه في إحدى السهرات الرمضانية في جلسة يجتمع فيها مواطنوه الذين يتغطون بالبرنس (الزي المغربي)، ولم

يتحدثوا كثيرًا في الشئون الدينية، وكانت الجلسة في منزل رجل أوربي متوسط الثقافة، وهو رئيس جماعة ماسونية (*Freimaurer*)، وكان في هذه الجلسة يقارن بين المدن الأوربية التي زارها ومدينة دمشق التي يعدها بوابة الجنة. ومنذ اختلاطي بهذه المجتمعات الإسلامية لم أشعر قط بأنني غريب عنها على الرغم من الزي الغريب عنهم الذي أرثديه (*Atilla und Fess*)، وعلى الرغم من أن ديني مغاير للإسلام فإنهم كانوا يعتبرونني واحدًا منهم. ولم يتعرض لي أحد بسوء، سواء من الشيوخ المتطرفين أو من الطبقات الشعبية. وقد عشت في هذه الأسابيع أنعم بهذه الروح الإسلامية التي آمنت بها كلية، فأصبحت مسلمًا بكل جوارحي، ومؤمنًا بأن الإسلام هو الدين الأوحّد الذي يمكن بتكوينه وصياغته المذهبية الرسمية أن يرضي المفكرين الفلاسفة. وكان هدفي الأعظم أن أرتفع باليهودية إلى هذه المرتبة المنطقية. فالإسلام كما علمتني تجاربي هو الدين الوحيد الذي ينكر بتعاليمه الأرثوذكسية الأفكار الإلحادية البدائية والفلسفات العقلية./

٦٠ كنت أتصل بالدوائر المسيحية أحيانًا، فقد عرّفني القنصل المجري "برتراند" (*Bertrand*) (وهو من ساكني البحر المتوسط) برئيس الأساقفة مكاريوس، وهو رجل متعصب، ولكنه مثقف. جاء من دير بلبنان ونُصّب حبرًا، واعتدت بعد ذلك زيارة بلاط المطران مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًا حيث أشاهد العديد من احتفالات الزواج أو توزيع أنصبة المواريث. وكان المطران - وهو رئيس الأساقفة - له نزعة غريبة للتحدث معي بالعربية الفصحى. ولم يصدق أبدًا أنني أريد أن أدرس اللهجة العامية التي لا تستخدم إلا شفاهة في مناطق محدودة (*Patois*)، كما إنه كان يستكرّ صحبتي

للمسلمين، وإن كان راضياً عن مناقشاتي العلمية. وفي قاعة رئيس الأساقفة هذه ازدادت محبتي للإسلام عما كانت عليه عندما كنت بين المسلمين أنفسهم؛ ففوق منصة أمير الكنيسة علقت ثلاث صور للبابا بيوس التاسع *Pius ix*، والثانية صورة مريم، وكتب تحتها "أم الله" *die Mutter Gottes*؛ والثالثة صورة المسيح وكتب تحتها "ابن الله" *Ibn allah* وعلى الرغم من أن هذه المصطلحات الوثنية معتادة في أوروبا فإنني ظلت في أعماقي قلقاً أياماً طويلة لقراءة هذه الكلمات بلغة سامية. وهذا ما يثير اليهود والمسلمين، ويعترضون على هذا الإلحاد بشدة، ويعلنون سخطهم على هذا التجديف المعلن في العالم أجمع. ألم يكن من الأفضل أن يركع أسلاف هذا الأسقف تحت راية القرآن، وأن يتغلبوا على هذا الإلحاد؟ ومنذ هذا الوقت تبين لي أن الإسلام قد خطا خطوة قوية ضد المسيحية، وازداد الأمر عندي وضوحاً يوماً بعد يوم كلما اقتربت من الأكليريكية السورية اليونانية.

ومن بين علماء الدين المسيحيين أخص بالذكر أبونا موسى الماروني الذي اعتدت أن أزوره آنذاك عند بوابة ثوما *Thomas-Thor* بالحي اليهودي. وهو رجل ذو علم وافر بالشرعية الإسلامية. وقد وجدت نفسي ممتناً له لتبصرتي وتعميق فهمي للاختلافات العقائدية الإسلامية. وقد قرأت كتاب "ميزان الشعراني" لأول مرة في حياتي في نسخة "أبونا موسى".

ولم يفتني - في مقابل ذلك - أن أستقبل في منزلي كثيراً من أصدقائي الشبان المسلمين الذين كانوا يحضرون إليّ كل يوم تقريباً بعد الساعة السادسة (أي في منتصف النهار بتوقيتنا) وبعد وقت القيلولة (*Siesta*) بعدما أدخلنا النارجيلة كي نذهب إلى هاشم. واعتاد السباعي كبير المنافقين أن

يحضر إليّ لتناول الطعام عندي أثناء النهار في رمضان خلف أبواب مغلقة، كما اعتاد القنصل أن يزورني أيضاً.

وكان مما عمل على علو مكانتي بمنزل "راوش" *Rauch* قيام رئيس الأساقفة والشمامسة بزيارتي، ولأنني تريضت مرة مع مكاريوس *Makkarius* راكبين الخيل إلى نهر جوبار *Gobar* لزيارة كهف إلياس *Eliasgrotte*. وقد اجتاح الشوارع هياج ملحوظ عندما شاهدوا الذهبي الصغير يركب إلى جوار كبير الأساقفة ويتبعهما شمامسة راكبين أيضاً.

واعتدت كذلك أن أزور الحي اليهودي. وكان "برتراند" *Bertrand* قد عرفني عقب مجيئي إلى دمشق بصديقه المفضل فرخي *Farchi* / الذي قرأت ٦١ في كتابه بيت المدراس *Beth hammidrasch* قصة عربية عن الجاليات اليهودية بسوريا، حكاها لي من قبل فيترشتاين *Wetzstein*.

وقد دعاني فرخي لزيارته في منزله، ورحب بي، وكان القنصل قد فرض عليه ذلك. ولكنه لم يطلعني على ما ورد في الكتاب من أنه عند حدوث مذبحة لجماعة من اليهود ينبغي أن يكون ثمة ضحية للسلب والنهب، ولكنني قرأت ذلك في مخطوطة للتوراة مزينة، وقد وصفتها في صحيفة برلينية عام ١٨٧٤.

وقد عوملت في الحي اليهودي بارتياح عظيم، إذ إن الناس يشكون في أنني مبشر، رغم أنني بينت لفرخي عند قراءة بيت المدراس بأنني يهودي، كما بينت للحاخام معرفتي الجيدة بالتلمود الذي كانوا مشغولين بقراءته عند حضوري، ولكن معرفتي بالتلمود أكدت لهم أنني مبشر من أصل يهودي.

وقد شاركتم الصلاة عدة مرات، وعندما كنت أدعى لتناول الطعام عند فرخي-إرضاء للفنصل فقط- كنت أرثل بصوت مرتفع صلاة المائدة. ولكن هذا كله دون فائدة؛ إذ إنهم رأوني في صحبة رئيس الأساقفة، وأنني أصادقه، ومن ثم لم يعتبروني إلا مبشرًا. كان لديهم كل الأسباب التي تجعلهم يتهمونني بذلك ويعاملونني بكل نفور وكرهية.

هل أبشر بهذه الديانة الشنيعة التي تتفنن في ابتكار حمامات الدم البغيضة، وتجتهد في إعداد مناضد التعذيب؟؟ هل يراد أن يُغرى بها من يعترفون بوحدانية الإله يهوى؟ وفي بلاد إسلامية!! إنها لوقاحة لا يقدر عليها إلا المسيحية، أبشع الديانات. وإنها لجرأة وقحة أن يكون هذا هو الهدف [من التبشير] الذي يُكوّن شخصيتها التاريخية. إن وقاحة المسيحية لا يماثلها إلا وقاحة امرأة عاهرة.

ما أتعس اليهود الدمشقيين! لكرهوا هؤلاء المنحطين البشعين إذا اشتئت وطأتهم عليكم قدر استطاعتكم؟! فإنهم كانوا يغطون جدران الحي اليهودي وجدران المعبد اليهودي بملصقات يهودية أيام الجمع اليهودية المقدسة التي عشناها منذ فترة وجيزة لينفروا الذين يؤمنون بيهوى وبالتوحيد ويحضونهم على ترك اليهودية، والاعتراف بالديانة المسيحية المكروهة البغيضة اللاأخلاقية. ويجب أن يصبر اليهود المساكين على هذه الملصقات المكتوبة باللغة العبرية، وويل لهم إذا قاموا بتمزيق هذه الأوراق الحمقاء البذيئة ولتحقيق هذا كان الدبلوماسيون الأوربيون كافة يضغطون على السلطان كي يصبر على هذا الانتهاك الأثيم في بلده. ومن ثم كنت أغفر لليهود دمشق رفضهم لي، لأنهم كانوا يرتابون في أنني مبشر بالمسيحية، وإن كنت رغم ذلك أحظى بعلاقات حميمة في حواري اليهود.

يجب أن يكون عنوان هذا الفصل "حيًا Hajja"

في خان أسعد باشا-أعظم أسواق دمشق- اعتدت أن أعرج على تاجر عربي يدعى خليل لأتناول قَدْحًا من القهوة. / وكان عنده فتى يهودي يدعى ٦٢ ليفي "Lewi" يقوم بالأعمال الحسابية، وكان أجره في اليوم فرنكًا واحدًا، ولما تجرأ مطالبًا برفع أجره ليصبح فرنكًا ونصف فرنك استغنى عنه صاحب المتجر وطرده من خدمته. فتوسل إليّ هذا الفتى اليهودي - البالغ من العمر خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة، ويعول بأجره أبوين فقيرين - أن أتدخل لأحميه من قرار الطرد، لأنه رأى أن سيده يظهر لي المودة. فتدخلت للتوصية به عند خليل، مستخدمًا كل ما يمكن أن أستشهد به من آيات القرآن والحديث، وبارك الرب في مساعي، فأعيد ليفي إلى عمله بالأجر الذي كان يطمع فيه بخان أسعد. وتمكنت من إسعاد عائلة، واستجبت لدعوة ليفي التي وجهها لي ودموعه على خديه لاستضافتي بمنزله. وذهبت إلى منزله المتواضع النظيف، واندمجت في مشهد مثير، إذ رحب والداه وإخوته وأخواته ترحيبًا ممتزجًا بدموع ودودة، وكأنني فارس أو منقذ للأسرة. فملأني الاطمئنان لأنني قنمت خدمة لهذه الأسرة المكافحة التي يبدو عليها أنها عزيز قوم جار عليه الزمن. وجرت أمامي أحاديث أفراد العائلة سالت معها دموعهم، وكثر شكرهم لي، إلا أن حيًا Hajja أخت ليفي الذي شملته بحمايتي، كانت على عكس أخيها متماسكة وقورة شكرتني هي أيضًا، وقبلت يدي. ثم ابتعدت عني في غمرة المودة التي اجتاحت والديها وأخواتها، وعادت تقدم لي القهوة بأسلوب راقٍ. وسألتني إن كان لي أخت في وطني، وما اسمها. ولما أبلغتها بأن لي أختًا تسمى "ميريام ديبور" *Mirjam Deborah*،

بدأت في ترتيل مطالع أغنية ميريام وديبوره باللغة العبرية، وقالت إن هذين الاسمين هما أجمل الأسماء اليهودية. وقد سميت بهما شاعرتان ونبيتان وأميرتان، ولا يوجد الآن إلا أميرة يهودية فقط بهذا الاسم، ولعلها ماتت.

واعترف بأنني ما كنت مستعدًا لزيارة هذه الأسرة مرة أخرى، لولا حيًا البنت اليهودية الرقيقة التي سألتني عن أختي، والتي أثارت اهتمامي بها. وقد دارت بيننا بعد ذلك أحاديث طويلة فوجدتها فتاة كثيرة التأمل عميقة الإحساس. تعرفت منها على أحوال اليهود في دمشق، ولاحظت أنها على معرفة واسعة بالأحوال الدينية والاجتماعية تفوق ما أتوقع من فتاة يهودية بسوريا. وقد وجدتتها نقرأ لشعراء عرب أيضًا، وإن كانوا جميعًا هم المذكورون بالكتب البيروتية فقط، ومن ثمّ قمت بتعريفها بالشعراء البدو الأصليين. / وسرعان ما تطور تعارفنا ليصبح صداقة حميمة، إذ بدا لي أنها جديرة بصداقة أوربي ظننت هي نفسها أنها لا تستحق صداقته. وبعد رحيلي عن دمشق سمعت أنها تزوجت تاجرًا صغيرًا يعمل بالإسكندرية، حيث توفيت نتيجة ولادة عسرة.

٦٣

رحم الرب هذه الفتاة اليهودية الدمشقية الحلوة الشجاعة

وثمة حدث آخر تعرضت له بدمشق يهمني أن أذكره، إذ إنني كنت أتناول الغداء مع مجموعة من الأطباء الأوربيين، وتاجرين سويسريين بمنزل راوش *Rauch*. وفي أحد الأيام أحضر إلينا السيد هومل *Hummel* - وهو أحد الزملاء الذين يتناولون معنا الغداء - عالمًا سوريًا قادمًا من إيطاليا تحمل بطاقته اسم كارلو لندبرج *Carlo Landberg*، مسئولاً عن بعثة علمية أي إنه أوربي زميل في التخصص. وبدأ يتحدث معنا بعلمانية عالية، ولكنه سرعان

ما هدأت نبرته عندما تحدث معي، ولاحظ أنني أفوقه في العلم قليلا، فتواضع وأصبح أسلوبه مقبولا بصورة عامة، بل التمس مني أن أعطيه درسا خاصا، فتعاليت عليه، وقبلت أن أعطيه دروسا أولية في المواد العربية دون أجر "ببلاش"، وكنت أصطحبه أحيانا حينما أقوم بزيارات عربية. وكان يتابع حديثي بانبهار عندما يتبين كيف أتحدث باقتدار مع العرب بلغتهم. واعترف لي أن حلم حياته أن يتمكن من أن يصل في حياته إلى ما وصلت إليه. ولم يستمر كثيرا بدمشق إذ إنه أصيب بمرض اضطره إلى مغادرة دمشق ذات الجو الخريفي، وينقل إلى بيروت.

وكان هذا أول لقاء مع الجراف "Graf Landberg" الذي عبر لي بعد ثمانية عشر عاما عن امتنانه لمساعدتي له في معرفة فروع اللغة العربية عدة ساعات بدمشق.

بالوادي بردى.. كيف أنساه، وكيف أنسى - بعد ثمانية عشر عاما- الساعات المبهجة التي قضيتها مع أصدقاء رائعين، وتناولنا في ربوعه وحدائقه الخضراء، ويمكن للمرء أن يطالع كتبها وصف لربوع لا مثيل لها بدمشق القديمة. ويا للعجب!! تأمل كيف استمتع جولدتسيهر فاقد الإحساس بعيون مفتوحة بكل هذه الربوع بفكر متوقد مع أصدقاء عرب أعجبوا برويته سعيدا!!

تمتعت بالتزهر مع أصدقائي المسلمين. وتحدثنا عن مسائل في العقيدة والشريعة الإسلامية، والشعر، والنحو؛ متعمقين في تناولها بإسهاب، ذلك لأنها من المسائل التي أشبعتها دراسة منذ نشأتني.. كانت الأماكن السياحية الجديرة بالمشاهدة تجذبني إليها دائما، فكنت أنتهز الفرصة للتجول بها،

فرحبت بدعوة قائد فصيلة حربية بدمشق لزيارة حماة بصحبة دكتور سفارتز *Dr.Schwarz* وزيارة بعلبك. وقد كتبت بعد عودتي مقالتيْن أصف فيهما هذه الزيارة / وأرسلتهما إلى مجلة *P. Napló*. وبعد عودتي إلى دمشق قررت زيارة بيت المقدس مع دكتور "ليدر *Dr.Lederer*". وهو طبيب عسكري من باجا وشرق الأردن. وقد دبر لنا الباشا الحماية لهذه الرحلة العسكرية. ولكن الخطة لم تتم؛ إذ إن ليدرر مرض مرضاً خطيراً، وذهب ضحية تيفوس كان منتشرًا في هذا الوقت بدمشق. وكنت بجوار فراشه عند وفاته. وقمنا بمباحثات مضنية مع الحبر لنضمن له مدفنًا يليق به.

وقد خفت من انتقال عدوى التيفوس إليّ، فقررت فجأة الرحيل عن دمشق الرائعة. ورافقني الأصدقاء حتى بوابة المدينة الجنوبية، وودعوني بالدموع، فلم أحتمل هذا، وتأثرت كثيرًا. وما كنت أظن أنني سأنعم بمثل هذه الأيام الجميلة أبدًا.

عزمت على السفر إلى بيت المقدس، واستأجرتُ جوادًا هزيلًا سحبنى في الطرق البرية إلى حيفا حيث زرت جبل الكرمل وأرض إلياس *Eliasorte*. ولما كانت الذكريات الإسلامية الجميلة ما زالت بخاطري، فقد أثارت حياة الأديرة السرمدية التي لم تتغير منذ نشأتها مع كل ما أمكن إضافته إليها من مواقع نُكرت بالعهد الجديد اشمنزازي، وكذا تقديس القبور في صفد وطبرية، وما يحيط بها من عشش اليهود القنرة وقبورهم المتهمة. كانت الرحلة بين البلدان غير مريحة بسبب كثرة الجداول التي تفيض منها المياه. وفي الطريق انضم إليّ طبيب أمريكي يدعى دكتور "شيرفي *Dr. Sherffy*" من بروكلين. وهو رجل مضحك كُتِبَ عليّ أن أصحابه رفيق سفر حتى وصلنا إلى القاهرة.

وكان مفتوناً بكل ما نمرُّ به من أماكن مقدسة. وقد عذبني كثيراً برجوعه إليَّ كي أوضح له كل ما نمرُّ به من أماكن مقدسة قرأت عنها بالعهد القديم أو الجديد.

وفي حيفا اعتزمنا مواصلة السفر بحرًا، وركبنا أول باخرة تستعد للإبحار وكانت باخرة روسية، نقلتنا في بحر عاصف إلى يافا. وتركنا الباخرة ونحن في حالة يرثى لها بسبب ارتطام أمواج البحر بها، الذي كان يزداد كلما اقتربت من اليابسة، واستطعنا أن نطأ الأرض بعد صراع مع الأمواج استمر ثلاثة أرباع الساعة. وكنت قد حصلت على توصية من بيروت لتاجر ماروني غني في يافا يدعى بشارة سيفر *Bschâra Sefîr* أمضينا في ضيافته يومين قضيناهما في التجوُّل في المنطقة المحيطة بالمنزل، وكان بها مستوطنة زراعية يهودية تدعى بتاح تقوى *Petach Tika*^(١) وقبل رحيلنا إلى بيت المقدس بساعات استطعنا أن نزور حدائق البرتقال الشهيرة التي يمتلكها مضيفنا، وبها ألف شجرة برتقال يبلغ بعضها حجم البطيخ الصغير بلا مبالغة.

ثم طلبنا الخيل وامتطيناها في اليوم نفسه/ متجهين إلى الرملة، حيث [٦٥] استضافنا دير الفرنسيسكان.

وفي اليوم الأول من ديسمبر رحلتُ إلى بيت المقدس وسكنت في اليوم التالي بسوق كنيسة القبر المقدس وشاهدت الاحتفال الرسمي بالعيد الخامس والعشرين لصاحب الجلالة واصطحبني القنصل جراف كابوجا *Graf Caboga*

(١) أي "بوابة الأمل" (عوني).

لحضور القدّاس السنوي لكنيسة القبر، ووقفت أمام قبر مَنْ يُعتَقَد أنه أراد أن يخلّص العالم من الشرور ولكن اسمه ارتبط بمذهب كراهية الجنس البشري *Odium generis humani*، ورأيت في اليوم نفسه في حماية القتل ميدان الحرم والمساجد.

وقمت في الأيام التالية برحلات إلى أريحا، والبحر الميت، والخليل، وعبرت نهر الأردن لزيارة مناطق الموابيين مع المرشد شابيراس *M.W. Schapiras* حيث شاهدنا الحفائر هناك. واستغرقت الرحلة عشرة أيام، مرت بنا أحداث لا يمكن أن أنساها. وإن كنت أعُدُّ زيارتي لبית المقدس من أبغض الأحداث التي مرت بي في حياتي، وأقساها على نفسي؛ إذ إن المرء يفتقد فيها كل المثل، عندما يتمعن فيما يدور بها من ممارسات دينية. وقد غمرتني الفرحة عندما ابتعدت عن حائط المبكى منتقلا إلى الجبال العالية المحيطة بالوادي، التي تُعدُّ مخرجًا للمدينة المقدسة.

وفي الرملة أتيت لي أن أستريح في أحد الفنادق حيث شربت بيرة فيرتمبرجر *Würtemberger Bier* وتعرفت على أحد الرهبان المنتمين للمذهب اللوثيري، وكان يُعنى بفكرة شفاء الأرواح باعتباره من رهبان المعبد بمنطقة شفابنج، وتمكنت من أن أكمل له ما لم يكن يعرفه عن الأغاني الكنسية البيروتية.

وفي يافا أمكننا أن نستقل الباخرة التابعة لشركة لويد *Lloydampfer* التي وصلت في الموعد المحدد إلى بورسعيد، ومنها ركبنا القطار إلى القاهرة.

القاهرة

اعتزمت أن أقضي فترة وجودي بالقاهرة بالطريقة نفسها التي اتبعتها في دمشق؛ إذ إنني قدرت أن الإقامة في عاصمة الممالك ينبغي أن تكون استمرارا لما تمتعت به من متع ذهنية في عاصمة الأمويين، ولكن الأيام الأولى التي قضيتها بمصر كانت مختلفة اختلافاً قوياً عما ظننته.

وصلت إلى القاهرة بالقطار، ونقلني ترام يسير بالغاز، ساطع الأنوار إلى فندق أوربي في مواجهة الأوبرا التي اكتست بثوب الحضارة الأوروبية بمن يحضر إليها من مغنيات أوربيات، وراقصات باليه. كانت قاهرة الخديو إسماعيل. وبهذا كانت الانطباعات الأولى ضربة قاضية لكل ما تاقت إليه نفسى لرؤية بلد ذات طبيعة إسلامية صافية (لم يكرها أي شائبة أوربية). ومن ثم اعتقدت أن على أن أنفذ إلى أعماقها الإسلامية./

كنت قد تعرفت في دمشق على تاجر تحف يوناني كان قادما من مصر، وهو السيد بنايوتي تانو *Panajothi Tano*. وقد وعدني -آنذاك- أن يأخذ بيدي ليريني القاهرة حين أزورها. فبحثت عنه، ووجدته في محله بشارع الأربكية. ولما فشلنا في تجوالنا بالمدينة بحثنا عن مكان أسكنه، فعرض على أن أسكن معه في غرفة بمنزله، فانتقلت معه إلى حي اليونانيين، وهو جزء بانس من المدينة، يتجمع فيه حثالة القوم من كل نوع. وسكنت غرفة لا أستطيع أن أصفها جيدا لقذارتها ولكونها غير مريحة، وفي المساء كان البعوض ينهشني. ولم أقض بها إلا أسبوعا واحدا، وسمعت أنه حدث تحت نافذتي جرائم قتل. وقيل لي أن أحد القتلة قاتل محترفا، وكان

مالطياً، أراني إياه صاحب منزلي، يقف أمام عربة يد فوقها حبات برتقال ذهبية اللون يعرضها على المارة.

وفي هذا الوقت قدمت نفسي إلى القنصل ساكس Sax الذي عاب عليّ أن أقوم بزيارته رسمياً مرتدياً طربوشاً. قدمت له خطاب الاعتماد، ولكنني لا أستطيع أن أدعي أنني أفدت منه أي فائدة، ولكنني أفدت من مترجم القنصلية، وهو رجل سوري ظريف، مسئول عن المراسلات العربية والتركية للقنصلية. وكان يمكنني من الاطلاع على السجلات الرسمية عندما أرغب في ذلك، وتسجيل بعض البيانات. وبهذا تمكنت من تأدية الواجبات التي أسندت إليّ. وقد تعلمت القيام بذلك في اليوم الثالث بعد المجيء إلى القاهرة.

وبدأت زيارتي للكتبخانه (دار الكتب الخديوية) في هذه الأيام الأولى، ووضعت نظاماً لزيارتي للدار وفقاً لدراساتي. وجعلت أزروها ما دمت بالقاهرة من الساعة الثامنة إلى العاشرة صباحاً. ووجدتها معهداً لا نظير له للوفاء باحتياجاتي الدراسية، فأثرت معارفي بموضوعات دراساتي بسخاء. وكان أمين المكتبة آنذاك السيد شترن Stren المتخصص في الدراسات المصرية القديمة (Ägyptologe) وهو تلميذ المستشرق بروجش Brugsch، والمستشرق بروتيجي إيبيرس Protège Ebers، ولكنه كان مستعرباً متوسط المستوى في الدراسات الإسلامية، فضلاً عن جهله في أمور كثيرة، وغلظته وجفائه (إذ كان قليل المجاملة). وعلى العكس من ذلك كان المساعدون المسلمون بشوشين مرحبين. وقد صاحبت أحدهم، ويدعى حسنين أفندي واتخذته معلماً لي، فكنت أقضي معه ساعات طوالاً كي أتعلم اللهجة العامية، وخرجت معه أتجول في شوارع القاهرة وحاراتها، فتعلمت العامية القاهرية

واستمعت إلى أغاني الشباب. وكتبت عن ذلك مقالاً نشرته بمجلة المستشرقين الألمان ZDMG. واستطعت بعد أن تعرفت على أحد المواطنين ويدعى متى Matta أن أتخلص من مشكلة البحث عن مسكن، إذ خصص لي حجرتين واسعتين مريحتين بمنزله الخاص، فأصبح لي مسكن؛ في حي محترم يمكنني أن أقوم فيه بدراساتي، مما جعلني أشعر بالرغبة في الاندماج مع الشعب المسلم بالقاهرة أيضاً.

كنت أزور أسواق الكتب، وأقيم صداقات مع الأهالي بها، واشتريت منها كتباً لنفسي ولأصدقائي بأوروبا وللكاديمية كذلك، ولكن هذه الأسواق لم تكن مثل أسواق الكتب بدمشق التي كنت أرتاح في تعاملتي مع التجار بها، إذ إن كل فرد بالقاهرة يحب أن يتكسب، ومن ثم فلا توجد صداقة خالصة / إذ إنهم في هذه الأسواق تأثروا كثيراً بطباع الأوروبيين الجشعين المرايين.

٦٧

وقد تمكنت في لقاءاتي اليومية عصرًا مع حسنين أفندي -المواطن المصري- من التعرف على علماء العالم الإسلامي وأشرافه. ففي دار الكتب الخديوية تعرفت على كثير من العلماء ورجال الدين الذين انتفعت كثيرًا بالاتصال بهم، وقد زرت منهم شخصيتين لهما مكانتهما في المجتمع الإسلامي. وهما السيد صالح بك مجدي وكيل وزارة المعارف سابقًا، ويعد واحدًا من المجتمع الإسلامي المثقف، الذي يرفض أن تكون الحياة الثقافية والوطنية المصرية من الأمور التي تحتاج إلى إصلاح غربي، وإنما كان أبناء هذا المجتمع يتطلعون إلى إعادة التفكير في بناء العلاقات الوطنية العربية الإسلامية على أسس وطيدة، والتخلص من محاولة التأثير بالتقاليد والعادات الأوروبية البغيضة، ويبدو أن الجماعة المنتمية إلى هذا التيار بدأت منذ زمن في

التخفيف من تأثير الإصلاح الأوربي الخذاع، الذي لا يمكن أن يكون مؤثراً إلا إذا اقتنع الشعب بأهميته، وأن يتقبلوا هذه الحضارة الغربية المستوردة.

وقد اضطر صالح مجدي يوماً أن يخلي مكتبه بوزارة المعارف للسويسري دور بك *Dor bey* الذي أصبح مهيمناً على الشؤون التعليمية في وزارة رياض باشا. وكانت الجماعة الرافضة لهذه السياسة تجتمع بمنزل صالح بك، فاستطعت خلال زيارتي المتكررة لمنزله أن أتعرف على الكثيرين من العلماء الأجلاء الأعضاء بالحزب الوطني. وأصبحت منتمياً إليهم، وأخذت على عاتقي أن أشاركهم اقتناعهم ورفضهم للفرنجة. وفضلاً عن ذلك كنت أتحمس في الأسواق لنشر الحضارة الوطنية، وقد تسبب لي هذا في موقف بالسوق عانيت فيه معاناة قاسية.

وفي منزل صالح بك تعرفت على رئيسه السابق علي باشا مبارك الذي كان وزيراً للمعارف، وكان آنذاك منشغلاً بإقامة منزل، ولم يهتم كثيراً بي.

أما الصديق الثاني الذي عرفته فهو شيخ الساداتية السيد عبدالخالق. وهو أحد الأغنياء الكبار بالقاهرة، وهو من سلالة [السيدة] فاطمة الزهراء، ورئيس عائلة الأشراف، وهي وظيفة يخصص لها ريع وفير من الأوقاف. وقد زرته كثيراً بمنزله فوجدته رجلاً مُنعمًا، أعجب بي، وتمكنت من أن أتناول مع تعطشه للعلم، وأن أشفي غليله من الأحاديث العلمية، وبعد أن زرته ثلاث مرات أتاح لي زيارة مكتبته الضخمة التي تحتوي على كتب كثيرة.

وكان يأمر بإنزال الكتب التاريخية من رفوف مكتبته الضخمة كي أقرأها. وكان يهوى الاستغراق في دراستها بجد واجتهاد. وقد اصطحبني

يومًا لزيارة مقابر أسرته بالقرافة، وأراني شجرة العائلة التي ترجع أصولها إلى /السيدة/ فاطمة الزهراء.

وما زالت صورة هذا الصديق العظيم تزين جدار مكتبي حتى اليوم، وإني لأعدها تذكرة جميلة لهذا الرجل الذي تأثر بي فكريًا كثيرًا، وطالما استعدت بسرور نكرى منزله الرائع بنافورته، وجدرانه المطعمه بالموزايك غالي الثمن وقاعة الاستقبال المحلاة بكل أنواع الفخامة الشرقية، تلك القاعة التي كان يستضيفني بها، باعتباري صديقًا / مرحبًا به.

٦٨

ومن بين الرجال ذوي المكانة الذي عُرف بأنه كان معارضًا للإنجليز ومحرضًا على معاداتهم، وكان منفياً من وطنه الشيخ جمال الدين الأفغاني، وكان أيضًا صحفيًا مجالداً عنيفاً للمستشرق رينان *Renan*، وقد قابلته في أمسية بمقهى في شارع عابدين، حيث كان يجتمع كل مساء مع مجموعة من الشباب الذين يتعلمون بالأزهر، يحدثهم في موضوعات مختلفة، ويعرض عليهم آراءه التي تتسم بحرية الفكر والاستنارة؛ إذ كنت أجلس يومًا إلى منضدة بالمقهى أدخن النارجيلة، فدعيت إلى الجلوس مع هذه الجماعة، وأعجبت بما يقوله الشيخ، فاعتدت الذهاب إلى المقهى والجلوس إليه كل مساء لأستمع إلى هذا الزنديق (الملحد). ثم قابلت هذا الصديق مرة أخرى في ظروف عجيبة بباريس عام ١٨٨٣. وفي هذه المقابلة دار بينه (جمال الدين الأفغاني) وبين زوجتي حوار فلسفي حدثته فيه عن الحضارة الأوروبية. وقد أخذت على نفسي عهدًا أن أكتب عن لقائي به يومًا فصلًا في أحد كتبي.

وفي الأسبوع الثالث من إقامتي بالقاهرة وقعت لي حادثة ذات دلالة مهمة على حياتي العلمية، إذ عرفني السيد شتيرن *Stren* بالسيد دور *Dor*

الذي كان آنذاك أقوى مسئول في وزارة المعارف. واصطحبني الرجل إلى محاضرة له يحضرها وزير المعارف مصطفى رياض باشا، باعتباري عجيبة من الأعاجيب (لأنني رجل أوربي متعمق في دراسة الإسلام، فبدوت عند رجل التعليم السويسري وكأنني (نب عجيب). وقد أراد رياض باشا أن يتحدث معي باللغة الفرنسية، ولكني رجوته أن يحدثني بلغته (أي اللغة العربية) فأعجب رياض باشا بردي عليه، ولباقتي في الحديث معه إعجاباً جعله يدعوني لزيارته أسبوعياً، وقد كررت هذا عدة مرات. ولما كانت سراي الوزير قريبة من دار الكتب الخديوية، فقد اعتدت أن أزوره قبل ذهابي إلى الدار أو بعد قضاء الساعتين اللتين أفضيهما فيها. كان يجلس على الأريكة في مواجهة المواطنين الذين يجلسون بالقاعة يتحلقونه، وكان حديثاً يدور دائماً حول مسائل أدبية. وفي إحدى المرات أخذت معي الطبعة البولاقية لكتاب سيبويه، فأعجب الوزير بمحاولتي لتثقيط المحادثة، حتى إنه أبدى ملحوظة حاول بها أن يستبقيني بمصر، فعرض عليّ أن يعينني في وظيفة مهمة بوزارة المعارف، ولكنني اعتذرت بعدم استطاعتي أن ابتعد عن والدي الطاعنين في السن. ومن ثمّ سألني إن كنت أرغب في أي مساعدة منه حتى يحققها لي. فلم أتردد طويلاً، ورجوته أن يحقق لي الأمنية التي أرجوها، وهي أن يأمر الباشا بتمكيني من المشاركة في الدراسة بالجامع الأزهر، وأنني لا أرغب في شيء خلاف ذلك. / فبين لي الباشا صعوبة تحقيق ذلك، وأنه لم يدرس أي شخص غير مسلم بالأزهر. ولكنني لم أقنع، وأعلنت أنني لا أطلب شيئاً غير ذلك، وأنه يمكنه أن يعتبرني مسلماً كما قال لي لحبي الشديد لدراسة الإسلام، فقال: "ولكن المفتي لن يقبل ذلك، ولا أستطيع أن أفرض عليه قبلك". فقلت: "اكتب لي توصية بذلك، وسأذهب إليه برجائي بالقبول". فأمر الوزير على الفور بكتابة توصية حارة إلى المفتي

يرجو فيها ملحقاً أن يقابلني وأن يتحدث معي عن الشريعة الإسلامية ليقنعني بأنني كفاء لسماع الدروس بالجامع الأزهر.

فامتطيت الحمار (وكنيت أكثرني حماراً كل يوم بالقاهرة)، وذهبت إلى سراي المفتي العباسي المهدي. وكان والده حبراً^(١) ثم اعتنق الإسلام. وبعد انتظار ممل سمح لي بمقابلته بعد أن طلبت زيارته أمام باب قاعة الانتظار. ولما دخلت القاعة وجدت المفتي يترأس جماعة من العلماء، يتناقش معهم في مشكلة تتصل بتوزيع الميراث، فاستمعت للحوار بانتباه وهدوء حتى انتبه الشيخ الكبير لوجودي، فسألني إذا كنت الرجل الذي يُوصي به صديقه الوزير؟ وسألني بأي دين أدين. فقلت له: "أنا من من عليه رياض باشا بفضلته. اسمي إيجناس المجري، ولدتُ بين أهل الكتاب، وربيت على الإيمان بالتوحيد" (وكنيت قد أعددت هذه الإجابة قبل دخولي للقاعة)، وسألني المفتي إن كنت فهمت شيئاً من محادثتهم عن التشريع الإسلامي، فأخرجت من حقيبتي جداول توزيع الميراث بمقتضى قانون الإرث. فظهرت علامات الدهشة والتعجب على وجوه العلماء الذين يتحلقون الجلسة.

وسألني المفتي عن ضمير المؤمن بالتوحيد، وعمّا إذا كنت أريد أن أسخر مما يحدث بالمسجد، وما يقال به. وبعد أن أكدت إيماني بالتوحيد، وأني منذ صباي أحلم بأن آخذ عن المشايخ، وأتلقى العلم عليهم. وبعد أن تكلم الشيوخ مُبَدِّين شكوك المفتي المتردد، نادى المفتي كاتبه وأملى عليه المرسوم التالي:

"إلى شيوخ الجامع الأزهر وطلابه وسدنته

(١) لم يكن جده حبراً أو "رايين" كما يقول جولتسيهر بل كان جده مسيحياً ثم أسلم. (عوني).

تقدم إلينا بخطاب توصية حارة من صديقنا العظيم رياض باشا الطالب المجري إيجناس. وهو من أهل الكتاب، يفصح عن شوقه إلى أن يعمق معارفه عن الإسلام برعاية الشيوخ العلماء بالجامع الأزهر. وقد وهبه الله برحمته معارف كثيرة عن علومنا / وهو يحنُّ إلى أن يخوض البحر الذي تنوق قطرات مالحة منه. وقد أقسم لي أن حنينه هذا لم يدفعه إليه مجرد المعيشة بينكم. وقد أعلن أنه بعيد عن أي رغبة في السخرية منكم. وإنها لمشينة الله أن يجاور هذا الشاب جامعنا الأزهر، ولا راداً لمشينة الله. وإنني أضع إيجناس في حمايتي طالما يستحق ذلك. وسيقدم نفسه أولاً للشيخ الأشموني.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العباسي، شيخ الجامع الأزهر

وبقلب يخفق أخذتُ هذه الأسطر من المفتي الصارم، وقبلت يديه، وعاهدت نفسي عهداً مقدساً ألا أفعل أي شيء يجعله يتشكك في ثقته بي.

ما أكثر ما تجتاحني الذكريات رغماً عني وما أكثر ما تطوف بذهني! وأسترجع معها ذكريات مواقف صعبة من كل نوع مرت بحياتي عام ١٨٦٨، وعانيت منها محاولاً التغلب عليها، عندما كنت أستمع إلى محاضرات الكاهن المأفون روزسكا *Ruzsicska* عن اللاهوت الكاثوليكي بمدينة بست *Pest* فما أيسر ما مر بي هنا، أنا المقر بالله وبمحمد.

أسرعتُ بالذهاب إلى الجامع الأزهر، وقدمتُ نفسي إلى حارس بوابة الأزهر، فقادني إلى الشيخ الأشموني، فأعطيت له فرمان المفتي فقرأه الرجل

العجوز المتعصب مستغرباً ما كُتِبَ فيه، وقال لي: "أنت أول رجل غير مسلم يسمح له أن يهبط على حلقاتنا. المفتي رجل حكيم، ولكنك إفرنجي تريد فقط أن تستمتع برحلة تصف فيها شيوخ الأزهر، وتنشرها في إحدى صحفكم: فقلت له: "ليغفر الله لي إن كان خطر لي مثل هذا الخاطر البشع. ولم أرد ذلك مطلقاً. إن لي حيناً لدراسة العلوم الإسلامية، والأزهر هو مقر هذه العلوم. إنني أريد أن أروي ظمئي من منبعه، وأن أسد رمقي بالجلوس إلى مائدة المُضَيَّف الكريم الذي اتخذني مجاوراً من المجاورين".

وبهذا قُدِّمْتُ إلى شيوخ مختلفين، والتف حولي مئات من الطلاب الفضوليين، ومعهم أيضاً حارس البوابة.

كان من أظرف من احتضنني الشيخ محفوظ الذي تعلمت عليه كثيراً. وهو من شمال إفريقيا؛ إذ إنه بمجرد ما قُدِّمْتُ إليه ذكر لي أنه رأى في منامه من أيام قليلة أن رجلاً من سلالة أحد الأنبياء القدماء سيأتي إليه ليفيد من دروسه.

وسرعان ما ألفتُ الحياة بالأزهر، فالتحقت بحلقة الشيخ الأشموني، والشيخ محفوظ والشيخ السقا. وكانوا أشهر علماء مصر آنذاك. كان الشيخ الأشموني الذي قارب المائة لا يزال يحاضر عن الحديث في منزله. وتلقيتُ منه أصول الفقه الحنفي والمالكي. ولم أكتفِ بسماع هؤلاء الشيوخ الثلاثة، بل كنت أستمع لشيوخ آخرين أيضاً. وبهذا كنت أقضي فترة الصباح من التاسعة إلى الثانية ظهراً في الاستماع إلى هذه المحاضرات؛ إذ إنني كنت أقضي الوقت قبل التاسعة بدار الكتب الخديوية، وأمرُ أحياناً على منزل

رياض باشا الذي كان يستقبلني بترحاب وود، ويستمتع إلى حدٍ كبير الحماسي حول ما استمع إليه بالأزهر./

٧١

وما أسرع ما أصبحت محبوباً لدى الطلاب والأساتذة، إذ كانوا يتعاملون معي كأنني واحد منهم رغم أنني لم أحاول أن أظهار بأنني مسلم. فإذا ما تأخرت يوماً عن الحضور، أو مكثت بدار الكتب الخديوية طوال فترة ما قبل الظهيرة ازداد القلق والحيرة في حلقة الشيخ محفوظ بخاصة. وكان الطلاب والشيخ يزورونني في مسكني كثيراً، كما كنت أحب أن أزورهم أيضاً.

أمضيت أربعة أشهر أستمع بدراسات محببة إليّ. وكانت من أجمل الأوقات التي شعرت فيها بالزهو بما أفعل وبما ألقاه ممن حولي. إذ بدأ الإعجاب بالأوربي الشاب منذ الأسابيع الأولى، لأنه يجيب عن كل ما يُسأل عنه، ولأنه يفهم كل نادرة مستحكمة، ويحسن توجيه أسئلة تكون مدخلاً للمناقشات أيضاً. وكان رياض باشا أكثر الناس سروراً بما لقيته بالأزهر من ترحيب وتوفيق، فهو الذي زكاني عند المفتي، وكان يغريني دائماً بالبقاء بمصر حيث يمكنه أن يوفر لي عملاً بوظيفة متميزة.

كنت أشغل نفسي بعد الظهر بمصاحبة الأدباء لزيارة الأماكن الغربية والقيام برحلات في ضواحي المدينة. وكان ذلك بصحبة صديقين أوروبيين، أحدهما كان القنصل فون بوريان *V. Buraian* (وهو الآن وكيل دبلوماسي في صوفيا) والثاني هو بارون فرانز فون ريفاي *Baron Franz von Révay*، إذ تعهد كلاهما باطلاعي على كل ما يمكن أن أشاهده. ويتبادلان الشرح تفصيلاً دون إغفال أي معلومة. أما في المساء فقد كنت أذهب إلى حلقة الملحد جلال

الدين *Dschelal ad-Din*^(١) وأقضي معه سويعة. وأعود إلى المنزل حيث ينتظرني صاحب المنزل السيد متى *Matta* حوالي الساعة العاشرة مساءً أو الحادية عشرة لاحتساء فنجان شاي، والسماع إلى مغامراته التي يدعيها عن حرب تحرير المجر.

وفي الصباح كنت أنقلب في فراشي بصبر نافذ انتظاراً لسماع أذان الفجر من مؤذن جامع الكخيا الواقع على الناصية المقابلة للشارع المواجه لنافذة غرفتي. وكان الأذان إشعاراً ببداية يوم عمل جديد. فسرعان ما يحضر لي خادمي الزنجي مسرور ملابسني، ويقدم لي قدح القهوة. وعند خروجي من المنزل أجد المكاري في انتظاري بحماره. كان المكاري صبيًا صغيرًا اعتدت أن أطلب منه كل مساء أن يحضر في الصباح لاستخدم حماره طوال النهار فينقلني من مكان إلى آخر.

كنت مسرورًا للغاية لأنني تعلمت كثيرًا، وتبينت أن ما تعلمته من دروس وحصلته منها سوف يكفيني أكثر من خمسة عشر عامًا رغم كل العقبات التي سألهاها مستقبلًا. كان هذا ما يدور بخاطري آنذاك.

شغل الإسلام تفكيري كليةً، وكان إيماني بالتوحيد سببًا في ميلي إليه، فأطلقت على فكرتي عن التوحيد "الإسلام". فالتوحيد عندي هو الإسلام. ولم أكن كاذبًا حين قلت إنني أعتقد في نبوة محمد، ويشهد على ذلك نسخة القرآن التي أحفظ بها؛ إذ تبين مدى اهتمامي بالإسلام. وقد انتظر أساتنتي (شيوخ) جدًّا اللحظة التي أعلن فيها إسلامي. وفي أثناء العيد حينما كان ولي العهد يعلن

(١) يقصد جمال الدين الأفغاني، والخطأ مطبعي. (عوني).

زواج ابنته اعترضت في الأسواق على تمييز الأوربيين على المواطنين المصريين. وفي حلقة صالح المجدي قدمت نظريات في تاريخ الحضارة، وتحدثت عن الحضارة الإسلامية وانتشارها / مقابل الوباء الأوربي المتحكم، وما فعله. ولقي حديثي في الحلقة استحساناً عظيماً مثل ما لقي عرابي وقواده بعد عشر سنوات عندما قعقت سيوفهم. كذلك رفضت أن أشارك الأوربيين في مصر في احتفالاتهم بالأعياد وغيرها. في حين أنني كنت عندما أدعى مع الشيوخ في مناسبة ما أحرص على الظهور معهم.

ولكنني كان لديّ رغبة عارمة في أن أشارك الشيوخ في صلاة الجمعة، وإن كنت لم أدع لذلك، لأنني غير مسلم، مع أنني كنت أرغب صادقاً في أن أتحني مع آلاف المؤمنين وأن أركع وأسجد أمام الله، وأنادي "الله أكبر"، بل وأن أعفر وجهي في التراب مع المصلين بين يدي الواحد القهار، ومن ثم صممت على أن أؤدي صلاة الجمعة مع المسلمين.

وفي يوم الجمعة السابق ليوم عاشوراء عبّرت عن هذه الرغبة عدة مرات في جمع من الطلاب العرب، وعلم أحد الزملاء السوريين يدعى عبدالله الشامي برغبتني هذه، وساعدني في الإعلان عنها. وقد رويت في فصل خاص بكتاب اليوميات هذه المغامرة تفصيلاً، وذكرت أنني عندما كنت في القرافة لزيارة قبر الإمام الشافعي، أجريت تجربة للتعبير عن مدى إيماني، فسلكت الطريق المستقيم، راكباً الحمار، إلى المسجد - وكنت أرندي العمامة والقفطان - لسماع خطبة الجمعة والصلاة. وكان أصدقائي ممثلين ذعراً، خوفاً عليّ، ولكن المغامرة الجريئة نجحت، وتمكنت من وضع جبیني على الأرض وسط آلاف المصلين. ولم أكن في حياتي مخلصاً في صلاتي

مثلما كنت في يوم الجمعة هذا الرائع، ولكنني نصحت بألا أقترّب من المسجد بعد ذلك. ولم أكن واقفاً من صحة هذا التحذير، ولعلّ عبد الله أبلغ بذلك.

وكان من الواجب عليّ - للأسف - أن أستمع لنصح أصدقائي ولأسباب أخرى أيضاً، فقد تسلمت خطاباً يوم الأحد التالي ليوم الجمعة الرائع من الوطن يحيطني علماً بأنّ والدي مريض مرضاً شديداً. ولمّح لي كاتب الخطاب بأنّ حالة تجارتنا ليست على ما يرام. كذلك كتب فامبيري *Vámbéry* يبلغني بوجود تغيير في الظروف بالنسبة لمستقبلي. فعقدت العزم على أن أغادر مصر فوراً على أول باخرة تقلع من الإسكندرية إلى تريشا، وبخاصة أن التحذير من الاقتراب من المسجد قد سلبني الرغبة في البقاء بالقاهرة، فلم يعد يبقى لي في مصر إلا التزود من العلوم الإسلامية.

وأسرعت بتوديع كل المحبين، وبخاصة رياض باشا الذي دعاني علي الفور لمعاودة زيارة القاهرة في أي وقت، حيث يمكنني أن أشغل منصباً بوزارته. وكتب خطابات توديع مختصرة إلى بعض الشيوخ والطلاب زملائي، واستلمت من زميلي اللقاني قصيدة باللغة العربية يمتدحني فيها ويودعني، كما دعاني السيد ريفاي *Révay* لتناول العشاء لتوديعي. وأخبرني في هذه الأمسية أنه قرأ في جريدة بستي نابلو *Pesti Naplo* أن الوزير المجري عين هاتالا *Hatala* في وظيفة الأستانية التي كنت موعوداً بها، وبهذا ألفت الأحداث التي تنتظرني ظلالها عليّ.

رحلتُ إلى الإسكندرية - مضطرب الأعصاب، حيث قضيت يومين، وأقيمت حفلة هناك عند جارسوسي *Garsusi* الذي كنت أرسل عن طريقه طوال السنة الماضية صحفاً عربية إلى بودابست، وعنده زودني القنصل

العام بصندوق مليء/ بكتب عربية، لأحتفظ ببعضها، وأعطي الباقي للأكاديمية، فشحتنها بالباخرة. ولم أكن أعلم أن هذا الصندوق الممتلئ بالمصادر اللازمة لدراساتي سيصبح السلوى الوحيدة لي في السنوات التالية.

وفي هذين اليومين اصطحبني أولاد جارسوسي لمشاهدة كل المعالم السياحية بمدينة الإسكندر الأكبر. وتأهبت للسفر، وساعدني في ذلك ابن عم صديقتي الحميمة حياً الدمشقية *Hajia* التي استوطنت الإسكندرية. وهو يهودي متجهٌ فحمل متاعي إلى الباخرة، كما رافقني بعض موظفي القنصلية في هذه الرحلة البحرية التي غادرت فيها الشرق الأوسط نهائياً، وكان لذلك وقع شديد الوطء على.

كان البحر أول يوم عاصفاً جداً، وتملكني اكتئاب شديد عندما رأيت مآذن المدينة تخفي شيئاً فشيئاً، إذ إن هذا يعني أنني أنهيت رحلة قضيتُ فيها أجمل أيام حياتي، وإن كنت لم أتوقع أن ما سألقاه في حياتي مستقبلاً أشد قتامة مما كنت ألقاه قبلها.

في تريستا *Triest* استرحنا يومين، وكنت في أمس الحاجة لهذه الراحة بعد دوار البحر الذي انتابني أياماً بالباخرة، ثم رحلت إلى مدينة بست *Pest* مسقط رأسي. ووجدت أبي مريضاً مرضاً شديداً لا يمكنه من مغادرة الفراش، وأن تجارته لم يعد لها وجود. وما لبثت النوائب أن حلت عليّ بعد بضعة أيام من عودتي من جهتين مختلفين، إذ رحل والدي عن هذه الدنيا البائسة الذليلة في الرابع من مايو، وكنت أجلس ساهراً ليالي كثيرة بجوار فراش مرضه وموته. وفي الليلة السابقة لوفاته نبهني إلى أن العناية التي أوفرها له قاربت نهايتها، وذكرني بنذور عيد ميلادي الثالث والعشرين عندما

خزني من أن أسعى لتصيد المنافع الأرضية وأن أهتدي دائماً بالعدالة والحكمة، معتقاً عقيدة أبي (תמ'ם תה'ה ע'ם י"ה אלה י'ר) ^(١)

ثم سمعته يتلو آيات من الأصحاح الثالث والعشرين بالزمامير، ثم غاب في سكرة، الموت مدة ساعة وأفاق منها مرة ليأخذ بيد أمي. ثم قبضت روحه، فأصبحتُ كبير العائلة بعده، مسئولاً عن صيانتها. ولم أكن أبلغ الرابعة والعشرين من عمري. ووجب عليّ أن أتحمّل مسؤولية إصلاح الأحوال التجارية البائسة، وأن أعيد تأسيس الأمور المنزلية على قواعد ثابتة. وساعدني في ذلك نسيبي جليك Glück الطبيب المخلص، ولم يساعدني أقاربي كثيراً، وبخاصة أقارب أبي، ولم يهتموا بمعاناتي والأعباء التي أرزح تحتها.

انتقلت مع أختي وزوجها ولمي إلى منزل يجمعنا كلنا. وكنت أنفق فيه جزءاً كبيراً من دخلي الذي بلغ ألفاً ومائتي فلورين أحصل عليها باعتباري مدرساً حكومياً. ولما كنت مطالباً بأن أنفق الكثير، اضطررت لنشر مقالات كثيرة بالصحف لأحصل على مصادر رزق تزيد من دخلي بعض مئات جولدن/ وكانت ٧٤ نتيجة هذا الحماس نشر مقالاتي بجريدة بستر لويذ Pester Lloyd في الأعوام ١٨٧٤-١٨٧٦.

وقرأت في هذه الأعوام أيضاً عن الأدب الشيعي ونشرت عام ١٨٧٤ "مساهمات في تاريخ الأدب الشيعي"

Beiträge zur Literaturgeschichte der Schi'a, Wien. Akademie, 1874.

وانشغلت أيضاً بوضع كتابي عن الأساطير Mythos الذي نضج بعد مكائباتي مع كارمان Kármán واكتمل. وكنت قد تمكنت أيضاً من وضع

(١) هذه هي الآية ١٣ من الإصحاح ١٨ من سفر التثنية: لتكن كاملاً دائماً مع الرب إلهك.

تخطيط لبعض فصوله قبل الرحلة وفي أثنائها. أما الفصل الرابع فقد كتبته
بفندق دمشق ببيت المقدس.

عام ١٨٧٥:

ووري والدي تحت الأرض، فلم يعد يأبه بكل ما يقابله ويخشاه طوال
سني حياته من نوائب، ويفتتح بما يلاقه منها. وبعد أن انقضت أيام المأتم
ذهبت لمقابلة الوزير تريفوت *Trefort*، ولكنه كان قد سافر من قبل، ومن ثم
وجب عليّ الانتظار لعودته وأنا في حالة مرضية قاسية، إذ إنني أصبت
بالتهاب معوي قبل أن أذهب إلى هذا الكذاب التعس فاستقبلني بترحاب وود،
ولكنني تبينت من سؤاله الأول الذي وجهه إليّ أنه يرغب من محادثته
معي في أن يصرف الانتباه عن أمور محددة ليريح ما بقى له من ضمير لم
ينعدم بعد.

وأقدم صورة طبق الأصل من المحادثة:

أنا: أسمح لنفسي أن أبلغ سيادتكم أنني عدت من المهمة التي بعثت من
أجلها إلى المشرق، وقد أدبت ما كُلفت به تمامًا، وقدمت تقريرًا مستفيضًا
عنه. والآن أقف أمام سعادتكم منتظرًا أوامركم.

الوزير: من المؤكد أنك تعرفت برجال ذوي حيثة أثناء رحلتك.

أنا: وهبت وقتي كله لدراساتي وللمهمة التي كُلفت بها. ولم أسع
للتعرف إلا على ما يفيدني في دراساتي، سواء بالتعريف أو بتمكيني من هذه
الدراسات، ويساعدني على اكتسابها. وإنني لممتن لوزير المعارف المصري
ولغيره لتشجيعه المتميز لدراساتي.

الوزير: وبمن تعرفت أيضاً؟

أنا: معالي الوزير لقد لاقيت أثناء هذه الأشهر إخلاصاً ومحبةً في الأوساط الإسلامية، وعشت أجمل أيام حياتي، وفي أمسية اليوم الذي غادرت فيه القاهرة، أقيم لي حفل توديع حضره أحد الرجال المجريين، ومنه علمت بأن سلفكم العظيم / الذي وعدني بالحصول على وظيفة جامعية قد توفي أثناء غيابي. وقد علمت أنه قد عُيِّنَ أثناء غيابي أستاذ لا صلة له بالتخصص العلمي المطلوب، فتكررت من هذا الخبر الذي أخدم الشعور بالزهو الذي كان لدي بعد كل ما لقيت في رحلتي من تعظيم وتبجيل، كما أن موت والدي كان ضريبة عليَّ أن أتقبلها وفقاً لقوانين الطبيعة. وإن ما أطمع فيه الآن هو ما أنتظره من سعادتكم، وتأمرون لي به من تشجيع وبخاصة بعد وعد سلفكم الوزير، وما هو مدون فعلاً بالتقرير المرفق...

ولم يدعني الرجل العصبي الحقيقير أكمل كلامي، بل سارع بتوجيه الكلام إليَّ وهو يهتز، ويحرك يديه في جيوب سرواله مكشراً:

الوزير: إنك لا تستطيع أن تصف السيد هاتالا *Hatala* بهذا الوصف. إنني أعلم تماماً أنه مهرج، وأنه عُيِّنَ بكلية الفلسفة (كلية الآداب)، وأنه لا يستطيع أن يؤدي واجب الأستاذية في كلية اللاهوت (الكلية الدينية). لا تعر هذا المهرج اهتماماً، فإننا لا نأخذه مأخذ الجد، وسيتغير الأمر مستقبلاً. اهدأ واصبر، فلن نتركك تنتظر طويلاً. عد إلى منزلك هادئاً، واطمئن على مصيرك.

كان هذا ما ضدر عنه.

وكنت من الغباء حقاً عندما رجعت إلى المنزل هادئاً؛ إذ كان يكفيني أن الوزير نفسه لا يأخذ تعيين هاتالا أستاذاً لعلم الاستشراق مأخذ الجد، وإن

كان عيَّنه لتدريس الرياضيات العليا بعد ذلك، إذ كان عليه تصحيح حكم الدولة ولو بوضعه في وظيفة شاغرة بكلية الفلسفة (الآداب). ولما كان هذا الهاتالا أصبح في طي النسيان تقريباً، وإن كان يجب أن أذكره، وأن أتحدث عنه، فإنه يجب عليّ أن أضيف بعض الكلمات عنه، حتى تكتمل صورته الهزلية المضحكة كما وصفه تريفورت *Trefort*، إذ إنه تسبب في اضطراب مسار حياتي. أراد بيتر هاتالا أستاذ اللاهوت بجامعة أن يدلل على سلامة العقل البشري، وأنه يرفض أن تضيع العقيدة، وأنه يحاول أن يلحق بجماعة من يدَّعون أنهم كاثوليك قدامى، واعتبروه حوارياً لهم... أما الأحرار باختلاف جماعاتهم فقد جعلوا اسمه شعاراً يرفعونه ضد المتطرفين. ومن ثمَّ استطاع الجاهل أن يصل إلى مرتبة الشعبي المحبوب.

وفي سنة ١٨٧٢/١٨٧٣ عندما فتحت كلية اللاهوت أبوابها للدراسات العليا اختير رئيساً لهذه الدراسات بناء على مكانته بالكليات الإنسانية. وبهذه الصفة تابعه كل المفكرين الأحرار، وكثرت الدعاية له. وسعى جاهداً للحصول على الطرد من الكنيسة، فأمكنه أن يلعب دور الشهيد مثل سانت هيازنث *Hyazinth* / فرفعه ذلك كثيراً. ولما أراد هذا الرجل المفضل تجنب الفضيحة، لم يستحسن أن يطرد من الكنيسة، وأعني ذلك كتابة وقولا، استعجل الوزير أن يبعد الملحد عن هيئة الأساتذة بكلية اللاهوت، وأجمعوا على ضرورة نقل بيتر هاتالا *Peter Hatala* إلى كلية الفلسفة. وفرح الشهيد^(١) بذلك فرحاً شديداً. واقتنعت بأن استبعاده من كلية اللاهوت تم في اليوم الذي استقبلني فيه تريفورت عند زيارتي الأخيرة له. ولم تكن رحلتي إلى المشرق - كما تبينتُ على

٧٦

(١) أي جولتسيهر نفسه. (عنوني).

الفور- إلا لإبعادي عن مسرح الأحداث، وعدم تعييني مدرسا، ليضع مكاني هذا المهرج الجاهل، هذا الرجل الذي لا يملك أي مؤهل لتدريس علوم الاستشراق إلا حفته المزعومة بزيارته الأرض المقدسة، ومعرفته الضئيلة بمبادئ اللغات الشرقية المدونة بطريقة مفزعة، ورثها عن قنصل فيينا، وأهداها إلى سجلات كلية الكاثوليك الدينية، ومن ثمّ لزم عليه أن يقيم علاقات حميمة مع الكنيسة بإهدائها هذه السجلات بهذه الطريقة الشاذة ليتمكن من شغل وظيفتي أثناء غيابي.

بلغ من فجر تريفورت أنه اعترف لي أن تعيين هاتالا لا يجب أن يؤخذ مأخذ الجد، ويجب ألا أخشى شيئا أرجوه لمستقبلي. فذهبت إلى منزلي هادئا لأصبر منتظرا، ولكي أواصل عملي ودراساتي.

وتمكننت تقريبا من نشر يوميات رحلتي، وكانت زيارتي للأزهر معينا أغترف منه ما تعلمته عن الشريعة الإسلامية، وعن حضارة المسلمين، ولكنني كنت أخجل من نشر هذا العمل. إذ كنت مرتبطا بالوعد الذي قطعته على نفسي للشيخ الأشموني. وما نشرته حتى الآن كان فقط مقالتين كنت أرسلت بهما إلى إيبس *Ebers* عن "مصر بالصورة والكلمة" *Ägypten in Bild und Wort* يتضمنها فصل عن الإسلام. ولذلك نشرت دراستي التي تحدثت عنها من قبل عن الشيعة، وأعمالا صغيرة أخرى عن "الأسطورة عند العبرانيين وتاريخ تطورها" *Der Mythos bei den Heiden Hebräern und seine geschichtliche Entwicklun*.

وألقيت بنفسني منكبا على المصادر الكثيرة التي أحضرتها معي من المشرق العربي. واهتممت بخاصة بالحديث [النبيوي]، كما قرأت كتاب الأغاني

كاملاً طوال سنة ١٨٧٤/١٨٧٥. وانطلاقاً من وجهة نظري استعرضتُ كل ما قرأته عن الأدب ونشرت منه مقالات بالأكاديمية.

وفي خريف ١٨٧٥ سررت للغاية لحصولي على منحة دكتور فلايشر *Fleischer* / التي أوقفتُ على شرفه (في أول سنة من وقفها). ووجدت - فضلاً عن ذلك- رعاية كبيرة بألمانيا من فلايشر وإيبرس؛ إذ رأيا أنني تعرضت للخداع والغش المزري، وأن غذاء مثل تريفورت لا يمكن أن يؤخذ مأخذ الجد بما واجهني من حجج. كذلك طرق أصدقائي سبلاً كثيرة، وتوصلوا إلى كثير من الاقتراحات لمساعدتي. وأرسل لي الوزير شتريمائر *Stremayer* - بعد أن طلب منه فلايشر - يعرض عليَّ العمل بوزارة التعليم، ولكني لم أستجب لهذا العرض. كذلك شغرت وظيفة مدير الكتبخانه بالقاهرة برحيل شترين *Stern*... وكان يمكنني الحصول عليها بتدخل من إيبرس أسرع مما لو كتبت إلى رياض باشا، ولكني ارتعبت من فكرة الابتعاد عن وطني. ومرت بي فترة انقطعت فيها محاولات أصدقائي عندما انبثقت بعض الرؤى المتفائلة من جميع الجهات؛ ففي ١٥ من يناير سنة ١٨٧٥ وصل إليَّ من مستشار الوزارة إمرش سيزالاي *Emerich Szalay* باسم تريفورت خطاب يطلب فيه مني أن أذهب لمقابلة سعادة الوزير يوم ١٦ من يناير فيما بين الساعة الثانية إلى الرابعة عصرًا. وفي هذا اليوم صادفت تريفورت بالطريق، وطلب مني أن أذهب إليه بعد الظهر لرغبته الملحة في الحديث معي. وذهبت إليه في الوزارة، وكان حارس الباب لديه أمر بالسماح لي بالدخول على الفور. وقابلني الوزير بترحاب عظيم، وعبر عن أسفه لأنني اختفيت بعد عودتي من الخارج، بعد أن أكدت له من خطابات أحضرتها

بعض الأخبار السارة تبين أنني لم أختف، وإنما كنت غاضبًا من طريقة معاملتي. فسألني الوزير عن شروطتي التي يمكن أن ترصيني، فلم أطلب أكثر من تعييني أستاذًا خارج هيئة التدريس *Ausserordentlicher Professor*، فقال لي الوزير بكل بساطة إنني سأحصل على ذلك بسهولة بعد أسبوعين أو ثلاثة. وبكفي أن أكتب طلبًا - وفقًا للمتبّع - حتى يرسله فورًا إلى سعادة الرئيس أنتياكتا *Antiacta*.

وعندما سألته إن كنت بذلك أتخطي النظام الجامعي عندما أرسل إليه الخطاب وليس إلى الجامعة، أجاب: "ولكن هذا كله في الصياغة فقط، ولست تحتاج أن تتقدم برجاء لكل ثور جامعي، سأرسل لك خطاب تعيينك بعد أسبوعين أو ثلاثة. اعتبر الأمر منتهيًا".

وبذلك تركت حجرتي شاكرًا. وناداني عند وصولي إلى الباب قائلاً: "يجب أن ترسل طلبك قبل يوم الاثنين حتى أتخذ الإجراءات اللازمة سريعًا".

وفي يوم الاثنين التالي قدمت الطلب / بنفسني، مبلغًا أنني وفقًا لوعده [٧٨] سعادته أعتبر أن من واجبي القومي أن أشعل النار في كل الجسور ورائي، وأن أكتب لأصدقائي بألمانيا أنه ليس ثمة قوة على الأرض يمكنها أن تبعدني عن وطني. وأرسل لي سعادة الوزير: "إنك تصرفت بحكمة وعدل. حان الوقت لتعيينك بعد أن ترددت فيه سنة كاملة. ستتسلم قرار تعيينك بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع".

بلغني أن وزير الخارجية أندراسي (١٨٩٠-١٨٢٣) *Graf J. Andrassy* أرسل إلى تريفورت الطيب تأنيبًا غير معتاد على تعييني، وبذلك أصبح كل من

في النمسا يتحدث عن جولدتسيهر الذي ترك مهملًا في منزله، وأن كل العالم وجهه إلى أندراسي أغلظ تأنيب على هذه الأحوال، وألزم تريفورت بتصحيح هذا الخطأ فوراً؛ وبذلك تكونت الكوميديا التي حلت بي.

وبعد مرور ثلاثة أسابيع على هاتين المقاتلتين (مع تريفورت) تسبب طلبي الموجه إليه في مجادلات منفعة بالكلية، إذ إنَّ الوزير أرسل طلبي بأسلوب مهين إلى الكلية لهذه الغاية مع إبداء رأيه. وهناك ثار الأعضاء بالكلية وهاجوا لأن الطلب - بأمر من الوزير - جاء مختصراً للغاية، وتخطي فيه الوزير رأي الجامعة بطلب تعيين أستاذ. واعتبروا هذا إنكاراً معلناً للجميل^(١) وتعاضم على المعهد الذي كان يستحق من طالب درس فيه أن يشكره ولا يجحده. وكان فامبيري حاضراً بالمجلس آنذاك، ولكنه لم ينبس بكلمة للدفاع عن الوزير (وفيما بلغني أنه كان يهاجم الوزير بضراوة خلف الكواليس بعد ذلك)، وإنني لأشكر لفرانز تولدي *Franz Toldy* فقط الذي رفض أن تتخذ الجامعة مني موقفاً متشدداً. وصرحت الهيئة عند مناقشة الموضوع برفضها تخطي الوزير لها، وعدم اتباع الطرق المرعية عند تقديم طلب للتعيين. وقررت رجوعي إلى المنزل بطلبي، وعند ذلك قال لي تريفورت: "لا أستطيع أن أعمل شيئاً تجاه هذا القرار، لأن الجامعة لا ترحب بك، وأنا لا أستطيع أن أجبرهم على قبولك، ولكني أريد أن أقول لك شيئاً، ابتعد عن فامبيري لأنه يلعب معك لعبة مزدوجة" فقلت له: "يا صاحب السعادة إنني أجد نفسي كمن ألقى به في حوض غراء، ولكنني أذكر سعادة الوزير بوعده المقدس: وقد دونت ذلك في مذكراتي اليومية منذ أسبوعين أو ثلاثة عن رحلتي إلى المشرق"

(١) المقصود بالجميل هو السماح لجولدتسيهر بمنحة الرحلة إلى الشرق (عوني).

واستفضت في القول أكثر من ذلك، وإن كنت لا أتذكر ما قلته آنذاك. ولكن ما قلته كان صريحاً جداً، وواضحاً للغاية، إذ إن الوزير شخر وخنفر من الغيظ عندما قص على الناس ما قلته. ولما كان يمتلك وعي رجل محتال، كان من الواضح - كما هو معلوم لدى الناس - أنه رغم صراحتي وعتابي له لما حدث لي من تضليل، فإنه حاول تهدئتي، وأعلن أنه يعد أن يلتزم بوعده، وأنه لن يتراجع عن الالتزام بتعييني. فاحتفظت يهودني آنذاك / وكظمت غيظي وكأنه سر. ورغم افتراء الوزير عليّ فإنني لم أفصح عن ملابسات هذا الخبر، ولم يعرفه أحد طوال اثنتي عشرة سنة تالية.

٧٩

وفي صيف عام ١٨٧٥ - أثناء عيد القيامة - زرت الأستاذ فلايشر بمدينة ليبزج. وهناك قابلت بعض الأصدقاء وزملاء الدراسة. وكنت قد أخذتُ معي المخطوطة الكاملة لكتاب الأساطير *Mythos* لعرضها على دار بروكهاوس *Brockhaus* للنشر، التي قبلت نشره سريعاً، واستطعت أن أبدأ في الطبع. ولكنني عانيت بعد ذلك من أشد النوائب التي مرت بحياتي.

لم يمر بكم - يا أبنائي - اسم دكتور صمويل كون^(١) (١٨٤١-١٩٢١) *Dr. Samuel Kohn* في اليوميات. وهو مؤسس صحيفة مجرية متميزة من أشرف الصحف التي عرفتها في حياتي، وبهذا تستحق شكر سلالتي ويستحق صاحبها كذلك باعتباره الصديق الصدوق لي. التزمت بأن أعمل بهذه الصحيفة رغم أنني كنت معارضاً لها، لأن مواقفها وآراءها كانت معارضة لي وللكتيرين، ولكن يا أنجالي أقروا ما تكتبه، وإذ كنت صريحاً مستقيماً، فإنني أجد الأرض تغطي عظامي وروحي تهيم في الملكوت عندما أقرأ هذه الصحيفة. فأنا أقف أمام عرش الرب الدائم، وأقدم شهادتي عن كل شيء

(١) هو الحبر الأكبر في بودابست، مؤرخ اليهودية في المجر.

مارسته على الأرض، وعن كل شيء رغبت فيه أو أردت عمله. وإنني لأرتجف لكل ما مارسته، ولكن ضميري يهدأ لما أصبحت فيه.

عزمتُ على أن أعمل ما فيه تقديس الرب، ولكن لا أدري إن كنت فعلت هذا فعلاً، إذ إن إرادتي لم تلق أي تشجيع من أحد ولا تفكيرٍ أدى إلى ذلك. ولم يكن هذا غفلة مني، ففي حياتي الدينية كان دكتور كون صديقاً حميماً لي منذ ١٨٧٢، ووجدت فيه أحب صديق ومساعد، ولكنني لم أجد عنده أي حماية، وفشلت محاولة إنعاش الحياة الدينية اليهودية في المجر. فاتحدنا سوياً لنزيل خرائب الضمائر التي سيطرت على كل الأزمنة التي عاش أصدقاؤنا المقربون رافعي الرعوس خشية الموت، ولنستطيع أن ننهج طريقاً لزمان أفضل وأكثر أماناً. وكان دكتور كون ينتمي رسمياً لجماعة من الناس كنت أهاجمهم بالكلمة والكتابة فقط. وحرص دكتور كون سراً لوجه وبصرامة متناهية - على القول بأن حرمانني من حماية القانون يعد أمراً طبيعياً، وبالنسبة لي لم أخف عنه مطلقاً ما يتناسب مع إخلاصه، تماماً مثلما لم أتكرر مطلقاً من صدق قولي وسلامة موقعي بأنني اعتبره شريكاً في الذنب بانضمامه إلى جماعة الأشرار وميولهم الخبيثة حين أصبح فساد الضمير هو البرنامج السائد بالمعبد اليهودي المجرى. وقد تأرجحت بيننا فروق قوية، ولكن كون Kohn اجتاز جسورها بفضائله الشخصية الإنسانية /.

كان لي صديقاً مخلصاً وأخاً حبيباً. كان يؤمن بالقضاء والقدر، إنسانياً للغاية، عطوفاً. ولم يكن له دخل في أن السلام المزعوم سنة ١٨٧٥ تسبب في سوء حظي في حياتي الفكرية. وقد اعترض عندما وجه شخص السباب إلى شخصي، وإن كان لم يرفض علناً أسباب ذلك، ولو لم يكن حبراً لواجه خصومي علانية. فالرهينة في المجر تسببت في إظلام الأرواح الصافية. ولقد

٨٠

ساعدني عندما أصاب عائلتي سوء الحظ، وعمل ما لا ينتظر إلا من القريب الذي تربطه بنا وشائج قوية، وكان هو الذي ساق إلى ابنة عمه القديسة التي لن أنساها أبداً. ووإساني عند وفاة أمي وأختي. وساعدني على الخروج من الكآبة في أحلك أيام حياتي. أظهر اهتماماً بمصالح كل عائلتي بود وتضحية. كان قريباً من أمي، وصديقاً مخلصاً وناصحاً، بأسلوب لم أستطع أتباعه. شكر له أبنائي وعائلاتهم عندما حدثتهم عن كل ذلك. ولن أستطيع أبداً أن أعُدَّ كل ما صنعه لي بحب أخوي. أقول: كان - وهو ما زال - أخلص الناس وأفضلهم. ولهذا كله أدعو قاضي العرش (الله صاحب العرش) أن يباركه بركة دائمة، إذ كان من أعماله أيضاً رعايته لطفلي أختي اليتيمتين "ماريا"، و"إمّا" رغم أن أقربائي المقربين لم يأبهوا أو يهتموا أبداً بما لاقته أسرتي من نكبات. فكل ما توقعته من الآخرين ولم أستطع أن أطالب به أيّاً ممن تربطني بهم علاقات أسرية، قدمه كون Kohn بشهامة وأخوة. لقد قدم لحياتي المدنية - في كل الأحوال - الصنيع الجميل بإخلاص.

الأعوام ١٨٧٦ - ١٨٨٣

لقد قُضي الأمر! هذا ما صحت به في اليوم الأول من فبراير ١٨٧٦

خدعني الوزير بطريقة ماحقة، إذ دلت وعوده على أنها أكاذيب. خاطبني في سخرية مستهزئة، عندما لفت نظره بوجوب المحافظة على كلماته السابقة لي (أي أن يبر بوعده) قائلاً: اعتبر الأمر منتهياً، سنتسلم مرسوم تعيينك بعد وقت قليل، فسمعت النغمة نفسها بمكتبه / علماً بأنه قبل

٨١

ذلك ببضع سنين عاملني موظفو مكتب أتفوس *Eötvos* بكل لطف وترحاب معبرين عن مشاركتهم الوجدانية لي عند رئيسهم...

وفي سبتمبر أواخر صيف ١٨٧٥ اصطحبت ابن عمي فيلهلم *Wilhelm* في رحلة بالتيروول *Tirol*، وكارتن *Kärnten*. وكانت المرة الأخيرة في حياتي التي شعرت فيها أنني أنظر من فوق الجبال كإنسان حر، فقد أصبح مقدراً علي أن أعيش عبداً يطمع في الراحة. وهذا من سوء حظي.

بعث إليّ رئيس الجالية المجرية بالعاصمة يسأل عني، وعما إذا كنت على استعداد لقبول وظيفة سكرتير الجالية بمكافأة مبدئية قدرها ٥٠٠ فلورين، فاستشرت أناساً أتيقن أنهم أصدقاء مخلصون، ومنهم الحبر الدكتور صمويل كون الذي كان مكلفاً بمناقشة الأمر معي. وجاءتني النصيحة من كل جانب، أن أقبل الوظيفة المعروضة عليّ، إذ إنها تعد وظيفة قيادية، يقوم شاغلها بأعمال مباركة في الشؤون الدينية والتعليمية والثقافية، وتقديم الخدمات العامة. وبعد أن كنت أميل إلى الرفض، أول الأمر انتابني شعور بالرغبة في قبول الوظيفة، أملاً في جدوى العمل المسند إليّ واستمراره. وبداية صرحوا بأن رجلاً له شخصية علمية مثلي يجب أن يكون فخوراً بمثل هذه الوظيفة، وأنني سأستطيع أن أواصل حياتي العلمية دون عقبات. ولم يُغرنني ما قيل لي عن دخل الوظيفة الهائل لقبول هذا العرض. ولا أنسى أمني الطيبة - وأذكر شاكرًا لها دائماً، أنها كانت الوحيدة في العالم التي قالت لي شيئاً له وزنه، ولكن العالم كله من حولي اعتبر أن رفضي هذه الوظيفة سيكون دليلاً على نقص الخبرة وسوء التقدير. وسمعت أن الوزير نفسه اهتم بالتوصية لاختياري لهذه الوظيفة، وأنه تحدث مع بعض اليهود الأغنياء مؤيداً

لذلك، وبهذا ظن أنه سيتخلص مني، وتبين لي أنه كان السبب في الأمر كله. وأعلن عن ترشيحي للمنصب، كما رُشِّح له أيضًا بعض الكتبة اليهود من جهات معارضة لي. وبعد كثير من الأخذ والرد، وجلسات عديدة وقع الاختيار عليّ بالمجلس الرياسي، حيث حصلت على أغلبية الأصوات في نوفمبر ١٨٧٥.

وفي أول يناير ١٨٧٦ أقيم احتفال بتسليمي الوظيفة، وعهد إليّ الرجال الجهلة، رؤساء الجالية بعشرة من ذوي العاهات ليكونوا تحت رئاستي للقيام بالأعمال الإدارية. وتقبلني مركز الرؤساء بود وترحيب. وكانت الشؤون الموكلة إليّ تتصل بخدمات بسيطة يمكن أن يقوم بها موظفون بلا مؤهلات أو عمال في محل. فلم تَرَقَ عن أن تكون كتابة محاضر جلسات، وطبع نسخ/ ورئاسة سجلات العمل والاهتمام الشخصي بشئون الزواج ومراجعة الأوراق، والتعامل مع الطبقة العاملة الذين لهم صلة بوظيفتي. ويمكن بذلك أن يتضح لأي أعمال ولأية مهام استخدمني هؤلاء القوم. وكان التعامل مع هؤلاء أشد حقارة. واليهودي ينظر إلى من يعهد إليه نظير أجر باعتباره إنساناً وضيعاً (لاكرامة له)، وفي هذه المنزلة وُضِعَتْ منذ البداية، وعملت في هذا المجال مضحياً بنفسي، وكنت أتعجل في أداء واجباتي التي كلفت بها، فلم أرَ المهانة التي وضعني فيها هؤلاء القوم الذين عينوني، وما فعلوه بي. وتبين لي كيف استخفوا بي منذ اليوم الأول، وما طلبوه مني كان أكثر مما كُلفت به بعد ذلك. ولم يزعجني نوعية ما كُلفت به قدر ما أغضبني الأسلوب الذي عاملوني به (وبخاصة المتعلمون منهم)، إذ إنهم كانوا يقابلونني باحتقار متعمد. وكان وضعي في هذه الوظيفة لا يمكن تعريفه أو تحديده. وعند إعطاء هذه الوظيفة أقل درجة من الاحترام تتزايد المهام

الواجب أدائها؛ كان عليّ القيام بهذه المهام إلى أن حلت سنة ١٨٨٤ التي استحدثوا عند بدايتها وظائف مساعدة لم تكن في الحسبان. ولم يكن من المنتظر أن تنشأ من قبل. وقبل إنشاء هذه الوظائف كنت أتحير كيف أقوم وحدي بكل هذه الأعمال المسندة إليّ، وعانيت كثيرًا من هذه الأعباء، وتسبب ذلك في أن يصيبني الأرق ليالي، فلم أُنق فيها طعم النوم. ومن يعرف الحياة اليهودية، ويعرف مصطلحهم الرسمي والهدف من عمق حجرة عملي الكئيبة الضيقة يمكنه أن يُكوّن فكرة عن فظاعة الجزء الأكبر من أعمالي ومهانتها.

التف الناس حولي بطريقة غريبة ولكن لا يمكن أن توصف بالغلظة أو الوقاحة، (وإن كان هؤلاء التجار اليهود الذين كانوا رؤساء لي عاملوني بطريقة مزرية، متأكدين أنني شيطان صغير). استمتعت بتمييزي إلى درجة أن هؤلاء القوم في أثوابهم البالية أصبحوا لا يريدون التعامل إلا معي، وما أكثر ما سمعت عبارة "أين السكرتير؟" تصل إليّ من الردهة أمام مكتبي. وعندما يتشجع الخادم، ويرى أن جماعة من الناس تلتف حول مكتبي أسمعته عادة - يقول: "أستطيع أنا / أيضًا أن أتكلم معه".

٨٣

واعتاد الزائرون أن يدخلوا الحجرة الضيقة دون أن يطرقوا الباب - بطريقة مستفزة، وأحيانًا كان يجلس معي في هذه الحجرة الضيقة رئيس لمراقبة "كيف أدير العمل" وفي نهاية اليوم وبعد كل هذه الأعمال المضنية المملة التي أقوم بها يوميًا كنت أذهب إلى منزلي متعبًا أتصيب عرقًا، فألقي بنفسي (متهاكًا) حيث أرتاح في الساعات القليلة المتاحة لي لأجلس إلى أعمالي العلمية. واستمرت الحال على هذا المنوال إلى عام ١٨٩١ حيث ساءت الأحوال بسبب الإرهابيين الذين انتشروا في العام ١٨٨٣/١٨٨٤ كما يتضح من الفقرة التالية:

كان ثمة مجموعة من عليّة المتّقين بالجالية اليهودية- ولن أذكر منهم إلا دكتور إيجناس هيرشلر *Dr. Ignaz Hirschler* - وكنت أعدم آنذاك من أصدقائي، وكانوا يعرفون كل شيء كبرّ أم صغر عن الأحوال التي ذكرتها من قبل. ولم يجد أحد منهم أي شيء غير طبيعي فيما يحدث. وكنت قد عاهدت نفسي من البداية ألا أصرح لأحد بهذه الأشياء المهيبة لكنني لم ألتزم بهذا العهد - لشديد أسفي - في بعض الأحيان، ولم أجد صدى لما أصرح به إلا هز الأكتاف وابتسامة معسولة ممن أقص عليهم ذلك، وأستمع منهم إلى كلمات مهموسة. وكان لدى هيرشلر قائمة بأسماء رجال مثلي يحملون مؤهلات علمية رفيعة، ويجبرون على ممارسة أعمال وضيعة، ولم تشتمل القائمة بطبيعة الحال اسم سبينوزا (1632-1677) *Spinoza* الذي كان يصلّ الزواج، أو باجيهوت (1826-1877) *W. Bagoehot*^(١)، وكان بذلك يريد أن يلطخ هؤلاء القوم من متّقّي الجالية اليهودية بالعار، لأنهم لم يرفعوا إصبعًا كي يجعلوا حالتني محتملة على الأقل. وكان من الواجب أن أتجمل بالصبر وأتحمل النير المهيّن الذي يلتف حول عنقي، بدلا من أن أضع نفسي بين المتعلمين. ولام الحبر تارفون *Tarphon* نفسه أشد اللوم عندما كشف نفسه للصّوص الذين حكموا عليه بأشنع مّوة كي يرحموه.

ولم يحقّق لي الاحتفاظ بكرامتي إلا حياتي الأسرية السعيدة، وصلاتي العلمية الدائمة مع أساتذتي وأصدقائي بالخارج، والتقدير الذي أحظى به من كل من أتصل بهم من أوساط علمية تطلع على ما أقّمه لها من دراساتي.

وقد بدأت هذه الفترة من حياتي عندما تفرّغت للأعمال العلمية، ولم أترك أحدًا يستحق أن يوصف بأنه متّق دون أن أعرض عليه هذا الجانب المشرق، بصرف النظر عما أعانيه في حياتي من بؤس.

(١) كان كاتبًا سياسيًا، حصل الضرائب (عوني).

عندما قمت بفحص شئون الجالية التي أوكلت إليّ وجدت بعضها في حالة غير مرتبة، ومنها جميع ما يتصل بالديانة بصورة خاصة، فإدارة الجالية تتصرف عكس ما يرد ذكره بالمؤتمر اليهودي المجري تماماً. إذ يوجد هنا مذهب بلا دين، فحالة التكين هي آخر ما يمكن أن يصنع من اليهودي يهوديًا. فالإنسان يهودي فقط لأنه لم يولد من أبوين مسيحيين. أي إن المعول عليه هو الميلاد، وليس على التربية الدينية. وهذا ما يشترك فيه الإنسان مع الحيوان؛ إذ إن الحيوان يولد أيضًا حيوانًا. والعقيدة الدينية تتوارثها الأجيال مع تواصل خالص للأرواح. ولما كان هذا التواصل بما يطرأ عليه في كل جيل من فحوى يقوي وميضها، أو يصبح من السهل على طبقة معينة من اليهود التخلص من أحوال المولد غير المريحة طالما أن الباب يوصل إلى مكان أرحب - بالانتساب إلى المسيحية.

ويلقي هذا التيار اللاديني الذي يمثله حاخامات الديانة اليهودية مَنْ يدعمه كلية، ويصادر على أحقيتهم فيما يتبعونه من أسلوب، وفي الطريقة المشينة التي يبنون عليها اجتماعاتهم وتصورهم ومفهومهم لوظيفتهم. وهم يشعرون بالارتياح تجاه ذلك. أما النظرية التي وجد هذا المفهوم الكهنوتي الشائن هيئته فيها فهي باختصار على النحو التالي:

١- لم نحس في قرارة أنفسنا بأننا يجب أن نعتق الديانة اليهودية أو أن نعلمها.

٢- استدعينا لأداء وظائف معينة لا يمكن أن نفهم، بسبب تحيز الناس لمن يلبس ثياب الأحرار.

٣- لما كان مؤتمر هؤلاء الرعايا هو الذي يصدر التعاليم بأن الإنسان يجب أن يزعم أنه يتبع أسس الربانية الموسويين دون أن يراعي النقاط الأساسية لهذه القواعد في حياته، وسواء أكان يمارس هذا يوميًا وفي كل ساعة، أو أنه يهمل الرجوع إلى أسفار موسى الخمسة، وينكر قانون الأحبار. ومن ثمَّ يجب على الحبر أن يراجع وجهة النظر هذه ويعبر عنها شفاهة، وأن يفكر فيما يريد.

٤- هذا هو مذهب الحرية، الحرية في الكذب في الأمور المقدسة والكذب في الأمور الوظيفية.

٥- وخلافًا لذلك يجب أن يلاحظ الرأي إذا ما أخذ المرء على عاتقه تنفيذ واجبات وظيفته ضد أي إنسان نزيه قد يتناول على مكافحة فصل المادة الثالثة عن المادة الرابعة من القانون فيصرخ بالخطورة، ويمكن أن يعلن أن هذا جنون.

٦- الحبر هو أصل النفاق والكذب والتجديف بالله، وسبب الأزمات. وهو بأحط معنى للكلمة كوميدان (مهرج) /

هذا هو علم العقيدة أو بالأصح تجربة ما يسمى "الرابينية" المتقدمة ٨٥ وبناء على قوانينها الأساسية التي أسست مدرسة التربية الرابينية وهي التي نقلت نتائج الرابينية وفقًا للفقرة السادسة عن المثل الموجودة بها.

ويمكن الآن تصور إلى أي درجة انحدرت الحياة الدينية وطريقة التفكير وفقًا لهذه التعاليم. وقد فعلت ما أستطيع لمكافحة هذه المفاهيم وما يتبعها من ممارسات عملية، ولم يتأثر بذلك إلا الكاتب والشماسين^(١) ولم يكن

(١) الشماس خادم بالمعبد اليهودي، ومساعد لرئيس العمل بالجالية اليهودية. (عوني).

لكلامي أي سلطة أو نفوذ على غيرهم، ومن ثم وُضعت في زمرة الـوَقَّحِينَ الذين لا يستَحُونَ لأنني أبدي رأيًا حرًا لا يقبلونه عن فعلٍ فاحش مفضوح يميل إلى البطش بموقع جَعَلَ من قراراتِ المؤتمرِ تعاليمَ له. وعَزَّيت نفسي بأنني أنقاسم هذه السمعة مع جيسايا *Jesaia* وجرمايس *Jeremais*. ولم يتسبب ما قلته في الوصول إلى نتائج حقيقية، أما ما زعمت بأن الحياة الدينية يجب أن تُبنى على الحقيقة فقد اعتُبر في التو تحريفًا وسوء سمعة. وكان أفضل أصدقائي هم الذين يساوون هذه التعاليم بطموح فارس لامانشبا *Ritter von La Mancha*^(١)، لكنني وجدت موضوعًا يؤكد طموحاتي، وهو وجود مدرسة لليهود الجالية. وقد ورد هذا في المشروع عام ١٨٧٦، ولكن لم يهتم به أحد وتحدث القوم عن الاستغناء عن المدارس الإلزامية (الشعبية) التابعة للجالية، حتي يسد النقص المالي. ولم يتحدث أحد عن وظيفة لتجديد التدريس اليهودي ولم يهتم أحد بتعليم الدين. فتدريسه كان أمرًا شكليًا تنفيذًا للقانون فقط دون النظر إلى روح القانون وأهدافه.

كان الأخبار آخر مَنْ يجعل هذه الشؤون ضمن اهتماماتهم، ومن ثم جعلت الأمر كله من اختصاصاتي. عُيّنت باعتباري أمين لجنة المدرسة بالشؤون الكتابية وأضفت إليها بكل سهولة كل ما يلزم لإدارة المدرسة، والإشراف عليها من أعمال كتابية، إلى الشؤون الإدارية والتربوية.

وداومت اثني عشر عامًا أوصل هذا العمل المضني وحيدًا، إلى جوار شؤون وظيفتي التي ترهق أي إنسان. كنت أمين القطاع المدرسي، وأمين

(١) بطل قصة ميغيل دي ثريانتس الإسباني 'نون كيوخوتي دي لا مانشا' الشهير عند العرب باسم نون كيشوت، وهو فارس كان يحارب طواحين الهواء. (عوني)

لجنته ومستشاره في كل الأمور، ورئيس خمسة وأربعين عضواً بهيئة التدريس، وموجهي التدريس بالمدرسة، ومقرراتها الدراسية، ومذكراتها، وتنظيماتها.. إلخ.

كنت أقوم بهذا كله تحت ضغط الغضب الذي كان يملكني لإشاعة انتشرت بأنني ملحد. وكنت جديراً بأن ينسب إليّ / أنني في هذا المجال أهدف إلى تدريس الدين وإعادة تدريس اللغة العبرية حتى نجحت. وبفضل جهودي أصبحت دراسات الكتاب المقدس تتضمن أيضاً معرفة اللغة العبرية. واجتهدت بكل إخلاص في إجراء سلسلة من التجارب بالدرس الديني وبجهد مضنٍ وابتهاج بكل خطوة، وعمل لا يكل ولا يمل، تمكنت من إعداد مدرسين لمادة الدين متحمسين، وأيقظت العاملين الذين لا يريدون إجهاد فكرهم، وأقنعتهم بضرورة تحقيق أهدافهم العليا والوصول إلى مناصب وظائفهم الشائكة العليا. وبعد مناقشات مريرة وكفاح، وبخاصة ما نشرته من مطبوعات وإصدار الكتاب التذكاري الذي أثار اهتماماً، أمكنني أن أعيد تنظيم مدارس التلمود والتوراة التابعة للجالية اليهودية، وأن أرتب ما هي عليه من فوضى وتخريب. فأسلحها بأهداف حية أطمع في تحقيقها. وفي أثناء ذلك تزايدت أعباء وظيفتي الأساسية حتى فقدت الحماس لمواصلة أعمالي العلمية، لكن اختياري الحر لإدارة المدارس كان عملاً محبباً إلى قلبي، ولم أهدأ قط - بالكلمة المنطوقة أو المدونة - يوماً بعد يوم - عن الإشادة بالعمل المتطور الناجح.

وأخيراً اكتشفت الجالية عام ١٨٨٧ أن الشؤون المدرسية تحتاج إلى إشراف خاص، فأنشئت وظيفة مفتش (موجه) مدرسي، وعُهد بها إليّ، ولكن

كان عليّ أن أقوم إلى جانب ذلك بالجزء الأكبر من عملي سكرتيراً للجالية. وقد رفضتُ قرار رئيس الجالية بهذه الخطوة^(١)، وما تقوّ به في جلسة الأعضاء التي قلل فيها من أهمية ما قمت به في اثنتي عشرة سنة من جهود مضنية، وتحدث بطريقة جعلتني أشمئز، حتى اعتقدتُ أنني من واجبي أن أرفض الإساءة الموجهة إليّ وأرفض ما عُرض عليّ من نقود شاكراً.

أنشئت إدارة التفتيش على المدارس إذاً، وأسند إليّ شرف إدارتها، وأن أقوم بكل أعمال التفتيش. وقمت بأداء كل عمل كلفت به دون اعتراض رغم أن العفة (والاستقامة) كانت تتطلب مني تقديراً لعملي في هذا الميدان الاستقالة من كل هذه الأعمال.

في مارس من السنة الأولى لمعاناتي في هذه الوظيفة ظهر كتابي عن الأساطير "Mythos" لدى الناشر بروكهوس Brockhaus بعد أن وصّى بذلك ماكس ميللر Max Müller. وظهرت ترجمة إنجليزية للكتاب في العام نفسه (أي عام ١٨٧٧). وقد أثارت ترجمة الكتاب الإنجليزية اهتماماً أكبر من الطبعة الألمانية، وأكثر مما كنت أتوقع عند كتابته. وما كنت أتوقع أن ما توصلتُ إليه من نتائج/ في دراساتي الدينية يمكن أن يحظى بهذا الاهتمام.

٨٧

لم تكن لديّ أي مشاعر طائفية آنذاك، إذ إنني كنت أعترف بكل الديانات العالمية وأنبيائها الذين يمثلونها، والذين أعترف بهم منذ ولادتي يهودياً، وأردت أسماءهم كما تعرفهم الكنيسة الإنجليزية، وكانوا يملكون هذا الجانب من حياتي الروحية باعترافي بمحبتهم، في حين كان الألمان في مدينة

(١) انظر الفصل التالي.

تُبينجن *Tübingen* لا يستطيعون التحكم في مشاعري الحرة في صباي بأحكامهم الإنجيلية المتميزة. وقد فهمني النقاد الإنجليز الأصدقاء منهم والأعداء. ولم يفهمني من الألمان إلا شتاين تال (١٨٢٣-١٨٩٩) *Steinthal*^(١) الذي أحس بمشاعري - بحكم أنه يهودي مثلي - في حين أن النقاد اليهود تذرّوا بالصمت العميق. ولم ينشر أحد من اليهود عن الكتاب عدا بعض صحف يهودية إنجليزية احتجت على ما ذكرته عن إبراهيم وبنات لوط الخاطئات (المدنسّات) وتشككت فيه كما لو كان خدام المعابد اليهودية الذين ظلّوا منصرفين إلى ألعابهم الرياضية يتوقّفون عند إبراهيم وبنات لوط الشهوانيات، وكأنّ فكرهم الآن ينكر اعتبارهم شخصيات تاريخية، إذ لم يبلغ مجريي اليهود أي كلمة من الكتاب المقدس كله لو لم تسجل صحيفة لويد المسائية *Abendblatt des Lloyd* النصوص المقدسة تسجيلاً غير أدبي، ولكن جاء زمن وجب فيه أن يتقبل الصهيونيون المجريون إلحادي، عندما وصل إليهم ما يُذكر من مديح لكتابي، وكان عليهم أن يعرفوه.

وافتح في عام ١٨٧٧ (٤ من سبتمبر) حلقة نقاش رابينية بمدينة بودابست بعد حدوث أعمال السلب والنهب بمدينة هايناوشر *Haynauischer*^(٢). وكان معظم الأساتذة الذين دُعوا لحلقة النقاش من ميرن سواء بالميلاد أو بما يدل عليه مظهرهم. وكنت مرشحاً منذ سنوات للعمل بالمدرسة التي أُقيمت بها حلقة النقاش، وقد شاكرت في الإعداد لهذه الحلقة، ودُعيت بعد ذلك لعضوية اللجنة العليا. وكنت أعترض منذ عام ١٨٧٦ على أن أكون عضواً بهذه

(١) أستاذ دراسات لغوية وفلسفية بجامعة برلين.

(٢) مدينة في شليزيا هايدي *Niederschies*، أصبحت تحت الإدارة البولندية ١٩٤٥.

اللجنة لفساد الأوضاع الدينية التي كانت تتخذها، وتجعلها السبب الرئيس في إقامة بناء هذا الصرح التربوي شديد الأهمية، ويصرّون على ذلك، ويجهرون به. وقد أشاعت اللجنة العليا آنذاك أنني عدو لليهودية، وسجّلت أنني خطر على يهود المجر، ووسموني بهذا كذباً عند الرعاع، وعند كل مَنْ تساءل عن عدم وجودي بين مدرسي المعهد. فعلوا ذلك بمهارة جعلتني أعترف بحنكتهم، وأحترم دبلوماسيتهم. ثم جاء الأساتذة من ميرن *Mähren* وكان عليهم أن يناقشوا الفقهاء، ولم يكن بين هؤلاء الأساتذة الأذعياء من يتميز بأية موهبة ولكنهم كانوا يتملقون الشاب كاوفمان *Kaufmann*^(١)، وهو خبير إعلان، وثرثار كبير.

تتمثل قدرته العلمية في مذكرات تافهة، وطرائف رخيصة. أما مواعظه فهي عبارات طنانة جوفاء تحوي نفاقاً وقحاً / بلهجة عبرية. ٨٨

هذا هو الطفل الذي وصف بأنه طفل معجزة، والذي جعلته إعلانات الصحف صانعَ مواعظ العصر، يطالب بأن يلتف حوله الرعاع المطحونين، وسرعان ما تنس رائحته النتنة ادّعاءه بالتقوى. وكل ما كان في هذا الرجل يعبر عن الخداع والادّعاء والأنانية والجشع. أفضت به شخصيته إلى الزواج من بكر عجوز طال بها العمر من عائلة غير يهودية، ولكنها تمتاز بأنها وريثة لنصف مليون فورنت *Forint*. ولكي يتصالح مع الآلهة أعدم الأطباق وأدوات الطعام^(٢)، ووضع مكانها ما هو حلال (*Koscheres*). وانتشرت الرائحة الكريهة بعد ذلك حول الرجل الكبير، إذ إن العالم يحب أن يُخدع.

(١) كاوفمان *Kaufmann* (١٨٥٢-١٨٩٩) أستاذ بمدرسة الربانبة ببودابست، ومؤرخ.

(٢) أي يتصالح مع الإله يهوى، لأنه تزوّج مسيحية تأكل طعاماً غير حلال عند اليهود؛ أي لحم الخنزير. (عوني).

واقترب هذا الرجل القادم من منطقة ميرن طالبًا مصادقتي، ولكن مريديه كانوا قد كونوا حوله حلقة من الرعاع الجهلة.

وكان رؤساؤهم من الخسة لدرجة أنهم أرادوا مقارنتي به. ولم تكن هذه المقارنة - بطبيعة الحال - في صالحتي، وبخاصة أن له أنفًا لطيفًا - رغم أنه يهودي جاهل - ينم عن رومانسية أكيدة، وكان يعشق الروح القدس الغربية عني. ولكنها وجدت في كاوفمان *Kaufmann* وكيلاً عامًا لها، لزم عليه أن يترأس الجمع. أما أنا فكانت معتبرًا - بموطني - رجلًا معروفًا بالخارج، اختارتي الأكاديمية المجرية عام ١٨٧٦ عضوًا بها. ومن ثم كان التنافس بيننا خطيرًا. وخشوا أيضًا أن أكون قد هربت إلى القاعات المقدسة بمورفاتوريوم *Morvatoriums*. وكان الرأي العام مجهزًا للاستعداد عليّ، إذ كان معدًا للاقتناع بأنني غير مؤهل للتخصص باعتباري مستعربًا في الشؤون اليهودية بخاصة، واعتُبرت كافرًا عند الشعب.

وفي سنة ١٨٧٨ قرأ ثلاثة حقراء كتاب الأساطير *Mythos* ؛ رجل من صفوة المقربين عند كاوفمان، ولاعب شطرنج يدعى إيمانول بوللاك *Emanuel Pollak* وكلاهما من مجموعة رجل يدعى إيلن بيرجر *Ellenberger*، وهما من عبدة نجوم الميرن *Mährische Sterne*. وكل هؤلاء ترأسوا في العام نفسه حركة عجيبة، إذ جُمعوا من المقاهي التي يوجد بها رعاع يهود مدينة بست واعتادوا لعب "الكوتشينة" وقد كتبوا عريضة ووقعها عدة مئات موجهة إلى رؤساء اليهود المزيفين يطالبون فيها بإبعادني عن وظيفتي، مدللين على ذلك بقولهم إن مؤلف كتاب هذه "الأساطير" ليس جديرًا بشرف شغل هذه الوظيفة، ولذلك طلب مني مذكرة أرفعها إلى الرؤساء،

يمكن أن نقرأ بِمَلْفِي بالجالية. وللأسف خمدت هذه الحركة (وكانها غرقت في مستنقع)، ولم يتحدث أحد عنها أكثر من ثمانية أيام.

ولو أنها استمرت حتى تتضح لكان هذا من حظي، ولاستطعت أن أقتص من رعا ع المعبد/ فقد الحقاء الحماس، ولم أعد في حالة تَسْتَحَق أن أسجل انقطاع صلتي بهذه الدوائر غير المحترمة علانية. أما كاوفمان الثعلب فقد أصدر أوامر مضادة لأوامره السابقة بعد أن حقق هدفه بأن أعد لي حكماً بالإعدام حرقاً في حفرة حقيرة. وصار في استطاعة كل من يعرف القراءة أن يقرأ في كل مكان على الجدران أنني كافر. ولكنني لم ولن أحرق، بل سأعرض للوشم بالنار (وشم الصليب بالنار على جلده) وأصبح مسالماً إلى حدٍّ ما، ولا أنافسهم. يا إلهي! هل جئتُ إلى هذه الدنيا لأكون عاجزاً عن منافسة هذه الحثالة.

وفي هذه الأثناء انبثق شعاع من نور في زمن وظروف تحمل بنور الخواء الفكري تمثل في معرفتي بالسيدة لاورا منلر *Laura Mittler*. ففي يوم ٢٩ من ديسمبر ١٨٧٧ وكان من الأيام الباردة التي يغطي فيها الجليد الأرض دخلت لأول مرة المنزل الهادئ الذي يسكنه طبيب القرية بمنطقة *Arad Sz.Marlon* الذي أصبح منذ ذلك الحين منزل أسرتي، وكنت أريد أن أستريح من ضغط العمل والإنهاك الذي أشعر به نتيجة الاستغراق في الدراسة. وسأقتني العناية الإلهية إلى براوتشاو *Brautschau* وهي أقرب مدينة إلى بودابست؛ إذ لم أكن أستطيع أن أبعد كثيراً عن الأهل، لأنتمي إلى أسرة أخرى، فأنا أعتر بأداء واجباتي نحو أقاربي كلهم. وإن كنت أعاني أنانية العالم الذي يعدُّ أهم ما يصبو إليه هو مواصلة البحث العلمي.

كنت مستاءً من أنني تركت أكوامًا مما نقلت عن ابن حزم من جزازات، وعن الجدليين المسلمين الآخرين فوق مكتبي، أهملتها كي أتعرف على فتاة. ولو لم أتخلّ عما أجبرتُ على ممارسته وظيفيًا وهو ما نصحتني أمي الحبيبة بقبوله، ولو لم أنتهز فرصة التغيب عن وظيفتي مدة أيام ما كنت لأهمل هؤلاء الجدليين وأهجرهم، كي أتعرف على فتاة. ففي ليلة مضت - تأخر فيها القطار بسبب حادثة في العراء - وصلت بعد إحدى عشرة ساعة سفرًا بالقطار، وساعتين سفرًا بالمواصلات في ليلة أظلمت فيها السماء إلى منزل طبيب القرية الذي حدثني عنه طوال الأسبوع السابق رجل ثرثار معجب به. واستقبلني الطبيب ودعاني إلى عشاء طيب. بقينا نتحدث بعده إلى منتصف الليل حديثًا ذا شجون، وزال منه الحرج ففتحت له قلبي ببساطة لا أتحدث بها إلا لمن أثق فيه. وبذلك كونت الفتاة فكرة ما عن ازدياء العالم لأرائي. وتعاطفت معي وكانت هذه أولى الصفات التي حبيبتي فيها. وقد خفر ذلك بعمق في روعي طوال سنتين. /

90 قضيت الليل قلقلًا. كان القصد من زيارتي أن أطلع الأسرة - كما تملي عليّ مبادئ - أنه في حالة رفض طلبي الزواج من ابنتهم، فإن ذلك قد يؤدي إلى هلاكي الأبدي. ومع أول تباشير الفجر برق خاطر غير متوقع، وكأنما نزل عليّ وحي، فأصبح واضحًا لدي "أن الرب أرشد عبده إسحق"، وقبل أن أقابل الأسرة مرة أخرى، كتبت إلى أمي عن رغبتي في الزواج.

وفي يوم ٣١ من شهر ديسمبر تركتُ صحبة هؤلاء القوم الطيبين الذين أصبحوا أهلاً لي. وبعد أن تبادل أفراد من عائلتنا الزيارات للاتفاق على الخطبة الرسمية، فزار منزلنا شقيق الفتاة مرات عدة، كما زار نسيبي

جليك Glück أسرة الفتاة، وصل إليّ خطاب رقيق من الأنسة لاورا Laura. وفي ٢١ من مايو ١٨٧٨ أقمنا حفل زواجنا في معبد تسوآراد zu Arad، ويمكنني أن أصف زواجي بأنه كان زواجًا سعيدًا، وساعدني الرب، وروح والدي الطيبة باركت اختياري. وكان من المفروض أن الزواج لمثلي ولمن له مثل طموحي يمكن أن يجعله غير سعيد...^(١).

نوعية الناس الذين أعاني لقاءهم، جعلتني أتبين لأول وهلة، أن من واجبي أن أتجنب صحبتهم، وألا أتعرض لزفيرهم الكريه. ولم يبق إلا وسيلة للخروج من هذا المأزق وهي أن أنكب على العلم الذي يمكن أن يحفظني عندما أستطيع أن أتخلى مخلصًا وبكل رضى عن لقاء الشخصيات الكريهة. ويمكن أن أقضي وقت الفراغ - بل يجب - في صحبة الكتب. إن هذه الصحبة وما أفيده منها يجعلني أستعيد ذكريات طفولتي، وكل ماضٍ وأنتعش بها، وأن أتحمّل تقززي من أكوام القذارة والمهانة التي تحيط بي. وفي هذا الوسط كان يجب أن أحمي حياتي الأسرية التي يجب أن تتوافق مع مبادئ، وكراهيتي للندالة والحقارة. وكانت هذه مهمة أصعب من كل تجمع لا طائل منه لتغيير الواقع من حولنا. ولكن بمخالطة السفلة والعامّة التي تعد أساسًا لممارساتي اليومية. وكان هذا الاختلاف هو القوة الدافعة لحياتي الذهنية لحل المشاكل الكبيرة التي ترتقي بي إلى الصفاء النفسي أو تغرقني تمامًا في مستنقع. وكان الكفاح ضد هذه المشكلة هو الإطار الخارجي لحياتي. وفي هذه اللحظة تبينت أنني لم أسقط في هذا المستنقع. /

(١) سقطت الصفحتان ١٦٦، ١٦٧ بالمخطوطة وكتب بدلا منهما بخط بروفير كارل جولدتسيهر

"هذه الورقة انتزعتها والدتي المسكينة من اليوميات".

قهرتُ بجلد الشهيد ومداومته أشد الأزمات المثيرة للغضب التي كانت ^{٩١} عبئاً على كاهلي بسبب معتقداتي الدينية. وعلى الرغم من الأوامر يمكنني أن أقول: إنني رفعت رأسي واستبسلت في ليال سهرتها وحيداً كالبطل، فأوقدت مصباح الدراسة لأصد الشياطين التي تحاصرني طوال أيامي بشماتة كي تضغط عليّ بكماشة محمية بالنار وتملاً رأسي ببخار نتن، ولكنه كان يوجد على عتبة مكتبي تعويذة عُرِفَت منذ عقد ونصف للحارس دروين فوس *Druidenfuss*^(١). وكل ما علّق على كاهلي، وكانت أموراً فظيعة ومذلة، بدّلته وجعلته في سياق رسالتي في الحياة.

عند التساؤل عن كيفية تكوين هذه الحياة المتناسقة المتوازية الخاشعة، لو أنني تزوجت امرأة أخرى مشحونة بأفكار تلك الجماعة التي تحنقر ثقافتني (أو تدّيني).

ومن ثم فإنني أحمد الرب الذي آمَنَ به آبائي وأشكره خاشعاً لرحمته بي، وأن جعل هذه الخطوة من حياتي سعيدة. وجعلني محترماً في ماضي. وكان من الممكن أن يقودني إلى حفرة من سوء الحظ والكآبة. الحمد والشكر للرب. أدركت زوجتي طموحاتي وحممتي من الاضطهاد والتعقب والمطاردة التي لا تتوقف.

كَتَبْتُ زوجتي على السبورة: "إنني أضع يهوى نصب عيني"^(٢) وجعلتها تزين مكتبي، ولذلك لا أخجل في منزلي، وأحمد على أطفالتي الذين

(١) هي تعويذة تُستخدم حماية من السحر والأرواح الشريرة. (عوني).

(٢) المزمور ١٦، آية ٨.

أهداهم لي وسيتمكون. فيما بعد من النطق بهذه الكلمات التي أقدم بها هذه اليوميّات، فالعدالة والرحمة في منزل والديهما هما اللتان سادتا وحققتا للحياة الأسرية أعلى قدسية. وسيستطيعان يومًا ما كتابة هذه العبارة، ولن ينسيا أن أمهما ساعدتهما على ذلك.

أما كفاحي وحروبي طوال حياتي فلن يعزفاه إلا من هذه اليوميّات، ويمكن أن يعرفا أنه لم يكن في استطاعتي أن أخرج من هذه الحروب منتصرًا لولا مساندة زوجتي الشجاعة، وتسريتها عني، ومؤازرتي. وكان احترامها لي وحبها الفياض يعوضني عن احتقار يهود العالم كلهم، وبخاصة المحيطون بي، وما أعانيه من كراهيتهم واحتقارهم. وسيفهمان أيضًا كيف كان من الممكن أن أخرج من مسيرة حياتي المليئة بالأشواك والألغام منتصرًا رغم كل نقائص وأخطاء أعالي، وما صاحب أفعالي وانعزالي وتنازلي. وعندما يقرآن كل هذا فعليهما أن يتذكرا أن اسمي / لم يلق تقديرًا [٩٢] إلا بمساعدة أمهما مساعدة مخلصّة طوال حياتي.

يمكن أن يصدر حكم موضوعي بأن الأعمال التي أنجزتها في الفترة الزمنية ١٨٧٦-١٨٩٣ ونشرتها من أعالي العلمية في هذه الأوقات العصيبة جدية بشهادة جيدة، إذ إنني كنت مجتهدًا في جمع المعلومات، ونشطًا في التخطيط للدراسات. وقمت في هذا الوقت بكتابة دراسات أكثر عددًا مما نشرته بها. فقد واصلت دراساتي في تاريخ الأديان بهمة، وعقدت بالجامعة عددًا من حلقات النقاش عن تاريخ الأديان والأساطير... إلخ. وكانت الدراسات الإسلامية فوق الأرفف عوامل مساعدة على اتساع دائرة التفكير الممكنة؛ وما أكثر ما انشغلت بالدراسات الشعبية الإسلامية، وما يتصل بها

من اللهجات الشعبية العربية التي تتحدث بها الجماعات العربية. وفضلاً عن ذلك اهتمتُ بكتب الفقه الإسلامي المتاحة لي آنذاك، فتعمقت في دراسة تفسير الفخر الرازي الضخم في مجلداته المخطوطة العشرة الذي أهدانيه رئيس البرلمان المصري السابق مصطفى باشا، فهمي الذي يسر لي الاطلاع على مخطوطات القسطلاني العشر التي ضمنتها إلى مكتبتي. أما كتاب النواوي في شرح صحيح مسلم فقد كان عليّ أن أردّه. وأعدتُ قراءة ابن حزم مرة أخرى، وقراءة سلسلة من الكتب عن العقيدة الإسلامية، ونسخاً خطية تمكنتُ منها من معرفة الأدب الشعبي العربي، وأتاحت لي الدراسة المنظمة للمواد التي أرغب في دراستها، إذ إنني أعدتُ قراءة اثنين وثلاثين كتاباً في سيرة عنتر، وعرفتُ سيرة سيف (بن ذي يزن) لأول مرة. وكنت أطلع ألف ليلة وليلة بالفراش قبل النوم.

تسبب خوفي من التخصص في فرع واحد من العلوم، وطموحي إلى تنشيط ذهني باستمرار، وتعطشي للاطلاع على ميادين أجنبية في مطالعة الأدب الإنجليزي بفهم في هذا الوقت. وأصبحتُ أيضاً عبداً مسلوب الإرادة لتاريخ الحضارات، وأدب الرحلات ولم يفتني في هذا الميدان الاطلاع على الآداب الآسيوية والإفريقية.

شغلت بالدراسات الأدبية في هذه السنوات أثناء فترة الراحة المتاحة لي يومياً، أما إعداد الخطط فلم أتمكن منه إلا أثناء الإجازة السنوية التي كانت مدتها خمسة أسابيع سنوياً، وكنت أقضيها عادة فوق الجبال أو على شاطئ البحر. ولم أتمكن أثناء العام إلا من كتابة مقالات صغيرة أو إصدار أوامر بنشر الأعمال الكبيرة. أما الدراسات والكتب الكبيرة فكان إنجازها يتطلب

انتظار العطلة السنوية بأسابيعها الخمسة. وكنت أقضي هذه العطلة -عندما كنت أعزب أو بعد الزواج من لورا - في المناطق الخلوية الجميلة التي تتعش النفس. كانت هذه العطلة هي التي أتمتع فيها بالشعور بأنني إنسان، وإن كانت لم تسلم تمامًا من شعوري بالتخلص من / حياتي الوظيفية المهنية. [٩٣] وجعلت أيام العطلات التي خصصتها للنشاط للإفادة من أداء واجباتي الأدبية، وتمكنتُ عامًا بعد عام من أن أنجز كل هذه الأعمال، وكنت أفرغ ستة أسابيع لإتمامها.

وكان هذا هو سر حصولي على شهرتي بالاجتهاد في دراساتي؛ ففي أول أيام عطلتي (في يوليو ١٨٧٦) التي قضيتها في ضيعة صديقي البارون فون ريفاي *Baron von Réváy* في منطقة ترنسدير *Trencsiner*، قمت برحلات في منطقة *karpáthenwelt*. وفي هذه الأثناء شغلت بإعداد الدراسة التي سألقيا عند بدء عملي بالأكاديمية عن مقارنة تاريخ الثقافة العربية الشرقية بمثلتها العربية الغربية وفي الوقت نفسه نشرت مختصرًا باللغة المجرية عن تاريخ الدراسات اللغوية عند العرب. " *Geschichte der Sprachwissenschaft bei den Arabern*. وظهر العملان بنشرات الأكاديمية المجرية التي اختارتي في يناير ١٨٧٦ عضوًا بها، ثم نشرت بعد ذلك -إلى جوار المقالات عن فيلولوجيا كوزلوني *Philologiai közlöny*- سلسلة أخرى من المقالات بمجلة المستشرقين الألمان *ZDMG* وأهم ما فيها مقالات أدب الجدل في الإسلام، والأغاني الشعبية المصرية. ثم ظهر لي بعد ذلك دراسات عديدة كبيرة وصغيرة في المجلة نفسها. فكتبت مثلًا -باعتباري حديث الزواج سعيدًا- بحثًا لإيبرس *Ebers* عن مصر بالصورة والكلمة *Ägypten in Bild und Wort*

الذي كتب عنه إيبرس مقالة تمتدحه، فكتب في مقدمتها أنه "عمل رائع" وحكم على دراستي بطريقة ودودة غير معتادة. وعند تأسيس المجلة الفرنسية المصورة عن تاريخ الأديان "*Revue de l'histoire des religions*" انضمت إلى جماعة المحررين الذين رحبوا بي، وأثارت مقالتي "عن الثقافة الدينية في الإسلام" *Über den heiligencultus im Islam* التي نشرت بالمجلد الثاني لهذه المجلة المصورة، ووجدت اهتمامًا عند كثير من القراء، وتقبلوها تقبلاً حسناً. واشتغلت في مدينة لوسزيفنا *Lucsivna* - وهي مدينة استجمام بالكاريبي - عام ١٨٨٠ التي نشرت بها جزءاً من كتابي "الإسلام" باللغة المجرية "*Az iszlám*" بتكليف من دار نشر الأكاديمية المجرية. وانتهت هذه الفترة من انشغالي بالحياة الأدبية عام ١٨٨٣ بظهور كتابي "الظاهرية" "*Die Záhiriten*" في ليبزج، مما أدى إلى نجاحي في ألمانيا، باعتباري عالماً بالإسلام محبباً لديهم، ومتخصصاً في هذا النوع من المعرفة مثل سنوك هورجروني *Snouck Hurgronje* الذي ترأسل معي، مما شجعني على التعمق في هذه الدراسات والانكباب عليها بطريقة غير معتادة. وتوافرت بطبيعة الحال في كتاب "الظاهرية" بتعمق واستعراض التأملات النظرية في الفقه الإسلامي بالكتابات الأوروبية. / وانتهت هذه الفترة الطيبة باشتراك في مؤتمر الاستشراق السادس بليدن *Leiden*. وكنت قبل هذا بعيداً عن هذا التجمع. وكان "صديقي" فامبيري *Vámbéry* هو الذي أفقطني الشجاعة لزيارة هذا المؤتمر أو ذاك. وكان لدي شعور بأنني سأكون أحقر شخص وسط هذه النخبة المنتقاة في مثل هذه المؤتمرات التي يحضرها مشاهير العلماء في تخصصي. وشعرت كما لو كان كُتِبَ على جبينني كلمة شماس *Schammes*، وكان هذا ما يجعلني أخشى من وجودي بين رجال يعتبرون الاشتغال بالعلم مهنة شريفة. وأفهمت

نفسي أن اشتغالي بالعلم ليس عملاً فردياً أهرب به من الشعور بالذل والمهانة في حياتي المهنية؛ ولذلك اعتبرت وجودي في وسط الجماعات العلمية لا يُضيف إليّ أية قيمة خاصة، وما ظننت - مطلقاً - أنني من الممكن أن أكون عضواً بها. وكنت أكتفي بوجودي وسط جماعات من مستواي فقط.

ولكن أغريت بالذهاب إلى ليدن *Leiden*. وازدادت لهفتي للعودة ومعى زوجتي إلى المكان الذي شهد اجتهادي في العمل شاباً، وأكدت الخطابات المشجعة التي تلقيتها من دي خويه *De Goeje*، وسنوك *Snouck*، وأنديرين *Anderen* وغيرهم ضرورة حضوري المؤتمر، وكانت عندي رغبة خاصة في رؤية سنوك الذي أشعر بالانجذاب إليه. لمشاركتي له في العمل بالحقل اللغوي نفسه، وكنت حريصاً على التعرف عليه شخصياً. ومن ثم انطلقنا - زوجتي وأنا - من نوردرناي *Norderney* حيث أمضينا شهراً، وقمنا بزيارة المؤتمر في مهمة رسمية. وبعد تفقد معرض أمستردام، وبعض المدن الهولندية - أذكر منها هارلم وحمام زاندفورت *Bad Zandvoort*. وصلنا إلى ليدن حيث حظينا باستقبال عظيم ومشرف، وأحاطنا رئيس المؤتمر الأستاذ أبراهام كوينن *Abraham Kuenen* - ناقد النصوص الدينية المشهور - بترحيبه. وكذلك فعل المستشرقون الهولنديون وعائلاتهم الذين نعمنا منهم بترحاب متميز.

وشعرت زوجتي بارتياح بين زملاء التخصص، كما وجدت كل الأسباب التي تقوي الشعور بالثقة بينهم، وتجمع حولنا حشد صغير من المعجبين بدراساتي، وكأنهم تواعدوا على ذلك للتعبير عن شعورهم نحوي.. واخترت نائباً لرئيس شعبة الدراسات الإسلامية، ويمكن تقدير هذا التكريم

عندما يتبين أنني بذلك أصبحت زميلاً لكل من ستانز لاوس جويارد
Stanislaus Guyard الشهير^(١) وكليمونت جانوى *Clermont Ganneau*
(١٨٤٦-١٩٢٣) وهو مستشرق فرنسي وعالم آثار. عُينت أميناً عاماً
للمؤتمر (سكرتيراً). وقد لقي المختصر الذي أعدته لكتابي عن الظاهرية -
الذي كان تحت الطبع- استحساناً عظيماً. وصرح الشيخ أمين المديني الذي
ترجم له مضمون محاضرتي أنه يعتبرني ندّاً لشيخ الإسلام/.

كان لقائي مع أهم المشهورين في الفرع الذي أخصص فيه أعظم فائدة
[٩٥] حصلت عليها: وكان على رأسهم تيودور نلدكه *Th. Nöldeke* (١٨٣٦-١٩٣٠)
وهو مستشرق وأستاذ بجامعة ستراسبورج، استطعت أن أقيم معه هنا علاقة
قوية، ورأيت لأول مرة في حياتي سوسين *A. Socin* (١٨٤٤-١٨٩٩) وهو
أستاذ بجامعة تيبينجن ثم ليبزج، وتوربكي *H. Thorbecke* (١٨٣٧-١٨٩٠) وهو
واحد من تلاميذ الأستاذ فلايشر *Fleischer* الذي جعل دراسة اللغة العربية
وتاريخها من الشعر القديم من واجبات حياته العلمية. واهتم بقراءة كتابي الأخير
عن الشعر الوثني *Heidnische Poesie*. وقدم لي عدة اقتراحات حيوية. وأقامت
علاقة قوية أيضاً مع أوجست ميللر *August Müller* (١٨٤٨-١٨٩٢) مستشرق
وأستاذ بجامعة كينجزبرج وهاللي. وكان له أهمية كبرى ساعدتني في دراساتي
العلمية التي قمت بها بعد ذلك. أما زاخاو *Sachau* المتغطرس، فقد نظر إليّ من
أعلى إلى أسفل بتكبر. وتعرفت على ديرنبورج الأب *(١٨١١-١٨٩٥)*
J. N. Derenbourg أستاذ اللغة العبرية القديمة (لغة التوراة)، والمحاضر
بالمدرسة التجريبية للدراسات العليا *Ecole Pratique des Hautes Etude*. وكذا

(١) كان يدرس اللغة العربية واللغة الفارسية منذ ١٨٦٣ بمدرسة الدراسات العليا.

تعرفت بابنه هارتفج *Hartwig* وزوجته. وكان عليّ أن أقفّع بالسطحية التي تخفي تحتها طموحات الابن الصغير. وأنعشتني نظرة العالم الجسور روبرتسون سميث (١٨٤٦-١٨٩٤) *W.R.Smith* أستاذ النحو العربي بجامعة كمبريدج منذ عام ١٨٨١- الذي جمعني وإياه عشاء تسوده الألفة والمودة لدى كوينن *Kuenen* انضم إلينا فيه الزملاء الذين يؤمنون بقوانين الكهنة التي دُوّنت بعد الخروج من السبي البابلي وقد جمعني المؤتمر أيضًا بسنوك هوجروني *Snouck Hurgronje*، وكان يحمل بين جنبه بواكير أعماله الضخمة. وسرعان ما تفاهمنا على أن نقوم بعمل مشترك عن الشريعة الإسلامية. وبعد عدة لقاءات بالأيام الأولى للمؤتمر تبينا أننا متفقان فيما نتبعه من أسس نقدية قوية في دراستنا.

وهكذا مضى اثنا عشر يومًا في مناقشات علمية وصفاء اجتماعي. ورحلنا جميعًا في صحبة ديفيد هاينريش ميللر *David Heinrich Müller*. وفي مدينة دن هاج *den Haag* وقفنا جميعًا بكل احترام أمام تمثال سبينوزا *Spinoza*. وفي روتردام *Rotterdam* تمتعنا بسياحة حول الميناء الفخم، وفي كولن *Köln* زرنا صديقي القديم رجل الدين الكاثوليكي فيل *Fell* - وهو الآن أستاذ بجامعة منستر *Münster*. وقام معنا بنزهة - باعتباره خبيرًا بعالم الكنائس في كولن -. وفي طريق العودة قمنا بنزهة بنهر الرين من كوبلنز *Koblenz* إلى ماينز *Mainz* ثم انتهت بالسفر على الفور بالقطار إلى فيينا.

وفي محطة السكك الحديدية شاهدنا أول مظهر من مظاهر الحياة اليهودية المجرية، إذ إن ميزاي (١٨٦٠-١٩٢٧) *F.Mezey* ^(١) - المسئول عن الذبح الحلال بالمكتب اليهودي، ومورتزكند *Moritzkind* مسئولين عن

(١) ميزاي (١٨٦٠ - ١٩٢٧) أصبح فيما بعد رئيس أول مكتب إسرائيلي في المجر.

مصاحبتي إلى أمستردام، وجعلاني أعترف بأنني أسير خطأ في عكس الطريق الذي يؤدي بي إلى وطني.

وبعد الأيام الرائعة التي قضيتها والتي ذكرتي بالأيام التي عشتها في ليدن عام ١٨٧٦، وجب عليّ - رغماً عني - أن أعود إلى التفكير في الوسط الفظيع الذي سأعود إليه، ومن ثمّ مثّلت هذه الأيام حدوداً لفترة انتهت من حياتي. / والآن تبدأ حقبة جديدة بها يجب أن يطبع على جبينني لافتة باسم "رجل بولندي يهودي" وظيفته الأصلية أن يخنق البراعم الجيدة التي كنت أعدها من هولندا لإحيائي (لإعادتي للحياة). انتقلنا إلى حقبة جديدة من الحياة. هيا إلى الأمام. هيا إلى الأمام. أيها اليهودي الأزلي.

١٨٨٣ - ١٨٨٩

عندما عدت من المؤتمر الدولي للمستشرقين بليدن، حيث قوبلت بترحاب وباحترام وتقدير من كبار العلماء في فرع تخصصي. وقابلني في وطني بعاصفة من الاستقبال من يُقال عنه إنه رئيس الجالية اليهودية، الذي قال لي: "لن يُسمح لك مستقبلاً بالتغيب ستة أسابيع عن الجالية، طالما بقيت في منصب رياستها".

ذلك أن تجديد انتخاب المجلس الرياسي كان على وشك الحدوث، ولكن سياسته لم يحظَ بإعادة انتخابه، وانتُخب بدلاً منه - أحد المحامين، وقد كان السبب عند الاختيار. وقبله أن شعارات انطلقت تصرّح بأن الجالية تحتاج أن يمثلها رجال مثقفون شرفاء يشرفونها بالخارج، ولم يكن نويفلت *Neuwelt*^(١)

(١) نويفلت *Neuwelt*. رئيس الجالية الإسرائيلية في بست (١٨٧٤ - ١٨٨٣).

المُسْنِ يصلح إلا أن يكون في سلخانة المكتب المحلي. وكان وجوده يمثل خطراً على اليهودية. ومن ثمَّ وجب أن يوضع على القمة هذا الرجل الثري المثقف الذي لا يتسم بالوقاحة. ولم يكن التواضع والنصف مليون كافٍ لأن يمثل السيد نويفلت يهود بست *Pest*، في حين أن إسزلار *T.Eszlar*، كان رجلاً يملك خمسة ملايين على الأقل. ووجدوا ذلك متوفرًا في عضو مجلس بلدية الإمبراطورية مورترز فارمان *Moritz Wahrmann*^(١). وكان من المفروض أن يترأس المجلس قبل ذلك بثلاث سنوات، ولكن رغم ما وُعدَّ به (كذا يسمع بعض الناس منه) استبعدوه بخشونة مما جعل الغالبية الغاضبة من الأعضاء الأربعين الذين ينتمي إليهم يسحبون منه العضوية. هذا الرجل نفسه ينصَّب باحتفال كبير على كرسي الرئاسة بعد أن أصبح وراثيًا، بعد أن ينس اليهود من العالم المسيحي. ولذلك عُيِّن رئيسًا وقَبِلَ ذلك رغم ضعف صحته لأنه اعتبر ذلك واجبًا دينيًا، لأن الظروف آنذاك كانت تحتم ذلك. / وبمثل هذا تقريبًا رتَّل أمام المجمع المحتفل في عماهم بعقيدتهم الدينية لا يلتفتون إلى الشتائم التي نطق بها، ولا يأخذونها مأخذ الجد، أو ما فيها من ألفاظ لا يصح أن ينطق بها. أما نويفلت المسكين الذي جعل نفسه لسان حال عبودية الجماعة خلفه (لمن يأتي بعده)، وهذا الآخر.....

٩٧

ولما كنت لا أنظر إلى هذه العلاقات باعتبارها وُجِدت للصالح العام، ولكنها تؤثر عليَّ شخصيًا، وجب عليَّ أن ألخص ما يمثله عندي مجلس الرئيس فارمان *Wahrmann* في دورته الانتخابية الثالثة بالنسبة لي، فإن قلبي

(١) م. فارمان (١٨٩٢-١٨٣٢) *Wahrmann* أول عضو يهودي بالبرلمان المجري، ورئيس الجالية الإسرائيلية ببست.

يَعِفُّ عن أن يطلع أبنائي على الحقيقة كاملة، ولكنني أعمل على تربيتهم
تربية تحث على التخلق بالأخلاق الحميدة، ومن ثمَّ لا أريد أن يدركوا حقيقة
ما حُتِّمَ على والدهم من فزع طوال السنوات التسع التالية، مما ينبغي أن
تتطهر منها نفسه وتتقي من ظلماتها. ففي اليوم الأول الذي التقيت رئيس
العبيد الجديد (وأنا واحد منهم) تخيلت صورة الزمن الذي سأعيش فيه، وما
حُكِّمَ عليَّ به. وإن كان قد ساورني الأمل فترة قصيرة؛ إذ إن هذا الرجل
الذي يلوح بالسوط أمامي احتك كثيرًا بالعناصر المثقفة في بلدنا، ولعله عرف
منهم أن ثوب كاتب الجالية (يعني شخصه هو أي جولدنسيهر) بَطْنٌ ببطانة
شريفة، وبمعرفة هذا، كنت أتوقع معاملة رفيعة المستوى تتناسب مع ما
سمعه من هذه الجماعة عني. ولكن سرعان ما اتضح لي كيف كنت ساذجًا
للغاية عندما توهمت ذلك عن رجل أصبح عضو رئاسة المجلس، وغيره من
مجالس إدارة الجالية، وكيف كنت دابةً مسلوية، غرقت في الوحل. وكانت
الإجراءات الأولى التي اتخذها تعني تجريدي من مهام وظيفتي الرسمية
لتصبح أعمالاً خدمية. والحقيقة أنني كنت لأول وهلة عند التقائي معه
شخصيًا وفي زيارته الأسبوعية المتكررة أحظى للأسف بحكمه عليَّ بالفشل
في أداء وظيفتي. ويتسبب ذلك في لحظات أليمة تفسد عليَّ نهاري وليلي، ولم
تخلُ هذه اللقاءات أبدًا من قسوة منتقاة كان يعاملني بها، وكانت أنفه الأشياء
التي تصدر عني تجعله يبدي اشمزازه، وكانت المعلومات التي تصدر عني
تعد معلومات سطحية غبية. وغالبًا ما كنت أتحير في حضرة خدمي.

وكان يجب عليَّ ألا أهتم كثيرًا بما يُوجهه إليَّ من سباب وشتائم دون أن
أطلب من أحد أن يساعدني في ردها. وفي جلسات مجلس الإدارة ندد رئيس

المجلس بي، وقدح في أداء وظيفتي، كما ندد بضيق أفقي مئات المرات. وكنت أحضر المجلس آنذاك باعتباري كاتب الجلسات. وعند غيابي عن المجلس ينكلم / في حقي ويوافقه زملاؤه على ذلك، مرددين ما يقوله عن جهلي بإدارة الأمور المالية، وكيف أنني لا أحسن توجيه الإدارة في المسار الصحيح، بل أقف عقبة في سبيل الإدارة الصحيحة. وهذا ما سمعت أنه يدور أثناء تغيبني عن المجلس، وهو ما لم يكن يقال أثناء حضوري الجلسات. ولم يصل إليّ ذلك رسميًا، ولكن كثيرًا من الإشارات التي سبقت إليّ جعلتني أعرف شيئًا عن النغمة التي قيلت بها هذه العبارات، والغرض الذي تهدف إليه، والمقصود من الخوض في سيرتي وصفاتي الشخصية، وكل ذلك حدث في الأوقات التي كنت أقوم فيها بما كلفت به من أعمال متواضعة، وأعمال ترهق النفس، ولقاءات تفرض عليّ، وتستمر ساعات طوالًا يوميًا. كل هذه الأعمال واللقاءات الدائمة من حثالة القوم المنبوذة تُقوّي من عزمي حقيقة، مقارنة بما كان يحدث لي من لقاءات مع رئيس الجالية، سواء عند مخاطبته أو القيام بأعمال السكرتارية بالجلسات التي يترأسها. ولكي أعطي قارئ هذه اليوميات فكرة عن طريقة تعامله معي أقدم له نبذة من حديثه معي دائمًا وتعبيراته عني. وكان هذا قطرات مختفية في بحر من الجفاء والقسوة ينصب كسيل فوق رأسي. وبالطبع كانت الغممة والزمجرة هي هدية المليونير العظيم للعالم الفقير في مقابل قلم ليس في استطاعته نقل ذلك إلى الأجيال التالية.

١٨٨٣

- قال يومًا لأحد العاملين: بلغ فلانًا (رجل من مرعوسي جولدسيهر) أن يفحص جيدًا هذا شهادة الفقر المقدمة قبل عرضها لأنني سأكون غاضبًا عليه، إن قدمها دون حجة قاطعة تدل على صحتها.

- وفي جلسة أخرى لمجلس الإدارة قال: أنا لا أعرف الرحمة. إن لدينا إدارةً رديئةً، إدارتنا رديئة، وكذلك أيضًا القائمون عليها.

- وقال لي يومًا: أرجوك لا تجعلني أجنَ بمثل هذا الغباء.

أغلظ من هذا ما أنقله عن سنة ١٨٨٤:

- قال أثناء جلسة حضرتها: أرغب أيضًا في التغيير، ولكن هذا مستحيل لوجود هذا الشخص (أي جولدتسيهر).

- قال في رد التماس قدمه - للمرة الثانية - عالمٌ دينٍ محترم يطلب فيه مكافأته عن أربعة أشهر قضاها في أعمال الجالية، في حضرة قوم آخرين: إذا بحث المرء عن دكتور جولدتسيهر، فسيستقبله ريجوسي *Rigócy* لأن دكتور جولدتسيهر غير موجود.

- قال في جلسة أخرى عندما أبطأت قليلًا في ذكر أحد الأعداد: "دعوني/

أخرج، ولا تحضروا هذه الأشياء كل لحظة. إن الناس يصوبون المسدس إلى عنقي". لا يمكن أن يظل الأمر هكذا، نحن لا نستطيع أن نحظى بأية معلومات أثناء الجلسة. لا يوجد في أي مكان آخر ما هو أشد إهمالًا وتراخيًا.

- وقال: "لدينا بالإدارة علماء أكثر من اللازم، وموظفون أقل مما يجب".

- سألني مستهزئًا: "ألم أخبرك بهذا أكثر من مرة؟".

- أمرني إجابةً لأحد مدرّسي فن *Kalligraphie* الذي قنم طلبًا يلتبس منه عونًا ماليًا: عَنُونِ الخطاب، فلن أخطط نص الملف بناءً على رغبتك.

- صاح غاضبًا: يريد كل موظف ابتزاز المال، ولكن لا يهتم أحد

بشئون الجالية.

- سألني مستهزئاً: تريد أن تصبح فليسوفاً؟ إذا ما أجابني طفل في الرابعة من عمره مثل إجابتك وبخته: (قال لي ذلك في حضرة عدة أشخاص).

ومن هذه الجملة الأخيرة أدركت استحالة الاستمرار في تدوين مثل هذه الملحوظات، وبمرور الوقت تضخمت الأمور، وأصبحت أكثر جسارة. ولم أفكر في المقاومة، وكذلك إذا استمع رجل منهم إلى هذه العبارات، وما هو أشد منها فظاظة توجّه لرجل يلتزم أدبياً بأداء عمله، ولولاه لما أضيف جديد إلى هذه الوظيفة التي يشغلها، ولكنه يقبع الآن في مصيدة فتران قانعاً بما يتلقاه من معذبه. ومع الاحتقار الذي يعرب عنه زكينة النقود متوازناً مع الاستهانة اللاحقة من النذل الجبان البادية في بسماته الساخرة. وفضلاً عن ذلك فقد كانت الشؤون الضخمة للوظيفة أصبحت لا تحتل ولا تطاق، فلم أكن أحظى بأي دقيقة راحة أثناء العمل؛ ففي حجرتي يتجمع بعض أعضاء مجلس الإدارة الجهلاء يتفاوضون بأصوات عالية مع بعضهم البعض بينما يحيط بي عشرات من الأحزاب الذي يجب عليّ في الوقت نفسه أن ألبّي طلباتهم.

وفي أثناء ذلك يجلسون على الكراسي ويمدون أرجلهم على كراسٍ مقابلة، معسكرين في حجرتي. وكانت هذه هي المناظر اليومية التي أحظى بها في حياتي الوظيفية المحترمة. وكانوا ينتقلون أثناء فترات الراحة من مكان إلى آخر، ويدخلون ويخرجون من الحجرة يتبادلون الحوار بأصوات عالية، سواء أكانوا داخل الحجرة أو خارجها، غير آبهين بما أقوم به من مباحثات مع الزائرين. أتحدث بطبيعة الحال مستخدماً تصريح الفعل في صيغة الماضي البسيط، وإن كانت الحالة مستمرة دائماً هكذا. / ويرجع هذا كله إلى المنبع

البغيض المتحكم في أيام وظيفتي. وكان يبدو لي أنه يفكر دائما في وضع نظريات عن الأعمال الخدمية. ويومًا بعد يوم يتضاعف سوء الحال، والحالات الأليمة التي وُضعت فيها، بما في ذلك من تعبيرات ساخرة وأقوال غير إنسانية مهينة للشعور يطلقها عليّ هذا الرجل الذي أتخيله وفقًا لقدراته ومهاراته يمثل اليهودي البولندي البدائي، واستهتاره الدائم ومشابته لمصاص الدماء الطفيلي ذهبي اللون (البق الذهبي *Vergoldener Wanzen*) لمن يمجونه. واستمرت هذه الحقبة الأليمة من حياتي من نوفمبر إلى نهاية فبراير من السنة التالية. وكنت آنذاك أمين جلسة المجلس المالية. وكان عليّ سماع كل الملحوظات البذيئة عن موظفي الشؤون الإدارية، وأن أتحمّل ما يقال عني شخصيًا. وكانت هذه الفترة من كل سنة تتوج بوضع سجل لتقارير الشؤون الإدارية، في حين كانت هذه التقارير عندما جئت إلى الجالية لا يزيد تقرير الشؤون الإدارية بها عن بضع ملحوظات عن الميزانية، تكتب فيما لا يزيد عن صفحة ونصف أو أكثر من ذلك قليلا. وبعد ذلك مباشرة قدمت في عام ١٨٧٦ تقريرًا دقيقًا مفصلاً. وكان التقرير الذي قدمته عن عام ١٨٧٥ يعطي نظرة شاملة عن كل فروع الإدارة بالجالية مع إحصاءات تدل على ذلك، وملحوظات منهجية عن كل نقطة. وامتدح الجميع الحرارة التي أدبت بها واجبي، والتي قربت بها المادة الجافة الهشة عن شئون وواجبات الجالية اليهودية إلى الأعضاء وحببتها إليهم، (كانت المسودة قبل ذلك تعرض سنة بعد الأخرى على رئيس المجلس أولاً) ثم كان عليّ أن أتلوها على المجلس وأستمع مبتسمًا ساخرًا في أعماقي من تعليقات على الأسلوب الذي أكتب به، والتصويبات المنطقية من كل خياط وسمكري وكل الذين يتكون منهم مجلس الإدارة.

وعندما تولى فارمان *Wahrmann* رئاسة المجلس أصبح التقرير العام مسبباً للمرض والمذلة أسابيع طويلة؛ إذ كنت أرسل له المسودة أواخر شهر يناير، ثم يحضرها إليّ صفحة صفحة مليئة بملحوظات معسولة، ويأمرني أن أعيد كتابة التقرير وفقاً لتعليماته التي لم أكن أفهمها، ثم يعيد إليّ التعديلات التي أدخلها عليها مصحوبة بزمجراته. يا إلهي ! لقد تعودت أن أعبر عن أفكارى كما أفهمها، فكيف يمكنني أن أعبر عما يدور بعقل يهودي بولندي! ويضطر الصبي الوجيل أن يعيد كتابة التقرير ثماني مرات ليصبح في حالة مزرية متقللاً بالتعبيرات الحقةرة المزرية.

ورغبة في التقليل من أهميتي، اهتدى فارمان إلى إصدار قرار بوجوب مراقبتى لكل كاتب يجلس حول مكاتبنا وإصدار الحكم عليه. وقد تابع تنفيذي لهذا القرار بهمة وحماس. / دون أن يترك لي فرصة لفهم سبب ذلك [١٠١] أو الاعتراض عليه.

وفي يونيو ١٨٨٧ التمس السيد سيمون^(١) -هذا الرجل القوي أنشاء وجودي بالمجلس أن يوافق على أن أمتل الجالية في تشييع جنازة هولندر^(٢) الذي توفي آنذاك وسيرسل جثمانه إلى مدينة إيبريس *Eperjes*؛ معللاً ذلك بأن "ذهاب دكتور جولدتسيهر لن يكون باعتباره ممثلاً للجالية، لأنه موظف بها، ولكن بشخصه الذي أقره عالماً، ولا أعترف به ممثلاً للجالية". ودلل على ذلك بأنني بذلك سأعطي انطباعاً محموداً عند القوم في إيبريس، وليس لأنني

(١) سيمون (١٨٤٤-١٩١٥) *J.Simon* سكرتير المجلس الوطني بالمجر.

(٢) ل. هولندر (١٨٠٦-١٨٨٧) *L. Holander*، رئيس الجالية اليهودية في إيبريس. كان مجاهداً

لتحرير اليهود بالمجر.

كنت صديقاً للمتوفى. واستطرد قائلاً " ولقد أرسلته للمشاركة في جنازة الحبر شتاين هارت *Steinhardt* ممثلاً للجالية، ولكنه لم يحضر الجنازة"^(١).

(وهذه قصة ذهابي لتشييع الجنازة آنذاك)

وبعد أن قضيت يوماً كاملاً من أيام الشتاء الذي يتساقط فيها الجليد، وتشتد البرودة أدور هنا وهناك بحثاً عن أحد يدلني عن الطريق إلى *Arad*، وجب عليّ أن أسافر في الليلة التالية، وأن أظل في اليوم التالي ساعات طويلة لتشييع الجنازة في شوارع مفتوحة، واقفاً على أرض مغطاة بالجليد إلى أن جاء -في المساء المتأخر- الوعاظ الأغبياء في ثيابهم الكهنوتية لأستمع إليهم. كما كان عليّ أن أبقى لأستمع إليهم في المساء التالي، على أن أكون في تمام الساعة التاسعة صباحاً على كرسيّ مكتبي بالجالية.

وثمة بعض الأعمال الغبية التي يجب أن نتوقف عندها، وهي لا تعدو أن تكون ذرات غبار من صحراء رملية من المضحكات المثيرة للسخرية التي انتقدتها فارمان *Wahrman* وجعلها من المبادئ التي يجب أن التزم بها. وقد كنت أتحملها منذ سنوات - فيما يبدو له - ببرود، وأكيل له بما لا يفهمه. ولم يجعلني امرأ مثله أضيق بعلمي بالجالية؛ إذ كنت أقبل على أعمالها كلها، وأؤدي واجباتي الصغيرة والكبيرة التي تقتضيها دائرة وظيفتي بمرح وحب، أما إذا كان الأمر يتصل بالألاعيب القذرة للسياسة البولندية اليهودية، فإن تعاملتي مع إنسان مثله، وضعني الله تحت رحمته، أمر لا أستطيع تحمله.....

(١) شتاين هارت (١٨٥١-١٩١٤) حبر (رايين) في *Arad*.

انتهى مرض أختي بوفاتها في ريعان شبابها في يناير ١٨٨٤. وقد عانت قبل وفاتها آلاما شديدة، وأضناها المرض ثم اختطفها الموت. اختطف أختي الودودة الشريفة بعد أن دمرتها حالتها الميؤوس منها سنوات طويلة / وهي ١٠٢ واعية تمامًا لما يحدث لها، ثم انتهت بوفاتها، فكانت ضربة قاسية بلا رحمة لقلوب كل من أحبوها، ومن كانت شديدة الحب لهم. وكان هذا الحب طبيعتها الأصلية التي تتناقض مع ما كانت فيه، مما زاد من مصيبتها ومصيبة كل من يخطون بها. وقد عانت أُمي الفقيرة الطيبة استشهاده ابنتها، إذ إن الأم العجوز التي كانت تعاني مرضًا عضالًا قمت كل ما يمكن أن يُتصور من تضحيات أملًا في أن تشفي ابنتها العليل. وعندما توفيت كان عليها رعاية أربعة أطفال صغار، لم يكن أصغرهم قادرًا على النطق بعد. وبسبب هذه المصيبة المروعة انهارت بطول هذه الأم الضعيفة، بعد أن ظلت سنوات طويلة حارسة لهم؛ وبفقد ابنتها خف عنها الجزء الأعظم من واجباتها الصعبة. وتوفيت بعد أن لفظت أنفاسها الأخيرة الطاهرة يوم الرابع من شهر مايو. وبموتها فقدت المثال الذي عرفته للصبر والخشوع، وبكى وفاتها، ولكنني لم أرثها (أتأسف على موتها) إذ إن العناية الإلهية صعدت بروحها من إمبراطورية الظلام بالأرض إلى روعة النور. وحلقت روحها فوق الظلم المحيط بي. لقد كنت شاهدًا على لحظاتها الأخيرة، كانت صورة رائعة للأم المنكوبة *“mater dolorosa”* ^(١)، التي ضحت بنفسها من أجل ابنتها، لكن دون فائدة.

ثم ظهر بصيص من النور، فلم يكن من الممكن أن يظل زوج أختي الذي تحمل المصائب التي مرت بها، وعانى في حياته كثيرًا لقيامه بواجبات

(١) اصطلاح ديني يطلق على مريم العذراء لأنها تحملت آلام ابنتها.

الزوج الشريف بإخلاص نادر - دون أم ترعى أطفاله. فالأطفال اليتامى بعد ذهاب الأم التي كانت ترعاهم يحتاجون إلى مربية، وقد وجدناها -أمي وأنا- ثم أوصت بها أمي المرحومة. كانت إنسانة حملت إليّ - بعد ضربات كثيرة لحقت بي- الهواء والحياة. وكانت لي الشمس المضيئة التي طلعت عليّ، فأضاعت بإشعاعها الظلمات المحيطة بي. كانت شمسًا مشرقة، وربيعةً مقبلاً نعمنا به عندما انتقلت إمّا Emma إلينا. من النظرة الأولى عرفت فيها المرأة الفاضلة، في مثاليّتها ولكن هذا النور الذي سطع في حياتي لم يتلأأ إلا فترة قصيرة، فلم يدم هذا النور الإلهي إلا عامين، ثمّ إذ أصابها مرض بالكلّي كان يوقعها من آن لآخر صريعة نوبات حمى يشتد فيها ألمها. لم تكن مخلوقة لهذا العالم / فقد أشاع وجودها بريقاً ساطعاً تاماً لا يوجد مثله في هذا العالم. [١٠٣] سقطت صريعة عملية جراحية صعبة كانت الأمل المنشود في شفائها. وكانت تفكر في آخر لحظة في أطفال أختي الراحلة، وليس هذا هو السبب الوحيد لمباركتي ذكراها، إذ إنها ما زالت تخطر ببالي دائماً عندما أرى أي شيء شريف وطيب، فيتضح لي أن "إمّا" كانت أشرف منه وأفضل، ولا توجد روح أجمل منها.

وقد أنعم الله علينا بأخت لصديقتي المتوفاة، باركنا برحمته مرة أخرى، ففي الرابع عشر من نوفمبر وعَدَت برعاية أطفال أختي وأطفال أختها الذين أصبحوا آنذاك ستة. وكانت أمّا طيبة لهم. كان اسمها حنا Hanna يدل على معدنها؛ وكانت تتمتع بخلق أختها المرحومة. كانت تقيّة مثلها، عايشت ما عانته أختها أشهراً طويلة من آلام، وكانت تكمل أعمالها بكلّ اجتهاد وإخلاص، وكان هذا كان ميراثاً من عائلتها.

ولكن ما لبث أن جال الشؤم جولته المظلمة، ولم يترك أسرتنا، ولم ينته منها، إذ إن نسيبي- الذي كان قد أعاد تكوين أسرته ثانية، وابتسمت له الدنيا وأظهرت له الحياة وجهًا ودودًا- بزواجه من شابة تتصف بصفات حميدة، أصبحت أمًا لليتامى بعد موت أختي وإمّا، ظهرت عليه بعد عودته من الاستشفاء في حمامات المياه المعدنية بمدينة سيلت *Sylt*. وبعد بضعة أشهر فقط من زواجه أعراض خطيرة للإصابة بأمراض القلب والكلية. وهو الذي حلّت به الكثير من المصائب من قبل. ولما عدت مظفرًا من رحلتي الإسكندنافية وجدته في حالة سيئة، إذ إن الأطباء أبدوا بأسهم، إلا أن المريض نفسه الذي اعتمد على جهوده فقط وطموحه الذي لا يقف أمامه أي مانع، ورفعته من وظيفة مدرس يهودي إلى وظيفة مفتش بالسكك الحديدية، هذا الرجل لم ييأس أبدًا من رحمة الله، وهل من الممكن أن يُنتزع من أطفاله، وأن يترك هذه الزوجة النابضة بالفتوة والحيوية، التي تلزم نفسها بأداء واجبات أمومتهم؟.

إنه هو الوحيد الوحيد حقًا الذي كان متفائلًا بالشفاء. وكان يتطلع إلينا مواسيًا ومشجعًا؟.

وفي ٢٦ من نوفمبر توفّي. وفقدت فيه أخلص الأقارب، وخير أصدقاء شبابي وأقربهم إليّ. وبعده أصبحت مسئولا عن الأرملة والأطفال: أي ولي أمر يهودي، وممثلًا لأرملة ويتامى، كما يفرضه عليّ أنبيائي. وفي ٢٥ من شهر مايو ١٨٩٠ أحضرت الفتاتين الكبيرتين من برسلاو *Breslau* إلى منزلي.

إن من يقرأ هذه الأوراق متعاطفًا سيفكر متحيرًا في هذا المصير: هل هذه أقدار محتومة! هل هذه معجزة أو أنه ليس من المستحسن / أن أعتقد أن

١٠٤

روحي فقدت القدرة على الانتعاش بسبب ضربات القدر؟ لقد سلمت مَوْتِي أربعة أعزاء عليّ من أسرتي إلى مقابرهم في خمس سنوات فقط. وكل خبطة قدر جديدة تجعلني أستعيد كل ما مر بي من آلام. وكانت الطامة الكبرى في موت نسيبي. ليهب الله البيت المبتلى بكل الهبات الطيبة، ويمنع نكبات الدهر عنا. اللهم إنك لعادلٌ قادرٌ مدبرٌ الكون جبار، اللهم ارحمنا.

إن سيئي الحظ الذين يعانون في كل ميادين أعمالهم تحطيمًا لسفنهم، واحتقارًا لطموحاتهم من الأغلبية، وإنكار الرعايا الذين ينكرون العقلاء، إنما تصبح حياتهم مظلمة سوداء، لا يجدون فيها تعضيدًا وترضية إلا من أصدقائهم. وقد نعمت بالصدقة منذ نعومة أظفاري، وفي كل بلد زرتها لتلقي العلم أو للتجول في رحابها. كانت لي زكريات جميلة طوال حياتي، إذ إن الاحترام والحب اللذين لقيتهما من أصحاب النفوس الشريفة واكتسبه منهم، احتفظت بهما في ذاكرتي. كذلك مراسلاتي مع الأصدقاء القدماء قدمت لي السلوى في استشهادي، وتسببت في شجاعتي. وكم كانت خطابات فلايشر *Fleischer* أو إيبرس *Ebers* تشجعي في لحظات يأس وقلّة تقني في ذاتي. وكم أضاعت صداقاتي الجديدة من ظلمات هذه السنوات الأربع.

وفي سنة ١٨٨٣ تدعمت أو اصرّ صداقتي مع سنوك هورجروني *Snouck Hurgronje* في ليندن بتبادل الرسائل فأصبحت صداقة حميمة، بعد أن كان السبب في تبادلها علمي فقط، بل أصبحت هذه العلاقة بهذا الرجل العبقرى الحازم الجريء تمثل حقبة من حياتي العلمية، إذ إن اعتراف هذا (الناقد الجاد بقدراتي كان بمثابة تقدير، وتفضله بالثناء عليّ) فرفع من معنوياتي، وأغراني بمواصلة طريقي، في زمن كنت فيه على حافة الانهيار كلية، فأعادني إلى المسار العلمي.

وفي هذا السنة أيضاً ربطتني صداقة حميمة مع صديقي أسعد، وهذا هو الاسم الذي أطلقه على أوجست ميللر *August Müller* الذي لم يتقبل أحد معاناتي النفسية مثل ما تقبلها هذا العالم الألماني المفكر الشريف. فقد اقتربت منه منذ ١٨٨٣ مثلما اقتربت من رفقاء الدراسة الآخرين. ثم أصبح ما بيننا صداقة متينة فرحتُ بها، وبخاصة حين بدأ في تبجلي رغم أنني لم أبادله ذلك.

وجدت كذلك صداقتي مع لاندبرج *Landberg* هذا العالم باللغة السريانية الذي كان يكثر من الرحيل إلى المشرق، واعتاد أن يزورنا في بست *Pest*. وقد توطدت هذه العلاقة بمدينة بمدينة ستوكهلم، وسأشير إلى ذلك بالفصل القادم. أما زملاء الاختصاص اليهود مثل د. ه. ميللر *D.H.Müller*، وبارت *Barth*^(١) وغيرهما الذين كانوا من أوائل من عقدت معهم صداقة، فإنهم ابتعدوا عني، واجتمعوا على إيدائي، وليس على مساندتي وإفادتي. /

وإذا كنت اكتسبت في الدوائر البعيدة علاقات مليئة بالحب وتقبلتها، وكنت أعامل بحب أخوي، فإنني أصبحت في دائرتي القريبة أعاني تساقط الأوراق ورقة ورقة من شجرة الصداقة التي زرعتها صبيًا - بعد أن نبلت وجفت.

وكان عليّ أن أبدأ في فك هذه العلاقات التي ملأت تاريخ شبابي.

هل كان هذا فضيلة أم أنه من الخطأ أن أضع أنصاف الحلول التي تخفي وراءها حقيقة توجيه الإهانات لي، ويهيجون الرأي العام ضدي بإنكار

(١) بارت (١٨٥١-١٩١٤) *J.Barth* أستاذ جامعي للدراسات السامية في برلين، وفي سينمار الأحبار هناك.

جبان للمبادئ يثير الغضب المتطرف عليّ؟ وبهذا أتاحوا لكل من يعرفني، ويعرف أحوالي أن يصدر قراره ويحكم عليّ. وغالبًا ما كنت الضحية.

استمرت صلتني بالسيد فامبيري Vámbéry سنوات، وكأنها ذنب غير مغفور، فإن علاقتي القوية -التي أقمّتها نظرًا لغشاوتي في الصبا - بهذه الشخصية البغيضة، التي أصبحت منذ عام ١٨٧٩ وصمة عار تلتصق بشخصي. كان مدرسي فعلاً، ولكن هذا كان من سوء حظي، فالرجل المشهور - كما تبينت بعد علاقة دامت خمسة وعشرين عامًا، وعرفته حقًا أثناءها - كان دنيا، كاذبًا، لا خلاق له بكل المعاني، رجلا سيئا لم تهتر خلجة من خلجات نفسه لعمل أي خير.

كانت شخصيته العلمية احتيالا، وكان كيانه الأخلاقي أنانية وجشعا، كما كانت أفعاله الاجتماعية مجرد إعلان وخيانة وغدر. وقد خانني أنا أيضا وغدر بي، واعتبرني مجرد وسيلة لينظر إليه على أنه مدرس ناجح. وعندما أصبحت شابًا، وظن أنني سيكون لي اسم في الوسط العلمي حاول النيل من معارفي وتصغيري في أحاديثه عني. كان ماهرا في خلق التورية اللفظية؛ فيظهر نجاحي، وفي الوقت نفسه يذكر أن المسار العلمي الذي أسلكه لا يؤدي إلى منهج صحيح.... وهذا الرجل الذي لا يعي حقيقة واجبات العلم وصف نلده بأنه "حمار" دون أن يعلم ما مشاكل العلم التي ينكرها، ويوظف هذا الإنكار والوقاحة بنوع من القدرة على الاحتيال، معتقدا أنه يمكن أن يهينني عندما يصفني بأنني "عالم ألماني". كانت تحريضاته المريبة ضد ترقيتي قوية. وكان أبو الكذب صاحب المعالي أوجست تريفورت *Sein Excellenz August Trefort* صادقا عندما قال لي في إبريل ١٨٧٥ محذرا "احترس من فامبيري، إنه يلعب لعبة مزدوجة معك". وقد رفضت آنذاك تصديق هذا

التحذير، إذ كنت أعتقد أن الدرويش المكار (يقصد فامبيري) لا يستطيع القيام بهذا الدور. ولكن في عام ١٨٨١ انقضت الغيوم عن بصيرتي. ولما وقف الكذاب الأشر بكل خبثه أمامي في منزله لم أتوان لحظة أن أذكره بتشكيل القرائن لاسم أونان *die massoretischen Punkte des wajjishhákélü* ^(١) وانقطعت عنه، ورفضت ما يعلنه عن حبه لي ويشيعه هذا الكذاب عني بحرارة / ويمكن أن يتوقع المرء الآن أي شر^٢ يمكن أن يشيعه عني هذا الرجل، ولكن التجاهل العام الذي لقيته بعد ذلك ليس إلا من أعمال هذا البغيض الشرير.

لم يترك ابتعادي عن فامبيري أي أثر في نفسي، بل على العكس من ذلك شعرت بأنني تحررت من كابوس كان يجثم على أنفاسي، وأنني نظفت حياتي من بقعة كنت أعانيها، وأصبحت سعيدًا لأنني واجهت روح صباي الشريرة بما يستحقه.

وأصبحت ظروف في الأخرى أكثر يسرًا، وإن كان هذا لم يحدث إلا بعد كثير من الألم والعذاب، ولكن هذا كان لا بد منه، إحقاقًا للشرف وسعيًا وراء الحقيقة، فإن صديقي بانوسزي *Bánóczy*، وباخر *Bacher* اللذين وقفا إلى جانبي منذ عام ١٨٦٥ ^(٢) وكان الأخير منهما طموحًا مثلي، وكثيرًا ما دُلل على صداقته لي - هذان الصديقان أصدرتا جريدة مجرية يهودية أسبوعية عام ١٨٨٥ ^(٣). وكان لي - باعتباري مشاركًا في التحرير - صلاحية اتخاذ قرارات أفضل وإن كانت مخالفة للمعتاد.. وسرعان ما أصبحت الجريدة

(١) سفر التكوين ٤/٣٨.

(٢) بل عام ١٨٨٤.

(٣) أي جريدة مجرية يهودية *Magyer Zsido Szemle*.

تابعة للمجلس البلدي اليهودي-المجري، وعُثرت عن ميولها، وعدت نفسها أداة للتعبير عن كراهة منشئها للأناثية والاهتمامات الشخصية. وسرعان ما اتجهت هذه الجريدة *Szemle*^(١) إلى اتجاه غير مسئول، وأصبحت تعبر عن وجهات نظر غير بناءة، لا يمكن مكافحتها إلا بالسخرية والغمز.

وعندما توفي تريفورت *Trefort* في سبتمبر ١٨٨٨ كتب المحررون عنه مشبهين إياه بأنتيوخس إبيفانس *Antiochus Epiphanes*^(٢) عبارات تأبين تضيف عليه فضائل لا يستحقها لكاهن السيئات الذي كان يلقي بعشرات الشباب اليهودي في حوض التعميد.

ومن ثم أصبحت علاقتي بالصادقين اللذين اتسما بهذه الوضاعة أمراً لا يمكن الاستمرار به. وبعد شهرين سمحا بحملة كراهية متعصبة ضد الابن ليوبولد ليف *Leopold Löw*. وكان السبب غير المعلن هو تحركات الشاب المهاجم التي لم تكن مريحة من وجهة نظر المجلس البلدي، وإن كان السبب المعلن مكسواً بعبارات دنيئة. كان ليف *Löw* قد جمع في كتابه صلوات للنساء *Weiber* من مصادر إنجيلية أيضاً، ولم أستطع أن أتجاهل الكراهية الموجهة إليه، ومن ثم لم يكن هناك مفر القطيعة مع باخر وبانوسزي. وثمة حادثة أخرى أكدت ضرورة هذه القطيعة؛ ففي منزل باخر *Bacher* - وكانت ابنة عمي هيلين *Helene* قد تزوجته بناء على تدخلنا- بدأ التشكك في إخلاصي، بهدف معاقبتي على القطيعة، أما ابنة عمي فقد جازتنا أيضاً

(١) اختصار لاسم الجريدة.

(٢) هو أنطونيوس الرابع الظاهر (٢١٥ - ١٦٤ ق.م.) كان أقوى ملوك السلوقيين، وهو الابن الأصغر لأنطونيوس الكبير. اغتصب ملك سوريا من ابن أخيه. كان أقسى عدو وأشدّهم مرارة لليهود، صمم على إبادة ديارتهم وإبادة ديانتهم. (عوني).

بتحريض زوجها بالكراهية، مما جعل الخرق في صداقتنا يتسع، وأصبح واضحاً للعيان. كذلك دَسَّ لي الناس في منزله، وحرصوه عليّ، زاعمين أنني أرغب في الحط من منزلته. / وقد ناشدته الله أن يتذكر جيداً-كما أتبين أنا- أنه لم يخطُ في حياته خطوة إلى الأمام دون أن أدفعه إلى ذلك. وإن كان له صديق، فليتبين من هو هذا الصديق.

كان زمناً مكدراً وموحشاً من جميع النواحي، كانت حياتي الوظيفية ومعاملاتي مع الناس مليئة بالإذلال المهين والمتاعب التي تجل عن الوصف. لم يمر عليّ آنذاك يوم دون النيل من نقتي في نفسي، فالأسرة تخرج من سوء حظ إلى سوء حظ، ومن صدمة إلى صدمة، وفي أثناء ذلك تتراخي أواصر الصداقة، وتتفكك العلاقات القديمة.

وعلى الرغم من قدرتي على السيطرة على أعصابي فإنني حُلْتُ بي مصيبة هزت كياني كله؛ ففي شتاء ١٨٨٣، ١٨٨٤ لم يكن لدي أي أمنية أرجوها أكثر من أن أتححر بالموت من حالة اللاحياة التي أعيشها. وكانت صلاتي الليلية تشتمل على دعاء الله الرحيم ألا يجعلني أستيقظ مرة أخرى من النوم. وعندما كنت أستيقظ في اليوم التالي، كان يصحبني الشعور بالرهبة والخوف من أنني سأقاسي مرة أخرى الحياة المهيئة التي لن أجد فيها إلا العذاب. وبهذا الشعور ربيت ولديّ اللذين بلغا من العمر الثالثة والرابعة. كنت أحرص على أن أكتم دموعي - ولا أسمح لها بالفيضان إلا ليلاً عندما أكون وحيداً كي أسري عن نفسي. وكل ما كتبته في تلك الأيام ألقى به اليوم في النيران، حيث إنني لا أريد أن أساهم بنقل ما كتبته إلى العالم بعدنا ليعرف الناس اسم بولندي يهودي في شكله اليائس، وإن وصل إليهم رغباً عني، فهو نتيجة تأمل لفحوى مختصر لما يمكن أن أكتبه.

كان من المستحيل أن أنصرف في هذا الزمن إلى دراساتي العلمية،
وفضّلت كل محاولة للرجوع إلى هذه الدراسات بسبب الدمار النفسي الذي كنت
أعانيه، وكانت الخشونة والغلظة التي هوجمت بها دائما سببا في جعلي غير
قادر على مواصلة دراساتي العلمية، واستكمال الإشارات التي جمعتها أثناء
اتصالاتي العلمية بليدن، وأن أحولها إلى حقائق. كنت أحاول أن أكتب شيئا،
ولكن دون جدوى، فما قمت به لم يكن إلا بعض الدراسات البسيطة مثل مقال
"عبادة موتى الأسلاف" *A muhammedán jog eredete "e Akademiae, Le culte des*
morts et des ancêtres (Revue des Religions) *Budapesti Szemle* وغيرها، كانت حصيلة اجتهاداتي. ولكني لم أتوصل إلى دراسة جادة.

وفي أحد الأيام هوجمت أنا - البولندي المغضوب عليه - بخشونة
وغباء، وأصبحت غير قادر على أن أقوم بعمل علمي مشرف. ولم يكن ثمة
أحد يساندني، إذ اعتقد الجميع أن ما يجري لي أمر طبيعى. وكانوا يواسوني
بضرورة ضبط النفس، / لأن التشخيص يُرجع ذلك إلى عصبيتي لأنني أجهد
نفسي فوق طاقتي منذ صغري، وأن ما وصلت إليه من عصبية هو نتيجة
لذلك، وأرجعوا السبب أيضا إلى ما مرت به عائلتي من خطوب قسّمت
ظهري. كانوا يجدون أن ما أكلف به من أعمال عادل وطبيعى، لأنني لم أتعلم
تعلّما عمليا، وأنني يجب أن أقنع بما أنا فيه، وأن أتحمّل العبودية التي تُلزمني
بالبقيام بمثل هذه الأعمال، ولم يكن ثمة سبيل إلى تغيير ذلك، فإنني لا أستحق
أفضل منها، وإن كان لا يوجد ما هو أشد مهانة منها. ويجب أن أنظف دورات
المياه دون تبرم أو تقزز، إذا كان هذا يتعلّق بصيانة للجالية. وكانوا يعتقدون
أنني أقترّب من حالات الاضطراب العقلي. واستشاروا الأطباء في حالتي،

فنصحوا بضرورة التغيير، ففيه فائدة لجهازني العصبي. فنصحت بالقيام برحلة استشفائية وترفيهية كبيرة. فلما انتهينا من الطقوس الدينية بعد موت أمي الطيبة، وتقبل التعازي، قمت وزوجتي برحلة حول العالم، حيث أغرق بؤسي في زحمة المدن الكبيرة، وألقيه من فوق قمم الجبال العالية إلى الأعماق. ومن ثم اشتركنا في رحلة سياحية مدة شهرين فوق فيرتمبرج *Württemberg* والغابة السوداء *Schwarzwald* وستراسبورج وباريس.

وفي باريس تطلعت إلى رؤية رجل له اسم كبير، وهو رينان *Renan*^(١) الذي سمح لي بزيارته مرتين، وكانت مغامرة. وقابلت عنده جمال الدين صديقي الأفغاني وزميله في المنفى^(٢). وكأي شاب مهندم يزور باريس في شهر العسل زرت متحف اللوفر، وكنيسة نوتردام، وكل الأماكن السياحية الجديرة بالمشاهدة والمسجلة للسياحة في هذا العالم المتميز. وزرنا كذلك معاهد علمية مثل الأكاديمية الفرنسية *Collège de France* حيث حضرنا بعض المحاضرات.

ولما ذهب زوجتي لزيارة ابنة عم لها لتستريح في بيت ريفي بالقرب من باريس، انتهزت الفرصة ودسست نفسي في المكتبة الوطنية *Bibliothèque Nationale*، وتزهدت على ضفاف نهر السين، وقضيت بعض الوقت مع ديرنبورج *Derenburg*، وزوتنبرج *Zotenberg*^(٣)، وستينلاوس جويارد

(١) رينان (١٨٩٢-١٨٢٣) *J.E. Renan* مستشرق وعالم بالتاريخ، أستاذ بالكلية الفرنسية بباريس

.Collège de France in Paris

(٢) صديق الأفغاني الذي صحبه في المنفى بباريس هو الشيخ محمد عبده (عوني).

(٣) هـ. زوتنبرج *Zotenberg* كان يعمل بالمكتبة الوطنية بباريس.

Stainlaus Guyard. ومن باريس اتجهنا إلى جنيف عبر بحيرة ليمان *Lac Léman*، والطريق السياحي المعتاد إلى انترلاكن *Interlaken*، ومنها عبر برينجنشتراس *Brüngenstrasse* إلى لوزان *Luzern* حيث مكثنا عشرة أيام، وقضينا كل ما يريده المستشفى من العلاج بحمامات المياه المعدنية، ومنها ذهبنا إلى زيورخ *Zürich* وبرن *Bern*، وشافهاوزن *Schaffhausen*، ومنها في اتجاه الرين إلى كونستانس *Konstanz*، وبطريق بون زي *Bodensee* إلى لنداو *Lindau* ونزلنا في رايشن هل *Reichenhall* حيث ضيقنا نسبي دكتور باول *Dr. Paul* في أحد الفنادق، فاسترحنا به من غناء الرحلة التي استمرت ثلاثة أسابيع. ثم رجعنا بعد إتمام رحلتنا السياحية عبر رامساو *Ramsau* وكينيج زي *Königse*، وبرشتس جانن *Berchtesgaden*، وزالتسبورج *Salzburg* بعد تسعة أسابيع تقريبا إلى مدينة بودابست الحبيبة، ومنها مباشرة رجعت إلى شتوني التي لا أجد تعريفا لها. / وقد كان بدني يقشعر كلما تذكرتها أثناء رحلتي.

١٠٩

كنت أتسلق الجبال المحيطة ببحيرة مدن الغابات الأربع يوميا، تبديدا للوقت. وكانت الجبال تسمع أناتي التي تعلن عن اللحظات التي تألمت فيها. فإذا كان الهدف من الرحلة الطويلة التي ضحيت فيها بالكثير حتى يكون لها أثر على نفسي لم يتحقق، وكانت بلا جدوى، فإن مرضي لم يكن ساكنا في نفسي، وإنما كان متمثلا في شخوص (أشباح) المليونيترات القدرة التي تتبدى على جدران المسكن الذي أعيش فيه، إذ بدأت الخشونة في المعاملة والاستهتار بي من أول يوم رجعت فيه إلى العمل بأسلوب متواصل. وساعات حالتي ثانية لنفوري من الطريقة الوحشية التي قابلني بها البولنديون المفاخرون بأموالهم. وعلمتني تجاربي أن لا فائدة من الشكوى للآخرين

والعويل. وتوصلت إلى تقديم علاج لنفسي بعد أن جربتُ كل نصيحة ومواساة. ولم يكن في استطاعتي أن أظل طول حياتي على سفر في فرنسا وسويسرا. أصبحت منذ ذلك الحين أتخاشى السخرية مما كنت ألقاه من المواساة، التي كانت تأتيني من قبل. وكلما استطعت أن أعلن عن عيوبي قلَّ شعوري بالمهانة. وقد أعاد إلى ثقتي بنفسي الحزينة اقتناعي بأنني أستحق الاحتقار الذي كنت فيه. ومررت عليَّ أسباب أُتحمَل فيها مثل هذه الإهانات دون أن أنطق بأي كلمة لشعوري بمهانتي، ولا أصلح لدخول معبد العلم.

وعلى الرغم من ذلك كان عليَّ أن ألجأ إليه مرة أخرى، لأنني لا أجد سلوى إلا في هذا المجال حقيقةً ودائمًا. ورغم ما أميل إليه أكرهت نفسي على التوجه مسرعًا إلى منبع تمردي على السلطة، عندما يقف العالم كله في معاداتي. وفي يوم الابن النذبح *Bar Mizwah*^(١) الذي هداني في هذه الأيام الحزينة، حيث كان موقعي "يجب أن تنهض"، وكان شعارِي "النوام هو الحل"، ولذا ينبغي أن يكون ملاذي هو الإيمان بالله، وأنني سأهلك إن لم يهديني الله، فالالتزام بذلك هو الوسيلة الوحيدة كي أجد نفسي وسط الاستعباد والنكد والمهانة والإذلال أثناء قيامي بأعمال العبيد الشاقة ولكي أطهر نفسي، وأترفع عن قذارة الأشخاص. كنت أعيش آنذاك شر أزمات حياتي، وأشد أوقاتي العصيبة، كأني على مشارف هاوية سحيقة، ولو لم أهد إلى الكلمة السحرية، لغرقت في خسة عميقة وأصبحت ضحية لها.

وأسرعتُ ووهبت نفسي لعمل يومي مجهد، واستعدتُ تجاربي العلمية ولقاءاتي في دراساتي الليلية. وبهذا تطهرت من معاشرتي ومخالطتي النجسة

(١) *Bar Mizwah* تعني عبادة الرب، تتصل بواجبات اليهودي المتدين (عوني).

طول النهار. ولما كنت في مثل هذه الحالات غير الملائمة لما يتطلبه العمل ١١٠ العلمي / فإن روعي استطاعت أن تحلق في طموحها إلى أعلى. وكان هذا دليلاً على رحمة الإله الجبار الذي لم يتركني في أحلك الأوقات التي عشتها. وليس هذا حقاً هو كل ما قمت به من أعمال في هذه السنوات السبع. لقد جمعت معلومات أكثر ودرستها، إلا أن أعمالي لا تشي بذلك، ولكنني اضطررت للأسف للالتزام بتحديد ما يجب أن أشتغل بكتابته، كي أنشط في دراسته، لتصبح أعمالي ذات قيمة علمية. وحرصت على اتباع الأسس العلمية الدقيقة. ولو كان لدي قبل ذلك كله ما يتصل بعلم الاجتماع، وما قبل التاريخ، وديانة الكتاب المقدس، وعلم الأديان، وتاريخ الحضارة الاستشراقية، وما يتصل بهذا كله من معارف لتتبعته بنشاط، لتصبح دراساتي خصبة. ولهذا وجب أن تكون دراساتي منتظمة بقواعد مطردة وتمكنت من استغلال الوقت الضيق المتبقي لي بسبب "صغر النفس ومن العبودية القاسية"^(١) لمزاولة العمل العلمي. ولذلك انصرفت كلية لفقه اللغة العربية ولتاريخ الإسلام أيضاً. ورجعت لكتاب الأغاني مرة أخرى، وجددت دراساتي للشعراء القدماء، وأتممت معارفي عن مصادر التاريخ، وبخاصة المصادر التي نشرت حديثاً مثل الطبري واليعقوبي وغيرها، ورجعت إلى كتب الحديث بنظرة جديدة، فدرست ستة كتب وبعض الكتب غير الشرعية.. إلخ.

وقد جعلتني صحبتي لسنوك Snouk أنشط لفهم مشكلات جديدة؛ إذ إن صورة التطور التاريخي للإسلام اتضحت أمامي من بين الدراسات بمعالم جديدة، وكذلك صورة الشعوب الإسلامية واتصالها بالمعرفة بدت لي في

(١) سفر الخروج، ٩/٦.

أضواء أكثر إبهاراً، واجتذبتني تطور التاريخ الإسلامي في إفريقيا وخصائصه. وقرأت كل ما تمكنت من الوصول إليه من مصادر وكتب الرحلات، التي جعلتني أستنتج فكرة تامة عن هوية الإسلام. وكان ثمرة هذا التعمق الكتابة عن "دراسات عن معرفة حركة الموحدين ١٨٨٦^(١) *Materialien zur Kenntniss der Almohaden bewegung* وفي الوقت نفسه نشرت "دراسات إسلامية" في جزعين *Mohammadanischen Studien, 2Bd.*

وهذا يدل على أنني استطعت في هذه الفترة التعمق في فهم تلك المسائل التي شغلنتني في أيام صباي المبكرة. وكتبتُ أيضاً عدة مقالات ودراسات باللغة المجرية، ظهرت بنشرات الأكاديمية المجرية *Ung. Akademie*، وكذا دراسة عن فلسطين، وبعض المقالات نُشرت بمجلة *Szemle* ببودابست.

إن ألف جاجة غير المعقولة للعادات الاجتماعية التي أواجه فيها ممثلي القوة اليهودية والكيان اليهودي جعلتني أفقد الشهية تماماً في المشاركة في الأطماع التي تأتي تحت راية "الدراسات العلمية اليهودية"، ولكن شعوري الداخلي هداني إلى التعلق بالدراسات الدينية. وكلما ضغط أحد عليّ، جزعت نفسي من أفكار لا تتناسب مع ما تمليه عليّ مشاعري لرفض ما يفعله هؤلاء القوم. / وبهذا امتزج المساران الديني والتاريخي الذي أحمله منذ صباي بفكري وروحي بوضوح. وكل أمر مناقض لما كنت أعتبره من قبل -لمظان عاطفية أصبحت مفككة ونقية وحقيقية، وكونت عندي مذهبا ترجع حقيقته إلى نقزرى من الجماعة الكاذبة التي كنت عبدا ومنبوذا لها، ومن ثم لزمني القيام بواجباتي الآن.

(١) حركة إسلامية (١١٣٠-١٢٦٩م) في شمال إفريقيا والأندلس قام بها ابن تومرت ١١٢٥م، وهم المقرون بوحداية الله. (عوني)

كان منزلي - في صورته الكاملة- يهوديًا، نشأ نجلاي فيه نشأة دينية، تعرف الأنبياء والمزامير. أبعدتُ عنهما كل الأكاذيب عند تربيتهم،.... وبينما كنت أشيد في منزلي. معبدا لرسل اليهودية مع الإيمان بربوبيته إيمانا حقيقيا، لم يقلع القوم الأتقياء بمدينة ميرن *Mähren* عن اتهامي بكل سوء وبالكفر. وعندما يقرأ أحفادي عن هذا الزمن يتحمسون لقراءة الكتابات العبرية التي تمجد الرب. وفي الوقت نفسه اتهمت بأنني خطر على اليهودية، وأن ليس ثمة أحد غيري يمكن أن يقول بمثل هذا الحديث، هكذا.

كانت هذه هي علاقتي مع أصحاب الملايين ومدعي التدين. ومع ذلك أغريت بأن أكتب في صحيفة شهرية يحررها صديقان - طمعا في كسب المال - سلسلة من المقالات عن الديانة اليهودية جعلت أصحاب الألسنة الشتامة - دون أي سبب - يفتابونني، دون مواجهتي ودون شرف. ومن أين يأتيهم الشرف؟..

كانوا في أحاديثهم اليسوعية، وأحاديثهم حول الموائد مع العوام المنحطين يتناولونني بالسباب بلا ممانعة، ويتهمونني بالكفر، وكانوا ينكرون قدراتي، ويحطون من قدري، وينسبونني إلى طبقة الكتبة والشماسين. ولكن لم أشعر بالضعف للاعتقاد بأنني بالفعل أحسن التدريس، أو على الأقل أنقذ الشباب من تدهور الأخلاق أو أحذرهم من الحالة الراهنة.

في شتاء ١٨٨٧/١٨٨٨ أُلقيت محاضرة عن "طبيعة اليهودية وتطورها *Wesen und Entwicklung des Judenthums*" وظهر خمس مقالات عنها بجريدة شهرية يهودية يحررها صديقان من أصدقاء الشباب يهدفان للتربح. ونشرت المقالات الأخيرة بعد أن منعت النقابة الجمعية الدينية من نشرها. وبقيت المقالات بخطي.

استمع لي في المحاضرة الأولى عدد غير من المستمعين، ولما لاحظ الحضور أنني أزمع التحدث حديثاً علمياً جاداً -وليس محاضرات تسلية باللهجة العامية- وجدتُ المقاعد بعد ذلك خالية، واضطرت إلى إلغاء المحاضرة السادسة حرصاً على كرامتي. وبهذا ألقيت باللؤلؤة أمام الخنازير،/ حيث إنهم لا يريدون أن يفيدوا من محاضراتي. وهم أنفسهم الذين أشاعوا عني أنني لا أستطيع أن أعبر تعبيراً فصيحاً عما أريد. وكان هذا هو نقد المتقنين اليهود، وهو النقد الذي استقر في عقول السذج، وكنت قد شفيت من أوهامي إلى الأبد.

وفي الوقت نفسه رُشحت لجامعة براغ اعتباراً من السنة الأكاديمية ١٨٨٥/١٨٨٦. وكان هذا هو تاريخ شفائي وسببه، ولا يمكن إغفال ذلك؛ لأن المراسلات التي وصلتني من الجامعة عن هذا الأمر كانت جلية واضحة، وهي التي جعلتني أضعها ضمن خطاباتي المتميزة. ويمكن أن يتبين المرء من مستنداتي أنني لم أخطُ خطوة لطلب هذا الترشيح، وأنني فُوجئت بترشيحي لهذا المنصب مثلاً دهش زملائي الطيبون الذين علقوا كثيراً على هذا الترشيح تعليقات هزلية. ومنذ هذا الوقت توسمت في نفسي القدرة على حياة الفكر والعلم، بدليل أن العاملين في براغ جعلوا يطلبونني بحماس سنة بعد أخرى. يا لله، هل أذهب إلى براغ وأترك بودابست. لم يعارض أصدقائي اليهود بخاصة ذهابي إلى بودابست، فالكل ينادي: ارحل.. ارحل، ولكني بقيت. وكان يجب أن أبقى، إذ إنني كنت أتطلع باشتياق روحي إلى فيينا حيث يعقد مؤتمر المستشرقين في سبتمبر ١٨٨٦، فقد كانت الذكريات الجميلة لمؤتمر ليدن تجعلني أحنّ من أعماقي إلى المؤتمرات العالمية على شاطئ الدوناو، حيث تنتظرنني ثمرات شافية.

وانتدبتي الحكومة والأكاديمية مع هونفلي *Hunfalvy*، وفامبيري *Vámbéry* لحضور هذا المؤتمر. وسررت للغاية للقاء الأصدقاء الطيبين: سنوك *Snouck* ودي خويه *de Goeje*، وروزن *Rosen*، وكاوتش *Kautsch*، ونلدكه *Nöldeke* وأن أتمتع بقاء الشرقيين الذين أحن إلى الاتصال بهم، وإلى الأيام الجميلة المشمسة في السنة التي قضيتها بينهم^(١). أما علماء فيينا فقد رفضوني في المرة السابقة ولا أدري لماذا؟ وبالقطع لم يكن ذلك لسوء ظن منهم عندما قابلوني آنذاك بسلوك متكلف في تلك المناسبة العلنية. وأظن أن السبب هو دكتور ه. ميللر *Dr. H. Müller* المتعجرف - وهو رجل يقيس كل عمل بحساب البولنديين وبحدس ماهر، يهمله أن يضعني في مرتبة وضيعة. ولما كان من أصحاب السلطة في فيينا باعتباره رئيساً للمؤتمر، فإن كلماته يمكن أن تعدّ أحكاماً. وكان رأيه فيّ أنني رجل مجتهد جداً، وعالم، إلا أن ميدان أبحاثي ودراساتي بعيد عن "اهتماماتنا" كما يقول، وهو يُعَدُّني باحثاً في علم الفقه، وهو علم محدود جداً، وأنني متعصب الفكر. ويعني أنني على اتفاق مع سنوك في الدراسات، إلا أنه يعجز أن يحددها / وبهذا تمكنا من أن يطلقوا عليّ لقباً غريباً *Kuriosum* بمعنى أنني أدعي الجنون *Narr auf eigene faust* لكن اتجاهاته العلمية ليست في إطار الاهتمامات العلمية الحقيقية (نقوش، مقارنات لغوية، افتراضات ما قبل التاريخ). ويضرب لذلك مثلاً ما كتبته عن "الظاهرية" فهي عنده نوع من المستندات التي لا فائدة منها. ويعبر دكتور ميللر عن رأيه هذا تجاهي مراراً، ولكني علمت من آخرين عَرَضاً أن أعمالي جعلته لشديد أسفه مجبراً على الاعتراف بها،

(١) يعني في رحلته إلى المشرق (سوريا ومصر) عام ١٨٧٣-١٨٧٤. (عوني).

وأن يرثي لحالي. وإن كان لم يواجهني بعداوته، ولكن حيدته التي كان يعرف بطريقته اللطيفة أن يخفيها كانت دائماً ما تجرحني. وكان لدى هؤلاء القوم فرصة أثناء المؤتمر أن يقدموا لي - ظاهرياً - رضاءهم عني. ولم يكن لديهم شعور لمواجهةي بالاتهام، بل على العكس من ذلك لم يعدموا الإشارة للاحتقار. وقد نزعوا عنوان محاضرتي المعلنّة - في الوقت المحدد لذلك - من القائمة المطبوعة. ونُبهتُ بمكتب التسجيل بالمؤتمر أن دكتور ميللر الذي يرتب إلقاء المحاضرات عيني أميناً ثانياً للمؤتمر. وقد رفضتُ ذلك، وعندما دعا دكتور ميللر المستعربين الأجانب لحفل استقبال لدى الرئيس فون كريمر *v. Kremer* أهمل دعوتي (لم يوجه لي دعوة أو نسي ذلك)، رغم أن كل هؤلاء السادة علموا أن بين المستشرقين المحترمين من يمكن أن يتحاور مع الشرقيين بطريقة أفضل مثل سنوك، ولاندبرج وجولدتسيهر.

وبهذا لم تكن أيام المؤتمر بفيينا تحمل أي ذكرى طيبة لي، عدا أنها كانت فرصة لقاء أفضل زملاء التخصص، استطعت أن أتحدّث معهم ثمانية أيام، وأن أبدأ معهم أبحاثاً مشتركة، وهم سنوك، وروزن. ونجم عن هذا التلاقي الشعور بضرورة نشر دراستي عن محمد (ص) بادئ ذي بدء. وقد مارس الأصدقاء مراراً - في محادثتنا - الضغط عليّ (ضغط الناصح المخلص) لإنهاء مادة أبحاثي ونشرها. ومنذ ذلك الحين كانت حقيقتي تضم مواد أبحاثي التي فرغت منها، ثم قرر روبرتسن سميث *Robertson Smith* عام ١٨٨٥ نشر المواد التي انتهيت منها عن حقوق الأسرة عند العرب القدماء.

وكان هذا إنذاراً بضرورة مقاومة كل شعور لديّ بعدم أهمية ما أكتب، وأن أتسرع بنشر دراستي. ولما أمكنني الآن أن أنشر هذه الدراسات يمكنني

أيضاً أن أقدم دراسات أخرى غير دراسات الفقه للنشر. ومن يعرف كيف كنت أعيش في الأعوام ١٨٨٣-١٨٨٦، ويعرف تأثير هؤلاء الأصدقاء الذين ذكرت أسماءهم على صيانة شعوري وبعث الثقة في نفسي، يمكنه أن يفهم ما ذكرته في الجزء الأول من كتابي "دراسات إسلامية" / وقد كانت ظروفًا ١١٤ لا تتناسب تمامًا مع تشجيع الاشتغال بالأدب في مجالات كثيرة اضطررتي دائماً إلى إرجاء بدء نشر المواد. ولم أبدأ في نشرها إلا بعد ممارسة الأصدقاء الضغط عليّ لنشر المواد التي يمكن أن تنشر، كما ذكرت في مقدمة كتاب "الظاهرية" *Zahiriten* (ليبزج شولتسي ١٨٨٣ O.Schulze) مع التفاؤل الحذر بإمكان النشر.

ولو لم أقع تحت الضغط الذي مارسه رفاقي في العقيدة لفقدت الاعتداد بالنفس ولأجبرت على الإقلاع عن كل تفرغ، وما كان من الممكن أن ترتبط باكتشافات روبرتسون سميث وفيلهاوزن الجميلة باسم جولدتسيهر.

ولهذا أتصور أنني غنمت من فيينا تقديري بأن أقدم جاداً على نشر دراساتي عن اللغة العربية والإسلام. واتفقت مع بروفيسور فيندش *Prof. Windisch* على التوفيق فيينا أن أنشر في مجلة المستشرقين الألمان *ZDMG* عن حركة الموحدين *Materialien zur Kenntniss der Almohadenbewegung* وظهرت الدراسة في العدد ٤١ لسنة ١٨٨٧. ولقيت استحسان زملاء التخصص. وفي الشتاء التالي اجتهدت في إنجاز الصورة النهائية لدراستي عن الإسلام، وضمنت المواد بعضها إلى بعض.

وفي عام ١٨٨٧ عندما كنت أقضي إجازتي في مدينة منستر *Münster* *am Stein* أعددت هذه المواد للنشر، وبها دراساتي عن صلة الإسلام بالأمة

العربية بصيغة مختصرة، وعَرَضْتُ دراساتي بعض الأسئلة المهمة في مجال القرون الأولى للإسلام بوجهة نظر جديدة. وكما كنت دائماً أعمل بالشك والارتياب ضد الحيدة وسلامة التقدير في نتيجة دراساتي، لم أَرِدْ أن أقدم بعض آرائي على التو إلى المطبعة. ومن ثم تركتُ مخطوطاتي التي أعدتها لإعادة النظر في أصول التنافس بين عرب الشمال وعرب الجنوب الذي عبر عنه دي خويه *De Goeje* بأنه "بيضة كولومبس" وإلى أن تسلمت خطاب سنوك، فجعلني أرسل المخطوطة إلى الناشر (خريف ١٨٨٧) بعد أن نشر كتاب فيلهاوزن "بقايا الوثنية العربية *Reste arab. Heidentums*". وجعلني أتأكد أنني بنشري لأعمالي الجديدة لا بد أن أتأني في نشر غيرها. وكان الناشر هو الناشر السابق شولتسي *O. Schulze* تركت عنده مخطوطاتي، فظلت مهملة ثلاثة أرباع السنة دون نشر، ولم أغضب لذلك. وأخيراً تقدم أوجست ميللر *August Müller* الذي كان العضو الثالث في جماعة *Zwanges lieben Freunde* في الساحة *Arena* ليحلني من الارتباط بشولتسي، وقدمني إلى صديقه نيمير *Niemeyer* وهو ناشر من مدينة هاللي *Halle*. وسرعان ما وافق على الشروط، وبدأ في طبع الكتاب في مايو ١٨٨٧ بمدينة هاللي وصدر في نوفمبر بالعام نفسه / وقمت بالتصويبات في أحوال مقلقة للغاية، [١١٥] إذ إن حوادث أسرتي كانت مدعاة للحزن؛ فمنهم مَنْ كان مريضاً، وتوفيت وإماً *Emma*، وصاحب ذلك أهوال كثيرة، إذ أصيب كل من زوجتي وابني كارل *Karl* بالحمى القرمزية، وأوصلني الجزع والقلق إلى تخيلات ورؤية أشباح. وعندما كنت أرسل صحيفة مصححة إلى دار الأيتام في هاللي، شعرت بأنني أرسل إننا بحكم إعدامي الأبوي، وضاعت نقّي بنفسي في هذا الوقت. وبعد أن شفي أعضاء عائلتي، ذهبنا إلى لوهاتشوفيتس *Luhatschowitz* في

مقاطعة ميرن *Mären* للاستشفاء، ومن هناك أمضيت أسبوعين في رحلة الاستشفاء في تيرنج *Thüringen* بعد أن قضيت ثلاثة أيام في إنجاز بعض الأمور الإدارية في هاللي. وفي هذه الرحلة الرائعة شعرت بمرارة لأن معاناتي في إجراء التصويريات طغت على سعادتي بالرحلة، فلم أتخيل إلا الفضيحة المفزعة، إذ كنت أتخيل أنني أسمع الضحكات العالية لذلكه ورأيت دي خويه *De Goeje* يهز كتفيه، ودكتور *D.M.* يشمخ بأنفه. رأيت كل هؤلاء الأصدقاء في تعبيرهم عن خيبة أملهم فيّ، وسحبوا ثقتهم في قدراتي العلمية. ويكفيني اليوم ارتياحاً أنني استطعت أن أحتمل هذا الخوف الذي دام أشهراً طويلة، إذ إن هذه السعادة الغامرة التي عشتها لم تكن متوقعة، فبعد ثمانية أيام من نشر الكتاب وصل إليّ من كل الأنحاء، - وبخاصة من نلدكه *Nöldeke* الذي كان على قمة المشجعين - خطابات تشيد بالكتاب، وتمتدحني، وتبدي إعجابها بالكتاب وتعترف بقيمته العلمية. فضلاً عن ذلك، فإن أقوى النقاد وأكثرهم دقة أبدى الشعور نفسه، وعبر عن ذلك صراحة وعلانية، كما عبر سنوك العنيف في أحكامه - وهو من أهدى إليه الكتاب - عن افتخاره به. كذلك فعل فون كريم *v. Kremer* الذي أحترم رأيه لأنه متخصص في الاتجاه العلمي الذي تدور مباحث الكتاب حوله، ومن ثمّ اهتم به كثيراً، وأبلغني عن طريق *D.H.* ابتهاجه بالكتاب، وعبر عن ذلك أيضاً بطريق غير مباشر. وأخيراً بعد كل ما حدث لي عدّني رفاق التخصص الدوليين واحداً منهم، وقد أسعدني ذلك كثيراً، واستطعت بذلك أن أتجاهل ما سمعته من ملحوظات "معسولة" من جهلاء بودابست الكبار. كأن التاجر منهم اعتبر مقدمة الكتاب شريحة لحم محمرة، فتهكم عليها، واعتبر الآخرون أن نقد الصحافة الألمانية مديحاً خشناً، وكأنه نكتة عامية. وفي الوقت نفسه يقرأ بطبيعة الحال عناوين

مثل برامج طبعت بجريدة *Poster Lloyd* على نفقة اليهودي المجري لانديسفوند *Landesfond* ويعدّه "عملاً عظيماً جداً" *Riesenarbeit* ولعل بعض نقاط من شراب الفرموت (المسكر) سقطت في كأس *Heil* فمزجت سعادتي بشعور أليم.

لم يعيش فلايشر *Fleischer* ليرى الاعتراف بتلميذه الذي أحبه، إذ إنه توفي في فبراير ١٨٨٨ لأن المخطوطة تركت مهملة ثلاثة أرباع سنة لدى شولتسي. ولو لم يكن هذا التأخير في الطباعة لكان الشيخ الطبيب الذي لن أنساه أبداً (ولن ينساه أحد) احتفل بنصر تلميذه الطريد (من مؤتمر الاستشراق بفيينا)، ولفرح بذلك. لقد رأيت الصديق ذا الثمانية والثمانين عاماً قبل وفاته / في أغسطس ١٨٨٥ عند عودته من *Norderneyer Badekur* (من مركز [١١٦] الاستشفاء بنوردناير) مرتاحاً بعودته لموطنه في التشنفيلد *Altschönfeld* وكان يعمل في نشاط ملحوظ. وقد حزنتُ حزناً شديداً. وأحسست في هذا اليوم بأن حقبة من حياتي قد انتهت، إذ طالما كان أستاذي حياً، كنت أشعر بأنني ما زلت تلميذاً، وانتهى بهذا اليوم بالنسبة لي ما يعدّه الناس "أحسن سنوات العمر"، وبدأت فترة جديدة من حياتي. وتبينتُ أنني على أعقاب مرحلة جديدة بشعر رأسي الأشيب، وتوديعي لفترة كنت أشعر فيها بأنني طالب بجامعة ليبزج. وتبينتُ أيضاً أن هذه المرحلة التي أنا مقبل عليها هي آخر مرحلة في حياتي.

شاركتني زوجتي في حزني على موت صديقي الوالد، كما لو كان موته مصيبة أسرية، إذ كان يمثل بالنسبة لنا جزءاً حبيباً من حياتنا الأسرية. فقد أرسل إلى زوجتي عندما خطبتها صورة فوتوغرافية له مع خطاب يسيل

رقة. وكم من أيام سعيدة قضيناها معه في الصيف بعد زواجنا في رحلة من آخن زيه *Achensee* في أبسام *Absam* بالقرب من هال *Hall* بالتيرول *Tirol*. وأذكر كيف وقف الشيخ الرائع في ضوء القمر بالساحة العالية من الفندق يُنشد أبياتاً من شعر جوته *Goethe*. وكيف كان يتسلق معنا الجبل في نشوة السائح الشاب ثم نستريح في استراحة المين *Almen* حيث يقصُّ علينا لقاءات له حين كان مدرساً بمدرسة الصليب *Kreuzschullehrer* (أي فلايشر نفسه) مع شليجل *Schlegel* وأدباء آخرين من مدينة دريسدنر *Dresdener*. وارتبطت ذكرياتي النفسية بما لقيته في حياتي مع أستاذي الذي لا ينسى، والذي داومت على مراسلته طوال الأعوام ١٨٧٠-١٨٨٨ (وقد فقدت رسالة منها) وسيرى أبنائي منها كيف كان الرجل لطيفاً حانياً معهم، مرحباً بمشاركتهم مرحهم، يعامل أباهم دائماً بود. وقد رثيته باللغة المجرية، وأرسلت الرثاء مع عضو مراسل بالأكاديمية ليتلوه هناك، ثم نشر بمنشوراتها عام ١٨٨٩، وقد حرصت على نشر صورة لحياته وأعماله...

١٨٨٩

بدأت حياتي العلمية مرحلة جديدة بظهور الجزء الأول من كتابي "دراسات إسلامية" *Mohammedanische Studien* فقد أعلن نلذكه، وجويدي وأوجست ميللر ودي خويه وغيرهم عن تقريظهم للكتاب بحماس بالغ، وكان هذا ضرورياً للغاية لاستعادة ثقتي في نفسي. وتبينت أن مخاوفي عند إصدار هذه الدراسات ونشرها، لم يكن لها داع / تلك المخاوف التي أضاعت عليّ [١١٧] خمسة أعوام تقريباً قبل نشرها. ولم يكف نقادي عن طمأننتي من أن حكمهم بجودة العمل لا يرجع إلى رغبتهم في مواساتي، وليس تساهلاً منهم، وكذلك لم تأت أوجه النقد الصارمة بأي حكم يخالف ما كتبه هؤلاء الأصدقاء عن عملي.

وحثني ذلك كله على أن أعجل بالفراغ من الجزء الثاني، ليكمل الجزء الأول، في حين كان عملي في شتاء ١٨٨٨/١٨٨٩ يتطلب مني أن أقوم بأعباء مجهدة، مما جعلني لا أتمكن من أن أشرع في وضع خطة دقيقة تمامًا. وعلى أية حال كان لدي لهذا العمل الوقت الكافي لإعادة ترتيب وإتمام المادة الدراسية التي أعدها لكتاب "تاريخ تطور الحديث"

.Entwicklungsgeschichte des Hadith

وفي يوم عيد القيامة سنة ١٨٨٩ بدأت في وضع خطة للكتاب، وتمكنت في الصيف التالي من إتمام دراستي عن الحديث [النبوي] بصورة جيدة. ثم أمضيت أيام الإجازة في فارنيموند Wärmund حيث تمكنت بعد اجتهد شاق من الفراغ من كتابة سبع وعشرين ملزمة، وإعدادها للطباعة. وبطبيعة الحال كان يجب أن أفرغ لهذا العمل ثماني ساعات يوميًا، وأن أكتفي بقليل من الوقت للراحة، ولما اتجهت بعد ذلك إلى ستوكهولم لزيارة المؤتمر الدولي الثامن للمستشرقين (في نهاية شهر أغسطس) أمكنني أن أضع مخطوطة الجزء الثاني في حقيبة السفر، وجزءًا من دراسة الحديث [النبوي] أيضًا لأقدم به محاضرة في قسم الدراسات الإسلامية. وكان عليّ أيضًا أن أخطر الناشر بأنني مستعد لطبع الكتاب في يناير ١٨٩٠. وقد استغرق هذا أقل من خمسة أشهر.

Stockholm-Chistiania مؤتمرات المستشرقين بستوكهولم - كريستيانيا

واستخدم الآن هذه الكلمات التي استخدمتها لبدء نكرياتي عن عام ١٨٧٣/١٨٧٤، بيانًا لقيمة ما تسببت فيه العشرون يومًا التي قضيتها باسكاندينافيا في إعادة تكويني النفسي. كانت أيام احتفال بالصدقة، في المقام

الأول، ومن ثم كانت أيضاً احتفالاً بأنني حُزْتُ الاعتراف بقيمتي العلمية. كان الثاني من شهر سبتمبر ١٨٨٩ يمثل تعويضاً عن خمسة عشر عاماً من الخزي والمهانة. وقد أضفت على نفسي انتعاشاً جديداً. وكان ذلك متوقعاً من الأصدقاء المحبين، وسيرث شكري لهم وامتناني أبنائي وأحفادي [لِيتابعوا شكري لهم]، ومنذ ذلك الوقت اعتدتُ في أمسية عيد الفصح قبل أن أرفع كأس إلياس الفضّي الكبير أن أتلو عبارة: "مبارك أنت يا رب. أنت حررتنا وحررت آباءنا بخروجهم من مصر".

وكنْتُ أقول في صلاتي "يا ربُّ أبي وأمي،/ ارحم عبدك واخمه، واحم عبدك الكاهن الحبيب أوسكار الثاني *Oskar II* ملك السويد الذي أعاد إلى عبدك روحه، فرفع ذراعيه من التراب، وأخرجه من المذلة والمهانة والازدراء، واجعله سعيداً أمامك، وفي منزله. آمين"

وجعلتُ ذلك عادة عند عائلتي، وأوصيتهم بأن يعوّدوا أبناءهم وأحفادهم عليها؛ إذ لا يصح أن تخفّي هذه العادة بعد موتي، فلا يحافظون عليها وعندما يذهب الملكُ الكريم إلى آبائه ينبغي أن يذكروه ويترحموا عليه في ليلة عيد الفصح، وألا يرفعوا كأس اليأس ليشربوه قبل أن يترحموا على هذا الرجل المحبوب الذي أحال ظلام حياتي نوراً.

فرغتُ من كتابة العمل حين كنتُ في فارني ميندي *Warnemünde*، فأسرعت إلى كوبنهاجن لأنني يوم ٢٢ من أغسطس بأوجست ميللر القادم من براونشفايغ *Braunschweig*، كما التقيت بساليمان *Salemann*^(١) وتجوّلنا نحن الثلاثة بالغابات الموحشة العظيمة التي تتوج نهر زوند *Sund*.

(١) ساليمان ١٨٤٩-١٩١٦ *K. Salemann* أيرلندي، موظف بالمتحف الآسيوي في بوترزبرج.

قمنا برحلة بحرية رائعة إلى بلانجن بورج *Blangenborgh*. ولما كنت قد حضرت قبلها بيوم إلى كوبنهاجن يوم ٢١ من أغسطس - فإنني استطعت أن أزور كل المعالم الرائعة التي تستحق الزيارة بالعاصمة النرويجية. وفي المساء قمت مع أوجست برحلة إلى مالمو *Malmö* على البحيرة، ومنها إلى ستوكهولم ظهر يوم ٢٣ من أغسطس حيث ينتظرنا لاندبرج *Landberg* الذي كنا ضيوفاً عليه منذ حضورنا إلى مالمو، فقادنا إلى الفندق الكبير بستوكهولم فاستقبلنا بترحاب، وأنزلنا في حجرات ملكية، وطعمنا طعاماً فاخراً. نزلت في صالون أنيق تطل شرفاته على منظر لبحيرة ماليرزيه *Mälersee*. وبقينا بالفندق اثني عشر يوماً.

وتمتعتُ مع صديقي أوجست ومع جوزيف هاليفي *Josef Halevy*^(١) القادم من باريس برحلات يومية نُظمت لأعضاء المؤتمر في الربوع الجذابة المحيطة بالعاصمة السويدية. وزرنا جميع المعالم التي تستحق الزيارة. وحضر أثناء ذلك ضيوف شرقيون تباعاً، منهم قاضيان من تلمسان بالجزائر، وحضر من مصر عبدالله فكري باشا، والشيخ حمزة فتح الله - وقد تعرفت عليه في فيينا- وبعض العلماء الشبان. وكنت ملازماً لهم جميعاً. وفي يوم ٣١ من أغسطس كنت أتجول بين أروقة المؤتمر، لأعرف عناوين المحاضرات التي سيقدمها العرب في النشرات التي يصدرها المؤتمر، وبينما كنت أتبادل معهم أطراف الحديث، قيل إن رئيس المؤتمر "صاحب الجلالة الملك" موجود بالصالة المجاورة. وبمجرد أن تلقينا الخبر فوجئنا بجلالة الملك أوسكار الثاني *Oskar II* يدخل علينا الصالة بصحبة كبار العسكريين،

(١) جوزيف هاليفي (١٨٢٧-١٩١٧) مستشرق. أستاذ دراسات إثيوبية في مدرسة الدراسات

العليا *École des Hautes Etude*.

فنهض جميع مَنْ تصادف وجودهم بالصالة للترحيب به، ووقفوا في نصف دائرة. وكان عددهم حوالي خمسة وعشرين شخصًا. وطلب جلالته التعرف على الشخصيات الأجنبية واحدا بعد الآخر. / فلما جاء دوري، وسمع جلالته ١١٩ اسمي، قبض على يديّ كليهما أمام الجميع. وجذبني إلى أحد الأركان، وقال لي: "إنني مسرور لرؤيتك هنا يا دكتور. إنك ستمنح في المؤتمر يوم الاثنين المقبل أعظم وسام؛ فسأمنحك النيشان الذهبي، إنني سعيد أن أخطرك بذلك الآن، فإنك بعملك وطموحك تستحق أعظم تقدير".

وتحدث معي خمس دقائق عن عملي، مكرراً إعجابه بما بلغه عني، وما نجحت في دراسته عن الوثنية وعن الإسلام. ثم أعادني إلى موقعي بنصف الدائرة وواصل التعرف على الآخرين.

وفي مساء ذلك اليوم كنت عند الحبر دكتور كلاين *Dr.Klein* بصحبة صديقي الأستاذ ألمكفيست *Prof.Almkvist* من أوبسالا *Upsala*. وهناك قصّ ألمكفيست على الحاضرين أن جلالته احتضنني، وهو أمر لم يحدث. وبهذا كان حصولي على الجائزة مؤكداً. وقد رفع ذلك من قدري لأسباب ثلاثة:

أولاً: أن زميلي في الحصول على هذه الجائزة كان تيودور نلدكه *Theodor Nöldeke* وليس أقل من هذا المستوى؛ فقد حصل كل منا على النيشان الذهبي. وعلى كل نيشان اسم صاحبه.

ثانياً: كانت طريقة صاحب الجلالة في إخطاري بذلك لحظة لا تنسى في حياتي كلها.

ثالثاً: الاستحسان الجماعي الذي قوبلت به، والذي شارك فيه بخاصة زملاء التخصص.

وفي اليوم الثاني من سبتمبر حلت اللحظة التي دُعيت فيها لاعتلاء المنصة، بعد خطبة الافتتاح التي ألقاها صاحب الجلالة، لأتلقى من يده جائزتي عن أعمالي، بعد الاستماع إلى محاضرة يمتدحني فيها. وقدم لي جلالته النيشان معبراً عن تقديره، بكلمات مكتوبة بخطه، واستطاع أبنائي قراءتها بعد ذلك. وقبل نهاية الجلسة أرسل جلالته مساعده يستدعيني مرة أخرى. فلما ذهبتُ إليه أعطاني في حضرة ثمانمائة شخص ما خطه بيده من كلمات، حين أعطاني النيشان قائلاً: "ربما سيكون هذا ذكرى لطيفة".

إنني لا أستطيع حقاً أن أسرد كل ما يمرُّ بي عندما أتذكر ما نعمتُ به في هذا المؤتمر، وإن كنتُ كتبتُ عن قيمته العامة في خمس مقالات بمجلة بستر لويد *Pester Lloyd*، وصفتُ فيها ما لقيته من تقدير في هذه الأيام التي سعدتُ فيها بالإقامة في ستوكهلم، وفي كريستيانيا *Kristiania* بعد ذلك. وقد وصفتُ لزوجتي في خطابي إليها كيف أخرجتني معاملة صاحب الجلالة وسلوكه معي مما كنتُ أعانيه من الانطواء، وبالاختصار لم يكن لدي وقت في هذه الأيام المشحونة لكتابة خطابات أخرى./

وقد تبين للغالبية كيف كان جلالته يعاملني بلطف، فالتميز يعتبره رجال الحاشية نجاحاً عظيماً، وقع عليّ دون أن أسعى إليه. وقلما كان يُقام حفل كبير يظهر فيه جلالة الملك، ويقدم إليه فيه علماء، ويميزهم بإلقاء خطاب عليهم. وقد حاولت أن أختبئ في كل الزوايا الممكنة، والأركان حتى لا يقع نظره عليّ، وكى لا يعتبرني الحاقدون عليّ فضولياً- وكان بعضهم يجلس بين الحاضرين- وكانوا بطبيعة الحال من أبناء ملتي-. وبعد أن اعتقدتُ أني قد أخفيتُ تماماً، وتبعُدتُ عن نظره، أن جلالته غادر الاجتماع،

١٢٠

خرجت من مخبئي، وانضمت إلى مجموعة من الموجودين، وبمجرد انضمامي إلى الجماعة، اتجه جلالته مع الحاشية إلى مجموعتنا، فانحنينا جميعاً احتراماً له. وعندئذ نطلع إليّ جلالته ودعاني لصحبته إلى عربته. ولن أنسى ما دمتُ حياً، كيف كان جلالته يتحدث معي بكل لطف في هذا الطريق القصير إلى مركبته.

هل يمكن أن يوجّه إليّ أي لوم، عندما أحتفظ بأجمل ذكرياتي وأثمنها في تاريخي العلمي؟.

هذه اللحظات الجميلة لم أنعم بمثلها أبداً، ولن أنعم بها مستقبلاً. هذا الشعور بعلو منزلتي طوال وجودي بستوكهولم، لازمني أيضاً عند ذهابي إلي العاصمة النرويجية، فقد بقيت تحت تأثير لطف هذا الرجل العظيم صاحب الجلالة. وكذلك ما لقيته في مدينة كريستيانيا، وستبقي هذه اللحظات أغلى وأثمن لحظات حياتي. وقد وصل إليّ خطاب من ابني ماكس Max يهنئني فيه بأسلوب طفولي على ما نلته من شرف. يا ليت أبويّ الطيبين عاشا هذا الحدث. وقد احتفظت بهذا الخطاب مع أثمن الذكريات الخاصة بالمؤتمر. ولم أتمكن من ذكره إلا في مخطوط يومياتي.

وأعود الآن لذكر الجانب الآخر لهذه الأحداث الرائعة؛ إذ إنني عندما رجعت إلى منزلي بلغني ما يفيد بأنني أعدتُ خائناً لوطني، وأنني كُرمت من العلماء الأوروبيين، وأن أميراً كريماً عبّر بذلك عن أن اليهود منبذون ومضطهدون في بلادهم. وذكرني هذا الادعاء بسلوك جماعات علمائنا الأوروبيين. وقد كنت في هذا المؤتمر أُمثل وزارة التعليم المجرية الملكية رسمياً، وبعد عودتي قدمتُ تقريراً إلى الوزارة، وبينتُ أنني قمتُ بالمهمة

على وجه مرض. ووضع التقرير فوق الرف مهملاً. كذلك كنت أمثل بالاشتراك مع باول هونفلفي *Paul Hunfalvy* الأكاديمية المجرية.

وهذا الرجل الذي كان يمثل الأكاديمية في كل المؤتمرات ويقدم تقارير يسهب فيها ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا استفاض في الحديث عنها، صرح في هذه المرة بكل وضوح أنه لن يقدم تقريراً عن هذا المؤتمر / أما العالم المجري ذائع الصيت، مستشار الملك وأعظم عضو في الأكاديمية.. إلخ أستاذ *P.H.* - فيما سمعت من آخرين - فقد استكر أن يحصل عضو موفد (إلى المؤتمر) على هذا التكريم المشرف، ولم يستطع أن يغفل هذا الأمر في تقريره دون أن يذكر ذلك كي يزيح عن نفسه ما أصابه من حقد، وبهذا لم يتمكن أعضاء الأكاديمية العلماء، الذين كنت أمثلهم رسمياً، من أن يحاطوا علماً بما حدث في مؤتمر ستوكهولم. وكان أصدقاء الصبا المقربون يملكون بي دون أن يتكلموا معي؛ إذ إنني كنت عندهم قد أقمت على ما يلطخ سمعة هذا الوطن، فلم أحظ بأية تهنئة أو مشاركة وجدانية من كل هؤلاء القوم. وهكذا لم يجد عليّ أحدٌ بما يتلج صدري، ولم ألقَ بالوطن أي تقدير؛ بل لقيت تنكراً رهيباً شاذاً.

ولم يتقبل الأخبار السارة القادمة من ستوكهولم عني إلا هيئة واحدة، وإن كان إعلانها عن ذلك سبب لي آلاماً أكثر من إدخاله السرور على قلبي. فإنني بمجرد عودتي رجعت إلى مكنتي بالجالية اليهودية. وعقد بعد ذلك رؤساء الجالية العظام جلستين حضرهما رئيس الجالية، وأعضاء مجلس الجالية. وكان عليّ حضور الجلستين لأقوم بتسجيل كل الحكم التي يتفوهون بها. وقد رحب بي الرئيس وامتدحني، وأكد أنه اطلع على ما حدث

بستوكهولم، وتبين أنني رجل عظيم، وأنني أستحق هذا التكريم، وأنني بهذا أستحق تقدير المجلس. وقد سرّني هذا الإعلان كثيراً، ويمكن أن يتصور كل من يعرفني كيف فرحتُ به، ولم يكن ثمة ما يمكن أن يسرني حين يأتي الإعلان بذلك من أبناء ديني، من إشادة تجل عن الوصف بما تحملته من أعباء، واجتهادي الذي بذلته في عملي معهم، ولكن حين يأتي هذا من فَم ظل سنوات يلطخ شرفي بالعار، ويحط من شأنِي، فقد جعلني أشعر بأنه يسخر مني ويهينني. وماذا يفيدني فيما بقي من عمري مديح هذا الرجل؟.

وفي يوم عودتي إلى مكتبي رجع الشعور بالعذاب والامتحان من جديد، ولم يتغير، ولم يقل، بل ازداد واشتد. كان بحقيتي كل ما كُرمت به، وما خطه الملك بيده، ولكن أقرب الأقرباء من أبي أنفسهم لم يرغبوا في رؤية أي شيء من هذا. لم يشاركوني فرحتي، ولم يعبأ بي أحد، وأهملني الجميع.

كان من السهل عليّ أن أتحمل هذا كله. وكان صديقي الوحيد الذي هنأني، ودموع الفرح تتساقط من عينيه هو نسيبي جليك *Glück* الذي كان يرقد في فراش العجز، واستطعت أن أقص عليه ما حدث تفصيلاً، وأن أريه ما في حقيتي. / ولم يعيش طويلاً بعد ذلك، فبعد أن كان يشاطرنِي فرحتي - ١٢٢ - بالإثابة عن والدي الطيبين وأختي - رحل في نوفمبر ليلحق بهم في السماء، ويخطرهم بما سمعه مني وراه. وقد أحزنني موته، وهزني من الأعماق طوال السنوات التالية، وبهذا انتهت سنة ١٨٨٩.

١٨٩٠

لم يطرأ أي تحسن يُذكر على هذه الظروف. وكلما تذكرتُ هذه الأحوال، تبينتُ أن أصدقائي المقربين كانوا يعتبرون أن كل ما ألاقه في

عملي أمر طبيعي، وأنه من مقتضيات وظيفتي، يمر به كل من يشغل هذه الوظيفة، وكانوا يراهنون أنه لا يوجد ما يسبب تغييرها، وكنت آنذاك أرزح تحت وطأة الحياة في محيط مقبت، فقد تضاعف الضغط الواقع على نفسي، فالأزمات التي حلت بي لموت أختي، والهموم التي ثقلت على قلبي جعلتني أهمل في أداء عملي الذي تحملتُ قسوته خمسة عشر عامًا، فقد كان مطلوبًا مني أداء الأعمال الوضيعة نفسها، وأن أسمح بتعامل الآخرين معي بالأسلوب القديم نفسه، بصورة لا يستطيع أن يتخيلها قارئ هذه السطور.

إن تعجلي وعصبيتي في فارن ميندي *Warnemünde* كفلا لي إصدار الجزء الثاني من كتابي "دراسات إسلامية" وقد سعدت بذلك، إذ إن ما يحيط بي من هموم عائلية محبطة ومعاناة الأجواء الوظيفية المتصاعدة قد جعلني أهتم بإصدار هذا الجزء. فوجدت أن بعض الأجزاء تحتاج إلى الاختصار، وأن أجزاء أخرى تحتاج إلى تنقيح لتتماثل مع غيرها، كما استبعدت أجزاء ضخمة من المخطوطة لارتيابي في صحة مناسبتها لموضوع الكتاب. وتطلب مني ذلك تغيير الصياغة، فراجعت ما نشرته من أعمال في الخريف؛ كي أصوب ما كتبت. وقبل أن أدفع بالكتاب إلى المطبعة استطعت الفراغ من دراسة الجزء الثاني من فهارس الكتالوج البرليني *Berliner Katalog* الذي وضعه ألفارت *Ahlwardt*، وعمل علي [مبارك] باشا الضخم (٢٠ جزءًا) الذي أهداه إليّ صديقي لاندبرج *Landberg* وأن أكمل كتابي.

وقد شغل هذا الشهر الأول من عطلتي الشتوية. وفي نهاية شهر فبراير بدأت في طبع الكتاب، ومراجعة تجارب الطباعة. ولم أشعر بالراحة النفسية عند تنقيح بعض المصطلحات، وتبينت وجود عبارات شتى تحتاج التعديل،

ولعلني يمكن أن أعترف أن ذلك كله كان ثمرة ضبط النفس/ ورغم ذلك فقد [١٢٣] استحسن القراء مضمون الكتاب، والنتائج التي توصلت إليها. وصرحوا بإعجابهم بطريقتي في دراسة الأحاديث [النبوية] وفقاً للمصادر الدينية بنظرة جديدة. ولي الشرف أن أقرر أن هذه الطريقة التي اتبعتها حفزني إليها ما قرأته أيام الصبا بشغف من كتابات الراحل أبراهام جايجر *Abraham Geiger*، وقد اعتدت أن أنظر إلى المصادر الدينية للتعاليم اليهودية وفقاً لإرشادات جايجر التي أسسها هذا الرجل خالد الذكر، وأصبحت مرجع حياتي الدينية ومنذ ذلك الحين استطعت أيضاً أن أحكم على المصادر الإسلامية حكماً مغايراً لما سبق أن اتخذته بالنسبة للتيار الديني الناشئ عن تصارع المذاهب. وكانت نتيجته آخر الأمر توحيد وجهات النظر، ولكني رأيت أن هذه المصادر نفسها كانت عن الصراع بين الفرق ومن خلالها، وكانت نشأتها لاعتبارات مذهبية. وقد أسست دراستي للحديث بالتوفيق بين الاهتمام بالتأثير الثقافي والفلسفي. وإنني لأدين بوجهة النظر هذه لكتابات جايجر التي تأثرت بها سنوات طويلة. وعندما كنت مشغولاً بطبع هذا الجزء الثاني تلقيت تكليفاً مشرفاً للغاية من تحرير دائرة معارف بروك هاوس *Brockhaus* *Conversationslexikon* بكتابة مواد الدراسات الإسلامية والعربية للطبعة الرابعة عشرة. وقد أنجزت ما كُلفت به، وخلال عام واحد أنجزت ما أسند إليّ، فأصبح ذلك فاتحاً لشهيتي الأدبية *Hors d'oeuvre* لأربعمئة مقال أعدت بعد ذلك، كما أنجزت أعمالاً صغيرة نشرتها في مجلات مختلفة شاركت في عضويتها منذ سنوات. وقضيت عدة أسابيع مع زوجتي وابني ماكس *Max* في مدينة زایشن هل *Reichenhall*. ونشرت في مجلة بودابست *Budapesti Szemle* مقالة عن تاريخ بلاد العرب القديمة (ونشرت أيضاً عدة مقالات أدبية متنوعة). وكان الحافز لي لكتابة هذه المقالة هو إدوارد جلازر *Eduard Glaser*.

وبعد الانتهاء من كتابتها جمعتُ ما أعددته من أوراق لتحقيق ديوان الشاعر العربي "الخطيئة". وكنتُ قد نشرتُ سلسلة ملحوظات ودراسات حول مخطوطة الديوان، وعن ثقافة الشاعر، ودراسات تاريخية أدبية عن الشاعر وعصره.

وكان هذا هو العمل الثاني الذي يُنشر باسمي. وقد خططت لرحلة عطلتي هذه بكرم، وبطريقة تستحق التسجيل. تواعدتُ مع أوجست ميللر على أن ألقاه في ميونخ *München* حيث قضيتُ معه ثلاثة أيام رائعة. وفي أثناء ذلك زرنا المتاحف الفنية في هذه المدينة المدهشة، / وتحدثنا كثيرًا عنها. ثم افترقنا، فذهبتُ إلى مدينة توتزنج *Tutzing* على بحيرة شتارمبرجر *Starhemberger* فلم أجد لاندبرج بقصره؛ ولكن الهدف الرئيس من زيارتي كان رؤية إيبرس *Ebers* الذي دعاني منذ زمن طويل لزيارته في توتسنجر *Tutzing Tusculum* عندما أقوم برحلة إلى ألمانيا. وكان لقاء هذا الرجل العظيم المتفرد لقاءً رقيقاً، وهو الذي لم يمنعه مرضه من أن يتحف المتقنين الألمان بقصائده الشعرية كل عام في نشاط ذهني لا يهدأ. استقبلتُ في فيلته استقبالا حميماً، وأمضيتُ ساعات مليئة بالتبجيل مع هذا الرجل الرائع الذي أعُدُّ صداقتي له مكسباً عظيماً. وأسمح لنفسي بالإشادة بحياته الأسرية التي لمست مظاهرها. وقد أبدى الجميع اهتماماً بأحوالي. كانت أياماً لا تنسى! ما أجمل ما تلقيتُ عندهم من مساعدة. وفي يوم ٣١ عدتُ لأقف أمام موسى فارمان *Moses Wahrmann* واستحييتُ من أن يكون في مسار حياتي مثل هذا الموقف.

١٨٩١-١٨٩٠

لا يستطيع كل امرئ أن يتحمل معيشة أبناء الطبقة العاملة *Proletarier* فمن كان في مستقبل حياته طموحاً سيصبح بائساً في كهولته إذا صار حطاماً

مثل ما يحدث مع حطام السفينة الذي يُدفع به من البحر عائماً إلى الشاطئ. ولم يطرأ عليّ هذا الشعور، بل إنني أقرر أن هذا هو ما جعلني أقبل على الحياة في مرج، فبعد الاعتراف بي علمياً أصبحت لا أعبأ بما يحدث لي في وطني. وكلما ضاقت الحلقات عليّ أصبحت أكثر تصميمًا، وبخاصة عندما كنت أعامل، وكأنني نكرة لا قيمة لي *No body*، وكما يقال في اللغة الفارسية "ناكس" (أي نكرة أو تافه) *Na-Kes*. وكان من السهل عليّ التكيف مع هذه الحال. فبم يصنفي إذا؟ وتبعًا لهذا كان يُسمح لكل يهودي يفتخر بماله أن يتحدث إليّ بغلظة، وأن يعتبرني خادماً له، وكل صاحب قلم يمكن أن يتعامل معي وكأنه عالم عظيم، وكاتب مرموق. وأن ينظر إليّ من عل، وهو يهز كتفيه.

كان اسمي يظهر في صحيفة بست لويد *Pest Lloyd* (المجلة الدينية لليهودية في بست) بخط معتاد (وليس بحروف غليظة)، وعندما تُدفع لي مكافأة المقال لا يُذكر اسمي، ويبدو عليهم الحزن الشديد كمن يشيع جنازة. وكانوا يرون أن رجلاً من الطبقة العاملة مثلي يتحمل بسهولة السخرية منه. وكنت أفتخر بأنني أستطيع أن أتحمل هؤلاء القوم رغم أنهم ينبذونني. / في الأيام الأخيرة أصبحت - رغم أنفي - مضطراً أن أحمل عبء العمل كاملاً بسبب المرض الدائم لمساعدتي في العمل، وهو رجل طاعن السن مرتعد المفاصل إلى أن طفح بي الكيل، ولم أستطع القيام بعمله بدلاً له، وتأخرت صحتي كثيراً. وبعد وفاة الرجل انفردت بالعمل رسمياً إلى أن عيّن أخيراً مساعد شاب يحمل عني بعض العبء. ولم أكن من الغباء بعد خمسة عشر

عاماً من العبودية والسخرة - بحيث أخفف عنه العبء قدر المستطاع، وأتحمل معظمه. ومن ثم أصبحت - منذ شهر مارس هذا العام - أجد الفرصة للتنفس بعد أن خفت وطأة العمل عني بعض الشيء، واستطعت أن أستمتع بالراحة بعض الوقت، فتمكنت منذ عشر سنوات من أن أتفرغ في هذا الوقت لدراساتي العلمية. وغرقت في الدراسات العلمية كلية حتى أعوض ما فاتني، وأنعم بعض الوقت بهذه الدراسات. واتجهت في هذه السنة إلى دراسة الشعر العربي قبل الإسلام؛ وبخاصة ما خططت له بالنسبة لشعر الحطيفة، وسررت كثيراً عندما تقدمت خطوات سارة في العمل؛ إذ ساعدني الأصدقاء الطيبون في استكمال المواد اللازمة له، ففتح أوجست ميللر *August Müller* أمامي كنوز مكتبة جمعية المستشرقين الألمان *DMG* بحرية تامة لم تتيسر لغيري. وأهداني لاندبرج *Landberg* بمناسبة رأس السنة الجديدة نسخة رائعة لمخطوطة القاهرة الأصلية.

وفي شهر مايو قضيت خمسة أيام من العطلة بمكتبة فيينا الملكية كي أستعين بها على ملء الفراغات التي كنت أعانيها بمكتبتنا المتواضعة. وأقدت آنذاك من مساعدة دكتور جاير *Dr. Geyer*^(١) - وهو مستعرب شاب جاد - الذي ساعدني مجموعاته كثيراً.

وتزامنت هذه الفترة الرائعة التي مرت بي عام ١٨٩١ مع الأحداث البغيضة التي مرَّ بها تاريخ اليهود؛ فللمرة الأولى في حياتي المدنية مررت بلحظة سعيدة نتيجة حدث تاريخي... ففي اليوم التاسع عشر من شهر يوليو

(١) جاير (١٨٦١-١٩٢٩) *R. Geyer* أستاذ دراسات عربية بفيينا.

نُوديَ لاجتماع مندوبين عن المجموعات اليهودية في برلين للنظر في أمور ثورة اليهود الروس. وكُلفت بأن أنوب عن اليهود المجرين. فرحلتُ في السابع من يونيو إلى برلين. وكنت أطمع في أن أجتهد بكل قواي لأداء مهمتي على أكمل وجه، الأمر الذي اضطرني للبقاء في برلين إلى اليوم العاشر من الشهر، ولما كان عيد الشابوت *Schabuothfest* قد حلَّ، فقد قررت البقاء الأيام (١٠-١٣) بمدينة هاللي *Halle* عند أصدقائي. وكانت ثلاثة أيام مباركة من الرب، ونعمت بصحبة الأصدقاء ميللر وكاوتش *Kautzsch*، وماير *Mayer*^(١)، فقضيت معهم ساعات رائعة نهاراً، وليلاً في دائرة أعضاء جامعة هاللي. وانتَهزتُ الفرصة فزرت مكتبة جمعية المستشرقين الألمان *DMG* لأطالع ما خلفه الراحل توربكه *Thorbecke* من مكتبة غنية. / وانتقيت من المخطوطات الكثيرة مخطوطة لديوان كعب بن زهير لدراستها، وكثيراً من الكتب لإيداعها مكتبة "بودابست" المهمة.

كذلك اتصلتُ بناشر كتبي الطيب نيماير *Niemeyer* أثناء هذه الأيام الثلاثة وكان مستعداً للغاية أن أكوّن مع صديقي ميللر *Müller* فريقاً لإعداد عمل أدبي مشترك، وكنا قد اتفقنا على ذلك بمراسلاتنا، ولم نحققه جدياً إلا في هذه الأيام بعد أن نصجت الفكرة. اتفق ميللر معي على أن ننشر معاً لدى نيماير تاريخاً للأدب العربي في جزعين. وبهذا يمكننا أن نسد نقصاً أدبياً عميقاً في هذا التاريخ الأدبي، فضلاً عن إقامة تمثال لصديقنا المشترك خالد الذكر أوتو لوت *Otto Loth*^(٢)، لأن ميللر كان يحتفظ بملحوظات جمة لا تعد

(١) ماير *E. Mayer* (١٨٥٥-١٩٣٠) أستاذ للدراسات التاريخية في برلين.

(٢) لوت *Loth* (١٨٤٤-١٨٨١) مستعرب، أستاذ مساعد بجامعة لبيزج.

ولا تحصى عن تاريخ الإسلام وتاريخ الأدب العربي كان يستخدمها في محاضرات، ويملاً بها كراسات كثيرة، وكان ينبغي أن نستخدم هذه الملاحظات في كتابنا. ولم يتمل ميلر كثيراً قبل أن يدفع لي بهذه الملاحظات.

وأضيت هذه الأيام الثلاثة الرائعة في لقاءات ومحادثات لدى أصدقائنا في هالي، ومع عائلاتهم المباركة التي رحبت بنا، ثم صاحبي ميلر في الثالث عشر من يونيو إلى محطة السكك الحديدية حيث ركبنا القطار في رحلة حملتني مباشرة إلى بودابست. وفي الخامس عشر رجعت إلى عملي مبكراً، ووقفت أمام فارمان لأقدم له شفوية ما أرسلته مفصلاً في تقرير خطي عن الرحلة، كنت قد دونته بالفندق في برلين عن العلاقات الروسية اليهودية التي صدرت إلى الأحبة الكبار. وبناء على هذا التقرير تكونت جمعية مركزية مجرية لليهود الروس. وكان لي الشرف - باعتباري أمين المجلس - أن أراس هذه الجمعية المكونة من أغنياء اليهود، وأن أسجل ابتهاج البولنديين بما جاء لدى اليهود الروس، لكن سوء الحظ يجعل القطار السريع يلفظ أمثالي فيوقفهم من أجمل أوهام الحياة، فخرجت سريعاً من هذا الجو المنعش برجوعي ثانية إلى موقعي الوظيفي المقر في اليوم نفسه.

أما ما كان ينتظرني عند عائلة نسيبي الراحل، عقب عودتي من هذه الرحلة، فهو ما زال منقوشاً في ذهني، وسيظل يحز في نفسي حتى الممات، ولكنني أستطيع الآن أن أفكر فيه موضوعياً، كان ذلك فصلاً كاملاً في يومياتي تحت عنوان خيانة حنا لفلر *Hanna Löfler* وأدعو الله ألا يتضخم هذا الفصل ليصبح كتاباً ضخماً يهدد بتسميم حياتي. / كنت أومن بالفضيلة

١٢٧

وأداء الواجب، ولم يكن خداعي سبب سوء حزني فقط، وإنما كان اليتامى
الخمسة هم الضحية البريئة لامرأة خبيثة لا مثيل لها، خدعتني بنفاقها. يا لها
من مسكينة إماً *Emma* طيبة الذكر.

هل هذه أختك حقاً؟! التي خانت نقتي فيها بنفاقها، اضطرت لما حلَّ
بي من هياج بسبب هذه العاصفة إلى الفرار يوم ١٥ من شهر يوليو إلى
مصيف فيسترلاند على نهر سيلت *Westerland auf Sylt* ومن هذا المصيف
أصيب زوج أختي بجرثومة مرضه القاتل. وكنت أطمع في أن أستطيع
مزاولة العمل، ولكن ما أصابني من اكتئاب جعلني أهتم بشيء آخر؛ أن أنكبَّ
في البحث عما كُتِبَ عن الحكمة.

توقفتُ في رحلتي هذه في هيلجولاندك، وويك *Helgoland und Wyk* بعد
كوكس هافن *Cuxhaven*، ولم أحمل معي في هذه الرحلة إلا الشعر العربي
القديم (قبل الإسلام)، وكنت قد أتممت عملي عن الحطيئة *Hotej'a* وأصبح
معدّاً للطباعة. وطلبتُ ديوان كعب بن زهير *Ka · b b. Zuhair* من هاللي، -
وشروح ديوانه- لهذا الغرض. وحاولت أن أخرج تأملاتي، وتفكيري فيما
أشعر به من آلام لعدم استطاعتي اصطحاب زوجتي وأبنائي؛ إذ إن زوجتي
كانت مضطرة للبقاء بجوار أمي المريضة، فحاولتُ أن أجلس على الشاطئ
بين كتبان الرمل، أطلع في كتب دانتي *Dante*، وشوبنهاور *Schopenhauer*.
وما أكثر ما باح لي به الفيلسوف الفراكفورتري (من مدينة فرانكفورت). وقد
كان هذا كله سبباً في اعتدال مزاجي. ولم أنسَ مطلقاً يوم ودعت هذا النهر
الرباني عند رحيلي من رحلة ويك إلى كوكس هافن البديعية، وقد تجلت
عظمة هذا البحر يوم السبت ٢٢ من شهر أغسطس.

أقيمت في برلين يومي ٢٣،٢٤ من أغسطس، والتقيت الأستاذ Prof. Jahn (كونجزبرج Königsberg). وفي يوم ٢٦ من الشهر نفسه رجعت إلى وطني، ومنذ ذلك اليوم لم ألقَ إلا المضايقات المتتالية، والهموم القاسية المتمثلة في هذه المرأة المأجنة اللعوب التي أصبحت حاضنة لهؤلاء الأطفال اليتامى الخمس. وقد أفسد عليَّ شعوري بالمرارة فرحتي برؤية زوجتي الطيبة وأبنائي، ليقُلَّ إسرائيل كثيرًا ما ضايقوني منذ شبابي لكن لم يقدروا علي^(١).

صفحة خاصة ليوم ٣١ من أغسطس ١٨٩١

في يوم ٢٩ من أغسطس وجب أن نقوم بدفن أحد الموتى، إذ توفي كبير الكهنة فريدمان ^(٢) Friedmann، وكان من الواجب أن أحضر شعائر الدفن وأن أستمع إلى كل الأغنيات والخطب. وأثناء هذا الاحتفال، استقزني فارمان، وكنت واقفًا بجواره -لسوء الحظ- ولا أعرف السبب في هذا الاستقزاز، ولكن لم يكن من الضروري أن يستقز رجل في عظمة موسى فارمان رجلاً فقيرًا مثل إيجناس جولدتسيهر. ولكنني كنت في ٣١ من أغسطس في مأمن أمام هذا البولندي اللئيم. ففي مثل هذا اليوم / منذ عامين ١٢٧ (أي يوم ٣١ من أغسطس سنة ١٨٨٩) قابلت لأول مرة ملك السويد العظيم - وقد ذكرت ذلك من قبل - ولما رأيت هذا الرجل المليونير الدنيء وجدته مهينًا فلم أضيع هذه الفرصة، ووجهت إليه سبابًا مهينًا.

(١) المزامير، ٢/١٢٩.

(٢) فريدمان (١٨٢٦-١٨٩١) M.Friedmann كبير كهنة الجالية الاسرائيلية.

لم تدع لي حالتي النفسية المنهارة، والجو المحيط بي، الذي تسوده المصائب - التي كانت تتوالى عليّ- أي فرصة للاهتمام بأعمالي. وقد حاولت التمسك بقراءة نصوص كثيرة؛ واختلطت الأوراق؛ استبدلت المدراسيم *Midraschim* بخطابات جوته *Goethe* والحروف العربية لا تظهر إلا قليلاً (لم أقرأ إلا قليلاً من النصوص العربية). وفي اليوم الثاني من الشهر مشيت في جنازة الرجل الكريم الطاعن في السن بالاجي *Ballagi*، وألقى عليه كارل ساز *Karl Szász* خطبة التأبين، وقال فيها: "ارتفع من أحط الأحوال إلى أعلى الدرجات العلمية الإنجيلية" فتخيلتُ عند وقوفي بجوار قبره شبابي بالسنوات ١٨٦٥-١٨٦٩ بكل ما فيها من طموح، حينما كنت تحت رعاية أنفوس *Eötvös*، إذ أعاد إليّ هذا الشيخ الذي نواريه التراب كل هذه الذكريات عن الزمن الجميل لأنه كان جزءاً منه. باركه الرب.

وفي هذا الشهر أيضاً صدر الحكم بالخروج من الحجرات الإدارية بالمبنى القديم الرطب الخاص بممثلي الحي اليهودي (*Getto*) الإداريين، حيث قضيت أكثر من خمسة عشر عاماً، أقاسي من البقاء متضرراً، وكان يصعب على أي إنسان له مثل طبيعتي المرهفة أن يبقى فيه. وانتقلنا إلى المبنى الجديد للجالية اليهودية المسمى بالبوابة العالية لإسرائيل، ويشمل حجرات فسيحة، ومنها حجرة مكتبي وبجوارها الصالون الرسمي للرئيس القوي مما يجعل المرء متكرراً لأنه سيراني دائماً تحت قدميه.

وكم يشعر المليونير المجري بالراحة عندما يرى أن جولدتسيهر قد أصبح تحت يده مباشرة، وكان من المتوقع كما صرح الرجل القوي يوماً

أمامي أن تبدأ الجالية مرحلة جديدة من حياتها، وبهذا يمكن أن يظهر ما أكده الرجل العظيم مراراً أن الجالية المتدينة مؤسسة تجارية عظيمة، وأنها يجب أن تكون في أيدي إداريين مهرة. وكان يعبر بذلك بطريقة غير مباشرة عن أن الحجرات الرائعة تحتاج إلى سكرتير شجاع، وأن السكرتير الحالي رجل غبي يبدو كأنه نغم نشار، لا يتوافق مع أنغام الحكمة وتراثها وبهائها.

وفي نهاية هذا الشهر نبشتُ في دفاتري القديمة المتربة واخترت منها بعض الدراسات العربية والإسلامية عن العصور الإسلامية الأولى. وكنت أريد أن أنشر بعضها. / وأن ألقى الضوء على رؤية العرب قبل الإسلام حول الجن التي تلهم الشعراء بذكر أمثلة مهمة، وعن عوَّاد المريض عند العرب بالجاهلية. وأكتب تعليقاً عن هذا. وقد ارتحت لعملي هذا، لأنني تأكدت رغم ما أمرُّ به من أوقات اليأس آنذاك أن غريزة البحث العلمي لم تفارقني، وإنما تدفعني إلى الانكباب على العمل بقوة، رغم الاكتئاب الذي حلَّ بي. لقد كتبت كل كتبي ودراساتي بشعور لا أستطيع أن أصفه، وتحت تأثير إذلال مهين، وأنا أعاني أشد الآلام في أسرتي.. وكانت التعليقات التي تنتشر عن جهودي مثل قطرات الندى تزيل قلقي، وتتعش نفسي. وفي هذا الشهر دعت وزارة المعارف والتجارة إلى إقامة حلقة تدريس محاضرات عن الاستشراق، ولم أدع للتشاور في هذا الأمر أو في تنفيذه. وكان الوزير باولر *Pauler* قد استدعاني في عام ١٨٧٢. وكنت آنذاك في الثانية والثلاثين من عمري لكتابة اقتراح لإنشاء حلقة للدراسات الاستشرافية. ومع ذلك يتجاهلني المسئولون الآن بعد أن بلغت الحادية والأربعين، وكأنهم لم يعلموا بما حدث من قبل. وقد تكرمت جريدة معارضة *Maguar Hirlap* بنشر ذلك تعليقاً على هذا العبث.

لم يشعر أحد أن الوزارة لم تعد مسئولة عن هذه الفظاظ، وإنما المسئول هو الدرويش الأكبر^(١) المحتال الذي لا يستطيع أن يشعر بعظمته دون أن يحط من شأنه. يا للدرويش المحتال! أكبر من يعلن عن تلمذتي له. يا معلمي أنت تشيع دائماً أنني تلميذك، إنك تلوث اسمي وتتجاهل وجودي وتخرجني عن طوري، ومن الواضح أنك تجهل أنك جاهل.

٢٣ من سبتمبر

فاجأني في هذا اليوم تاجر صغير من حارة الملك *Königsqasse* بمنزل *Orczy'sch* واسمه "إيمانبول كان" *Emanuel Kann*، وأخبرني مصادفة بوجود مؤتمر رؤساء المدينة بالمنطقة السابعة ببودابست، وكنت أشرف منذ تسع سنوات بأن أكون عضواً به ملاحظاً:

"أن النشرة التي أرسلتها الجالية اليوم كُتبت بلغة مجرية معيبة. واستشهد على ذلك ببعض الفقرات الواردة بها".

ولم أستطع أن أجيب خلافاً لقولي له "يا عزيزي التاجر، إن موظفي لا يملكون شيئاً ضد هذا" (إذ إن النقد كان موجهاً لهم): إذ كنت أفهمته بقدرتي على فهم المجرية جيداً فغمغم: "هي، هي" وكأنه أراد أن يقول: "إنها لفضيحة أن توظف الجالية مثل هؤلاء الجهلاء (الأميين)". /

أطلعني السيد جوزيف فلايشل *Josef Fleischel*، وهو شخص قذر

يشغل بجاليتنا المنصب الشرفي رئيس المعبد -اليوم عصرًا- على رسالة

(١) يقصد فامبير *Vámbéry* مدرسه السابق. وقد تحدث عنه في السنوات الأولى من صباه. (عوني).

مفتش المدرسة برنارد مونكاسي *Bernard Munkási* المعروف بأن لغته المجرية متميزة، معلقاً بأن هذا الرجل لا يعرف المجرية.

وفي اليوم نفسه صدر هذا الحكم المدمر من يهوديين جاهلين لا يفقهان ما يتفوهان به في حق عالمين لغويين يتمتعان بعضوية الأكاديمية المجرية. ومن المفيد أن نحتفظ بمثل هذه الظواهر الحقيرة التي تسود الدائرة التي نعيش فيها، وعلى الذين لا يجدون في هذه المظاهر أنفسهم أن يتتبعوا الإرشاد التالي، فيهود بودابست يعتبرون كل إنسان يُستخدَم في الشؤون اليهودية رجلاً وضيعاً، لا يحق له أن يُصدر أحكاماً مستقلة، ولو كانت في مسائل علمية. وهو عندهم بالضرورة غير مصدق، فلا قيمة عندهم إلا للمال.

أول أكتوبر الساعة الثانية صباحاً:

كانت بداية هذا الشهر بداية رائعة، إذ إن رجلنا فارمان *Wahrmann* دعا مجلس الجالية للانعقاد، ومن ثمّ تجمع الأعضاء الوجهاء الذين يكونون مجلس الإدارة الجديد، والذين كانوا به في السنوات الماضية. وكان أمامهم مجموعة من المسائل التافهة، ليتبادلوا الرأي فيها. ودامت الجلسة من الثالثة بعد الظهر إلى السادسة مساءً. وتجدد الحديث - في هذه المناسبة - فيما قيل بجلسة ١٨٨٤ من "أقوال بهيجة"؛ إذ انطلق اليهود المجريون - أثناء وجودي بالجلسة - يوجهون اللعنات لعدم صلاحية السكرتارية، ووجه إليّ شخصياً تهمة التكاسل مراراً، وبسبب عدم اقتنائي لكتاب أسود أدون فيه أسماء كل من يعترض على صلاحية رئيس الجالية، وأنه من الواجب عليّ أن أمنع

هؤلاء من الخوض في مثل هذه الأحاديث، وأن أسجل ما يتفوهون به في الكتاب الأسود. وكانت كل كلمات المتحدثين تبدأ بالحديث عن السكرتير المهمل، وتنتهي بالحديث عن الإهمال، وكيف أن الإهمال يعم الإدارة كلها، وكل ما يصدر عنها تافه مهمل. وهذا كله بسبب الكتاب الأسود. وعندما غادرت هذه الجلسة الرائعة لم أعرف إذا ما كنت أدعى دكتور جولدتسيهر *Dr. Goldziher* (مستخرج الذهب) أو *Schlamziher* (مستخرج الطين) أو أن وطني يسمى *Schlampenbourg* (قلعة مطينة) ويقع في *Schlampenland* (بلاد مطينة) أي أن كل ما أنتمي إليه مهمل ولا يستحق إلا أن يهمل.

آه يا أوسكار^(١) أيها الملك العظيم./

ذهبت إلى المنزل وأنا أشعر بالعفن داخلي، وبالعفن يلفني، فوجدت في انتظارى خطاباً عاصفاً من روبرتسون سميث *Robertson Smith* من كمبردج. وبعد عشاء دسم أشعلت غليونني، وحاولت أن "أتعفش" في غرفة نومي "العفشة". ولكني لم أستطع. فانتقلت إلى مجموعة كتبتي. وكتبت دراسة لمجلة المستشرقين الألمان. وحاولت أن "أتعفش" حتى الساعة الثانية صباحاً. وفي هذه الليلة حلمت بزكائب كثيرة عفشة.

مساء الخير يا ليرشن *Lörchen*^(٢). أنت تعرفين - بطبيعة الحال - ما تعانيه الأم التي تعاني مرضاً عضالاً. وهي مطالبة بالعناية بطفل، وكيف يعفشك زوجك بمنزله العفش. إيثاراً للراحة الآن. يا يهودي السرمدي، تعفش يا عزيزي!

(١) هو ملك السويد الذي كرم جولدتسيهر وأعطاه نيشاناً بمؤتمر المستشرقين بستوكهولم. (عوني).

(٢) هو اسم لورا *Lora* زوجة جولدتسيهر والاسم مصغر للتليل. (عوني).

أكتوبر ١٨٩١

غص هذا الشهر بأحداث تبعث على عدم الراحة والقلق إلى أقصى درجاته. فقد أفضت الحالة الصحية المقلقة لوالدة زوجتى فى عشية اليوم السادس من الشهر بنبأ وفاة المرأة العجوز الطيبة التى منحتنى طيلة حياتى الكثير من الحب والوفاء. وفى اليوم الثامن وقفت إلى جانب زوجتى وأصهارى فى تشييع الجنازة، حيث كان الجميع فى حالة نفسية مضطربة إلى حد ليس بالهين، إثر نقل الجثمان إلى سيمانند *Simánd* وما يربط بذلك من إجراءات رسمية مزعجة.

وبمجرد عودتى من هذه الرحلة، الأليمة للغاية، تم إيلاغى - بدعوة من اللجنة المركزية ببرلين المهتمة بشئون اليهود الروس - بضرورة التوجه إلى برلين، لحضور مؤتمر الوفد الثانى بصفتى ممثلاً للجنة المجر. وفى يوم ١٩ بدأت رحلة سفرى فى الصباح الباكر، وبعد رحلة سفر متواصلة، استغرقت يوماً كاملاً بليله، تمكنت فى صبيحة يوم ٢٠ من الحضور والمشاركة بجلسات المشورة التى أبقت على وجودى ببرلين حتى يوم ٢٢. كان لزاماً على أن أستملم إلى تلك المداولات حتى ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم، حتى إننى لم أتمكن من زيارة أى من زملائى العلماء، أو أن أقوم بزيارة معلم واحد من معالم العاصمة الألمانية التى تزخر بالمجموعات العلمية. ونظراً لأن يوم (٢٤) من الشهر توافق أن يكون يوم السبت، ويعقبه احتفال اليهود بيوم الفرح بالتوراة، فقد اتخذت قرارى فى ارتياح بتأجيل رحلة عودتى. وفى ساعة متأخرة من مساء يوم ٢٢ أرسلت تقريراً قوياً يحتوى على مجموعتين من الأسئلة إلى الشريف البولندى، ثم سافرت فى باكورة يوم ٢٣ إلى مدينة هاله، لكى أنعم بالراحة مع دائرة أصدقائى المقيمين بها، وذلك

بعد جهودى التى بذلتها فى برلين، وعقب سفريّة مضنيّة ألمّت بكل أعضاء
جسدى. وهنا توالى الدعوات على، الواحدة تلو الأخرى. فقد اعتزم الجميع
من خلال لقاءات تسودها المحبة والود على إثبات حسن نواياهم ومقاصدهم
تجاهى وتعلقهم بى وتقديرهم لشخصى. كان منزل عائلة مولر *Müllers*
بمناوبة المأوى الأخرى الذى أعود إليه على الدوام. وبمجرد انتهاء يوم العيد
شرعت فى رحلة العودة فى ليلة يوم ٢٥ بحيث أكون بين أهلى وعشيرتى
فى يوم ٢٦ ليلا بعد رحلة سفر متواصلة تستغرق يوما بليله. وقد رضخت،
رغم ما أعانيه من إجهاد وتوتر لا طائل منه، إلى ما أتخذه الرئيس العصيب
الضخم / من قرار بضرورة مثولى أمامه رغم تعبى فى صباح يوم ٢٣
ببودابست، ولا أتوانى عن ذلك الموعد يوما واحدا، حيث تنامى لسمعى أنه
تلقى رسالتى بعدم قدرتى على الحضور إليه بلا هوادة ولا رحمة. ها أناذا
أسرد عليه تقريرى الشفوى التكميلى الذى احتوى على تلك المجموعتين من
الأسئلة بشأن ما خضته من تجارب فى برلين عن موضوع اليهود الروس.
وبعد أن استمع إلى فى هدوء، قام ليودعنى بكلمات تبوح بالكثير من المعانى:
"ما ألقيت به على سمعى هنا لا قيمة له مطلقا فى مجمله". وينبغى أن تنتقل
هذه الكلمات إلى الأجيال القادمة كما وردت فى لغتها الأصلية. يا عزيزى
ناتشى *Náci*، إنها فقط العبودية والهوان.. ودائما الاعتراف بالجميل لا يتأتى
إلا بعد فوات الأوان! أيها الملك الطيب أوسكار!!

١٣٢

نوفمبر ١٨٩١

مفاوضات الوفد فى فيينا. شعرت بالارتياح، وسأنعم بمزيد من الحرية
لأننى لن أرى وجه هامان *Haman* طيلة أسابيع ثلاثة. وفى يوم ١١ تلقيت

خبر وفاة الدكتور إجناس هيرشler Dr. Ignaz Hirschler الذى كثيرا ما تحدثت فى هذه الأوراق عن علاقاته تجاهى. لقد كان صاحب فكر بديع بالقدر الذى يسمح له بدخول جنة رضوان.. فقد عرفته نموذجا للفروسية يربو عن المعنى المقصود فى قصيدة "الحصان الطائر تحت النير *Pegasus im Joche*"^(*).

وقد أعرب لى بعض الأصدقاء عن ملاحظتهم بأن الشباب قد عرف طريقي مع بلوغى العام ٤١. وهذا شىء طبيعى لأننى مع هذا العمر ما أزال أستهل مشوار حياتى، وما زلت فى مظهرى الخارجى (شكلى) كمن هم فى ألمانيا فى سن ٢٣ أو ٢٤ عاما. من هنا فإننى أغض الطرف عن السنوات الثمانى عشرة الفارقة بينى وبينه وأتجاوزها، حيث إنها بمثابة المرأة التى تعكس دائما ما بداخل نفسى من أننى الدكتور الشاب، فيكون مسلكى بعد ذلك على هدى منها.

لقد انشغلت كثيرا فى الشهر المنصرم بالقراءات اللاهوتية. لم يكن موسى أبا للأنبياء، بل هو ابن الحفيد الذى خرج من هؤلاء، أو هو الحلقة الأخيرة فى سلسلة النبوة. إن التوراة التى جاء بها هى ختام القوة النبوية فى بنى إسرائيل.

(*) عنوان قصيدة لأديب الألماني الشهير فريدريش شيللر (١٧٥٩-١٨٠٥) أديب حقبة الكلاسيكية الألمانية مع رفيقه العظيم "جوته" - أديب ألمانيا الأشهر. وهذه القصيدة التى تحمل عنوان "*Pegasus im Joche*" أو "الحصان الطائر فى النير" اقتبسها شيللر من الميثولوجيا اليونانية، تقدم صورة تشبيهية للشاعر الذى لا تقدر عبقريته بين أهله، فيتألم من ذلك أشد الألم؛ وكذلك [بيجاسوس] الذى نجده يعترض على تسخيرهِ وسوء معاملته، فيضرب الأرض بحوافره القوية ليطير إلى جبل "هليكون" حيث تستقبله الحوريات اللاكى تسكنه، ويُحسِنُ تقديره. وبيجاسوس *Pegasus* هو رمز لفن الشعر. والعنوان المذكور ديوان لشيللر نشر عام ١٧٩٦ [عبد الحميد مرزوق]

١٤ من ديسمبر

كيف لا يُعرب أحد عن اندهاشه حين يرى بشرا لا يميز تصرفهم ومسلكتهم سوى التباهى والتفاخر وجنون الاضطهاد، ثم تأتى ظروف وأحوال بين الفينة والأخرى تجعلهم ينقلبون على التكبر وعدم التواضع، مندفعين فى هياج نفسى على علاقاتهم الخاصة بهم.

قام هامان Haman ظهر اليوم بزيارة مقر عملى، ووضعت بين يديه محاضر، كنت قد وضعت أفكارها ودونتها بنفسى. تعبيرات وجه غبية تتم عن حقارة وحقد وتأنيب ولوم تجاه خطى السيء، وفوق هذا وذاك أن الورق الذى كتبت عليه من قطع الربع. "نحن نريد أن يكون لدينا الآن مقر عمل رسمى"، وليس مثل ذاك الإهمال الذى عفا عليه الزمان".

الويل كل الويل لمن يقع فى أيادى أصحاب الدنانير اليهودية المتغترسين! إننى أحذركم، يا أولادى، من هؤلاء الخفافيش الذهبية. إنهم اللعاسة والبلاء، ليس فقط على من هم من بنى / عقيدتهم، بل على البشرية جمعاء. إنهم جرائم المجتمع، وبق وخنافس عليها طلاء من ذهب. لقد قام هؤلاء القوم بتعذيب أبىكم والتكيل به أكثر مما لو كانوا قتلوه.

١٨٩٢

٣ مارس ١٨٩٢

حضرت اليوم جليستين عجيبتين بمقر الطائفة، كان لهما مذاق خاص عندى، حيث تحتم على أن أفتح صدرى لكل ألوان الغباء والحماقة المروعة، وقد كان لدى أعظم أوغاد العالم حالة من الجنون لأن يستمعوا إلى تلك الحماقات وهى تأتى على لسان المحاضر جولدتسيهر، إلا أنهم قد أنقذوه بحق من الموت جوعا. فقبل بدء الجلسة اتخذنا جميعا - السادة والراعى الخادم -

أماكننا حول المائدة المستديرة. فقد كان موقعى فى الجلوس هو التالى مباشرة بعد كل هؤلاء الناس الذين يطلقون على أنفسهم "رؤساء الجلسة ورعاتها". وبمحض الصدفة اتخذت مكانى بين إثنين من "رؤساء الجلسة"، ونتج عن ذلك أن أحدهما، وهو تاجر أخشاب وقرميدانات، جاء ليتخذ مكانه بعدى. وعند التفاتى لذلك قدمت اعتذارى فى منتهى التواضع لى هذا الشخص الذى هو واحد من الشخصيات الستة أصحاب الأمر والنهى، وأعربت بوجهى بما يدل عن رغبتى فى التخلّى له عن المقام والمكانة الرفيعة الخاصة به فى الجلوس. "أرجوك أن تبقى فى مكانك؛ فأنا رجل ديمقراطى للغاية". ووفقا لما قاله فإنه حين يحتفظ مثل هذا الوغد برقمه فى الجلوس بعد مكانى الذى أجلس فيه، فإن هذا يعنى فى نظره "ديمقراطية". إن الرجل لديه شعور بأنه سيد.

٥ مارس ١٨٩٢

حدث منذ حوالى ثلاثة أسابيع أن انجرفت - ضد رغبتى وضد ميولى - إلى حلبة حركة أدبية وعلمية صغيرة. فمنذ عامين ونصف العام تكونت هنا ما أطلق عليه "المجمع الإثنوجرافى" *Ethnographische Gesellschaft* الذى ترأسه حتى وفاته باول هانفالفى *Paul Hunfalvy*. ومع وفاة هذا الرجل تعثرت هذه الجمعية التى يعتبرونها هنا فى البلاد من الأشياء الطبيعية، وهى فى الواقع ملتقى الطنين والعبث من أجل المشارب والأطماع. وصار للعيان بوضوح دخول الجمعية فى حالة من الوهن وعدم التماسك فى تنظيمها الحالى. ويصعب على إدراكى فهم الملابس التى تتعلق بمجال عملى التى جعلت السادة الإثنوجرافيين ينظرون إلى على أننى رجل مهم فى هذا الاختصاص؛ وأشهد بأننى غير مذنب فى هذا الحكم المسبق الملائم، لكن الشباب شرعوا بجدية تامة فى ترشيحى على كرسى الرئاسة للجمعية

المضطربة (قارن سفر اشعيا 4:1) وهو ما رفضته بطبيعة الحال. فكان إذ ذاك أن تم وضع عالم الحيوان والرجل الوطنى هرمان Herman^(١) على قمة حركة الإصلاح وإرسال لجنة مكونة من تسعة أفراد بغرض تنفيذ إعادة التنظيم الفكرى والإدارى الخاص بالمجمع الإثنوجرافى. وبصفتى عضواً فى تلك اللجنة الخدمية المجتمعية للدراسات الإثنوجرافية أخذت شوطاً طويلاً فى الحديث عن تطوير رؤيتى بشأن أى برنامج وغرض واتجاه لمجلة متخصصة فى / علم الإثنوجرافيا بالمجر، وحظيت من خلال ذلك على تأييد عظيم بلغ درجة مطالبته بتدوين أفكارى كتابة، وهو ما قمت أيضاً على تحقيقه^(٢). لم أستطع ذات مرة أن أفلت من قدرى، وبناء على مشاركتى حتى هذا الوقت فى أية نقطة ريادية للجمعية الجديدة أسندت إلى شخصى. لقد تم تعيينى فى العضوية الجديدة لأن أتولى منصبا ضمن المناصب الثلاثة لنائب رئيس المجمع، لكن هل سأجد لدى الوقت الذى يسمح بأن أساهم بنفسى فى تنفيذ البرنامج الأدبى الذى أباشر إعداده؟

٦ مارس. الأحد قبل الظهر

لا أملك كلمة واحدة على أحداث اليوم. لقد تحدث ناظم المزامير عن ذلك قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة عام بالأصالة عن نفسى: المزمور ٥٥، ٥٦، ٨٨، ١٠٩. يجب قراءة تلك المزامير بمشاركة وجدانية وتعاطف مع قدرى وحظى البائس، لكى نفهم الجو النفسى المرعب الذى أسقطنى فى برائته حقارة أسوأ يهودى.

(١) هرمان O. Herman (١٨٦٠ - ١٩٣٧) عالم إثنوجرافيا، وعالم حيوان، وسياسى فى بودابست.

(٢) هيلر B. Heller: انظر المصدر السابق، رقم ١٦١.

فى المساء: المزمور ٤٣

ها هو الحل الربانى لصراع النفس البشع. الحمد لله والشكر له على الكلمة المضيفة المستتيرة التى جاء بها على لسان المنشد الذى يقوم فى نظر جميع الأجناس بدور المترجم الفورى لأصحاب الشكوى والمتقلين بالأحمال.

٩ مارس

قبل بضعة أيام، وجه لى مليونير يهودى تهمة تحت عنوان: "سطحية يهودية"، وعنوان: "رغبة المبالغة اليهودية"؛ ولم تمر دقيقتان على ذلك، وجاء الدور على خادى المسكين بالمكتب، بينكاس فورجو *Pinkas Forgó*، هو الآخر فى حلبة الاتهام: "حنالة يهودية". وبنفس هذا الإجماع كان هذا المليونير قد تحدث عن "رغبة يهودية حميمة فى الحماية". إن جميع الأوزار والرذائل يهودية. وهذه الملاحظات التى تصدر عن إنسان لا يعنيه كل اليهود الذين يمتلكون أموالا طائلة، لا تعد ولا تحصى، (ويذكرها البعض فى حديثه بالملايين، ولكن لا نعلم عند أى حد تنتهى هذه الملايين) قد أثارت فى نفسى رغبة فى أن أفكر مليا فى علاقتى تجاه إشكالية الجنس، وأن أستعرض أمام عيني شريط ذكريات لتلك اللحظات التى أدركها من تاريخ مرحلة تطورى الفردية، بالنظر إلى علاقتى الداخلية لخصوصيات الجنس الذى بين أيدينا بالفعل.

ومن ثم أسمح لنفسى بعد تكبر جوهرى - إستمر لعدة أيام - أن أعرب بوضوح وثقة بذاتى عن أننى قد وضعت نصب عيني فى مسيرة تربية ذاتى على أن أبلغ هدفا، وهو:

أن أستأصل من نفسى وروحى بشغف وهمة النقائص والرزائل
المرتبطة بالسلالة؛ وأن أعمل على ترقية وتثبيت الفضائل الكبرى التى تكمن
فيها. /

حين أتطلع الآن بناظريّ إلى ما جلبه علىّ هذا الطموح من نتائج،
فإننى أقطع مجدداً بقولى إننى أدين بالشكر إلى الشخص نفسه فى الكراهية
للإهود. فهؤلاء هم الذين يزرون الفضائل التاريخية للسلالة.

١٠ مارس

قمت بإلقاء محاضرة لمدة ساعة ونصف الساعة. قبل عدة أسابيع
انترعت منى سيدة تدعى بوليكسينا هامبل-بولسكى-Polixena Hampel
Pulszky - وهى صديقة لى من أيام الشباب - الوعد بأن أشارك بمحاضرة
فى أمسية ضمن مجموعة محاضرات علمية واسعة الانتشار تقوم على
تنسيقها، وقد استجبت على مضض لطلبها، لأننى لا أرى فى نفسى الشخص
الملائم لأن أظهر فى صورة ذكية مشرقة بين رجال فكر. ولكن قبل أن
أتمكن من الرد عليها بالرفض، وجدت اسمى مدرجا ضمن المحاضرين
العشرة لجمعية ماريا دوروثيا "Maria Dorothea-Verein". كان موضوع
محاضرتى، التى ألقيتها لتوى على جمهور من سيدات المجتمع الأكثر رقياً
فى هذه العاصمة، يحمل عنوان: "الحقب العظمى للتطور الدنيوى للإسلام
Die grossen Epochen der weltlichen Entwicklung des Islam"، وقد رأيت
مدى الانطباع غير العادى على الجزء الأكبر من جمهور المستمعين
الأرستقراطى، وقامت حشود المستمعين المتزاحمين فى ختام المحاضرة
بالتصفيق الحاد، ولاحظت مدى حماسهم لمتابعتى، وربما لا يصدر هذا

التعبير إلا عن سلوك راق، فى حديثى عن صولاتى وجولاتى فى مكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة وحتى اسطنبول. ولو كنت قد عُممت، فربما كنت قد رأيت أيضًا يهوديات ثريات. وبما أننى يهودى وشماس، فيتحتّم على أن أتعامل مع براعم الأجناس الأعلى رقبًا ونبلًا بالحسنى، فهؤلاء يوجهون ما لديهم من غال ونفيس بحق وبكل سرور حيثما يوقنون تعلمهم لشيء. إن اليهوديات لا يتوجهن بالزيارة إلى محاضرة يلقاها يهودى؛ ومن الممكن أن يلين نداء الكيان اليهودى فيحضرن لسماعه. ولا يغريهن ماء التعميد إلى أبعد من تقديم الأسف لسلالة المحاضر اليهودية، ولا أملك مقابل ذلك إلا أن أعرب عن تأففى! من بنات صهيون الثريات صاحبات السمو والرفعة، ومن السادة أزواجهن، نفايات المجتمع الإنسانى وآفات العقيدة السامية الرفيعة التى حين تُذكر أمامهم يتكبرون ويتضجرون.

٢٢ مارس

فى الليلة البارحة التى لم تر عيني فيها النوم لمرضى، بات واضحا أمام نفسى أخيرا السر الذى يكمن وراء مسيرة حياتى المبهمة التعسة. لماذا تحتم على أن أتسلسل بقيود ذلك الطاعون المقيت، ولماذا تتبدد آمالى فى كل مشروع ترحال من بين يدي، وتتلشى مثل فقايع الهواء المختالة بنفسها؟ لماذا لم أكن ذات مرة جادا حين اتجهت نوايا أصبغائى / لأن يكون لها أنماط أكثر ثباتا؟ لماذا اضطررت لأن أسلك مسلك الشهداء فى سبيل الدين وهو الطريق الذى قادننى إلى عواقب وخيمة وأتحمل مشاقه منذ سبعة عشر عاما؟ فى هذه الليلة وجدت إجابات عن كل هذه التساؤلات، وتجلت حقيقة الأشياء فى تفسير واحد لا ثانى له. لقد اهتكت إلى الخيط الذى يكشف عن الخبايا والأسرار، ولا سبيل عندى لأن يساورنى الشك فى ذلك.

١٣٦

لقد كُتِبَ "على" ألا أترك مهام وظيفتي البشعة، لكي أقوم على رعاية هؤلاء الأطفال اليتامى المساكين من أبناء أخواتى الذين وافتهم المنية، ولكي أقوم بواجباتى نحوهم. إننى على أية حال لو لم أفعل ذلك لكنت أكثر شقاء، وستلحق بى التعاسة أكثر مما أنا عليه ألف مرة. فكيف كان ضميرى سيرتاح لو أننى واصلت بقائى فى بلدان نائية وجلست على عرش أعلى وأشهر المناصب الدينية ثم يؤرقنى ضميرى المعذب لإدراكى بأننى أوكلت مسئولية هؤلاء اليتامى المساكين الذين لا حول لهم ولا قوة إلى من يتعاملون معهم بلا رحمة ولا يوفرون لهم الحماية؟ وأى عذر كان بإمكانى أن أسوقه على ذلك أمام ربى وأمام أبى وأمى اللذين غادرا الدنيا وانتقلا إلى الرفيق الأعلى؟ فهل إشباع الطموح الغرور فى الحصول على فرصة أن أهب نفسى للعلم دون عائق؟ فيا له من علم أعمى لا سريرة له حين يهدى الإنسان نفسه إليه فقط، وحين يتناسى الإنسان واجباته المقدسة تجاه الأحياء والأموات ويتعارض مع ذاته!

الحمد والشكر لك يا رب يا متعال، يا من يحار الفهم فى قدرته! لقد هديتني حياتي إلى ما لا أهدى إليه وحدي، إننى أَرْضَى بقضائك، ولا أعترض على حكمك أبدا.. فحكمك هو عين الحكمة والرحمة والعدل.

٢٣ مارس

أين اليهود الذين تخبرنا عنهم قصائد المدح أنهم أبناء رحمة من رحماء؟

لقد عانيت مرارة قسوتهم وغلظة قلوبهم وانعدام إنسانيتهم، إننى لا أرى فى العلماء منهم سوى الغرور والتكبر الذى لا أساس له، ولا أرى فى الأغنياء منهم سوى إجرام لقلوب لا تعرف الرحمة. وأما الفقراء منهم

فهم على غير تواضع بوقاحتهم.. لا فرق بينهم جميعا وبين رجال دينهم، وهكذا هي حال الشعب. وإن بدنى ليقشع حين تتتابنى فكرة أنه من المحتمل أن أكون أيضا واحدا من أمثال هؤلاء.

٢٧ مارس

لا نهاية مطلقا لهذه الجلسات والاجتماعات الشريرة. فكل منها على حدة ما هى إلا إطار من أقذع النذالات لحقير يدعى بولاك *Polak*. صحيح أن حملاته قد نكست على أعقابها بسبب انعدام حسى، ولكن لعل قوله الفصل الذى نضح به لسانه هنا (وهو يرمقنى بنظرة جانبية) قد لفتت الأنظار لدرجة توقف الحركة: "ومن خلال تعيينات سيئة فسدت رئاسة الجمعية لمدة تجاوزت ثلاثين عاما". أحقا تجاوزت الثلاثين عاما؟ إننا لم نكمل عامنا السابع عشر إلا اليوم. فهل من الممكن أن نصمد لمدة ثلاثة عشر عاما أخرى؟ /

٢٤ إبريل ١٣٧

منذ عدة أيام تسبب الإعداد لعقد قران ابنة أختى "بيلا" *Bella* على الدكتور شفارتس *Dr. Schwarz* فى كثير من القلق والاضطراب. ولكن هل يصح أن يصير كل ما أبذله من جهد وعناء وعذاب للنفس فى مثل هذه المناسبات المقدسة للغاية إلى ما لا يليق فى أى وقت! أليس من الواجب أن يكون لدى إحساس بصفتى وكيلا ونائبا عن والدائ رحمة الله عليهما وعن جميع الأرواح الغالية التى انتقلت إلى دار الخلود، وأن استقبل كل ألوان القلق بفرحة وسعادة وهناء باسم الرب.

أخيرا سعدنا اليوم بعقد قران ابنة أختى. لقد لقنها الدكتور كون *Dr. Kohn* كل التعاليم الخاصة بطريق الحياة، والتى توجه بها أيضا إلى

مراكز إحساسى بصفتى منوطا بتتفيذ تلك الواجبات المقدسة. وإننى مدين بالشكر له إلى الأبد، كما أننى مدين بالشكر له على كل الحب والإخلاص فى وقوفه إلى جانبى بإخاء من أجل تخفيف أعباء تلك الواجبات على.

كانت أيضاً مشاركة أقاربى - من جهة أبى وأمى - قد حققت لى نوعا من الرضى. والآن الرب يرعاكم! تمنياتى بالسعادة والبركة!

الأول من مايو

كيف يطل الشر برأسه من حولى حين يهتز وجدانى غضبا، وينطلق لسانى بالدعاء بتلاوة آيات توراتية لدفع نوازع أعداء شريرة، وإحباط ما لا يتوافق على الإطلاق مع تربية أو قناعة أو دين أو تعليم، والتضرع لله بأن يُنزل غضبه على رأس ذلك الإنسان الذى راح ينفث العُقد تجاهى اليوم بما تشمئز به النفس، فى يوم يهنا فيه معظم أصدقائى بفرحة الاحتفال! كيف لخنزيرة بولندية أن تتمكن اليوم تلو اليوم من تكدير صفو مزاجى وتتغص على متاع دنيائى مع العائلة والعلم لتتقلب إلى مرارة لا تطاق!

٣ مايو

باقترح من بودينز *Budenz* الذى وافته المنية بعد ذلك الحين، وبتوصية من "جميع أصوات" لجنة الترشح، خرجت مساء اليوم نتيجة ترشحي المتألق (بواقع ١٨ صوتاً مؤيداً ضد صوت واحد معارض)، لشغل وظيفة عضو عامل (وهى وظيفة مرهقة) "بأكاديمية سيموني المجرية [*Ung. Akademie Simonyi*]^(١) التى تقدم خدمات جليلة متعددة للعلم القومى، وكانت

(١) سيموني *S. Simonyi* (١٨٥٣ - ١٩١٩) باحث لغوى، ١٨٨٩ أستاذ جامعى فى بودابست.

النتيجة اعلان عدم الترشيح. أما بالنسبة لى فإن ما يطلقون عليه "المعاداة للسامية" لن ينال من مسيرتى ولن يوقفنى. ويا لها من فرحة أصحاب الملايين المرعبين بذلك الخبر! لقد استقبلوه بالصياح والدمدمة. إنهم لا يستحون حين يتدبرون الأمر، ولا يعتقدون أنهم بذلك قد أفسحوا لى مكانا مريحا فى أن أهب نفسى للعلم. لعل من يبلغ هذا الوضع أن يقرأ كل ما سبق أن تقدم. أف لهذا الجنس من البشر! /

١٣٨ ٧ مايو

بالأمس، وفى ظل احتشادات هائلة مجاملة، قامت الأكاديمية المجرية باختيارى عضواً عاملاً. وبذلك تكون الديانة اليهودية قد اخترقت سلسلة الأكاديمية التى تعرضت لحملة نقد خبيثة بسبب معاداتها للسامية. هذه اللحظة هى فى ذاتها ما يشغل بال رفاقى فى العقيدة، ويستحوذ على اهتمامهم بالأمر. لذلك انهمرت على مراسلات التهنة الشخصية والخطابات والتلغرافات، حتى إن هامان *Haman* أرسل لى بطاقة تهنة. ويمكن أن يُعثر على كل هذه المراسلات فى صندوق طرود صغير.

ولكن ينبغى أن يعقب كل ذلك أيضاً النتيجة التالية - التى خرجت بها من ملاحظتى فى السنوات السبع عشرة الأخيرة - وهى: أن المسيحيين يغفرون لى أننى يهودى، ولكن اليهود لا يقدرون أننى... إنسان محترم وعفيف. - ولأنهم لا يملكون هذا التقدير، جعلوا يكذبون صفو حياتى، ويجرحون كبريائى بإذلالى طوال ١٧ عاما. ولكن رب آبائى هو نصيرى، ولهذا لن يخذلنى؛ فكلما ازدادوا فى غيهم لتكديري، يبدو لى فى داخل نفسى

أن نجاحي في ازدياد، وإن يتخلف الاعتراف بشخصي. وإنني على يقين أنني
سأنال الاعتراف كاملاً غير منقوص، وأن الرب سيغرق هامتي بالدهن،
وسأشرب كأساً مترعاً في مواجهة من يسعون إلى كربى، وسأمكث إلى الأبد
في دار ياهوا!!^(١)

١٥ مايو

في الأيام الأخيرة لم أتوقف قط عن استقبالي للتهاني الشفوية والكتابية
والتغرافية. كان من بين من بعث لي بالتهنئة البروفيسور شتاينثال *Prof. Steinthal*
من برلين (خطاباً) والكونت جيتشا كoon *Graf Géza Kuun*^(٢) الذي
أرسل لي برقية من لوزينبيكولو. فالعلماء اليهود المذكورون قد تجنبوا
الحديث تماماً. وعلى ما يبدو أنهم يخلطون من موضوع الاعتراف باليهودي.
والبعض قد عقد العزم على أن يقلل من حجم ذلك الحدث في مغزاه. وتبقى
هذه الحزمة محل توقير لصاحبها.

٧ يونيو

"كلما ازدادوا في غيهم بغمه وتكديره، ازداد صيته وذاعت شهرته".
حقاً- هناك من يسعى إلى إهانتى وتكدير صفو حياتى بأسلوب غاية في
الرعب؛ إلا أنني في كل مرة أجد نفسى أقبل على العمل على نحو دقيق
وجيد. فالعلم بالنسبة لي هو الهواء الذى أستشقه. فهل أعاق ضغط نسب

(١) Ps. XXIII. 5-6

(٢) الكونت ج. كoon *Graf G. Kuun* (١٨٣٨ - ١٨٣٨): مستشرق، ووزير ثقافة.

الهواء أحدا في الاستنشاق؟ إن الإنسان حين يتعرض لصعوبة في التنفس، فإنه يكون أحيانا مصابا بنوبات ربوية، ولكنه في كل حال يتنفس، وكلما استطاع أن يتحمل ذلك على المدى البعيد، فإنه يواصل مسيرته في الحياة.

في يوم ٢٦ مايو قام شخص يودنى كثيرا بتهنئتي في اجتماع اللجنة على نحو يفوق التقدير، / وتعالّت صيحات المخلصين من الجالسين حولنا في كل مكان بترديد "يعيش!"^(١). وعقب بضعة أيام بدأ كل شيء من جديد.

في الفترة من يوم ٢٣ وحتى يوم ٣١ قمت بكتابة مقالة بعنوان: "صالح بن عبد القدوس والزندقة أثناء حكم الخليفة المهدي *Sâlih b. Abd al Kuddûs und das Zindkîthum*"^(٢)، لتكون هذه المقالة هي نفس محاضرتي التي سألقاها في مؤتمر المستشرقين (لندن، سبتمبر هذا العام)، في حالة توافر إمكانية المشاركة به. إنني أشرع بجدية منذ ذلك الحين في كتابة بحث له مجال أكثر اتساعا لاستخدامه بالأكاديمية على سبيل محاضرة استهلاكية، هذا البحث يحمل عنوان: "تراث الشعر العربي القديم"^(٣). وقد تسارعت خطواتي في البحث نفسه وكانت النتائج المتحصلة من دواعي سعادتي النفسية بدرجة كبيرة. فقد بدأت العمل فيه في الأول من يونيو، وانتهيت حتى اليوم من تحضير مطبوع جاهز لاستخدامه (ملفين)، فالأفضل أن يكون تحت يدي مادة أكثر مما هو مطلوب، وأدعى أنني قد توصلت لأشياء جيدة بالفعل. وأعقد أملي أن تكون مادة المحاضرة جاهزة بالكامل في حقيبتى خلال شهر يوليو، لكي أعاود مراجعتى المحاضرة ذاتها في الخريف.

(١) كلمة *Vivat!* (مجربة).

(٢) هيلر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٥٤.

(٣) المصدر سابق الذكر، رقم ١٥٨.

هكذا يهنا الفكر المقدس الذى أودعه الله نفسى من وقت لآخر بالسكون. فاللهم تقبل منى عملى فى كهولتى التى أحيأها، ولا تحرمنى نعمة الفكر المقدس التى أنعمت بها على! (١) آمين.

١٠ يونيو - الجمعة بعد الظهر

وحتى فى فترة بعد الظهر يشعر بولاك الكبير *Polak* بحاجته إلى أن يبين للخادم اليهودى المسكين أن من حق اليهودى الذى لديه ثروة قارون أن يفعل كل شىء. فقد كنت لتوى قد عُدت من جزيرة أياى السعيدة المباركة، ولم تكن لدى القدرة لأن أتخلص من البذاءات التالية: "ألا يوجد فى المكتب بطوله وعرضه شخص واحد عنده عقل يميز به" - هذا ما قاله / وهو ما يعنى أنه قد كرر قوله هذا عدة مرات.

"لا توجد الأشخاص المناسبة فى إدارة الجالية التى ينتمون إليها" - وأصدقته بالفعل فيما يقوله من أننى لا أنتمى لذلك. وعند تقريرى لبعض الأخبار - لأننى ملتزم تجاهه بأن أقدم له تقريراً - كان يُظهر على وجهه تلك الملامح التعبيرية الغبية التى تبدو لى كأن الموطن الأصلى للقروء - التى تطور عنها بنو البشر كما يقول القرآن الكريم - لابد وأنه وجود فى بلد سكن بها يهود أثرياء أصحاب ملايين. وربما كان ذلك فى أرض يسكنها جنور عائلة بولاك!

وبالتالى فلا يوجد شخص واحد عاقل بدرجة كافية! فليحيا البخلاء أصحاب الملايين!

(1) Ps. LXXI. 9.

٢٢ يونيو

نادرا ما أثق في نفسى من حيث كتابة تاريخ اليوم.

اليوم يستطيع أى شخص أن يعرف من موسوعة المحادثات أن تاريخ اليوم هو يوم مولدى. يا له من يوم تعس! إنه يوم لعنه لاعنو الأيام^(١).

كيف أصف حالتى المزاجية الأليمة غير السعيدة فى صباح هذا اليوم! إن مثل هذه المناسبة هى لكل إنسان غيرى يوم عيد، أما بالنسبة لى فهو يوم حزن. لم أفعل شيئا اليوم سوى الدعاء، / ولعل ربى يستجيب. إن حياتى مليئة بالشقاء والتعب، ولا ترى عينائى فى المستقبل إلا صورة باهتة داكنة. إننى لا أقدم إفادة لشيء، ولا أملاً فراغا. إننى حمل ثقيل على نفسى وعلى الآخرين. دائما ما تعاني نوافذ التقدم والانطلاق من انسداد هوائى مطرد. فما معنى الاستمرار فى هذه الحياة بالنسبة لى؟ يا إلهى! لقد مضى على خدمتى فى الحياة حتى الآن ٤١ عاما: الجزء الأكبر لهذا الزمن ملئ منذ نعومة الأظفار بالهم والمرض والذل والتعاسة. يا رب نسألك أن تضع نهاية لكل ذلك بقدرتك! وإن لم يكن فى استطاعتى أن أكون حرا فى هذه الدنيا، فأسألك أن تعجل بنهايتى وتأخذ بيدي إلى آفاق العدالة فى سمواتك!

١٤٠

٢٣ يونيو

"المهزوم فى سلامة، لا يعنى دوام السلامة"^(٢)

[الإنيادة [Aeneid: II. 353]

(١) انظر سفر أيوب ٣: ٨.

(٢) نقوم بالترجمة هنا وفيما بعد للإنيادة عن ترجمة W.A.B. Hertzberg الألمانية للأصل اللاتينى (عبد الحميد مرزوق)

إن مكانتي الحالية داخل كيان العبودية اليهودى يذكرنى بقصة تالى ذكرها من نفس جنسها تماما، وسأضيف إليها ظلما كبيرا إذا حجبت تلك القصة عن الأجيال التالية.

كان الشاعر اليهودى الشهير "سيمون باخر *Simon Bacher*"^(١) منذ عام ١٨٧٤ يعمل أميناً لصندوق تلك الجالية. وتوفرت لهذا الرجل العجوز المؤدب - رغم ميوله فى ربط كلامه بالسجع - جميع الصفات الصالحة لهذه الوظيفة التى لا تتطلب من هذا الرجل كثيرا من الشروط المطلوبة لبذل الجهد فى العمل. وقد أدى وظيفته لسنوات طويلة بكامل معانى الرضى والسرور. وفى عام ١٨٨٣ جاءت فترة "التغير والتحول"، ونال "التغير" أيضا من هذا الرجل الهمام. فما إن استقر النظام الجديد حتى تغير الموقف تجاهه، فتبين أن هيئة هذا العالم اليهودى وسلوكياته وحركاته لا تتناسب ومتطلبات عصر التغير. فقد وُجد أنه "ردىء المظهر". لا شك أن الرجل كانت له جوانبه غير اللائقة، ولكنه كان يؤلمنى شخصا فقط، باعتبارى رئيسا مباشرا له فى العمل. فهذه الجوانب تفتح مجالا لفيض من الحديث عنها. فقد عانيت وتحملت من هذا الرجل العجوز، باخر، آلاما كثيرة، ولكن بالنظر إلى وقاره الشخصى، ثم بالنظر إلى علاقتى بابنه، فيلهلم باخر *Wilhelm B.*، فقد تغاضيت عن كل ما يفعل، وكان لى دور فى تقديم العون له فى المقام الأول بأن أفصل دائما ما يتقاضاه العجوز من معاش عن الأعمال التى يؤديها يوميا بالمكتب، ورغم أنه لم يلتزم على الإطلاق بنظام العمل بالمكتب - فكان يغيب بالأسابيع وفقا لأهوائه (حتى إننى ذات مرة قمت بعمله بالخزانة ستة أسابيع متتالية) حرصت على أن أقوم بدوره أميناً للصندوق أو أكلف آخرين

(١) س. باخر (١٨٢٣ - ١٨٩١) أديب وشاعر عبرى.

بمهامه بحجة أنه على فراش الموت. وكم كان، ولا يزال، ابنه شاكرًا لفضلي فيما أوديه من صنيع محبة لوالده العجوز، فالعالم كله يشهد بذلك. ولكن في عام ١٨٩٠ بدأ العجوز يتخلف عن العمل دون توقف، فكان دائم التمارض، وبالتالي بدأ موضوعه يأخذ أشكالًا في منتهى الجدية، / ولمدة طويلة لم يكن هناك سبيل لمنعه عن التغيب عن العمل، فتدهورت الأمور. وفي مارس ١٨٩١ سقط العجوز صريعًا لمرض لا يرجى منه شفاء. وفي هذه الأثناء أراد هامان أن يحدد معاشه، ولكنني تدخلت للتأثير عليه وكنت أرى أن التوقيت الذي تم اختياره لهذا الأمر غير إنساني للغاية، فتم تكليفي أن أتفاوض مع العائلة بشأن تقديم الرجل المريض استقالته طوعية. وفي هذه الأثناء ساءت أحوال مرضه لدرجة - كما أكد لي الطبيب ذلك - أنه ليس هناك من سبيل في التفكير في أن العجوز سيظل حيًا في عام ١٨٩٢. وقمت بإبلاغ مجلس الإدارة بهذا الأمر بأسلوب يتسم باللباقة، وقلت إن الرجل العجوز سيكون بجوار ربه إن أجلا أو عاجلا، وأن أي إجراء يتخذه مجلس الإدارة الآن يتسم بقسوة القلب وعملية غير إنسانية. ولكن هامان ألحَّ على بأسلوب محتد "أن أنهي هذه المسألة". وعليه قمت بزيارة الرجل المريض، فوجدته في غيبوبة تامة. وبعد أيام من هذه الزيارة انعقدت جلسة، وكان ذلك في سبتمبر. وأمام الأشخاص أنفسهم سألتني هامان: هل أنهيت موضوع عائلة باخر؟ أجبته: الرجل مريض جدا، ولا توجد ضرورة لأن نطالبه بأن يقدم استقالته طوعية.

هامان: ولماذا لم تطالب عائلته بأن تقوم بذلك عنه؟

أنا: العائلة لا ترغب في أن تقوم بهذا الأمر الآن، لأن باخر في عداد المفقودين الذين لا يمكن إنقاذهم، ويقول الطبيب إن حياته في الدنيا تحسب بالأسابيع القليلة!

هامان: قالوا لى هذا الكلام قبل بضعة أسابيع. سأقوم باتخاذ قرار فى هذا الشأن بجدية!

ووفقا لكلامه فإنه يعتبرنى كاذبًا أو غداً لم يف بوعده له، زاعما أن الرجل العجوز سيلقى ربه قريبا، فى حين أنه لا يزال يلفظ أنفاسه الأخيرة. وفى الجلسة ذاتها نطق بقوله إنه لن يصبر كثيرا على هذا الرجل (وكان باخر راقدا على فراش الموت).

لم تمر بضعة أيام على ذلك وكان مجلس الإدارة ينشر نعيًا مؤثرا عن وفاة "أحد موظفيه المثاليين"؛ ثم أمر بمصاحبة دفنه بفرقة الموتى الموسيقية، وهكذا عبرت عن غاية حزنها وأسفها. لقد انتقل الرجل العجوز إلى المعاش الأبدى. ولقد وفيت بوعدى على أقل تقدير.

ولن يمر عامان على البلاد وسيقع الاختيار، بهذه الطريقة نفسها، على جولدتسيهر ليكون هو الآخر موضوعا لنفاد الصبر، حيث لا ترجى منه الآن أية فائدة تذكر، ليتقدم طواعية باستقالته. ولعل هذا الشخص الذى لا طائل منه هو الآخر سيحتفى إذ ذاك بنزعه الأخير! ويبدو أن أحدا لن ينتظر ذلك. ولكن الله له جنوده المرسلة بالقول. ومن المؤكد أن يوم الحساب قادم ليلقى هذا الشخص سيء السمعة جزاءه، هذا الحيوان الشرس الذى انتزعت منه كل معانى الإنسانية. لعله يلقي نهايته بخلع قواطعه من جذورها ويكون بلا حول ولا قوة مثل الجيفة المقرزة، وينفض جميع العباد من حوله، وينزل عليه أولاده أنفسهم باللعنات. حينئذ تكون البشرية قد تخلصت من أحد الأوغاد بها/.

١٤٢

٢٧ يوليو

كل من يعمل بفكره فى العالم أجمع قد ذهب للاستجمام بالمناطق البعيدة عنه إلا أنا، فإننى أجلس هنا فى هذه الأجواء المسمومة، ومفروض على، فى ظل هذه السخونة العنيفة للصيف، أن أتففس وسط قذارة فكرية ونفسية.

ضحايا يسقطون هنا وهناك.

لا هم من الخراف ولا هم من الثيران.

ولكن من البشاعة أنهم ضحايا من البشر.

طالما جلبت على علاقتي الخاصة بالوصايا لحظات كئيبة فى حياتي.
ولن تنسى ذاكرتى لفترة طويلة أيام الإجازات تلك من عام ١٨٩٢. دائما
هناك شر، ولا يوجد خير بالمرّة!

فى كل هذا أعيش بمفردى وحيدا تماما، وحيدا. فعائلتى تقيم فى الوقت
الراهن بتوسناد. الحمد والشكر لك يارب على علمى بأن أهلى - على أقل
تقدير - يعيشون فى جو صحى، وأنهم لم يشاركونى آلامى ومعاناة ضميرى
ونفسيتى الخاوية.

جاعنى من يبلغنى بأن حديثا مطولا قد دار فى الجريدة الهابطة التى
أسسها باخر *Bacher* عند استعراض مسودة برنامجه الذى وضعه لهذا العام
بشأن ما يحدث من تجاهل وإنكار وإهمال هذا العالم اليهودى. أليس هذا يعنى
أنه هو الآخر قد شعر بالتجاهل له؟ فليأت العطاء القومى - بورق البنكنوت.
مسكين أيها السلوفاكى الذى لم يتذكر أحد إخلاصك!

أكتب الآن فى وقت متأخر من الليل، ويتمكننى إحساس كامل بالقنوط
والياس. لقد توقفت تماما عن التمنى والرجاء، فلماذا لا تبعث لى يا قادر
برسول الشفاء والرحمة من عندك؟ إننى لا أقدر على مواصلة الكتابة الآن،
ولكن هناك الكثير والكثير الذى يوغر صدرى.

أبعث إليك يا حبيبتى لورا، وإلى أبنائى، وأنتم فى البلاد البعيدة مؤكدا
أننى أتذكركم بكل إخلاص والألم يهيمن على شعورى وإحساسى. كما أبعث

برسالة بأئنى ما زلت أتذكر، وأنا فى هذه الساعة الحزينة، لأبى وأمى
الطيبين، وأنهما دائما على بالى، ولأخواتى ولكل من أبعدہ الله فى الوقت
المناسب عن مشاركتى هذا الوجود البائس. فلتصلوا من أجلي. كم تمنيت أن
أكون معكم!

٢٨ يوليو

الجريدة موضوعة على المنضدة. إننى لا أجد طريقا للراحة والسكون.
الساعة الآن الثالثة صباحا ويتحتم على أن أتوجه إلى المكتب مرة أخرى،
لأكتب خطابا إلى أبنائى. يا لكم من ضحايا أبرياء لحياتى البائسة كل البؤس!
فأنتم تهنأون بجمال النوم، بينما يقضى أبوكم ليلة لا تعرف السكينة طريقا
إليها... لا أجد الكلمات.

٧ أغسطس - هايست *Heyst*

أخيرا عزم على أن أغادر يوم ٤ من هذا الشهر بودابست، ذلك
المكان الذى ضاقت به نفسى بلا حدود فى الأيام الأخيرة. / فقد توددت كل
الأمور بهدف تسعير نيران هذا الجحيم. وتضافرت مع جميعها مسألة النقود
الخاصة بابن أختى الجديد (أى بزواج ابنة أختى الجديد)، الدكتور شفارتس
Dr. Schwarz. وقد قام الدكتور كون *Dr. Kohn* بتسوية هذه المشكلة
المالية بذكائه المعروف. إن كل ما تصبو إليه نفسى هو أن أعيش لمدة ثلاثة
أسابيع على الأقل، فى هدوء، وبعبدا عن الناس، دون أى تعامل مع أحد،
ودون أى شكل من أشكال المضايقات، بعبدا عن مسرح آلامى، وأن تتحول
انطباعاتى عن أيامى - أيضا على الجانب النفسى - إلى شىء جديد غريب.

وهذا ما دعانى إلى تفادى قبول دعوة الدوق لاندبيرج *Graf Landberg* إلى توتسينج *Tutzing*، إذ إننى كنت أنوى أن أنتظر الذهاب إلى لندن، حيث يعقد مؤتمر الشرقيات التاسع، ومن ثم لأنزل فى هايست *Heyst*. بدأت رحلتى التى بدأتها فى اليوم الرابع من الشهر، إلى هذا المكان فى ظل نذر سيئة. فقد اضطررت وأنا فى القطار الذى استقلتته حتى مدينة آخن *Aachen*، أن أضع فى اعتبارى معاشة وقاحات بودابست التى تكمن وراء مرارة حياتى. ولحسن الحظ أن الأغنياء اليهود كانوا بالدرجة الأولى، وهم بذلك قد أعفونى من لغوهم الدائم. وقد أدخل عظيم السرور على نفسى وجود رفيقة رحلة لطيفة، وهى الأنسة برنارد من مدينة ليتش *Bernard aus Lüttich*، وهى حاصلة على دبلوم فى الطب، وفيما أنكر أنها كانت ذاهبة لتسلم مهمة عملها فى مجال الطب بالقطاع الهولندى فى الهند. وفى آخن قضيت ليلتى، اليوم الخامس من الشهر، وفى اليوم التالى وصلت بلجيكا. وفى لوفن *Löwen* قضيت بضع ساعات وشاهدت تلك المدينة الصغيرة التى لا تثير اهتمامى. ونظرا لأننى قطعت هذه المسافة من هنا وحتى بروجه *Brügge* بقطارات محلية لخطوط السكك الحديدية التى تسافر إلى لوفن - ميلينيس - تيرموند - جاند *Löwen-Melines-Termonde-Gand*، فقد كنت آخر مسافر قادم من الشرق يفارق هذا الخط على هذه المسافة، لأنه دائما ما أتحت لى فرصة التعرف على كل ما يتصل بالعلم من قيمة بشأن روابط داخلية، حيث يمكن اقتفاء أثر جهل الأجانب فى أمور مجرية. فى ميلينيس *Melines* تحدثت معى أحد المرافقين لى فى رحلة السفر، وعرفت منه أنه يكتب فى صحف فلمنجية أشعارا بلهجة سكان شمال ألمانيا، رغم أنه كان يشتغل بالتجارة. وحين سألتنى عن مكان قدمى، ذكرت له بودابست؛ فبادر رفيقى على الفور بالسؤال: وما الفرق بين اللغة التشيكية الحديثة والقديمة؟ وكان فى منتهى الاندهاش حين علم منى أن المجر وتشيكوسلوفاكيا ليسا بلدا واحدا.

وفى ميله *Melle* وهى محطة قبل جاند *Gand (Gent)* صعد القطار شاب أخرج من حقيبة سفره مجلة عربية - وهى تسمى "الحقائق" - وكان ينظر لى دائما بحذر حيث أجلس بالمقعد الذى أمامه. وبمجرد أن استفسرت منه عن مدى استيعابه وفهمه لها، إذ به يعترف لى أنه بمجرد أن دخل إلى الديوان ظن أنني عربى المولد، ولم يصدق حين قلت له إننى من بودابست. إنه لا يعلم أن اللغة العربية فى المجر لغة أجنبية. هذا الرفيق فى رحلة السفر قدم لى نفسه، إنه يدعى السيد مينور *Minor* من مانشستر، ويعمل مدرسا للغة الإنجليزية بالمدرسة التجارية فى ميله *Melle*، ويبدو أنها مدرسة كبيرة. حدث الشئ نفسه مع راكب آخر يدعى السيد بانج *Bang*، أحد تلاميذ هارليتس *Harlez*، وإنه يقوم بعمل دكتوراه فى أشياء تتعلق بالشرقيات، / ولكن على ما يبدو أن مينور هو الطالب الوحيد عنده. وفى جنت *Gent* استقبلنى السيد مينور *Minor* بالمحطة ثم فارقتة لى أوصل سفرى، بعد تغيير عربة القطار فى بروجس *Bruges* (وبذلك يكون هذا القطار هو رابع عربة أستقلها فى هذا اليوم) لأصل فى المساء إلى هايست *Heyst*. وقد حملنى عدم الصبر على أن أتوجه هنا إلى بنسيون، غاية فى البؤس والضحك وإن كان رخيصا، ولكننى عاقد العزم على أن أصمد فى الإقامة به لمدة ٣ أسابيع. ويبدو كل شئ لا يمكن تحمله، خاصة وأننى قادم من بودابست مباشرة.

١٤٤

١٦ أغسطس

تأهبت نفسيا على أن أعتاد فى هذا المكان على أقصى درجات الحياة الريفية. إننى أعيش فى بنسيون غاية فى الحقارة ودون المستوى - إننى لا أعلم على أى درجة يمكن تصنيفه: وهذا بعينه جيد بالنسبة لى، فى مجتمع مكون من رجال ونساء وأطفال منحدرين من مدينة صناعية فرنسية واقعة

بالقرب من الحدود الفرنسية البلجيكية، وهى مدينة روبيه *Roubaix*. إن الكاثوليك المتشددين ينظرون إلى معتبرين إياى السليل المباشر للشيطان، لأننى آكل للحوم أيام الجمع، وهو ما لا يفعلونه أبدا. يا له من عجب! حتى بين العبرانيين من هو ليس بيهودى! فى يوم صعود المسيح شاهدت موكبا احتفاليا غاية فى الخصوصية، وهو ما لا يحدث مثله عندنا. لقد تم عرض كامل المحتوى الشخصى والموضوعى الخاص بالميثولوجيا الكاثولوكية بشكل رمزى. تجسيد حى للخلاص والسعادة.. ماريا العذراء والروح القدس.. ماريا: شقراوات هولنديات غاية فى الجمال.. كما شاهدت عرضا لشبيبة يرفعون البيارق المكتوب عليها باللغة الفلمنجية أسماء أدوارهم فى تصوير مشاهد الأسرار بكل ألوانها، السعيدة والحزينة والمشرقة بالانتصارات. وبين هذا وذاك تشاهد من يحمل الأوثان التى نثر المطلقون من النوافذ عليها قصاصات ورقية ملونة، وقد تناثرت بدورها داخل الموكب حيث يطوف القربان المقدس الذى يحمله أحد الرهبان وهو جالس تحت المظلة. وقد صاحبت مسيرة الموكب إيقاعات مقطوعة "موسيقى الزفاف" التى ألفها ريتشارد فاجنر، ومع ألحان ونغمات هذه المقطوعة الموسيقية الكاثوليكية السامية فى القداسة كان الرهبان والراهبات المصاحبين لها يظهرون على وجوههم ملامح لإضحاك الناس.

قضيت اليوم بأكمله فى حالة استرخاء وكسل، والعمل الوحيد الذى أدتيه كان وضع اللمسة الأخيرة لبعض المقالات التى اعتزمت نشرها باللغة المجرية، مثل محاضرة تنصيبى لمباشرة عمل ما، إلخ. وفيما عدا ذلك لم يحركنى شئ سوى خروجى كثيرا للهواء الطلق. تنزه يومى حتى أصل إلى كنوك *Knocke*، حيث حرصت على السباحة. فأعصابى المشدودة فى أشد

الحاجة إلى الاسترخاء والرعاية بعد جهد وعناء. وفي كل مساء كانت فتيات روبنس *Rubens* يحرصن على عزف الموسيقى والغناء. وكانت بينهن فتاة من نوع خاص، وهى الأنسة ليا ديستين *Léa d'Estienne* التى كانت تغنى لى أغنية بديعة من أجل أن تسرى عنى، ويطلق عليها: فتاة فرعون *La fille de Pharaon* وهى تحفة موسيقية تستحق التقدير تعظم موسى حين كان طفلاً راقداً فى الأحراش، / ثم وهو رسول ملك الملوك فى ذلك الوقت الذى يعظم [١٤٥] البشرية قاطبة القوانين.

ولكن الأخبار التى وصلت إلى من مدينة هاللى *Halle* اتسمت بالكآبة والحزن. فصديقى وأخى العزيز أوجست موللر *August Müller* يرقد بمستشفى الأعصاب. وكان لهذه الرسالة وقع أليم للغاية على نفسى، فلم أستطع مطلقاً أن أتخلص من صورة الصديق المتألم وقد ألقى به مجريات الأمور على شاطئ بلا رفيق أو عون له. فهل كتب عن كل شيء اتسم بالإخلاص تجاهى أن يذهب أنراج الرياح بلا رحمة؟ فكم من موقف مخلص اتخذه، هذا الرجل الوحيد، تجاهى حتى آخر لحظة. ها هو يقرأ من أجلى وهو على فراش المرض العصيب، ويجرى التصحيحات الخاصة بما كتبتة عن "الحطينة" حتى يعمل على راحتى، وهو من كان فى أشد الحاجة - وقتذاك - إلى الراحة والرعاية!

١٧ أغسطس

تلقيت التهاني من عدة اتجاهات على أثر ما كتبتة من مقدمات نقدية عن "الحطينة"، حتى إن نولدكه أعرب شخصياً عن شكره لى على هذا العمل.

إننى أفكر - أثناء عزلتى المذكورة فى كل ما هو حسن وأصيل - أفكر فى زوجتى وأولادى وأصدقائى وقد أحالت المسافات بيننا، وأفكر فى اللحظات الجلية على مدى تاريخى، وأفكر فى الرواد السابقين لمؤتمر الشرقيات الذى أستعد له الآن. ولكن هناك فكرة واحدة أتمنى أن أنتزعها من نفسى وروحي وأموها من كيانى الداخلى، هذه الفكرة هى: التفكير فى حارة بفايفر *Pfeifergasse* رقم ١٢ الدور الأول، شقة رقم ٩ (١).

١٨ أغسطس

إن وافقتى المنية هنا، فما المكان الذى سيقومون بدفنى فيه؟ أعتقد أنه لن يكون بين الكاثوليك؟ ربما يأتى السيد المحترم باخر *Bacher* من أقصى الشرق إلى هنا، ويتولى تدبير ما يشبه لما هو معروف من مراسم تغسيل اليهود *Chebra Kaddischa*، ثم يلقى أيضًا خطبة الوداع بقراءة نص من التوراة على روى، وجميع الأقارب الذين يقيمون بإحدى الفيلات الفاخرة هناك على الشاطئ فى أقصى الشرق، سيحضرون إلى هنا لتوديعى والبكاء على، لأننى فجأة أصبحت مركز اهتمامهم، ومحل مشاطرتهم، بل وسيتردون الملابس السوداء فى ذلك اليوم. يا له من مشهد بديع! إن الأمر يستحق بالفعل أن أموت هنا فى بلجيكا لكى يتولى تأبينى أصحاب البنوك!

لا يفارقنى التفكير فى صديقى المسكين أوجست (موللر) *August (Müller)*؛ إنه يسيطر على حياتى بأسرها. فى الغرفة الصغيرة الهادئة، وأنا جالس على شاطئ البحر الهادر، متأملًا النجوم المتلألئة فى ظل سكون

(١) وهو نفس عنوان السكرتارية.

الليالى، دائما أفكر فى صديق حياتى الوحيد. هل قدر لى أن أفقد هذا الصديق أيضاً؟ فى مثل هذا التوقيت منذ سنوات ثلاث، حين كنت أستعد فى فارنمونده Warnemünde لحضور مؤتمر اسكندنافيا، كنا نتراسل فيما بيننا فى حيوية ونشاط، بين فارنمونده وبراونشفايج Braunschweig، بشأن لقائنا فى كوبنهاجن. / وأى حدث كان هذا اللقاء على حياتى فيما بعد! كان الله فى ١٤٦ عونك أيها الصديق الوفى!

ألتقى من قسم الاستعارة بالمكتبة كل ما هو ممكن من كتب عن محاضراتى. مذكرات مدام ملك هانم Madame Melek Hanum، قرينة معالى السير محمد كيبيرزلى باشا Sr. Excellenz Mehmet Kibrizli Pascha؛ ومؤلف أبيه لامبير Abbé Lambert عن الجزائر؛ - والكتاب البشع الذى ألفه كارل ماى Karl May عن رحلته - عن سوريا (فى ترجمة فرنسية)؛ وكتاب لويس جارنيرى Louis Garneray، الرسام البحرى "مغامرات السفر والمعارك Voyages aventures et combats" (باريس ١٨٨٦)، وهو جزء من مجموعة "مكتبة الأسفار ورحلات الصيد البري والمغامرات Bibliothèque de Voyages, des chasses et d'aventures" التى نشرت تحت إشراف السيد فيكتور تيسوه Victor Tissot. جزءان صغيران فى غاية المتعة! ولكن الجزء الأكبر أقل أهمية بالنسبة لى من حيث الموضوع، ما عدا فصلا قرأته بانتباه متزايد، وهو يتعلق بوصف المؤلف لإقامته فى بلاط بومبيتوك Bombetoc وهى دولة صغيرة تقع على حدود مدغشقر وتحكمها سيده. وينبغى أن يدخل هذا الفصل فى مقررات التعليم الخاصة بعلم الشعوب البدائية (جزء ١). ويقدم الفصلان الرابع والخامس من الكتاب الثانى (زنزيبار) تفاصيل ممتعة عن تجارة الرق

وتجارة الرقيق فى إفريقيا. وقد عاش المؤلف فى القرن ١٨ (وُلد فى ١٩ فبراير ١٧٨٣)، وقام الناشر بتحليل خصائص أسلوبه على النحو التالى: "يُعتبر هذا الكتاب من أفضل ما كُتب عن بطولة البحارة الفرنسيين. فالكاتب لا يرتدى -على غرار بوفون- أكماماً خاصة ليكتب، بل هو يتحكم فى قلمه كما يتحكم فى مرساة سفينته. طريقة سرده سريعة، وممتعة وحيوية. إنه حقاً رسام."

١٩ أغسطس

لم أقرأ شيئاً حتى الآن عن لويس فيوليت *Louis Veullet*، الكاتب الكاثوليكي الشهير. أمس واليوم أقلب فى صفحات مخطوطته الأولى: "الحج السويسرى *Les pèlerinages des Suisses*" (تورناى *Tournai* ١٨٣٩). فالمؤلف يسافر ويصف سويسرا من وجهة نظر الكاثوليك. وهو لا يتأمل سواء النهر الجليدى أو البحيرات لأغراض أخرى سوى أن يتطرق فى ذلك إلى أفكار كاثولوكية. ولم يحرك مشاعره شيئاً فى أماكن الطبيعة الأكثر قدسية سوى أن يسب حركة الإصلاح الدينى وأن تأخذه الجلالة بمنة ونعمة العذراء المقدسة. ورغم ذلك فهذا الكتاب له هالة روحانية عميقة، طالما بعدت عن الرياء والتصنع. وما أحسد المؤلف عليه هو إتاحة الفرصة أمام الدلالة التالية: "بتواضع جم، أقدم للقديسين فرانسوا الأسيزى *St. François d'Assises* ومارجريت دو كارتون *St. Marguerite de Cortonne*، راعيا أبواي فى السماء، كتابي الأول هذا كصلاة دائمة، آملاً -من خلال هذين القديسين- تحقيق أسمى ما نتوق إليه نفسى فى هذا العالم بعد خدمة الرب". فهل هناك شيء آخر غير هذا يمكن أن يتوق إليه الإنسان؟ /

سكارسيز من لوككينوللى

"الرق بين أنصاره والمناهضين له. تكوينات ووثائق فى تاريخ العبودية وعلاقتها بالكاثوليكية والبروتستنتية ومبادئ ٨٩" لياج *Liège* ١٨٩٠. - مجلة التيار الجديد التى تقدم الدليل الوثائقى على أن الكاثولوكية وحدها هى التى شجعت على تحرير الرق، فى الوقت الذى عملت البروتستنتية والأفكار الليبرالية على تدعيم مؤسسة الرق البغيضة. وهناك مواضع استشهادية متعددة عن فولتير وآخرين من أصحاب الفكر المتحرر تؤيد فى الواقع هذه النظرية، وكذلك ما نقرأه من قوانين وقرارات صادرة عن برلمانات الثورة الفرنسية. حقا، ما كان يتعين على الرهبان الذين يلقون على مسامع الناس خطبا بديعة، أن يحكموا فى الحياة العملية!

ولكن كيف أخلص لنفسى بحثا عن الراحة بعد ذلك لأعيش مع عالمى الخاص، عالم القراءة والكتب! فلا يمر يوم إلا وحمل معه أخبارا سيئة من هاللى *Halle*. ودائما ما هو أسوأ. عشية أمس خطاب من د. ليبمان *Dr. v. Lieppmann* (نسيب عائلة موللر) وهو فى الواقع يحمل خبر حكم إعدام للصديق الوحيد الطيب. هو ذاته بكل أسف قد استسلم وراح فى خبر كان بلا منقذ ولا معين!

٢٢ أغسطس

أرسل لى مسيو بونارد *Mgr. Baunard*، رئيس كلية القديس سانت جوزيف بمدينة ليل *Lille* ثلاثة أجزاء من مجموعة الكتب التى تحمل

العنوان: "معركة الإيمان، دراسات في السير الذاتية والدفاع عن العقيدة
الجزئين الأولين فهو: "الإيمان وانتصاراته *Le combat de la foi, études biographiques et apologétiques*". أما موضوع
موضوع الجزء الثالث فهو: "الشك وضحاياه في القرن الحالي *La doute et ses victims dans le siècle présent*"، وهو يضم مجموعة من الأسماء الشهيرة،
مثل "ت. جوفروي *Th. Jouffroy*، دى بيران *Main de Biran*، سانتاروزا *Santa-Rosa*، جورج فيرسي *George Farcy*، فيكتور كوزين *Victor Cousin*،
إدموند شيفر *Edmond Schever*، فريدريك شيللر *Frédéric Schiller*، ليوباردى *Leopardi*، ولا سيما أدباء الشك بفرنسا. وهذا الجزء أقرأه الآن في طبعته
السابعة (باريس ١٨٨٦) وأفادنى كثيرا.

في علاقة كوينيت *Ed. Quinet* تجاه كوزين *Cousin* استرعى انتباهي
الموضع التالي كتعبير يمس خبرتي المريرة في الحياة: جاء على لسان
كوينيت في ص ٢٠٣ "إننى لا أنكر واحدة من ضلالاتي في الماضى التى
حدثتني بها نفسى، ربما باستثناء افتتانى الذاتى بآبن عمى "لا" *La*. يجب أن
أعترف أننى وقعت فى فخ، ولكن الأمر لم يستمر أكثر من ست سنوات. لقد
رأيت فى وقت مبكر الشيطان الصغير المهرج أركوين *l'arlequin* من بين
الأبطال". وهذا ما حدث لآخرين، ليس فقط مع من هم أقل سنا، ولكن أيضا
مع كبار الكوميديا.

وفى صفحة ١٥٢ يذكر كوزين *Cousin* فى مقدمته التى كتبها تعليقا على
محاورة أفلاطون "قيدون" بشأن الإيمان بالخلود ما يلى: "هناك احتماليه" ما قد لا
يمكن التلليل عليها، إلا أن الرغبة الدفينة في القلوب والقبول العالمي للشعوب لها
يسمحان بها. هذه المعتقدات ليست وليدة الأمس، ولن تتحقق غدا." /

لا يغفر لمن يسيئون. - هذا ما علمته أثناء تجاربي في الحياة.

نحن الشيوخ جننا إلى الدنيا بالأمس، فكيف نتبدل أعمارنا لنكون شباب اليوم؟ (أ. دي موسيه، روله)

الحب أن يكون غير معروف ومحل تقديره العدم (تقليد المسيح)

الإيمان والانتصارات. مؤتمرات حول أشهر من اعتنقوا ديانات أخرى في هذا القرن. (الطبعة ٣) عام ١٨٨٣. جزعين. وورد من بين هؤلاء أيضًا اسم فاتح الجزائر الشهير لامورسيير *La Morcière*. ومن هذا الأخير استحسن ذكر قوله الحكيم التالي (I. 381): "سيكون شينا كل ما يمكن لكل واحد أن يطلع لرؤيته عبر وادي يوشيا". وكذلك ما يكتبه كيلر *Keller* للمدافع عن المنشور البابوي (I. 433) يجوز للبعض أن يشير إليه: "إننى أرى بالفعل أن مؤامرة الصمت تحاك من حولك". يعتاد الناس هنا أن يقدموا في يوم الأحد ثمة حفلة موسيقية من محيط الغجر والمتسكعين كنوع من التسلية، بل إن المجلس المحلى يهتم بذلك لجذب الأجانب. أما اليوم فقد جاءت إلى هنا فرقتان موسيقيتان من هذه النوعية التابعة للنوادي: الأولى تسمى "فرقة البوق الكاثوليكية"، وهى من ناحية إيبريس *Ypres*، والثانية "النقابة الشعبية الكاثوليكية" من ناحية بروجس *Bruges*. من هنا نرى أنه حتى مجرد الاستمتاع الطاهر البريء للموسيقى قد تم استغلاله في خدمة إشعال نار

الكراهية والبغض الكاثوليكي للبشرية، وإلا فما علاقة الحركة الكاثوليكية بالصخب الإيقاعي! لقد قاموا صباح اليوم بعزف مقطوعة من موسيقى الفالس المعروفة باسم "طالب شحاذ" على آلات النفخ. وقد تحاشيت ما بها من عناصر كاثوليكية.

٢٥ أغسطس

لم أتوقف في تلك الأيام عن مواصلة قراءة الجزء الذى يحمل عنوان "العقيدة وانتصاراتها *La foi et ses victoires*". وفى ليلة شعرت فيها بالقلق عرجت على تصفح فى حوليات حياتى، واستحضرت فى مخيلتى أمام عيني الوشائج الحميمية التى عقدتها مع مرور سنوات عمرى. والسؤال الذى كان دائما يطرح نفسه: هل أنت نادم على أية خطيئة أو إثم ارتكبته؟ هل لديك أية ذنوب أو سيئات تؤلم ضميرك؟ إننى أمارس بنفسى نوعا من الاعتراف أمام ضميرى وأتمنى، منك، رحمة أبدية، والمغفرة عن كل ما ارتكبته من ذنوب، لكى أقف، أمامك، يوم الحساب الأعظم، نقيا وطاهرا.

أقرأوا الأخبار التى جاءتتى فى تلك الأيام من هاللى *Halle* وستفهمون السبب وراء دمار وتحطم نفسيتى الآن! /

٢٩ أغسطس

غادرت هايست *Heyst* وأحمل فى نفسى أفضل الانطباعات؛ وقضيت ليلتى فى بروجس *Bruges* التى شاهدت لساعات طوال ما بها من كنز لا يقدر بمال من آثار ونصب تذكارية وتماثيل فنية كنسية. وفى اليوم التالى

١٤٩

حضرت صلاة الصبح بكاتدرائية سانت سلفاتور؛ ثم تناولت الإفطار بأحد المطاعم الذى اتضح لى عند مشاهدته عن كثب أنه كازينو تابع لإحدى الجهات الكاثوليكية. مكتبة العروض الكاثوليكية.

قبل الظهر سافرت فى اتجاه أوستنده *Ostende*، حيث وجدت بودابست بأكملها مجتمعة بها، بدءا من رئيس الوزراء تشابارى *Szapáry* ^(١) إلى المرابى تافلر *Tafler*. لا شك أن اليهود الأغنياء يتحصلون على نسبة مقابل إقامة علاقات مشبوهة وفاسدة تدنس قدسية البحر وشاطئه فى منطقة أوستنده *Ostende*. وكذلك ابن عمى إدوارد *Eduard* ^(٢) مليونير بروكسل يسكن هنا بإحدى الفيلات الغناء مع عائلته، وقد أعرب أمامى عن وجهة نظر سافرة، وهى أن العلاقات فى هايست هابطة أخلاقيا. ولكن مع وصول كاوتش *Kautzsch* مساء يوم ٣١ اغتتمت الفرصة لأن أنأى بنفسى إلى حد ما فى التعامل مع هذه العصابة.

يوم ٢ سبتمبر

سافرنا والبحر عاصف بدرجة شديدة فى اتجاه دوفر *Dover* حتى وصلنا هناك وملابسا مبللة للغاية، ودون أن نمكث للراحة واصلنا رحلة سفرنا إلى لندن. أثناء وجودنا فى أوستنده *Ostende* كان قد عرض علينا السيد لويس فيلبرمان *Louis Felbermann* - وهو مدير تحرير مجلة *Life* - أن نقيم فى شقة أخيه، الدكتور هاينريش ف. *Heinrich F.* فى أسبوع

(١) الكونت تشابارى *J. Szapáry* (١٨٣٢-١٩٠٥) رئيس وزراء.

(٢) إيجناس جولنتسيهر (١٨٥٨-١٩٢٦).

المؤتمر. وقبلنا العرض بكل ترحاب، ولذلك أقمنا بالمسكن في غرف مريحة بالمنطقة الغربية الأنيقة كينسينجتون *Kensington* بطريق فيكتوريا رقم ٣٠. وانتهزنا وقت افتتاح المؤتمر في مشاهدة سلسلة من معالم لندن السياحية، ومن بينها كنيسة ويستمنستر التي تركت في نفسى مصدرا لانطباعات مقدسة للغاية. فعند المنبح العالى للسيد المسيح بالكنيسة ترى اليهودى، موضوعا للتعبد والتوسل، من بين آثار حركة التقوى لبنى إسرائيل. وقد شاهدنا المنبر المقام للملكة القيصرية الإنجليزية. وفي المتحف البريطانى عقدت أواصر التعارف الشخصي بمرجم اللغة الإنجليزية مارتينو *Martineau*^(١)، وهو رجل مسن متلثم في نطقه للألمانية. وإننى لأشعر بالحزن والكتابة لهذا الرياء والنفاق الذى تتجلى صورته أيام الأحاد. فلا يمكن لأحد أن يتناول كأسا من الجعة، بينما ترى في الوقت ذاته حثالة من النساء العاهرات يقمن في المكان نفسه بمعاكسة المارة بأفصح طرق اللاحياء.

في أمسية استقبال الترحيب (يوم ٤) وقد تعرفت في أبهاء فندق الأعضاء على بعض زملاء في مجال تخصصى ممن لم أتعرف عليهم حتى الآن بصفة شخصية. لقد تعرفت على فوللرس *Vollers*^(٢)، الذى طلب منى أنجيلو دى جوبرناتيس *Angelo de Gubernatis*^(٣) أن أطلق عليه وصف "صديقه". وتواجد أستاذ جامعى بالهند، الدكتور أرنولد *Dr. Arnold*، زميل

(١) ر. مارتينو *R. Martineau* مترجم الميثولوجيا بين العبرانيين وتطورها التاريخى (لندن ١٨٧٧؛ نيويورك ١٩٦٧).

(٢) ك. فوللرس *K. Vollers* (١٨٥٧-١٩٠٩) هو من خلف *Spitta* بالقاهرة، من عام ١٨٨٦ وحتى استدعائه إلى بينا *Jena* فى عام ١٨٩٦.

(٣) أنجيلو دى جوبرناتيس (١٨٤٠-١٩١٣) أستاذ الأدب الإيطالى بروما.

سيفيد أمير *Sejfid Amir*، وقدم لى المحاضرة التى يكتبها عند صدور الطبعة الإنجليزية لكتابى "دراسات محمدية". /

لقد ازداد تقاربى من روبرتسون سميث *Robertson Smith*، ولا عجب [١٥٠] كذلك فى استمرارية تزايد صلتى به، نظرا لقرابة أسلوب كل منا فى التفكير حيال أهم القضايا المتعلقة بدراسات علمية مشتركة.

فى يوم ٧ سبتمبر قمت بإلقاء محاضرتى فى قسم الساميات عن "صالح بن عبد القدوس والزندقة"، وهى التى شغلت فكرى أيضا عند استماعى لمحاضرات آخرين مع ملاحظات عارضة عليها. وفى ظل استمرار اتصالى بكاوتش *Kautzsch* - وهو إنسان رائع حقا، وتضاعفت درجة اقترابه من قلبى خلال تألمنا سويا بالصديق الذى صار فى حكم المفقود تقريبا - قمنا سويا أثناء أوقات فراغنا من العمل بزيارة كل ما أتيح لنا أن نخطف مشاهدته لعدد لا حصر له من المعالم السياحية. لقد اغتئنا الزمن بإخلاص مؤلم حتى كأنه ملكنا وحدنا دون غيرنا.

كان يوما العاشر والحادى عشر من سبتمبر هما أعظم يومين فى رحلتى إلى المؤتمر هذه المرة، فقد قام سميث بتوجيه الدعوة لى ولكاوتش فى البقاء، عقب الاستقبال الرسمى لأعضاء المؤتمر من قبل جامعة كامبريدج، لمدة يومين آخرين بين أحضان أسوار كلية المسيح *Christ College*، والاستمتاع بضيافة الجامعة الموقرة. وقد قبلنا أيضا الدعوة على الرحب والسعة. كان هذان اليومان من أبهج الأيام التى لا تنسى فى حضرة روبرتسون سميث، ذلك لأن الحديث فيما بيننا انتقل إلى مجال الدراسات العلمية التى تجمعنا سويا. وقد انجذبت إلى العالم الجليل بشدة من خلال ما

تتمتع به شخصيته في التعامل مع الآخر بقوة سحرية تقود إلى صداقة شخصية. كنا نتنقل عند تناول وجباتنا بين أروقة الكلية المختلفة التي استضافتنا. هكذا تعاقدت أواصر الصداقة فيما بيننا، ولكن أكثرها قيمة عندي تلك العلاقة النفسية الحميمة التي جمعتني مع عالم الساميات الجليل الشاب بيفان ^(١) Bevan من كلية ترينتي *Trinity College*. وأيضاً لم يمر وقت طويل على تعاملتي مع الباحث الشهير في مجال الطائفة البابية، مع إدوارد براون *Edward Browne* ^(٢)، وهو زميل كلية بيمبروك *Pembroke College*، إلا وقد شعرت بصداقة حميمة تجاهه. إن النسخة التي قدمها لي عن مؤلفه الخاص بهذه الطائفة لتعد بمثابة شهادة على سرعة عقد أواصر الصداقة فيما بيننا.

أيضاً اطلعت بصورة دقيقة على أحدث الكتب التي اقتنتها المكتبة، ومنها (كتاب الوصايا، وكتاب المعمرين، وأمثال المفضل، وتاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ دمشق لابن عساكر).

وفي خضم حديثي مع روبيرتسون سميث تبلورت أيضاً فكرة عمل موسوعة متخصصة عربية إسلامية، وكان من بواعث حماسي أن شرفت بأن أحظى بنصيب الأسد في تأليفها، فضلاً عن تكليفي برئاسة لجنة اشتركت في عضويتها عند تشكيلها من أجل تحقيق المشروع في القسم.

فمت- وتغمرني مشاعر جياشة - بتوديع أروقة الجامعة التي تترين جدرانها بتمائيل طلابها العظام، ومن بينهم نيوتن *Newton*، وميلتون *Milton*،

(١) بيفان *A. A. Bevan* (١٨٥٩-١٩٣٣) محاضر ومثمن مخطوطات بكامبريدج، وخبير ضليع في اللغة العربية.

(٢) براون *E. G. Browne* (١٨٦٢-١٩٢٦) أستاذ بكامبريدج، وقد كرس بحثه الرئيس لفقته اللغة الفارسية بصفته " أستاذ كرسى السير توماس آدمز للغة العربية ".

وداروين *Darwin*، وبينتلى *Bentley*. ولا تزال عظمة وحميمية معاشيات كامبريدج تستحوذ على نفسى، وأستحضرها حين يلحق بى الأذى فى مواقف حياتية مثيلة صادرة عن يهود بست *Pest*، المتفاخرين بكثرة أموالهم.

غادرت كامبريدج فى صبيحة يوم ١٢ لكى أسافر مباشرة لألحق بالجلسة الختامية. وفى المساء أقيمت وليمة. وبهذه المناسبة فوجئت بترتيب من نوع خاص فى الحفل -على شرفى- من الرئيس العام، السير جرانت دوف *Sir Grant Duff* ^(١)، بغرض تكريمى. وتوجب على أن أرد على وجه السرعة بأن هذا السلوك مـن الذكاء بحق- وذكرت ما يُذكر فى مثل هذه المواقف - استنادا إلى سفر التكوين 23:4. /

فى يوم ١٣ زيارة بأكسفورد. استقبلنى نيوباور *Neubauer* ^(٢) ومعى ١٥١ كاوتش بترحاب، وأعربنا عن شكرنا له على ما بذله من جهد ووقت فى مرافقتنا لكل معلم سياحي يستحق الزيارة بأكسفورد. فقد تمكنا من زيارة جميع الكليات وتأملنا بلهفة وسعادة الفن الهادىء والمريح للنفس الذى يعيش رجال العلم فى هذا البلد فى كنفه ويؤدون مهامهم. فى بلاط قصر بودليانا *Bodleyana* استحوذت على نفسى هواجس سيئة. انتابنى شعور أننى كإنسان مفجوع أسير خلف سيارة موتى تخصنى، كما لو أن نجما قد سقط من السماء واستقر عند قدمى. لقد بدا كل شيء أمام عينى كئييبا، واصلت سيرى بعد

(١) السير دوف *Sir M. E. Grant Duff* (١٨٤١-١٩١٥) رئيس وزراء، راجع (*I. Goldziher, Akad. Ért.*)

(III. 1892, p. 636

(٢) نيوباور *A. Neubauer* (١٨٤١-١٩١٥) مستشرق وكاتب ثبت مراجع بأكسفورد.

الظهر بنفس مثقلة، وإلى جوارى نيوباور الذى قادنا فى غير تبرم إلى ساحات الكليات الرحبة وإلى المنتزهات والحدائق الغناء. وفى يوم ١٤ سافرنا إلى سيدنهام Sydenham وقضينا ساعات طوالا بقصر الكريستال.

وفى يوم ١٥ تحركنا للرحيل من لندن، وتوقفنا أثناء السفر فى روشستر Rochster حيث دعانا شايه Cheyne^(١) لتناول الإفطار معه، ثم رحلة بحرية لطيفة. قضينا ليلتنا فى كولونيا Köln. وفى يوم ١٧ كانت إقامتنا فى فيينا Wien.

فى يوم ١٨ مساءً وصولى إلى عائلتى بعد فراق دام عشرة أسابيع. وفى صباح يوم ١٩ لقاء مع الكبير بولاك Polak.

٢٠ سبتمبر

كتب دافيد هاينريش موللر David Heinrich Müller، وهو اليهودى البولندى الأكثر انحطاطا وفسقا، تقريراً عن المؤتمر، نُشر فى N. Fr. Pr.، وعند كتابته للتقرير الخاص بقسمنا، ٣ ب، إنتهز الفرصة لأن يشرع فى تمجيد ذاته من بين السطور بأسلوب مقزز، وفى المقابل بلغت حقارته لدرجة عدم ذكره بأننى قمت بإلقاء محاضرة، على الرغم من أنه كان لى شرف أن أفتتح محاضرات قسمنا. وقد نصبت نفسى لأن أتصدى لهذا البطل المسكين القادم من تارنوبول Tarnopol بحملة تأديبية على فعله.

لهذا أسوق هنا الحديث الذى دار بينى وبين د. H. D. مساء يوم ٤ سبتمبر فى بهو استقبال فندق متروبول، بلندن، عشية يوم المؤتمر.

(١) Th. K. Cheyne (1841-1915) عالم لاهوتى بريطانى.

أنا: لا أملك إلا أن أهنتك كواحد من التلاميذ، مثل جاير Geyer. فبحثك على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لعلمنا.

د. ه.: حقا، هكذا هو وضعه الآن، بعد أن قمت بعمل تصحيحات عليه بأكمله.

أنا: ولكن كان لزاما عليك أيضا أن تقوم بتصحيح الأخطاء التي أشرت إليها في الترجمة. /

د. ه.: لا يستطيع أحد أن يرى كل شيء. ولكنني سرت في الأمر [١٥٢] هكذا مثلما فعل جاير، ولو أنه يعتبر نفسه دائما مستحيلا؛ أولا وقبل كل شيء إنني جعلت البحث محل إفادة. وقد كلفني الموضوع من الوقت أربعة عشر يوما. ولكنني ادخرت جهدي بشأن هوامش التصحيح! (وغد)

أنا: ... هكذا!

د. ه.: ولكنني سأمنحه درجة الأستاذية. وأنا الآن قمت بإعداد بعض الطلبة لدراسة موضوعات من الأدب العربي القديم. فهناك من سيتولى أمر نشر إحدى أراجيز العجاج وهكذا غيره. فما رأيك في ذلك؟

أنا: عظيم جدا!

فالرجل في كل مرة يستشرف أمره في البحث من المسكين جاير الذي يفهم في هذه الأمور أكثر من غيره، ثم يحتفظ الوغد لنفسه بهوامش التصحيح لاستغلالها في حالة الرفض. أف لكل أفاق من تارنوبول! لقد كان جلازر Glaser^(١) محقا تماما. فقد كان مشهد الحب المتبادل بين د. ه. وهوميل

(١) E. Glaser (١٨٥٥ - ١٩٠٨) مستعرب، ومدرس خاص بفيينا.

Hommel^(١) مؤثرا. وكل إنسان يتحلى بالأدب كان مشمئزاً. انظر كيف انتزع لنفسه بعد ذلك حق التحدث بلا توقف، وأن يوجه الشكر للرئيس، وأن يشرب نخب ما يقوله دون أن يطلب منه ذلك. كان لزاماً عليه بطبيعة الحال أن يستمر في نعيه لكي يبلغ عبر ما يقوله في الواقع بشكل شخصي للغاية إلى N. Fr. Pr. من الخير ألا يتعجبوا من معاداة السامية.

٣ أكتوبر

بصفتي مبعوثاً من قبل الأكاديمية المجرية إلى مؤتمر المستشرقين بلندن، قمت مساء اليوم بتلاوة تقريرى الذى كتبته عن سير هذا التجمع العلمى على الأكاديمية. وقد أعرب الحاضرون عن خالص إعجابهم بهذا البحث، الذى ينبغى أن أحقق فى إطاره نجاحاً، من حيث إبراز العديد من وجهات النظر على العموم وإلقاء الضوء على الأهمية الكبرى للدراسات الشرقية بالنسبة للتعليم. وسينشر البحث فى عدد نوفمبر الخاص بمقرر الأكاديمية^(٢) الذى يطلق عليه (tesitōÉ).

١٦ أكتوبر

لقد حقت كلمة النبی عاموس^(٣): **בְּשָׁעָא אֲדֹנִי יְהוָה בְּנַפְשׁוֹ، בָּאִם-יְהוָה אֶל־הִי צָבָאוֹת، מִתְאַבֵּ אֲנִי אֶת-גָּאוֹן יַעֲקֹב، וְאֶרְמֵנִי שְׁנֵאתִי** قد

(١) F. Hommel (١٨٥٥-١٩٣٦) عالم فى حضارة ولغات بلاد الرافدين الآشورية، وأستاذ بميونخ.

(٢) هيلر B. Heller: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٤٩.

(٣) سفر عاموس: ٦:٨.

أقسم السيد الرب: "إنى أكره عظمة يعقوب وأبغض قصوره". فما نطمح إليه هو أن نكون نحن أيضًا مثل الرب فى هذا الأمر: أن نكره ونبغض هذه العبودية للمال والتفاخر به، وهذه الخزائن المكدسة بالأموال التى تدعو للتكبر والتباهى بكثرتها، حيث إنها مهانة للجنس البشرى وعار عليه.

فهم محل تقدير واحترام. فهل يكونون هكذا دون ما يملكونه من حقائق أموال؟ إنهم يحقروننى ويضيقون على. فهل كانوا سيفعلون ذلك لو أننى - حاشا لله - كنت على شاكلتهم؟ وهل كان سيزداد تقدير وحب من يقدروننى ويحبوننى لو أننى كنت رجلا غنيا؟ / لا أعتقد ذلك. ولكن ما هو فى حكم ١٥٣ الشيء المؤكد بلا حدود، ولا أشك فيه لحظة: أن الرب قد أقسم بقوله: "إنى أكره عظمة يعقوب وأبغض قصوره". ولهذا فإننى عاقد العزم ما دمت حيا على أن أكره عظمة يعقوب وأبغض قصوره، بل وأمقتها أشد المقت.

وحين تعاودنى عدم قدرتى، مثلما أشعر بذلك فى هذه الأيام، فى أن يكون العمل والبحث هو شغلى الشاغل فى الحياة، فإن تلك الكراهية فى هذه الحالة ستكون مضمون نفسى، وهى بمثابة جناح سيحمل وجدانى عليه. وعلى هذا الجناح يمكننى أن أخلق فى السماء إلى حياة أكثر صفاء. إنه إحساس ملوث: الإحساس بالكُره؛ ولكنه يتخذ الشكل الذى أقترّب منه، فضيلة رفيعة. فناظم الترانيم يكره الكارهين للرب؛ وحتى أنا لن أدع حياتى تحجم عن ذلك طويلا.

كلفتى الأكاديمية بأن ألقى خطابا بمناسبة ذكرى رينان *Renan* الذى كان عضوا فخريا فى هيننتا. وشرعت فى جمع الأفكار الخاصة بهذا

الموضوع. وكان منتهى التعقل من جانبي أن أشرح من البداية أنني أخذت على عاتقي هذه المهمة بشرط أن يقتصر حديثي عن "رينان مستشرقاً"^(١) ولا أملك غير هذا. فليس من الخير أن أتعرض بالهجوم لرينان عند تكريمه بصفتي ناقدًا للأناجيل ومؤرخًا للبدايات المسيحية. وفي المقابل سيكون محل تقدير أن أنطرق في حديثي عنه إلى شخصيات مثل لو هير *Le Hire* وإلى كواترمير *Quatremère* وإلى بورنيف *Burnouf*، ولا أحتقئ به كأحد تلاميذ شتراوس *Strauss* وباور *Bauer*. ولا شك أنه كان يستحق ذلك، وإن كان هذا لا يروق أمره عند علماء توينجن.

إنني أعتبر نفسي محظوظًا أن أقرب- في خضم المحن التي مررت بها في حياتي- من كثير من الرجال العظام، فكم من رجل قابلته وجها لوجه، وكم من حديث استمعت إليه لكثيرين. إنني أتذكر الآن لقائي مع رينان المحفور في ذاكرتي، في عام ١٨٨٤.

١٧ أكتوبر

أشعر بأنني مريض بكل تأكيد. فبقدر ما أوتيت من قوة حققتها لذاتي، أسيطر من جديد على الكآبة التي تتزايد درجة استهدافها نحوي، وتجبرني على أن أتحمل بشاعة العمل وما فرض على حياتي من أمور. ولكن هذا الإجبار ليس طبيعيًا في شيء، فهناك شعاع أمل يتسرب في خفاء إلى روحي. كما لو أن الأمر سيصير إلى الأحسن، لعله يتحتم ذلك! ولكن أليس من الحماقة الجميلة أننا لا نزال نعقد الأمل في حياتنا؟

(١) هيلر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٦٦.

٢٤ أكتوبر

مساء اليوم ألقى محاضرة بمناسبة مباشرة عملي عضوا عاملاً بالأكاديمية. وقد حصدت بالفعل إعجاباً مشرفاً. وانطلقت أقلام أفضل أدباء وطننا بالإطراء والتمجيد لشخصي، حين نجحت في تطويع وقهر مانتى العلمية الجافة أسلوبياً، حيث إن موضوعها متخصص.

يدعى الكبير بولاك *Polak* منذ تسع سنوات أننى غير قادر على كتابة خطاب رسمى على نحو مناسب، ويبدو أن الكبير بولاك هو الذى يفهم فى هذه الأشياء أكثر من غيره، أكثر من أدباء نصفى الكرة الأرضية... فهو يملك زكية أموال. /

٢٥ أكتوبر

١٥٤ تلقيت اليوم رجاءً من موسوعة باريس الكبرى *Pariser Grand*

:Encyclopédie

بأن أرسل إليها بيانات سيرتى الذاتية الحية. "ومن بين مجالات الموسوعة إدراج السيرة الذاتية لأية شخصية اكتسب اسمها شهرة، وبغض النظر عن البلد الذى تنتمى إليه". وربما على هدى هذا الطريق يمكن أيضاً "ليهود بودابست" أن يشبعوا فضولهم، حال رغبتهم ذات يوم بعد وفاتى فى معرفة من قاموا باضطهادى وإهانتى.

٣١ أكتوبر

حمل آخر أخ على قيد الحياة من أبى رحمة الله عليه، إسحاق *Isak*، إلى مثواه الأخير. فهل بذلك الحدث ستتقطع إلى الأبد العروة المفككة منذ زمن طويل التى كانت تربطنى بالعائلة؟ لقد كان أهل هذه العائلة يستقبلون

أفراحي وأتراحي بلا مبالاة واضحة، كما أن أمي أسقطتهم من حساباتها. لقد وقفوا تجاهي في أشد أزमत حياتي كالغرباء الذين لا تربطهم بي صلة. أما وقت أحداث الفرح والسرور التي سمح لي بها الزمان، وهي نادرة، فكانوا أكثر انزعاجا، واستقبلوها ببرود تام تميزوا به. لقد كان أيضا فيلهم باخر *Wilhelm Bacher* يعيش في قلب العائلة. وأقسم بربي أنه لم يكن لي أي دخل في هذا الشأن من السلوك. وكيف لهم أن يهتموا بشئوني؟ فماذا كان بوسعي أن أحققه لهم من منافع؟

في اليوم ذاته تأسست مدرسة يهودية جديدة في المدينة الصغيرة لمسقط رأسي، وكان ينبغي على أن أسافر إلى هناك لحضور تكشينها؛ ولكن حالت بيني وبين السفر جنازة عمي، وكان من الضروري أن أبعث بتلغراف كترجمة حقيقية للتعبير عن مشاركتي لهم بحق^(١)، وإحساسي أنني كنت بالفعل مشاركا لهم اعتذارا وتعبيرا.

٦ نوفمبر

ألقيت مساء اليوم محاضرة حرة بالمجمع الإثنوجرافي عن "العلاقات الإثنوجرافية لعلم الأديان المقارن"؛ وهي تقديم استهلاكي لمحاضرات هيبيرت *Hibbert*، التي كان بوسعي أن ألقياها. ولكن كيف يتأتى ذلك ليهودي مجري مثلي.

٧ نوفمبر

لقد اختاروا الآن من جديد مجلس الأمناء. إنهم نفس المحكمين. فقد كان بولاك مريضاً ولم يتمكن من الحضور بشحمه ولحمه لكي يلقي علينا

(١) أ. شرايبر *A. Schreiber*: الكتاب التذكاري لإجناس جولدتسيهر، ج. II القدس ١٩٥٨، ص

خطاب الجلوس على العرش. ولكن، وكما سمعت، أن الناس قد هلّوا بالفرحة لتغيّبه. ولماذا لا يهلل هؤلاء اليهود بغياب وغد لا يملك سوى الذهب والفضة. استمروا في فرحتكم؛ فأنتم تستحقون التقدير التام عنه!

١١ نوفمبر

لا يزال بولاك مريضاً. هذا الموقف الحزين أتاح الفرصة أمامي لأن أكتب بعض المقالات من وقت لآخر، وعقدت العزم على أن أبعث بها إلى مجلة متخصصة في / علم الحضارة الآشورية *Assyriologie*^(١)، وهي ١٥٥ جلوبوس *Globus*^(٢)، وأخرى عن فلسطين^(٣). ثلاث مقالات في أربعة أيام، الهناء والفرحة تعم هذه الليالي.

٢٧ نوفمبر

في الليلة السابقة (يوم ٢٦ من نوفمبر) توفي موريتس فارمان *Moritz Wahrmann* على إثر نوبة قلبية، لم تصبه من قبل - فيما سمعت. واستعد اليهود أن يكرموا بنعيه على الطريقة البيزنطية. وسوف يعذبونني بذلك الأسلوب في مثواي الأخير، ولكن لعل ذلك يكون آخر عذاب يلحق بي من قبل موريتس فارمان هذا، على مر عقد من الزمان! لقد كانت أياماً مؤسفة ومؤلمة لنفسى، تلك التي كان هذا الإنسان من ورائها. فلم يترك أية كلمة نابية ولا مهانة ولا إهانة ليقوم بتوجيهها لشخصي. لقد أرسله الله إلى ليكون

(١) هيلر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٥٦.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٦٢.

(٣) نفس المرجع السابق، رقم ١٧٨.

بمثابة سباطا لتعذيبى، ولكى يختبر مدى تمسكى بشعارى فى الحياة "الصبر
مفتاح الفرّج" فى ظل الأوضاع المحزنة التى جلبها على هذا الإنسان.

٣٠ نوفمبر

كَمْ لا حصر له من المكاتبات والتلغرافات والجلسات وتسجيلات
لمحاضر تكريما للمتوفى الكبير. إنها الاحتفاليات الأخيرة التى يمكن أن
تُسدّى إليه فى تأبينه وتكريمه، وهى العذابات الأخيرة التى يعدها لى، بل إن
الجنّازة المهيبة أهلكتنى، فقد استمعت إلى جميع الخطب التى برهنت على
مدى الفداحة التى لحقت بالعالم بفقدان هذا الإنسان الفريد والأصيل والطيب
والذى لا يُعوض!

٣٠ ديسمبر

فى يوم ٢٨ ديسمبر أقامت الجالية اليهودية المحلية "صلاة الجنّازة"
على روح الفقيد فارمان، وبحضور كل من كريتي *Krethi* وبليتي *Plethi*^(١)،
نكون قد بلغنا نهاية مشهد المراسيم البيزنطية التى مورست على مدار خمسة
أسابيع مع جثمان مليونير سيئ السمعة؛ إلا أنا، فقد وجب علىّ مرة أخرى أن
أساير التباكى عليه على ظهر جبل الجلجلة وفى التقرير السنوى بالتغنّى
بإحدى الترنيمات التى تتلى على جثمان الرجل العظيم الذى أباد ودمر حياتى
الداخلية والخارجية بطريقة مخيفة، على مدار عقد كامل من الزمان - وهى
أعلى حقبة زمنية فى سنوات عمرى، (من ٣٣ إلى ٤٢ عاما). لا شك أنه

(١) II. Sam. VIII. 18

حتمًا، كما يقولون، كان رجل خزانة عظيمًا. ويبرهن على ذلك الملايين التي اكتسبها والصحف التي تدعى ذلك. وهناك صحف ويهود آخرون يتحدثون عن فكره "اليهودي" وعن الاتجاه الديني الذي قاد به قبل -عقد من الزمان- الجالية اليهودية التي كان يتهدها الخطر وأنقذها من الضياع. وبالتالي هو الإنسان نفسه الذي رفض بازدراء - قبل عقد من الزمان- المشاركة في أمور هذه الجالية، ثم قبل بعدها منصب أحد المحكمين لكي ينقذ سمعته ويسترجع شعبيته التي أخذت في الذبول والترنح، ويجعل عالم المسيحية / يقتنع بأنه سيحقق إفادة بهذه الصفة تعلو عن إرادة ستمائة ألف شخص. فأى [١٥٦] نوع من الشجاعة يندرج تحت ما هو "يهودي" وما هو "ديني" لأن نتحدث عن مسيرة حياة انقضت لإنسان تستوجب سيرته البذنية والفاضة أن تستدعي الحكم عليها باللعنات حتى وإن كان واعظًا، إذ كان منحلاً، كما تستوجب قسوته وغلاظة قلبه ووحشيته الحيوانية.. أن يتأفف ويخل منها أى رجل لديه كرامة وشرف. وملخص القول، لقد كان خبيراً بالماليات مهماً، ولكنه شخص حقير ومرعب، مولع بالمجد والحظوة، صائد للأموال، ذو طبيعة سوقية، ونفس موحلة، ووجدان ملوث.

ولا يسعنى إلا أن أترك لذكراه بعض الأعمال الجليلة التي يجب أن يعترف لى بها كل خبير على خلق ملم بالعلاقات. والواقع أنني قمت "بنفسي" فى عام ١٨٧٦ بتطهير إسطنبول أوجياس التابع لإدارة الجالية؛ كما أنني لعبت دوراً مؤثراً فى إدخال اللغة المجرية إلى لغة الجالية. هذا فضلاً عن أن إدخال الإصلاح على درس الدين هو بأكمله من عملى، نعم هو صنيعى وحدى دون غيرى. وفرض على أن اكتشفت وأنا اناضل -من أجل بلوغ

مأربى- كتابا مقدسا ولغة يهودية لشباب الجالية اليهودية البودابستية. وعليه فإن هناك أعمالا أخرى جلييلة لأناس آخرين فى هذا المضمار، حتما سوف يبخس بجميل أصحابها، أنكر منها على وجه الخصوص حق صمويل دويتش^(١) من أن يجنى ثمار شهرته بوضع إكليل من منات الزهور على قبره يمنحه إياه الشعب اليهودى الكنود، كما يفعل مع ذلك المغرور بأمواله الذى نضح بفكره اليهودى السيء على الدوام، وترك أثره يتغلغل، على الأخص، فى تربية ولديه، خوفنى وبينخاس *Chofni und Pinchas*^(٢). وما كل ذلك إلا بمثابة اللحظة المناسبة لتقييم حقيقة موزيس فارمان *Moses Wahrmann* إنسانا ويهوديا. أيضا هذه صفحة تدفع بمن أضفوا عليه شعارات مثل "اليهودى العظيم"، و"أول يهودى مجرى" (كما يحلو للبعض دائما أن يطلقوا عليه ذلك) إلى حافة الشك، لعلها تبلغ المراد منها إذ ذاك، لو أنها وقعت فى أياد شرفاء، وتساعد على كشف قناع الكذب عن ذكرى سيطوبها الزمان لمثل هذا الإنسان الشرير، ولمن يمنحونه بعد رحيله شعارات من طراز "المثالية وطيبة القلب"^(٣)!. على أننى أعتقد أن ذلك سيحدث أيضا يوما ما بدون هذه الصفحة. ورغم ذلك، فإننى لا أرى أن أختتم بهذه الكلمات عام ١٨٩٢. والأفضل لى أن أوجه عنايتى إلى تقرير البروفيسور باسيه *Basset*^(٣) بالدراسات الشرقية عن السنوات الخمس من ١٨٨٧ وحتى ١٨٩١. ونقرأ فى

(١) صمويل دويتش *Samuel Deutsch* (١٨٣٠-١٩١٦) هو نائب رئيس للجالية الإسرائيلية فى

بست *Pest*

(٢) *I. Sam. II. 34*

(٣) ر. باسيه *R. Basset* (١٨٥٥-١٩٢٤) مستعرب، أستاذ ومدير المدرسة العليا للآداب بالجزائر.

هذا التقرير ما يقوله العلماء الفرنسيون عما أنجزته في تلك الفترة الزمنية. وقد تم إلحاق هذا العدد بمكتبتي (بالملزمة الخاصة بالتقارير السنوية). ويمكن العثور عليه هناك بسهولة والاستعانة به عند تكريمي بعد وفاتي. وأما الأعمال النقدية فقد نتج عنها بعض كلمات مشرقة خاصة بالدراسات المحمدية. وكل ذلك لا يجعلني أشعر بالغرور بنفسى، ولكن من الممكن أن يواسينى على ما ألقاه من دلائل لا تنقطع للتكرار بشخصى وعدم تقديرى بما ينبغى، والتى كرسست نفسى للتصدي لها هنا على أثر التقاليد الجميلة التى يهيمن عليها ذلك البولندى. /

١٥٧

١٨٩٣

٣ يناير

تلقيت تهانى وأمنيات حسنة من جميع الأطراف بمناسبة العام الجديد. وقد أرسل لى فى الوقت ذاته كل من نولدكه *Nöldeke* وكاوتش *Kautzsch* صورا فوتوغرافية لهما. إننى لا أرغب مطلقا أن يكون الحطينة صديقا لى فى العام الجديد، وأعتقد أملى على أن يشرق فجر جديد لحياة أفضل، كما أتمنى أن تبدأ صفحة جديدة فى هذا العام ذاته.

٦ يناير

كيف يعبر جوته عن لسان حالى؟

آه لقلبى! ورب الفن من الوحي يحرمنى ويمتنع

ويا ويح فنى أن تجيش خواطرى فأختلق وأصطنع

١٥ يناير

فى احتفالية كبرى قام اليهود فى ظهيرة اليوم باختيار المحكم الجديد. لم يكن الأمر على أقل تقدير ذا صلة بالسياسة، حتى وإن وقع الاختيار على أحد التجار اليهود الأثرياء^(١). ولعله لا يؤيد نفسه فى هذه الصفحات؛ وقد وعدنى على هامش أول حديث عارض لى معه "ألا يجعلنى أشعر مطلقا بما قد يعتريه من تقلبات الأهواء".

١٩ إبريل

فيزى جيارمات *Füzes Gyarmat*

هنا احتفلت اليوم بذكرى وفاة والدتى المرحومة فى جو من العبادة الهادئة، وعلى وعى بأننى حين أتوجه إليها فى ذكراها، فإننى أقدم إليها البر والتقوى، وذلك حين أسافر إلى حفيدتها المتزوجة فى هذه البلدة. فقد اشتاقت نفسى لزيارة ابنة أختى بيلا *Bella* فى مسكنها، حيث صارت دكتورة ووالدة لروبرت الصغير.

٢١ إبريل

بودابست. قضيت يوما لطيفا فى فيزى جيارمات *Füzes Gyarmat*، وأما رحلة العودة فقد كانت- مع إغفالى لرحلة متعبة بالقطار المحلى عبر جيوما *Gyoma*، حتى منتصف المسافة- بصحبة الثرى السيد بيلليستر *Pillitzer*، الذى ألقى بسيارته حتى كارتشاك *Karczag*، حيث أخذت القطار

(١) كونه *S. Kohner* هو رئيس الجالية الإسرائيلية فى بست *Pest*.

السريع لأصل إلى هنا. وقد شعرت بالسعادة من قيامي بهذه الرحلة، فضلا عن شعوري بالرضا والارتياح النفسى من جراء ما قدمته لأمى الطيبة التى هى بين يدى الرب من فرحة بزيارتها. ولعلها تدعو لنا جميعا عند رب العزة، وتتوسل لنا عند عرشه. إننا فى أشد الحاجة لهذا الدعاء حيث إن الأخطار والشُرور تحيط بنا من كل جانب. /

٩ مايو

١٥٨

اليوم يوافق الذكرى السنوية لوفاة والدى المرحوم. فقبل ١٩ عاما وقفت أمام نعشه منكسرا على رفاتهِ وروحه، وارتسمت صورة حزينة لمستقبلى أمام عينيّ. فقد تخيلت آنذاك أنه سيكون أكثر سوءا عما صار إليه. ولكن أى تجارب خرجت بها من تلك السنوات التسع عشرة! إننى لم أظفر منها سوى بآمال خادعة، وكراهية لأصدقائى، واحتقار لكل ألوان الشر، وسوء تقدير، وكبتا، ونية سيئة واجهت طموحاتى، واستشهاد غير مسبوق فى سبيل دينى من جراء ما ألحقه من عذاب من بنى عقيدتى، وتعذيب وتنكيل معنوي، وأيضًا بعض من الشهرة، وبعض من الشرف والكرامة، ليس من قبل بنى عقيدتى الذين ضنوا علىّ بذلك، رغم أننى لم أنتظر منهم ولم أسع إليهم من أجل أى شىء من هذا القبيل. فكل شىء غير مستوجب، الكراهية والشرف! إن كراهية الأشرار نجاح لحياتى؛ وكل شرف نلته فى حياتى سيكون فيما بعد حصادا لأولادى فحسب!

هناك أيضًا حدث جدير بتدبره قمت بالمشاركة فيه، واستحوذ على بداية هذا الشهر. فلم يذكر على تلك الصفحات التذكارية اسم كارمان

Kármán إلا مرة واحدة، والحقيقة أن حامل هذا الاسم يستحق الذكر على الدوام باعتباره متبرعا بالعطايا، ومزكيا للخيرات، وقد أعربت له بالشكر عنها في الإهداء الخاص بكتابي "الإيمان بالمعجزات *Mythos*". وقد استمرت صلتى به منذ ذلك الوقت دونما شائبة تشوبها. وقد تعرض كارمان هو الآخر للازدراء وللنبذ، وأن يكون أحد المغضوب عليهم. فالمسيحية لا تغفر له أنه يهودى، كما أن اليهود لا يغفرون له أنه يلعن الكذب الذى يحيا عليه هؤلاء القوم الكاذبون، لأنه لا يخشى فى الحق لومة لائم. إن هذا الإنسان صاحب المعدن الأصيل يعمل بنجاح كبير منذ ٢٥ عاما وحتى الآن فى مجال التدريس، وهو، مثله مثل أى إنسان شريف، لم يشاهد مطلقا فى حياته ثمرة واحدة لعطائه فى الدنيا. وقد أعرب بعض أصدقائه عن شعورهم بأنهم مدينون لهذا الرجل النادر بالتكريم. لهذا فقد عقدنا جميعا العزم على فعل ذلك فى منتهى الهدوء، وأن نقوم بتكريم كرمان بمناسبة مرور ٢٥ عاما على نشاطه فى العمل العام، بأن نقدم له هدية تكريم تقدر بعشرة آلاف ريال هولندى. وقد تم تكليفى بأن أتولى تسليم الإنسان المتميز هذه الهدية الرمزية فى اليوم السادس من هذا الشهر اعترافا له بالتقدير والاحترام.

١٣ مايو

علمت اليوم من خطابات دوكا ^(١) *Duka* بلندن، وبراون *Browne* بكامبريدج، أنه وقع اختيار الجمعية الملكية الآسيوية بلندن *Royal Asiatic*

(١) ت. دوكا *T. Duka* (١٨٢٥ - ١٩٠٨) طبيب وعالم فى لندن، ومؤلف "حياة وأعمال ألكسندر كسوما دى كوروس *Life and Works of Alexander Csoma de Kőrös*" (لندن ١٨٨٥).

Society على شخصى لأكون عضوا شرفيا بها. والحق أن هذا الامتياز الشرفى لرجل يقوم على خدمة الجالية اليهودية، إنما هو دليل على الاعتراف بجهودى ومأربى الطموحة، وهو ما جعلنى أشعر طوال هذا اليوم براحة نفسية حسنة، وأننى سأبدأ مع تقدم عمرى فى جنى ما حصدته، وأن مثل هذه الأفعال لها أثرها فى نفسى، تماما كأن هناك من يدللنى ويربت على كنفى.

سألتنى إحدى الشابات اليهوديات فى منتهى الجدية: "هل قمت بكتابة التماس اختياركم باللغة الإنجليزية"، وتبعتهما أختها بالسؤال: وهل الحديث الجارى فى "الجريدة المسائية *Abendblatt*" يتعلق بالفعل بهذا التعيين"؟. /

١٥٩

١٤ مايو

انتهيت اليوم من كتابة بحث صغير عن "سكينة فى المراجع الإسلامية، وسأقوم بإرسال هذا البحث إلى المجلة المتخصصة فى تاريخ الأديان^(١) *Revue de l'histoire de Religions*". كما كتبت اليوم - نزولا على إلحاح من رئيس تحرير إحدى الدوريات اليهودية ربع السنوية - مقالا يحمل عنوان: "إن هود والحي اليهودى بدمشق فى القرن ١٣ *Ibn Hūd und das Judenviertel-Damaskus im XIII. Jhd.*"^(٢).

١٦ مايو

ذكرى عيد ميلاد شقيقتي المرحومة.

فى اجتماع لجنة الجالية اليهودية مساء اليوم، أعرب المجتمعون عن تهنئتهم لى فى محضر الجلسة عن الامتياز العظيم الذى نلته. وذكر

(١) هيلار *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٦٤.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٧٢.

الحاضرون بالجالية جميعا أنه ينبغي، بل ويتحتم عليهم - كما ترغب الجالية الآن- أن يفتخروا بذلك الحدث. قبل تلك الثثرة مباشرة كان من الضروري على أن أقرأ عليهم المحاضر وقوائم الأسماء الخاصة بهم. بعد ذلك قاموا بتهنئتي بصرامة لا تمت للاحترام والوقار بشيء.

شرعت في كتابة مقالى عن "رينان مستشرقاً"، وقد استحوذ الموضوع على فكرى، وكان له فى نفسى قوة جاذبة شديدة، إذ إننى - خلال يومين فقط- قمت برسم الخطوط العريضة لفصلين وهما: أ) رينان أستاذاً جامعياً، ب) رينان ناقدًا للكتاب المقدس. ولا تزال هناك أشياء كثيرة تتقضى. فالرجل لديه وجهات نظر بالغة الصحة بشأن إسرائيل "وليدة الوقت الراهن". ويمكن القول إنه أخطر معاد للسامية، لأنه على حق فيما يقوله؛ وخطورته تكمن فقط فى أنه على حق، ولا يمكن أن ينازعه أحد فيما بلغه. فالعبرة المتحذقة المتأنقة هى للحظة الآتية، كما أنها للغوغاء. والشرفاء من الناس لا يصنعون عبارات، كما أن الحقائق لا تفند بالعبارات أبداً.

٢٠ يونيو

اضطرت أن أستغنى لبضعة أيام عن استخدام يدى اليمنى التى تكوّن بها خراج مؤلم بدرجة مزعجة تطلب ضرورة التدخل الجراحى، أعقبه فترة علاج اختلست من وقتى أسبوعاً كاملاً. وقد عدت بهذا السقم من فيينا، حيث أقمت بها فى الفترة من ٢٣ وحتى ٢٨ من مايو بمناسبة اجتماع فقهاء اللغة الألمانية والمدرسين. وقد تطلعت بخاصة إلى أن اغتنام فرصة سفرى لفيينا لأن ألتقى كاوتش *Kautzsch*؛ إلا أن هذا اللقاء لم يتم. فى المقابل تقابلت مع هوميل *Hommel* من ميونيخ، وجرونرت *Grünert* من براغ^(١). أيضاً شارك

(١) م. جرونرت *M. Grünert* (١٨٤٩ - ١٩٢٩) مستعرب.

الاجتماع عدد غير قليل - ربما عشرين شخصا- من أهل بلدى، ومنهم من حضر بصفة رسمية. وقد تباينت مشاعرهم من فرد لآخر عند الشروع فى تشكيل الأقسام، وبخاصة حين وقع الاختيار "على" لأن أكون الرئيس الأول لقسم الشرقيات. هذا رغم أن القسم الشرقي الخاص باجتماعات فقهاء اللغة لا يعنى الكثير، حيث إنه فقد أهميته بشكل مطرد منذ أن صارت مؤتمرات المستشرقين / مستقلة بذاتها؛ بل إن الاجتماع العام "لمجمع الشرقيات الألمانية" ١٦٠ *D.M.G.* ذاته الذى كانت تجرى أحداث جلساته فى سنواته الأولى بداخل القسم الشرقي لمؤتمر فقهاء اللغة، قد انفصل هو الآخر شيئا فشيئا عنه. وعلى أية حال، فإن دعوة القسم لأن أكون على رأس المائدة، حملت فى دلالتها معانى التقدير والاحترام. فضلا عن أن هناك من راح يجاملنى بقوله لى: إننى قد ترأست جلسة إدارة الحديث بكل أدب واقتدار، وقمت بتلخيص حصاد الأنشطة فى الكلمة الختامية بأسلوب رقيق. أما النقطة المضيئة بالنسبة لى فى هذه الاحتفاليات فبينما فقد تمثلت فى تقاربى من شخص جوستاف بيكل *Gustav Bickell*^(١) الذى تعرفت عليه بشكل شخصى فى مؤتمر المستشرقين لعام ١٨٨٦. فهذا الكاهن الكاثوليكي قد فتح عينى على روح أصيلة مليئة بالحقيقة والانسجام، وهو إنسان يحقق انتصارا دون الدخول فى حرب؛ وهو الذى - حين انحسر فى جماعة اليسوعيين لمدرسة اللاهوت بمدينة إنسبروك *Innsbruck* - عمل على نقاء وصفاء جوهره العلمى والدينى؛ وهو نموذج مشرق لعدم قهر الوعى العلمى، وليس مجرد إنكاره، حين يتبحر فى الدين. كم هو جميل ومؤدب مثل هذا الضمير لأحد رجال ديننا اليهودى ومعلمى اللاهوت. وقد تعاملت أيضا مع رجال الدين اليهود

(١) بيكل *G. W. H. Bickell* عالم للسريرية والعبرية، وكان له دور مؤثر فى عمله بجامعة إنسبروك وفينا.

بفينا، ومن خلال مراسلاتي مع الدكتور يلينيك *Dr. Jelinek*^(١) تكشفت لي دواخل مسألة محددة، وصرت على قناعة بوجود فساد داخلي وخلاعة لهذه الطبقة الفاسقة من بنى عقيدتي. والآن ينضم إلى صفوفهم في وقار البروفيسور دافيد هاينريش م. *David Heinrich M.* الذي وطد نفسه لأن يكون بمثابة خادم للمعبد من أجل المال. وما عليكم إلا أن تقوموا بخدش السطح العلوي من طبقة الجلد الخارجية فقط عند هذا الرجل المسكين من أساتذة الجامعات^(٢)، وإلا سنلتقي في أقرب وقت أمام قضاء تارنبول. فمن التعاسة وسوء الحظ أن يكون لدينا مثل هؤلاء الأفراد منعدمي الشخصية، حتى نستحضر "فترة ازدهار" الديانة اليهودية مع نهاية القرن ١٩.

أخيرا يعقد يهود المؤتمر العزم على تأسيس منتدى الأدب اليهودي الذي تحمست وناديت بفكرته قبل ٨ سنوات^(٣). فقد استولت الآن على الفكرة الجيدة شلة لا علاقة لي بها لأسباب تتعلق بقواعد الأدب واللياقة. فالشلة لم تنتظر مطلقا أن أشرح لها هذا الأمر، وشرعوا بمبادرة خاصة بهم في... فصلى، ولهم الحق فيما أقدموا عليه. فكم من مرة قمت بفضح يهود المجر، وأنهم على حق في أنهم ببساطة قد قاموا بطردى. ويكفى تسجيل هذه الحقيقة هنا في بساطة مجردة من كل شيء؛ إن من يقرأ هذه السطور سيعلم - من تلقاء ذاته - ما العواقب التي ستترتب على علاقاتنا اليهودية العامة.

إحافا بخبراتي وتجاربي أثناء وجودي بفينا تعين على أن أسجل التاريخ المهم التالي في سيرة حياتي. في مساء يوم ٢٣ مايو أخبرني البروفيسور بيكل *Bickell* بشرط توخي التكتّم والسرية إلى أبعد الحدود، ما هو

(١) أ. يلينيك *A. Jelinek* (١٨٢٠ - ١٨٩٣) حاخام بفينا وعالم.

(٢) عملا بالمثل القائل *Grattez le Russe et vous trouverez le Tatar*.

(٣) هيلر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ٢٢١.

آت. فى عام ١٨٩٠ أقام بيكل لأغراض علمية بإنجلترا وتعامل هناك مع أحد آباء اليسوعيين الموسوعيين، وهو العالم الشهير فى "علم الآشوريات" / شتراسماير *Strassmaier*^(١)، والذي شارك فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد باستوكهولم عام ١٨٨٩. وقد صاح شتراسماير فى وجه الكاهن الكاثولوكى بيكل متبجحا، ناطقا بالحقيقة التالى ذكرها. كان صاحب الجلالة ملك السويد والنرويج قد أعرب أثناء انعقاد مؤتمر استوكهولم عن نيته العاقد العزم عليها فى أن يستبقينى (G. I.) بالسويد ويقوم بتعيينى أستاذًا بالجامعة. وقد اعتبر الآب اليسوعى من خصوصيات مهامه كآب لليسوعيين هو أن يجمع ما بين ما أولاه الرب من شرف عظيم (*ad maiorem Dei gloriam*) وأية عناصر تنتمى للوثر، وأن هذا التعيين الثقاف على إرادة الرب على طريق الدسيسة والتآمر. تلك على وجه التقريب علاقة بيكل التى واكبها مع إبداء ملاحظات تحقق له كل معانى الشرف.

وبالتالى إذا اعتبر آب اليسوعيين أنه من الأهمية أن يحبط محاولة هذا التعيين وفقا لمصلحة مسيحية فما هى المصلحة اليهودية فى استخدام يهود المؤتمر لكل ما لديهم من أدوات لإحباط تكريم من يلحقون به كل ما يمكن تصوره من ألوان العذاب والذل والخزى والفضيحة منذ ١٨ عاما، وأن إهانته وتحقيره أحد أهم الأولويات الحزبية فى المؤتمر. كان من المفترض أن يسافر صديقى د. جوزيف سيمون *Dr. Josef Simon* إلى إنجلترا لكى يبرم مع الآب شتراسماير تحالف حماية ودفاع بهدف تثبيت وتدعيم كامل لهذا الشخص المدعو جولدنتسيهر الذى لا يبتغى شيئا آخر على الإطلاق سوى أن يبقى حتى نهاية أجله فى الحياة إنسانا "مكرما".

(١) *I.N. Strassmaier* مؤلف كتاب "الآلهة الآشورية والبابلية" *The Assyrian and Babylonian*

"Gods." (لندن ١٨٧٩)

جاء اليوم الأول من شهر يوليو فى هذا العام (سبت بالاق؛ سفر العدد: ٢٢:٤٠) بالسرور على نفسى بحلول أحد أعياد البهجة والمسرة الجديرة بالتذكر بشكل خاص. فقد توافق تاريخه حلول نفس اليوم بعد مرور ثلاثين عاما لاحتفالى بعيد البار متسفا. فقد فكرت- بمناسبة هذا اليوم المهم للغاية فى ذاكرتى التاريخية وحتى نهاية عمرى، والذى أحيا حياتى بتزودى بقوة حمايته لى- أن أحتفى به بكل ما أملك من وقار، عندما أقوم بإحضار ولدى فى هذا اليوم إلى مسقط رأسى، شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* لكى نقيم معا هنا احتفالنا بعيد البار متسفا. وهكذا أقوم بتبليغ أبنائى كل ما يتصل بى من تقاليد خاصة بطفولتى وعقيدتى وما أحبه وما أبغضه، لعلمهم، كما أسير على هذا الدرب، يغيرون مسيرة الحياة، عملا بكلمة السر التى قالها ميخا: ٦:٨. كان وقع هذا اليوم أكثر سعادة فى نفسى، كما كان كذلك بالنسبة لزوجتى لورا *Laura*، وسمت فرحتنا بمشاركة أصدقاء أعزاء علينا من قريب وبعيد. لقد عشت ثلاثين عاما بأكملها فى عيدى البار متسفا، إنه الواقع الأسسمى لحياتى، ولهذا فقد استطعت أن أشعر به على أنه أمس الذى لا ينفصل عن تقلبات الحياة، ومع شبيبة شعرى وقفت فى المعبد بإحساس يرتبط ارتباطا مباشرا بعيد البار متسفا. وقام ابنى كارل *Karl* بقراءة خاتمة التوراة، ثملقى ابنى ماكس *Max* خطبة مليئة بالمشاعر فى المنزل اللطيف بفيرتهايم *Wertheim*، فكل منهما يعتبر هذا العيد ملكاً لهما، وسيبقى فى ذاكرتهما على أنه عيد صداقة والدين غادرا الدنيا. وجاءت مكافأة الجالية بأكملها لشخصى من خلال تقديم دلائل / على تعاطفها وحبها لى. لقد كانت لحظة مضيئة فى ظلمة هذه الحياة.

٣ أغسطس

براسو Brassó

عقب انتهاء الأيام المباركة التي قضيناها بشتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* تهيأنا لاستقبال أجواء الصيف المنعشة. كان على أن أنتهى مسبقا من بعض الأشياء في بودابست. ولن أنكر منها سوى خطاب السيد الدكتور فرانس ميتساي *Dr. Franz Mezey* الذي يركز مضمونه على أكنوية لا تتم إلا عن وقاحة أخلاق. كان من المفترض أن أشارك الآن هذا الرجل، بصفته سكرتيرا عاما لمجلس رئاسة الدكتور كوون *Dr. sam. Kohn*، في تنفيذ فكرة ترجع لاقتراح تقدمت به عام ١٨٨٣^(١) (منتدى الأدب اليهودي). عادة في ثمة فندق قذر لا يوجد فيه سوى براغيث وبق؛ فإذا وجدت نفسك قد استقر بك المقام في مثل هذا الفندق، فلا تشكو من وجود حشرات.

كان اختيار مكان إقامتنا لقضاء الإجازة في غاية الصعوبة. كانت نيتي المؤكدة ألا أنفصل هذا العام عن أسرتي؛ فالضرورة الملحة كانت تتطلب ألا أفرط في علاقتي بأبنائي عقب احتفالنا بعيد البار متسفا وأقضى أسابيع الإجازة معهم وأهتم - بجدية - بكل ما يتعلق بهم من نصائح ومقترحات؛ على أن قراري بأن أذهب إلى براسو *Brassó* كان قرارا نهائيا، حيث وجدت نفسي ملثفا لقضاء فترة من حياتي وقت الإجازة مع صديق عمرى كارمان *Kármán* الذي اتفقت معه على ذلك، ووقع اختياره على براسو. هكذا وصلنا إلى هذا المكان يوم ١٢ يوليو، وعثرنا في الحال على مسكن مناسب بمنطقة (فيبرباستاي *Weberbastei*). الواقعة عند سفح جبل كابلر *Kapellerberg* وسط طبيعة خلابة وفاتنة للعين والقلب، لما بها من غابات ومزارع بديعة. أقمنا

(١) في عام ١٨٨٤.

هنا في هناء وسلام وسعادة، فلا تقع عينك على شيء إلا وجدته مرتبطا في لحظة من لحظاته بالوقار والاحترام في أسلوبه وغرضه. إنني أجلس من الصباح الباكر وحتى ساعة الظهيرة بين كتيبي وأوراقى تحت تكعيبية تحفها نسيمات هواء بارد منعش. وخلال الأربعة عشر يوما الأولى انتهيت من كتابة مقالى عن رينان كلية وكما ينبغى أن يكون عليه من الناحية الأكاديمية؛ والآن باستطاعتى أيضا أن أفرغ بحرية لكل ألوان القراءة على نحو أكثر همة. شرعت في اكتشاف أعمال التراث الشعبى التى وفرها لى أحد الزملاء العاملين هنا فى وظيفة أستاذ جامعى، وهو الفلكوريست أوجن بندر *Eugen Binder*^(١). كما استحوذ على إعجابى أثناء ساعات الفراغ مؤلف تاريخ الكنيسة الذى كتبه هاسى *Hase*. وانتظمت فى إعطاء أبنائى درسا فى الموضوعات المتعلقة بالكتاب المقدس والإنسانيات، وما قمت بدرسه على المكتب، كنت أستكمله وأواصل الحديث عنه أثناء جولات التنزه. ومن وقت لآخر كنا نقوم بعمل جولات كبرى إلى المناطق المحيطة المبهرة، وغالبا ما كانت بصحبة صديقى كارمان الذى كنا ننصت إلى أحاديثه التى جعلت سفرنا إلى هذا المكان فى ذاته مثمرا ومجديا، فضلا عن أن حواراته التى كانت تمتد إلى المقاصد الأخلاقية كنقطة مركزية لتاريخ الفلسفة قد تركت أثرا عميقا فى نفسى، وتصورا، أدعى من خلاله أن بقدرة هذا الإنسان الذى هو على درجة عالية من الأهمية، أن يقدم عرضا شاملا لتاريخ الفلسفة/ ويتصدر به لحركة إصلاح كاملة. وقد أنصت مساء أمس إلى تفسيره للجوانب النفسية فى ثلاثية تولدى التى ألفها أرانى *Arany's Toldi*. وعلى هذا النحو فقد كان كل لقاء مع هذا الإنسان الفريد يحقق إفادة ومتعة لنا؛ إن من يرصد بشكل

١٦٣

(١) *E. Binder* (١٨٥٦-١٩٣٣) متخصص فى التراث الشعبى، وكان أستاذا بإحدى المدارس

الثانوية بمدينة كرونشتادت *Kronstdt* (وهى اليوم مدينة براتسوف *Braşov*) وبودابست.

مباشر شخصيته السامية، وحسن أخلاقه، وثقافته وإصلاحه، ينجذب إليه بكل حب ويجد نفسه يتعامل مع رجل من رجال التعليم في هذا المكان وكأنه ينتمى لعائلة واحدة. لقد احتقلنا بعيد سادته أجواء قروية هادئة مع هؤلاء القوم، وقبل بضعة أيام من قيامنا برحلة إلى صخور سليمان العظيمة، التي بلغناها بتتبع أحد الممرات المرتفعة البديعة التي أتاحت لأعيننا رؤية جمال المدينة والمنطقة المحيطة بها في تناغم متبادل لا حدود له فيما ينطوى عليه من متعة وثناء. كنا نتعرف في أيام الأحاد على الكنائس القديمة في هذه المنطقة. وأهم ما اكتسبته من معارف فيها هو الأسلوب الخاص الذي يتسم به القديس الروماني، وهذا ما جعلني أن أفتتح بإمكانية التماس أصل ومصدر نشيد المعبد اليهودي البولندي. ونفس الشيء ينطبق على الزخرفة المنمقة والصوت الأنفي، حيث إن اليهودية البولندية قد خطت خطوات في تطور الفن بعد أن كان يوحى بفقدانه لعنصر الوقار الأساسي من قبل، كما أن ما كان سائدا من وثنية وطوطمية في المعبد اليوناني بلغ حد الكمال على يديها. لا شيء يفصلنا هنا عن مفهوم وثني للدين؛ سوى أن الأسماء الوثنية قد استبدلت باسم الرب، إلا أن فوق قدس الأقداس كنيسة القديس نيقولا الرومانية نقش يحمل اسم ياهوا بالحروف العبرية، فضلا عن وجود صور القديسين بقسمات مضحكة؛ ولكي يتم تقبيلها ولمسها والتصليب عليها يدخل أعضاء الجالية فردا فردا، وهم يحملون باقات الزهور في أيديهم، بينما يقوم الكاهن في قدس الأقداس، دون رؤية الجمع له، بتجهيز خبز الرب وتمثيل دمه. ولكن انظر إلى أي مدى أثرت هذه المادة الوفيرة لورع وثني على النفس البشرية، مقابل ذلك الفراغ الذي لا يدفئ قلبك في المعبد الإنجيلي الرئيس؟ هنا يتغنى الناس بالأناشيد دون أن تشارك الجالية في ذكر أساليب وتعبيرات الورع والتقوى القديمة، كما أن خطبة القديس تكور حول ما ينفع منطقة سكسونيا، شعبا وبلدا، ولكن هل تسمع ذكرا للرب والمسيح؟ إنه معبد بلا

رب، ولا إنجيل، ولا ضجيج، ولا ارتياح، أقيمت قواعده فقط على عادات وتقاليد، يكاد يخلو من كل ما تحتاجه دواخل النفس البشرية، ولا يزال له وجود وبقاء أعمق من أثر ما نطلق عليه المعبد اليهودي "الحديث"، الذي هوى بنفسه في الإلحاد والأكاذيب، وتحولت مشاركة الحق والصدق غير جديرة بالاحترام والتوقير كلية. ويبدو أن الحق بجانب الكلمة الشعبية الفرنسية عرفت الكنيسة بأنها:

دار بلا موقد ولا مدخنة

لا يسد رمق ثلاثة تتابله على مدار سنة

ولكن على أقل تقدير يتبرع الآباء فيها بالقرابين المقدسة، ويخبزون الخبز ويصنعون الدم "لرب". ولكن أحبار اليهود الجهلاء يقيمون قداسهم فقط من أجل بق ناقوس جمع الأموال والدوران به حول الحاضرين - ولأنفسهم فقط. أى وقار وإجلال فى هذا العجب! بل من يمكن أن يوقرهم ويحترمهم سوى هؤلاء الذين يتاجرون بجمع الأموال والأفاقين الكاذبين! /

١٤ أغسطس ١٦٤

، رحلة إلى ممر توموزر Tömöser وبريديل Predeal بصحبة كارمان .Kármán

توفيسجيهاز Tövisgyház

فى يوم ١٧ أغسطس غادرنا مدينة كرونشتادت Kronstadt. وقد بينت المظاهر المصاحبة لتوديعنا كم من الأصدقاء الأوفياء اكتسبناهم فى الفترة القصيرة لإقامتنا بهذا المكان والتي استغرقت خمسة أسابيع. فى عشية رحلة العودة أقيمت لنا احتفالية سادتها المحبة والصدقة فيما بيننا ومجتمع الأساتذة

الجامعيين هناك الذين اصطحبوا سيداتهم معهم لحضور الحفل. وقد شرفنا أيضاً بوجود عدد غير قليل من هؤلاء الأشخاص أنفسهم حين تجهزنا في مساء يوم ١٧ للسفر نحو أراد *Arad*. لقد كان وقع فراقى لكارمان مؤلم على نفسى، حيث تعامل معى فى غاية السمو والرقى والأصالة على مدار خمسة أسابيع فى هذه الإجازة.

مكثت - وفقاً للبرنامج- ببوسطا توفيسجيهار *Pusztá Tővisgyház* حتى يوم ٢٨ أغسطس، وكانت هذه المدة الزمنية مدعاة لإحياء قراءاتى للكلاسيكيات، فضلاً عن مواصلة درسى الذى ألقيه على أبنائى، بغرض المؤانسة والقضاء على شعورى بالوحدة فى هذا المكان، فانتعشت روحى بقراءة "أوفيد *Ovid*"، وعدت ثانية لتناول "الإنبيادة". إننى لم أتردد منذ عام ١٨٦٩ أن أنتهز أية فرصة متاحة أمامى من وقت لآخر لأستمتع بأعمال فرجيل الأدبية. قمت بتصحيح المقالة البحثية عن "سكينة *Sakina*" والمحاضرة الخاصة "بالزنديق *Zindik*". التصريح بالطبع.

٢٤ أغسطس

حين سنحت لى الفرصة قبل سبعة أسابيع فى شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* أن أعود بعد غياب دام عقوداً ثلاثة للسير فى طريق سوستو *Sóstó* هو المنتزه الذى يذكرنى بسنوات طفولتى، لاح بخاطرى الطريقة التعليمية الحكيمة التالى ذكرها والتى كان أستاذى العجوز فرويدنبيرج *Freudenberg* يتبعها معى فى هذا المكان. فى طريق المنتزه هذا كان يقوم، وعلى مدار سنوات ثلاث، بالتطبيق العملى معى على ما تلقينته نظرياً. كنا حال مغادرتنا لمكان الدرس نقوم باختيار موضع ما من الكتاب

المقدس يكون بمثابة نقطة الانطلاق، ومحور، وغاية حديثنا أثناء سيرنا بالمنتزه؛ كان موضوع حديثنا ونقاشنا الذي كان يستمر لمدة ساعة لا يخرج عن تأمل وجهة النظر المتمثلة في هذه الجزئية التي اخترناها من الكتاب المقدس، بحيث نتوغل في تأملاتنا لها من المنظور الرباني بالكتاب. ومن هنا تعلمت كل ما يتعلق بأفعال ودوافع البشر، وبأنفسنا ذاتها، بل وأيضاً بالظواهر التي تمثلت أمامي على جميع الطرق والمسالك في الحياة، بحيث أتأملها وأصدر حكمي عليها من المنظور الرباني بالكتاب. وقد صاحبنى هذا الأسلوب في التفكير حتى يومنا هذا، ولا عجب من أن يصب اليهود غضبهم على واحد يتأملهم من منظور سفر أشعياء وسفر أرمياء.

ولكن ما الذى استدعى لفكرى الآن، وفي هذا اليوم على وجه التحديد، تذكرى لهذه الطريقة التعليمية الخاصة بأستاذى العجوز فروينبيرج ؟

لقد استيقظت اليوم على الآية الأخيرة من المزمور ١٤٢:

הוציאה ממסגר נפשי-- להודות את-שמך: ב', יכתירו
צדיקים-- כי תגמול עליי

"الصديقون يكتفوننى لأنك تحسنُ إليَّ"

ولم تفارق سمعى هذه الآية حتى ساعة متأخرة من الليل، رغم أنى لم أفطن إلى السبب وراء تذكرى لها عند استيقاظى، وترديدى لهذه الكلمات التى هى وفقا لدلالاتها ليست خارقة على الإطلاق. لعلنى أشعر بالسعادة حين أنظر لهذا الحدث التوراتى على أنه بشارة. هل لى أن أتبأ من ذلك أن الرب قد أمر بأن تتحرر نفسى من سجنها، وأن يتحلى الصديقون بذكر اسمى، وأننى سأنال ثوابى على ما تحمّلته طوال سنوات كثيرة من المهانة والذل

١٦٥

والعبودية؟ إننى عاقد العزم بهذه الكلمة الشافية على أن أخلد اليوم إلى الراحة والسكينة، وأتمسك بالأمل، ولا أملك سوى الأمل، وألا أدع سبيلا فى نفسى للقنوط.

٢٦ أغسطس. بودابست

"دعك من الخوف... إن شهرتك تكمن فى شىء هو بمثابة طوق النجاة لك"

الإنياذة [Aeneid: I. ٤٦٣]

١١ سبتمبر

يقترّب العام اليهودى القديم من نهايته. وحين ألقى نظرة على هذا العام ذاته - قبل أن يفارقنا- يتوجب علىّ أن أشكر العناية الإلهية على أنها حفظتني من كل سوء يستحق الذكر، كما أنها هيات لى من أن لآخر ساعة خير. وكنت فى الوقت ذاته على قناعة من أن مع العسر يسرا، وأنه كان من الممكن أن أجد عند الشدة حلا للقيود التى تحيط بحياتى، ولكننى لم أفعل ذلك؛ من هنا فإن العقوبة التى أحكم بها على نفسى أن أبقى على هذه المكانة حتى آخر العمر، مقيدا بواجبات أعلى فى مقامها من الراحة التى سأنعم بها على كرسي الأستاذية الأكاديمى بألمانيا. إن جامعتى هاللى *Halle* وبريزلاو *Breslau* قامتا بتكريمى على خير وجه دون أى تعاون من جانبى. لم أعرب قط عن رغبتى فى ذلك، بل لم يكن لى أى تأثير على مجموعة من الناس للقيام بمبادرة من أجلي. لقد كتب البعض من مدينة هاللى *Halle* إلى الوزير ببرلين أنهم لن يقوموا بترشيح أى شخص آخر سوى لشغل منصب الأستاذية الشاعر بعد وفاة أوجست موللر *Aug. Müller*، لو أحوالت مؤسسات الجامعة دون ترشح أستاذ يهودى لشغل هذا المنصب الخاص بالأستاذية. وأما

المنصب فى بريزلاو *Breslau* فكان من السهل على أن أشغله؛ لقد طُرح اسمى مع كل من فرنكل^(١) وج. هوفمان^(٢)، ولكننى سعيت بنفسى على ألا يتم تفضيل اسمى أولاً عن غيرى؛ إن الأمر كان سيصبح مثل ظلم سدوم *Sodom*، لو أن هناك إنساناً آخر يستحق هذا المنصب عن الذى جىء به.

هناك تكريمات وأوسمة أخرى تتذكرها الصفحات السابقة. ليس هناك يوم آخر أجمل من اليوم الذى قضيته فى شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg*، الموافق الأول من يوليو. ندعو الرب أن يبلغنا العام الجديد ببركة منه!

٢٨ نوفمبر

قرأت مساء أمس بالأكاديمية على سمع جمهور غفير، غاية فى الامتياز، جزءاً من دراستى التى كتبتها بعنوان "إرنست رينان مستشرقاً"، وذلك عوضاً عن خطاب تذكارى بشأن العضوية الخارجية للأكاديمية. وقد حصدت - كما ذكرت الصحف - "تأييداً عاصفاً".

والدراسة تدخل فى واقع الأمر تحت بند أفضل أعمالى فى المجال العام، وقد حظيت لحظة كتابتها وإخراجها بحب جم واهتمام من الأعماق.

١٦٦

الأول من ديسمبر

منذ أيام عدة كانت خطوبة أرملة نسيبى رحمه الله، وتم أيضاً الاتفاق على أن يكون الزفاف فى أقرب وقت ممكن. قبل عشر سنوات رقدت أختى المسكينة على فراش الموت. وبدأت المأساة، والآن، وبعد مضى عقد من

(١) *S. Fraenkel* (١٨٥٥-١٩٠٩) أستاذ فى جامعة بريزلاو، مستشرق.

(٢) *G. Hoffmann* (١٨٤٥-١٩٣٣) أستاذ فى جامعة كيل. *Kiel*

الزمان، تأتي أحداث الفصل الأخير. فيتعين على الآن أن أقوم على تحقيق مهمتين تجاه أولاد المرحومة الغالية. إن خيالات والديّ رجمهما الله ترافقني على الدوام في كل مكان، وأسمع همسهما لي في أنفسي، وهما يبلغاني في كل لحظة من لحظات الحياة ما يجب على أن أقوم به.

١١ ديسمبر

توجد ضمن خطاباتي رسالة وصلت إليها في وقت سابق من الأستاذ أوستهوف^(١) أخبرني فيها بأن جامعة هايدلبرج - من حيث المبدأ - ترغب في طرح اسمي أستاذًا بها، وتستعلم عن الشروط التي يمكن أن أقبل بها منصب الأستاذية. وستأتي إجابتي على ذلك بما يتوافق والكلمات التي دونتها هنا بشكل مباشر عن وعي ودراية شبه كاملة، وبلا أدنى شك.

على الرغم من أن شخصيتي يغيب عنها كل ألوان الفكاهة والدعابة والمرح التي تنعكس على مواقف وأحوال ترتبط بشكل غير مباشر بمصائب وأحزان فردية، فإنه من الضروري - ارتباطًا بموضوع هذا المنصب بهایدلبرج - أن تُخلد الحقيقة التالية عن وضعي ومكانتي بين بني عقيدتي. يجري الآن هنا تأسيس لجمعية أدب يهودي بالمجر؛ ومن المفهوم أن تكون هناك رغبة في إشراكي في الرئاسة. وحين تم إيلاعي بهذه الرغبة، جاعني في الوقت ذاته خبر بأن شخصية غير معلومة - وهي تمثل بوق تلك الدائرة التي تهتم بتشويه سمعتي وسمعة أصدقائي منذ عشرين عامًا، وهي تحمل روح العصابة التي لا خلاق لها - سيتم اختيارها في هذه الجمعية لتعيينها في

(١) H. Osthoff (١٨٤٧ - ١٩٠٩) أستاذ علم اللغة المقارن بجامعة هايدلبرج.

منصب الأمين العام^(١). وبعد أن وضعت الشرط الطبيعي في ضرورة صرف النظر عن تلك الشخصية، كشرط أساسي لدخولي في الحركة، تم إعلاني بما لا يدع مجالا للشك، أنه بكل تأكيد سيتم حتما الاستغناء عني. وبهذا الأسلوب الذي تم فإن الحركة التي ترجع إلى مبادرة من جانبي، قد استُهلّت بصفعة على وجهي.

ولكن يبدو أن الأمر في هايدلبرج مختلف؛ فالناس هناك لديهم تفكير آخر عن شخصي. فهم بطبيعة الحال ليسوا "رجال دولة" مجريين يهودا./

١٩ ديسمبر ١٦٧

اليوم أقيم حفل زفاف أرملة نسيبي على أحد المحامين اليهود بالمنطقة. إن الداعرة الوقحة الغادرة متلهفة بشكل مخيف على الزواج، بل إنها ذرفت الدموع. لقد كان وجودي حتميا وأن أنصت مع غيري من الحضور إلى الكيفية التي ينتهك بها حرمة اسم الرب عن طريق هذا الرباط الفاسق، كما أن الحديث تطرق إلى مباركة الرب. فماذا ينقص إذن في كل ما يحدث في بيت من بيوت الرب مثل هذا! وقد قام الزوجان برحلة زفاف إلى إيطاليا. ألا يزدهر شجر الليمون هناك!

٣١ ديسمبر. ليلا

يمكن لأي قارئ لهذه الصفحات مستقبلا أن يستحضر الجو النفسي الذي أكتب فيه تلك الصفحة الخاصة بليلة رأس السنة، إذا ما أمسك بيده لفافة

(١) J. Bánóczy

المراسلات الخاصة بى، والتي تحمل عنوان "هايدلبرج". فالحقائق تحل محل الصور الفوتوغرافية الغائبة للإجابات التي قمت بكتابتها بنفسى على الرسائل التي جمعتها مع بعضها البعض فى باقة بهذه اللقافة. إننى أمين وثابت على موقفى، ولن أتبدل مطلقا لأكون على نحو آخر، ولن أتوجه إلا حيثما تتادبنى واجبات، أو حيثما تملى على واجباتى أن أفعله. ثم إن تحقيق هذا الواجب ذاته سيكون "التعويض" الذى سأجده وفقا لتعبير ابن عمى، فيلهلم جولدتسيهر *Wilhelm Goldzieher* بكل تأكيد فى لقب الأستاذ. إننى لا أبحث عن تعويض آخر ولا أرغب فى وجوده. كما أن أملى هو أن أولادى - الذين لم يتعلموا منى مفهوما آخر لما أقوله - سينظرون إلى الواجب والالتزام على أنه روح حياتهم، الالتزام وليس نعيم الحياة الدنيا. ولعل كل البشر الذين يفضلون رغد الحياة الدنيا عن تحقيق ما يتوجب فعله من واجب والتزام، ولا يمكنهم حل إشكالية تصادم الجانب الأخلاقى بالمصلحة البهيمية سوى أنهم ينحون الأول جانبا على اعتباره تضليلا رذيلًا، يمكن أن ينالوا أجرهم على نيتهم السيئة فى الدنيا قبل الآخرة؛ وأدعو الرب ألا يهدئ بهم ولا ينعمون براحة فى ليل أو نهار، وألا تتنوق نفوسهم سوى طعم العذاب، وأن يبنتوا فى أنفسهم وأجسادهم، ليكونوا عبرة لغيرهم ممن لم يختبروا الحياة، ولم يتعلموا منها كيف يخرج المرء منتصرا من مثل هذه المعارك والصراعات المهيمنة.

مع نهاية العام تمكنت من إرسال مقالة يهودية أخرى^(١) إلى مجلة الدراسات اليهودية *Revue des études juives*، استكمالا للدراسات التي نشرتها فى عام ١٨٨١ بمجلة جريئس الشهرية *Grätz*. هناك ما يحتثى، ويدفع

(١) هيلر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٧٥.

تفكيرى من وقت لآخر إلى أن أقيم دراساتى على منطلقات وأسس يهودية. فالأدب اليهودى أحد الروافد الداعمة والناهضة لنفسى، بشرط أن تكون العناية به نقية وشريفة بقدر ما هى موثقة. فلم يحدث أن ثمة ممثلين لأدب مثالى ومهتمين به على درجة من الدنس كما نرى ذلك فى عصرنا على يد الباحثين المحدثين للأدب اليهودى. فأولاد الحوارى وصنّاع الدعاية والمتفخرون بأموالهم والأفاقون/ هم الممثلون لأبحاث الأدب التى تشكل بموضوعية فى وثائقها حقيقة الاستشهاد ومحبة الرب وازدراء الدنيا ومحبة الحقيقة بأسلوب يرفع دائما وأبدا من قيمة التقليد وبطريقة تحث على الارتجال. يا له من مصيرا ومن حسن الحظ حقا أنكم على - أقل تقدير - تزدرون الكتاب المقدس وتتحون الأنبياء جانبا! فمناطق التقديس سيدنس إذا ما خرج من أفواهكم، وسيلوث حين تدخل تلك الحقائق فى عقولكم المدنسة. فعندى أن سقط متاع الهوامش هو الذى تخلف عن العصر الوسيط، ذلك العصر الذى تحتم فيه على مثالية أجداننا وأسلافنا الأشراف أن تعمل فى حدود حوارى اليهود الضيقة، وتضفى على نفسها زخرفة خالية من الذوق. ولقد ورثتم الابتذال وفقدان التذوق، وصارت المثالية محل كراهية عندكم؛ بل إن سطحية عقولكم لا تبلغها الزخرفة ذاتها. ومن حسن حظ أدبنا فى العصور الوسطى أنكم غاية فى الجهل والكسل، وغاية فى الأنانية والنهم للأموال، بحيث تضنون بجهدكم على أشياء ترفعكم فى الصحف - ولو مرة واحدة - لمكانة أصحاب قامات رفيعة. فأنتم علماء يهود لا تبتغون سوى التودد إلى التبشيريّين الإنجيليين ليكتبوا عنكم ما يثلج صدوركم من مقالات نقدية تتفاخرون بها. إن غايتم أن يكتب "ستراك" *Strack* ^(١) كلمة طيبة واحدة

(١) H. L. Strack (١٨٤٨ - ١٩٢٢) من علماء اللاهوت البروتستانت ومستشرق بجامعة برلين.

عنكم، وتمنحون" فى المقابل "ستراك" - وغيره ممن يطلقون دائما على أنفسهم اسم شعب رسالة التبشير - ألف كلمة طيبة. إننى أشعر بالاشمئزاز والنفور من مجتمعكم، حتى إننى أفضل مؤانسة أتباع (محمد) عنكم؛ وذلك تضحية كبرى من جانبى لا يدفع ثمنها أى فرد، عن أن أحيا معكم ولكم.

١٨٩٤

١٤ يناير

من بواعث السرور أن أستهل يومياتى فى هذا العام بإهداء لمن يستحق الاعتراف بفضله على. قام بزيارتى ظهر هذا اليوم فى مقر سكنى الصغير بشارع هولوا اونشا *rue de Holló-utcza* عيد كلية الآداب الجامعة الإقليمية، زولتان بيوتى *Zoltán Beöthy* ^(١)، ولتتمس موافقتى فى اتخاذ خطوات طرح اسمى للعمل أستاذا عاملاً بالتكليف. وقد رأى أن هذه الخطوة تُعد بمثابة تصحيح لمسار خاطئ سابق تجاهى، وأنه عن طريق منحى درجة أستاذ معين بالجامعة يمكن لزملائى أن يعبروا عن استحقاقى لأعلى درجة تكريم أكاديمية.

من يقرأ ذلك من السهل عليه أن يعرف أن هذا اللقب وغيره من الألقاب لا تلعب دوراً مؤثراً فى حياتى، وأن تقديرى لتلك المجاملة التكريمية من قبل أحد كتابنا وعلمائنا الأوائل، ودون اعتبار لأى شك فى تحقيق نجاح لمشروعه المستقبلى، إنما هو مجرد ارتياح شخصى. لم أنفقه بكلمة، ولم يتحرك لى ساكن ينم عن تحد واستفزاز؛ فكل ما حصلت عليه فى حياتى من تكريم، إنما جاءنى من تلقاء ذاته،/ ودون سعي منى إليه؛ لم أشرع ذات مرة

١٦٩

(١) *Zs. Beöthy* (١٨٤٨ - ١٩٢٢) مؤرخ أدبى ومتخصص فى علم الجمال، أستاذ ببودابست.

فى التأثير على شىء والمطالبة بأحقيتى له؛ إلا أن هناك أصدقاء يتمنون إعاقتى فى السير فى طريقى، وقد مللت من التفكير فى أى تأثير قادم من جانبهم. ومن ذلك ما تلوكه الألسن فى الوقت الراهن ومن أن لآخر فى دوائرنا اليهودية بشأن إيعادى عن "جمعية الأدب اليهودى بالمجر". ويبذل كل من كوهن *Kohn* وكارمان *Kármán* قصارى جهدهما فى استعادتى إليهما بالجمعية. فالعصابة الرسمية قد "قذفت بى" خارجها كمن يلقى شيئا فى صندوق قمامة. ألسنت ملتزما بأن أظهر شعورا بالكرامة بدرجة كبيرة، ولا أدخل فى جمعية أخرجت منها بشكل مهين دون أدنى اعتبار؟ لعله يطمع أن يكون رئيسا للجنة الأدبية! هكذا يقولون. فهل ينبغى على أن أطفئ شموع الموقر بآخ *Bacher* وكل مصاييح الكنائس الكبرى الذين يتطلعون بصفتهم كبار كهنة العصابة إلى أموال الجمعية الجديدة بشغف ونهم؟ وأخيرا وليس آخرا، إن الفرحة واضحة على هؤلاء القوم من أننى صرت خارج الموقع ولا أزعج دوائرهم. فلا يجد أحد موقعا لى حيث تصدر فيه الحقيقة، وحيث تصبح فيه محل بغض وكراهية.

٢٤ يناير

على إثر خطاب تلقينته يوم ٢٣ من الشهر من فامبيرى *Vámbéry* (وستجدونه فى حزمة الخطابات المعنية ذاتها) قمت مساء اليوم بزيارة للدرويش الكبير فى منزله. فيعد مرور اثنتى عشر عاما عدت لأستمع لمدة ساعة إلى حديث هذا "الفاعل للخيرات" - وهو يتحدث عن عظمتة، وعن ماله الذى اكتسبه، وعن شهرته الزائفة. أى سعادة شعرت بها، حين ابتعدت طيلة هذه الأعوام الاثنتى عشر عن هذا الأفاق! لقد شعرت بإحساس أن المسألة التى يدور حولها فحوى خطابه لى، هى الآن فى أفضل الأيادى لى يتم

وأدھا فی مھدھا. ولكن هل من الممكن أن تحركنى الكرامة أو المھانة فعلا من هذه الناحية؟ إن من حُسن حظى فى الحياة أن لى القدرة على أن أتطلع إلى الماضى بوعى ذاتى وثقة بالنفس إجلالاً وتعظيماً لصفة أسمى فى المقام؛ فما يمكن أن يُعرض عليّ فى هذا اللقاء يبلغ عندى فى حقيقة الأمر إلى حد التقزم، حين أعود بذاكرتى وألقى نظرة عامة على كل شيء كان لى نصيب فيه بفضل من الرب ورحمة منه.

٣٠ يناير

اليوم قام فامبيرى Vámbéry بزيارتى، رداً على زيارتى له. إن لديه رغبة جامحة تسيطر عليه فى أن تتصافر علاقته تجاهى وتتوثق. إنه يشعر وهو فى العام ٦٢ من عمره (رغم ما لديه من صداقات مع كل من هم معروفون من ملوك وملكات وأمراء فى العالم، حتى مع الباب العالى نفسه بإسطنبول) أنه على حافة الوحدة، وأعتقد أنه وجد فى شخصى التلميذ الذى يفخر به ويواسيه.

حين يتحدث هذا الشخص، تجد نفسك دائماً تتساءل: هل الأمر ينطوى على شعور حقيقى؟ لم يشعر أحد تجاهى بأننى متبلد الإحساس أو أننى بلا قلب إنسان تجاه من يبحث عن صداقة معى. فمن يزرع الحب، يجن الحب. ولكن هل هناك إنسان ذاق مرارة الخديعة كما تذوقتها؟/

٢ فبراير

أقرأ منذ يومين كتاب هورتر *Hurter*: ميلاد وبعث مع انسجام نفسى ^[١٧٠] ومشاركة وجدانية^(١). إننى أتفهم جيداً مقصد الرجل.

(1) *Geburt undwiedergeburt mitinnerer Sympathie und Theilnahme.*

أرسلت صباح اليوم مبكرا الكلمات التالية إلى من يدعى السيد بوسينج
Büsing بهامبورج من أجل مجموعة أقوال ماثورة لمعاصرين مبدعين:
الشيء الأكثر جمالا تجده فيما هو أكثر عدلا.

لقد كتب ثيوغنيس *Theognis* الكلمات؛ وإننى أتوافق معها وأتبنأها
بأريحية كاملة.

٤ فبراير

حين تقود أحدا سريره الدينية لأن يترك عقيدة عاجزة، فهو بذلك
لا يدخل إلى عقيدة أخرى، بل لعله يكون هكذا قد عاد إلى حظيرة الإيمان
بالرب. ليس هناك ملجأ آخر للخروج من الكذب سوى الحقيقة، وهى الإيمان
بالرب.

ليس للرب معابد فى هذا العالم؛ ولا تُشعل المبخار إلا للشيطان،
ولا تُعزف موسيقى الأرغن إلا لإجلالا للشيطان؛ كما أن سدنته يعتلون المنابر
من أجل التجديف على الرب واسمه، ولا ينأى عنهم سوى خادم الرب
وعبده.

٦ فبراير

لا تزال محاولات الجالية فى أن تروضنى أو تخضعنى لأوامرها تنبوء
بالفشل. عادت فى الأيام الأخيرة هوجة محاربتى من جميع النواحي؛ ولكننى
لم أترزع وظللت باقيا على رباطة جأشى. لماذا أترك أولادى يرددون دائما
القول العظيم: طوبى للرجل الذى فى مشورة الأشرار لم يسلك، وفى طريق

الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس؟^(١) إنه من الأخرى - لى شخصيا - أن أحافظ قبل غيرى على هذا القول وأكون سباقا لهم فى الاقتداء بذلك.

٧ فبراير

عكفت طوال فترة بعد ظهر اليوم على كتابة دراسة واسعة^(٢) عن الصياغة المحمدية القائلة: "لا ملجأ لى منك إلا إليك". ولكن أرأيت كيف تخرج الكلمات ذاتها من أعماق نفسي!

٢٣ فبراير

دفعتنى حالة الكراهية التى أشعر بها - وعندى من المبررات ما تسمح لى بأن أقول، حالة القرف والاشمزاز من كل شىء يحيط بي - لأن أغادر المدينة فى يوم ١٦ من هذا الشهر إلى فيينا، وأن أقضى بها ستة أيام. إننى أشعر باللذة لرؤيتى كثيرا من المعالم السياحية التى تنفتح على ناظرىها، منذ تأملى إليها بأريحية فى زيارتى الأخيرة لفينا. وكان متحف تاريخ الفن أكثر ما استحوذ على اهتمامي بين هذه المعالم. ويتضافر مع ذلك أيضا التعامل مع العلماء هناك، لا سيما مع كيرنباك^(٣) Kernback الذى يحق له أن يشعر بالسرور عند افتتاحه لمعرض برديات/ راينر Reiner والكتالوج الفخم الخاص بها. لقد سبق أن توافرت لدى القدرة على الاستمتاع بأسلوب ومفردات البولندى المقرز بولاك Polak.

(١) المزمور الأول / ١.

(٢) ب. هيلز B. Heller: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٧٦.

(٣) G. Kernback (١٨٥٩ - ١٩٠٩) أستاذ فيلولوجيا اللغات القديمة بفينا.

٥ مارس

وصلنى منذ قليل خبر يفيد بأن فامبيرى *Vámbéry* وهاتالا *Hatala* قدما فى يوم ٢ من هذا الشهر الطلب إلى الكلية، وهو ما قمت بالتحدث عنه فى استهلاكي بمدونة يومياتى هذا العام.

كتبت أمس مقالا عن برديات راينر *Reiner* لنشرها فى عدد إبريل مجلة شملة البودابستية *Budapesti Szemle*^(١).

١١ مارس

حل علينا اليوم ضيفا الدكتور جاكوب *Dr. Jacob*^(٢) قادما من جرافسفالد *Greifswald* فى طريق رحلته إلى القسطنطينية.

١٣ مارس

قاموا بتشكيل اللجنة الأدبية لما يطلق عليها الجمعية الأدبية اليهودية. لم أكن لأسجل هذه الواقعة، لولا أن ورد إليّ مقال بشأن الصفات المميزة لهؤلاء السادة التلموديين.

علمت أن صديقى فى الشباب، بانشلوفاك *Panschlowak* هو الرئيس، وعين إلى جانبه إيمانويل لوف *Immanuel Löw* نائبا للرئيس، وهو الذى كان قد شن عليه قبل ست سنوات حملة يندى لها الجبين، متهمًا إياه بالانتحال، والآن يجلس معه فى مجلس رئاسة مشروع أدبى يهودى. ونستنتج من ذلك

(١) ب. هيلر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٦٨.

(٢) *G. Jacob* (١٨٦٢ - ١٩٣٧) مستشرق وعالم فى الدراسات الجرمانية وباحث فى علم دراسة الشعوب البدائية، وهو أستاذ بجامعة أربلجن وكيل.

بأن صديق الشباب، إما أنه كان وغدا حقيرا قبل سنة أعوام، أو أنه هو كذلك الآن. وأعتقد أنه كان كذلك سواء في السابق أو فيما هو عليه الآن.

١٨ إبريل

يخطو بحثى الذى أكتبه عن الأصول التاريخية للأدب العربى نحو الأمام، نابضا بالحوية. ومما يدخل السرور على قلبى أن هناك عددا غير قليل من أشياء تمثل لبنات صغيرة متناثرة هنا وهناك دون أن يلتفت إليها أحد حتى الآن، ولكنها ستكون بمثابة نواة لها قيمتها لتحقيق غرض أكثر اتساعا، وستضع الشيء العام الذى لم يلتفت إليه أحد حتى الآن، على قاعدة أفضل مما هو عليه، وذلك بتثمين دوره الخاص.

أيضا مما لفت نظرى فى هذا الصدد بوضوح، ما ذكره أفلاطون (القوانين، X 902 E) بحكمة بالغة فى قوله:

"لأن الأحجار الكبيرة لن تتخذ موضعا صحيحا لها دون الأحجار الصغيرة، كما يزعم ذلك بناءو الجدران".

٢٨ إبريل

جاءنى استيضاح من كامبريدج (عن طريق براون E.G. Browne) بشأن مدى استعدادى لقبول منصب أستاذ كرسى بكامبريدج عقب وفاة روبرتسون سميث Robertson Smith، وسيدفعون لي ٧٠٠ جنيه أسترلينى.

لقد انفتحت أبواب الخلاص على مصاريحها فى كل مكان، لا يوجد سبب فى العالم يحتم على لأن أظل عبدا، ولكن يجب أن أبقى كذلك.

في الفترة الأخيرة قمت بكتابة ثلاث مقالات صغيرة: الأولى لمجلة "مجمع المستشرقين الألمان ZDMG"، وهي "عن العناصر العبرية في صياغات السحر عند المحمديين"^(١)، والثانية لمجلة "جلوبوس Globus"، وهي "عن الحرف اليدوية عند العرب"^(٢)، والثالثة لمجلة "ريفي - تاريخ الأديان Revue de l'Histoire des Religions"، وهي مناقشة مطولة لكتاب باسيه Basset "عن حرب علي مع التتين"^(٣).

١٥ مايو

كل أشكال الكائنات الزاحفة والطائرة بالكون في حالة سخط وامتعاض شديد تجاهي على إثر سقوط باخر Bacher الكبير في الأكاديمية، وأنه لم يتمكن من الدخول في بهو الخالدين، رغم كل ألوان التطفل والافتحامات البغيضة من أحد الأصدقاء الذي قامت العصابة باستبعاده وطرده. وهناك من طلب مني أن أضمه إليّ وأن أفسح له طريقاً للتعاون معي، وهو الصديق الوفي، والقريب - لباخر، الذي لا يمت للشرف بشيء (وهذا للأسف أقل ما يجب أن أقوله عن هذا الرجل).

٢٠ مايو

ذكرت من قبل في موضع ما في هذه اليوميات من أنني أعتبر المدعو باخر غير قادر على القيام بفعل غير أخلاقي أو مغل بالشرف؛ وإنني أراجع

(١) ب. هيلر B. Heller: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٧٧.

(٢) نفس المرجع السابق رقم ١٧١.

(٣) نفس المرجع السابق رقم ٤٠٨.

الآن عن هذا الحكم المسبق بشكل رسمى. فهذا الرجل قادر على ارتكاب بعض الأفعال القذرة - متى كانت هناك مصلحة له فى ارتكابها.

٢١ مايو

منذ عدة أسابيع هناك مراسلات نشطة مع الأستاذ مارتن هارتمان *Martin Hartmann* ببرلين بشأن بدايات الشعر العربى. وفى خضم هذه الرسائل شرعت فى العمل على الارتقاء بنظرية خاصة بتطور العروض والشعر المقفى عن السجع النثرى.

٢٨ مايو

تتوالى الرسائل من كامبريدج. أى تعاسة تلك التى تجعلنى أضطر - لأنفه الأسباب - إلى رفض كل الطرق والمسالك التى تتفتح أمامى على طريق تحررى. اللهم لا راد لقضائك، وأسألك اللطف فيه. أمين.

انتهيت اليوم مبدئياً من أبحاثى التى أكتبها لفصل الشتاء عن الشعر العربى قبل الإسلام. وسيعقب ذلك مرحلة التحرير والنشر البشعة أثناء فترة الإجازات، وربما تكون فى قصر هالبيرج *Hallberg* الواقع على بحيرة شتارنبيرج *Starnberger See*، أو حيثما يدعونى بجدية الكونت لاندبيرج *Landberg* /

الأول من يونيو

١٧٣

اليوم تم التصويت بكلية الآداب على اقتراح تعيينى، وبلغت الأصوات المؤيدة ٢١ صوتاً فى مقابل ٧ أصوات. مقابل ٧ أصوات! لقد كان السادة

لصوص الأدب ضد الاقتراح! ولكن فى الوقت ذاته هناك بُعد للوزارة الليبرالية! إنه تزامن غاية فى الدلالة.

٤ يونيو

سأتناول اليوم بالمنزل بعض أعداد لإصدارات حديثة حتى يتسنى لى قراءة بعض المقالات المهمة ذات الصلة بالشرق. لم أتحفز بدرجة كبيرة لأى منها سوى المقال الوارد بعدد إبريل لعام ١٨٩٤ بصفحة ٥٧٦ وما يليها، الذى يحمل عنوان: "المنشور البابوى للكتاب المقدس *The papal encyclica on the Bible*"، فهو نداء جاد إلى ضمير الإنسانية للانتهاء من فهم الكتاب المقدس بروح إدراك الحقيقة. لقد قمت بكتابة ما يشبه هذا الكلام لليهود فى عام ١٨٨٤، وقمت بطباعته^(١). وفى ذلك تجد المقال الجميل يحتوى على خلاصة وافية لنقد الكتاب المقدس. والعنوان جذاب، ويمكن تطبيقه بشكل جيد على حالات كثيرة تظهر على السطح فى محيطى كل لحظة:

١٥ يونيو

بانتهاى من كتابة بحثى عن الشعر العربى قبل الإسلام، فإننى الآن جاهز بأوراقى فى هذا الصدد على أكمل وجه. فكل شىء تقوم بنيته على أساس سليم، وعلى أكثر تقدير فإنه من الممكن أن يدور الحوار حول بعض أعمال التحرير فى فترة ما قبل الظهيرة بتوتسنج *Tutzing*، حيث وجّهت لى الدعوة بقضاء عدة أسابيع صيفية لدى الكونت لاندبيرج *Landberg*.

(١) نفس المرجع السابق رقم ١٠٢.

٢٢ يونيو

عيد ميلادى. وقد قام ابنى ماكس Max بتأليف قصيدة صغيرة قدمها لي فى هذه المناسبة.

٢٧ يونيو

تحتم إنزال العقاب كليةً. كان عليّ أن أحاسب ابن عمى المتخصص فى طب العيون حساباً يسيراً ولينا بشأن العلاقة تجاه صهره الذى لا يعد بالنسبة لي أكثر من صهر ملفق ومحسوب على، حيث إنه كان فى شبابه غارقاً فى بحر من القاذورات، على أنى كتبت فى اليوم ذاته مقالا نقدياً لمجلة جلوبوس ^(١) Globus.

٥ يوليو

كنت قد قرأت فى "صحيفة المساء *Abendblatt*" الصادرة بالأمس أن مجلس الجامعة بكامل أصواته قام بطرح اسمى لتولى منصب أستاذ جامعى بكامل المرتب - لقباً وصفةً؛ وتوالت البرقيات من جميع الأنحاء عقب نشر الخبر. ولكن لم يقبل بعض اليهود/ الذين كانوا غير راضين عن ذلك، وكانوا فى حالة ثورة وسُخط من جراء عبارة "لقباً وصفةً". فماذا يمكن أن تكون عليه الفائدة من كلمة "صفة" دون "أجر مدفوع"؟ فبهذا يصبح الإنسان دون كرامة.

١١ يوليو

لا شيء يعلو فوق التواضع! فرض الواجب على اليوم - رغم سخونة الجو الشديدة- أن أرافق الحاخام كوهن Kohn فى زيارة وزير الداخلية

(١) نفس المرجع السابق رقم ٤٠٧.

هـيرونىمى *Hieronymi*^(١) وأن أقضى ساعة كاملة بغرفة الانتظار أتصيب عرقا فى انتظار مقابلة سعادته - هل يتحتم هذا كى يعود لمضطهد مسكين حقا له؟ أفى ذلك ما يبعث على الضحك.. لا! فمن يهتم فى عصرنا الطاهر الطهور بالمضطهدين؟ أليس كل مضطهد لا يعدو أن يكون واحدا من الأوغاد - نذل حقير - لا أمل فى إصلاحه! أليس صاحب الحق هو فقط من يقوم باضطهاد الآخرين! من هنا لا شىء يبعث على الضحك! تلخصت مهمتنا فى أن يحصل أحد المحبين للإنسانية، المميز بتواضعه، فقط على - نوط شرف. سألنا الوزير: أليس هو بحق السماء أحد المرابين؟ إنه - بحق جميع الأديان - لم يكن ذات مرة مطلقا مرابيا، بل إنه محسن للبشرية وفاعل للخيرات التى تقوم بها ثمة طائفة دينية. ولكن دون وسام استحقاق! فذلك ما يحصل عليه بالطبع كل قزم حقير من مديرى المدارس. إن أية "نوط شرف" حقيقيا يستحقه فقط من يفعل الخيرات فى تواضع. من جراء هذه الرحلة القصيرة النظيفة، ما زلت أتصيب عرقا حتى هذه الساعة المتأخرة من المساء، لعله أن يتوج إكليله بصالح الأعمال!

١٧ يوليو

قمت أيضا بكتابة مقالتين باللغة المجرية قبل سفرى: أرسلت إحداهما خاصة إلى إصدارات علوم اللغة: *Nyelvtudományi Közlemények*^(٢)، وهى مقالة عن "الدعاية المحمدية فى أمريكا" لمجلة شملة البودابستية *Budapesti Szemle*^(٣) حيث ستصدر بها فى عدد أكتوبر. وفى يوم ١٩ ستبدا رحلة

(١) *K. Hieronymi* (١٨٣٦ - ١٩١١) وزير داخلية.

(٢) انظر ب. هيلر *B. Heller*، رقم ١٧٤..

(٣) انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٦٩.

سفرى إلى ميونيخ. وفى يوم ١٥ من هذا الشهر ستسافر قرينتى ومعها ابنة شقيقتى إلى ناحية كارلس برون *Karlsbrunn*، وأما نجلأى فسيجدان سبيلا لمتعتهما على أحد شواطئ بحر البلطيق فى منطقة كولبرج *Colberg*.

ميونيخ يوم ٢١ يوليو عام ١٨٩٤

فى يوم ١٩ من هذا الشهر، غادرت مدينتى ومسقط رأسى، ولا أدعى حزنى على ذلك. توقفت لبضع ساعات بفيينا، ووصلت إليها فى باكورة صباح أمس. كان فى استقبالى زميلى هوميل *Hommel* الذى كان فى غاية السعادة لرؤيتى، وعلى استعداد للتكيف مع كل الظروف التى تعمل على راحتى؛ ومن هذا دعوته لى لتناول بعض الوجبات بمنزله، وتعرفى أيضا ببعض الشخصيات، مثل: الأستاذ براتشاك *Pražak* ^(١) الذى يقوم بالتدريس فى المدارس الثانوية، وينحدر أصله إلى مدينة كولين التشيكية *Kolin* وهو بارع فى تخصصه باعتباره أستاذًا فى التاريخ القديم (وهو يقيم بمنزل هوميل، ويتلقى على يديه علم الخط المسمارى، وهو مكلف من الأكاديمية التشيكية بكتابة تاريخ العصور القديمة باللغة التشيكية). كما عرفنى بأستاذ آخر من جورجيا- أعنقد أن اسمه/ كوخاموف *Kochamof*، وهو أستاذ بجامعة ١٧٥ موسكو. فى مثل هذه اللقاءات يتعرف المرء بحق مكانة مدينتنا العلمية وهى تشبه عشا للطيور فى هذا الكون، حيث إنها مدينة النصف مليون من البشر. فمن الذى يخطر بباله أن يسافر إلى بودابست ليحصل على مزيد من العلم والفكر؟ ربما لا نستطيع أن نقدم له سوى الكباريهات وعروض الأوبرا.

(١) *J. Pražak* (١٨٦٠-١٩٣٨) أستاذ متخصص فى فقه اللغات القديمة، وعالم آثار، وأستاذ ببراغ.

قمت فى باكورة اليوم - وهو يوافق سبت بالاقي - لزيارة المعبد اليهودى، واستمعت إلى غناء الفتيات المسيحيات لتراتيم القدوس، وبعد ذلك قمت بزيارة المعرض السنوى. إن فننا المعاصر لا يقدم الموتيفات المؤثرة فى النفس أو التى تستحوذ عليها عند رؤيتها. شاهدت لوحات البورتريه مصورة بأحذية صفراء وسجائر؛ وتمثيل نصفية لبسما رك مصورة بقبة بيضاء، وغير ذلك. فهل - بحق السماء - انقطع عن الفن سبل الاحتراف المهنى، وأن يسمو بالروح، وأن يصنع لها ملابس الاحتفال؟ هل ينبغي على مزامير الأرغن بإحدى الكاتدرائيات ذات الطراز القوطى أن تأمر بعزف ألحانها الشعبية؟ لا وجود لعنصر من العناصر التى تتفاعل معها الروح، قد تم استغلاله لمعرفة مزيد من الفكر ومزيد من التخيل؛ إن الأعمال التاريخية الكبرى وعظمة الدين - من أبطال وقديسين وشهداء، فضلا عن الآلهة، وما فعلوه وما صنعوه، وما تركوا من آثار، وما عانوه منه - كل ذلك لم يعد له وجود كموا د وموضوعات للفن. لا نجد من الموضوعات سوى ما يدور حول يوم العمل، وغرفة الانتظار عند طبيب الأسنان، وما شابه ذلك مما يرهقنا، وتأثيره يستمر للحظة أو لبرهة قصيرة من الزمن نرغب فيها أن نشبع لهفتنا لما يستكمل وجودنا. وأما ما يتصل بالتاريخ أو الدين من عناصر فيبدو لنا فى هذا الفن "الحديث" كأنه محاكاة ساخرة رديئة. فيسوع - كما نراه على أحد الأطباق واقفا - يقوم بتوزيع العشاء على حواربيه القادمين عليه واحدا تلو الآخر، كما لو كان من سدنة الكنيسة.

بعد الظهر حللت ضيفا على الأستاذ كرومباخر *Krombacher*^(١)، أستاذ التاريخ البيزنطى، وقد دعانى بأحد الفنادق الملكية، حيث إنه غير متزوج. والآن يقترب المساء، وأرغب فى قضائه مع نفسى.

(١) *K. Krombacher* (١٨٦٠ - ١٩٣٨) أستاذ التاريخ الرومانى فى ميونيخ.

قصر توتسينج - ١٠ أغسطس

فى يوم ٢٢ يوليو وصلت إلى قصر توتسينج *Tutzing*. كان الكونت لاندبيرج *Graf Landberg* فى انتظارى بعربته ومعه خدمه وهم يرتدون زيا خاصا بهم، عند محطة السكة الحديد، واصطحبنى إلى قصره حيث كامل النعم وكمال الأبهة. وفى القصر خُصصت لي غرفتان بهما كل أسباب الراحة والعناية لأقضى بهما الساعات فى ارتياح، أو أعيش فى خلوة مع نفسي، ولكن لم يمر وقت طويل حتى اكتشفت أن هناك -خلاف هاتين الغرفتين- شقة أخرى خلابة، وهى: المكتبة. وسأتحدث عنها فيما بعد، فور ولوجى فى الجو العام بالقصر ونظامه المتكامل بدرجة متناهية. فى تمام الساعة الخامسة تم إعداد وتناول الشاي بإحدى الشرفات المطلّة على منطقة شتارنبيرج *Starnberg*، وتم تقديمى إلى جمع غفير من نبلاء القصر.

كان هناك، إلى جانب سيّدة القصر، سيد يدعى ف. لفيتزوف وحرمه *v. Lewetzow*، وهو قائم مقام، وأناس ينحدرون إلى طبقة النبلاء والأرستقراط/ الذين عاشوا أيضًا فترة من حياتهم فى الشرق. ومن الثابت أن الجد الأكبر للسيد لفيتزوف، وهو من أقدم وأعرق العائلات المتأصلة بمنطقة ميكلنبورج *Mecklenburg* كان قد سقط أثناء الحروب الصليبية فى الأرض المقدسة. وأما قرينته، وهى أيضًا من إحدى السلالات العريقة لطبقة نبلاء بمنطقة ميكلنبورج، نعتبر من الشخصيات الأصيلة الجذابة التى تفيض بالمشاعر العميقة، وعلى درجة عالية من التعليم، ولها آراء ورؤى فلسفية.

كما أنها - لا تسعنى ذاكرتى باسمها- لها نشاط أدبي تمارسه تحت اسم مستعار. وقد طبعت مخطوطها الأدبي عن يوميات رحلتها إلى الشرق، وقامت بتوزيعه على أصدقائها. وهى تعمل فى الوقت الراهن فى ترجمة - بالألمانية- لكتاب خاص بلانديبيرج نُشر باللغة السويدية عام ١٨٨١ تحت عنوان "عبر الصحارى وفى ظلال النخيل". ومن كمال تواضع السيدة النبيلة أن قامت بتسليمى مخطوطها لعمل مراجعة له من منظور اللغة السهلة والأسلوب الألمانى. كما أن تعاطفى تجاهها رفع من درجة تفكيرى فى شقيقتى المسكينة لعدة ساعات فى اليوم، حيث إنها تعاني مرض السل بدرجة عالية بلغت حد أنها فى بعض أوقات شدة هياج المرض عليها تطلب ممن يعلم بوضعها أن يضعوا على وجنتها الورود الخاصة بزيارة المقابر. أيضاً من بين الضيوف الموجودين فى هذا الجمع بالقصر: بارون شاب من منطقة جروناو *Grüna*، وهو ابن أحد أمراء ليشنتشتاين *Liechtenstein* من زواج غير متكافئ؛ كما وجد آخرون من السيدات والسادة ممن قدموا القصر لفترة وجيزة للاستمتاع بحسن الضيافة به؛ فهذا القصر على استعداد دائم لاستقبال ضيوفه ولا تتوقف الحركة به، فلا يمر أسبوع حتى يقصده أصحاب الألقاب الشهيرة والبيونات العريقة الذين جاءوا للإقامة بالقرب من ضيافة القصر، حيث يترددون عليه أثناء مد السمات. فى مثل هذه المناسبات تعرفت على شخصيات كثيرة - وهذا خلاف من هو بارون، ومن هو كونت، ومن هو دوق، ممن يحتشد بهم القصر- منها الرسام الشهير هانز هوبفر وحرمه *Hans Hopfer*، والأستاذ كيلر *Prof. Keller* من مدينة كارلسروهه، وأستاذ الموسيقى تريستل وحرمه *Trestel* القادمين من ميونيخ، والمحرم العسكرى

تانييرا *Tannera*، وعضو مجلس نواب منطقة فيرنر، والمدير العام السابق لمسرح شتوتجارت الملكي، ومدير متحف الآثار بمنطقة بريسلاو *Breslau*، والمستشار الخاص الدكتور جريمبلر *Dr. Grempler*، والسيد إرنست تشيرماك *Ernst Tschermak*، وهو ابن عالم الفسيولوجيا الشهير الذي أقام بالقرب من هذه المنطقة قصرا تكلف الملايين على الطراز القوطي الأصيل على أنقاض قصر (بول *Pöhl*)، وهناك أسماء أخرى كثيرة. وفي خضم هذا الجمع الغفير من المجتمع الأرستقراطي حظيت بمكانة رفيعة المستوى تليق بالحضور بدرجة تفوق كل تصور. فقد بذل لاندبيرج كل ما بوسعه من أجل أن يبرز شخصي كعالم لا تقل مكانته العلمية البتة عن أي بارون أو أي كونت من الموجودين بالقصر. أما سيدة القصر فقد كانت تعاني شعورها بالصلف والتكبر، رغم ثقافتها وإلمامها بالمعارف الفلسفية، ولكنها كانت تُظهر غرورها في نعيم العيش وفي ممارسة الرياضة، فضلا عن تأكيدها لمثالية حياتها التي تتمثل في "أناقته ودقة سلوكياتها وآداب تعاملها تجاه الآخرين"، وكذلك يمكن الحكم من هذا المنطلق على الحاشية التي تحيط بها؛ ورغم ذلك فإن تعاملها تجاهي كان على الاستثناء مما سبق وصفه لشخصيتها. فلا شك أن العداء للسامية كان منتشرا في كل الأرجاء، إلا أنها بذلت قصارى جهدها أن تضيف على شخصي كل الشرف والاحترام؛ فمكاني على المائدة إلى جوارها، تشريفا وتقديرا لصديق زوجها أمام العالم أجمع؛ وحين أرافق الجمع في رحلات كانت تطلب مني أن أجلس بكل ارتياح إلى جوارها في عربتها، بحيث تكون جلستي "وجها لوجه" في العربة أمام السيد ف. ليفيتزوف

Lewetzow صاحب الحساب والنسب/ الذي يرجع لثمانية قرون. مثل هذه ١٧٧

الأشياء الصغيرة، وهى تحديدًا، من شأنها أن تقدم الدليل الكافى الذى يبرهن على المكانة التى يحظى بها العالم اليهودي فى قصر توتسينج، حيث إن الكونت يناديه دائما وبوضوح بقوله "أعز أصدقائى". لقد تغير الكونت لاندبيرج كلية على مدار السنوات الاثنتين والعشرين الماضية من معرفة كل منا بالآخر، وكان هذا التغير فى صالحه؛ فما يملكه من أموال تبلغ الخمسة ملايين قد جعلت منه رجلا متواضعا، بعيدا كل البعد عن كل معانى تحمل صفات الأثرة والأنانية والغش والكذب. ويمكن القول إنه من خلال ما يقوم به من دراسات فى هذا المكان قد صار من أنشط المستعربين وأكفأهم فى زمننا هذا. وهو يعكف الآن على دراسة مواد متراكمة بشكل ضخم عن لغة البدو، ولكن إدارة ثروته البالغة خمسة ملايين وما تتمثل فيها من بضائع وسلع كبرى وعقارات غاية فى التعقيد، لا تدع له الوقت الكافى لقيامه بالأبحاث العلمية كما يتمناها كل منا فى دائرة اهتمام تخصصنا. وأما بالنسبة لنقته الشديدة بشخصي وإخلاصه لي فلم أجد من يماثله إلا قليلا. فقد مهد لي أن أعيش أروع وأبهج أيام حياتي، الأيام الإسكندنافية؛ والأيام التى قضيتها فى شتارنبيرج *Starnberg* هى بمثابة الصدى الذى يستحق كل التقدير والاحترام للأيام ذاتها. فكل ما استمتعت به فى أحضان الطبيعة، وكل فرحة وسعادة أصيلة شعرت بها، قام صديقي بالإعداد لها من أجلي؛ وفى القصر ذاته تكفل بأن تكون حياتي به كما يحياها الملوك؛ فقد قام بتقديمى بكل ما يملك من وسائل الفخامة والأبهة إلى العالم الجميل على ضفاف بحيرة شتارنبيرج، كما رافقتي فى رحلات لا تُعدو ولا تُحصى، كلما سمح لنا المناخ بها، حيث إنه غير ملائم للغاية فى هذه المنطقة. ولكن أكثر إحساس بالمتعة

واللذة كنت أشعر به هنا فى كنف مكتبة صديقى الثرية بكل ما تضمه من أطياف التخصص فى عوالم الشرق. فقد كان تحت يدي ألف مخطوطة نادرة ومجموعة يندر اكتمالها فى مكان واحد لأدب مطبوع. كنت بمجرد أن أنتهى من تناول إفطارى، أتوجه إلى بهو المكتبة، وأبدأ رحلة التقيب والاقتباس، وأستمتع وأنهل من هذا الكنز الهائل، وكثيرا ما وضعت يدي على هذا أو ذاك الكتاب لأصطحبه معى إلى غرفتي لكى أستفيد منه فى فترات ما بعد الظهر والمساء، أو يكون تحت يدي فى مخدعي، أو بصحبتى فى الهدوء الذى أنعم به بالمنزله وأحضان الجبال البديعة. لقد رأيت وتعلمت كما غير يسير لأشياء كنت لا أعلم عنها شيئا حتى هذه اللحظة، وتمكنت من استغلالها وضمها إلى ما أملك من مواد علمية. وكل ما استخدمته وحققت إفادة منه فى هذا الإطار، يحمل فى أبحاثى وأعمالى الإختصار *LH* (إشارة إلى بهو مكتبة لاندبيرج) وهكذا عشت فى قصر توتسينج حياة غاية فى الجمال والإبداع والإفادة، لا تقارن بالحياة الحثالة الحقيمة التى فرضت عليّ فيما عدا ذلك؛ حياة محل احترام ورعاية وتميز وتقدير، من رجال ونساء لا يرغبون أن يلقوا ولو نظرة واحدة من الاحترام على وغد من الأوغاد الذين جعلوا من حياتى فى السنوات الثماني عشرة الأخيرة مجموعة من الإهانة والمهانة والفقر./

١٧٨ على الرغم من عدم شعورى بالارتياح حين يكون هناك تناول وجبات يتحتم معها أن نرتدى ملابس الاحتفالات الرسمية، ولا مفر عندها من غلبة جميع أشكال الحياة الخاصة بطبقة الأثرياء والنبلاء على أجوائها، فإننى وجدت أن فى هذا الأمر ما يميزه، وهو أنه يقوم باستكمال ما نقص فى نهج حياتى النمطى، وأن أتعرف أيضا عن كثر على هذا اللون من الحياة،

وأتدرب عليه على مدار شهر بأكمله. فليس من الضروري أن يكون الإنسان دائما مهلهلا في مظهره لكي يشعر براحة الحياة. إن الكونتيسات والسيدات النبيلات اللاتي أجلس معهن على الموائد، هن أيضا من بنى البشر، ولا يمكن أن يكون كل منا متسولا، أو أحد الكبراء اليهود؛ فلا بد أيضا أن يكون هناك أناس آخرون، لأنهم ينتمون إلى العالم الذي نعيش فيه، ومن التحضر البناء لمن ينتمى إلى طبقة البروليتاريا أن يدخل ولفترة طويلة في "مجتمعهم". وأقسم بربي، أنهم أعربوا عن كل معانى الشرف والاحترام والمراعاة تجاهي، وأنا من أصل يهودي، وهم جميعا يعلمون أنني كذلك، وهو ما لم يجده مطلقا من المتفافرين بأموالهم من بنى عقيدته. لقد أتيت لي هنا فرصة معايشة حياة بهيجة، لا يعكر صفوها شيء، وأن أتواصل معها حتى منتصف هذا الشهر كما عرفتھا.

صحيح - وهذا هو الوجه الآخر السيئ- أنني لم أنعم بوجود زوجتي وأولادى إلى جانبي؛ فزوجتي مع ابنة أختي فى كارلسبرون *Karlsbrunn*، وأولادى فى رحلة لهم بألمانيا، وهم فى الوقت الراهن فى كولبيرج *Colberg* مع أنسة زيلبرمان *Silbermann*، كما أن أغلب الأخبار القادمة من الجانبين تدخل على نفسي السرور، إلا أن سريرة نفسى على وشك أن تتساعل: هل تمنيت أن يكون مكانى بالأحرى بين أولادى عن أن يكون بين سادة وسيدات المجتمع الأرستقراطى؟ الله وحده هو الأعلم.

١٠ أغسطس

كان لقائى واتصالى بابيرس *Ebers* من بين اللحظات المشرقة أثناء إقامتى فى هذا المكان، هذا الرجل الذى يستحق التقدير والتبجيل، فهو الذى

انتصر على ابتلائه فى جسده بعظمة روحه، وهو يجسد انتصار الإرادة على أى شلل وكساح وعجز يُصاب به الإنسان ويحول جسده إلى جثة هامدة: فهو نموذج لكل البشر الذين اعتدت عليهم الحياة بضرارة، حتى بلغ العدوان حد الرهان على نهضة الروح من جديد.

فى رسالة عذبة وجه إيبرس لى دعوته لحضور عقد قران ابنته بالكنيسة اليوم، ثم لحفل عشاء الزفاف. ولإبنته جوهر يشبه الوردة الجميلة التى تفوح عطرا فى إكليل هذه العائلة. وقد ألقى الأب خطبة بديعة عند عقد الزواج، وأما خطبة رجل الدين فاتسمت بالملل، وهناك آخرون قالوا كلمتهم فى هذه المناسبة، فمنهم من كان جادا، ومنهم من كان مرحا للغاية؛ أما أنا فقد تغلبت على نفسى، فلم أرغب كأحد الغرباء فى إقحام فصاحة لسانى على الحاضرين. كان من بين الضيوف: الرسام الكبير "الما- تادىما Alma-Tadema"^(١) وقد جاء خصيصا من لندن لحضور احتفالية صديقه لهذه المناسبة.

توتسينج فى يوم ١٤ من الشهر

لعل الأمر يدعو للدهشة التامة، حين ترى أخيرا أن هناك مكانا لا يسيطر عليه سطوة جرمانية وصلف الجنس الجرماني. إننى أقيم هنا منذ أكثر من ثلاثة أسابيع/ فى هدوء غاية فى المثالية. لم تذكر كلمة واحدة عن الديانة اليهودية فى الأحاديث الكثيرة التى دارت بينى وبين آخرين، وحرصنا على تواصلها حتى ساعة متأخرة من الليل، وبدا الأمر وكأن عبقا لنزعة

(١) Sir L. Alma-Tadema (١٨٣٦ - ١٩١٢) رسام من لندن.

إنسانية رحبة وعامة قد انتشر فوق هذا القصر البديع، ثم فاحت رائحته مساء اليوم بأركانه - ولا جدال في أنه على درجة هائلة، وبلا ولع وشغف، ولكنه واضح بدرجة كافية. حلت ضيفا على المكان إحدى الشخصيات المصرية رفيعة المقام، معالي طغرينى باشا *Tigrene Pascha*، وهو وزير سابق للشئون الخارجية بالقاهرة. وعقب تناول العشاء هبط على سمعي بمحض الصدفة فى ثانيا محادثة باللغة الفرنسية المصطلح "شعب يهودا - *Juif*". أغلب اليهود يشتغلون بالتجارة؛ وهذا كان محور الحديث. وردا على هذا القول، حادثت نفسى على سبيل المزاح، بقولى "وهذا بطبيعة الحال ليس فى مقدور كل المستشرقين". ثم جاء رد السيد ف. لفيتزوف *v. Lewetzow*: السيادة العالمية لعائلة روتشيلد *Rothschild*، والاستعداد والرغبة نحو ديمقراطية اجتماعية، وعدم وجود وطن لليهود، وسلوكهم الفضولى؛ كما أن جميع اليهود بألمانيا يهود، ثم بعد ذلك ليس بمقدوره أن يقسم اليمين على يد من هو ليس مسيحيا (وهذا ما طالب به - هكذا قوله - العهد الجديد). "ولكن يا سيد لفيتزوف، أفضل أن نحترم العهد الجديد كلية ولا نقحمه فى مثل هذه الأعباء الثقيلة. إنك إذن لا ترغب فى أن تتغاضى عن أن اليهود هم أول من عرفوا الله - الذى تُقسم باسمه - وهم الذين علّموا العالم طريقه. فإذا وجد رب آخر تقسم به، فأرجوك ألا تقسم به على يد أحد من أمثالى". واستطرد فى كلامه، إن أخلاقيات اليهود تختلف عن أخلاقيات العالم أجمع. فى هذه الأثناء غادر كل من الباشا والكونتيسة المكان، وهم على حق، فقد كان الحوار مملأً للغاية؛ كما أن الكونتيسة كانت قد كتبت مقالا فى السابق عن السمات المميزة للجنس اليهودى، وذكر أنه لا أحد منهم على دراية باللغة الألمانية، هذا رغم أن

أعمال إيبيرس قامت دار جوثيه *Guthe* بمدينة لايبزيغ بعمل التصويرات الخاصة بها، ومن الأسلوب نتعرف على الفور أن المؤلف يهودى، فتجد فى كل موضع تمجيذا مبالغاً فيه للمسيحية التى تتعرض للاستهزاء والتهكم من الكتاب اليهود وفقاً لرواية لفيتزوف. لم أستطع أن أمنع نفسى من أن ألقت نظر الشريف الميكلنبورجى *Mecklenburg* أن هناك شخصية مشهورة من أهل بلدته القادم منها، وهو البارون فون شاك *Freiherr v. Schack* (وهو واحد من ميكلنبورج)، وهو رغم أنه ليس يهودياً مضطهداً، فإنه يحمل فى نفسه كثيراً من الأذى للديانة المسيحية فى وقتنا الحاضر مقارنة بما قد يفعله أى يهودى؛ وقد أفرط فى هجومه الشرس حتى إننى أرغب فى الدفاع عن المسيحية ضد الاعتداءات التى يقودها أحد حوارى يسوع النبلاء.

فى هذا المقام لم يغيب عن بالى الموضوع المذكور فى باندورا بصفحة ١٧٢، حيث ذكر فيه أنه على إثر إنكار الثالوث المقدس على نحو خطير، وهى خطيئة تحملتها صيرورة بشرية نيابة عن الآخرين (من خلال تعاليمها التى تقول: إن كل من ادعى أنه ابن للرب، وهو فى حقيقة الأمر ليس على تلك الدلالة الفجة، قد تحول إلى شيطان بغيض، حصد معه من البشر ضحايا زهقت أرواحهم على المذابح من أجله، مثلهم كمثل ضحايا المعبودة الهندية كالى)، ثم يذكر الموضوع ما يلى: "إنه تلاعب مسيء مشوب بالسُخْط، ولا يدوم الصبر عليه طويلاً، لديانة ما هى إلا مسخ فى أبغض صورة له للإنجيل، وتحمل اسم المسيحية.../ وهذا أيضاً لا يمت للكنيسة المسيحية -

كما تدعى كذلك - فى شىء؛ فالكنيسة المسيحية الحقّة هى التى ندين لها بالشكر فى قولها بأن عهوداً أفضل من سابقها قد هلت علينا أخيراً؛ وذلك

لأنها لم تحافظ على الإنجيل في صورته النقية، بل في صورة مشوهة، نسجت خيوطها على ضلالات وأباطيل في عهود سابقة عليها. ومع ظهور حركة إحياء وبعث الأدب أيقظت معها روح العلم والفكر، انكشف المستور شيئاً فشيئاً حتى خرجت إلينا التعاليم النقية؛ وهناك عظماء من الرجال على عهد حكم الإغريق والرومان، من أمثال أفلاطون *Plato*، ومارك أوريل *Marc Aurel* أسهموا بقوة مع ذلك في بلوغ البشرية لهذا الصنيع".

١٥ أغسطس

عشية أمس استهدفت التصدى - في تواضع العلماء وبلا انفعال عاطفي- للهجوم الجاهلي على ديانتى وعلى أصول عشيرتى من قبل هذا الشريف القادم من ميكلنبورج. وهذه هي الطريقة الوحيدة التى يمكن أن يتحقق معها نجاح فى مثل تلك المحاورات الجدلية المقيتة. فلا يمكن مواجهة فكر العصور الوسطى الساذج إلا بالإنسان المتعلم المثقف؛ ولكن حين عدت إلى حجرتى، راجعت نفسى فى هذا الشأن. فى هذه اللحظة فقط وجدت نفسى تحدثنى بأننى أغفلت عن شيء، ربما كان من المفروض أن أتصدى له، وهو أن أعترض بشدة على الموقف الاستثنائى الذى أعرب عنه أعداء السامية الموجودين بالقصر تجاه شخصي، حين قالوا: "لا نقصد بذلك شخصكم الجليل، فأنتم تمثل استثناء؛ ونحن نكن لسيادتكم كامل الاحترام والتقدير، ولا شيء مما نقوله يمكن أن تدخل فى دائرته". وقبل عدة أيام قال لي أحد العلماء المسيحيين، إنه لا يكبح جماحه من العداء للسامية بدرجة أساسية سوى أنه يعرف جولدتسيهر. ولا شك أننى لم أقف أمام هذا الإطار موقفاً

سليبا، بل قمت بالرد عليه وأعلنت مرارا وتكرارا بأننى أتناغم اليهود فى جميع المزايا والعيوب، وإننى أعتبر أية إهانة لهم هى إهانة لى، ولكن الطموح فى أن أصون المحاورات الجدلية من الدخول فى معترك النفسخ، حملنى على أن أشرع فى انتقاء كلمات معتدلة.

قضيت البارحة دون أن يغفل لى جفن بالمرة. وفى الصباح الباكر. وجدت ف. لفيتزوف v. Lewetzow حضر لزيارتى فى غرفتى، واستمرت الزيارة ساعة كاملة تقريبا، والمقصود بها - على ما أدركت - تقديم الاعتذار عما بدر منه مساء أمس.

بعد الظهر

عقب الانتهاء من تناول العشاء رافقت الباشا فى نزهة قصيرة بمنزلة القصر. تحدثنا معًا عن أمور... مصرية، وعن رياض Riaz، وعن دور Dor، وعن على مبارك Ali Mubârek، وآخرين من رواد عصر الإصلاح عام ١٨٧٣.

وفى الختام كان عليّ أن أجيب الباشا على السؤال التالى: "هل يعتبر اليهود يسوع المسيح منتحلا، مثلما ننظر نحن لمحمد؟" وردا على هذا السؤال المقتضب، قمت بإلقاء محاضرة فى تاريخ الأديان على مسامع فخامة الضيف القادم من أفريقيا./

كل شىء يعمل على دفعى للتحرك ضد نفسى بعد هذا الفاصل الذى [١٨١]

حدث يوم ١٤ يستحق ضعف المحبة والتقدير، وأكثر من هذا لو كان فى الإمكان. كان وقع الأمر فى نفسى، كما لو أن ذلك الحديث بالأمس قد ولد

لدى الجميع شعورًا بندم عميق، وكما لو أنهم ينظرون لنفس الشيء على أنه نعمة عفوية شاذة في تناعم علاقتنا حتى هذه اللحظة، ولم يتم الرجوع إليها. إن هذا الأمر أكثر تناسبا وتلاؤما لشخصي عن أى شخص آخر. فكل شيء يطمح في أداء يتسم بالشرف والأمانة بإمكانه أن يطمس تذكر النصف ساعة إياها؛ وأرى أنني سأحقق مكسبا من جراء ذلك، فنعيم العيش أثناء إقامتى هنا لا يمكن أن يرتفع ويرتقى إلا فى هذا الإطار.

١٧ أغسطس

فى يوم ١٥ قمنا بصحبة الباشا برحلة إلى الوادى الجميل، حيث تقع به منطقة البحيرات البديعة المعروفة باسم الأوستر *Osterseen*. وبعد يوم من هذه الرحلة استودعنا كلا من الباشا، ومن بعده لقيتزوج. وعلى أعقابهما وصلت إلى القصر شخصية فخمة جديدة. إنها البارونة فون ليبيناو *von Liebenau*، وهى حرم مارشال القصر ومربى القصر الألمانى الحالى، وسيدة جميلة، وهى سيدة قصر بدءا من مفرق شعرها وحتى إصبع قدمها، وأحضرت معها ابنتها الصغيرة الفاتنة ناشا *Nascha*، التى قرأت لها بعض أبيات شعرية لطيفة كانت قد سجلتها بريشتها فى سجل الزائرين للقصر لعام ١٨٩٣. صارت فخامتها الآن جليستى على المائدة، وهى لطيفة للغاية، سواء أثناء تناول الطعام، أو بالصالون، كما أنها - ومن الظلم أن أستخدم الكلمة - كانت تهبط بمستواها تعاطفا وتلطفا منها تجاهى.

١٨ أغسطس

يعرب كل من حولى فى حديثه معى عن أمنيته فى ألا أغادر المكان؛ الكونت والكونتيسة والبارونة فون ليبيناو *von Liebenau* وابنتها الصغيرة.

ولكننى عقدت العزم على السفر صباح غدٍ، دون نقض أو إبرام. وقمت بكتابة كلمة الوداع فى سجل الزائرين؛ وبعد تناول العشاء توجهت لجولتي بالصالون، وإذا بي أقابل بتصفيق متواصل من الجميع، وكتبت البارونة على شرفي بضعة سطور على سبيل التثاء والمجاملة، التمسيت فيها ترجمة حقيقية للإحساس المخلص الذى حرك دواخل نفسي عند قيام المجموعة النبيلة الجميلة بتوديعي، تلك المجموعة التى أدخلت السعادة على قلبى. والواقع أننى شعرت بتحريك مشاعري الداخلية نحو كل ما استمتعت به فى هذا المكان، وهو ما يجب الاستغناء عنه من الآن فصاعدا. وفى المساء الأخير امتلأت أجواء صالون الكونتيسة بحيوية أحاديث شيقة، وكان القسط الأكثر حيوية للمشاركة فيها من جانب سعادة الابنة الذكية الصغيرة للبارونة فون ليبيناو

.von Liebenau

لينداو - ٢٠ أغسطس

مرت الليلة الأخيرة فى توتسينج بلا نوم. لم أرغب فى أن تمر الساعات الأخيرة هنا دون أن أقتبس شيئا من مكتبة لاندبيرج، التى يصعب على نفسى فراقها. وفى يوم ١٩ الساعة السابعة صباحا قامت الأنسة شاوب *Schaup* (وهى تستحق فصلا خاصا/ فى مدوناتى عن زيارتى لتوتسينج) بتحضير طعام إفطارى الأخير. بعد ذلك رافقتى كارلو *Carlo* إلى محطة السكة الحديد. فى تمام العاشرة كان هوميل *Hommel* فى انتظارى بمحطة ميونيخ، وتجانبنا أطراف الحديث معا حتى موعد تحرك قطارى فى اتجاه لينداو *Lindau*. جلس فى الديوان الذى كنت به أحد القاهريين، وتحدثت معه بالعربية، وتصادف أنه نزىل بالفندق الذى سأقيم به. واليوم سأتوجه فى رحلة

إلى بريجنز *Bregenz* حيث سأصعد الجبل باستخدام التلفريك. إن صعود الجبل يتطلب مني الآن جهدا شاقا، فضلا عن إجهاد ساقي؛ إننى لم أعد شابا؛ فحتى السنوات الأولى من الثمانينيات كنت أتسلق جبال الألب وأطوف حول منطقة رايشنهالر *Reichenhaller Alpen*. والآن عليك أن تستعد لأن تكون شيخا يُحتفل به، ما دام أن صعود الجبل لمدة ساعتين صار من الأعمال المصنية لك.

٢١ أغسطس. مدينة كونستانس *Konstanz*

بعد قضاء جولة بمدينة لينداو *Lindau* ومشاهدة مبانيها القديمة، وكنائسها وأبراجها العديدة، سافرت فى تمام العاشرة، والسماء غاية فى الإبداع، فى اتجاه مدينة كونستانس باستخدام إحدى البواخر ببيرة البودينزيه *Bodensee*. وأول ما فعلت عند وصولي أن توجهت لمكتب البريد، ووجدت تلغرافا من بودابست فى انتظاري، يحمل خبر نشر تعييني أستاذا جامعيا على كامل الدرجة الوظيفية بالجريدة الرسمية، اعتبارا من يوم ١٨ من هذا الشهر، حيث إنه يوافق يوم ميلاد فخامته. وكما لفت نظري من خبر وصلني فى خطاب آخر فى الوقت ذاته، أن الخطاب المكتوب بخط اليد مؤرخ فىصدارته بتاريخ الأول من أغسطس. ويبدو أن مرسوم النشر بتاريخ يوم ١٨ لم يكن دون قصد، وأن ابن خالد الذكر جوزيف ايوتفوز *Josef Eötvös*^(١) هو الذى أمر بذلك.

(١) البارون *L. Eötvös* (١٨٤٨ - ١٩١٩) عالم فيزياء، ووزير تعليم، ورئيس الأكاديمية المجرية للعلوم.

وبناءً على ما تقدم فإننى اعتباراً من اليوم: البروفيسور أجناس جولدتسيهر! وبهذا المرسوم فإننى أُعتبر أول أستاذ يهودي (سواء بكامل الدرجة الوظيفية أو بالمكافأة) متفرغ بجامعة بودابست. وكذلك فى السابق، فى عام ١٨٧٢ كنت أول دكتور يهودى بكلية الآداب، وقبل ذلك، فى عام ١٨٦٩ كنت أول يهودى حاصل على منحة من الدولة، وبعد ذلك فى عام ١٨٩٢ كنت أول عضو منتظم بالأكاديمية المجرية. يا للهول.. هذا الخطر العظيم لليهودية المجرية!

حقاً! "لا كرامة لنبي فى قومه!"

٢٢ أغسطس

مشاهدة المعالم السياحية بالمدينة، والمعروفة لى من قبل عند زيارتها فى عام ١٨٨٤. بهو الاجتماعات بالكاتدرائية. طريق يعقوب - اليوم جولة تـرجـل إلى جزيرة مايناو *Mainau-Insel* مروراً بقرية ألـمان دورف *Allmannsdorf* وبرج المشاهدة.

٢٣ أغسطس

زيارة جزيرة رايشناو *Reichenau* بآثارها الكنسية - أرينبيرج *Arenberg*، ثم معالم نابليون السياحية.

٢٤ أغسطس

زيارة زينجن *Singen* - وحصن تويل *Hoher Twiel* - منطقة الجبل المرتفع *Hoher Krähen* /

زيارة شافهاوزن *Schaffhausen*. لقد خارت قواى وقررت تأجيل سفرى إلى سيكينجن *Säckingen* إلى يوم آخر، من أجل أن أنعم هنا بالراحة والهدوء لمدة يومين، وأيضاً أنتهى من كتابة مراسلاتى، وأسترجع ما فاتنى من تكوين لبعض الأشياء لم يتوافر لها الوقت على إثر تجوالاتى فى الأسبوع السابق. قمت بكتابة رسالة مطولة، ولكنها محترمة، إلى البارون إيوتفوز *Eötvös*.

٢٧ أغسطس - سيكينجن *Säckingen*

مرورا بالطرف الأعلى للراين وصلت بعد الظهر إلى مدينة الشاعر صاحب قصيدة "عازف آلة النفخ". وبالقرب من الفندق الذى أقمت به لفت نظرى -على الأخص- وجود حانة تحمل اسم "الحوت الأسود"، وبعد تناولى العشاء توجهت إليها، وحدثت تعارف على وجه السرعة بينى وبين النادل، السيد بروجلى *Brogli*، وهو رجل مسن، أعور، ويفتخر بأنه كان صديقاً لفكتور شيفل *Victor Scheffel*^(١). وفى داره يوجد ركن يطلق عليه "الملقى"، حيث كان يجتمع به "الندماء" من الرفاق المثقفين، فى صحبة منتشية بأقراهم من جنوب ألمانيا، يسودها الإحساس باليقظة والحيوية، ويتزودون فيها ببتبؤات وبشائر فون شيفل. ومن أسباب المتعة عمل دراسة عن المزاح

(١) الأديب جوزيف فيكتور فون شيفل *Joseph Victor von Scheffel* (١٨٢٦ - ١٨٨٦) كاتب وشاعر ألماني من مؤسسى الحركة الأدبية المعروفة باسم "*Biedermeier*"، والتي عكست ثقافة وفن الطبقة الوسطى. (المترجم)

والفكاهة التى يتندر بها الناس فى الجزء الخارجى من الحانة المذكورة، وعلى رأسه الركن الذى يُطلق عليه "الإقبال على الحياة *Der Oberwal*". كما أن الكؤوس مرسوم عليها رسومات بحفر غائر، تعبر عن قصيدة "الحوت الأسود". وعلى الحوائط تتنلى شعارات ورسائل الاجتماعيات المنتسب بعضها إلى بعض، وعلى الموائد تتكدس كتب الغناء والموسيقى والألحان، وغير ذلك. كان السيد بروجلى يجلس معى فى مكان لطيف ويقوم بدور شيشرون فى توجيهى إلى الأماكن السياحية، فيمدنى بكل التفاصيل المتخصصة فى طبوغرافيا الأماكن التى تمكننى من فهم قصيدة "عازف آلة النفخ" عند بعض المواضع بها. وهكذا تشعر بروح شيفل تهب كالنسيم فى كل ركن من أركان هذا المكان، كما أن المكان تسوده النغمة الأبيقورية، وروح النشوة بالخمير. وما ترك أثره فى نفسى -على الأخص- أن ما من أحد بالمكان، بل أيضاً السيد بروجلى ذاته، يمكنه أن يرشدنى ويفسر لى حكاية القديس الراعى فريدولين *hl. Fridolin* الذى تمثل حكايته موضوع اللوحات الجصية للكاتدرائية البهية، بينما كل شىء يفتخر ويعتز بشيفل وعازف آلة النفخ. صحيح يبدو أن عصر الرعاة والقديسين قد انتهى؛ فحكايتهم المقدسة هى علم خُدام الكنائس وقرّاع الأجراس. والعصر الحديث يؤسس على شعراء الخمر ونشوته. فالناس تلك باحترام وتقدير حقيقى على الأماكن التى شرب فيها شيفل الخمر (مثل حانة "الزود *Der Knopf*"), ولا أحد يهتم بالأماكن التى تقلب بها وحلم بها القديس فريدولين.

أمضيت ما تبقى من اليوم مع كتاباتى وتدويناتى. عثرت فى صحيفة فرانكفورت بتاريخ ٢٥ من هذا الشهر على تراسل من بودابست يتناول

حصريا الدلالة السياسية الكنسية/ لتعيينى أستاذًا متفرغًا، وأشادوا بذكاء إيوتفوز Eötvös، وأن العهد الجديد قد بدأ فقط بتقليدى المنصب، وفى المقابل تحتم أيضًا على "ماجيار علام Magyar Állam" أن يلتزم الصمت فى هدوء.

فى المساء سأقوم أيضًا بجولة ترحل مجزية عبر كوبرى الراين فى اتجاه القرية السويسرية شتاين Stein، ومن هناك نحو أوبرمومبك Obermumpk، وفى ظل التصيب بالعرق سأصعد إلى فلوه "Fluh"، حيث رؤية المنظر البديع من أعلى على وادى الراين والاستمتاع بمشاهدة فالدشتادت Waldstadt.

٢٨ أغسطس - فى الصباح

توجهت فى الساعة السادسة صباحًا إلى منطقة بحيرة الجبل Bergsee التى صورها شيفل فى قصيدته "عازف آلة النفخ" على نحو فريد ولا مثيل له فى جمالها. هنا ينبغى عليّ أن أشرب "خبًا" على روح الشاعر، وأقرأ حتى الثامنة فى قصيدته "عازف آلة النفخ" التى أدعى أنها كانت مصدرًا لمتعتى من خلال اكتسابى العديد من التجارب المحلية الغنية بالإتقان الطبوغرافى. - كتابة خطابات إلى الوطن.

التلف على أخبار توقعت وصولها إلى مكتب بريد بازل دفعنى لمواصلة السفر اليوم بعد الظهر. يا لعذاب قلبى! ويا لحقيبتى المعذبة!

٢٩ أغسطس - بازل

وصلت مساء أمس إلى بازل، وبالصدفة السعيدة أنه بعد بضع ساعات من وصولى، وجدت ماكس نورداو Max Nordau قد نزل فى الفندق ذاته

ومعه والدته، قادمين من المصيف السويسري بادن *Baden*. قضينا معًا بضع ساعات في المساء غاية في التشويق والإثارة. في اليوم التالي وجدت نفسي أعود لمخاطبة الناس بلغة مضطربة بوضوح وجلاء بعد مضي ستة أسابيع من التلوث السمعي.

٣٠ أغسطس

قمت بمشاهدة كل ما تضمنه مدينة الراين الجميلة من عجائب وغرائب، الواحدة تلو الأخرى. وبلغت الدهشة ذروتها في التأثير العبري على المجلس المحلي لمدينة رجال الدين من أتباع بوكستورف *Buxtorf*؛ هنا تجد العديد من التصويرات الأجسية مزودة بنقوش عبرية ممتدة؛ وعلى شمال المدخل مباشرة ترى الوصايا العشر في الأصل العبري على إحدى اللوحات الأجسية الباهتة بفعل الزمن. وعلى يمين بهو البوابة ترى لوحة، مصورا عليها: الملك سليمان بين شعبه، وخلف الملك يقف أحد حوارى اليهود يضع على رأسه "قبعة" ويرفع لأعلى إحدى لفائف التوراة التي تشير إلى النص العبري "שופטים ושוטרים תתן לך וכו'", مع بيان باللغة العبرية للمكان الذي عثر عليها به في الوقت ذاته.

توافر لدي وقت في فترة ما بعد الظهر للرد على بعض الرسائل التي وصلت، ومن بينها إصدار هاركافي *Harkavy*^(١) لنص ديني تلمودي يرجع إلى كيركيزاني *Kirkisānī*، فأرسلت إلى هاركافي من هنا بعض التصويبات

(١) *A. E. Harkavy* (١٨٣٥ - ١٩١٩) مستشرق ومؤرخ وأمين المكتبة القيصرية العامة بمدينة

بیترسبورج *Petersburg*.

لإصداره. أيضًا قمت بكتابة رسائل تهنئة لكثيرين، ومنهم: نولدكه *Nöldeke*،
والآنسة فز تورما *Frl. V. Torma* وغيرهما. /

٣١ أغسطس - فرايبورج *Fribourg* ١٨٥

وصلت هنا بعد ظهر أمس، وفضلت اختيار المدينة الكاثولوكية الصغيرة الجميلة بالقطاع الفرنسي كمرحلة أخيرة قبل جنيف، تلبيةً لدعوة ابن بلدى البروفيسور شتاين^(١) فى أن أتوجه إلى برن التى أعرفها فى السابق. كان معى فى الرحلة صُحبة ممتعة للغاية، كان فيهم أحد شيوخ جماعة الإخاء البيض بأفريقيا، وكان فى طريق سفره إلى مارسيليا مروراً بجنيف، وتحدث معى بالعربية المغربية؛ اعتقد هذا الشيخ أننى محمدي، لأننى اتخذت موقف الدفاع عن الإسلام فى حديثى معه، كما دافعت عن القرآن فيما نسب إليه من نصوص مغلوطة، واستشهدت بالصحيح منها، وربما جاء حكمه هكذا لأننى أتجاوز معه بالعربية. وكانت معنا فى رحلة السفر هذه سيدة من جنيف، كانت تعتبرنى - كما أخبرتنى فيما بعد - أننى لست أوروبياً عند رؤيتها لي أصد الشاحنة، فقد وجدت فى ملامحى وحركاتى "الطابع الشرقي". كما أن دهشتها كانت بالغة، حين وجدتنى أتحدث الهولندية مع الهولندى، والألمانية مع مفتش المركبة، وتحدثت معها هى شخصياً بالفرنسية، وتحدثت مع رجل الدين فى غاية الاحترام والوقار بلغتي الأم. سألتنى: "وهل تتحدث أيضاً الإنجليزية؟" فأجبته: "نعم يا سيدتى - وبالإضافة إلى هذا وذاك فإننى أتحدث لغتى الأم الجميلة. فقالت "وهى العربية، أو ربما التركية". هى إذن: "وحين

(١) *L. Stein* (١٨٥٩ - ١٩٣٠) أستاذ الفلسفة بجامعة برن.

أخبرتها بأننى يهودى مجرى، فإذا بالمجرى هذا قد أثار دهشة السيدة". لقد كان اليهودى يمثل للأب موضوعا لألم رسولى.

وصلت فى وقت مبكر بحيث أتحت لى الفرصة أن أستطلع محيط المدينة الصغيرة الفاتنة، وهى فى واقع الأمر مشيدة على شكل طوابق ثلاثة. سرت عبر "الكوبريين المعلقين" نحو كنيسة لوريتو، وفيها رأيت سيدة شابة ترتدى لباسا أسود تركع فى صلاة حارة أمام سقيفة الخطيئة والإثم. سألت نفسى: أى فعل ارتكبه هذه المرأة؟ طفت خلال "المدينة المنخفضة"، وهى عبارة عن مختلط من الأزقة الصغيرة القذرة، يعيش عليها الجزء الألمانى من السكان، ثم صعدت إلى المدينة القديمة، وهى الحاضرة الحقيقية، ولاحظت بالقرب من الفندق الذى أقيم به أيضا وجود بعض الأزقة التى تقود عبر مائة درج إلى جماعة اليسوعيين القديمة وإلى متحف المقاطعة. بعد الساعة الثامنة قمت بزيارة حفل "كونشيرتو الأرغن" فى الكاتدرائية (يوميا تستخدم هذه الآلة العملاقة مرتين، وهى واحدة من أضخم آلات الأرغن فى العالم، على هذه الطريقة من أجل نتاجات عامة). إن الصفارات تدوى بصوتها الرهيب وتتطاير فى أجواء الأماكن المظلمة محدثة "عاصفة" يبعث بها عازف الأرغن فوجت *Vogt*. وفى الغرفة الكبرى للمعبد لا يشتعل سوى مصباحين بزيت النفط، وعلى هيئة مرعبة يرتفع شكل المصلوب خلف المصباح الأبدى لقدس الأقداس. كل ذلك تحت مؤثرات الصوت والضوء التى تسيطر على الحواس - ولكنها لا تترك الروح دون أن تمسها. وفى اليوم التالى قمت بزيارة جميع الأماكن المقدسة، كبيرها وصغيرها، وفى المساء استمتعت بغروب الشمس وبهجتها من نقطة التطلع/ والمشاهدة فى

دورنبول *Dornbühl*. لماذا الغروب على وجه التحديد الذى أتأمله من كل قلبى؟ لماذا أشعر بنعيم الطبيعة البديعة على الأخص فى لحظة زوال مصدر الضوء؟ إن أجمل الساعات التى أقضيها على الشاطئ، وفى السهول، وفى الجبال، هى دائما اللحظات التى أتأمل فيها غروب الشمس بإعجاب وإجلال. اليوم كنت أطالع الأفكار السامية التى كتبها كينجسلى *Kingsley* عن هيباثيا *Hypathia* بشأن مفارقة النزعة الهيلينية، وكنت أراقب إذ ذاك بكل الحواس غروب الشمس ولحظة زوالها فى الأفق على هيئة مراحل.

جنيف - من ١ حتى ١٢ سبتمبر

لم أتمكن أثناء انعقاد مؤتمر المستشرقين من تدوين الأيام التى لن تطويها الذاكرة والتى قضيتها فى هذه المدينة على هذه الصفحات؛ فلم تتوافر لحظة واحدة لهذا الأمر، ولكننى أرغب قبل التدوين أن أسجل بامتنان من كل قلبى مدى تأثير تلك الأيام المعدودة على نفسى وإثارتها لعميق وجدانى. لقد غمرتنى الفرحة لوجودى مع بعض الأصدقاء والزملاء تحت سقف مشترك، وسرنا حسن الضيافة والكرم الفريد للعائلة الأرستقراطية النبيلة فى هذا المكان، وعلى رأسها فان بيرشم *Van Berchem*. فقد تم استقبال جالية من المستشرقين الدارسين فى الفروع المتعددة للاستشراق من جميع الدول، وتسكينهم فى المنزلين رقمى ١٢ و ١٦ بشارع جرانج *rue des Granges* وتوفير كل ما لذ وطاب من الطعام والشراب بلا حدود، وإحاطتهم بكل ألوان الراحة. وقد أقمت فى منزل واحد مع كل من لاندبيرج *Landberg* وأوبتيج *Euting*^(١)، وأقام الآخرون فى المنزل الآخر، وهم: جويه *Goeje*، باربيه دو

(١) *J. Euting* (١٨٣٩ - ١٩١٣) مستعرب ومتخصص فى دراسة النقوش.

ماينارد ^(١) Barbier de Maynard، هوداس ^(٢) Houdas، كازانوفا ^(٣) Casanova، ستريجوفسكى ^(٤) Strzygowski، جوتهايل ^(٥) Gottheil، وهو من نيويورك (وكانت معه زوجته التى تتحدث العربية، حيث إن بيروت مسقط رأسها)، أسماء رنانة ولامعة فى ميدان علمنا. ولقد جمع بيننا ووجد لقاءنا مرتين أو ثلاث مرات يوميا فترات تناول الوجبات وحلقات النقاش والبحث الجاد بين العلماء، كما كنا نجلس جميعا بعد تناول العشاء بغرفة التدخين الموجودة بالمنزل الجميل رقم ١٦، ونتجاذب أطراف الحديث الشيق فيما بيننا حتى فترة متأخرة من بعد منتصف الليل. فقد كان المكان يشبه صورة مصغرة للأكاديمية العلمية. فقد صرنا مستعربين ومستشرقين فى حياتنا، فكان هذا الملئقى فرصة للراحة النفسية من عذابات الحياة المكررة. كما أن نفسى تشبعت بإعراب زملائى القدامى والمحدثين تجاهى عن تقديرهم لشخصى.

قمنا برحلات بديعة لزيارة القصور الفخمة المتناثرة على ضفة بحيرة جنيف. وفى كل مكان أوجد به، فى جميع المحافل العلمية والاجتماعيات الراقية، حظيت باهتمام ملحوظ بشخصى على أعلى درجة من التقدير. وقد استقبلت محاضرتى التى ألقيتها بالمؤتمر، والتى حملت عنوان "فى الأصول التاريخية للشعر العربى" (وهى تُعد الأفكار الأساسية للفصل الذى أقوم

(١) A. C. Barbier de Maynard (١٨٢٦-١٩٠٨) أستاذ اللغة العربية بالكلية الفرنسية Collège de France.

(٢) O. Houdas (١٨٦٠-١٩١٧) قام بنشر مصادر غير معروفة خاصة بتاريخ شمال أفريقيا.

(٣) P. Casanova (١٨٦١-١٩٢٣) مستعرب فرنسى بالقاهرة.

(٤) J. Strzygowski (١٨٦٢-١٩٤١) أستاذ تاريخ الفن بفيينا.

(٥) R. J. H. Gottheil (١٨٦٢-١٩٣٦) أستاذ اللغة السامية بجامعة كولومبيا ومدير قسم

الشرقيات بالمكتبة العامة بنيويورك.

بإعداده للصحافة عن أصل الهجاء) بتصفيق وهتاف مدو^(١). كما تم اختياري مع دى جويه *de Goeje* وزاخاو *Sachau* لأكون نائباً لرئيس قسم العلوم الإسلامية، وعُهد لي بإعداد موسوعة للإسلام، وأن أكتب تقريراً عن ذلك للمؤتمر القادم لعام ١٨٩٧ الذي سينعقد بباريس.

توديعي للأصدقاء بعشية أمس. كفى ذلك لهذا اليوم./

فينا يوم ١٥ سبتمبر ١٨٧

فى يوم ١٢ بعد الظهر بدأت رحلة سفرى من جنيف عبر سان ساليف *San Salive*، وقمت بإلقاء سلامى على جبل مونت بلانك *Mont-Blanc* توددا لفخامته. وقد غادرت جنيف الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، واستغرقت رحلة سفرى يوماً كاملاً بليتين دون توقف، عبر أرلبرجبان *Arlbergbahn* حتى وصلت إلى هنا. وكان يصاحبني فى جزء كبير من هذه السفريّة (من زيوريخ وحتى انسبروك) فامبيرى *Vámbéry*، ولكم أن تتخلوا كم من أكنوبة استمعت إليها فى ذلك اليوم، على أن أمكث للراحة هنا لمدة يومين، ثم أواصل سفرى فى ساعة متأخرة ليلاً فى اتجاه بودابست.

٢٢ سبتمبر

المثول أمام حضرة وزير التعليم^(٢). أخبرنى أنه لا يزال يتذكر جيداً فترة شبابه، وكيف كان والده يتحدث عنه كثيراً بعين الرضا، وكان يقول له، إنه اكتشفه، وإنه لم يخيب ظنه فيه.

(١) انظر *B. Heller*، سبق ذكره، رقم ١٨٩.

(٢) *L. Eötvös*.

لم أهنأ بأية راحة أو هدوء من اليهود الذين يبعثون لي بتحياتهم. فقد أمسكوا بي على قارعة الطريق، وتحرشوا بي في مقر عملي، حيث أذعنت لهم - دون رحمة. لقد شنَّعوا بسمعتي في صحفهم، وقتلوني بدعايتهم. كما أنهم لم ينكروا حقارتهم في هذه الواقعة. إنهم يسدون لي تحيتهم، ولكن دائما مع تحفظهم بالقول بأن "تعينني بكل أسف لا قيمة فعلية له!". إنهم يستخدمون - بالإجماع وكأنهم على قلب رجل واحد - الكلمة العجيبة: "قيمة فعلية". فقد خلطوا خلطا عضويا في ذلك أسلوب تفكيرهم السوقى باستيائهم المفصوح. من بين التهاني الكتابية والتلغرافية التي بلغت ما يقرب من مائتي رسالة، لا توجد رسالة واحدة من أفراد العصاة اليهودية - المنتشرة في الوقت الراهن، والتي تدار من مكان يطلق عليه مقر الولاية - وهم السادة سيمون *Simon*، وباخر *Bacher*، وآخرين من أمثال هذه الحثالة من دوائر "المتقفين" و"غير المتقفين".

تقابلني الدوائر الجامعية على نحو ممتع وجذاب، غاية في السرور والالطف والاعتراف بشخصي. وسلوكهم الشخصي هذا يعوضني أيضا عن "قيمة فعلية" تأتي من قبل بنى عقيدتي الأعزاء.

٢٨ سبتمبر

في الجلسة الأولى التي عقدتها الكلية في هذا الفصل الدراسي، قام العميد "بيوتي *Beöthy*" بالترحيب بي على نحو احتفالي، وإعلانه - وفقا لنص الأمر الوزاري (وهو الذي بعث به الوزير شخصيا لي) أنني قد أصبحت "عضوا كاملا الحقوق".

٥ أكتوبر .

مساء اليوم قرأت على مسامع الحاضرين بالأكاديمية تقريرى بشأن مؤتمر المستشرقين (جنيف). والذي سينشر فى عدد ديسمبر بالمجلة الأكاديمية "إرتيتو" *Értesítő*^(١) /

عام ١٨٩٥ ١٨٨

٢٩ إبريل ١٨٩٥

كان الوقت الذى ضاع هباءً منذ آخر مدونة لي فى هذه اليوميات موحشاً، مجذباً كالأرض المقفرة. فلم تتغير فيه الظروف الداخلية تغيراً يُذكر فى أى شيء؛ على أن ما أملكه من قدرة تحمل قد واصلت تقلصها بدرجة مهمة أمام تلك الظروف. فقد زادت معاناة نفسى هذا الشتاء عما كانت عليه من قبل، من جراء وقاحة هؤلاء الجهلاء الذين ينظرون لي نظرة دونية كأنى ملك أيمانهم. ولأن سوء الحظ كتب عليّ ألا أكون ندا لهم على المستوى الاجتماعى، وأن تحول بينى وبينهم مسافات شاسعة فى تصدرهم فى المكانة لأية نظام إنسانى، فقد بدا لهم أن يضعوا نصب أعينهم هدفاً اتفقوا فيما بينهم - وكانهم شياطين الإنس والجن - على ألا يحيدوا عن تحقيقه تجاهى، وهو أن يلحقوا بى المهانة والاستعباد والذل بقدر ما يملكون من وسائل، بل والأحرى أن يقدموا الوثائق للجمهور، وفى كل محفل، صغرُ أم كبر، على أننى لست أكثر من "خادم". وكل صاحب عقل له أن يعتقد أن من يتحمل هذا

(١) انظر B. Heller، سبق ذكره، رقم ١٦٧.

العذاب طيلة ٢٠ عاماً، فقد تبدل حسه. إن من يحاط بمثل هذه اللوحة الآمنة، العلم، فإنه من المفترض ألا تتفد إليه كل ألوان السهام التي تصوبها إليه وحشية جهلاء دنيئة، ولكن لم يبلغ تأنيب الضمير مداه في تعذيب نفسي قط مثلاً حدث لى فى الشهور الأخيرة، ومرجع ذلك أننى قمت بتدنيس حرمة العلم ونزعت عنه كرامته بإصرارى على وجودى فى هذا الموقع عشرات السنين، وأننى قد هبطت بمقامه إلى أسفل السافلين حين استندت إلى كينونتى وحياتى فى أن يكونا سبباً لمسيادة وسيطرة الرعاع على الطموح المثالى. إننى لم أسلك سلوكاً يتناسب بالدرجة التى ينبغى أن أتعامل بها مع هؤلاء الذين جعلونى أشعر بالاحتقار الكامل، وأثاروا الؤضاعه والحقارة بكيانى وأعماق ذاتى. إن كل انعكاس وارتداد يدخل كليةً فى هذه الدائرة ولا يزال يتغذى بقوة على مواصلة سلوك قذر صادر عن "عالم العلماء" اليهود تجاهى حتى الآن، هو السبب فى إحداث نوع من الاستياء والضجر وغياب الروح فى الجو النفسى السائد فى حياتى هذه الأيام.

اختصتلى رئاسة الأكاديمية بمنحى شرفاً فى أن تطلب منى إلقاء محاضرة علمية بمناسبة انعقاد الاجتماع السنوى الاحتفالى (مايو هذا العام). وقد جاهدت نفسى فى العمل على أن أكون محل ثقة المهمة الشرفية فى وضع الأمور فى نصابها، وأن أكتب مقالاً بحثياً فى هذا الغرض دون التورط فى أية إساءة. وقد عكفت على هذا الأمر ليلاً، وبعد ما بذلته من جهد فى الانتهاء منها تأملت النتيجة التى أمامى، وكنت على درجة من الارتياح بأننى قد أديت ما عليّ بما يكفى، إذ بالشكوك تجبرنى - تماماً كما وصفت منذ قليل - فى أن أتقم بالرجاء للسكرتير العام فى إعفائى بالتكليف المنوط بى.

وقد أبديت أسبابا تتوافق جميعها بلا شك مع الحقيقة، ولكننى تكتمت السبب الرئيس الذى يكمن وراء جميع الأسباب المذكورة بوفرة. فلم أكن مطمئنا كل الاطمئنان فى ألا تراودنى وتفتحم ذهنى أثناء وقوفى على منصة المحاضرة فكرة أننى شخص غير جدير/ بأن أظهر أمام استتارة جمهور فطن من بلدنا ١٨٩ بصفة متحدث فى مناسبة احتفالية، حيث إننى شخص تحمل أن يُصنف - على اعتباره خادما- تحت صفة "أفاق جاهل". وليت ذلك قد حدث بشأن المحاضرة بأكملها، إذا ما وانتتنى هذه الفكرة إذ ذاك، وطلبت إعفائى من المهمة التى أوكلت إليّ قبل أسابيع وقبلتها بسعادة وبارتياح لاستحقاقى بشرفها. أما المقالة ذاتها فهى تتناسب مع جمهور ينتمى لطبقة أقل أرستقراطية، ولمناسبة أقل احتفاء من هذه المناسبة.

مثلت فى أحد أيام شهر ديسمبر أمام حضرة فخامة الملك، لكى أعرب له عن شكرى بشأن "اللقب والوظيفة". وقد وجه لى الملك بضع كلمات محمودة بشأن أهمية العلم محل عنايتى. أثناء انتظارى فى الغرفة المقابلة، حيث يحيط بى من كل جهة ملابس رسمية مرصعة بكثير من الذهب، حتى يُسمح لى بالدخول - والحق يُقال إنه لم يستغرق وقتاً طويلاً، لأننى مصنف فى المرتبة السادسة، خطر على بالى تلقائيا اللقاء مع ملك الشمال الذى سأذكره دائما، فتعاملى معه جعل من عام ١٨٨٩ من أجمل فترات حياتى. فى هذا التوقيت كنت قد انتهيت من مؤلفى الجديد وتجهيزه كاملا للطباعة، ووجد المؤلف فى هذا الوقت تحت الطباعة، وحصل على عنوان "دراسات فى فقه اللغة العربية" *Abhandlungen zur arabischen Philologie*^{m(١)}. ولكن

(١) نفس المرجع السابق، رقم ١٨٦.

بكل أسف تباطأ العمل في الطبع (بريل/ليدن *Brill/Leiden*) لدرجة أن الشك بدأ يساورني أن بهذه الخطى يمكن أن أرى على الغلاف عدد عام ١٨٩٥.

تواصلت اللقاءات الجذابة على نحو رائع، مما جعلني أقضى الصيف الأخير كأننى أعيش في عصر ذهبي. لقد احتفظت توتسينج بذكرى طيبة في حياتي، وبرهنت لي هذه التجربة على ذلك، من خلال دلائل جميلة في بعض الأشياء والمواقف. كان من بين الأصدقاء الذين وجدوا بهذا المكان السيدة ف. ليفيتزوف *v. Lewetzow* من مدينة دارمشتادت *Darmstadt*، وقد تبادلنا معها بعض الرسائل اللطيفة. كما كان من نتائج توتسينج أن توافرت صلات عبر المحيط، وظهرت بالفعل إبان أيام جنيف، وأكدت لي أن دائرة أصدقائي قد تنامي حجمها واتسع بشكل واضح. ثم كارلو *Carlo*!^(١) كارلو الفريد! قبل بضعة أيام وجهت لي الكونتيسة في رسالة ممتعة دعوة الحضور ثانية إلى قصر توتسينج، على اعتباري ضيفاً مؤكداً عليهم بالصيف.

خلال كتابة مقالى البحثى الخاص بالاجتماع الاحتفالى للأكاديمية، والذي عالجت فيه نشأة وتطور المصدر التاريخى للعرب فى ظل التأثير الفارسى الكامل، توافرت لي من الأسباب ما يثير شغفى فى أن أقترّب من إشكالية التأثير الفارسى. وعند دراسة الألب الساسانى (وللأسف من خلال ترجمات فقط؛ لماذا لم أشدد على بهلوى *Pehlewi* فى الوقت المناسب؟) لاحظت لي أضواء غاية فى التعجب والغرابة. إن الإسلام الذى كان يحبو فى العراق (ويحق لنا أن نقول بجسارة "الآخذ فى النشوء") قد استقى معارفه من الروافد الفارسية أكثر من أى مكان آخر مما نحب أن نقلبه على العموم.

(٢) الكونت فون لاندبيرج-هالبرجر *Graf von Landberg-Hallberger*.

فمؤسسة الخلافة كما برز شكلها بداية على يد العباسيين، وما تحمله من مبدأ الشرعية، والشخصية التي رضى الله عنها (*bāghī*)، وما يتعلق بها من "جلالة"، كلها أشياء ساسانية الأصل. كما أن احتقار الكلب، على اعتباره حيواناً "دنساً" قد خرجت فكرته/ من الاعتراض على التقدير الكبير للكلب لدى أتباع "المزدائية" - أو ديانة إله الزرادشتية الخالق "أهورا مازدا" (*Mazdayasnieren*) - الذين ينظرون إليه على أنه حيوان مقدس. هناك أشياء صغيرة وكثيرة! منها مثلاً السواك، وهو أداة مقدسة دينياً، انتقل من الزرادشتية إلى الإسلام. وهناك الأشياء الكبيرة: كعدد الصلوات الخمس (*5 gāh*)، فضلاً عن فاعلية ونفاذ النصوص المقدسة. ويتحتم عليّ أن أتناول في المستقبل القريب هذه الظواهر بالبحث الدقيق وإعمال العقل فيها^(١).

أيضاً قمت بكتابة بعض الأبحاث الصغيرة؛ في الصيف الأخير اكتشفت أحد اليهود المعتنقين للإسلام، وقد قام بتأليف كتاب دفاعاً عن الإسلام. وعن هذا الموضوع كتبت مقالاً بديعاً لمجلة *Revue des Ét. Juives* (سعيد ابن حسن الإسكندر *Sa'īd b. Hasan al-Iskander*)^(٢) تطرقت فيه مرة أخرى إلى التداخل المذهبي للقوانين والعلاقات في الإسلام. وأواصل تعاوني مع "مجلة مجمع الاستشراق ZDMG" دون انقطاع؛ وقد أنتجت لها مقالاً بعنوان "الدلالة العددية المفسرة للصياغة في اللغة العربية"^(٣)، وكتبت نقداً عن عمل غير متقن لفان دن بيرجر *Van den Berg*^(٤)، وقد استخدمت كمّاً هائلاً من المراجع. ومن

(١) انظر ب. هيلر *B. Heller*: مصدر سابق الذكر، أرقام ٢٢٢، ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق، رقم ١٨٣.

(٣) المرجع السابق، رقم ١٨٥.

(٤) المرجع السابق، رقم ٤١٥.

أجمل ما قرأته فى الآونة الأخيرة كتاب لكاستلر *Castelar* عن إيطاليا، والذى يحوى فصلاً رفيع المستوى عن القديس فرانس الأسيزى *Franciscus von Assisi*.

كما أن التكليف الذى أسندته لى الوزارة فى الأسابيع الأخيرة بتنظيم وترأس رحلة دراسية لأساتذة جيل الوسط المجريين إلى مصر، أضافت عنصراً جديداً إلى طموحاتى؛ فبقيامى لهذه الرحلة سأخطو بقدمى مرة أخرى فى حياتى بوابات الأزهر؛ بعد مرور ٢٢ عاماً، وبعد أن شاب شعر رأسى، وبعد أن صرت أباً لولدين، وبعد مرور ٢٠ عاماً على خدمتى للجالية اليهودية فى سودوم *Sodom*. وربما تمنح هذه الرحلة لتلك الأسابيع الشتوية السبعة من نهاية عام ١٨٩٥ لعام ١٨٩٦ بعضاً من القداسة والمضمون. وهى بالفعل الآن حققت لى فائدة لا يمكن تقديرها. فها هو رفيق طفولتى فى اللعب، الدكتور بونيفاسيوس بلاتس *Bonifacius Platz*^(١) الذى يعمل الآن مديراً عاماً، ولم أره منذ ٣٠ عاماً، ينضم للرحلة ويشاركنى القيادة؛ وأسفر ذلك عن عودة علاقاتنا القديمة والتطرق للحديث عن أيام الشباب واللهو، حتى إنه صار الآن صديقاً عزيزاً على منزلنا. وقبل بضعة أيام استمعت بالمنظر المهيّب عند صلاة المائدة الخاصة بمولودى الأول، وكيف أن الراهب السيسترسى التقى يطوى الأيدى. حقاً - إن كل شىء فى العالم مرتّب ترتيباً بديعاً. ورغم أن اليهودية على المستوى الرسمي تبذل قصارى

(١) *F. B. Platz* (١٨٤٨ - ١٩١٩) عالم طبيعة، ومدير عام.

جهدها منذ عشرين عامًا من أن تتنقص من قدرى وتتقدنى بقسوة على اعتبارى ملحدًا ومزدريًا للرب، فإن الراهب يقوم بطلى الأيدى على مائدتى حين ينهى ابنى يوم عمله، ويصلى فى تبئل مناشدًا ليهوا، إلها وصخرتنا وملاننا من الأشرار، ربنا ورب آبائنا، اليوم وحتى تقوم الساعة. آمين! وبهذا التفكير المتوازن أشعر بالسعادة فى قدرتى على إنهاء تدوين يومياتى اليوم الموافق ٣٠ من إبريل الساعة ٢ صباحًا./

٢٨ يونيو

١٩١

منذ عدة أسابيع نعيش مرة أخرى فى حالة توتر مؤلم للغاية. فالعلاقات السيئة فى فيزى جيارمات *Füzes Gyarmat* لا تترك سعادة حياتى العائلية المتواضعة فى حالها؛ ها هى عواقب خطايا أرملة المرحوم صهرى الخليفة تحوم فوق رؤوسنا كأنها نذر شؤم؛ فهذه العواقب تقسد على حياتى كلها، بل وتسممها. وربنا هو الحكم العدل؛ سيحل الوبال على رؤوس العصاة المسيئين. ولكن - حمداً لله - حدث نجاح طفيف. أرسل لى وزير المالية المشترك لكل من المملكة والقيصرية - متجاهلاً جميع السلطات المستبدة بفيينا، بل وكبار الموظفين المحليين هنا - كتاباً رسمياً مستفسراً فيه عن مدى رغبتى والموعد المناسب، فى إجراء امتحان لأحد المسلمين بالبوسنة، وهو حفظ الله أفندى موفتش *Hifzallah Efendi Muftić* الذى يرغب فى تعيينه بالمدرسة العليا بسرانيفو أستاذاً لفقہ اللغة العربية القديمة. فى هذا الاستفسار الرسمى القادم من فيينا، والموجه إلى وزير التعليم المجرى، ذكرت أيضاً بعض الألقاب المتميزة *Epitheta ornantia* "كالشمس المشرقة" وهوت على رأس "مدرس الجامعة فى قسم تحت التأسيس" فى بودابست.

لعله من المؤسف لي أنني أقدمت على اتخاذ خطوة، لم يدفعني إليها -
 قسما برربي - سوى الوعي بالواجب، وليست أية أنانية. كما يؤسفني في
 الواقع، أنه توجب عليّ أن أراجع ما قمت به في ضحي يومي هذا، فأجده
 بمثابة وعاء لسذاجة حمقاء.

منذ سنوات تراودني فكرة تبدو كالهوس في الرأس، وهي ضرورة أن
 يكون بجامعتنا المحلية محاضرة منتظمة عن موضوع "المؤسسات في
 الإسلام"، حيث إن عدد الرعايا المسلمين بمملكتنا يبلغ ٥٠٦,٠٠٠ نسمة،
 ومن المفروض أن يتعرف كل مثقف تحت رعاية ملك المجر على مؤسسات
 المملكة وجوانبها الثقافية والتعليمية. فأنا شخصيًا، وعلى مدار الأعوام
 الأربعة والعشرين من عمر مسيرة حياتي الجامعية، أقرأ درس المحاضرة
 من وقت لآخر، وفي المجموع أربع مرات، وأبلغ فيه نسبة معقولة من
 النجاح؛ وذلك دون نفع منتظر من وراء الموضوع. فقد ترسخ لدى الاعتقاد
 بأن مثل هذه المحاضرة يتوجب العمل على تأسيسها على المستوى الرسمي
 من خلال مؤسسة الوزارة، لكي يصاحب علاقاتنا فيما بيننا نجاح مأمول.
 ونظرًا لأن لدينا الآن وزير تعليم من رجال القانون^(١)، قلت أنه حان الوقت
 لعرض فكرتي عليه شخصيًا. لقد كنت غاية في الغباء عندما افترضت وجود
 تفهم لدى هذا الرجل تجاه رغبتى التي تراودني، وأن يتحمس للغرض الذي
 يستهدف قيامه هو شخصيًا على تنفيذه. حقًا، كان في السابق يجلس "وزير -

(١) البارون فلاسيكس Baron J. Wlassics (١٨٥٢-١٩٣٧) وزير الثقافة.

فيلسوف" فى صالون هذا الجهاز بالدولة، فربما كان سيستقبل الفكرة باستحسان بالغ عن "الوزير - الحلاق" الذى كان له ملاحظات متعجرفة على الموضوع، وكلفنى بأن أكتب مذكرة تفاهم، لأضعها للعرض على فخامة سعادته. ١٩٢ وبالطبع أسقطت الموضوع من حساباتى؛ فأنا لا أضع نفسى موضع شبهة مرتين فى أن لى رغبة شخصية فى هذا الأمر؛ لن أكتب مذكرة تفاهم سأكون من خلالها فى نظر هؤلاء الناس كمن يتقدم بعريضة توصل متكرراً.

ولو أننى فطنت مبكراً إلى أن من يجلس الآن على كرسي رجل مثل جوزيف إيوتفوز *Josef Eötvös* رفيق فكر وصديق خاص لكل من باور *Pauer*^(١) وهاينريش *Heinrich* لكنت حكيمًا ووفرت على نفسى حمام العرق الذى تصيب منى لصالح أعمال أخرى؛ ولعلنى أكثر ثراءً من أجل فكرة، وأكثر فقرًا من أجل خداع.

٥ يوليو

حتى اليوم لم يغب عن بالى الوجه الوقح لذاك الوزير الذى يشبه القردة، وما ألحق بى من تهكم وسخرية بالأمس على مقترحات بها الخير كله، وربما لو أنه أخذ بها لجلبت عليه مديحًا وتقديرًا فى جميع أرجاء أوروبا. والأفضل ألا يقترب أحد من غرفة هذا الوزير على الإطلاق. هكذا تحملت مثل هذه المواقف طيلة ٢٢ عامًا، ويوسفنى غاية الأسف أن يقابل هذا المبدأ بما ينطوى عليه من حسن نية ساذجة إلى عدم أمانة فجأة كما رأينا. ولكن

(١) *I. R. Pauer* (١٨٥٤ - ١٩٣٠) أستاذ الفلسفة ببودابست

لا شك أن أيامًا أفضل تُقبل عليّ قريبًا، حيث أُنْجِز الآن للسفر إلى توتسينج *Tutzing* والتي قررت أن أبدأها في اليوم التاسع من الشهر.

٨ يوليو

تبدأ اليوم بعد الظهر رحلة سفرى إلى توتسينج مرورًا بفيينا وميونخ؛
إننى أشعر بسعادة غامرة لأننى سأترك هذا المستنقع لعدة أسابيع. لعل هذه
الرحلة هى خط فاصل كبير عبر الماضى السحيق!

توتسينج، ١٨ أغسطس

لم أكتب حتى الآن كلمة واحدة فى ذكريات إقامتى فى الصيف الماضى
بهذا المكان البديع. بعد سحابات الهموم والآلام التى حملها إلينا الصيف (من
علاقات غاية فى السوء والشر عايشتها فى فيزي جبارمات *Füzes Gyarmat*)
يأتى الآن الدور على التخلص من كل ذلك برحلة تجدد لنا الحياة مع هواء
الصيف المنعش. ستتوجه أسرتى إلى كالتن لويتجيين *Kaltenleutgeben*
بالقرب من فيينا؛ وأما أنا فألبي دعوة عائلة لانديبرج *Landberg* بالسفر
صوب توتسينج حيث قضيت بها فى العام الماضى أسابيع غنية بالذكريات
الرائعة. فى اليوم الثامن من يوليو غادرنا بودابست، وقضيت يومى ٩ و ١٠
من يوليو بميونخ مع هوميل *Hommel* وكوون *Kuhn* ^(١) وجلاسر *Glaser* ^(٢)

(١) *E. Kuhn* (1846-1920) عالم فى تاريخ وحضارة الهند.

(٢) *E. Glaser* (1855-1908) قام بأربع رحلات استكشافية علمية بجنوب الجزيرة العربية.

وكرمباخر *Krombacher*.. وفى يوم ١١ وصلت إلى توتسينج. تعكر صفو الأيام الأولى بالمكان بوجود أجواء توتر لدى سادة الدار. إن الأمر والنهى عبر الملايين ليس هدفاً للحياة؛ ثم إن السعادة الحقيقية هى أقرب من ملايين الكونتيسات الأثرياء، ولكن الأصعب أن تعثر عليها. وسرعان ما صارت الأمور أكثر راحة وهدوءاً للنفس.

أبحرت فى أعماق الكنوز العظيمة التى تحويها المكتبة، ووضعت يدي فى الأسابيع الستة لإقامتى الهادئة هنا على بعض الدرر المكنونة بين جنبات تلال من المخطوطات الكبرى التى تراكمت بعضها فوق بعض. غالباً ما ستجدوننى أشير فى مواد ومراجع أبحاثى إلى الرمز *LH* لكل ما اغتمته/ من هذه المكتبة فى كل يوم. كان الكونت صديقاً كريماً واهباً نفسه لي فى كل وقت وحين، بل إن الكونتيسة بتبليدها الحسى سرعان ما اعتادت هى الأخرى على أسلوبى وولعى بالكتب وفتورى تجاه نباح الكلاب وصياح الديكة. المهم أننى أعيش هنا أروع أسابيع تمر بحياتى، بل أدعى أننى قد عثرت على نفسى من جديد بوجودى فى أوساط تلك الطبقة الأرستقراطية النبيلة التى تحركت صوبها قبل عام.

فى الأيام الأخيرة لى هنا استمتعت بوجود أويبتج *Euting*، هذه الشخصية صحيحة البنيان، وكان اقترابى منه إضافة فى حياتى. فقد أتيت لى فرصة قراءة الأجزاء المطبوعة لمؤلفه البديع عن رحلاته فى مسوداتها. وقد اكتسب صيف توتسينج جانبية خاصة تماماً من خلال لثتين من حضر موت، وهما سعيد ومنصور، اللذين أحضرهما إلى هنا لاندبيرج لدراساته. كان التعامل اليومى المتواصل معهما، والتغلغل فى لغتهما، والأغاني التى

تغنوا بها أماننا، وعالم الأفكار الخاص بهما - كل ذلك عوضنى بشكل جيد عن قيامى برحلة إلى جنوب بلاد العرب. نادراً ما شعرت براحة فى مكان آخر مثل هذا المكان؛ كما أن الجو الصيفى الشديد كان سبباً فى أن تعرفت على أنواع جمّة من "الخمر" *Ktīmata* ". أما ما حققته من إفادة على مستوى الناحية العلمية ليس من السهل حصره؛ فقد جمعت مواد مرجعية جديدة لكل اهتماماتى العلمية؛ ويكفينى أن أذكر من المخطوطات التى استوقفتنى طويلاً وتفرغت لدرسها والتتقيب بها على وجه الخصوص مؤلفاً كاملاً عن "أبى نواس" *Abû Nuwâs* "وجمع" حمزة الأصفهاني *Hamzat Isfahani* "جزعين من تأليف" ابن عساكر *Ibn · Asâkir*، ثم السير والتواريخ، منها (سيرة الطبرى *Tabari*، والبخارى *Buhâr*، والشافعى *Šâf·î*) وغيرهم. وهناك مؤلف غاية فى الغرابة - وهو غير معروف على الإطلاق حتى الآن - عن سلسلة نسب العلويين، فضلاً عن المخطوطات الفخمة "لابن حزم *Ibn Hazm*" وأشياء أخرى كثيرة.

وأما عن معايشة أجواء الأمسيات فقد سادتها هذه المرة أيضاً روح الصداقة والفكاهة مع أوساط الطبقة الأرستقراطية النبيلة التى وجدت بالقصر فى العام الماضى؛ ومنها فخامة الكونتيسة ليبيناو *Liebenau* وابنتها، والبارون ف. ليفيتزوف *Lewetzow* - وقد حضر هذه المرة بكل أسف دون اصطحاب حرمه الرقيقة. كما أقر بما لمستته من كل خصال الحياة الارستقراطية عند السيد اويتنج *Euting* على مدار أربعة أيام تفضل على بها من وقته. ولا يفوتنى ذكر كثير من ساعات لطيفة قضيتها بدار ايبرس *Ebers* مع رجل يستحق كل التقدير، صبور على ابتلائه بالمرض. فضلاً عن ذلك

فإننى غالباً ما كنت فى تواصل عبر الرسائل المتبادلة بشكل خاص مع نولدكه *Nöldeke*؛ ولم يمر يوم تقريباً إلا وتلقيت خطاباً جميلاً من زوجتى وأولادى، وقد بلغنى منهما أنهما يقضيان أوقاتاً سعيدة مع صديق جديد من برلين، نزل ضيفاً علينا فى كالتن لويتهجين *Kaltenleutgeben* ويرجع الفضل له فى إدخال روح المتعة والتفاهم أثناء تجمعنا وتلاقينا فى فيينا.

ولا أنسى ما جادت به على الطبيعة البديعة بجنوب بايرن من التمتع بأجمل الأوقات فى أحضانها، والتى توجت بقضاء رحلة ليوم كامل عدنا لتونا منها. وقد خص الكونت كلا من أويتج وشخصى بدعوتنا لقضاء رحلة إلى مدينة جارميش بارتتكيرشن *Garmisch Partenkirchen* والتى انطلقنا منها للتجول ومشاهدة بحيرة بادر *Bader See* وبحيرة إيلين *Eylen-See* اللتين تستقبلان بوفرة - فى مشهد بديع - مياه نوبان الكتل الجليدية من أعالي سلسلة جبال الألب بالمنطقة تحت دفء حرارة الصيف/. ومن الجميل أننى تناسيت على وجه السرعة الحياة الكريهة التى أحيانا يومياً فى أحضان مهنتى مع ما تركته الطبيعة من تأثير بالغ فى نفسى؛ ولكن بكل أسف لن يمر وقت طويل على هذا الشعور البديع، وسأودع العالم الراقى، والأجواء الألبية وسمو الروح، لأنتقل إلى حيث تتوفر قمامة النفوس ووضاعة السلوك وانحطاط الأخلاق؛ من قمم جبال الألب السامقة فى كبد السماء حيث النقاء والصفاء، إلى مستنقع قانورات "الباب العالى"؛ ولكن هذه القفزة التى تشبه الحركة البهلوانية لن تحدث قبل يوم ٢٦ من هذا الشهر، على أن أقضى قبلها بضعة أيام جميلة مع أسرتى فى فيينا.

١٩٤

فى الأسبوع الأخير من شهر يوليو بعثت من هنا - بناءً على التصريح
لنا بالقيام بالأعمال التحضيرية لتأليف موسوعة متخصصة عن الإسلام-
بطلب كتابي إلى مجمع المستشرقين الألمان *Deutsche Morgenländische*
Gesellschaft، قائلاً:

مستعلن / مستعلن / فعولن

فى توتسينج جاد الزمان بالتغنى وانطلقت
قريحة من حيث ملأت الدنيا بغناء حضرموت
لتعلن اليوم مولد شجاعة منشد فى شعر
خابت بإفصاح معانيه أعمق الكلم فى نثر
لكن بالأشعار ذاتها أبت المعانى
مسيرة خطوة حيث آسيا والبوادى
بكلام نبي المسلمين إليكم أتوجه
وشعاع نور من توتسينج يخرج
محمد (صلى عليه الله وسلم!) بلغكم:
"بالحب أفاض من جاب بالصحراء عليكم
"فاستخلصوه لأنفسكم واجعلوه قبلتكم
واعتصموا بحبل منه ولا تفرقوا بينكم."

"واجعلوا سراج نوره وسناه هو مبتغاكم

"فهو الهدى فى كل وقت وحين ومبلغ قصدكم

"وافعلوا الخيرات كمن بالصحراء كان مولده

"بالجود تكتمل الأعمال وبكرم غير منقطع."

رسول من الله جاء بالرحمة على العرب وبادية

وبنعم لم تشهد بأحسن منها من قبل جامعة

نرفع قواعدها على شطآن بحيرة

بشتارنبرج يناشدكم وبقليل من الشعر يسطره

طالب من بلاد المجر البعيدة إليكم يتوجه

لنتهلوا من حياة هى السعادة كلها

وتشربوا من كؤوس العلوم ورحيقها

حتى الثمالة فتتنشوا وعلى كل نديم من القلب تتنادوا:

بارك الله فى كل مخلص/

٢٠ أغسطس ١٩٥

فى يوم التاسع عشر من الشهر قبل الظهر قام الحاضرون من
الضيوف على قصر توتسينج بتوديعى، وعند مفارقتهم لي صرحوا لي

بتعبيرات مريحة تحمل معانى الود والقبول الحسن والصدافة، وبذلك فارقت مسرح أحداث أسعد أيام حياتى؛ ثم قامت الكونتيسة فى الوقت ذاته بتوجيه دعوتها لي للحضور فى العام المقبل. وقبل المساء وصلت إلى ميونيخ حيث كان فى استقبالى كل من هوميل *Hommel* وجلاسر *Glaser*، وقضينا معا وقتا ظريفا حتى أوصلانى فى سعادة وهناء إلى محطة السكة الحديد. تحرك القطار فى تمام التاسعة مساءً فى طريقه إلى فيينا، حيث تلاقيت مع زوجتى وأولادى فى فجر هذا اليوم.

أثناء تجمعنا على وليمة العشاء فى ميونيخ علمت من جلاسر *Glaser* ملامح مؤثرة وجوانب مثيرة للمشاعر من حياة الدسائس الخاصة بزيملى اليهودى البولندى الذى يعيش بفيينا. ولو افترضت أن نصف ما قاله حقيقة، فإن حكى منذ زمن طويل على زيملى من أنه مبتذل ومتبجح لن يتغير، وهو ما كتبت عنه ويمكن قراءة بعض منه على هذه الصفحات.

سوف أسافر اليوم بعد الظهر مع أسرتى فى اتجاه كالتن لويجنين *Kaltenleutgeben*، حيث أقضى بها ما بين يومين إلى ثلاثة أيام؛ أردت أن أحقق أثناء هذه الفترة هدفين: أن أهب أولادى بعضاً من وقتى للتقارب والتلاقى فيما بيننا، وأن أقوم بترتيب ما جمعته من مواد ومراجع علمية نقلتها عن المخطوطات بتوتسينج. وبعد ذلك يتحتم عليّ أن أعود إلى بودابست. إننى لا أدري: كيف بالله سأتعاش من جديد مع الوضاعة والانحطاط الأخلاقى بعد أسابيع من السمو والمثالية؟ لا شك أننى سأكون فى تعاسة لفترة طويلة. ولكن صار من المؤكد لى: أن الوقاحة لن تفلح فى ترويضى، ولن تتمكن من شخصى فى الشهور المقبلة.

٢٤ أغسطس

بعد قضاء بضعة أيام غاية في المتعة والسرور مع أسرتي في كالتن لويتجيين *Kaltenleutgeben* شرعت في رحلة العودة إلى بودابست، حيث وصلت إليها عشية أمس. وقمت بكتابة خطاب إلى كونتيسة توتسينج، ثم شرعت في صياغة بعض المقالات تتعلق ببحثي الذي ابتدأت في كتابته ببودابست في الصيف عن "المدائح المحمدية". وسأقوم قبل ظهر اليوم بزيارة السيد المحترم هيشلر *Hechler*، وذلك ردًا على زيارته لي بالأمس، وسأطلب منه أن يطلعني على مجموعة مقتنيات رائعة ولا يستهان بها (وقد أطلق عليها بنفسه "متحف الكتاب المقدس").

١٧ سبتمبر

في إحدى الليالي التي قضيتها في معاناة وألم وعدم نوم، شغل فكري فجأة موضوع مؤلم: موضوع "تكران الجميل". نادرًا ما خطر ببالي أن أفكر في أن هناك على سطح هذه الكرة الأرضية بعض الناس يحتم عليهم الشرف والأمانة والاعتراف بأنني قمت بدور فاعل ومؤثر في أن يكون لهم مستقبل سعيد. / أغلب هؤلاء الناس كانوا غاية في الجحود، كنودين، منكرين لفضلي عليهم، بل إن الكثيرين منهم وقفوا تجاهي موقف العداء، وشرعوا في اتخاذ خطوات بغیضة تجاهي. وربما ينطبق ذلك على عشرات من الناس، ويمكنني أن أقم الأدلة على تلك الحقيقة. ولكن لا يشغل بالي من كل هؤلاء سوى شخص واحد: إنه رفيع المقام السيد المحترم فيلهلم باخر *Wilhelm Bacher*. فلو تدبر هذا الشخص ماذا قدمت له، وأنه قصد بابي في أحلك أيام حياته،

ووجد في بيتي مأوى له، ولو خطر بباله ماذا قدمت لأبيه... ثم يجمع كل ذلك ويضعه في كفة، ويزن سلوكه تجاهي في كفة أخرى: فلا أملك سوى أن أسدى إليه النصيحة بأن يعمل لنفسه كرونا خاصة بأكبر مقاس ممكن، ويضع بها جميع الألقاب والمراتب اليهودية الوجيبة التي يملك أن يعددها لنفسه، ولكن عليه أن يكتب خلف كل هذه الواجهات البديعة بالأحرف الكبرى الممكنة الكلمات التالية: السلوفاكي المخادع، الخائن، الغادر إلخ، إلخ

١٢ نوفمبر

إننى أشعر بالرضا- والارتياح عن نتائج أبحاثى منذ عودتى من تونس، فقد بعثت لمجلة فيينا *Wiener Zeitschrift* بمقال تعريفى عن سيرة ومرجعيات الطبرى، وذلك استناداً إلى "ابن عساكر *Ibn · Asâkîr*"^(١) الذى عثرت - أثناء وجودى فى تونس - عنده على مقالة جيدة عن المؤرخ الكبير. كما أرسلت إلى مجمع المستشرقين الألمان الدراسة التى قمت بها عن موضوع "المذائح المحمدية"^(٢). كما يبدو أن الصحيفة الأدبية الألمانية تنظر لى الآن على أنى ناقد ومحقق دائم لمجال دراستى؛ فبعد أن أرسلت إليها فى شهر يوليو دراسة نقدية لبحث آخر قام به رولينج *Rühling*^(٣)، حصلت قبل بضعة أيام على موافقة بعمل دراسة نقدية عن حياة البداوة عند يعقوب^(٤).

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق الذكر، رقم ١٨٤.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٩٣.

(٣) نفس المرجع السابق، رقم ٤١٠.

(٤) نفس المرجع السابق، رقم ٤١١.

ولعل صديقي في جرايفسفالد *Greifswald* أن يكون على رضا رغم إخفاقاته في مواجهة سوسين *Socin*. وفي الرابع من يوليو قمت بقراءة دراستي المجرية عن "تطور الأدب التاريخي على يد العرب" أمام أكاديميتنا^(١). وفي إطار حملة لاندبيرج *Landberg* قمت في خلال مدة قصيرة بنشر دراسة جماعية ستكون بمثابة نصب تذكاري صغير تخليداً لأيماننا مع ضيوف حضرموت، وكانت عن: قصة الراهب بارشيس *Barsîsâ*^(٢). وقد أوشكنا على الانتهاء من طباعة البحث. ومن لندن أرسل لي صديقي العزيز بيفان *Bevan* صورة فوتوغرافية من مخطوطة بكامبريدج عن كتاب "المُعمرين لأبي حاتم *Abû Hâtim's Kitâb al-mu'ammârîn*". وبقدر محتوى مسلسل الصورة الفوتوغرافية، شرعت -انطلاقاً من الصفحات ذاتها- في وضع بعض البدايات لمعالجة هذا الأثر الخالد المحدد للطبعة المأخوذة عن مدرسة الأصمعي *Al-Asma'i Schule*.

كان أكثر قرباً لقلبي أن أوفر ما يلزم من وقت وجهد للتحضير والاستعداد لمشروع الرحلة إلى مصر. في هذه الأثناء جاءت الأخبار من مصر لتتحدث عن وباء الكوليرا؛ وبالتالي بذلت ما بوسعي من جهد في أن أجبر المجلس الوزاري المتراخي على ضرورة تقديم معلومات من واجبه أن يستوفيها في هذه المسألة. إن كل ركن في غرفات الوزارة يخيم عليه الكسل والعفن؛ كما أن البيروقراطية تعمل على إضعاف وتآكل الجزء الضئيل المتبقى من العقل الذي من المحتمل أنهم جاءوا به معهم إلى الوزارة التي

١٩٧

(١) نفس المرجع السابق، رقم ١٧٩.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٨٧.

لا يسود أجواءها سوى الوصولية والجهل والتراخي وضعف العقلية. وأكبر "وصولى" فى الدولة هو وزيرهم، كما تجد أن أضعف العقليات تتوافر لدى الموظفين الذين يعملون تحت قيادته. أخيرًا انعقد فى يوم ١١ من الشهر مؤتمر وأسفرت نتيجته عن التأجيل المبدئى للمشروع، حيث إننى وحدى الشخص المستهدف من الانصياع للأمر، كوسيلة للعمل على إذعانى والبعد عن الحقيقة بذكاء وحكمة، باستخدام كل الوسائل تجاه المسئولية التى أُلقيت على عاتقى - متاعب ومضايقات وهموم واضطرابات - ولا أدرى ما السبب: فسواء المجلس الوزراى، أو المدير العام مسئولان - فى كل الأحوال - عن تنظيم المشروع. هنا ينبغى على الإنسان المؤدب أن يستدعى التحليل النفسى والأنا العليا فى الكشف عن وسائل الخداع!

وسط ضجة كبرى ودق للطبول ونفخ فى البوق، قام اليهودى البولندى العامل بجامعة فيينا بنشر كتاب كبير الحجم عن البناء الشعرى للمقاطع عند أنبياء الكتاب المقدس، وفى القرآن، وفى الكتب المسمارية، وأرسل لي "نسخة للنقد". وفى الوقت ذاته طلب منى نولدكه *Nöldeke* أن أدلى بالرأى فى هذا الموضوع. وهذا ما فضلت أن أفعله عن أن أنجرف إلى نقد علنى لكتاب المخادع الرخيص بولاك *Polak* الذى يريد أن ينتقم منى. وقد هبط الفتى بالتنبؤ حتى نعال الأحذية؛ ولأنه من صنف البشر الذين يتكسبون ويصنعون ورق البنكنوت من الدين، فقد تفتق ذهنه إلى الافتراض بأن الأنبياء كانوا أيضًا من هؤلاء البشر الذين يحسبون للمادة حسابها بامتياز، بحيث يتكبرون كل شيء بدقة قبل أن يتلوه على الناس. وللأسف لم ينزل الوحي عليه - حتى فى "ليلة مؤرقة من ليالى شهر ديسمبر" - ليبلغه عن المكافات التى

تلقيها أشعياء ومحمد مقابل مقاطعهما الشعرية. إنه سيصاب بالمصاعقة حين يبلغه رأى نولكه *Nöldeke* عن النصب والخداع الذى يقول به فى هذا الشأن.

قريبًا سأبعث بمقال للإسهام فى إصدار كتاب تذكارى بمناسبة بلوغ شتاين شنايدر *Steinschneider* الثمانين من عمره، حيث لا يمكننى أن أتخلف عن الركب فى هذا الأمر؛ ويتجه تفكيرى إلى كتابة مقالة قصيرة عن أدب سعد بن منصور^(١) *Sa'd b. Mansûr*، وهو يُعد اكتشافًا - بطبيعة الحال من مكتبة لاندبيرج-هاللبيرج *Landberg-Hallberger* - سيحتل فى جميع كتبى الجديدة المنشورة موضع تكريم دائم.

أيضًا عادت عصابة الألب اليهودى بالمجر إلى ما كانت عليه من الاحتكاك بى، ولعلى أدخل حظيرة الخنازير قريبًا، فربما يعود ذلك أيضًا بفائدة - كما حدث مع المحترم باخر *Bacher*. سيحدث التطهير لكل ما هو دنس، وسيزول كل ما هو سيئ. الهلاك لعصابة الرذائل والآفات! /

١٨٩٦ ١٩٨

سيُضاف إلى رسائل الرحلات التى أبعث بها إلى زوجتى خطابات أخرى جديدة. فى الفترة من ١٠ وحتى ١٤ فبراير، كنا نجهز عدتنا بالقاهرة لرحلة العودة. وقد انتهزت هذه الفترة لتحقيق بعض المهام الشخصية. كنت فى غاية السعادة بأننى سألتقى أمين فكرى - من كبار الباشوات وهو الآن محافظ الإسكندرية؛ فنحن لم نلتق منذ أن زاملته فى مؤتمرين باستوكهولم

(١) نفس المرجع السابق، رقم ١٩١.

وكرستيانا *Stockholm/Christiana*. دعانى للقائه فى قصره بالقبة ناحية المطرية، حيث نشأ وترعرع إلى جانب حماه- "سيوفى باشا" - وهو من المتقاعدين الأثرياء. استقبلنى أمين فكرى بحفاوة بالغة وقدمنى لضيوفه على أننى من خبراء اللغة العربية الفصحى. وقضيت مساء اليوم ذاته مع فوللرس *Vollers*، فى مسكنه بالزيتون التى لا تبعد إلا بضع دقائق عن منطقة القبة. أما اليوم التالى فكان للأزهر. كانت زيارتى لجامعتى العزيزة أثناء الأيام الأولى لإقامتى بالقاهرة بصحبة فريق يجره الترجمان "حبوبة". ولم تحظ هذه الزيارة فى نفسى بعود جدير بالوقار. شئنى أن أقوم ثانية بزيارة المكان الذى حظى بأهمية كبرى فى تطورى الفكرى بالكامل على اعتبارى "مجاور". وعلى هذا قضيت ضحى يوم العاشر من فبراير - بصحبة أحد الطلاب المسلمين - فى الساحة المقدسة، وجلست فى الصفوف الأخيرة لنصف دائرة، وأنصتُ إلى حديث شيخين - لا أتذكر اسمهما، لأنه من غير المقبول أن أخرج مفكرتى للتدوين بها. أول ما بدا لى واضحًا بما لا يدع مجالاً للشك تحرك المضمون الدراسي منذ ٢٣ عامًا إلى مجال الموضوع. لقد شاركت فى شبابى وتفاعلت على نحو شخصى فى كل مضمون علمى حدث فى الأزهر. على أن ما يضيفى سعادة بلا حدود على البقية المتبقية من حياتى أننى عدت لأجلس هنا فى الأروقة المقدسة حيثما قضيت شطراً بهيّا من شبابى وأسترجعها فى نفسى.

كرّس لى ماكس هيرتس *Max Her* ^(١) فترة بعد الظهر من اليوم ذاته، حيث رافقنا لزيارة معالم أثرية ومساجد ومقابر غاية فى الجمال والإبداع،

(١) *Max Herz (1856-1919)* مهندس مدنى بالقاهرة، انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، رقم ٣٦٦.

ويفسر لنا عن قرب كل ما هو غريب بهذه المعالم من ناحية تاريخ الفن. كما أننى أرسلت أثناء جولتنا بالإسماعيلية خطابًا إلى "يعقوب أرئين باشا" من أجل استخراج تصريح لقيامى ومجموعتى بزيارة تعارف لدار العلوم وغيرها من المدارس الحديثة بالقاهرة. وعند عودتى للقاهرة تسلمت التصريح عن طريق فوللرس *Vollers*.

فى باكورة يوم ١١ فبراير ذهبنا إلى درب الجماميز، حيث كان فى استقبالنا بالأصالة عن الباشا البولندى فالبيرج بك ديتسيرزنوفسكى *Walberg Bey Dzierdzenowsky*، ثم قادنا بعد ذلك عميد دار العلوم -أمين بك سامى - من قاعة إلى أخرى، وأطلعنا على النظام الدراسى المختلط كاملاً لهذه المدرسة التى لا يرغب أحد فى وضعها موضع منافسة مع الأزهر. بدأنا بمحاضرة/ عن الفقه (حيث يتحتم الحفاظ على الناحية الشكلية المحمدية)، ثم ١٩٩ خطونا خطوات حثيثة إلى الحداثة. وكان من المذهل أن نرى كيف يتجاهل المدرسون المحمديون - وهم دائماً ما يرددون على ألسنتهم كلمة "تربية"- وجهة النظر من أن المعارف الحديثة ينبغى أن تتطرق إلى تاريخهم الخاص بهم وتتضافر معه؛ إن هؤلاء التربويين - أتباع مدرسة أرئين - لا يفكرون بهذا النهج المتمثل فى أنهم سيمحون حدود الخلافة فى الجغرافيا؛ فهم يتناولون مثلاً جغرافية إسبانيا بالضبط كما لو أن هذه المادة ذاتها تدرس فى مدرسة برومانيا، إلى غير ذلك من الأمثلة. وقبل ٢٣ عاماً كان ما لديهم من خرائط لا تزال تتضمن نصاً باللغة العربية، أما الآن تجدهم قد استبدلوا هذه الوسائل التعليمية باللغات الأجنبية، فرنسية وإنجليزية. كما أنهم أدخلوا مادة دراسية جديدة، وهى الإنجليزية - فى حين أنهم يدرسونها بشق الأنفس. وعلى

أية حال، هناك شيء ما استوقفني وحرك مشاعري ووجداني أثناء مروري بقاعة هذه المدرسة: إنه تمثال صديقي "علي باشا مبارك"، صاحب الفضل الأول في تأسيس هذه المدرسة.

قادنا سامي بعد ذلك من دار العلوم إلى المدرسة الناصرية، وهي مدرسة داخلية للتعليم الأساسي تضم أبناء الطبقة الراقية في المجتمع، وحسبى أنها توابك أحدث المدارس في العالم، فهي شقيقة كلية إتون البريطانية بالقاهرة *Eton-College* بحيث يمكن للمصري مقابل ٢٥ جنيهًا مصريًا (مصاريف سنوية) أن يحقق لابنه بالفعل تنشئة وتعليمًا راقيا إلى أبعد الحدود: أثاثات ومفروشات غاية في الراحة وأحسن مما ينبغي، حتى إن الدرس ذاته يظهر في أناقة تامة. على أن المفاجأة التي أذهلتني هي مادة تدريس جديدة، وهي مادة "الديانة" - تعليم الدين المسيحي، ووفقًا لمفهوم اليهود التقدميين تمامًا، بالرؤى ذاتها، وبالأغراض ذاتها، وأخشى أن أقول، وأيضًا بالنتائج ذاتها.

بعد الظهر زارني جيلاردو بك *Gaillardot-Bey*، وهو رئيس تحرير مجلة "ريفي التي تصدر بمصر" *Revue d'Egypte* وهو ابن جيلاردو بك الذي صار معروفًا لنا من بعثة رينان *Renan* إلى فينيقيا. جاء جيلاردو حاملاً معه كمية نسخ منفصلة من مجلته سابقة الذكر، وقد عاهدته على أن أبحث له عن جهة في أوروبا تدعمه في هذا المشروع الذي أظن أن أرتين يقوم بدور الراعي له.

في اليوم قبل الأخير من إقامتنا بالقاهرة توجهنا جميعًا لزيارة "دراويش نكية المغاوري" بالمقطم، وهم أرناؤطيون صامتون، وتعكس تكيّتهم صفاء

فلسفة اعتزالية حكيمة مفادها أنهم نأوا بأنفسهم عن آلام وعذاب كل شيء فى الدنيا باختيارهم، مكان منعزل لسلوهم - فى مغارة جبلية كبيرة تقع على مشارف صوامعهم مباشرة. إن هؤلاء القوم قد وضعوا الآخرة نصب أعينهم، ومن هنا يسهل علينا فهم أن قدرتهم على التعامل مع مكان الخلاص من شأنها أن تسمو بأرواحهم عن كل آلام الحياة على الأرض. ويصعب أن نستطيق واحدا منهم بكلمة واحدة (وهم سبعة أفراد)؛ ورغم ذلك تركونا نتجول فى مسكنهم دون إزعاج. وفى الختام استودعنا الرجال الصامتين السعداء بإلقاء نظرة ممتعة من شرفة الدير على المدينة، ويا له من منظر بديع!

فى يوم الرابع عشر من الشهر غادرنا القاهرة فى اتجاه الإسكندرية، حيث مكثنا بها حتى يوم الخامس عشر مساءً، وحيث استرحنا بضع ساعات بقصر أمين باشا، وأغلب ظنى أنها ستكون المرة الأخيرة التى أشعر فيها بالهناء بين المحمدين. / بعد الظهر كنا على ظهر سفينة "سميراميس" التى سنقلنا إلى تريست *Triest*. وفى يوم التاسع عشر وصلنا إلى ميناء تريست. وفى ظهر يوم ٢٠ كان لقائى بزوجتى وأولادى بعد غياب دام حوالى سبعة أسابيع.

٢٠٠

فى الأيام التى تلت عودتنا انشغلت بإنهاء كل الأمور الشكلية التى تتعلق بدورى المسؤول فى الرحلة، فقامت على الفور بتقديم كشف حساب عن الأموال التى تسلمتها على سبيل العهدة (ومن إجمالى مبلغ قيمته ١٠٠٠ [فلورين] تسلمته من خزانة الرحلات، قمت بإرجاع مبلغ ٧٢٨ [جلدر])، ثم توجهت بصحبة شريكى الآخرين فى قيادة الرحلة - بلاتس *Platz* وبيوتى

Beöthy - لزيارة كل من فلاسيكس *Wlassics* وكلاماريك *Klamarik*^(١)، كي نقدم لهما تقريراً شفويًا عن الرحلة والنجاح الكامل للمشروع. وقد تجاوزت التعليق على دعاية الأكاذيب التي صدرت عن صحيفة يهودية التي أراد مدير تحريرها أن يفسد على الأسبوع الأوربي من خلال نشر أجواء من رائحة كريهة عن شخصي، فكنت هادئًا ولم ألتفت لما روجوه عني من أنني كنت خادمًا لدى بيوتى *Beöthy* وأنه كان يقوم بنوع من الانتقام الخفى منى مقابل إطعامي. على كل، ينتهى بذلك دورى "الريادى للبعثة". وأما فيما يتعلق بجميع المضايقات التي واجهتني على مستوى تنظيم المشروع، وفيما يتعلق بكل ما قمت به من إنجازات لإخراجه على أكمل وجه، فلم يعترف بذلك أحد ولم تُعبر جهة أو شخص عن شكر أو فضل تجاهي إلا في أضيف الحدود. لقد كان معي "زملاء قادة"، ولهذا تحتم على أن أتبع سياسة خاصة، وهى أن أحدث نوعًا من التوازن فيما بيننا، بحيث لا أبدو في صورة "القائد الأعلى"، رغم أنني من الناحية الرسمية كنت المسؤول الأول. وبالتالي استطعت أن تكون علاقة المودة والصداقة الحميمة التي لا يعكر صفوها شيء، هى الأساس الذى ينبغى أن نحافظ عليه، وأن يسود أثناء معاشتنا وتعاملنا فيما بيننا على مدار عدة أسابيع. ولم أستخدم حقى "كقائد أعلى" إلا فيما استوجب التفكير فيه والعمل من أجله، وحيث تحتم على أن أظهر بصفة شخصية وأن أستفيد من علاقاتي الشخصية لصالح البعثة، وحدث ذلك بالفعل؛ فقد كان لي دور فعال فى توفير أموال لصالح المجموعة من خلال القنصلية بالقاهرة، وحين تمكنت من خلال علاقاتي من إحضار نافيل *Naville* - وهو العالم الشهير - لأن يكون دليلًا سياحيًا لها فى الدير البحرى؛ وحدث ذلك أيضًا حين وفرت مصاريف الفحص الجمركى وغيرها الكثير من خلال كتاباتى التي

(١) *J. Klamarik* (١٨٣٢ - ١٨٩٨) تربوى وسكرتير عام بالحكومة.

توجهت بها لإدارة الجمارك فى تريست *Triest*، وقد تردد القول بأن "مجلس الإدارة"^(١) قد طبق القانون على كذا وكذا، إلا أن صديقى *B*^(٢) قد طلب إعطاء الضوء للتجاوز عن كل ذلك، بحيث بدا للجميع كأنه هو الذى قام بنصيب الأسد فى الإنجازات التى تمت بالرحلة، وهو فى الحقيقة لم يساعد فى أى شىء. فكل المواقف التى تطلبت وقف أية تجاوزات شخصية كنت أول من يتصدى لها بكل سرور على اعتبارى "المكلف الرئيس بتنفيذ الأعمال"^(٣). إننى لا أتذكر ذلك من أجل تخليد التفاصيل المتعلقة بمثل هذه الأمور، لأن معانى السعادة والفرحة التى ارتبطت بهذه الرحلة قد غطت على المواقف المؤلمة والمكدرة لصفوها - وهى قليلة - التى تأذيت بسببها من وقت لآخر من جانبهم؛ بل إننى أنظر لهذه المواقف ذاتها على أنها ذكريات لذيذة فى حياتى./

٢ مارس ٢٠١

يا أيها الناس.. إننى أرغب فى مساعدتكم!

كان من الطبيعى أن يُقام احتفال بمناسبة دخولى رسمياً "لمكتبى" يوم وصولى. الجميع وجد أننى أبدو بصحة جيدة وتمنوا أن أكون على هذه الهيئة على الدوام. على أن كنيسة إسرائيل قد أبدى ملحوظة عامة، وهى أن الشمس "أحرقنتى" كما يبدو ذلك على وجهى. وقد وقعت على أذننى هذه الملحوظة طوال اليوم عشرات المرات.

(١) وباللغة المجرية "vezetőség".

(٢) اختصار لبيوتى *Beöthy*.

(٣) باللغة المجرية "főintéző".

مع قيام مفتش الإدارة التعليمية برنهارد مونكاشي *Bernhard Munkácsi* بثورة ضدى بحجة سطوتى على التعليم، انتفضت الإدارة الفعلية للدفاع عنى، ولكنهم اشترطوا فى حالتى تلك ضرورة أن أخرج من هذا الصراع منتصرًا، ووجهة نظرهم كانت تستند إلى نقطتين، وهما:

١- أنه يتحتم على كل فرد أن يعلم من بيده زمام الأمور فى هيئة تعليم الجالية اليهودية فى بيست *Pest*.

٢- ألم يكن من الواجب على هذا المفتش الغبى أن يعرب عن عميق امتنانه تجاهى على ما قدمت له من خدمات جليلة بداخل وخارج دائرة عمله منذ أيام دراسته وحتى الآن، (ويمكن لأى فرد أن يطلع على ذلك على نحو أكثر تفصيلًا فى لفافة الملفات المدونة).

وهو مع ذلك احتفظ لى بحق فى هذه المواجهة، وهو أن البلورة الجمالية لمعايشتى أثناء هذه المدة الزمنية قد اكتملت فى مسيرة عامها الحادى والعشرين من بؤسها. هناك من بعث الروح فى متمرّد خائن - كما هو واضح الآن - من خلال مسه لسان حال إذلالى ومهانتى فى مجال كان من الممكن بدهيا لحدث مثل هذا وحده ألا يكون له به أية صلة؛ ولكن سأعتبر نفسى شخصًا لا يُحتمل حين يحدث ذلك فى مجال كيان تعليم الجالية اليهودية دون رد فعل منى. وحتى هذا الوصف قد طفا على السطح بالفعل. لا شك أن جواً من التناغم على غير العادة يسود سطح هذه الكرة الأرضية اليهودية. والآن دخلت حياتى فى هذه الدائرة إلى مجال الشىء الذى بلغ الاكتمال، فقد استدارت الكرة على أكمل وجه، ولا تتوق نفسى لأتمنى مزيدًا من الفحش والسوقية عن ذلك.

الآن ينشغل أصدقائي بكل نشاط وحيوية بقضية نزاع غيبية، كان سافاس باشا Savvas Pascha قد وجه لي هجوما على أثر ما كتبته قبل ثلاثة أعوام من نقد في حق دروى موسلمان *Droit musulman*^(١) ونُشر في "المجلة البيزنطية *Byzantinische Zeitschrift*"، ثم أخذ التركي العجوز يدافع عن نفسه بلا توقف، حتى إنه لم يترك لي حق الرد عليه في هجومه العنيف، سواء من الناحية العلمية أو من زاوية الجزء الشخصي لهجومه. والشيء المرح في هذا الأمر أنه ذكرني بالتوصيف التالي: "مستشرقاً لا يخفى على أحد أصله الطوراني باسمه المتألمن الذى يسمى نفسه به". فالدم المنغولى يجرى فى عروقي، وهذا يفسر نقدى اللاذع الذى وجهته لعمله. وبالمناسبة، لقد اكتشف سافاس أننى لم أدرس قط دروى موسلمان *Droit musulman* ولا أعرف ما يفهمه الناس عن "علم الأصول". / ونظراً لأن المؤلف اهتم بأن أتسلم نسختين من دعوته القضائية، فقد أتاحت لي الفرصة فى أن أرسل واحدة منهما إلى سناوك Snouk - إلى باتافيا Batavia.

الأول من أكتوبر

مضت سبعة أشهر هباءً منذ تركت مذكراتي ولم أقترّب منها؛ فلم يحدث لى ما يستحق التدوين أثناء هذه المدة الطويلة؛ بلى.. هناك أشياء قد حدثت بالفعل. لقد اضطررت طوال تلك الفترة أن أحتوى جملة من سلوكيات فظة وأعمالا جافة غليظة من أناس كتب على أن أدور فى فلّكهم لأعيش حياة

(١) انظر B. Heller، مرجع سابق الذكر، رقم ٤٠٤.

الشهداء. هناك أمور سيئة تصيب التزاماتى تجاه الوصاية فى مقتل، وتقف بمثابة حجر عثرة فى طريق مواصلى لها. لقد بات ابن أختى يتردد على أسوأ وأخبث أماكن اللهو والخلاعة التى تقام بمناسبة الاحتفال بمرور ألف عام على الرايخ، واستسلم لحياة الحقراء، مما جلب على رأسى من الغم والكرب وعذاب النفس ما يكدر صفو حياتى. وإذا تجاوزت هذا الأمر فإن دائرة حياتى لا تخلو من الهموم والمرارة. لقد فاض بى الكيل وخارت قواى وتحتم على نفسى أن تلقى ما بداخلها من أعباء تتوء بحملها الجبال.

ورغم ما سبق لم أتوقف عن العمل؛ كتبت لمجلة "مجمع المستشرقين الألمان ZDMG"^(١) عن مصادر ومراجع جديدة للتراث عند المحمديين، وأرسلت مقالة لمجلة جلوبوس *Globus* بعنوان "عن أكل لحم البشر من المصادر الشرقية"^(٢). ثم جاء وقت الإجازة متسللاً، فقررت أن أقضيها هذه المرة مع زوجتى وأولادى واتجهنا جميعاً إلى منطقة "باد بورشنو Bad Borosznó"، حيث مكثنا بها فى الفترة من ٧ يوليو وحتى ٢٥ أغسطس. غمرتنى السعادة فى أن أكون على اتصال مباشر بولدى، وأن أقوم مجدداً، وعلى نحو مكثف، برعايتهم تربيوا، وأن أزيدهم فى علمهم الذى ينبغى أن يحصلوه بما يتماشى مع قضاء هذه الإجازة. واحتل درس الكتاب المقدس بؤرة حديثنا، حيث تطرقنا لبعض من أبدع المزامير به. وقد لاقت هذه المحاضرات من الرضى فى نفسى ما يفوق ما يمكن أن أشعر به من ارتياح فى أشهر مؤسسة علمية بنصفى الكرة الأرضية. قضينا أيامنا هنا ويرافقنا

(١) نفس المرجع السابق، رقم ١٩٤.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٩٠.

كارمان Kármán^(١) وعائلته، وشعرت بمتعة حقيقية في تعاملى مع هذا القديس ورغبتي في التتقف منه والاستزادة من علمه. وفي أغسطس انضم إلينا بيترفاى Péterfy^(٢)، وكان هذا من حظ ولديّ لما أولاه لهما هذا الرجل المرح من وقته الثمين؛ كان يجلس يومياً في وسط تجمع الأولاد للدرس، ويشجعهم على روائع هوميروس التى فتحت شهية الأولاد على استقبال العديد من أشعار الغناء بالأوديسة. كما أنه قام بعزف الموسيقى وتعليمهم إياها، وسمح بكل حب لهؤلاء المتعلمين أن يرافقاه في رحلاته إلى المناطق المحيطة بالغابات وسلاسل الجبال. إن التعامل مع هذا الرجل واسع الثقافة والعلم أدخل على قلبي السرور والسعادة بلا حدود، وإننى لهذا مدين بالشكر لبيترفاى Péterfy على الصداقة التى أولاهها لي شخصياً، وعلى الشغف الذى أثاره في نفس ولدي^(٣). /

لم أتوقف عن العمل في فترة الظهيرة من كل يوم؛ وانشغلت بشدة في الكتابة الجادة، فأرسلت مقالاً لمجلة "شملة البودابستية Bpesti Szemle" يحمل عنوان "عن الحركة في مملكة المهدى"^(٤)، ومقالة بحثية عن "مظاهر تقديس الأولياء عند المحمديين"^(٥). وهذا البحث الأخير هو في حقيقة الأمر ثمرة رحلتي إلى مصر؛ وعن موضوعه قمت بقراءة مجموعة من المؤلفات باللغة

٢٠٣

(1) Th. von Kármán – L. Edson: *The Wind and Beyond*. Boston-Toronto, 1967, p. 31

(٢) E. Péterfy (١٨٥٠ - ١٨٩٩)، أستاذ علم الجمال ومدرس ببودابست.

(٣) راجع كتاب تسيماندنى (حياة وعصر بيترفاى)، بودابست عام ١٩٧٢، الصفحات من ٣٤٨

حتى ٣٥٠ P.I. Zimándi: *Jenós Péterfys Leben und Zeit*. Budapest 1972. pp 348-350

(٤) انظر B. Heller، مرجع سابق، رقم ١٨٨.

(٥) نفس المرجع السابق، رقم ١٩٩.

الإنجليزية، كما كان بينى وبين الدكتور كاوفمان *Kaufmann* مكاتبة علمية شيقة فى هذا الصدد بعثت بها إلى كارلسباد *Karlsbad* وإلى هيرنجس دورف *Heringsdorf*. لقد كان لأيماننا التى قضيناها فى باد بورتشنو *Bad Borosznó* مردود طيب ومفيد على صحتى وصحة زوجتى، هذا إذا ما تجاوزت الهم والغم الذى سببه لنا ابن اختى وأثره السيئ على نفسيّتنا عقب عودتنا مباشرة وإفساده لبهجة الرحلة.

٢٧ - ٣٠ سبتمبر

توجهت إلى فيينا بغرض سد بعض الثغرات الخاصة بعملى الأدبى فى المكتبة الملكية القومية. وهنا تواصلت أيضاً مع السيد مولر *D.H. Müller* الذى لم يغفر لى أننى لم أرغب فى أن أؤيده بلا تحفظ فيما ذهب إليه بشأن استفسار نولدكه *Nöldeke* عن موضوع المقاطع الشعرية البدعية. إن هذا الوصولى البولندى أثار دسائس من وراء الكواليس لدى أناس على خلق لا يمكنه أن يبلغ ما بلغوه من فكر ونية صادقة، فلم يجد حوله من يواسيه على إخفاقاته فى مضاربته ببورصة جمع المال، لأنه لم يقصد - وفقاً لرواية أعز أصدقائه - من وراء كل هذه الضجة لعمله سوى جمع المال.

بمجرد عودتى إلى بلدتى وجدت أمامى على الفور السيد الدكتور شىستر *Dr. Chester* ^(١) القادم من بوسطن، وهو زميل جديد لجامعة هارفارد. وهذا الشخص كان يتراسل معى من سوريا التى قضى بها عاماً، ورغب فى

(١) *F. D. Chester* (لا علم بتاريخه) - انظر *B. Heller*، مرجع سابق، رقم ٢٠٠.

الحضور إلى هنا في بودابست لعدة شهور - رغم تحذيرى له بالعدول عن هذه الفكرة- من أجل أن يلتحق بدرسى ومحاضراتى. ووفقا لما قاله إنه يعتبر نفسه أحد تلاميذى من خلال كتابى "الدراسات المحمدية". من هنا نفهم أن هناك من يرغب فى الحضور من أمريكا إلى هنا مباشرة من أجل أن يحقق إفادة علمية على يدى؛ وهذا يعنى حتما أن قامتى العلمية ليست بهذا السوء والبغض الذى ينشره ويروجه بنو عقيدتى فى كل مكان. ولعل ذلك يعود على بشيء من النفع المادى- حيث إننى أستاذ بالمكافأة - غير مدفوعة إلى الآن - بجامعة الرايخ البالغ عمرها ألف عام! على أننى أظن إلى ما يتردد على سمعى من قصص وحكايات يروجها علماء بودابست من بنى عقيدتى، من أن هذا الدكتور شيستر *Dr. Chester* ليس بأمرىكانى ولا يحزنون، وإنما هو أحد اليهود البولنديين الذين يعيشون فى الأزقة، وقمت بدفعه وتحريضه على الادعاء بأنه قادم من أمريكا، وأنه تحمل مشاق السفر من أجل أن يستمتع بدرسى وعلمى!

فى هذا التوقيت أيضا نُشر أخيراً بالأسواق المجلد الأول "لأبحاثى ومقالاتى"؛ وكان على أثر ذلك أن تلقيت خطابات تهنئة ومديحا من المحققين والباحثين، وعلى رأسهم نولدكه *Nöldeke*. وقد كتب عنى دى جويه *De Goeje* مقالا نقديا فى صحيفة *Jour. Asiat.* مقررًا فيه اعترافه بقدرى وقامتى العلمية. كما أن بهذا الإصدار كتب جيدى *Guidi* فى مجلة *La Cultura* بضع كلمات فيها الخير والاستحسان. وأما من جانبى فإننى لا أزال أوصل كتابة مقالاتى النقدية بتكليف من صحيفة الأدب الألمانية *"Deutsche Literaturztg"*.

وهذا العمل لم يحقق لي من السعادة إلا القليل؛ فالجدية التي أمارس ٢٠٤ عملي بها، والجهد المبذول من أجل الاهتمام والعناية بالموضوع، لا يتناسبان مع الإفادة المحدودة التي يمكنني أن أحققها للعلم من خلال هذا.

٤ أكتوبر

لا يتوافر ثمة دليل ولا إشارة فيما يتعلق برئيس يهودى! ولكن ترمى ذلك مرة واحدة على الأسماع! لقد أعددت مذكرة كبيرة بخصوص طلب بعض الحقراء فى تأسيس جالية يهودية جديدة هنا، مدعين طلبهم هذا بحجج هى عين النصب والخداع، وراجين الوزارة - استنادًا إلى قانون حرية الأديان - الاعتراف بطانفتهم المنشقة. ورغم أن هذا الأمر لا يدخل فى إطار عملى الوظيفى (حيث إننى كاتب وليس رجل دين) فقد خضعت بكامل إرادتى للقيام بهذا العمل غير الهين. وهنا أعرب أحد تجار الصوف العاديين عن اعتراضه على حججى اللاهوتية، قائلا: إنه لا يمكن أن يعتق مبادئ دينية أعلن عنها فى الموضوع. وبنفس هذا المعنى أفصح غيره من المرابين الذين حضروا هذه "الجلسة"، باعتبارهم الأعضاء المؤسسين للجالية، وهم ستة أفراد فى مجموعهم، وهم جميعهم أعلنوا عن رفضهم لشخصى لعدم الاختصاص فى هذه الأمور. إننى لا أذكر على هذه الصفحات ما هو هزل ومثير للضحك، ولكن ليس هناك أكثر إشراقا وإبداعا على أنن السامعين من ملحوظة أحد يهود المال المتقدم للمشهد، من أنه يلاحظ على (وتحديدًا يا من يطلق عليه جولدتسيهر) "غرور الكتاب". ولكن ما هو حقيقى هو أنه كان يتحتم عليهم النهوض من أماكنهم فى مثل هذه المواقف التى تنتشر فيها

البراغيث. ومن حسن الحظ بالفعل أن تظل هذه الأمور الممتعة الجذابة أمام أعداء السامية سرًا من الأسرار.

١٠ أكتوبر

أهكذا أقف وحدى فى منتصف بركة من الأنانية والوصولية! أليس لى من أقرباء؟ لقد تمرس أبى المسكين على طقسة التضحية بذاته فى سبيل إخوانه وأخواته وأقاربه. وهذا ما فعلته بدورى؛ فقد ضحيت بما يكفى مما أملك من مال وكلام، وكنت سببا فى تحقيق، والتشجيع على سعادة البعض. وكل ما قدمته من دعم، يتحدث عن لسانى من تلقاء ذاته. وما من نفس واحدة من بين هؤلاء الأقارب، من الدم واللحم ذاتهما، تجدها تشاركنى مشاعرى فى الفرح والترح. ويا ليت الأمور قد سارت هكذا فحسب، بل إن بعض من أسديت لهم الخير ينضمون إلى أعدائى الشائنين... هذه تجربة لابد أن يخوضها الإنسان لكى يضيف كل وضاعة هؤلاء البشر باعتبارها يقينا مدمرا إلى جميع المعارف التى جمعها كل منا عن وقاحة البشر.

١٥ أكتوبر

"كل ما يحيط بى ليس من قبيل الظن

فهو يدفعنى دفعا وينزل بى المهانة"/

وقائل هذه الكلمات، وهو الشاعر "بلاتين *Platen*" يفتش عن السلوان فى "القصيدة" التى اهتدى إلى نفسه كلية بها. وإننى بدورى لست وحيدا كلية

٢٠٥

فى هذا العالم. فى منتصف هذه البركة التى سقطت بها أجد طوق النجاة المنقذ لى هو العلم والتضحية فى سبيل الواجب، وهذا ما يتبين لى يوما بعد يوم. من أجل هذا فقط تحتم على فى ريعان شبابى أن أهب نفسى للعلم حتى يكون أمامى فى عمر متقدم شجرة حياة أنشبت بها. إن العلم لم يجلب على بيتى الزاد والزواد، ولكنه هو غذاء للروح، ومواساة للنفس.

٢٠ أكتوبر

أخيرا انكشف كل شىء! ولكن من أين جاء بالفعل أن أصحاب السلطة بالجالية اليهودية منذ فترة من الزمان ينظرون لى باحتقار غير معلوم أسبابه، ويقابلوننى بتهكم وبسخرية مقترنين بالتكبر والغطرسة، ولا يمكن فهم ذلك إلا عندما يلحق بهذه السطور رسم بالريشة مظلّل لتفرس ملامح الوجه. هؤلاء الأفراد على اتصال الآن بالوزراء ومجالس الوزارات، بالبارونات ورؤساء الأحزاب. هناك صخب شديد فى البلاد تدشينا لحركة الانتخابات البرلمانية التى يقودها النظام الحاكم بأموال اليهود، ولهذا الغرض أيضا يتم الآن استدعاء باشوات جاليتى، وتوزيع اختصاص كل منهم فى مكانة عالية من أجل "تدعيم" الشأن الليبرالى. وقد التمس رئيس الوزراء^(١) من حاكم مجلس محليتنا السيد K^(٢) شخصا تقديم "هذا الدعم"، وقيل إنه حصل بهذه المناسبة على لقب "الصديق العزيز"^(٣). وقد حصل قبل ذلك بفترة وجيزة على نوط

(١) البارون د. بانفى Baron D. Bánffy (١٨٤٣ - ١٩١١) رئيس الوزراء.

(2) S. Kornfeld.

(٣) باللغة المجرية "kedves barátom".

شرف. وعقب ذلك مباشرة قام محاسب هذه الجالية الدينية بتكليف من رئيسه - وبشكل غاية فى التمييز - بتجهيز فهرست "لأغنى أغنياء" اليهود. ألا تخجلون بسبب الغرور الذى مهد الطريق أيضا لهذه الوحشية، من أنكم لم تتبصروا أى احتقار لأخلاقكم عند قبولكم فى غاية السهولة والبساطة لأن تكونوا مجرد أدوات قوية لعموم الفساد! إننى أشعر بالخجل فى أغوار نفسى!

ولكن، فى النهاية، انكشف الآن المستور! ولهذا السبب كانت مقابلتهم لى بهذه السخرية وهذا الاحتقار. إنهم يتحدثون مع الوزراء والبارونات، ويحملون معهم خزائن أموالهم، وهم يتحدثون إلى الكتبة كأنهم "سادة محترمون"^(١). إنهم - وهم محقون بما يملكون من أسباب - يحتقروننى ويسخرون منى. تجد منهم من يتهكم عليّ فى أسلوب كلامه معى، فلا ينادينى مطلقا بأى لقب آخر سوى: "سيادتك يا بروفيسور! من فضلك اكتب لنا تصورا جميلا مثلك، يكون كله نشاطا وحيوية مثلك، يا ترى هل يمكنك ذلك!". وهناك آخر قال لى بالأمس، إننى "مثالى" - وهذه كلمة نابية فى فكر سعادة الخياط "أعلاه" الذى ألقى بنفس الكلام فى وجهى. وهناك ثالث، وهو أحد المتباهين بالأموال المذكورين هنا، تجده لا يخجل من وقاحته، ويتهمنى "بالغرور"(!)

تسلمت نوا أمرا بإعداد عمل خالد، على النحو التالى: "تنظيم مناضد أكل اليهود المقدس". بالفعل قبل ثمانى عشرة سنة كنت قد قمت/ بمثل هذا العمل البديع. وإذا بالموول للانتخابات الذى تحلى بحصوله على نوط شرف فرانس جوزيف من الطبقة الثانية يقول لى فى هذه اللحظة بخنقان: "ولكن من

٢٠٦

(١) باللغة المجرية "nagyságos".

غير تأخير مثل عادتك". وفي هذا إشارة إلى أسلوب عملي السيئ المعروف لدى الجميع.

أيا عزيزى الملك أوسكار!

فى هذه الأثناء صار لدى قنائة من أن الطالب الأمريكى الدكتور شيستر *Dr. Chester* يعبر بصدق عن فرحته ورضاه من أنه جاء إلى هنا عبر المحيط لى يجلس "تحت قدمى". ومن الجماعات التى تتهم على شخصى ومن موالىهم الذين يعتبرون إذلالى من أعمال الخير، هناك من يحرص على الإبحار "إلى أمريكا" لأسباب أخرى. إننى أتعاطى ثلاث مرات أسبوعيا منذ أربعة عشر يوما مع شيستر البخارى *Buhari* عند القسطلانى *Kastallani*، وتمركزت مناقشاتى الجدلية معه حول أسلوب معالجة المسائل الدقيقة. فى هذا التوقيت لا يوجد فى أوربا أستاذ لديه طالب واحد أكثر تحريا للحق فى العلم. ويا ليت هؤلاء الغوغاء من المباهين بأموالهم والممولين للانتخابات يعلمون ذلك قبل أى شىء فعلوه! صحيح أننى لم أتحدث عن هذا الأمر؛ ولكننى اعتبرت قدوم الدكتور شيستر لى بمثابة رسول العناية الربانية التى بعثته إلى هنا لمواساتى فى أيام لا مثيل لها فى الإذلال والمهانة.

٢ نوفمبر

أيا عزيزى أوسكار الطيب! كم من أيام استطعت فيها من أجل وجدانى المعذب أن أنفض، وأستجمع قوتى التى منحتنى إياها من جديد لأتمرد على الذل والهوان.. وكم من لحظات لا تغيب عن ذاكرتى، ماثلة أمام عينى على الدوام، حين التف من حولى من أشهر سيفه ومطرقته، وهبطوا بها على أطلالى بالهمز واللمز، والتشهير والبهتان.. ولكن كم كان الصراع يسيرا مع

التساؤل: ولماذا تجلس هكذا في المستقع وتستنشق على خجل هواء منعشا مفتحا عليك.. لماذا تتوقع في سجن معتم، في حين باتت أبواب التحرر مفتوحة على الدوام؟ يجب أن يكون، يجب أن يكون، لا بد أن أثبت، وأتثبت بذلك حتى الموت. لقد خلقت لكي أكون خير نموذج للشهادة بعد الموت، من أجل شهادة يتعين على الإنسان التقى أن يعرضها ويجعلها في خدمة تحقيق واجب غير مثمر. شهيداً من نوع فريد، لا يتبرع بدمه من أجل ذرة من نفع. وحيث إنني قدمت كل ما أملك من تضحية بلا جدوى، فذاك ما يجعل مأساة هذه المسيرة في الحياة أكثر حزناً بلا حدود!

٦ نوفمبر

إن وجود طالب العلم الأمريكي بين يدي يحقق لي سعادة غامرة. فنحن منذ أسابيع في حالة انغماس في دراسة المسلم، نفعل ذلك ثلاث مرات/أسبوعياً، وغالباً ما تمتد حصة التدريس لأكثر من ساعتين، نتجول فيها ونغوص في إطالة وعمق كاملين لساحة الأدب الديني المحمدي. وأما عن شعور تلميذي بالارتياح والرضا، فهناك قرائن تدل على ذلك. فالمحاضرة والتعامل فيما بيننا يجريان باللغة الفرنسية، وهذا ما يفسح أمامي الآن طريقاً لخوض تجربة فردية لكشف الأوراق.

في هذه الأثناء وجه لي البارون "روزين" *v. Rosen* رجاءً لطيفاً للغاية. ولعلنا نطالع رسالته المؤرخة في 28 أكتوبر لكي نفتتح من أنه توجه لي بالرجاء بالسماح للسيد شميت *v. Schmidt*^(١)، المقرر تسميته لمنصب أستاذ

(١) *A. E. Schmidt* (١٨٧١ - ١٩٣٩) مستعرب روسي.

جامعى للعلوم الإسلامية بجامعة بيترسبورج، فى الحضور طرفى ببودابست، لكى يمضى بعض الوقت "جالسًا تحت أقدامى"، ليستكمل علمه فى درسه على يدي، بما يؤهله للوقوف على منصة التدريس. هذا نص الرسالة. إنهم يحجون إلى كاتب الجالية اليهودى المُحتقر، وافدين إليه من البلدان الأجنبية، من روسيا ومن وراء المحيط، لكى يستزيدوا منه بنور العلم والمعرفة. وهنا يمسون بناصيتى، ويفعلون بي ما يشاءون، ويزدروننى، ولا يرعوننى حق الرعاية. ونظرًا لأننى لا أشبههم فى وقاحتهم، فهم يرغبون فى أن يضعوا رأسى فى الوحل، ويكثروا عن أنيابهم، وينفخوا سمومهم فى وجهى للقضاء على. ومن المهانة أن المقصود بالجملة الأخيرة هم بنو عقيدتى.

قبل بضعة أيام تقابلت فى الطريق صدفة مع أحد هؤلاء الرعاع، وفى لمح البصر تجنب لقائى وسارع بالتوجه إلى الجانب الآخر من الطريق. ومن قبيل الصدفة أن كانت هناك بركة كبيرة تفصل بين جانبي الطريق، فهى تفصل بالفعل بينى وبين هؤلاء الرعاع الحقراء.

بالفعل قمت بوضع حزمة من "التصورات"، ولكنها "جميلة"، ورغم ذلك وجد البعض بها أخطاءً. وإننى أحمد ربي كل الحمد والشكر له على أنه لا يوجد من البشر من يبدد حياتى سوى هؤلاء الغوغاء آكلى لحم البشر. كم هو مخيف أن أجد نفسى رفيع القدر من هؤلاء الزملاء، ومنحط المقام بين هؤلاء الأوغاد. وكما كان يسعدنى اعترافهم بى!

أثناء الليالى كنت أتناول طوال الوقت نصًا لحاتم السجستاني *Hâtîm al-Sidshistânî*، وهو كتاب المعمرين، ومن المحتمل أن أنتهى من تحقيقه حتى إصدار طبعته، وأن أزوده ببعض الملحقات.

١٥ نوفمبر

من غير الممكن أن أدون هنا ما ألحق بي اليوم هذا الشخص الذي
يُدعى باخر *Bacher*.

٤ ديسمبر

أتراسل في الوقت الراهن مع الدكتور أخيليس *Dr. Achelis*^(١) بمدينة
بريمن *Bremen* بشأن مشاركتي المرجوة في تأسيسه لمجلة جديدة خاصة بعلم
الاثولوجيا وعلم الأديان المقارن^(٢). كنت أتمنى أن أشارك في ذلك بكل همّة
وحماسة كنت أملكها في ريعان شبابي قبل ثمانية عشر عاماً أو عشرين
عاماً. حتى اللحظة الراهنة لا أفكر في الانسحاب، ولكن بأى وجدان سأدخل
الآن في/ ميادين العلم النقية! أخبرني رئيس تحرير صحيفة الأدب الألمانية
بأن مقالاتي لاقت في الدوائر المتخصصة "اهتماماً بالغاً واستحساناً كبيراً"^(٣).

٦ ديسمبر

صباح اليوم قاموا بتدشين المدرسة اليهودية الجديدة، وهو ما يعنى أنهم
راحوا يثرثرون بالأحاديث الخمسة، بل إن تاجر الصوف شفايجر
Schweiger^(٤) استشهد بأقوال الأنبياء. وقد دخل معنا صديقي كوهن *Kohn* في

(١) *Th. Achelis* (١٨٥٠ - ١٩٠٩) عالم أثولوجيا أو [علم الأعراق البشرية].

(٢) كان مسؤولاً في الفترة من ١٨٩٨ وحتى ١٩٠٣ عن تحرير أرشيف علم الأديان.

(٣) انظر *B. Heller*: مرجع سابق ذكره، من رقم ٤١٦ وحتى ٤٢٢.

(٤) *M. Schweiger* (١٨٣٤ - ١٩٠٥) رئيس الاستشارية الإسرائيلية بالمجر.

مناقشة جدلية بشأن فضائل الوطنية (وفى حضور مسيحيين!)، ولكن لم ينطق بحرف واحد يتعلق بالواجبات المنوطة بمدرسة يهودية؛ وبعده ألقى المدير السيد شتيرن Stern^(١) خطبة عصماء، ثم جاء الدور على عمدة المدينة بخطبته الدينية، وأعقبه المفتش العام للمدارس الملكية وهذى ببضع كلمات. وتركز محور الأحاديث البليغة لهذه الحملة الشرسة حول الأعمال الجليلة الكبرى الخالدة التي قام بها موزيس فارمان Moses Wahrman من أجل شؤون التعليم لهذه الطائفة. لقد اعتادت أذنأى على سماع الأكاذيب التي يتفوه بها المجتمعون في هذه الدوائر، كما أنني اعتدت على ظواهر الإهانة التي يوجهونها لشخصى من كل ناحية، حتى في مثل هذه المناسبة... يطلقون سهامهم على - فى مقر مدرسة الطائفة الدينية الإسرائيلية! فليحيا.. الجهل والغطرسة! أول الأمس تلقيت كلمات مديح على تصور قدمته. "أخيرًا هناك شيء عظيم مكتوب".

١٧ ديسمبر

فى السنوات الخمس والعشرين الماضية من حياتى العلمية قدمت بالفعل دعمى لرفقاء تخصصى على استحياء، وكنت درعا لهم من الوقوع فى الأخطاء، صغيرة كانت أم كبيرة، ودائما ما رفضت تقديم الشكر لى؛ فالعلم ملكٌ عام للجميع. فما يعرفه أى منا، فهو ملتزم به تجاه الآخرين. ولا يوجد سوى ثلاثة أشخاص فقط هم الذين صدقوا علناً على أخبارى: يأتى فى مقدمتهم العظيم المخلص نولدكه Nöldeke، ولم يكن محتاجاً لتزيين ما يكتب

(١) A. Stern (١٨٥٥ - ١٩٣٥) مؤلف كتب وعظ وتعليم، ومدير مدرسة يهودية ببودابست.

بما يكتبه الآخرون؛ ولكن حين يستعين بكتاباتي، وهذا ليس بقليل، فهو يفعل ذلك في ظل دلالة غير مألوفة بالمرّة على الاعتراف بقدرى. ويكفى أى منا أن يطلع على كتابه: / "الطبيب وطاهى الطعام الناضج" ^(١). ثم يأتى بعد نولدكه فان بيرشيم *Van Berchem* ^(٢) الطيب، وهو الذى تفضل بكتابة إهداء فى خاتمة الجزء الثانى من كتابه، مقرونا باعتراف طيب لمكانتى العلمية، لما قدمته من تعاون فى مراجعة النص الخاص بمتن كتابه! واليوم أقر نالهم بذلك، وهو الأستاذ (زايبولد *Seybold*) ^(٣) بتوبنجن). فهو رغم تفهمه لكلامى له بوضوح كاف بشأن استغنائى عن تقديم أى شكر على ما قدمته له من "تلميحات"، إلا أنه أقر لي أيضاً بالشكر والامتنان، وأعلى من قدرى بذكر اسمى جنباً إلى جنب مع دى جويه *De Goeje*، وجيدى *Guidi*، ونولدكه *Nöldeke*، وأهدى لنا جميعاً - واصفاً إيانا "بفقهائ اللغة العربية الفصحى" - مراجعة نص كتابه الصادر تحت عنوان: / "كتاب المرصع" لابن الأثير. ومن خلال تلميحاتى أكون قد وفرت عليه قدرًا من الفضائح، أو من تصدع الرأس على أقل تقدير. ولا شك فى جمال المجموعة التى وضعتى معها، ولذكن ذلك على الجانب الآخر سيغضب البعض. فالبشر لا تعرف معنى الرحمة إلا قليلاً منهم!

٢٠٩

فى الأيام الأخيرة انشغلت بوضع "رسم تصويرى" صغير "عن ديوان القبائل العربية" ^(٤). وهذه المحاولة التى تشجعت فيها لأن أعيد تركيب نص

(١) تيودور نولدكه: الأساطير العربية عن الطبيب وطاهى الطعام الناضج، برلين ١٨٩١

Th. Nöldeke: Die arabischen Märchen vom Doktor und Garkoch

(٢) *Max van Berchem* (١٨٦٣ - ١٩٢١) مؤسس علم دراسة النقوش العربية.

(٣) *Ch. F. Seybold* (١٨٥٩ - ١٩٢١) أستاذ بلايسيج.

(٤) انظر *B. Heller*، مرجع سابق الذكر، رقم ٢٠٠.

مفقود من الأدب العربى الجاهلى، كانت سبباً فيما بعد فى منحى العضوية الشرفية من قبل صحيفة RAS التى قامت بالنشر، امتناناً منها لحسن اختيارى. وقد عُنَى الدكتور شيبستر Dr. Chester بترجمة المقال إلى اللغة الإنجليزية.

أرسل لى إيبرس Ebers نسخة من أحدث رواياته، وهى رواية "باربارا بلومبيرج Barbara Blomberg". وقد أعرب لى الرجل عن محبته وتعاطفه رغم صروف الحياة وتقلبات الزمان.

١٨٩٧

٢٠ يناير

بدأ العام بمجموعة من "وضع تصورات"، ليس دائماً من أجل إرضاء رؤسائى. فقد ادعى البعض بأن ما لديه من خبرة تبرهن على أن كتاباتى "جافة" للغاية؛ إننى لم أنل إعجاب الأفكار المبللة لهؤلاء المتباهين بأموالهم، وإلا فذلك يُعد بمثابة النهاية الأسلوبية مع بداية العام الثانى والعشرين لممارستى مهنة الكتابة. وقبل عشر سنوات هناك من اعتبر أسلوبى يتسم بالتملق والثرثرة. وأحمد الله أن أسلوبى لم يحظ برضاهم!

٢٢ يناير

حضر لدى اليوم السيد ف. شميت v. Schmidt. قادما من بيتربورج Petersburg لى يتبحر فى العلوم الإسلامية على يدي. لقد قام برحلته إلى هنا فقط لتحقيق هذا الغرض، وهذا يعنى أننى أصبحت قبلة يتجه الناس إليها للتزود بالمعارف الإسلامية. وهذا -على حد قول زوجتى- يحمل دلالاته،

فهناك جامعات كثيرة بين بودابست وبيترسبورج! ولاشك أن الأمر يتعلق بعلمى فى هذا المجال، رغم ما يردده بنو عقيدتى الذين يطلقون عنانهم فى تصغير حجمى.

٢٦ يناير

فى يوم ٢٣ من الشهر توفى ابن أختى "امره" *Imre* فى *Arad*. وبصفتى الأخ الوحيد لأمه سافرت إلى *Arad*، لكى أرافق نعش الشاب المسكين الطيب إلى مثواه الأخير. وبهذه المناسبة مكثت يومين لدى أقارب زوجتى، ولم أبغ حقاً أى إسراف وتبذير فى مثل هذه المناسبات الحزينة.

٥ فبراير

انقضت الأيام ما بين "وضع التصورات" وقيامى بالتدريس للشابيين الأجبيين. وسعدت بجلوس كل من الشابين - الأمريكى والروسى - تحت أقدامى لتلقى العلم. / فقد منحنى هذا الأمر إحساساً فريداً بذاتى، فلا يمكن تصور مدى تطلعهما لما يأتى "على لسانى"! إننى أجلس إليهما ثلاث مرات فى المساء كل أسبوع، وأمنحهما كل ما لدي من علم، وفى كل مرة تستغرق حلقة درسي ساعتين، تناولت فيها البخارى *Buchârî* والشعرانى *Scha • râni*. ويا ليت الزمان أجاد علي بإتاحة الفرصة لمثل هذا الدرس قبل عشرين عاماً، حين كنت أتصدى للأمور ذاتها بقدرات أعلى تماماً!

إننى أشعر الآن فقط أن كل ما يتعلق بالأمور الإسلامية قد اعتراها شيء من الاغتراب فى نفسى على اثر اشتغالى بالحقبة الجاهلية

Dschâhilijsa، لقد حل منذ ذلك الحين فرسان وأساطين الوثنية محل الإفتاء الديني، واحتل أبطال البيداء مكان رجال الدين. وعلى أية حال فإنها كانت فرصة جيدة أفسحت لي المجال لأن أستحضر ما حفظته ذاكرتي مرة أخرى، وأن أتأمله الآن أيضًا بتدبر، وأستغرق في أفكاره بنضج، مثلما كان يحدث في مرحلة ما بعد الأزهر، حين كنت أنا شخصيًا أقرب لأن أكون مفتيًا إسلاميًا عن أن أكون شابًا قادمًا من الغرب طلبًا للعلم.

٩ فبراير

بالأمس تركت لنفسى الشريرة رغبتها بما تحدثنى به من إغراءات فى أن أخون مبادئى "وأن أسلك فى مشورة الأشرار وأن أف فى طريق الخطأ، وأن أجلس فى مجلس المستهزين". منذ خمسة عشر عاما كنت أتجنب حضور اجتماعات ما تسمى بندوة الأخبار المحلية. وتتألف هيئتها من ٢٤ عضوًا، وأما مهمتها المنوطة بها هى الإشراف على أعمال هذا المعهد الديني المهم للغاية الذى يخرج رجال الدين للعمل بالجاليات اليهودية. ويأتى على رأس هذه اللجنة السادة: م. شفايجر *M. Schweiger* ودكتور سيمون *Dr. Simon*، ومن المفترض أنهم نخبة المتفهمين فى مسائل الدرس اللاهوتى، ممن قدمتهم اليهودية المجرية. إن الجلسات التى عقدتها تلك الهيئة منذ سنوات كثيرة هى لقاءات شكلية لعدد من اثنين إلى ثلاثة أفراد، عادة لا يمكن طرح موضوع إشكالية جدير بالتقدير عليهم. وباعتراف الجميع فإن لجنة التعليم الخاصة بهذه الهيئة لم تعقد جلسة مشورة واحدة على مدار خمسة عشر عاما كاملاً. وحتى عام ١٨٨٢ كنت العضو العامل الوحيد للهيئة ذاتها،

وقدّمت كل ما أمّلك من وقت وجهد من أجل تحسين الأوضاع التي أصابها الصّدأ بمدرسة الحاخامات، ولكن - دون جدوى! فقد أّحالت المكائد والدسائس والنمائم دون مشاركتهم في الأمر. والآن ينفجر الضجيج الأخلاقي في هذا المعهد، وأعلن المدرسون هذا الأمر في مذكرة سطحية. وقد دعا الرئيس العام السيد شفايجر اللجنة للانعقاد لدراسة الموارد التي تعين على تغيير الوضع. وقد رأيت أن هناك ما يغريني لأن أحضر الجلسة.

كان من واجبي أن أنتهز الفرصة في أن أشير إلى أوضاع الدرس [٢١١] والتربية في هذا المعهد دون مواربة. وفي خطاب مطول شرعت/ - وأظن أن هذا ما يفعله كل يهودى عفيف شريف - في تطوير قناعتى بالنظر إلى الواجبات المنوطة بعمل أى مؤسسة علمية مهمتها تخريج قادة الحياة الدينية ليهود المجر. ورأيت أن الأمر لن يحرك الأمور دون ذكر بعض الحقائق المريرة، وعندما كنت أنطق بها كان الأستاذ الدكتور باخر *Bacher* يتجشأ بطريقة لا تمت بأقل درجات الأدب واللياقة فى شيء، وكأن الأمر يتعلق بنزع فتات مما يملكه من موارد مالية تخصه شخصيًا. ولم يحظ حضورى هذا بالتعبير عن الامتتان لشخصى، ولا بكثير من النجاح للصالح العام. فقد هب التجار الأثرياء والحاخامات الجهلاء والمدرسون الذين لا ضمير لهم، ممن وجهت خطابى إليهم، بتوجيه كل ما يملكون من اعتراضات وضيعة، وسخافات وجهل، لا سيما أن فيما كنت أذكره يخص المدرسين والحاخامات. فالجميع كانوا على قناعة من أن الوضع السيئ لحقة الدرس لا يمكن تغييره إلا بتوفير الدعم المالى للطلبة، وهو ما يرغبهم فى الدراسة. وفى كلمة الختام رغبت فى التأكيد على رفضى لهذا الرأى، وختمت مشاركتى فى هذا الأمر بالكلمات التالية: تحدث الكتاب المقدس ذاته أيضًا عن أدعياء النبوة - والذي

أقتبس منه الكلمة العابرة التي من شأنها أن تهدى من روعى، قلتها لكى تتقد حياتى - وهم قد حسبوا أن التأكيدات المسكنة يمكنها أن تواجه أزمة وطنهم، وأنه من الممكن حجب المفسد ببضعة دراهم. وكما تصدى النبى لعدوه بهذه الكلمة، فإننى أتوجه إليكم بكلمات الرب التالية: (והנה נפל הקיר הלווא יאמר אליכם איה הטיח אשר טחתם)

"وهو ذا إذا سقط الحائط أفلا يُقال لكم أين الطين الذى طينتم به"

مع بدء الجلسة حدث ما يلى، وحق علينا هنا أن نسجلها لجميع العصور: اعترف باخر الذى دفعت به الظروف إلى الضيق، بأنه أخطأ قبل سنوات طويلة فى حق إ. ل. حين سار على دربه منتحلاً بأحقر الأساليب. إن الرجل الساذج يعترف مستكراً نفسه "كنمأم بئس لا خلق له. كان الموضوع يتعلّق باختيار إ. ل. عضواً بهذه اللجنة. وأسألت: ما هو الموقف تجاه المواعمة الأخلاقية لهذا الرجل. عقب ذلك خرج تصريح لسلوفاكى بصوت متوتر، يقول أن هذه المسألة تمّ تسويتها على يديه: إنه أنهى منذ ذلك الوقت كسارق حقير قبل سبع سنوات الصداقة الحميمة مع الشخص الذى سُهر بسمعته. وعندما يكون ذاك ليس "شخصاً غير بئس" فإنه لا ينبغى أن يحدث حراك، (أى لعلم المصطلحات الخاص بأخلاق الحاخامات).

٣ مارس

نفس ما سبق ذكره. عقدوا مساء اليوم جلسة أخرى، وكنت مضطراً لأن أتوجه إلى هناك، وأعدل وجهة نظرى إلى الطرطوف وتاجر الصوف. ونتيجة لذلك/ حدث تصدع شديد فى عقيدة كاوفمان. Kaufmann. فقال لى "إن

يهوديتكم (وهو يقصدني) تسبح في روحانيات، وإنني (أى كاوفمان Kaufmann) أعيش فيها". كما لو أن أى شخص يتصور وجود مجال يمكن أن يحتفظ فيه كل منا بديانته. ويستمر الكلام بالانفعال نفسه وبقوته؛ إن ميولى الفكرية تطابقت مع مثيلتها عند شتاينثال *Steinthal*، إننى أتعامل مع كل التيارات، من الإلحاد والعدمية، إلى غيرها من النزعات.

واعتراضا على كل هذا التطاول والتعجيز، قمت بسحب طلباتى، إذ إن من أراهم يتحدثون أو أن ينزلون عن المعسكر النقى لا ينتمون إلى مجتمع يتناسب معى، ولابد أن يجتمعوا ويغلقوا دائرة على أنفسهم - خارج المعسكر النقى- كأنهم مرضى الجزام، مع تعليق لافتة تحذير عنوانها "لا مساس" كى يبتعد جميع البشر الشرفاء عن التلامس معهم.

٥ مارس

وجه إلى عميد الكلية - بناء على تكليف من وزير التعليم- سؤالاً عن حقيقة رغبتى فى تمثيل الحكومة والجامعة فى مؤتمر الاستشراق المنعقد بباريس. بطبيعة الحال كان ردى: نعم. لابد أن يكون مكانى الطبيعى هو تواجدى فى مجتمع يتحلى بالأدب، ولا يسمح دائماً بأن يتأثر بالضجيج الشرس والفظ والفج الذى يثار فى حجرات صغيرة خاصة فيما يتعلق بإقامة طقوس الجالية ومحاضرات الحاخامات، إذ لا يزال يطن فى أذننى الضجيج الحقير لمدرسين يقومون بالتدريس بحلقة درس الحاخامات. هؤلاء هم أناس تأبى نفسي بلا تردد أن أمنحهم أهليتين؛ أصالة العقيدة، وصلاحية تعيينهم مدرسين بمدرسة لاهوتية. هؤلاء الناس الذين لا يملكون الأمانة والشرف أو الكفاءة

العلمية لكي يؤهلوا شبابا غير متحيز للوظيفة المهمة، ولكي يبثوا الوعي بمهنة الديانة اليهودية في الشعب المتلقى لتعليمهم ويجعلوا منه حياة لهم.

هؤلاء منوط بهم مهمة إعداد وتأهيل الحاخامات للنهوض بالدين اليهودي المتصدع بالمجر. وإننى حين ألغى أهليتهم للقيام بهذه المهمة، فإننى أفعل ذلك بوعى كامل من منطلق مسؤوليتى تجاه مثل هذا الادعاء، حتى إذا صارت أمانة السر العميق لهذه الصفحات فقط. وقد مثل أحد هؤلاء السادة المسرحية التالية التى تشبه مسرحيات اليسوعيين. طرحت فى خطابى سؤالاً بوضوح واختصار: هل يرضى السادة المدرسون أن يعربوا عن آرائهم عن مدى رضاهم عن عملية التدريس فى هذه المؤسسة. فهب أحدهم - نطلق عليه كاوفمان *Kaufmann* (أى التاجر) قائلاً: "نعم". قالها بصوت جلى وبفرحة من لديه استعداد بأن يضحي بنفسه من أجلها، بل ويصير شهيداً لها محمولاً على الأعناق إلى محرقة الجثث. وبعد الجلسة اعترف لى - مع توجيه اللوم والعتاب على طرحى لمثل هذه "القضية الأخلاقية" فى جلسة معلنة- بأنه كان سيجيب بـ "لا" لو كان الموضوع بينى وبينه، وأنه كان ساخطاً من أن الزميلين الحاضرين لم ينطقوا بكلمة واحدة./

٢١٣

٨ مارس

جلسات مرة أخرى "لهيئة اللجنة". وقد استمرت جلسة اليوم من الساعة الثالثة عصراً حتى السابعة والنصف مساءً، وقضينا الجزء الخامس من اليوم نستمع إلى هذه الرطانة. وتلقيت بعدها التكاليفات الخاصة "بالتصورات" من جديد.. وما أنراك ما هى! وجدت نفسى فى منتصف الليل أبحث عن

الاستجمام والراحة، ووجبتها فى مقالة صغيرة عن "حماسة البحترى Die Hamâsa des Buhturi"، كنت قد قدمتها لمجلة فيينا متخصصة فى علوم الشرق. فى مثل هذه الأجواء تولد جميع أعمالى، وأرى أن هذا الشتاء يضمن على بالعطاء !

١١ مارس

انتهت توا "جلسة" أخرى استمرت من الرابعة عصرا وحتى السابعة والنصف مساء. ولا يمكن تصور كم الوقاحات والخشونة التى تظن بأننى، وتقتحم روحى، ولا أملك سوى الجلوس بصفتى "كاتب الجلسة" لا أنفوه بكلمة كالأبكم، لكى "أحرر محضرا" لكل هذا العبث والوقاحة والغرور الذى يصدر عن هؤلاء المتباهين بالأموال، صغيرهم وكبيرهم. ويا له من ذل ومهانة فى تفاصيلها! وكيف يتحدث هؤلاء القوم معى اليوم مرة أخرى؟ وكيف تحتم علي أن ألتقى منهم أوامرهم! لا بد أن أطيعهم، وإلا تعرضت لفقدان قوت يومى من "ملاليم" لا تسد الرمق. كما أنه يتحتم على الليلة (وفقا للتعليمات) أن يكون الموضوع جاهزا بالكامل عند مطلع شمس الغد، وأن أكتب خطابا فصيحا يحيى الموتى عن أحد اليهود الأغنياء، وكما قال الرئيس - لا بد من إرضاء غرور الناس بأى ثمن؛ ثم أبدأ "جولتى" من الفجر. وما أدراك ما يرتبط بذلك من "تصورات" يتحتم علي أن أبدعها لكى أبلغها بأسلوب تقبيمى لهؤلاء الجهلاء الفارغين، ويا ليتهم سيعفوننى من ملحوظاتهم التى تحمل أشد العذاب لنفسى: "وهذا الجزء لا بد وأن يتغير، فالأسلوب الفخم غير كاف".

يا رب! متى ينتهى هذا الوضع الذى أعانيه؟ لقد شاب شعرى ولا أزال ألتقى هذه المعاملة وأتحمل سوء العذاب فى التعامل، فى حين أن اسمى يُذكر بكل ألوان الاحترام فى اوربا، ويأتى إلى شباب من أقصى بلدان العالم لى يتلقوا علمى، وأقرب الأقربين من بنى عقيدتى لا يقصدون سوى إلحاق الأذى والمهانة بى.

٢٠ مارس

هناك رغبة تحوم حولى - منذ فترة فى حارتى حيث مقر إقامتى - كلما تلوح الفرصة فى وصمى بكلمة "مثالى". ها هم المرابون والخياطون - ممن يشرعون عند رؤيتهم لى فى إصدار أوامرهم لى - ليتمكنوا من طردى من أمامهم، وأقل ما يفعلونه فى هذه الحالة هو أن يعترضوا سبيلى باشمئزاز - يصيحون بنغمة صوت لا مثيل لها فى التهكم، نغمة مصحوبة بإيماءات غريبة عن قاموس الطبقات الشعبية،/ تماما كأننا أمام تمثيل لحركة انعكاسية لكل ملحوظة خجولة تصدر عنى أثناء تأدية وظيفتى، قائلين: ولكن سعادتك لا تفهم ذلك لأنك "مثالى"! ولو أننى أنادى على شخص بلفظ صعلوك، لما صدرت عنى مثل هذه الإيماءة الغاضبة التى يمزجها هؤلاء الغوغاء بصيحة تهكم، وقولهم لى "يا مثالى"!

إننى أشعر بالعذاب الأليم حين تُقرأ هذه السطور بعد رحيلى (ويا لطول انتظارى لهذا اليوم).

أيضاً انتهيت من إعداد "التقرير السنوى لعام ١٨٩٦". ومرة أخرى هناك من أقحم نفسه عليه وقام بإجراء "تصويبات" لا أرقى إليها من ناحية الأسلوب وعلى مستوى السياسة العليا، وهو فى الواقع يهبط بالتقرير إلى الحضيض، ولكن يَتحتم على أن "أصحح" كل ذلك وفقاً لأوامر هؤلاء الرعاى. ودون قيامى بذلك، فإننى مطرود ومفصول.

٤ إبريل

مزيد من الخزى بلا توقف. الآن جاء دور تجار الصوف ليعترضوا على "لغى المجرية" التى يعتبرونها تعة إلى حد ما. الآن عثر استكبارهم ومرضهم السقيم على وسيلة جديدة. فبمناسبة افتتاح مستشفى الأطفال بكل مظاهر الفخامة والأبهة، وفى حضور "بعض الوزراء"، أسند إلى الجانب التحريرى. وقد تسال إلى ريشنى أسلوب المتباهين بثرانهم الركيك. آه لقلمى المسكين! إذ اشترطوا على ذلك كى لا يكون لدى "غرور الكتّاب"، وأن أترك التعبير عن "أفكارى" "علمائهم"، حيث إنهم أجدر فى سياق دوافع أكثر حماساً وبهجة. وستقل لى بعد ذلك تلك الصياغة اللغوية بالغة الحيوية بغرض تصويب أخطائى الفادحة فى قواعد اللغة والكتابة. وقيل لى بمناسبة الافتتاح "عليك أن تكتب لى خطبة، فأنا ليس لدى وقت لذلك". وعلى ذلك كان لابد أن أوطد نفسى على ذلك! إذ لابد أن أقوم بذلك، وإلا فسيتم طردى وفصلى. وأما بالنسبة للتحرير فقد أعطانى نقطتين بخصوص هذا العمل البلاغى:

١- لابد من صياغة كل المعانى العظيمة للتحية والترحيب بالوزراء .

٢- أبدأ من سياق كل معاني الإطراء والثناء للسيد برودى تسيجه *Brody* و*Zsiga*^(١) وعلاوة على ذلك، فقد صدرت الأوامر بأن نهاية الخطبة ينبغي أن تتضمن عبارات تتعلق "بمحبة الإنسانية" مع شيء من "الحركة والحيوية". وبهذه التوجيهات سأعكف على العمل مساء هذا اليوم.

١١ إبريل

فى هذا اليوم حملنا معلمي العجوز بريل *Brill* إلى مثواه الأخير. فى عام ١٨٦٥ كانت علاقتى تجاهه لا تنقطع، فكانت علاقة تلميذ بأستاذه وصديق بصديقه. فروينبيرج *Freudenberg*، وبريل *Brill*، وفلايشر *Fleischer* ! أنتم اليوم فى ذمة الله، أما أنا فلا أزال يتيماً ووحيداً. إننى عاجز عن أن أعبر ولو بكلمة واحدة عن مدى حزنى.

١٢ إبريل

طلب منى بلاك *Black* من لندن أن أعالج بعض المقالات التى كتبها روبرتسون سميث *Robertson Smith* لنشرها فى موسوعة الكتاب المقدس/ ^{٢١٥} التى ستصدر تحت رئاسة تشاين *Cheyne*، وفى المقابل أقدم بطلب للحصول على مكافأة كبيرة (قيمة الصفحة ٢ جنيه). ولا يمكننى أن أسعى وراء هذا الطلب الآن، لأن الإسلام يطالبنى بذلك كليةً، لأن ما تبقى لى من وقت يحتم على استخدامه فى كتابة الخطب للأعيان والمتعطشين للشهرة.

(١) *S. Brody* (١٨٥٤ - ١٩٠٦) صحفى وفاعل للخيرات.

١٣ إبريل

كان لا بد أن أكره نفسي على الوفاء بما وعدت به الصحيفة اليهودية "A jövő" بكتابة رثاء أنعى فيه المرحوم بريل. Brill ونظرًا لأننى لا أُرغب فى أن أُنس توقيعى فى هذا المقال، ومن ناحية أخرى لم أستطع مقاومة الجانب الأخلاقى الذى يُلح على، فقد وافقت على حشو بعض الأعمدة تحت اسم مجهول، وهو كيليتى الأول Keleti I. كان التوبيخ مهيبا والوسط يبعث على الاسمئزاز .

منذ سنوات لم تمس يدى هذه الصحف، واليوم أكتب فى واحدة من تلك النوعية. لن تمر الليلة دون أن أنهى هذا الموضوع جملة وتفصيلا، وينبغى أن تشتمل أفكارى على كل ما يتعلق بأستاذى العجوز، وبهذه الطريقة حسمت أمر هذه الصحف.

٣٠ إبريل

يا إلهى! اليوم كان لى ما يقتضى أدائه لى العميد، إلا أننى لم أقابله فى مكتبه، حين جلست لأدون بعض السطور، لأوضح الغرض من زيارتى، وقعت عيناي على ورقة موجودة على مكتبه مكتوب عليها: "طلب الأستاذ الدكتور فامبيرى Prof. Vámbéry بشأن تعويض (مكافأة) الأستاذ الدكتور إ. ج. العامل بالمكافأة". أهكذا تكون الخاتمة مع بداية العام السادس والعشرين من عملى الجاد بالجامعة الأهلية؟ تسول علفتى! بدلا من تقدير مستحق واعتراف بشخصى وفقا للأصول! وفوق هذا وذاك، الفشل الذريع الذى اقترب. هذا ما سيكون قد دبر إخراجه شيخ الكذابين بكل عظمة وأبهة لتكريمى على نحو عظيم. لقد صُدمت بحق عند رؤيتى لهذه العريضة الفتاكة

التي ستودع في مكان معلن لأنتظار جميع الطلاب والموظفين. سنرى قريباً ماذا سيفعلون بها، وإلى أى مدى يتجه تفكيرهم.

الأول من مايو

في عبارة من التراث أوردها ياقوت الحموي *Yakūt* عن النبي، يقول فيها: إن العالم مثل النبع الحرارى، يتلف لرويته الناس من بعيد، وأما من هم على مقربة منه فلا ينتبهون إليه، ولكنه يفيض بالماء، فريق ينتفع به، وآخرون يندمون عليه أشد الندم (لأنهم لم ينتفعوا به)". وهذا ما ينطبق على حالتى تماماً!

٢ مايو

كنت عند شيخ الكذابين الأكبر، وأصغيت لأشياء بلغت حدًا من الوضاعة عن نهجه الذى سلكه، وقد ذكرته فى معرض حديثى عن يوم ٣٠ إبريل/ لدرجة أننى شعرت بأننى مضطر لأن أتركه على الفور، وأن أطلبه فى رسالة (توجد صورة منها فى لفافة المراسلات الخاصة به) بأن يسحب طلبه الغادر الذى تقدم به إلى الكلية دون علمى .

٤ مايو

بعد أن تحتم عليّ أن أقضي يوم أمس المزعج - بما حمله من قلق واضطراب - فى أن أكتب فى عجلة وبإلحاح بالغين رسالة تسول مطولة إلى البارونة هيرش *Hirsch* تتباكى فيها الجالية المسكينة - التى تستخدم أموالها فى مظاهر الزهو والاختيال- وتعبّر عن احتياجها للمال وترجوها أن تغدق عليها قليلاً منه من أجل إنسانية منها، جاعى الرئيس صباح اليوم

مبكراً ليحضر لى "التصور" خالد الذكر للخطبة التى سيقوم بإلقائها، والتى كنت قد تحدثت عنها وسجلتها فى يومياتى بتاريخ ٤ إبريل. كان الغرض من تسليمى هذا التصور هو عمل "تصويبات" وإضافة "محسنات بديعية" عليها، بحيث تصبح فى مذاق الحلوى التى تروق لمزاج رجال الدولة وعمد المدائن. لقد قال لى، إنه كان بإمكانه أن يقوم بفعل هذه الخطبة من الألف للياء وحده، لأنه "لا يعجزه الكلام"، إلا أنه لا يملك الوقت الكافى لذلك. أما من يملك الوقت لذلك بكل تأكيد فهو "جالدتسيهر" *Galdzieher* ^(١)، وإلا فسوف يطرد من وظيفته بكل سهولة.

فى هذه الأثناء كنت قد انتهيت أيضاً من إعداد التقرير الذى أودعت به ما عنّ لى من أفكار سوف ألقياها فى محاضرتى على مسامع الحاضرين بمؤتمر المستشرقين فى شهر سبتمبر بباريس والخاص بمسألة موسوعة الإسلام.

٥ مايو

أكتب الآن مقدمة نقدية عن الكتاب المرجعى الذى ألفه إدوارد فان ديك *Edward van Dyck* ^(٢)، وهو ابن كورنليوس ف. د. *Cornelius v.D.* الذى تعرفت عليه قبل ٢٤ عاماً فى بيروت، وكنت أتردد على منزله. وللأسف لا أستطيع أن أجازى الابن على صداقتى لأبيه.

٦ مايو

وُضع طلب فامبيرى *Vámbéry* فى مقدمة جدول أعمال جلسة الكلية المنعقدة اليوم، ولكن تم سحبه قبل الجلسة. وخطابه الذى تلقينته اليوم منه

(١) نلاحظ سخريته والتقليل من شأن "جولدتسيهر" بنطق اسمه خطأ (المترجم).

(٢) انظر *B. Heller*، تحت رقم ٤٢٧.

يذكر تفاصيل ما حدث بصورة أكثر دقة؛ ومرفق الطلب بعد تنقيحه.
والعجيب أن الرجل لم يتغير على مدار ٣٢ عامًا منذ أن عرفته!

الأول من يونيو

استقبلت إطراءات - من كل صوب وحذب - بشأن ما كتبته عن "تأليه
أولياء الله الصالحين" بمجلة "جلوبوس *Globus*"^(١) ودواوين العشائر أو القبائل
Tribal- Dîwâns^(٢) وكان من أشد "المعجبين" بي على وجه الخصوص
كراباتشيك *Karabaček*^(٣) ولم يستغرق تفكيرهم كثيرا في أن تقوم أكاديمية فيينا
باختياري عضواً بها من الخارج،/ ولم يكن لمثل هذه المكانة وجودٌ لديها .

٢١٧

لقد سافر تلميذى ف. شميدت *v. Schmidt* ، وبذلك تكون القصة الرائعة
لمسار أحد باحثى الدكتوراه قد بلغت مرادها، وتلقى العلم على يدي في هذا
العام أحد تلامذتى الذى جاء من أقصى بقاع الأرض. ولم يبهر هذا الأمر
السيد فامبيرى *Vámbéry*. إنها ليست أكنوبة، ولكنها شهادة عجيبة تشير إلى
ما يمكننى أن أنجزه بجامعة محترمة!

٣ يونيو

"إنه الدكتور جالنتسيهر بشخصيته العصبية" - وصفنى بذلك اليوم
الحبر الأعظم لليهود المحليين الذى يعتبر نفسه عالماً لا مثيل له منذ خطابه
العظيم بمستشفى الأطفال.

(١) المرجع السابق، تحت رقم ١٩٩.

(٢) المرجع السابق، تحت رقم ٢٠٠.

(٣) *J. Von Karabaček* (١٩٤٥ - ١٩٢٨) مستشرق، أستاذ ومدير المكتبة الملكية بفيينا.

١٥ يونيو

زاد إلحاح شركة بلاك *Black* بلندن فى طلبها وحثى على توجيه عنايتى إلى الطبعة الجديدة من كتاب أقارب روبرتسون سميث *Robertson Smith*، ولدى من الأسباب ما يجعلنى أدرك أهمية الأمر، حيث إنه يلزمنى أن أنتهز كل فرصة تربطنى بموضوعات ذات صلة بالأدب والأخلاق الحميدة. بعدها كان من دواعى سرورى أن أقوم بسداد ضريبة البر لاسم القديس روبرتسون سميث.

٢٤ يونيو

كان مطلوبًا منى ضرورة وضع "تصور" لكتابة عريضة ستقدم إلى جهات مسئولة بالمدينة من أجل زيادة الدعم للجالية اليهودية. ونظرا لعدم وجود ثقة تجاه أسلوب تفكيرى، تم تسليم "التصور" الذى وضعته إلى الفيلسوف الأكبر لرؤساء الجالية، وهو الشخص الذى يحمل اسم مارتين شفايجر *Martin Schweiger* من أجل اختباره. ولعله يعرض "تصورى" على بعض كتّاب الدواوين والمحاسبين ليصرحوا ما لديهم من اعتراضات عليه.

٢٥ يونيو

اليوم أعاد لى الفيلسوف شفايجر "تصورى" قائلا بأنه لم يستطع قراءة ما كتبته. وأضاف متسائلا كيف لم يتحسن خطى حتى الآن؟ وعلى ذلك يجب على قراءة العمل عليه. وبعد تصحيح بعض الأخطاء وافق على ما كتبته.

١٢ يوليو

غادرت مع عائلتى بودابست من أجل قضاء إجازة الصيف فى أفلينس *Aflenz* شتايرمارك (*Steiermark*) حيث مكثنا بها حتى يوم ٢٥ أغسطس. وهناك

كنت شاهد عيان على مأساة كرمان (Kármán) التي أصبحت ضمن الخبرات الشجيرة في حياتي .

قمت بكتابة تمهيد لمقال بعنوان "أبو حاتم *Abû Hâtim*"^(١)؛ وكتبت مقالا باللغة المجرية عن ابداع وفوضوية جونكل *Gunkel* لنشره في مجلة "شملة *Szemle* البودابستية"^(٢).

في يوم ٢٥ أغسطس سافرت/ عبر زيوريخ *Zürich* حيث قضيت ليلة ٢١٨ بها) و"ليلة *Delle*" إلى باريس التي حلت بها في صبيحة يوم ٢٨ أغسطس، وكان في انتظاري الأصدقاء كاوتش *Kautzsch* ، وبوده *Budde*^(٣). وفي صحبتهما شاهدت من جديد - وبعد مرور ١٣ عاما - معالم المدينة ومجموعاتها الأثرية والكنائس. أقمنا بفندق مونت بلانك في راحة ونعيم لا مثيل لهما، وانضم إلينا أيضا أصدقاء آخرون، كان من بينهم بيشل *Pischel*^(٤)، ونوفاك *Novack*^(٥)، وبرونله *Brönnle*، وهولسينجر *Holzinger*. كما وصلت باريس أيضا السيدة نبحاما *Nehama* وجددت صداقتها بنا. وفي يوم ٥ سبتمبر بدأ مؤتمر المستشرقين، وقام بتفعيل تعيين لجنة دولية، شرفت - في منتصف جلساتها- بأن أتولى منصب المدير العام. وأهم ما ظفرت به

(١) المرجع السابق، رقم ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق، رقم ١٩٥.

(٣) *K. Budde* (١٨٥٠ - ١٩٣٣) أستاذ اللاهوت الإنجيلي واللغات السامية بجامعةات بون

وشتراسبورج وماربورج.

(٤) *R. Pischel* مؤلف العمل الدرامي "شاكونتالا" للكاتب المسرحي وشاعر الغنائي الهندي ورائد الألب السنسكريتي الكلاسيكي "كاليداسا" (القرن الخامس)؛ ١٩٢٦ *London - Cambrdgr, Mass.*

(٥) *W. Novack* (١٨٥٠ - ١٩٢٨) أستاذ علم اللاهوت بشتراسبورج.

فى هذا المؤتمر مقابلتى لأصدقائى القدامى، وتشرفى بمعرفة أصدقاء جدد لم أعرفهم من قبل معرفة شخصية. وكان هذا التكريم بالمنصب الذى حصلت عليه، والشواهد الدالة على دفء الصداقة وتقدير منزلتى العلمية من قبل أجل علماء تخصصنا، سبباً فى بعث إدراكى بأنه لا يمكن - فى واقع الأمر - وضعى فى أى مقارنة قياساً على معايير السادة "الرؤساء" ببودابست .

فى يوم ١٣ سبتمبر غادرت باريس، وكان فى توديعى كل من "بوده" و"هولسينجر"، وفى اليوم التالى وصلت إلى شتراسبورج لقضاء ليلة بها. ومن بواعث سعادتى أننى التقيت صديقى نولدكه *Nöldeke* الذى قضيت معه اليوم بالكامل تقريباً. وعقب توقف قصير بغيينا عدت فى يوم ١٧ من الشهر ثانية إلى بودابست.

عام ١٨٩٨

١٧ إبريل

على مدار عام كامل تقريباً، عمدت هذه اليوميات إلى الراحة وعدم الإزعاج. إذ سيطرت على تفكيرى فجأة فكرة لم أستطع التخلص منها، وهى أن مواصلى فى تكوين هذه اليوميات لم يعد لها هدف فى الوقت الراهن. فلا شك أن فكر أولادى بلغ من النضج ما يجعلهم قادرين بأنفسهم، دون تدخل من أحد على مراقبة أحداث حياتى التى أعيشها والحكم عليها. فقد كنت أدون هذه الصفحات فى بادئ الأمر من أجلهم، لكى يتعلموا من خلالها طموحاتى وضراعاتى فى معترك الحياة، ولكى أقدم لهم صورة غير مزيفة عن أفراسى وأتراسى، وعن أزمات والدهم الداخلية والخارجية. وكانت السعادة سبباً فى عونتى للإمساك بالقلم؛ فاليوم احتقلنا بخطوبة ابنة أختى "أرانكه" *Aranke*

على العالم الشاب الجليل الدكتور اليكسندر بوشلر *Alexander Büchler*^(١)، وهو حاخام فى كيتسلى *Keszthely*، ودبت الحركة وعمّت الفرحة بيتنا، وساد جو الاحتفال به. إنه حدث نعرف قدره لأنه يضيف علينا السعادة ويقدم لنا بديلاً لما نعانىه من ألم وهم وغم فى حياتنا.

انتهى العام المنصرم فى خضم كل ما سبق ذكره. فيه الكثير من التكريم والكثير من المضايقات. أما التكريم فقد جاء من الخارج، وأما المضايقات قد حلت علينا بهذا المقام، وهو ما يجب أن أصفه/ "من الداخل". ٢١٩ إننى لا أتوقف عند الجانب الأخير كثيراً، وألتزم الصمت عنده، ما لم يتعلق بتفاصيل أذكرها فى سياقها، ولكننى الآن أرغب فى تقديم محصلة ختامية على وجه العموم لما أثمرت عنه هذه التفاصيل، وذلك على هيئة "التقرير السنوى" الذى يُقَمَّ كل عام، وهو تقرير يتضمن سفالات من جانب "زعماء اليهودية من بنى وطنى"، و"حقارات من جانب القابضين على زمام الأمور فى هذه الجالية الضيقة"، كان آخرها قبل أيام قليلة من جانب زعيمهم الأكبر، وفى حضور إيمانويل لوف *Immanuel Löw*، على أثر ملحوظة متواضعة تم التعبير عنها بشأن الديانة اليهودية، فانقلب الأمر إلى تطاول وإساءة لا مثيل لهما، بلغ حد التكشير عن الأنياب بجملة: "وما شأنى بما تقوله سيادتكم!". أما المقصود بالخطاب فى "سيادتكم" فهو "أنا" تحديداً. ولكن، ما الذى يدعونى لأن أعرب عن رأى "بملحوظة متواضعة"؟

هناك عبارة كتبتها قبل بضعة أيام فى سجل العائلة، خرجت من هذه الأجواء المشحونة بمثل هذه الصفاقة، وهى:

(١) *A. Büchler* (١٨٧٠ - ١٩٤٤) مؤرخ يهودى، ومدرس بجامعة يودايست، وحاخام فى كيتسلى *Keszthely*.

"من الممكن أن نستعبد، ولكن من المستحيل أن نذل ونُهان".

اللجنة على كل متكبر وليذهب إلى الجحيم!

ثم كان قضاء الإجازة الصيفية في أفلينس *Aflenz* مع أسرتي ومع كرمان *Kármán* الذي داهمه المرض بصورة مفزعة. وجاءت رحلة باريس في نهاية شهر أغسطس لحضور مؤتمر المستشرقين، حيث عشت أياماً نورانية مع وجود زملاء لي، أذكر منهم على وجه الخصوص كلا من: كاوتش *Kautzsch*، وبوده *Budde*، وهولسينجر *Holzinge*، ودي خويه *de Goeje*، وبيفان *Bevan*، وبراون *Browne*، ونوفاك *Novack*، وباربيه دي مينارد *Barbier de Meynard* وغيرهم، ومعهم شعرت بتجدد الحياة، حيث أحاطوني من جميع النواحي بكل ألوان التعبير عن الصداقة الرقيقة والتقدير الجليل لشخصي. وفي طريقى لرحلة العودة عشت يوماً بديعاً في شتراسبورج مع نولدكه *Nöldeke* وإذا أردت أن أدون هنا ما لدى من انطباعات وخبرات ممتعة، فإننى فى حاجة إلى صفحات وصفحات أخرى كثيرة إضافة لما أدون، ولكن لا يزال أثر كل ذلك فى نفسى وسيبقى ذكره مجدداً وخالداً ما دمت على قيد الحياة.

فى يوم ٢٦ ديسمبر تلقيت برقية من سانت بيترسبورج *St. Petersburg*، أدخلت البهجة والسرور على نفسى، وأنستى قسوة الشتاء، وهى من البارون ف. روزن *Br. v. Rosen*، إذ حملت لي خبراً يفيد بأن الأكاديمية الملكية للعلوم بسانت بيترسبورج قد اختارتني بالإجماع لأكون عضواً بها من الخارج. ومن لا يرغب تصديق ذلك، فعليه أن يطلع على شهادة الدبلوم البهية التى أرسلتها لي الأكاديمية قبل بضعة أيام عقب هذا

الاختيار مباشرة. وهذا الامتياز والاعتراف بشخصي كان سبباً في انهمار سيل من التهاني على من كل مكان. وبمناسبة هذا الحدث أقام لى أصدقائي هنا حفل تكريم على شرفي. وأما التكريم من جانب إخواني في العقيدة، فقد كان التعبير عنه ليس أكثر من تفاخر وتباه، واكتفوا "بهز الأكتاف" أثناء الحديث. لم يبلغني شيئاً عن ذلك، فلا أعرف ما تفكير هيئة أعضاء اللجنة الأجانب الأفاضل عن سيادتكم، وما التقدير الذي يعبرون به تجاهك، وعن الاعتراف الذي يمنحونه لسيادتكم... ولا أعترف بأى شيء من ذلك، ولا قيمة لكل ما سبق، ما لم يوقع عليه معنا. "Tenczer" / وبالفعل لم يوقع معنا ٢٢٠ Tenczer، لأنه يحقر من شأن أعضاء الهيئة الذين اعترفوا بجولدتسيهر، كما أنه راح يتشرف ويكشر بشأن الدبلوم الذي وقع عليه الدوق الأعظم الروسي كونستانتين Konstantin. فهو كرجل وطني وديمقراطي لا بد أن يفعل ذلك. ولكن حيث لا توجد "مصلحة وعمولات" من وراء ذلك، فإن كل شيء يصبح محل احتقار عند هؤلاء الناس. أمد الله في عمرهم في الحياة!

في هذه الأثناء جاء أيضاً خبر وصول "الجزء الثاني من المقالات والأبحاث" إلى الطباعة^(١). ووافقت الأكاديمية المجرية على منحى دعماً قدره ٣٠٠ فل. كما أن المقدمة - التي انتهت منها منذ فترة طويلة - سيتم استكمالها بمواد جديدة دائماً. وهناك مشروع أدبي آخر يجب أن أقترّب منه، وهو تاريخ عموم الأدب الذي تتبناه جمعية فرانكلين. وقد توليت رئاسة تحرير القسم الشرقي؛ وأما الأدب العربي فسأتولى أمره بنفسى^(٢) وأعتقد أنني سأنتهى من هذا الأمر في الصيف. وهناك طلبات ملحة من رويتر Reuther

(١) انظر B. Heller، مرجع سابق للذكر، رقم ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق، رقم ١٩٥.

ببرلين، فهو يرجونى بأن أشارك فى الخطة الموضوعية بشأن تاريخ الأدب العربى. وكانت الإجابة الرفض مسبقاً .

عام ١٨٩٩

١٠ سبتمبر

من أغرب الظروف التى حدثت لى مرة أخرى، الخيط الذى لم ينقطع فى تدوين هذه اليوميات. هناك مفاوضات تجرى الآن فى حلقة درس الحاخامات المجرية بشأن تعيين شخص محل دافيد كاوفمان *David Kaufmann* المتوفى فى الصيف. ويكاد يكون من البدهى أن هيئة المدرسين بهذه المنشأة الأخلاقية لم تقدم اقتراحاً آخر سوى أن "المبلغ" الذى كان يتقاضاه كاوفمان مقابل عمله فى التدريس يمكن توزيعه الآن بين شخصين من رجال الدين التطهريين المتمتتين، وهما باخر *Bacher* وبلاو *Blau*^(١) وهناك حديث بأن يقوم بلاو بتدريس مادة الوعظ وفلسفة الدين. وكنت ألتقى دائماً - بصفتى عضواً بلجنة الرئاسة- دعوات لحضور الجلسات التى يفترض فيها عرض المقترحات المقدمة من "ريباخ" *Rebach* وهذه صيغة جناسية لشخصية "باخر" *Bacher* بعد التعديل، حيث إنه يتحلى بالشجاعة، ستقرض عقوبات على ريتز *Ritter* ولكى لا أكون شريكاً فى تلك الدسائس النظيفية بأى شكل من الأشكال، لم أقم بفتح الدعوات المرسلة لى من قبل مجلس الرئاسة؛ إذ إن معرفتى بشكل لا إرادى بمضمونها كان بناء على تلقى أخبار شفوية لم أسع إليها. كما أنني لم أعرف من هو الشخص الذى لفت أنظار الجهلاء بلجنة الرئاسة إلى الطبيعة الفاضحة للمشروع الذى دعا من

(١) *L. Blau* (١٨٦١ - ١٩٣٦) أستاذ ومدير مدرسة الحاخامات ببودابست.

أجله الأعضاء لعقد جلسة يوم ١١ لفرض عقوبة عليه. ويكفينى أن شيئاً ما قد استقر فى ضميرهم لسد الطريق أمام هدف هذا المشروع. وعليكم أن تسمعوا وتتعجبوا، ولا تتقوهوا بكلمة، ولا توائتكم الشجاعة أن تتمالكوا أنفسكم من عجب العجائب! /

قام بزيارتي ظهر اليوم الدكتور كايزرلينج *Kayserling*^(١)، وأخبرنى أنه ٢٢١ مكلف من لجنة الرئاسة بأن "يحتى" على "القيام بالتدريس بضع ساعات"، للصالح العام. (أى أن التدريس على حافة الانهيار، وأنهم الآن يستغيثون ويستجدون بك). كما تحدث عن "البريق" الذى سيمنحه اسمى لهذه المنشأة التعليمية (١)، كما أعرب عن أن ذلك الأمر سيققق رغبة الرجل العجوز الجدير بالوقار والاحترام "م. بلوخ *M. Bloch*"^(٢) الذى خصنى بإلحاقى بالعملية التعليمية.

يأتى هذا بعد مرور ٢٢ عاما من الهوان والنشهير والقذف والانتقاد بقسوة وكل ألوان الوضاعة والحقارة التى وجهت إلى وانتقصت من حقى وعملى. إنهم يرغبون الآن فى صنع موكب استعراضى بذكر الاسم الذى لم يلطخ، ولم يتمكنوا فى وضعه محل شبهة رغم سفالاتهم. أخيرا حزموا أمرهم، بعد مرور ٢٢ عاما من الشتائم، وبعد أن بات لا حول لهم ولا قوة فى أن يعترفوا بمسكنتهم فى التسول، لم يعد أمامهم سوى أن يفكروا فى شخصى - باعتبارى فرس الرهان فى الموكب الاستعراضى.

فى البداية بدا الأمر لى مستحيلاً فى أن أتطرق إلى الموضوع وأتعامل معه، أيضاً من حيث المبدأ فقط، ولكن تنويه الدكتور كايزرلينج إلى أن من

(١) *M. Kayserling* (١٨٢٩ - ١٩٠٥)، حاخام بيودليست ومؤرخ يهودى.

(٢) *M. Bloch* (١٨١٥ - ١٩٠٩) مدير مدرسة الحاخامات بيودليست.

واجبى تجاه العقيدة ألا أترك الموضوع الآن فى مقتل، فضلا عن اعتبار آخر، كان له أثر فى تغيير موقفى وحالتى النفسية. لقد أشرت على مدار أكثر من عقدين من الزمان إلى الفكر البغيض الذى تبناه فى بلدنا أناس بلا ضمير تجاه هذه المسألة. والآن هناك من يعرض عليّ ركنًا صغيرًا باستطاعتى أن أعمل فيه بكل ما أملك. وبدلاً من معارضة من الخارج لا أمل منها، من الممكن لأى فرد أن يخطو خطواته من الداخل على طريق البناء، ويهزم الفكر التافه العابث الذى يمثله "ريباخ *Rebach* (أى باخر *Bacher* بعد التعديل). ولا شك أنه ليس من المستبعد أن يوجه له الشباب الاتهام بمشاركته فى إفساد العلاقات؛ ثم أليس من المحتمل أن تُتسَف عصابة الأموال الربوية من خلال دخول إنسان بينهم يتأفف ويتقزز فى أن يجعل من هذا الاقتصاد نموذجاً لآخرين؟

وبعد تردد من جوانب متعددة، قمت بتفويض الدكتور كايزرلينج فى أن يصرح - بالأصالة عن نفسى - فى أنه من حيث المبدأ لا أمانع فى المشاركة وفقاً لما يتوافر لي من وقت، ولكن بشرط: أن تتوجه هيئة التعليم باللجنة بالرجاء فى الدخول معى فى تفاوض، وأن تصدر أمراً يوجه لشخصى على أساس هذا الرجاء المنوط بهيئة التعليم.

هكذا كان موقفى تجاه الموضوع. وفى النهاية سوف أعيش تجربة أن أكون مدرساً للاهوت، وقد بلغت من العمر ٤٩ عاماً، وشاب شعرى .

لا عجب!

١٨ سبتمبر

علمت اليوم أن "هيئة التعليم" لم توافق؛ فهم يرغبون في تقسيم "الأموال" فيما بينهم. وقد صرح كل من "ريباخ" (*Rebach* أى باخر *Bacher* بعد التعديل) وبلاو *Blau* أنه لا سبيل سوى الإقرار بما يخدم الغرض/ كما لو كانا "سينقاسمان" ما كان يحصل عليه المسكين كاوفمان *Kaufmann*. وقد قبلت "اللجنة" هذا الخبر بتصفيق حار. وبذلك أعلنت "لجنة الرئاسة" موافقتها لذلك.

٢٢٢

١٩ سبتمبر

حين حملت اليوم رئيس عقيدتي للوضيع - عن طريق تجمع عدد من أصدقاء مسيحيين - مسئولية عواقب تصرفه الحقير، إذ به يتورط في الدخول في حلقة من أكاذيب وحقارات، وبلغ به الأمر الادعاء بأنه لم يكلف د. كايزرلينج للتفاوض معي، وقد استطعت في اليوم ذاته أن أثبت أن هذا الادعاء محض كذب بين.

٢٤ سبتمبر

توافر لديّ اليوم مزيد من الأدلة على النفاق الشائن الذي يتمثل في هؤلاء الأشخاص التابعين الذين يجلسون على قمة الطائفة اليهودية الملحدة، ممن يرغبون هنا بالمجر في تمثيل اليهودية الحديثة (!). أف لهذه الزرية من المجرمين!

في تمام الساعة السابعة من صباح يوم ٢٥ سبتمبر قمت ومعى زوجتي برحلة سفر إلى إيطاليا. وفي ظهر يوم ٢٦ كنا نستنشق هواء السماء

الرومانية. وقد عقدت النية على ألا أفكر فى السفالات والوضاعات التى
حيكت ضدى فى الأيام الأخيرة، حين تطأ أقدامى أرض التاريخ الكلاسيكى.

٣ نوفمبر

تأتى رحلتنا إلى إيطاليا (فى الفترة من ٢٥ سبتمبر حتى ٢٤ أكتوبر)
فى الفترة الزمنية بين آخر مدونات لى فى اليوميات .

لقد كان مؤتمر المستشرقين الذى كُلفت فيه بتمثيل الحكومة والجامعة
والأكاديمية، بمثابة حجة جيدة لأن أصبح مع نفسى وروحى من أجل تحقيق
أمنية قديمة فى أن أرى أخيراً مع زوجتى الأرض المشمسة. كان شهراً
رائعاً، عشت فيه مع أفضل أصدقائى فى روما (حيث قضيت بها وحدها
ثلاثة أسابيع كاملة) على هيئة منتدى، فضلاً عن زيارتنا لمدن أخرى:
فلورنسا، بولونيا، فينيسيا. كما أننى نلت تكريماً جماً لم أسع إليه. وقد شاهدت
زوجتى بنفسها بكل سعادة وفخر كيف تقدر قيمتى من قبل أفضل الرجال بكل
الدول، وكيف احتفوا بى وأصفوا على شخصى كل ألوان التكريم. إننى أحمد
الله أن الوقاحة لم تلق بظلالها على هذه العلاقات فى حياتى. وسيبقى عالماً
بذاكرتى التجمع الودود مع كاوتش *Kautzsch*، وبوده *Budde*، ونوفاك *Novack*،
وكون *Kuhn*، وهولسينجر *Holzinger* وغيرهم فى المسكن اللطيف الخاص
بالألمان بروما، بشارع فيا سيسيتينا رقم ٤٢ *Via Sistina* .

يوماً بعد يوم توطدت الصداقة وتزايد الاحترام فيما بيننا؛ وقد حدث
ذلك فى توقيت مناسب جداً بالنسبة لى، فى تلك الحقبة من حياتى على وجه

الخصوص؛ ويرجع هذا إلى اعترافى بأن ما لاقيته فى الأيام الأخيرة من بنى عقيدتى فى بودابست، كان لا يفارق ذاكرتى مطلقا، بل كنت أتذكره أثناء جولاتى السياحية بالمتاحف/ والكنائس العظيمة، وأثناء مشاهدة كل أثر من ٢٢٣ آثار الفن.

وقد خطر ببالى أن أقوم بتصفية حسابات وضعى بينهم على مدار خمسة وعشرين عاما والتجربة التى انتهجوها تجاهى. ولو كنت قد جلبت على عقيدتى الفضيحة الكبرى لكانت هذه التجربة معهم فى هذه الحالة أيضا بمثابة الفجور الوضع. كان مخططهم الذى خططوا له هو إقصائى وتحقير مكانتى؛ وحين لم يفلحوا فى ذلك رغم سلوكى السلبى، والذى أقسم بالله أننى لم أعترض عليه أو أنقذه، هنا لجأوا إلى مجال توجيه الاتهام والقذف والتشهير بسمعتى - وكل ذلك فقط لأننى أردت التصدى لطائفة كان يتحتم عليّ أن أعرف أنها لا دين لها، وأن شيمتها الوضاعة والحقارة، بمجرد أن دخلت فى الأيام الأولى مباشرة فى حلقتها الضبابية. كان من الممكن أن تتدفق عليّ الأموال وأنال منهم كل أنواع التكريم لو أننى تهاونت ولم أتشدد، لأصبت من أجل ما يصبون إليه غير أمين على تكليفي بواجبات البارمصوا *Bar-Mizwah* منذ سن الشباب. ولذلك راحوا يسخرون منى منذ ربع قرن من الزمان، ويستخدمون كل ألوان الهوان والعذاب تجاهى بالاستعانة بالسفهاء المطيعين لأوامرهم. والآن أوقعونى فى شرك - وأنا لم أتوقع منهم سوى أن يكون لديهم قليل من الأخلاق والنية الصادقة - لكى يستغلوا خداعهم وتدليسهم الحقير لي فى أعمال التشهير. وبطبيعة الحال سوف ينبرى السيد الأستاذ الدكتور المحترم صامويل كون *Samuel Kohn* ويدافع عن هؤلاء السفهاء حتى آخر نفس له فى الحياة، حيث إنه بالفعل الزعيم الدينى لمجلس استرضاء هذه الطائفة التى تتبجح على الله - وها هو رجل الدين

"ريباخ" *Rebach* (أى باخر *Bacher* بعد التعديل) الذى ليس له هدف آخر فى الحياة سوى أن ينتشر اسمه فى كل ما يُكتب وأن يكسب جيوبه بالأموال - كتابات منتحلة كثيرة يعنى بها تحقيق كثير من المال. وهذا هو الرجل المثالى فى نظرهم! كان من الممكن أن يكون كل ما سبق ذكره جيداً وبلا مبالاة لو أُتيحت لى فرصة إعمال العقل فى الأمور بدرجة كافية، وليس فى هذا التوقيت الذى توجه فيه هذه الطائفة فضائحها ضدى فى احتفالية لها على مدار خمسة وعشرين عاماً. لا يمكن إنكار أن هذا الأمر قد أحدث فى نفسى صدمة - رغم أنه ليس نهاية المطاف فى الحياة، بل هو ضرورة أجبرتنى على أن أعود بالزمن وأتأمل أفضل سنين عمرى على أثر تداعياته. لقد أصاب نفسى نوع من الشلل حال دون قدرتى على استعادة أعمالى المحببة إليها. ولكن كيف لى أن أتصور حالى فى المستقبل لو جف هذا النبع من المواساة؟ لقد شربت منه، وزادنى قوة على مدار ربع قرن من الزمان، حيث واجهت سفالات هؤلاء القوم باحتقارى لها. ولكن خوفى الآن يرجع إلى ظنى، أنهم بلغوا ما أرادوه واستهدفوه، وأنهم قد انتصروا على!

بلغنى خبر غريب: فى طريق سفره بالقطار من فيومه *Fiume* نحو كارلسشتادت *Karlsstadt*، أطلق بيترفاى جنوا *Péterfy Jenő* الرصاص على نفسه، وهو فى ديوان عربة السكة الحديد! بالأمس هرعت على أثر سماع الخبر، ومعى أصدقائه إلى مكان الحدث المفزع، وقمنا صباح اليوم بنقل الصديق التمس إلى مئواه الأخير. ووجب على أن أعبر عن مشاركتى تألمهم عند الدفن.

آه... الرجل الطيب المسكين! لقد وضع بهذه الطريقة الفظة نهاية للتناقض الذى يعيشه جوهره النقى مع العالم المعتم الذى يخلو من صفو الحياة. إنه أول ألم/ أشعر به فى نفسى يكون سببه هذا الإنسان الحق. ها أنا

الآن أفنقد من جديد كل عزيز غال. على مدار نصف عام رحل كاوفمان *Kaufmann*، ولحق به الآن بيترفاي *Péterfy*، ومن قبلهما كارمان *Kármán* ! لا شك أنني سأفتقدهم وسأكون تعساً حزيناً! بل إن هذا هو حالي بالفعل الآن. إن من يحبونني هم الآن في البلاد البعيدة، وكل من حولي يكرهني، كما أنني أكره كل من حولي من الرعاع. إن الموت لا يحصد سوى المخلصين الصادقين، أما الكاذبون والأفاقون فلا يرحلون. لم يبق لي سوى شيء واحد: أن أبحث في أسرتي عن كل الأشياء التي تحقق السعادة وراحة النفس، وأن أتذكر من رحل من أصدقائي في كل مناسبة دينية.

٨ نوفمبر

زارني اليوم الدكتور إدوارد نويمان *Eduard Neumann*^(١) قادماً من كانيشا *Kanizsa* ، وقام بإلقاء محاضرة له فيما يطلق عليه "منتدى الألب اليهودي". وقد حكى لي أنه قد عرض على منظمي هذه المسرحية الهزلية أن يلقي محاضرتين: الأولى عن أبراهام جايجر *Abraham Geiger* ، والثانية عن نيتشه *Nietzsche*. وجاء رد منظمي المسرحية الهزلية برفضهم لمحاضرة جايجر، وموافقتهم على محاضرة نيتشه. إنها حقاً جمعية أدب يهودية نقية!

الاحتفال بنهاية عام ١٨٩٩

إنها أمسية تدعو للتأمل والتفكير في أحداث العام الذي نودعه. تراءى للبعض أنه لا يصح استقبال عام جديد دون ذكر لي إجلالاً وتقديرًا. أرسل لي تيودور مومزن *Theodor Mommsen*^(٢) في أسبوع الاحتفال بعيد الميلاد

(١) *Eduard Neumann* (١٨٥٩ - ١٩١٨) حاخام في ناجيكانيشا *Nagykanizsa*.

(٢) *Theo. Mommsen* (١٨١٧ - ١٩٠٣) مؤرخ وأستاذ جامعي في كل من جامعتي بريزلاو

Breslau، انظر مرجع *B. Hellar* تحت رقم ٢٦٣.

المجيد آخر ما صدر له من أعمال، وهو كتاب "قانون العقوبات الرومانى"، مرفقا به خطاب غاية فى المجاملة، حيث رجائى بأن أمدّه بالتواريخ الإسلامية والمعلومات لعمل مقارنة حول النقاط الأساسية الخاصة بقانون العقوبات. وكنت قد انتهيت بالفعل فى هذا التوقيت من هذا العمل .

وبناء على ذلك فلدينا تيودور مومزن.. ويقابله مارتن شفايجر *Martin Schweiger* وهذا هو التوازن الذى تحقق فى عام ١٨٩٩.

فى هذا العام أيضا قمت ومعى زوجتى بزيارة إيطاليا واستمتعنا بها. وهذا يعتبر.... (كلمة بالعبرى).

فى هذا العام تم نشر الجزء الثانى من مجموعة أبحاثى ومقالاتى، وظهر هذا الجزء بالأسواق فى كل مكان، وحظيت بتقييم جيد جدًا على المستوى الرسمى من قبل كل من: باربيه دو ماينارد *Barbier de Maynard* نشر فى *(Revue Critique)*، ودى خويه *de Goeje* (فى المجلة السابقة ذاتها)، وبتقييم من نولكه *Nöldeke* نشر فى *(WZKM)*، وآخر من هارتمان (نشر فى *OLZ*).

وهناك مقالات أخرى صغيرة نُشرت فى هذا العام، وأخرى قمت بكتابتها.

كما عادت روابط الصداقة القديمة وتوطدت دعائمها. وقد تأكدت من احترام الناس وتوقيرهم لشخصى بقدر كبير، وهو ما شاهدته وعاشته أثناء وجودى فى روما .

وعلى الجانب الآخر أراد القدر أن يصيبنى بخسائر معنوية قاسية على نفسى: لقد افتقدت كلاً من كاوفمان *Kaufmann* وبيترفاى *Péterfy*! إن هذين الاسمين محفوران فى أعماق نفسى، ولا يستبدل بهما آخرون .

والآن.. إلى الأمام- أيها اليهودى السرمدى - نحو القرن الجديد!
والرب معك!

تيودور مومزن فى مواجهة مارتن شفايجر ! *Martin Schweiger*

الحمد لله!

عام ١٩٠٠

٢٢٥

٢١ يناير

مرة أخرى شاهدت بين أناس كثيرين جانبًا من غرور وتكبر شخصيات كبرى. فى هذا اليوم حضرت - بناء على دعوة ذات طابع أوربى - حفل استقبال أقامه بائع الكتب "ريفاي" *Révai*^(١). كان من بين الحضور أيضًا بعض الشخصيات المهمة فى المجتمع. على اليمين - أصحاب السمو والمكانة الرفيعة، وعلى اليسار - أصحاب السمو والمكانة الرفيعة: أى حظ وأى سعادة مثل هذا الحدث بالنسبة لسيدة منزل يهودية؛ إن فقيرًا مثلى يعيش حياته بشق الأنفس يتلقى دعوة حضور هذا الحفل لكى يكون واحدا من الشهود الأحياء - من بين مائة شخصية - على هذا التكريم الرفيع لسيدة منزل يهودية.

٢٥ يناير

تلقى كل من السيد كونوس *Kunos*^(٢) والسيد مونكاشى *Munkácsi* (!!)
تكليفا مشفوعًا بدعم مالى مُغبر من الوزارة فى أن يقوموا بإصدار "مجلة

(١) *M.J. Révai* (١٨٦٠ - ١٩٢٦).

(٢) *I. Kunos* (1860-1945) أستاذ متفرغ فى بودابست وعالم فى فقه اللغة التركية.

شرقية^(١). واليوم أحضر لى الكاتب المذكور أولاً نشرة قام بكتابتها ورجانى بقبول أن ينال الشرف فى أن يذكر اسمى كزميل له فى العمل على صدر الغلاف. مجلة شرقية للخارج، ويشرف عليها السادة المذكورون، يقوم بالتخطيط لها وتنفيذ موضوعاتها هنا دون إحاطتى بالعلم. هذا جلى بدرجة واضحة - لكى أبرر عدم موافقتى على إعطائه مثل هذا الشرف وكان قرارى هذا أكثر القرارات الإيجابية فى حياتى. وبطبيعة الحال كنت سأتكسب، إلا أن اسمى معروف الآن فى الخارج جيداً، بحيث لا أجد أى داع يجعلنى أقبل فى استخدام اسمى ستاراً لتحقيق منافع مادية رخيصة. كان لدى السيدين (الذين يشبهان شخصيتى "القط وخناقه" المخادعين فى حكايات الشطار قبل عشر سنوات) وقتاً قبل أن يهرعا إلى كى يشرفا بالاستعانة باسمى فى خطتهما. لقد جاءوا إلى كالميتسولين.

٢٧ يناير

هناك أناس غيرى ينظرون إلى تقدم العمر على أنه جنى ثمار عملهم على مدار سنوات العمر السابقة؛ ولكنى أقول إن تقدم العمر بالنسبة لى هو محصلة لكل ما هو بائس، ومجموع ما عايشته من معاناة وألم فى سنوات الشباب.

٤ فبراير

جاعنى اليوم الحاخام الآخر - جارى^(٢) - يزف لى خبراً، وهو أن السادة بالإدارة العليا لطائفة التعبيرات الجديدة يشعرون بالندم على ما ألحقوا

(١) وهى مجلة Keleti Szemle (بانوراما شرقية).

(٢) وهو س. كohn .S.

بى من خزى وعار، ويطلبون منى أن أنتهز هذا الوضع لأقفز على وجه السرعة وأستغله لصالحى، وذلك بعد أن أعرب القائم حالياً على تدريس مادة فلسفة الدين، والنادم على ما نحن عليه من فراغ، صاحب المقام الرفيع "ريباخ *Rebach*" فى عن عدم قدرته على الاستمرار فى نيل هذا الشرف. إنهم يناشدون فى "الحمية" ويطمعون فى قدرتى "المثالية"، وجعلنى انظر للأمور بعمق. يبدو أنهم يعتبرون أن فى هذا شرفاً خاصاً لى. من السهل/ أن يتصور ٢٢٦ أى شخص أن حب الانتقام البغيض يسيطر على نفسى بحيث يدفعنى هذا الشعور إلى قبول الدخول فى مجتمع هؤلاء القوم. ولكن كنت لن أترك الأمر ذاته يمر دون أن أفعل شيئاً لو أنهم فقط قاموا بتقديم أى شكل من أشكال رد الاعتبار لكرامتى.

١٥ فبراير

اليوم وضعوا أمامى كل أشكال تقديم الطلب، وأبلغونى بأنهم موافقون على أن أتولى تدريس مادة فلسفة الدين مقابل مبلغ ١٥٠٠ كرونة سنوياً. إن الالتزام الأخلاقى عندى من شأنه أن يدفعنى إلى القبول، ولكنه سيكون مخلوطاً بمشاعر الاشمئزاز فى نفسى تجاه هذه المجموعة. على أنه ليس من الواجب أيضاً الرفض وترك هذا المجتمع الحيوى الفاسد دون أن أمنحه قسطاً من ملامح الحياة الشريفة.

٢٦ فبراير

أثناء قضاء المساء مع المستشار الخاص بالديوان الملكى، سعادة الكونت جيذا كوون *Géza Kuun* جاعنى جارى - وقد اقترب منتصف الليل

- برسالة، يبلغنى فيها أن كل أعضاء "اللجنة" قد وافقوا بلا استثناء على اتخاذ القرار بشأنى، ويناشدوننى أن أنضم إلى هيئة التدريس الخاصة بمادة فلسفة الدين. إن من "بهية التدريس" أنفسهم، وعلى رأسهم "ريباخ" *Rebach* لم يتوقعوا أن تسير الأمور إلى ما سارت إليه، ولكن الرجل العجوز الوقور المبجل "بلوخ" *Bloch* هو الذى أعطى لتصويت هيئة التدريس توجيهها خاصاً، وهو أنه ينبغى على هذه الهيئة المثالية أن ترد لى اعتبارى بأن تتوجه بالرجاء لشخصى بالقبول. وإننى على يقين بصدقه وإخلاصه.

ولكن السؤال يبقى بلا إجابة: هل أعتبر هذا انتصاراً أم هزيمة؟

٩ إبريل

بعد فترة راحة طويلة، قمت اليوم بزيارة رجل الدين (الدرويش). مع تقدم هذا المغامر الشرير فى العمر تزايد شره ووقاحته. اليوم تحدث معى عن:

١. القيمة العليا للمال؛ وقال لى: كل إنسان لم يصنع مالاً، ومالاً وفيراً، هو شخصية مهينة، حقيرة، بلا أخلاق. وأضاف: "لقد كسبت من عملى ربع مليون، ونصف المليون كرونة، ولكن ليس بالعلم. ماذا يفيد العلم والدكتوراه يا (ونطق بفعل سيئ). هل تريد أن تكون د. مومزن *Mommsen*؟ هذا هو أكبر حمار..." واستمر فى الوقاحة، وقال:

٢. "فى المجر لسنا فى حاجة إلى علم.. هل تعتقد أننى اكتسبت ثروتى بالعلم؟ هيهات هيهات! لقد حصلت عليها من مرتبى السنوى ومن ملكة

إنجلترا ومن السلطان مقابل خدمات سياسية. إنجلترا هي الآن "مرتبة"،
وبزيادة "٥٠٠ جنيه" سنوياً. هذا هو العلم الحقيقي يا حبيبى".

٣. وبالمناسبة، لماذا لا تترك المجر وتذهب لأى مكان آخر بعيداً؟ هل
تنتظر وفاة السيد H.^(١)؟ إننى أعلم أنك ذائع الصيت، سمعت ذلك
بالخارج. لابد وأن تهاجر". /

ثم جاء على لسانه نهر من العبارات البذيئة والشنائم التى لا تفقر إلى ٢٢٧
قواعد اللغة تجاه كل الأديان، والاشتراكية والوطنية (التي هي أكبر خديعة
ونصب واحتيال) إلخ إلخ.

أكثر كان رأى من حكيت لهم هذا أننى فى هذه الساعة قد حققت من
الحكمة ما لن يقدر على تحقيقه حكماء اليونان السبعة جميعهم حال دعوتى إليهم.

١٢ إبريل

فى هذه الأثناء، كنت على تواصل مرة أخرى مع مستشار الديوان
الملكى الوقور الكونت د. جيزا ف. كوون *Geza v. Kuun*. فى كل مرة تأتى
تلك المراسلات حين تكون هناك حاجة ملحة لفخامة الملك لأى مهمة علمية.
وهذه المرة تعلق الأمر بأن فخامته قام باقتباس مقتطفات من الجغرافيين
العرب عن التبت؛ وقد أخذت المواضع من فهارس المراجع الجغرافية التى
ذكرها دى خويه *de Goeje* فى إصداراته، ثم قام فخامته بنقل النصوص
المطبوعة ورغب فى ترجمتها بمساعدتى. وحيث إننى "معاونته"، فقد كان
يطلب منى حين لا يتوافر شىء فى الفهرس أن أزوده أيضاً بالمواضع

(١) يقصد *P. Hatala*.

المنقولة لدى. وقد ألمحت حرم الكونت عن رضاها بتعبيرات وجهها، كما لو أن هذا الأمر بمثابة امتياز كبير لشخصي في أنني أقوم "بمساعدة" فخامة "الاستشارية والكونت".

لا يزال حديث الدرويش (Vámbérg) يطن في أذني ويشج رأسي، ولا يزال لدى إحساس كما لو أصبت بتلوث من خلال هذا اللقاء معه، إنني أشعر بغمة وعدم ارتياح منذ بضعة أيام.

رسائل متواصلة مع كراباتشيك Karabacek بشأن تعهد الأكاديميات المتحدة بتنفيذ الموسوعة، حيث إنني أقوم نيابة عن كراباتشيك Karabacek بتحرير الطلب الذي سيقممه لدى أكاديمية فيينا في هذا الشأن.

١٦ إبريل

منذ ثلاثين عامًا شاعت الأقدار أن يأتيني دائمًا الغيث، وأن يتدفق النور من الخارج، كلما غشيتني غُمة، واعتل مزاجي في علاقاتي بالداخل. في الأيام الأخيرة ومنذ ضجيج حديث الدرويش معي أجد نفسي في حالة انزعاج، ولا تدعني أقبل على عملي بجدية؛ إنني أشعر بفقدان الرغبة في ذلك، بل إن صلواتي في عيد الفصح لم تفلح في عودة الحالة الطبيعية لها. وفي ظل هذه الحالة وصل إلى خطاب من باريس من لجنة المؤتمر الذي سينعقد بها في شهر سبتمبر وموضوعه تاريخ الأديان، وأعربت فيه بتعبيرات غاية في التودد عن رجائها بإلقاء محاضرة بالجلسة العمومية للمؤتمر عن أي موضوع إسلامي. وهنا تذكرت ما قاله لي الدرويش: "لماذا لا تترك المجر وتذهب لأي مكان آخر بعيد؟ هل تنتظر وفاة السيد H.؟ إنني أعلم أنك ذائع الصيت، سمعت ذلك بالخارج. لا بد وأن تهاجر".

١٩ إبريل

لم يكن بمقدورى أن ألبى بسهولة طلب باريس من منظور العلم وقيمته داخل حدود بلدى. فلو كان فى استطاعتى أن ألبى الدعوة لفعلت ذلك بكل تأكيد؛/ ولكننى لا أملك الوسائل المادية للقيام برحلة لفرنسا، وأن أمكث بها عشرة أيام أثناء المؤتمر. وفى ظل هذا الموقف توجهت إلى سكرتير الدولة السيد زيلينسكى ^(١) Zsilinszky الذى أشار على بأن أتقدم بالتماس إلى الوزارة للموافقة على دعم البعثات للخارج لحضور المؤتمر. ولقيامى بهذه الخطوة تحدثت مع أولادى وحصلت على موافقتهم؛ فبدون هذا الاستئذان منهم لا يحق لى أن أحصل على ختم التسول دون علمهم؛ على أننى أكاد أكون متأكداً بأن العريضة التى تقدمت بها إلى فخامة فلاسيكس *Wlassics* لن يكون لها تأثير لديه، وبالتالي سيبيء أمر تسولى إلى لا شىء، وسأندم على إقدامى على هذا التسول الفاشل.

٢٤ إبريل

أكبر اجتماع عام للجالية اليهودية. دارت جدالات خاصة بفلسفة الأديان التزمت فيها بطبيعة الحال بصمت القبور. يتحتم على فى مثل هذه الحوارات الجدالية أن أحفظ نفسى على الدوام من الانزلاق فى هذه المستنقعات.

٢٥ إبريل

حصلت اليوم على المرسوم الوزارى الصادر من مقرر المجلس الملكى بلجنة المحاضرات الإسرائيلية^(٢) بشأن تكليفى رسمياً بالتدريس فى محاضرات الحاخامات.

(١) M. Zsilinszky (١٨٣٨ - ١٩٢٥) مؤرخ وسكرتير الدولة.

(٢) J. Simon

٩ مايو

استحوذ كتابي "دراسات إسلامية" على إعجاب جم في نفس السيدة يانج Young، وهي حرم محافظ مقاطعة بيندشاب Pendschab لدرجة أنها ترغب في ترجمته إلى اللغة الإنجليزية^(١) (خطاب من أوريل شتاين Aurel Stein^(٢) في إبريل ١٩٠٠). مفاوضات مع نيماير Niemeyer بخصوص الشروط.

جاءني مرة أخرى من برلين الدكتور كيرن Dr. Kern^(٣) لكي يناقشني في "أحاديث النبي". لقد أصبحت في نظر المستشرقين في أوروبا بمثابة المنارة في "الحديث".

١٢ مايو

أخبرني سكرتير الدولة السيد زيلينسكي Zsilinszky في خطاب شخصي بأن الوزارة قد خصصت لي مبلغاً وقدره ٨٠٠ كرونة بشأن السفر إلى المؤتمر بباريس.

٣١ مايو

لم أستطع أن أضع ثقتي في أحد بأن أسرد له ما لقيته من ذل وهوان وإهانات عانيت منها في كل الأيام، مثلما فعلت ذلك في هذه الصفحات. على الرغم من أن يوم ٣١ مايو لعام ١٨٩٩^(٤) كان اليوم الأكثر غمًا وظلمة في حياتي، وكان بمثابة السيف الحاد الذي قطع صلتى بعهود سابقة في حياتي،/

(١) انظر B. Heller ، مرجع سابق، تحت رقم ٢٢٣.

(٢) Sir M. A. Stein (١٨٦٢ - ١٩٤٣) عالم آثار ومستشرق.

(٣) F. Kern (١٨٧٤ - ١٩٢١) مستعرب من حلقة برلين.

(٤) حدث في عام ١٩٠٠: انتحار ابنه Miksa Adolf (١٨٨٠ - ١٩٠٠).

إلا أنه تحتم على أن أعود وأمسك بكتاب يومياتي هذا لأستودعه، هو فقط - ٢٢٩ -
نعم وحده دون غيره - يعلم ما بنفسى من تعاسة وحزن. ولكن هل من
الممكن أن يتسع شعورى ليشتمل حجم التعاسة التى لحقت بى من خلال
مؤثرات خارجية، بعدما تحطم بيتى، وسلبت منى سعادة أيامى؟.

إن قساوة وغلاظة قلوب رفقاء عقيدتى هى التى تجعل من المستحيل
ممكناً. إنهم لا يبيغون من الحياة ومفهومها سوى إشباع غرورهم الأجوف،
ولا يتحرك لهم ساكن تجاه النفس المنكسرة لمن بجانبهم من بنى البشر،
ولا يقابلون موضوعها بغير هز الأكتاف. فكم هى سعادتهم حين اكتشفوا الآن
أننى لا أحقق إفادة تذكر "للجالية"، وأننى لم أقدم ما هو مطلوب مقابل
"مرتبى" الذى أتحصل عليه. وهذا ما قاموا بنشره وإعلانه فى مقاهيهم وعلى
طاولات لعبهم الورق، والآن أوصلوا حملتهم أيضاً إلى "الطاولة الخضراء".

بعد مرض دام لمدة عام توفى مساعدى بالمكتب فى اليوم الثانى من
رأس السنة الجديدة. وفى عشية يوم التصالح معى دعا صاحب الأمر والنهى
زملاءه على وجه السرعة، لكى يعرض عليهم أمر شغل هذه الوظيفة، على
اعتبار الأمر عاجل للغاية بالنظر إلى الأحداث التى تجرى بالعالم. وقد
تتأثرت عبارات كثيرة فى هذا الشأن، منها أن الأمور قد "تدهورت" (وهى
عبارة مفضلة عند هؤلاء السادة الأغنياء) (وقد استغلت هذه اللاشخصنة
بوضوح لصالح "السكرتير" الجالس معهم) وأن إدارة الأمر تسير "بلا رأس"،
إلى غير ذلك من الكلمات الرنانة - باختصار "لا يمكن أن يبقى الأمر هكذا.
نحن فى حاجة ضرورية إلى تعيين مدير إدارى ماهر، وتكون متعته أيضاً
فى مواجهة "الاحتكاكات"، وكلما كان جاهلاً، كان من الأفضل، ولا يعرف
إلا الوقاحة وعدم الخجل". وإذا قدم لهم ضمانات بأنه سيتعامل معى بلا حياء
ولا أدب، فسوف يقرون به بادئ ذى بدء أنه "الشخص المفضل والأنسب".
وهكذا استعدوا للساعات الأربع المتعلقة بيوم التصالح. وفى الجلسة التالية

لفت نظري السيد K. - في حضور زملائه وباشمئزاز واضح - إلى ملحوظة، وهي أن "السكرتير" كان يقرأ التقارير على أعضاء اللجنة بطريقة "مؤلمة" لها تأثيرها بوجه خاص على الحاضرين.

في يوم ٢٢ أكتوبر بدأت عملية إعلان الإفلاس. فجأة أعلن الناس عن تأجيل موعد التعيين الذي قالوا عنه إنه عاجل إلى شهر يناير، وقالوا إن الأمور الخاصة يمكن أن يكون لها مردود غير ملائم عليهم أثناء إعادة الانتخاب التي ستجرى في ديسمبر. وفي هذه الأثناء شرعوا في تحويل حياتي إلى جحيم، وأنهكوا صحتي، وسلبوني قدرتي على العمل بممارسة صلفهم وغرورهم تجاهي، وبقدرتهم على التباهي بما يمتلكونه من ثلث الأموال. ومن يوم لآخر ملأوا الدنيا بثرثرة عن عدم كفاعتي، بل إن أمور التدريس التي أقوم عليها بكل أمانة وجد وحماسة طوال عقدتين، تتكروا لها ولكل عمل أدبيته. إنني أعيش بالفعل إنسانا نكرة، مجهولاً بين هذا الشعب. ورغم ذلك لن أخون قواعد السلوك ومبادئ الحكمة التي قال عنها ر. تارفون R. Tarphon.

إنني لا أرغب في أن أسترجع كل ما سبق لأتذكر - لبعض لحظات - الاعتراف بشخصي إلا على مضض. إذ لا أرى من هذا ما له علاقة بتلك الذكريات الرسمية في حياتي./

عام ١٩٠١ ٢٣٠

في شهر مارس من عام ١٩٠١ طلب مني الحاكم العام للجزائر كتابة مقدمة لطبعة خاصة "بابن تومرت *Ibn Toumert*" ستصدرها الحكومة (وقد قمت بهذه المهمة في إجازات الصيف التي قضيتها في نوردرناي *Norderney* ببحث كبير عن وضع الروابط اللاهوتية في القرنين العاشر والحادي عشر)^(١).

(١) انظر B. Heller ، مرجع سابق، تحت رقم ٢٤٣

فى شهر إبريل أرسلتلى أكاديميتنا مبعوثا لها لحضور الجمعية العمومية للمنظمة الدولية للأكاديميات، حيث إننى حظيت فى جميع الدوائر بكل ألوان التكريم الفائقة. وقد اعتبرت الجالية قبولى لهذه المهمة خرقاً لواجباتى، واضطرت فى منتصف المفاوضات لأن أعود على وجه السرعة من باريس كى أقدم لهم "مفهوماً عاماً".

وكان على - لكى ألود أيضاً بكل ما حدث فى السابق- أن أستحضر هنا ما فاتتى، من أننى قمت بصحبة لاورا Laura بزيارة مؤتمر تاريخ الأديان فى شهر أغسطس عام ١٩٠٠ الذى اختارونى فيه نائباً للرئيس.

وفى يوم ٦ من سبتمبر قمت بإلقاء محاضرتى عن "انتشار الإسلام وبلاد فارس *Islamisme et Parsisme*" أمام جمهور كبير من العلماء بالمسرح المكشوف بالسوربون، والتي طُبعت فى الكتاب الصادر عن المؤتمر (الجزء الأول)^(١). لقد حظينا باهتمام على أعلى درجة من التميز من جانب جميع الدوائر الثقافية، وفى ظل الحالة النفسية التى ظهرت علينا أعرب جميع الأصدقاء، الزميلان "ريفيل" *Réville*^(٢) و"مارليير" *Marillier*^(٣)، وكذلك باربيه

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٢٢.

(٢) *A. Réville: I* (١٨٢٩ - ١٩٠٦) عالم فى اللاهوت الإنجيلى، ورئيس قسم العلوم الدينية بكلية الدراسات العليا.

٢: *J. Réville* (١٨٥٤ - ١٩٠٨) عالم فى اللاهوت الإنجيلى، وأستاذ البطرقة وتاريخ الكنائس بكلية الدراسات العليا.

(٣) *L. Marillier* (١٨٤٢ - ١٩٠١) فيلسوف فرنسى، ومدرس بكلية الدراسات العليا وكلية المتميزين بباريس.

دى مينارد *Barbier de Meynard* وغيرهم، عن رغبتهم فى ضيافتنا لى أسرهم لننعم بالراحة والانتعاش.

قادتنا إجازات الصيف لعام ١٩٠١ إلى نوردرناى *Norderney*، حيث عكفت أثناء إقامتى بها على العمل والبحث بجد واجتهاد. كانت مدينة جوتنجن *Göttingen* هى المحطة الأولى فى رحلتنا، حيث أقمت بها ثلاثة أيام، وقمنا بزيارة ابننا كارل *Karl*^(١) الذى انتهى لتوه من الفصلين الدراسيين بجامعة. وهنا أتيت لى أيضا فرصة وجود كثير من اللقاءات والأحاديث مع فيلهاوزن *Wellhausen*^(٢) الذى أعرب لى محبته وتقديره لشخصى. وقد تأكدت مشاعرنا بكل فرح وسرور من أن ابننا يحيط به دائرة نقية من الأوفياء والمخلصين.

فى العام المنصرم كان على أن أبعد عن بعض المغريات الأدبية. فقد تلقيت عرضا من أميلانج *Amelang* بشأن تأليف كتاب عن تاريخ الأدب العربى، كما أعرب عن رغبته المحمومة فى السماح له بترجمة النسخة^(٣) التى كنت قد أعدتها باللغة المجرية لجمعية فرانكلين؛ أعرب كل من تروبنر ونولدكه *Trübner-Nöldeke* عن رغبتهم فى تعاونى لهما فى تأليف كتاب مختصر فى اللغة السامية؛ وطلبت منى مجموعة جوزشن *Göschen* تأليف كتاب عن الإسلام؛ كما طلبت الجمعية الأدبية اليهودية ببرلين موافقتى على إصدار محاضراتى التى كنت قد ألقيتها فى عام ١٨٨٧ باللغة المجرية عن

(١) كارل جولتسيهر *Karl Goldziher* (١٨٨١ - ١٩٥٥) عالم رياضيات.

(٢) *J. Wellhausen* (١٨٤٤ - ١٩١٨) عالم فى الأنجيل ومستعرب، وأستاذ لاهوت بجوتنجن.

(٣) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٤٦.

"تطور اليهودية"^(١) فى ترجمة لها باللغة الألمانية. رفضت كل ما عرض
على./

٢٣١

عام ١٩٠٢

١٦ مايو

احتفلت اليوم فى هدوء تام ببوبيل، وهو بمناسبة مرور أربعين عامًا
على مشوار عملى فى الكتابة والتأليف- والذى ترجع بدايته ليوم ١٦ مايو
من عام ١٨٦٢، وهو يوم ميلاد المرحومة أختى، ويؤرخ هذا اليوم مقدمة
كتبها لـ "زيخات جيئشاك" *Sichat Jiczchak*. أربعون عامًا تمر على كاتبها!
هل لى أن أمارس النقد على نفسى؟ ولما لا، بل وهنا على هذه الصفحات
محل الثقة؟ ربما تكون الصورة التى قدمتها فى إنتاجى على مدار أربعين
عامًا غير مرضية من المنظور الأدبى، وهى فى حاجة إلى تقييم أخلاقى. لقد
عشت الحقيقة. ولن يغيب إذ ذاك عن الناقد الأدبى أنه أمام تطور وارتقاء
فى خط مستقيم فيما أحدثه قلمى من أثر على القراء، بدءًا من صبى يبلغ من
العمر ١٢ عامًا وحتى صرت شيخًا بلغ من العمر ٥٢ عامًا. مرورًا بأداب
العصور القديمة - الأدب اليهودى، والتركى، والعربى، والمصرى، والأشورى؛
ومرورًا بأهل السنة والشيعه، لم تتسلل الكآبة إلى نفسى، ولم يعرف الملل
طريقًا إلىّ، كنت دومًا على طريق النضج والترسخ. فى البدء اتسم قلمى
بالخيال المقترن بالأمانة، والحرية المصاحبة للتدفق، ثم تسلل إليه - فى تنام
شيئًا فشيئًا - الشعور بالخوف الذى لا يرحم، وأسلمت نفسى للنقد الشاق.

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقم ١٢٥.

ويمكننى القول إننى قد فتحت آفاقاً ورؤى جديدة فى ساحة الأدب العربى ونقد المصادر الإسلامية، وهى تحظى اليوم بالاعتراف بها فى جميع الأوساط.

وارتباطاً بهذه المرجعية العلمية على وجه العموم، وجهت عنايتى إلى النتائج العلمية أيضاً فى الأدب المجرى. كان ذلك عندى من الواجبات التى يجب أن أتكفل بها، حيث إنها كانت لوقت طويل فى مكانة أعلى من المشاركة الناجحة فى التيار العظيم لحياتى العلمية فى العالم خارج دائرة المجر. وفى نطاق هذا الأدب المجرى خصصت قسطاً عظيماً من طاقتى للأدب اليهودى منه - محاطاً بنكران ملوث للجميل وازدراء وقح لشخصى!

وبناءً على ذلك، حين أطلع صنيعى عبر التاريخ، فإننى أنظر بعين الرضى والقناعة إلى الفصل الذى يحمل عنوان: "أربعون عاماً كاتباً"، لا سيما حين أضع نصب عيني الإطار الذى مارست فيه هذا النشاط، وذلك لأن هناك فصل آخر يندرج تحت هذه الأعمال يمكن وصفه بالعنوان المثير للاشمئزاز: "سبعة وعشرون عاماً شماساً". فكم من ضغط، وعذاب، وتضحية للنفس يعنى هذا! أعود بنظري لأطالع الطريق الذى قطعته فيقشعر بدنى، ويتعين على أن أعترف فى خضوع أنه بدون رحمة الله وعنايته - رغم ما تحليت به من كل ألوان الاستسلام والاستكانة والتحكم فى النفس - ما كان من الممكن أن أحصل فى ظل هذا الاستبعاد على ذرة من فكر حر لصالح العلم. سبعة وعشرون عاماً شماساً! أى دون النظر إلى الاحتفال الرسمى الذى يُقام عادةً بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على العمل بشكل رسمى بالدولة! لم ألتفت إلى العام الجديد المشنوم، ولا إلى أشياء

أخرى. أحمد الله على ذلك! ولكن ما يميز الحالة أننى لم أمر فى حياتى فى سنة واحدة من تلك السنوات بمثل كل هذا الذل والعذاب والإهانة والهجوم الوقح على مهنتى، عما أشعر به فى ذلك العام من اليوبيل الرسمى. إن إسرائيل قوم بودابست يخجل من إسرائيل الذى أوّمن به. لعله يشعر بالخجل، ولكنه لا يعرف معنى الخجل.

١٠ يوليو

ونظرًا لأننى بدأت من جديد فى أن أُنح تَقَتى لهذه الصفحات، فمن الواجب أن يكون بها مكانًا للتّويه إلى أمرين، باختصار؛ الأول يتعلّق بدعوة من رئيس تحرير جريدة الأدب الألمانية، الأستاذ هينبيرج *Prof. Hinneberg*^(١)، الذى سيكون من المحظوظين عند معرفته الشخصية بشيخ المستشرقين الأحياء- كما علم ذلك من مصدر موثوق به؛ والثانى يتعلّق بإهداء كتاب صادر عن "شواللى *Schwally*"^(٢) "لبيهقى *Baihaki*". ولا شك أن كل هذا لا يزيد عن مبالغة حسنة النية والمقصد.

إننا نستعد الآن للقيام بإجازة لمدة ثمانية أسابيع. وفى يوم ١٦ من هذا الشهر ستبدأ رحلتنا، مرورًا ببريزلاو *Breslau* وهامبورج *Hamburg* وحتى سيلت *Sylt*. ومن هناك سأتوجه مع "لاورا *Laura*" فى بداية سبتمبر إلى هامبورج لحضور مؤتمر المستشرقين. للأسف لن أتمكن من استغلال وقت الإجازة فى البحث بدرجة مكثفة. وسأخذ معى أشياء متنوعة، منها الجزء الثالث من مقالاتى وأبحاثى، وبعض من المقالات الصغيرة، من بينها: مقال

(١) *P. Hinneberg* هو رئيس تحرير جريدة الأدب الألمانية (١٨٩٢ - ١٩٢٤).

(٢) *F. Schwally* (١٨٦٣ - ١٩١٩) مستعرب، تلميذ نولكه.

بعنوان "الإسلام" للموسوعة اليهودية^(١)، وآخر عن "الخرافة الإسلامية بشأن قوة الذاكرة *Muhammedanisher Aberglaube über Gedächtniskraft*" وأشياء أخرى (للكتاب الاحتفالي ببرلين)^(٢)، وثالث بعنوان: "القرين في الإسلام *Der Seelenvogel im Islam*" لمجلة جلوبوس *Globus*^(٣)، وآخر عن "أعداء الكلام في الفلسفة واللاهوت *Theologische und philosophische Feinde des Kalâm*" (المجلة *WZKM*)^(٤) والتي لم أكملها بعد. ولكنني أشعر بالإجهاد العضوي والفكري، فضلا عن الإرهاق، عدم أخذ الحق في الراحة أيضا.

سبتمبر ١٩٠٢

مؤتمر المستشرقين في هامبورج.

في العام الماضي كانت هناك دلائل غير عادية على الاعتراف بإنتاجي العلمي. سأذكر على سبيل المثال لذلك ما ذكره إدوارد لامبيرت *Eduard Lambert* في مدينة ليون *Lyon* في مؤلفه عن تاريخ الفقه، وكذلك ما كتب في مقدمة كتاب "النظرية الدستورية في الإسلام" لماكدونالد *Macdonald*، والانتحال المقبول لأعماله في كتب بيتري *Pizzi*. وغير ذلك.

وقد ظهر كتاب "الحكومة الملكية" لروبرتسون سميث *Robertson Smith* بما زيد عليه من إضافات. ويجري التفاوض معي على كتاب مختصر فقه

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٥٨.

(٢) المرجع السابق، تحت رقم ٢٤٨.

(٣) المرجع السابق، تحت رقم ٢٤٩.

(٤) لم يُعثر عليه في الببليوغرافيا.

اللغة السامية (تروبنر *Trübner*)، حيث نتجته الرغبة لأن أتولى تحريره، وهو ما اضطررت إلى رفضه. كما أن توينبر *Teubner* يشيد بى لدرجة التملق فى كتابه "الثقافة الفكرية"، وهناك خطاب خاص بهذا فى حزمة تبادل رسائلى لمن يرغب فى الاطلاع عليه، وهو خطاب يعطى انطبعا كما لو أن العالم أجمع ينظر إلى الآن على أننى أصبحت شيخاً لعلوم الإسلام. وبهذا المعنى تلقيت فى يوليو ١٩٠٣ دعوة باسم الباحثين الأمريكيين تفوق الوصف فى الإشادة بى، حيث وُصفت بها "ضيفاً رسمياً" على مؤتمر العلم والفنون المرتبط بالمعرض الدولى المقام فى سانت لويس *St. Louis* (انظر المراسلات الخاصة ب: أمريكا). كما أن جامعة كونزبيرج *Königsberg* / قد طرحت ٢٢٣ اسمى فى "المقام الأول" لنيل درجة الأستاذية فى العلوم الشرقية منها فى هذا العام. أما عن علة رفضى الذى أعلنته من البداية فترجع إلى أن صوت الوزارة البروسية لم يصل إلى.

عام ١٩٠٣

الأول من نوفمبر

منذ قيامى بتكوين يومياتى الأخيرة عشت بعضاً من التجارب التى زادت حياتى ثراءً، ولدى الرغبة فى تسجيلها على هذه الصفحات باختصار، وتحديدًا فى هذا التوقيت الذى أعانيه فى منصبى الرسمى أشد ألوان الهوان والذل والتحقير والمضايقات. إنهم يسلكون الآن منهجاً خاصاً تجاهى، وهو يتسم بالإقصاء وتحقير آرائى والتهكم وهز الأكتاف والتعامل معى ليس أكثر من خادم ليس له من الحقوق سوى أدناها، ثم نشر هذا الأمر فى جميع أنحاء

العالم بغرض عدم الاعتراف بيهوديتي ولا ممارستي لشعائرها، وكأنني لم أفعل شيئاً على مدار ثمانية وعشرين عاما مليئة بالخوف والذل والهوان. وفوق هذا وذاك يستهدفون النيل من كياني الشخصي بتلويث سمعتي وتشويهها، ولصق كل ما يمكن تخيله من المصائب والأفعال الفاشلة بشخصي.

وفي خضم هذا الوضع الباعث على اليأس والشك وخيبة الأمل أرادت الأقدار أن تخرجني مما أعانيه، فتفتتح أمامي طاقة صغيرة من الأمل في الحياة وتخليص نفسي من البؤس الذي أعيشه، كان ذلك في خريف عام ١٩٠٢. فقد تلقيت عرضاً بتولي منصب الأمانة العامة للمكتبة الكبرى للأكاديمية، سواء في منصب الرئيس أو الأمين العام. ثم إن كل الرواد بالمكتبة قد رشحوني لهذا المنصب، وكما يتبين من الأوراق أن الطلب قد لاقى تفهماً من الأمين العام ومن الرئيس، وأنه بات من المؤكد إعلان اختياري للمنصب على العالم دون أدنى شك، وأنهم وضعوني في أصعب موقف من خلال التهاني التي سألتقها مبكراً. وهنا فوجئت بأن المسألة قد أخذت في شهر مايو من عام ١٩٠٣ منحى لا أفهمه حتى هذه اللحظة: فقد سقط ترشيحي للمنصب دون شغل المنصب حتى يومنا هذا. ومن تصريحات الرئيس التي أعرب عنها للأستاذ ريدل *Prof. Riedl* ^(١) تبينت الحقيقة التالية: "اليهود لا يرغبون في ذلك" ^(٢). ولا أعلم أى تفسير لهذه الجملة يمكنني أن

(١) *F. Riedl* (١٨٥٦ - ١٩٢١) مؤرخ للأدب وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) نكرت العبارة باللغة المجرية في النص.

أخلص إليه؛ إن تفكيرى يتجه أيضاً فى المؤامرات التى تحتوى خلاصتها هذه الجملة، وليس هناك من تفسير آخر.

فى هذا العام أيضاً نُشرت رسالة ابنى كارل *Karl* الفريدة فى الرياضيات؛ وفى شهر سبتمبر جاء حصوله على درجة تمهيدى الأستاذية (دبلوم). وقد أجلت المأسى الحربية أن يبدأ مسيرته الوظيفية، وهذا الموضوع ساعد على زيادة تشاؤمى وعدم إخراجى من وضعى المحزن./

فى هذين العامين كان نشاطى الأدبى أشبه بمن أصيب بحالة من الشلل [٢٣٤] من خلال أوضاع متعددة. فلم تنهض حالتى النفسية مما هى عليه. فقد التهمت محاضراتى فى الدرس اليهودى كثيراً من وقتى، كما دفعتى أيضاً إلى اتجاه معوق لمواصلة دراساتى الأصيلة. على الجانب الآخر نتج عن ذلك خروج منشورات لى فى المجال اليهودى، نُشرت فى "مؤلف الدراسات اليهودية *Revue des Etudes Juives*" (وهى أخلط من الدراسات العربية-اليهودية، بلغت حتى اليوم ١٦ مقالة)^(١)، كما نُشر بعضها فى "المجلة اليهودية ربع السنوية *Jewish Quarterly Review*" (ومن بينها مقالات عن الشعر العبرى الحديث)^(٢). وقد أبحرت فى أعماق الأفلاطونية الجديدة اليهودية، وقدمت معالجة للنص الأصلى لكتاب "معانى النفس المنسوب لبانتشيا خطأ؟" مع ضم ملحقات، وأعتقد أننى سأقوم بنشر البحث فى العام

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٥٢.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٣٤

المقبل فى أى مكان^(١). والذى لا تقل أهمية عما سبق أن قمت بنشره - أغلبها فى مجلة *WZKM* - من سلسلة مقالات بحثية فى الاتجاه العربى الإسلامى، ومقالات نقدية موسعة نُشرت فى مجلة "جمعية المستشرقين الألمان *ZDMG*"، وهناك مقالات نُشرت فى غيرهما. كان الموضوع الرئيس معالجتي لشعر الرثاء العربى^(٢). كما أن لى كتابًا عن "موضوع القسم" عند العرب فى الجاهلية (وهو بكل تأكيد سيظهر فى شكل بحث فى الجزء الثالث من مجلدات فقه اللغة العربية) لا يزال فى شكل مخطوطة كتابية لم تُنشر^(٣). وأيضًا لم تغب عن هاتين السنتين المنشورات المجرية: تاريخ الأدب العربى (فى سلسلة الأدب العالمى لجمعية فرانكلين *Franklin*)، ومقال بعنوان: "عن تأثير البوذية على الإسلام" والذى يرجع فى أصل فكرته كمحاضرة أكاديمية بمناسبة جلسة تأبين كوروزى سوما *Körösi Csoma*^(٤).

بمحض الصدفة اكتشف السيد المستشار الملكى الكونت جيزا ف. كوون *Géza von Kuun* وضعى الذى لا يليق بى بالجامعة، فوجه فى يونيو من العام ذاته مذكرة تفاهم إلى وزير المعارف. والحقيقة إننى اعتبره أول رجل فى وطنى يكتشفنى. ويبدو أن السيد فلاسيكس *Wlassics* لم ينظر إلى الموضوع على اعتباره عاجلاً، والآن صرف نظره هو الآخر عنه وأحاله لمن بعده، الذى لا علاقة له بالذاكرة. يا رب رحمتك! وقد أعلن رئيس

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٧٧.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٥٣.

(٣) وهو موجود حتى الآن كمخطوطة.

(٤) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٤٢.

الوزراء الجديد، شتيفان تيتشا *Stephan Tisza* بشكل رسمي أنه لن يسمح في فترة حكمه بارتكاب أى ظلم تجاه أحد. ولا توجد قاعدة بدون استثناء. أما الاستثناء فسيكون بكل تأكيد شخصى بلا شك. وهذا يتطلب استمرارية الفكر العلمى فى المجر. لقد أرهقنى وأجهننى هذا الصراع الذى يدور منذ ثلاثين عامًا إلى أبعد الحدود، وحن وقت الاستسلام.

عام ١٩٠٤

لم تمر تلك الفترة دون أخبار سارة. وهذه الأخبار السارة تقتصر دائماً فى الوقت الراهن على ما يصل إلى من دلائل الاعتراف بما أقدمه من نشاط وبحث علمي فى حياتى. أما فيما يتعلق بأى شىء آخر، فإن سفينتى الصغيرة ترتطم دوماً بالصخور التى تقذف بها الأرواح الشريرة لتتصدى/ لمسيرة ٢٣٥ حياتى. ولا يتصدى هنا لمأربى سوى الشيطان المقيت الغاضب الذى يتمثل بنسبة كبيرة فى بنى عقيدتى الذين يعيشون معى على أرض واحدة، ورغم ما أقدمه لهم من خدمات فى كل ما يربطنى بهم من روابط وعلى مستوى جميع المصالح الخاصة، فإن شهوة الشيطان فى الشر لا تحدها نهاية فى إلحاق الأذى بى، فضلاً عن الهم والغم والذل والإذلال. ولا يخفف من كل هذا العذاب والذل سوى ما يصل إلى من إعجاب واستحسان من الخارج، فهو بمثابة البلسم فى مقابل الشر الذى يواجهنى.

فى شهر يناير نُشرت فى الجزائر مقدمتى التى كتبته لطبعة كتاب "محمد بن تومرت *Mohammed ibn Tumert*" وحازت إعجاب جميع النقاد الأكفاء فى الأرجاء الثلاثة بالعالم، وكان من أوائل رسائل التقريظ ما وصلنى من نولدكه *Nöldeke* ودى خويه *de Goeje*. وفى الأول من مارس لهذا العام

وقع اختيار "الجمعية الآسيوية بالبنغال" - وهى ذاتها التى كلفت قبل ثمانية عقود زميلى وبلدياتى سوما كوروزى *Csoma Körösi* ببحث أدب التبت - على للعضوية الشرفية بها. ولكن ما من شرف ثلته فى حياتى أعظم من رسالة نولدكه *Nöldeke* التى تسلمتها قبل أيام يستأننى فيها بأن "أكون" صاحب الإهداء فى أحدث إصداراته. إن فكرى يتجه فى هذه اللحظة إلى الشاب اليهودى المسكين الذى وقت أن قلت له إن نولدكه هو أهم وأفضل من يشغل فى المجال العلمى لتخصصنا، غادر مدينة شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* على الفور ليقع فى يد محتال سيئ السمعة، وأعتقد أنه من أغرب الشخصيات التى ستصادفنى فى حياتى بطولها وعرضها. وفى اليوم الذى تلقيت فيه رسالة نولدكه المؤثرة شرعت فى التفكير فى إعداد مادة المقال الذى عقدت العزم على كتابته لإلحاقه بالكتاب التذكارى الذى سيصدر بمناسبة بلوغه السبعين عاما وأشارك فى بدايته بنصيب مهم.

وكان يوم الخامس من مارس يوم فرح وسرور عندنا، حيث حل على منزلنا ضيفاً صديق عمرى "كاوتش *Kautsch*" فى طريق رحلته للقسطنطينية وفلسطين. تذكرت بهذه المناسبة السعيدة صداقتنا التى يمر عليها الآن ثلاثة وثلاثون عاماً بالضبط حين كانت بدايتها فى عام ١٨٦٩ بدراستنا كل ليلة للبيضاوى، واستمرت حتى يومنا هذا دون أن يعكر صفوها شىء.

وفى هذه الأثناء قضيت الشتاء فى الدراسات التالية: كتابة بحثين لـ "ثقافة الحاضر"^(١)، وتأليف محاضرة سألقيها على مؤتمر سانت لويس *St. Louis*. وعنوانها "آفاق تقدم العلوم الإسلامية فى الثلاثين عاماً الأخيرة"^(٢).

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقمى ٢٦٩، ٣٠٥.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقمى ٢٦٢، ٢٦٢. a

كتابة ملحوظات وملحقات لمخطوطة الأفلاطونية الجديدة المنسوبة خطأ لـ بانتشيا Bachja والتي تتحدث عن حياة الروح. وهناك أشياء أخرى صغيرة - منها أيضًا ترجمة لحياة فلايشر *Fleischer* (السيرة الذاتية الألمانية العامة) - قمت بطباعتها في هذه الفترة الزمنية ونشرها^(١). وكنت في سعادة جمة في هذا الوقت فيما يتعلق بابنى كارل *Karl*. الحمد والشكر لله على ذلك! بعد حصوله على درجة تمهيدى الأستاذية حظى أيضًا بقلنسوة الدكتوراه مع مرتبة الشرف العليا، وهو الآن - بتكليف من اتحاد الجمعيات المجرية للتأمين على الحياة ببفينا - في بؤرة اهتمام ناحية عملية ذات صلة بمعارفه الرياضية. وبهذا تتوفر لديه بدايات للحصول على مكانته في الحياة التي من شأنها أن تمنحه استقلالاً ماديًا.

وقد تألمنا كثيرًا بسبب المرض الشديد/ لشقيق زوجتى الدكتور بول [٢٣٦] *Paul Mittler* والذي شرعت زوجتى على أثر مرضه القيام بمحاولة انتحار، تجاوزتها بشجاعة الأبطال. أما هو فقد توفى في يوم ٢١ يناير - هذا الأخ الجميل الذى أظهر لى من اللحظة الأولى للقائنا دلائل سامية على حبه وإخلاصه، وهو يعد واحدًا من هؤلاء الذين لا يُعوضون بفقدانهم.

٨ مايو

أحد أيام الأحاد اللعينة فى حياتى، حيث أجلس أمامهم فترة قبل الظهر كالعبد الفقير أمام سيده، ومكتوب إذ ذاك على جبينى أن أنصت لثرتهم وطنين كلامهم الأجوف الخاص بموضوعات غاية فى الشر والدناءة، فضلًا عن العذاب والألم الذى ألاقىه فى هذا الوقت، لكى أقوم بتدوين كل شىء فى

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٨١.

"محاضر". كان أمره لى اليوم كالتالى: "وعليك أن تتنبه إلى مجرى أفكارى، وتقوم بتكوين كل شىء، ولا تختصر منه شيئاً مثلما تفعل فى كل مرة". هذا فضلاً عن توبيخه لى بأننى قمت بتقويل الملفات قبل أن تكون موضوعاتها واضحة المعالم، حيث إن الكلام والنقاش - الذى سيستمر قرابة ثلاث ساعات وفقاً للأوامر - مثل مذاق الطعام - له بهاراته". وجلسة اليوم بدأت فى التاسعة والنصف صباحاً واستمرت لما بعد الظهر. وحين عدت للمنزل، ورأسى متصدعة ونفسى منقطة، وجدت كما من الرسائل فى انتظارى؛ كان من بينها خطاب من مستشار نائب رئيس جامعة كامبريدج، يخبرنى فيه صاحب هذا المقام الرفيع أن الجامعة وقع اختيارها على لنيل "الدكتوراه الفخرية فى الأدب"، وتذكرنى بأنه تحدد يوم ٢٨ من هذا الشهر لنيلى هذا الشرف النادر حدوثه.

"واهتم من فضلك بترتيب بمسار فكرى، فإننى أريد أن تكتب كل شىء تفصيلاً، ولا تختصر منه شيئاً مثلما تفعل فى كل مرة". هكذا قال "قخامة ابن الحسب والنسب"^(١).

٥ يونيو

عدت إلى بلدى من رحلتى إلى إنجلترا (من ١٨ مايو وحتى ٣ يونيو) وأنا أحمل "الدكتوراه الفخرية فى الأدب من جامعة كامبريدج". ولا أحب أن أخوض هنا محاولة وصف البريق الذى أحاطنى فى تلك الأيام؛ فانطباعاتى المباشرة عنها قمت بتسجيلها فى مراسلاتى التى بعثت بها إلى زوجتى، والتى يمكن أن تُستخدم فى هذا الموضع. كما أن ملف المراسلات الخاص بهذه الفترة الزمنية يحتوى على حكايات ذكرياتى عن الجلسة التى عقدتها

(١) ذكرها باللغة المجرية.

منظمة الأكاديمية بلندن، حيث كنت ومعى "ك. تان K. Than" (١) ممثلين
لأكاديمية العلوم بالمجر.

اليوم ظهرت "بالمكتب"، وكان فى انتظارى "تل من الأعمال"، ومهمات
كبرى تتحدى عزمى: كان على أن أقوم بإعداد "تصور" خاص بتغيير
اللائحة استعداداً لاجتماع الجمعية العمومية، ولهذا الغرض قام المستشار
الملكى بتطوير مجرى أفكاره. "عليك أن تتنبه جيداً لكى تترك مقاصد
أفكارى". "كتبت خطأ الحرف الأول من كلمة، ولا أقصد بها مخاطبة
سيادتك". إننى أبدو الآن فى عيون هؤلاء القوم أننى شخص غير مؤهل لهذه
الوظيفة، فالشخص المؤنب لا يحمل درجة دكتوراه فخرية لجامعة
كامبريدج./

١٤ يونيو

٢٣٧

"بالفعل كان من الممكن أن تفعل سيادتك كل شىء على نحو جيد،
ولكن حضرتك لا ترغب فى فعل شىء" - وجه "فخامة ابن الحسب والنسب"
هذا النقد ظهر اليوم لأداء عملى، وهو خلاصة النقانى فى العمل بعد مرور
تسعة وعشرين عاماً.

قارن خطاب المتحدث العام لجامعة كامبريدج بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٠٤.

لا يمكن من الناحية النفسية أن يُعقل ألا يكون لدى هؤلاء المفكرين
بأموالهم وكنوزهم ومن يقلدونهم كالببغاوات رد فعل آخر عن كل ما يصدر
عنهم من تصريحات سوى أسلوب هز الأكتاف الحقيقى. وهذا ليس من
اليهودية فى شىء، لأن التراث اليهودى يبالغ فى تقدير القيم العلمية. فما

(١) K. Than (١٨٣٤ - ١٩٠٨) أستاذ الكيمياء بجامعة بودابست.

السبب وراء التغير الجوهرى فى نفوس هؤلاء المتفافرين بأموالهم فى هذا الزمان؟ العلم - إنه العدو.. يبدو أنه شعارهم الانتخابى. ولكن ليس كل علم ينطبق عليه ذلك، بل فقط ذاك العلم الذى لديه جنور فى التطور الأخلاقى للإنسان ويقود شخصيته إلى الترسىخ الأخلاقى. علم الأخلاق - هذا هو العدو.

١٦ يونيو

تلقيت من السيد المستشار الملكى الدكتور فاينمان ^(١)Dr. Weinmann، وهو أحد أعضاء مجلس إدارة الجالية اليهودية، استفساراً عن مدى صدق أننى أفكر فى ترك الجالية، وذلك لأن المدينة بأسرها تتحدث عن التفعيل بالجامعة. وتحدث السيد عن استمرارى فى هذا المنصب المهين، وذلك فى نبرة صوت كما لو أننى سأضحى بذلك بأكبر امتياز حصلت عليه فى حياتى. ماذا يمكن أن يكون أكثر تشريعاً لأى شخص عن أن يكون الحذاء الذى يفتلعه بعض المتفافرين بالأموال الجهلاء المحليين؟ ومن المفيد أن نعلم أن هؤلاء فى الواقع على قناعة بهذا الأمر بدرجة التقديس.

فى هذه الأثناء انزلت حياتى العلمية كلها إلى ركام رملى. فى الوقت الذى يستمتع فيه بالإجازات كل من يعمل فى مجال العلم والتدريس، سواء كبير أو صغير، بل وحتى الخادمين بالمدارس والشماسين بالكنائس، كان على أن أخرج يومياً من مقر سكنى الصيفى الذى أعيش به مع أسرته، والجو شديد الحرارة، وأتوجه بالقطار إلى "مقر عملى"، بل وأعمل به ساعتين إضافيتين عن الوقت الرسمى للعمل كأن الوقت لا قيمة له. هذا هو أسلوب حياة الإجازات لعالم فى اليهودية المجرية.

(١) F. Weinmann (١٩٠٦ - ١٩١١) فيما بعد رئيس للجالية الإسرائيلية بيودبيست.

على أن ذلك يمكن أن يكون مقبولا، لو أن هناك بالفعل أشياء تأتي من
الحين للآخر واجبة الأداء، ولكن الأمر يتعلق بنمط متكرر ويبلغ تأثيره
لدرجة رؤيته في الأحلام. لا يأتي شيء يبشر بخير من ناحية مكتب عملي
بتريفورت *Trefort*. إن أرضية هذا المكان أصبحت لا تعرف في زمن الخسة
إلا الكذب والدناءة./

١٢ يوليو

٢٣٨

بعد كثير من التكريم والتشريف عايشته في إنجلترا جاعني اليوم
خطاب رسمي يوضح أن الأكاديمية البريطانية بلندن في اجتماع أعضائها في
جمعيتهم العمومية المنعقدة بتاريخ ١٩ يونيو قد اختارتي عضواً بها من
الخارج. ويكفي أن يقرأ الجميع قائمة أعضاء هذه الجمعية ليتبين مدى
الشرف الرفيع أن أكون واحداً من هؤلاء وفي مقامهم، وأنتى خرجت من
أعماق "حارة بفايفر *Pfeifergasse*" إلى النور.

٢٨ يوليو

الاطلاع على رسائل "ريدل *Riedl*" و"هاينريش *Heinrich*" الواردة من
تاترافيريد *Tatrafired* بشأن هذا التوقيت.

١٢ يوليو

بعد كثير من التكريم والتشريف عايشته في إنجلترا جاعني اليوم
خطاب رسمي يوضح أن الأكاديمية البريطانية بلندن في اجتماع أعضائها
في جمعيتهم العمومية المنعقدة بتاريخ ١٩ يونيو قد اختارتي عضواً بها من

الخارج. ويكفى أن يقرأ الجميع قائمة أعضاء هذه الجمعية ليتبين مدى الشرف الرفيع أن أكون واحدًا من هؤلاء في نفس مقامهم، وأنتى خرجت من أعماق "حارة بفايفر *Pfeifergasse*" إلى النور.

٢٨ يوليو

الاطلاع على رسائل "ريدل *Riedl*" و"هاينريش *Heinrich*" الواردة من تاترافيريد *Tátrafüred* بشأن هذا التوقيت.

٣١ يوليو

نما لعلمي اليوم حقيقة مميزة، ويكفى عدم تسجيلها وتركها كما هي دون التعليق عليها بأى رد فعل. فبمناسبة عقد امتحانات شهادة الثانوية الأخيرة أصدر مدير المدارس العليا الدكتور "بونيفاتس بلاتس *Bonifatz Platz*"، وهو راهب كاثوليكي، بصفته مشرفًا عامًا على اللجان الحكومية، أمرًا إلى لجان امتحانات الثانوية بمدرسة الطائفة الكاثوليكية فى "باجا *Baja*" بإيفاد إيجناس جولتسيهر إليها. أما الوزارة - ومقرها بحارة هولدا - فيبدو أنها أكثر تشددًا فى عقيدتها الكاثوليكية عن الراهب، لأنه تراءى لها أن هذا الأمر سيكون سببًا فى إثارة جدل، فكيف لراهب أن يرسل مفتشًا يهودى الديانة لمدرسة كاثوليكية. على أن طائفة السيسترسيان ذاتها أعربوا عن سعادتهم فى استقبالي لديهم، بل وكان الأمر محل اندهاش وتعجب عندهم، حيث إننى كنت فى سابق العهد ربيبا لهم، فضلا عن أنهم لم يجدوا فى إيفادى إليهم ثمة غضاضة لطبيعة عقيدتهم. ويا للعجب أن رجال الوزارة "الليبراليين" متشددون فى الكاثوليكية بدرجة تفوق الرهبان أنفسهم!

بمناسبة إبلاغى بالقيام برحلة إلى أمريكا، جاء خطاب أحد رؤساء المصلحة لى بقوله "أى إنك ستقوم بإجازة لمدة خمسة أسابيع كاملة! هذا عمر آخر!". ويا ليتنى أجد من يقدم لى تفسيرًا على هذه الجملة المهمة، حيث إن قائلها هو الذى تحدث عنه سابقا بتاريخ ١٦ يونيو من هذا العام.

بريمن - الأول من سبتمبر من عام ١٩٠٤

هل أراد الله لى تلك الرحلة إلى أمريكا، والتى بدأت مسيرتها بوصولى إلى هنا بالأمس؟ أم إنها بمثابة تأديب على رفضى لقدر أراده الله لى؟ إننى أبدأها فى حقيقة الأمر بعدم رغبة بالغة إليها، وأشعر كما لو أنها ستكون سببًا فى حلول الوبال والشؤم على. إن قبولى لها يعنى أننى لن أحضر الأعياد بسبب وضع طارئ؛ وهذا فضلا عن فراقى المؤلم لزوجتى وأولادى فى الوقت الذى لم أفارق فيه تجمعا وصحبنا المباركة التى شرعت من أجلها - منذ نحو ثمانية عشر وتسعة عشر عامًا - فى تأسيس شعيرة دينية خاصة بنا، وهى تعتبر أهم لحظات التأمل والصلاة المباركة فى حياتنا العائلية التى حافظت على استقامتها ورعايتها رغم التصدع القاسى الذى لحق بحياتنا العائلية على نحو متواتر./

قمت بكبت شعورى بعد الرغبة، واعتقدت أنه لا يصح أن أترجع، ٢٣٩ حيث إن أصوات رجال العلم على الجانب الآخر من المحيط قد أدرجوا اسمى من بين قلائل تم اختيارهم يعولون على قيمة حضورهم. لقد تبلا حسى

أمام كل أنواع التكريم كما تبدل تجاه كل ألوان الإذلال، ولكننى شعرت بأن ما يقودنى هو شرف وطنى وعزة ديانتى. وهل سيحظى اسم رب إبراهيم بتقدير واحترام حين أكون بين هؤلاء الصفوة المختارة؟ اللعنة على كل هاجس وتردد ينتابنى من جديد! والسؤال الآن: هل هذه الرحلة التى تأبأها نفسى هى إرادة الله ومشينته؟ يا رب أجبنى برسالة من عندك ليطمئن قلبى وتهدا نفسى - بوحي من عندك أو بخيال أو بروية أو ببشارة خير، أو بأى وسيلة من وسائل الوهم والخرافة أهدى بها فى ضالتي ويمكن من خلالها أن تمد خيالى بشيء أرتكز عليه، ويهدأ بالى وضميرى، وتكون نقطة مضيئة للظلام الذى يحيط إدراكى فى هذه الموضوع!

ولكن هل يمكننى أن أخطو خطوة واحدة، إلى اليمين أو إلى اليسار، دون إرادة الله؟ وهل إرادتى أقوى من إرادة الله التى تهدي قلبى، ومشينته التى دونها لا تطيق نفسى الشدائد؟ هل لى إذا أن أؤمن يقيناً بأن الله أراد هذا السفر، وأعقد الأمل على أنه سيمدنى بالخير من عنده؟ أسألك أن تبعث الشجاعة والتفاؤل، وأن تهدي نفسى الحائرة، وأسألك العيش فى كنفك الكريم، وأن تصرف بعنايتك عني كل سوء قدرته لى!

١٧ أكتوبر

أمام تشيربورج Cherbourg

كانت رحلة العودة من نيويورك إلى بريمن Bremen فى اليوم الحادى عشر من الشهر على ظهر سفينة "القيصر فيلهلم الكبير". وأذكر من بين

الكتب الكثيرة التي توفرت بمكتبة السفينة وقرأتها على الأخص: السيدة "فون بونزن *von Bunsen*". صورة حياة من واقع رسائلها. إعداد "أوجستوس هاره *Augustus J.C. Hare*"، وأشرف على الطبعة السادسة الألمانية "هانز تارين *Hans Tharin*"، دار نشر جوتا *Gotha*. إننى لا أقتبس شيئاً من المحتوى الثرى الذى يتسم بالأصالة، ولكننى أضع عينى هنا، كما فى الجزء الأول ص ٣٨٥، على كلمات التكريم التى تلقتها "يوسياس بونزن *Josias Bunsens*" (ولكنها كانت فى السابق رفيعة المقام) فى أوكسفورد حيث نالت الدكتوراه الفخرية بتاريخ (٢ يوليو ١٨٣٩): "إن معطف الدكتوراه بلونه القرمزى والمقصب أسفل الأكتاف أحاط بها - مع وقار عمداء مدن رمبراند *Rembrand* الحاضرين - بتكريم رفيع المستوى لا يناله سوى أحد العلماء ورجال الدولة الأجلاء".

لقد نلت هذا الشرف والتكريم ذاته، ولكن أراذ صبية "حارة بغايفر" بيودابست أن يقللوا ويحطوا من شأنه، وألا يلقى عليه أى ضوء. يقول ميلتون *Milton*: "الحقيقة مثل شعاع الشمس، من المستحيل أن تُلطخ من قبل أى اتصال خارجى."/

١٥ ديسمبر

٢٤٠

لقد تلقيت دعوة سفر إلى أمريكا لكى ألقى سلسلة من المحاضرات عن الفلسفة اليهودية^(١).

عام ١٩٠٥

٣ يناير

مجال اختصاص جديد: يتحتم على فى كل لحظة أن أكتب ملحوظات "بيان رسمى" للصحف. بعيداً عن الجلسات هناك من أرسلنى إلى غرفة

(١) *A. Schreiber* ١٩٦٢.. الصفحات من ٢٥٥ حتى ٢٧٥.

جانبية لكى أضع "التصور"، ولكن سرعان ما وُجهت سهام النقد فيما قمت به وكشف العيوب والأخطاء. وكان ذلك فى نظر البعض غير كاف على الإطلاق، وفى رأى الآخر أكثر من كاف. وكان يتحتم على بعد ذلك أن أوجه عنايتى أن يُنشر "صباح الغد فى جميع الصحف".

منذ عودتى من رحلتى لأمريكا ذائعة الشهرة لا أزال أعانى من ضيق الوقت، ولم يعد لدى أى شجاعة ولا راحة بال وهدوء فى أن أقترّب من الأبحاث العلمية. ولكن لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا النحو أكثر من ذلك.

١٢ يناير

أخيراً عازمت عصر اليوم على تسجيل حضورى لدى سلطان "حارة بفايفر"، لأتقدم باستقالتي من وظيفة سكرتير.

٢٠ يناير

قمت بكتابة استقالتي تحريراً.

٢٧ يناير

الاحتفال بعيد ميلاد الحاخام "بلوخ *Bloch*" لبلوغه عامه التسعين، وهو مقصد صلاتى الصداقة^(١). وقد قام زميله "ريباخ *Rebach*" ورفيقه المبجل "بلاو *Blau*" بإرباكه بوابل من الإساءات له. وبنفس هذا القدر يتألقان الآن قبل هذه الاحتفالية فى النيل منه بتوجيه اتهامات له. وفى مساء هذا اليوم أقام الزملاء والحواريون حفل عشاء كنت مشاركاً به. وعند لحظة شرب النخب شعرت بالاستفزاز، فتحدثت عن قيمة دراسة التلمود ووجهات نظره

(١) انظر الكتاب التذكارى لتكريم موسى بلوخ *Moses Bloch*، بودابست ١٩٠٥.

الأخلاقية، قائلاً: فكم من منحنيات بلا مكافأة، وكم من أجزاء بلا دعم، وكم من رجال بلا رفقاء خلصاء!" ويبدو أن ذلك هو ما يبقى.

٩ فبراير

بعد تأجيل من جلسة لأخرى شرعوا اليوم أخيراً في النظر في التماسي الذي تقدمت به بشأن استقالتي والتفاوض فيما بينهم بصددھا. فيما بعد علمت أن المفاوضات تركزت في توجيه النقد المخزى لتعنيبي على مدار ثلاثين عاماً كعذاب الشهداء،/ ودون ذكر لاسمي، وتباروا في الخطاب عن الأحوال الأكثر ٢٤١ ترويعاً في إدارة الجالية. ولم يطرّفوا إلى موضوع إنهاء التماسي بعد كل ذلك.

١٤ فبراير

في الجلسة التي عقدها اليوم كلية الآداب تقرر - بناء على تقرير - إرسال لجنة بشأن شغل منصب "أستاذ كرسي" مكان "هاتالا *Hatala*" الذي أحيل للمعاش.

٢٢ فبراير

أخيراً قرروا من الناحية الشكلية أن يقبلوا استقالتي. أعمل الآن بهمة ونشاط على الانتهاء من "تقريرى" الأخير. لقد كنت في هذه الأثناء تحت ضغط بالغ الجدية من قبل الإسكتلندي "هاستنجز *Hastings*" - المكلف بمراجعة موسوعة تاريخ الأديان - في أن أكتب دراسة إسلامية على هيئة مقالات في موضوع واحد^(١). ولا شك أيها السادة الأعزاء أنني قادر على أن أفعل كل شيء، فقط حين أتخلص من النير الموضوع على كتفى.

(١) انظر *B. Heller*: مرجع سابق، ص ١٢.

٢ مارس

تلقيت طلباً عاجلاً من منتدى الأدب البروتستانتي في بريسبورج Pressburg بشأن إلقاء محاضرة عندهم. فماذا تبقى مما لا ينبغي أن أقوم به!

٦ مارس

جاءني بعد ظهر اليوم الأستاذ الدكتور "جيدون بيتس" Gedeon Petz^(١) بصفته مقررًا للجنة المؤفدة بتاريخ ١٤ فبراير، لكي يتحصل على المعلومات الخاصة بتقريره. وكان على أن أضع بين يديه مثالاً عن حكم وتقدير "العالم" لشخصي.

١٦ مارس

قبل ظهر اليوم جلسة الكلية. كان الموضوع غير العادي محل التشاور بها هو الاستماع إلى تقرير اللجنة بشأن شغل منصب مستشار التعليم الشاغر. وبدون مناقشة أو جدال تم ترشيحي لهذا المنصب بموافقة جميع الأعضاء وعددهم ٣٣ عضواً في تصويت سري. وكما تكرر الأمر في حياتي - لن يقف في طريقي من جديد سوى النزعة المعادية للسامية. إن من يعرف الكلية وأسلوب عملها، ربما يصعب عليه فهم إعلان الثقة هذا الذي نلته منها: أن أحصل على جميع الأصوات دون استثناء وتسميتي للمنصب في تصويت سري! وكما نما لعلمي أن النتيجة، التي لا يتذكر أقدم الأعضاء مثيلاً لها، قوبلت بتصفيق جميع الأطراف بحماس. /

(١) G. Petz (١٨٦٣ - ١٩٤٣) أستاذ الآداب الألمانية بجامعة بودابست.

بعد مرور أكثر من عام قابلت ظهر اليوم صدفه بالشارع "الكذاب الأعرج"^(١) مرة أخرى، وسألنى: متى سيرضى عنك الله ويتم تعيينك؟ هو! وفى سياق حديثه كان لسانه ينطق بكثير من البذاءات التى تسكن نفسه السوداوية الكاذبة. وودع كل منا الآخر بجفاء ودون أى مودة، ليس أكثر من كلمة "سلام". وأعتقد أنه لو كان حاضراً جلسة يوم ١٦ سابقة الذكر، لما حصلت على جميع الأصوات بكل تأكيد. كنت لن أحصل على صوت هذا الجاهل البغيض.

٢٣ مارس

وصل إلى رسالة رسمية من سكرتير المعهد المصرى يبلغنى بها بأن هذا المجمع العلمى قد اختارنى فى اجتماعه السنوى المنعقد فى يوم ٦ من هذا الشهر لأن أنضم إلى عضويتهم بصفتى "عضواً شرفياً".

٢ إبريل

يوم الأحد قبل الظهر! اجتمعوا مرة أخرى فى "حارة بفايفر" وراحوا يغتابونى بثرثرتهم الغبية. كانوا يتشاورون فيما بينهم بشأن أزمة الرايخ المنذرة بالخطر. لقد نقلوا غطرستهم وتكبرهم إلى الأمور العامة القابضين عليها بأيديهم، وكان هذا سبباً فى حدوث انهيار تام لخزانة وأموال الجالية، ويتحتم عليهم الآن أن يضعوا فى حساباتهم وجود عجز سنوى يقدر بمبلغ ٣٠ إلى ٣٥ ألف جولدن - وكما أقروا بذلك بأنفسهم، فإن السبب فى ذلك يرجع

.A. Vámbéry (١)

إلى جشع كبرائهم الذين يشبهون الحيتان الكبرى، وبدون أن يعترفوا بذلك، فإن ذلك حدث من خلال ما يمارسونه من تحقير لكل ما ينتجه الفكر. كما يدور الحديث الآن حول الخطط المستقبلية: شغل "المنصب" اليتيم بعد خروجي! لعل هذا من شأنه أن يمنح إحدى سلالات المرابين - والكلام يدور حول اسم "باوم جارتن *Baumgarten*" ومكان يطلق عليه "لوفاسبيريني *Lovasberény*" حيث مسقط رأسه - فرصة النظر إلى الماضي، ثم - وكل شيء في عدم حضوري - يقوم بإلقاء خطبة عصماء، يشرح فيها متلعتنًا مدى تدهور هذا "المنصب" على يد إنسان تقلده ولم يفعل شيئًا على الإطلاق لصالح "الجالية".

جميع الحضور ينصتون الآن - وكأن على رؤوسهم الطير - إلى خطبة المتلعتن الحكيم، إلى هذه الطلاوة لواحد من الرعاع الحاضرين. وأما أنا! إننى مثل عالمنا الحاخام "طرفون *Tarphon*" الحكيم!

٤ إبريل

خطاب من "د. شيشتر *Dr. Schechter*"^(١) بنيويورك. هناك ثلاثة معاهد عليا يهودية - بنيويورك *New York*، وفيلادلفيا *Philadelphia*، وسينكياتي *Cincinnati* - ترغب في الاستماع لمحاضراتي على وجه السرعة. كما يوجه القاضي "سالسبرجر *Sulzbürger*"^(٢) دعوة استضافة لى بمنزله العامر فى فيلادلفيا. وفى انتظارى مكافأة مغرية (قارن يوم ٢ إبريل أنفًا).

(١) *M. Schechter* (١٨٥٠-١٩١٥) مخير معهد الدراسات اللاهوتية اليهودية بأمریکا فى نیویورک. انظر *M. Ben-Horion, Salo Wittmayer, Baron Jubilee* الجزء I، القدس ١٩٧٤، ص ٢٠٣.

(٢) *M. Sulzbürger* (١٨٧٤-١٩٢٣) أحد رواد اليهودية بأمریکا.

توفى صديقي المستشار الملكى الخاص الكونت "جيزاف. كوون Géza von Kuun" (قارن هذه الكراسة 89/b)، وطلب منى رئيس الأكاديمية أن ألقى خطبة بالأصالة عنها فى حفل تأبينه الذى سيقام ببهو الأكاديمية. وبسبب التخوف من إمكانية تفسير هذا الأمر على نحو خاطئ واحتمالية ظهور شخص أو آخر، والقول بأن اليهودى يقدم نفسه بمناسبة تأبين السيد العظيم وينجرف نحو هذا الأمر، فقد رفضت. وليس هناك سبب آخر وراء الرفض.

١٦ إبريل

مرة أخرى يوم أحد قبل الظهر، من الساعة العاشرة والنصف وحتى الواحدة والنصف. بين أيديهم اليوم تقريرى السنوى، وأحمد الله على أنه الأخير، ومرة أخرى يوجه إليه النقد من ناحية الأسلوب الذى كُتب به. لا ضيم، فهو الأخير، ولكن أعتقد لن يستمر الأمر هكذا على الدوام.

٢٤ إبريل

من جديد افتقدت صديقاً عزيزاً. اليوم كان دفن الدكتور "م. كايزرلينج Dr. M. Kayserling". كنا قد تجولنا هنا وتحدثنا معاً بكل صدق وإخلاص، وأعرب عن تألمه وتحمله لإساءات صادرة عن المحقرين للعلم. وها هم اليوم ييكون ويذرفون دموع التماسيح - فقط من أجل الصحف. لم يدخروا أى إشارة لتمثيل جو الحزن والتعبير عنه. فلا بد أن يُكتب فى الصحف ويقرأ الناس أن المحدثين من بنى إسرائيل يكرمون علماءهم - بعد موتهم. وهذه الجهود التى يبذلونها فى نفاقهم تعنى ضرورة تكبدى المعاناة فى حضور

جلسات كثيرة وتوينى لها، كما يجب على أن أقوم بتأليف "تصور" للموضوع يكون بالغ التأثير والبلاغة والحيوية بحيث تكون مشاعر رئيس الديوان عن هذا الحزن محل تقدير وإجلال.

٢٥ إبريل

اليوم وافقت لجنة المعاش والتقاعد التابعة للجالية على موضوع طلبى لإحالتى إلى المعاش.

٩ مايو

قامت النخبة الأولى بالأكاديمية المجرية بانتخابى - بموافقة ٢٧ صوتاً (مقابل صوتين غير موافق) - رئيساً لهم. هل ورد على فكر اليهود فى عصر "ستيفان شيتشيني" *Stephan Széchenyi* أن يأتى على رأس نخبة من علماء اللغة بمؤسسته القومية الوطنية مستخدم بالجالية اليهودية جاء من أكثر الحوارى ظلاماً، لا سيما أنه لم يسع مطلقاً لينال مثل هذا الشرف، ولم يطمح إليه، ولكنه خرج من ظلام وجوده وقدرته على التحمل ليبلغ هذه الدرجة من التكريم؟

١١ مايو ٢٤٤

فى الحفل السنوى للأكاديمية اتجه إلى "كولومان شيلي" *Koloman Szily* (١) لقرع الكؤوس وشرب النخب على شرفى بصفتى رئيساً منتخباً للفئة حديثاً، وجاءت تلبيتى له بذكر قول مأثور حاز إعجاب "الصحف" وحكمت عليه بأنه بمثابة الدليل على ثراء الفكر (!)، فى حين أنه كان يُقال فى الاحتفال بعيد

(١) *K. Szily (1838-1924)* باحث لغوى ومن علماء الطبيعة وأستاذ بكلية الهندسة بجامعة بودابست.

ميلاد "بول جيولاى Paul Gyulai" (١) - سكرتير الطبقة، وكان يُستقبل -ملاء
السمع والبصر - بتصفيق حار.

١٣ مايو

اعتقدت أنني سأحصل على إجازتي عن بقية العام، عقب اجتماع الجمعية العمومية للجالية اليهودية. ولكن مجلس الأمناء وصفنى بقوله "لا يمكن الاستغناء عنه"، والحقيقة إنه لم يتم العثور حتى الآن على "من سيخلفنى"؛ فقد استعرضوا أمامهم جميع المغفلين ممن لا حياء ولا خجل عندهم لكى يجدوا من بين صفوفهم "خليفة" جدير بالاحترام والتقدير؛ ولكن لم يتوفر فى أى شخص منهم صفة عدم الخجل والجهل بالدرجة التى تتال قناعتهم، ويكون جديرًا بهذا المنصب. وأنا شخصيًا لم أبلغ من وهن الأعصاب الدرجة الكافية بعد لتحملنى على القيام بإجازة. وبناء على هذا فإن الامتياز الذى أحظى به من حيث قصر عملى على فترة زمنية محدودة لا يزال مستمرًا حتى إشعار آخر.

١٧ مايو

اليوم قمنا بدفن المسكين "م. شيلاسى M. Szilasi" (٢)، الأستاذ بجامعة كلاوزنبورج Klausenburg. لقد كان الموقف شديد التألم ومفعما للقلوب حين شاهدت الأبناء الصغار السبعة والأرملة المسكينة البائسة. وفى ظل هذا الجو المثير للأعصاب قمت بالأصالة عن الأكاديمية بإلقاء خطبة توديع أمام التابوت.

٢٢ مايو

اليوم ترأست أولى الجلسات عن النخبة الأولى بالأكاديمية. قام "باباى Pápay" (٣) بإلقاء محاضرات، صاحبها مناقشة من الكونت "أويجن تسيشى

(١) P. Gyulai (1826-1909) مؤرخ الأدب وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) M. Szilasi (1854-1905) باحث لغوى وأستاذ بجامعة كلاوزنبورج Klausenburg (وهى اليوم Cluj).

(٣) J. Pápay (1873-1931) باحث لغوى وأستاذ جامعى فى ديبريسن Debrecen.

Eugen Zichy^(١) و"باديكس" *Badics*^(٢)، ثم أعقب ذلك جلسة مغلقة وجدول أعمال: قرار بإقامة احتفالية بمناسبة بلوغ "فرانس تولدي" *Franz Toldy* مائة عام على مولده.

٢٧ مايو

تلقيت اليوم من وزير الثقافة "بيرزيفيتشي" *Berzeviczy*^(٣) تهنئة خاصة بمناسبة تعييني أستاذاً عاماً، قائلاً: "تهنئتي لسيادتكم وللجامعة"^(٤). وبناءً على هذا فقد تحقق الأمر، وكان أول من تلقى الخبر على الفور هو "تولدكه" *Nöldeke* ببرقية إلى شفاينبيرج *Schwabenberg*.

٢٨ مايو

جلسة يوم الأحد كمثيلاتها من قبل: لهجة ورطانة غريبة للألسن وللأرواح. والأكثر تصادفاً حين أبلغتهم بحدث يوم ٢٧ مايو. "ومن العجيب [٢٤٥] إن هناك من يُكن لسيادتكم كل ألوان التقدير منذ أن رحلت عنا". / "وهل نشرت الجريدة الرسمية هذا الخبر؟" .. ليس بعد.

٤ يونيو

اليوم نشر الخبر في الجريدة الرسمية، كما أن المرسوم الصادر عن فخامته مؤرخ بتاريخ ٢٤ مايو.

(١) E. Zichy (1837-1906) مؤرخ وسياسي، قام برحلة استكشافية علمية بآسيا.

(٢) F. Badics (1854-1939) مؤرخ للأدب، وأستاذ بالمدراس العليا ببودابست وأوفيديك *Ujvidék*.

(٣) A. Berzeviczy (1853-19936) مؤرخ ورئيس الأكاديمية للمجربة للعلوم في الأعولم (1905-1936).

(٤) ترجمة عن التهنئة المذكورة باللغة المجرية.

٥ يونيو

استحوذت صحافة اليوم موضوع التعيين وقامت بالتعليق عليه فى مقالات كبرى بأسلوب غاية فى المجاملة.

٧ يونيو

اليوم ظهراً قمت بزيارة تعارف لدى وزير التعليم، وذلك بعد أن عبرت له عن شكرى كتابة فى السابع والعشرين من مايو. وقد استقبلنى بحفاوة بالغة، وعبر عن سعادته الخاصة بأنه تمكن من إزاحة هذا الخطأ القديم، كما يعتبر أنه من حسن الطالع أن ترتبط هذه الحقيقة ارتباطاً وثيقاً باختيارى رئيساً للنخبة، وأن يلقى هذا الأمر قبولا من الجميع بلا استثناء وصدى واسعاً لدى الرأى العام.

فى هذه الأثناء تلقيت بطاقات وخطابات وبرقيات تهنئة من الدانى والقاصى؛ وكان على أن أرد على كل ذلك بعناية ودقة.

٨ يونيو

أمعنوا التفكير والتأمل فى كوميدى الأقدار، من حيث:

(١) إننى خليفة "بيتر هتالا *Peter Hatala*".

(٢) وأن "خليفتى" ... هو قفايتسبورج *Weiszborg* ^(١)، ويحصل تقريبا على نفس المخصصات المالية التى منحوها لى فى خدمتى بعد مرور ٣٠ سنة.

(٣) أليس فى ذلك سخرية تبعث على الضحك حتى الموت؟.

(١) *J. Weissburg (1866-1919)* حاخام؛ انظر كتاب *R. W. Weiss: A social History. Chicago 1975*، ص ٢٨ - ٢٩.

١٠ يونيو

بعد حصولي على مرسوم التعيين الرسمي من الجامعة، كان اليوم موعد مثولي أمام رئيس الجامعة السيد "ديمكو" *Demkó*^(١) وأمام رؤساء الجامعات الأربع المجتمعين لأداء القسم. وقام رئيس الجامعة بإلقاء خطبة بها كلمات غاية في المدح والمجاملة، ويوجها لي بقوله "صديقي العزيز"^(٢)، وكان على أن أرد "ببعض كلمات ملائمة لذلك"، على أن ذلك لم يضعني مطلقا في حيرة وارتباك.

١١ - ١٢ يونيو

قضيت يومى عيد الغنصرة مع ابن أختي الدكتور "بوشلر" *Dr. Büchler* في كيسيتيلي */Keszthely*.

١٤ يونيو ٢٤٦

إن كل "وسام" قادم من الخارج على ثمة شخصية فردية كاملة تشكلت بصورة متناغمة ومتصالحة مع ذاتها يُعد بمثابة عائق لها؛ فهو أقرب إلى تعطيل التعبير عن تكامل وجمال الشخصية عن تدعيمها وتشجيعها. وأما الشخصيات الفردية التي بها نواقص وعيوب فقط هي التي لا تتحقق نظرتها إلى العالم الخارجى إلا من خلال مثل هذه التوافه والبهرجة. ولا يتلاشى النقص بالنسبة للتأمل الحقيقي للقيم.

(١) *G. Demkó* (1856-1914) أستاذ القانون الكنسى بجامعة بودابست.

(٢) ذُكرت باللغة المجرية في النص.

اليوم نما إلى علمى التالى: قبل شهر مضى وقفت - بصفتى رئيساً
لنخبة الأكاديمية - بمستودع الأموات الخاص بمدافن اليهود أمام نعش أحد
الأعضاء الذى وافته المنية، وهو السيد "شيلاسى Szilasi"، وكان من الواجب
أن ألقى بضع كلمات لإفراقه لنا؛ وفى هذه المدافن التى تضم بنى إسرائيل
يتحتم أن يُدفن الموتى فى غرف مختلفة عن بعضها، كل حسب قدرته
المالية، وأن يُعزف اللحن الأخير للفرقة الموسيقية. وبعد الانتهاء من المراسم
المقدسة وقفت - ومن بعدى رئيس جامعة كلاوزنبورج *Klausenburg* أمام
النعش لكى ألقى كلمات الوداع، وخلع كل منا قبعة من على رأسه. كان ذلك
بمثابة فضيحة كبرى فى نظر بنى إسرائيل. إنه انتهاك لحرمة الأماكن
"المقدسة" - وهى الأماكن التى تساوم فيها "الرابطة المقدسة" بجثث بنى
العقيدة. ولم يكتفوا بذلك. قاموا بكتابة شكوى فى حق "السكرتير" وبعثوا بها
إلى إدارة الحاخامات" يلتمسون فيها وقف المساعدة عن "النموذج البغيض"
الذى ألحق مثل هذا العار ببنى إسرائيل. علاوة على ذلك أعبوا فى الوقت
نفسه عن مشاعر الحزن والأسى لديهم من أن خُدام الرابطة "المقدسة" لم
يتصدوا لى "للحيلولة" دون تنكيس وانتهاك حرمانات قدسية المكان. لم يكن
بوسعى أن أفعل شيئاً آخر سوى أن أقدم لمجلس إدارة الجالية اليهودية بطلب
رسمى فى فتح تحقيق فى هذا الشأن وأدابه، وعما إذا كان "السكرتير" قد
ألحق بالفعل العار والخزى بالعقيدة من خلال فعلته النكراء التى ارتكبها.
واستدارت الأمور بشكل متناغم، فلا يمكن أن تكون غير ذلك، وليس من
الطبيعى أن يحدث غير ذلك.

لو حدثت مثل هذه الحكاية المخزية وقرأناها في كتاب من طراز "طبقات الحنابلة" لشرعت التهامها على اعتبارها ملحوظة شيقة تفوق الوصف، ولكنني في غاية السرور بها. ولكنني استقبلتها على اعتبارها آخر وسيلة تستخدم للتقزز والتقيؤ ضد هذه العلاقات "الرسمية". لم يهل على أحد بأى سحنة فى أن يفسح المجال للمنافقين على أن يفهموا أن أى تعد على كرامتى الشخصية هو مشروع محاولة أن يخلو من الضرر بشكل كامل، بل على العكس. إن بنى إسرائيل بأكملهم على الجانب الرسمى يرون أنهم على حق فى نباح هؤلاء الحقراء الجهلاء، وأنه ينبغي ذلك./

لهذا شرعت بكتابة خطابين:

٢٤٧

أ) أحدهما موجه إلى رئيس الديوان الملكى، وأشرت فيه إلى الوضع الخانق الذى انزلت فيه من حيث أعمالى الرسمية التى تقدمت على أثرها بالتماس لإعفاى من الخدمة بشكل قطعى اعتباراً من الأول من يوليو ١٩٠٥،

ب) وأما الخطاب الثانى - وهى رسالة تبدو جادة لأبعد الحدود، ولكنها فى نظر العارفين تتضمن سخرية لازعة - وجهته إلى السيد "كوبى بوشان" *Kóbi Boschan* الذى وقع على تلك الشكوى دون أن يدرك الكلام المناقض لنفسه وأنه يعبر عن أكبر خلل عقلى بالبلاد، وأنه يرتدى قميص الكرامة كرئيس "الرابطة المقدسة". وفى هذه الرسالة رفضت - بالنظر إلى الكرب الذى لحق ببقائى فى الاتحاد التمثيلى لهذه الرابطة التى أنتمى إليها منذ ٢٨ عاماً - "وجهات النظر على مستوى علم الأديان" التى يمثلها السيد "بوشان" فى حديثه عن تلك الكرامة العليا.

٢٩ يونيو

هذا يوم خير بحق بطرس وبولس.. تحت رقم ٨٥٥ تم إعداد مرسوم إعفائي من الخدمة بشكل نهائي، وتضمن كلمات غاية في المجاملة.. وإذا جمعنا الأرقام ٨٥٥ نجدها تساوى ١٨، وهو رقم يدل على الخير تمامًا.

الأول من يوليو

أصبحت بناء على ذلك من تاريخ هذا اليوم فصاعدًا من الأحرار.. متحررًا من أى ارتباط بتلك العلاقات القذرة التى تشوه حياة أى رجل متعلم ومتقف. لعل ذلك بداية جزء صغير جديد فى الحياة جدير بالذكر.

٢ يوليو

وصلت إلى اليوم من نيويورك الدعوة الرسمية من كل من نيويورك وفيلادلفيا، وهى مؤرخة بتاريخ ٢١ يونيو، بشأن إلقاء محاضرات (عدها ٢ X ٨) فى الخريف القادم عن الفلسفة اليهودية، مع التأكيد على حصولي على مكافأة مجزية. واضطرت إلى الرد بإرجاء الموعد نظرًا لاستحالة مغادرة البلاد أثناء فترة العمل الأكاديمي، حيث إننى الآن أتصدر منصب رئيس نخبة الأكاديمية.

٦ يوليو

تلقيت اليوم رسالة من رئاسة الجمعية الآسيوية بباريس تفيد بأن الجمعية قد اختارتنى فى اجتماع جمعيتها العمومية المنعقدة بتاريخ ١٥ يونيو

"عضواً منتسباً من الخارج"، وتضمنت الرسالة الكلمات التالية باللغة الفرنسية: "تقديرًا لخدماتك الجليلة التي قدمتها للدراسات الشرقية، فإن الجمعية ترغب في التعرف على جدارة العمل الذي حصلت من خلاله على شهرة فائقة تتحدث عنها الأوساط العلمية في العالم". هل بكل هذه الشهادات الرسمية البديعة سيسمح لي بدخول الجنة حين أقف على أبوابها؟/

٢٨ أغسطس

٢٤٨

سافرت في الفترة من ١٦ يوليو وحتى ٢٥ أغسطس إلى ويسترلاند *Westerland* حيث نصحتني الأطباء بالتوجه إليها للاستشفاء والعلاج على أثر تعرضي لتوتر مفرط في الأعصاب. وسعدت بصحبة طيبة مع مكتبة "كاوفمان *Kaufmann*" التي بها وثائق الجنيزا العربية اليهودية، وعكفت على دراسة وتصوير ٣٠ وثيقة. ولم يتوان الدكتور "ياهوذا *Yahuda*"^(١) اللطيف المهذب في أن يأتي إلي، وأن يكون بين صحبتنا في إخلاص ووفاء أثناء فترة وجودي بجزيرة "سيلت *Sylt*" رغم أن حالته الصحية في حاجة إلى علاج واستشفاء آخر كما هو واضح عليه، بل إنه ممنوع بشدة من شاطئ البحر هذا. لا شك أن في الدنيا أيضاً أوفياء، وهذا الآسيوي واحد منهم.

عدت الآن إلى "أوفينكل *Auwinkel*" وتنتابني المخاوف من معاودة الألم بقدمي، والذي أعاني منه منذ فترة طويلة وصاحبني حتى وصلت إلى هنا.

٥ سبتمبر

للأسف حدث أيضاً ما توقعته.

ديسمبر

في هذا الشهر قمت برحلتين صغيرتين. في يوم ٣ ديسمبر سافرت إلى مدينة مسقط رأسى بصفتي موفداً من قبل الأكاديمية لحضور الاحتفال بإزاحة

(١) *A.S. Yahuda* (1877-1951) مستشرق وأستاذ ببرلين ومريد ونيويورك.

الستار عن تمثالين تذكاريين لكل من "فيراج Virág" و"أنيس nyosA" اللذين كان لهما دور مؤثر في نهاية القرن الثامن عشر في التدريس بالمدارس الثانوية، واللذين أدين لهما شخصيًا في تلقى بدايات تعليمي. وكان هناك استقبال غاية في الحفاوة والمحبة وكرم الضيافة بدار طائفة السيسترسيان، وستبقى تلك الأيام الجميلة في ذاكرتي.

وبطبيعة الحال قرعنا الكؤوس، وشربنا النخب، تارة وقت مأدبة الاحتفال، استجابةً إلى شرب النخب الذي رفعه الرئيس - الكونت "أوجن تسيشي Eugen Zichy" - على شرف الموفدين؛ وأما شرب النخب الثاني كان بمناسبة عشاء في جو مريح للنفس بدير طائفة السيسترسيان. سرت في جو مقدس عبر الأبهاء التي كثيرًا ما خطوت بها في صباي، وقفزت إلى ذاكرتي كثير من ذكريات باكورة الشباب.

في يوم ٢٦ من الشهر ذاته سافرت إلى سيجدين Szegedin لحضور حفل زفاف كريمة صديقي الدكتور "لوف Dr. Löw".

عام ١٩٠٦

إليك أتوجه يا الله، بعيني وقلبي، سائلًا إياك أن تتغمدني برحمتك في هذا العام، وتجعله عامًا مملوءًا بالخيرات والحرية عوضًا عما لاقينته من عناء في الأعوام السابقة! إنني لن أكون عبدًا من الآن فصاعدًا، إنني حرٌّ بين الأحرار. حقا إن خيالي لا يزال يسمع رنين صلصلة الأغلال القديمة، كما أن فكري لم ينفك بعد من عناء الأوقات السابقة. / لقد خارت قواي، وتحتم علي [٢٤٩] أن أتمهل لبرهة من الزمن قبل أن أتففس من جديد، ويمتلئ صدري تماما بهواء الحرية.

منذ عودتي من ويسترلاند لم أنشغل بشيء آخر سوى ممارستي لعملى فى التدريس. كما أن الأكاديمية من بواعث سرورى؛ أذهب إليها لأداء مهمة الرئاسة منتعشاً، وأشارك بجميع الجلسات، بل لا يفوتنى حضور كل ما ليس له قيمة تذكر أيضاً، ولكنه يدخل فى إطار الشكليات التى تتعلق بمثل هذه المكانة. هذا فضلاً عن شعورى بالاحترام والتقدير المتبادل عند قيامى بهذا العمل. ولكن بنى عقيدتى الذين ضحيت بنفسى من أجلهم، لم يتوقفوا عن "تلوّث سمعتى ولصق كل ما هو كريه بشخصى"، على أنهم لا يملكون الآن إلحاق أى ضررٍ أو سوء بى. وقد دعانى أحد أفعالهم الوضيعة التى ارتكبتها حثالة قياداتهم فى حقى، أن أخرج من لجنة المحاضرات على وجه السرعة (يوم ٨ ديسمبر من عام ١٩٠٨)، وبالتالي يمكننى القول إننى أصبحت أكثر نقاء وطهرًا من كل تلك الأمور.

أما الشرف العظيم الذى نلته فى العام المنصرم، الذى حظيت فيه بالتكريم والحفاوة بضمي لكثير من العضويات الشرفية، فهو خطاب "تولدكه Nöldeke" المؤرخ فى ١٥ ديسمبر. قريباً سيبلغ الرجل العظيم عامه السبعين وسيحيا حياة أصحاب المعاشات. وقد تمنى أن أخلفه فى موقع عمله، وكتب للمسئولين بالجامعة رسائل أعرب فيها عن هذا المعنى، ووافقوا جميعاً على طلبه بلا استثناء. وهذا شرف لى، ليس بعده شرف أعظم منه يمكن أن أناله فى العلم، ورغم أننى بطبيعة الحال لن أذهب فى الوقت الراهن إلى أى مكان بعيداً عن المجر، فإن هذا التفكير لا يغير الحقيقة المسجلة هنا على الإطلاق. فالوعى الذى يمنح مثل هذا التصويت من شأنه أن يجعلنى أستقبل العام الجديد مرفوع الرأس.

لهذا أتوجه إليك يا إلهى وأسألك أن تمنحنى السعادة والتوفيق مع زوجى وأبنائى، وأن تهب لعقلى القدرة على نسيان كل شيء مررت به ! أمين!

١٤ يناير

الحجر الذى يزدرية البنائون! اليوم كنت أتحدث بصفتى رئيساً لخبذة الأكاديمية بمناسبة الاحتفال بيوم ميلاد "باول جيولايـس *Paul Gyulais*" وبلوغه الثمانين من عمره. وقد امتدح الكتاب الذين أترأسهم - وبعض منهم من أفضل الأسماء بيننا- خطابى الصحيح الذى هنأت فيه أديبنا العجوز بوصفه أميناً لخببتنا.

شتراسبورج فى ٣ مارس. ليلاً

تقرر منذ فترة طويلة أن أتى إلى هنا بمناسبة إقامة حفل تكريم لنولدكه *Nöldeke* فى يوبيل عمره. وفى يوم ٢٦ فبراير غادرت بودابست، ووصلت إلى هايدلبرج *Heidelberg* فى اليوم التالى. كان فى إنتظارى بمحطة القطار "بيئسولد ^(١) *Bezold*" وحرمه. وقضيت يومين هنا مع بيتسولد، و"بيكر ^(٢) *Becker*". وقد رأيت كلاً من "ميركس ^(٣) *Merx*" و"دايسمان ^(٤) *Deissmann*"، وتعرفت

(١) *C. Bezold* (1859-1922) عالم فى اللغات الشرقية القيمة وأستاذ بهايـلبرج.

(٢) *C.H. Becker* (1876-1933) أستاذ التاريخ وحضارات الشرق بهامبورج.

(٣) *A. Merx* (1838-1909) عالم لاهوت إنجيلى ومستشرق. أستاذ بجامعة توبنجن *Tübingen*

وجيسن *Giessen* وهايـلبرج *Heidelberg*.

(٤) *A. Deissmann* (1866-1937) عالم لاهوت إنجيلى وباحث أناجيل ومؤرخ أديان، وأستاذ للعهد

الجديد فى هايـلبرج وبرلين.

شخصيًا على "البريشت ديتريش *Albrecht Dieterich*"^(١)، وهو مؤرخ الأديان./
وقد حققت إفادة كبرى بمشاهدة البرديات العربية التي يعالجها "بيكر *Becker*". ٢٥٠

فى اليوم الأول من مارس سافرت مع "بيتسولد *Bezold*" إلى
شتراسبورج *Strassburg* حيث وصلنا فى المساء وتقابلنا مع "دى خويه *de*
Goeje" بالفندق، وانضم إلينا فيما بعد كل من "ريكندورف *Reckendorf*"^(٢)
(بجامعة فرايبورج)، و"بارت *Barth*"، و"شولتيس *Schultess*"^(٣) و"اندرياس
Andreas"^(٤) من جوتجن *Göttingen* وآخرين. قضينا المساء الأول معًا فى
هناء وسرور. وفى صباح يوم الثانى من مارس توجهنا إلى صاحب اليوبيل،
حيث سادت الفرحة بوصولى ومعى "دى خويه *de Goeje*"، وقمنا بعد ذلك
الكتاب التذكارى إلى صاحب اليوبيل، وهو الكتاب الذى ترجع فكرته إلى قبل
عامين وشارك فيه عدد من المتخصصين بلغ ٨٦ مشاركًا، وأشرف على
تحريره فى شكل رائع "بيتسولد *Bezold*". والكتاب التذكارى يحمل عنوان
"دراسات شرقية - إهداء لتيودور نولدكه فى عيد ميلاده السبعين
Orientalische Studien. Theodor Nöldeke zum siebzigsten Geburtstag. I-II.
Giessen 1906". لقد كنت شاهد عيان على كل تكريم. وفى حفل العشاء رفع
الحضور الكؤوس وشربوا النخب الأول على شرفى وعلى شرف حضور
صاحب اليوبيل. لقد كانت ساعات مؤثرة للغاية فى الوجدان والمشاعر. وفى
الصباح واصلنا السفر.

(١) *A. Dieterich* (1866-1908) أستاذ فقه اللغات القديمة ومؤرخ أديان، وأستاذ فى جيسن
Giessen وهايلبرج *Heidelberg*.

(٢) *H. Reckendorf* (1863-1923) مستعرب ومن تلامذة نولدكه.

(٣) *F. Schultess* (1868-1922) أستاذ اللغات السامية ويقوم بالتكريس فى كل من كونيجسبرج
Königsberg وشتراسبورج *Strassburg*.

(٤) *F.C. Andreas* (1846-1930) أستاذ اللغة الفارسية وفقه اللغات الشرقية بجوتجن.

مع "بيتسولد Bezold" حتى مدينة كارلسروهه *Karlsruhe*، حيث توقفنا وتناولنا معًا عشاء الوداع. وفي المساء وصلت إلى مدينة شتوتجارت *Stuttgart*؛ هناك تعرفت على القنصل الفرنسي، وعلى الفقيه اللغوى المالى "جبريل فيراند *Gabriel Ferrand*"^(١).

فى يوم ٥ مارس مواصلة السفر إلى ميونيخ *München*. فى المساء كنت مع "هوميل *Hommel*" و"هيل *Hell*"^(٢)؛ وفى الأيام من ٧ - ٩ من الشهر كنت فى فيينا، ومن يوم ٩ - ١١ من الشهر فى بريسبورج *Pressburg*. حيث أقيمت فى مساء يوم ١٠ مارس محاضرة بمنتهى الأدب البروتستانتى عن "جوهر الطوائف فى الإسلام *Sektenwesen im Islam*" (انظر مراسلاتى مع: بوتسونى *Pozsony*). وسأذكر بكل محبة وود ما عايشته من كرم الضيافة فى دار "هورنيانسكرى *Hornyánszky*"^(٣). وقد فاقت المحاضرة التى أقيمتها فى بهو الألعاب الرياضية بالمعهد الأدبى أمام جمهور من الحضور بلغ عدة مئات كل التوقعات. وتلا ذلك إقامة مأدبة طعام على شرفى، دعا إليها الدكتور "دوبروفيتش *Dr. Dobrovics*" - رئيس جالية الكنيسة الإنجيلية. كما قام الأستاذ "ماتسنيك"^(٤) *Maszyik* - مدير أكاديمية الدراسات اللاهوتية الإنجيلية - برفع الكؤوس وشرب النخب على شرفى، ووصفنى "بالنصير الوفى للعقيدة اليهودية". هذا ما يُقال عنى فى أوساط علماء لاهوت بروتستانت

(١) *G. Ferrand* (1864-1935) أحد تلاميذ "باسيه *R. Basset*".

(٢) *J. Hell* (1875-1950) أستاذ فقه اللغات الشرقية فى إيرلانجن *Erlangen*، وهو معروف بإنجازاته فى مجال الشعر العربى الجاهلى على وجه الخصوص.

(٣) *A. Hornyánszky* (1873-1939) عالم لاهوت إنجيلى وأستاذ أكاديمية اللاهوت الإنجيلى فى بريسبورج (المعروفة الآن ببراتسلافا).

(٤) *E. Maszyik* (1857-1927) عالم لاهوت إنجيلى.

وأصحاب هذه العقيدة؛ ولعل القارئ الذى يدرك العلاقات بين اليهود أن يعقد مقارنة فى ذهنه بينها وما لديه من أفكار. ويمكن قراءة كل الأشياء الأخرى على صفحات جرائد بريسبورج بدءاً من يومى ١٠ و ١١ من الشهر وما بعدهما.

٢٠ مارس

تسلمت اليوم عن طريق اتصال أجراه وزير التجارة المجرى شهادة تقدير صادرة عن المعرض العالمى بسانت لويس، وهى مزودة بعناصر زخرفية.

٢٣ مارس

سألقى تقريراً بالأكاديمية عن مكتبة "كاوفمان" *Kaufmann* ^(١).

٢٥١ ٦ إبريل

اليوم تلقيت من جامعة "أبردين" *Aberdeen* دعوة شخصية لحضور احتفالاتها باليوبيل فى سبتمبر؛ وهى دعوة مكتوبة باللغة اللاتينية القديمة على لوحة تذكارية بالخط القوطى القديم، وهى شكل من أشكال التكريم له دلالة خاصة للغاية.

٢٠ - ٢١ إبريل

اضطرت للسفر إلى "آراد" *Arad* و"سيماند" *Simánd* على أثر تلقى نبأ وفاة زوج أختى الطيب "سيجموند" *Siegmund*.

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٦٦.

١٦ مايو

تلقيت الدعوة الخاصة بجمعية تاريخ الديانات بأمريكا لإلقاء سلسلة من المحاضرات في ثماني جامعات (في كل منها ٦ محاضرات) في عام ١٩٠٨ عن تاريخ الإسلام. وسأحصل على مكافأة قدرها ٢٥٠٠ دولار. وأعتقد أن هذا سيمنحني الشعور بالارتياح فأنام نومًا هادئًا هذه الليلة.

من ٢٨ مايو وحتى ٢ يونيو

وجدت في فيينا (ومعى تان *Than*) موفدًا من المجر للتحضير لمؤتمر الزمالة الأكاديمية. وكنت أعلم بخبرتي فيينا بتنامي أجواء الحماسة الأخلاقية؛ ومع ذلك فقد قضيت بضعة أيام طيبة وسط حلقة دولية من الصفوة واستقبالات (من الكونت لانكوروفسكي *Lanckorovsky*) وحفلات عشاء وغير ذلك. وفي إحدى المرات جلست إلى طاولة الأرشيديوق "راينر *Rainer*" ذاتها. وفي المساء كنت في قصر الكونت لانكوروفسكي، والتقيت الأستاذ "ليو *Prof. Leo*"^(١) الذي اتفقت معه على أن أقدم لجمعية جوتنجن معالجتي لكتاب باتشيا المستعار *Pseudo-Bachja* التي نحيثها جانبًا فترة طويلة ولم تخرج إلى النور بعد، وكان يرى أن الجمعية ستقبل الكتاب بكل سرور.

٧ يونيو

ردًا على استفساري أعرب لي "فيلهاوزن *Wellhausen*" في رسالة منه عن "سروره" في تقديم كتابي.

(١) *F. Leo* (1851-1914) أستاذ اللغات القديمة بجامعة روستوك *Rostock* وشتراسبورج *Strassburg* وجوتنجن *Göttingen*.

٨ يونيو

علمت لتوى أن الجامعة (فى جلسة الكلية المنعقدة يوم ١ يونيو) قد قررت أن أكون موفدها فى احتفال أبردين *Aberdeen*، وذكرت فى محضر الجلسة قولها "إن جامعة بودابست ستنال شرفاً خاصاً فى أن أكون ممثلاً لها". لم يخطر ببال بنى عقيدتى مطلقاً أن أنال مثل هذه الامتيازات. إن كل ألوان التكريم والاعتراف بقدرى تترى على من جميع الأنحاء، بدءاً من إسكتلاند وحتى وطنى! وما كنت أتمناه فى شبابى لم يتحقق إلا وأنا كهل. الحمد والشكر والمجد لربى ورب آبائى./

١٠ يوليو ٢٥٢

فى يوم ٣٠ يونيو وضع "فيلهاوزن *Wellhausen*" كتاب "معانى النفس" فى جدول أعماله، فضلاً عن أنه أشرف شخصياً وبذل قصارى جهده من أجل وضعه على بدايات أعمال الطباعة وإخراجه على أفضل طريقة شيقة. كيف إذن اشتهر هذا الإنسان الرائع بسمعة غير طيبة من حيث الصرامة فى التعامل وعداوته للناس!

٢٠ يوليو

دعانى شخص يدعى السيد "ماك كليمونت *Mc. Clymont*" (هكذا قرأت اسمه) لاستضافتى أثناء توقفى فى أبردين *Aberdeen* واستقباله لى بمنزله.

١٠ أغسطس

وردت التصحيحات الأولى لكتاب "معانى النفس" من جوتجن (مطبعة كسترن).

فى هذه الأثناء قمت أثناء وجودى فى "أوفينكل *Auwinkel*"^(١) بإعداد خطبتى التذكارية عن المرحوم الكونت "جيزا كوون *Géza Kuun*" بشكل أوسع وأعم لإلقائها فى الأكاديمية، حيث إن جميع بحوثى المتخصصة تدور دائما فى فلك ما يطلق عليه عند العرب علم "الكلام *Kalâm*". إننى أطمح أن أتوصل لنظام فكر المعتزلة فى تطوره وطبقته.

٢٤ أغسطس

تلقيت على التو رسالة من رئيس جامعة أبردين *Aberdeen* يخبرنى بها أن الجامعة قررت منحى درجة الدكتوراه الفخرية فى الحقوق، وأنهم يعترمون - حين أتواجد أمامهم - تقليدى المنصب وتسليمى الشهادة فى حفل مهيب فى يوم ٢٦ سبتمبر. وبالتالي لدى الآن الدرجات التالية: دكتوراه الفلسفة؛ دكتوراه الأدب؛ دكتوراه الحقوق. ماذا بعد كل ذلك. من بين ذلك أيضاً: سكرتير بالمعاش بالجالية الإسرائيلية ليهود المجر!

٢٨ أغسطس

إلى جانب الرسالة السابقة تلقيت أيضاً خبراً آخر من أبردين *Aberdeen* يرجونى مجلس المستشارين بجامعتها أن ألقى عند إقامة الاحتفالات كلمة ترحيب صغيرة باسم مجلس جامعات النمسا والمجر. وما حدث أننى رفضت بدون تردد طلب جامعات "النمسا والمجر" فى ضرورة إحضار توكيل من رئيس جامعة المجر ليس أكثر. ولكى أقوم بفعل ذلك، تحدثت لى مقابلة اليوم مبكراً مع فخامة رئيس الجامعة، المستشار الخاص الدكتور "لانج

(١) وهى بالمجرية: *Zugliget*.

"Dr. Lang" ^(١) (ومن المصادفات أن رئيس جامعة أباردين يحمل اسم "لانج" أيضًا). كان رأى سيادته أن المتحدث الموكل إليه إلقاء كلمة الجامعات هو عالم اللاهوت "ديمكو" *Demko*. وسوف أرد عليه بأن تقليد جامعتنا يحرص على أن يقوم الأعضاء المفوضين عن الأشخاص بأنفسهم باختيار المتحدث عنهم. ويبدو أنه من الضروري ذكر اسم "ديمكو" لما له رنين جيد في إنجلترا. /

٢٥٣ ٣٠ أغسطس

اليوم سيكون "ياكوب" *Jacob* بيننا في أوفينكل *Auwinkel* قادمًا من إيرلانجن *Erlangen*. وقد زارنى قبله "كوون" *E. Kuhn* قادمًا من (مونستر) و"بوتسنانسكرى" *Poznanski* من (وارسو) ^(٢) و"بولاك" *Pollak* ^(٣) من (براغ). وقد جاء الأخير من براغ مباشرة لكى يأخذ عنى تعاليم الفلسفة العربية اليهودية.

اليوم بلغ ابنى "كارل" *Karl* - الذى قضى ثمانية أسابيع فى جوتجن *Göttingen* وهولندا لأغراضه الدراسية - بلغ ما يصبو إليه من هدف فى الحياة، وأحمد الله على ذلك. فقد تسلم اليوم بكل حماسة عمله فى التدريس مدرسًا تحت التدريب بالمدرسة الثانوية فى ألت أوفن *Altöfen*، حيث أثبت - منذ فترة طويلة - جدارته من خلال تجارب مشرقة. وفى الوقت الذى أنشغل فيه هنا بالتأليف والكتابة، سيتولى عمله فى المؤتمر الأول. اللهم أيد الشاب الجميل بتوفيق من عندك دائمًا أبداً، وأصرف عنه كل سوء من بشر! اللهم أفض عليه بنعمتك وأرزقه حبك وحب الناس له، واجعله راضيًا عما يخصصه.

(١) البارون *L. Lang* (1849-1918) عالم اقتصاد وسياسى، وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) *S. A. Poznanski* (1864-1921) حاخام المعبد اليهودى الكبير بوارسو، وعالم يهودى.

(٣) *I. Pollak* (1874-1922) أستاذ اللغات السامية بالجامعة الألمانية براغ.

بعد كثير من المتاعب والرد عليها وصل إلى أخيراً قرار الوزارة، ومفاده أنه سيتم إيفادى -ومعى الأسقف "يوهان كيس" *Johann Kis* ^(١) - إلى أبردين ممثلين للجامعة: ومن الطبيعى أنهم أخذوا فى الاعتبار أننى تنازلت عن المهمة التى كُلفت بها (٢٨ أغسطس) لهذا الجاهل الذى يظهر أمام الناس بملبسه وزينته أكثر بهاءً وحفاوة من فقير يهودى مثلى يحمل دكتوراه فخرية فى القانون.

فى مساء يوم ١٦ سبتمبر غادرت بودابست. لم أشعر بلوعة فراقى لزوجى وأولادى مثل هذه المرة. وصلت يوم ١٧ ليلاً إلى لاهاى *Der Haag* ومكثت بها لقضاء بضعة أيام مع صديقى "سنوك" *Snouck* الطيب. لقد مر علينا الآن نحو عشرين عاماً لم ير كل منا الآخر، وكانت المرة الأخيرة فى فيينا بمؤتمر المستشرقين الذى انعقد بتاريخ سبتمبر ١٨٨٦. ومنذ ذلك الوقت قام بدور كبير وفعال فى الهند وفى مجال العلم، وهو لم يُمنح لقب الرجل "العظيم" من فراغ.

كان تلاقينا استعادة لزمان الصداقة فى شبابنا الذى نعتز به حيث كان معى هنا فى كل خطوة. أيضاً كنت قد تعرفت إذ ذاك على "دى بور" *de Boer* ^(٢) وكنت أقضى الوقت بأكمله مع هؤلاء الرجال الطيبين، ولم يذهب الوقت فيما بيننا دون تشجيع علمى.

(١) *J. Kiss (1857-1930)* أستاذ بكلية اللاهوت جامعة بودابست.

(٢) *T. J. De Boer (1866-1942)* المعروف بكتابه ذائع الصيت "تاريخ الفلسفة فى الإسلام".

سافرت إلى لايدن *Leiden* لكي أرى "دى خويه *de Goeje*"، وقضيت معه بمنزله، وفي وجود أصدقاء له، اليوم بأكمله حتى الساعة الرابعة، كما رافقتي هو وتلامذته من الشباب الصاعد إلى المكتبة،/ حيث تعرفت على ٢٥٤ "يوينبول *T.W. Juynboll*"^(١) وعلى "ساير *Seyer*"، وإلى دار "بريل *Brill*" وحتى هرتسزون *Herzsohn*. بعد ذلك اصطحبني العجوز الطيب إلى محطة السكة الحديد، وأكد لي أن زيارتي له هذه المرة بمثابة "يوم عيد" عنده.

اضطر أصدقائي أن يتركوا لي فترة قبل ظهر اليوم تحت تصرفي. فالיום يوافق عيد رأس السنة. انتابني شعور بالحنين إلى المعبد اليهودي. توجهت لزيارته وبدأت بزيارة لتمثال "سبينوزا *Spinoza*" المقدس، وهو النبي الموفى لكلمة الرب وبده شعبه. بعد ذلك توجهت إلى المعبد اليهودي الألماني الموجود بحارة فاجن *Wagengasse*: كأنك في بلدك. سؤلت عن بطاقة الدخول، وهي ليست معي، ومن وقت لآخر أرى سدنة المعبد يقصدونني ويقاطعونني أثناء صلاتي بما يفيد بأنه من غير الممكن أن أدخل هنا في يوم كيبور بدون بطاقة دخول لأقف أمام "يهوا". وإذا بأحد الأفراد يقوم بحل بنية القصي عندما تقدم خادم ثالث بالمعبد نحوي ليشير بعدم أحقيتي في دخول المعبد بدون بطاقة. تماكنت نفسي ممسكاً بالمشناة، فقد

(١) *T.W. Juynboll* (1866-1948) من تلاميذ دى خويه وأستاذ في أوترخت *Utrecht*.

جئت إلى هنا للصلاة ولا يمكن أن يخرجني أحد من المكان المبارك. وانتهى ميزان وجداني بعجز محسوس في مشاعري.

في الظهرية كنت مع "دي بور *de Boer*" واصطحبني إلى منطقة "كيرك الجديدة *Nieuwe Kerk*" (الواقعة بوسط الجيتو) حيث قبر أحد علماء اللاهوت. أما ما تبقى من هذا اليوم فقد قضيته مع "سنوك *Snouck*" الذي سأودعه ظهر غد. كان قراره لفترة بعد الظهر أن نتوجه لملكة هولندا في مقابلة خاصة ولمشاهدة لوحة البلاط الملكي.

أبردين في يوم ٢٢ سبتمبر

وصلنا في وقت متأخر من ليلة أمس إلى أبردين *Aberdeen* بعد سلامة اجتيازنا لمضيق "هوك *Hoek*" الهولندي في اتجاه "هارفيش *Harwich*" - ليلاً؛ ومن هنا قضينا اليوم بأكمله في رحلة بالأتوبيس حتى بلغنا محطة السكة الحديد. استقبلني السيد "ماك كليمونت *Mc. Clymont*" بكل دفء للمشاعر، واعتبرني من لحظة قدومي في هذا اليوم الأول لنزولي عليه ضيفاً أننى أحد أصدقاء منزله. والسيد "ماك كليمونت *Mc. Clymont*" أحد العلماء المتبحرين في العهد الجديد، وحصل من خلال أبحاثه على درجة الدكتوراه في اللاهوت، وهو من خلاء "كلفن *Calvin*" الأسكتلندي، ولكن صاحب سماحة ونقاء قلب تجاه الضيف اليهودي.

بعد وصولي بيوم واحد حضرت قداساً في كنيسة "هولبورن *Holborn*" واستمعت إلى خطبة الوعظ. ولو أنهم استغنوا عن عملية صلب المسيح التي أراها غير واجبة، لكان من الجائز لنا أن نصلى ونرتل معهم. فكيف لي أن

أتناول في كل مرة وأرى أمامي اللافتة المكتوب عليها "من أجل المسيح". فهذا الطعام لا بر فيه لأنه - وفقاً لمفهوم العقيدة الإسلامية- "ذبح لغير الله". ولكن ما الذى سيعود على من إله كل منهما! إن شيمة هؤلاء الناس الطيبة والإخلاص لضيوفهم. لقد ضمنتني "الحاخامة" إلى صدرها على نحو خاص، وستقوم اليوم بعمل جولة لى بأباردين،/ وستبين لى سوق السمك الفريد، ٢٥٥ وسترافقنى فى زيارة نائب رئيس الجامعة الذى سأقدم نفسى له، وينتهى الأمر بها بمرافقتى على ظهر السفينة فى عند ملاعب الجولف، حيث سأضطر أن أشاركها هذه اللعبة الأصيلة. أى عناية ربانية على البحر!

فى المساء تناولت طعام العشاء لدى أستاذ التشريح، الدكتور "رايد Dr. Reid" فى صحبة أحد الأكابر - السير... "إيفان Sir... Evan" - وهو مدير متحف أشموليان Ashmolean، ووالد العالم الشهير بجزيرة كريت. وجدت اهتماماً بالغاً بشخصى من قبل كل هؤلاء الناس، وسأكون محط أنظار هذا المجتمع فى أقرب وقت حين أتحدث.

٢٥ سبتمبر

بدأت الاحتفاليات، على المستوى الكنسى والأكاديمى. وقد أودعت تفاصيل كل ما يتعلق بهذا الحدث بملف المراسلات الخاص بأباردين. ألقى الدكتور "كيس Dr. Kiss" خطبته باللغة اللاتينية، ولاقت استحساناً كبيراً من الجميع. كانت "اللغة" التى كتبت بها هى كل ما احتوته من أهمية، وأما المضمون فانتسم بالسطحية والتظاهر بالورع. جاء فى خطبته قوله إن جامعتنا "بودابست" لديها الهدف ذاته الذى يبتغيه أساتذة جامعة أباردين: إن الدين والعلم يمثلان وحدة واحدة، ونقرأ فى أمثال الكتاب المقدس "مخافة

الرب رأس المعرفة^(١). كلاهما من دعائم الكنيسة الكاثولوكية والبابا، وهناك الكثير مما يشبههما. ومن الأشياء المميّزة أننا صعدنا إلى خشبة المسرح في الوقت ذاته مع النمساويين على إيقاعات موسيقى "حفظ الله" فما الذى يدعونى للتراسل مع ذلك ونحن فى مشهد يفصلنا عن النمسا! ونتيجة ذلك أن جاء العطف بـ "و" بين النمسا والمجر. على أن الدكتور "كيس *Dr. Kiss*" كان لديه آلاماً أخرى. فممثل البابا يرمز لإيطاليا. كانت هناك خروقات لقانون الدولة والكنيسة.

٢٦ سبتمبر

تسجيع حافل للشباب اليهودى القادم من، شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* لحصوله على درجة الدكتوراه الفخرية فى القانون. كل ما يتعلق بتفاصيل هذه الاحتفاليات وغيرها أودعتها بملف المراسلات الخاص باباردين. كم كنت أشعر بالارتياح النفسى وأنا أرتدى روب القضاة وعلى رأسى القبعة والقنسوة وأسير فى الشوارع متمهلاً، ومعتلياً فى هذا الموكب المناصب الرسمية (وأيضاً بسطت الموائد فى الطريق)!

يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر

غادرت أباردين، واستقلنى "ماك كليمونت *Mc. Clymont*" وعائلة "بيترسون *Petersons*" القادمة من أدينبورج *Edinburgh* - وهم من الضيوف الذين أقاموا معى فى الفندق ذاته - إلى محطة القطار. لقد أتيت إلى إدينبورج

(١) الأمثال ٧، ١.

لكى أكرس يوم كيبيور وفقاً لطريقتى؛ أكتب الآن مع نهاية أحد الأيام الصعبة. ذهبت بالفعل فى المساء قاصداً المعبد اليهودى الواقع بشارع جراهام لأصلى فى مساء ليلة يوم كيبيور، وأيضاً لأشارك أثناء فترة قبل الظهر وأتمتع -على قدر ما تسمح به نفسى من مشقة- فى الحياة الدنيوية الصاخبة حيث يقام لأهل البلد قداس الكاهن الأعظم. وبين هذا وذاك قضيت وقتى فى مشاهدة ٢٥٦ المدينة البديعة،/ ثم اقتصررت فى غرفتى الصغيرة على القنوات فى الصلاة حتى شعر بدنى فى المساء بحاجته إلى السكون والراحة، وهذا ما فعلته مع جماعة الأستاذ "دايسمان *Prof. Deissmann*" الأقل جوعاً.

عام ١٩٠٧

٣ فبراير

بوازع من الخبرات الجادة للغاية مع تلاميذ مدرسة الحاخامات، شرعت فى كتابة رسالة إلى "ريباخ *Rebach*"، منكراً لذاتى إلى حد ما، راجياً إياه لقاء للتحدث معه عن الأوضاع السيئة السائدة. وها هو يرد على بأسلوب أكثر فجاجة، قائلاً إنه يمتنع عن أى لقاء معى. لقد اعتاد على طريقة تعامل أخرى؛ فهو يرفع شعار الانتخاب: فليحيا الرجل الذى لا يطرق أبواب نصيحة المؤمنين بالعدل، ولا يناصر إلا الأثمين. دعهم وشأنهم.

٨ إبريل

إن أداء مهامى الوظيفية رئيساً للنخبة فى الأكاديمية جعلنى قريباً من تأمل الأشياء بجدية. اليوم كنت قادراً على أن أوجه خطاب الترحيب للمراقب

العام الإصلاحى "باكساي" *Baksay* ^(١) بصفته عضوًا عاملاً. فالشباب اليهودى الذى خرج من شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* وخلق لتوه رداء العبودية الذى كان يرتديه لدى "كون" *Kohn* - ووضع "تصورات" لهذه الحثالة - قادر على أن يفتلح أسقف الكنيسة الإصلاحية من عمادة الأكاديمية.

٣٠ إبريل

فى اجتماع الجمعية العمومية السنوى للأكاديمية اختارتنى النخبة الأولى بالإجماع - مرة أخرى - رئيساً للدورة القادمة ومدتها ثلاث سنوات.

٥ مايو

ألقيت اليوم ظهراً أمام جمهور من صفوة المجتمع (وبحضور أرشيدوق وحرمه) فى الجلسة السنوية الاحتفالية خطبة تأبين لصديقى المرحوم الدوق "جيزا كوون" *Graf Géza Kuun* ^(٢). شعرت بأن الخطبة نالت الإعجاب العام.

٨ مايو

تلقيت رسائل بالغة الامتنان ومرفهة المشاعر من البارونة أرملة الدوق "كوون" ومن أطراف آخرين بالعائلة يعربون فيها عن شكرهم لى على

(١) *A: Baksay (1832-1915)* كاتب ومترجم، وأسقف إصلاحى فى كونسنتميكلوس

Kunszentmiklós

(٢) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٧٦.

خطبتى المليئة بالمشاعر المؤثرة وكلمات التتوير وحسن الخلق. وسيزيد من شعورى بالرضا والقناعة أن هناك آخرين أكفاء ممن توفرت لهم قراءة هذا العمل المطبوع، سيعبرون بكل الحب عن الشيء ذاته./

من ٢٧ مايو وحتى ٢ يونيو ٢٥٧

كنت فى فيينا مبعوثاً من الأكاديمية لحضور الاجتماع العام الثالث لاتحاد الأكاديميات.

٨ سبتمبر

تهيانا لاستقبال الاحتفالات برأس العام الجديد؛ وبذلك تقرب أيضاً نهاية فترة الإجازات الصيفية، حيث قضيناها بمنطقة فيلاجياتور Villagiatur الواقعة فى مقاطعة أوفينكل Auwinkel. ولا يفوتنى فى هذا الصدد أن أتوجه بنظرى إلى ربى بالحمد والشكر له على ما وهبه لى من نعمة العافية فى بدنى وعقلى تجعلنى قادراً على مواصلة الحياة والعمل.

لقد استطعت العودة إلى العمل فى الصيف. فى يوم ٢٢ يونيو تمكنت من إنهاء محاضراتى لأمريكا حتى آخر نقطة ختامية: ستة فصول غنية بالمضمون تناولت بها تاريخ تطور الإسلام حتى خارت قواى^(١). بعد ذلك اتجهت إلى تأليف أعمال أخرى ستنتشر قريباً فى مجلات متخصصة. وفى هذا الإطار قمت بإنجاز بعض الأشياء المتبقية من محاضراتى. وحيث إننى

(١) المرجع السابق، تحت رقم ٣٠٦.

تمكنت من العودة إلى العمل والإنتاج، فلا يسعنى إلا أن أتوجه إليك يا إلهى
بالحمد والشكر لك على ذلك.

ورغم ذلك كان هناك بكل تأكيد بعض المنغصات لنفسى أثناء هذه
الفترة الصيفية. فقد تنامى لعلمى عن طريق زائر أجنبى أن عصابة "باخر
Bacher" قامت بتغذية جميع الجيتوهات بالعالم بما يكفى من تلطيخ سمعى
والنيل من شرفى، بدءا من الاغتياب والقذف وحتى نشر أكاذيب منحلة،
بحيث أكون من خلالها - على أقل تقدير فى نظر بنى عقيدتى - محل احتقار
وازدراء. فقد أشاعوا عنى كذبا وافتراء أننى أطعن - فى أحاديثى بالأكاديمية
- فى حق التلمود (لكى أحول دون إنتخاب المبجل "باخر")، وقاموا بالترويج
لهذه الأكذوبة المنحلة فى جميع أنحاء العالم. وبعد ذلك قالوا: أننى استقبلت
مديرا كانت الحكومة قد أقالته من منصبه - على أثر سلوكياته المعادية
للسامية - وأننى قمت بتكريمه وأقمت له الولائم فى منزلى!!! ولم يكتفوا
بذلك، فقد زيفوا الحقيقة ذاتها التى حكيت عنها بتاريخ ٣ فبراير من هذا العام
لتستغل ضدى، وتولت عصابة من المتطفلين من الرجال والنساء بلصق
قصص من حكايات اللصوص الحقيقية بشخصى وقاموا بإرسالها لجميع
أنحاء العالم. وتترى هذه الأكاذيب على أننى قادمة من برلين تارة، ومن
باريس تارة أخرى.

فى هذه الأثناء ظهر بالأسواق فى شهر يوليو كتابى "معانى النفس"،
وجاعنى من السلطات الرسمية لجامعة كامبريدج رسائل تهنئة تذكر فيها
إهداء كتاب لى لجامعة كامبريدج والأيام المليئة بالفخر والاعتزاز فى مايو
عام ١٩٠٤.

الأول من ديسمبر

اليوم قام بنو عقيدتي ببودابست بانتخاب من يمثلونهم من نواب؛ وفي قوائم الانتخابات نعتوني بالوصف "سكرتير جالية مقال للمعاش". وهذا لون من ألوان "التحريض على العنف تجاه من يراد التلطيح بسمعته". لم ينتقوا من بين جميع ما حصلت عليه من ألقاب سوى هذا اللقب البغيض الكريه/ الذى يحمل فى طياته جميع الذكريات السيئة فى حياتي. وقد منحوني هذا اللقب فى قوائمهم الرسمية، وتجاه هذا المستوى لا يوجد شيء آخر أكثر دلالة سوى حقيقة القول، إنهم لا ينظرون عند اختيارهم لعبيدهم إلى سنوات عمرهم التى أفنوها فى خدمتهم. فماذا فعلوا بى بعد أن قضيت ثلاثين عامًا فى خدمتهم عبدًا طيعًا لهم.

٩ ديسمبر

اليوم قرأت نبأ وفاة الملك "أوسكار Oskar" - ملك السويد - على صفحات الجرائد، وصارت زوجته وحيدة. لقد كانت مثل الحية الرقطاء التى أتطلع إليها لسنوات عديدة حينما كنت أتعرض للدغات الأشرار، فيصيبني جرح أو يسرى السم فى بدنى. كانت روحى تتغذى عند تذكرى لنظرتها المليئة بالعطف والحنان التى أولتني إياها فخامتها المبجلة فى يوم من الأيام. تاه فكرى كأنى أصبح فى بحر تلك الذكريات لأوسى نفسي. فما الذى قدمته لى هذه الفكرة على مدار تسعة عشر عامًا مضت! والآن هوت شجرة البلوط من عل، ولكن أبدًا لن تموت حتى آخر العمر ذكرى الأمير العظيم النبيل.

١٣ ديسمبر

بعد تبادل خطابات سابقة مع "كرسماريك" *Krcsmárik* ^(١) في سراييفو، تناقشت اليوم مع "ثالوتشي" *Thallóczy* ^(٢)، رئيس ديوان وزارة المالية، ثم قُدم لي طلبًا رسميًا بشأن تكلفي بتأليف كتاب تعليمي خاص بتاريخ الأدب العربي ^(٣) للعامين الأخيرين لطلبة المرحلة الثانوية العليا في البوسنة، وملحق بالطلب استبيان لنحو ١٠ - ١٢ نقطة. وهذا الطلب المقدم لي باسم الوزير "ف. بوريان" *v. Burian* (وهو من أصدقائي في مرحلة الشباب) يُعد شرفًا عظيمًا لي، ولهذا قبلت المهمة.

عام ١٩٠٨

تلقيت الترجمات الإنجليزية لمحاضراتي على التوالي. إنه عمل بئيس، لاسيما ذلك الذي حصلت عليه من برلين بواسطة من "يهودا" *Yahuda*. علاوة على ذلك فإن المرض قد عاودني بشدة، ولا أطيق أى لون من الإثارة أو التعب، بل يكفيني أداء عملي المعتاد. الآن أتدبر الأمر ما إذا كنت بسبب الاهتمام بصحتي أن ألغى رحلتي إلى أمريكا في اللحظات الأخيرة، إذ إن المقارنة بين العمل الإنجليزي غير المتقن بعملي في الشكل والمضمون عمل أصلي تسبب في شعوري بقلق مفرغ، أتأكد منه عند قيامي بهذه المقارنة. ولكنني لا أقوى على ذلك، فإنني أتألم كثيرًا عندما أقدم عملي الجميل بإثبات ٢٥٩ ذلك من سطر إلى سطر. كيف أحسن تدبير ذلك الأمر؟

(١) *Krcsmárik* (?-1857) عالم في القانون.

(٢) *L. Thallóczy* (1854-1916) مؤرخ ومسؤول أرشيف بفيينا.

(٣) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٣٠٠.

٦ - ٧ إبريل

جاء من هايدلبرج لزيارتنا "بيتسولد Bezold" وترافقه حرمه.

٢٣ إبريل

لم أغادر فراشي أسبوعاً كاملاً على أثر مرضي الشديد. هكذا قضيت أيام عيد الفصح اليهودي.

اليوم بعثت زوجتي برسالة إلى أمريكا تبلغ فيها إلغائي المؤكد للرحلة. جاء لزيارتنا صديقي "كارل بوده Karl Budde"، وأظهرت له جمال مدينتنا وهامات علومنا. وفي يوم الاثنين شاركني تناول العشاء بالأكاديمية.

١٠ مايو

هلت علينا منذ يوم ٦ من هذا الشهر نسيمات الصيف في أوفينكل *Auwinkel*. وفي الأيام الأولى من الشهر تلقيت رسالة من أكاديمية العلوم الملكية بأمستردام تفيد بأن هيئة العلماء هذه الأكاديمية قد اختارتني عضواً بها في اجتماع جمعيتها العمومية المنعقدة بتاريخ ١٣ إبريل. وبعثوا لي بشهادة رسمية بهذا الأمر بعد موافقة الملكة على ذلك.

١٥ يونيو

اليوم توليت رئاسة الجلسة العمومية للأكاديمية نيابة عن فخامة السيد "بيرزيفيتشي v. Berzevicy".

مع نسمات الصيف المنعشة، وقيامي بدراساتي في هدوء، تلقيت من جديد صفقة من بنى عقيدتي المخلصين أصحاب الإبداع اللغوي، كنت قد تقدمت بطلب التماس بشأن إعفائي من تدريس محاضراتي في فترة غيابي للسفر إلى أمريكا. كل هذه الأمور تسير من خلال الوزارة. فإذا "بأعضاء هيئة التدريس" يتقدمون للوزارة باقتراح - دون علمي أو سؤالي عن ذلك - يطلبون فيه تعيين نائب عني في التدريس في الشهور من سبتمبر وحتى يناير، وأما النائب المقترح بالإسم (حصرياً) فهو الحاخام الدكتور "فينيتيانر Venetianer"^(١)، كما طلبوا إيقاف مخصصاتي المالية عن هذه الفترة الزمنية وتحويلها إلى النائب المذكور. وأيضاً وافقت على ذلك بالفعل الإدارة المالية - وكل شيء من خلال الوزارة. لقد أراد "الزملاء المدرسون" الأنقياء - وعلى رأسهم المحترم "ريباخ Rebach" - / من خلال هذا الفعل أن يحصلوا ٢٦٠ على مستند لمساواتي بأى حاخام مرغوب فيه ولو كان غير مؤهل. ولو قرأ أى إنسان هذه الرسالة فلن يصفه إلا بالحقارة والوضاعة.

ولو قبلت البقاء في ظل هذه الأوضاع، فسيكون مرجع ذلك ما أسداه لى أصدقائي من نصيحة بألا أروضخ لممارساتهم تجاهي بالمكائد لإخراجي من دائرة النفوذ التي أسديت لها نفعا كبيراً، وسأنقذ بعض الأشياء من الضرر، ذلك الضرر الذي يحرض عليه هؤلاء الحثالة المبدعون في الحيل. ومن الأفضل أن أنتظر حتى يبعدونى على نحو مفصوح، ثم أشرح - من أجل الصالح العام

(١) L. Venetianer (1867-1922) حاخام في "أوجيست Ujpest" ومؤرخ، ومؤرخ للأديان.

- الأوضاع بلا تحفظ على المستوى الرسمي، وأكشف المستور أمام "الرأى العام". ولكن هل أستطيع القيام بتنفيذ النقطة الأخيرة فعلاً؟

فى هذه الآونة لازمى المرض، ولم يفارقنى الكدر من خلال ممارسات أفراد من عائلتى المقيمين بناحية كيسثيليه *Keszthely* حيث إنهم يشلون قدراتى بالكامل ويعكرون صفو حياتى. لم يقف إلى جوارى مرة أخرى سوى أخى الدكتور "كون *Dr. Kohn*" الذى أثبت أنه بمثابة ملاك مبعوث لى من الله لحمايتى بتقديمه خدمة جليلة لنا، إذ وقانا من وقوع كارثة.

٢٩ يوليو

أجريت الاستعدادات لانعقاد مؤتمر المستشرقين فى كوبنهاجن، الذى سأشارك به بصفتى مبعوثاً لأكاديميتنا. قمت بإعداد موضوع بحثى لقراءته على الحاضرين بالشعبة التى سألتحق بها، وعنوانه "عناصر الأفلاطونية الجديدة والغنوصية فى الأحاديث النبوية القديمة *Neuplatonische und gnostische Elemente im alten Hadith*"^(١). وفى الأسابيع الأخيرة قمت بإعداد الملحوظات الخاصة بالنص الألمانى "للمحاضرات"، وذلك احترازاً "لعدم الاكتراث" بظهورها فى الطباعة.

٣٠ يوليو

فى المساء زارنا السيد "ماكس هرتز بك *Max Herz-Bey*" قادماً من القاهرة. وكانت لى - على مدار أسبوع من هذا الشهر المنصرم - مراسلات

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٩٧.

مع المستشار البولندي الكبير بديوان القصر الملكي - الحاخام "د. ه. م."^(١)،
الذى تملك زمام خصميه - المتوفى "جلزر Glaser" والحي "هوميل
Hommel"، فركعا نادمين على ما ارتكباه فى حقه من إثم. وكان قد بعث لى
برسالة فى هذا الشأن، يلقي فيها على باللوم زاعما أننى دائما ما أقف قى
صف خصومه"، وفى رسالة أخرى شرح فيها هذه الأكذوبة، وذكر بها أن
موقفى يتحقق عمليا داخل "بنات أفكارى". إنه فى هذا الصدد بمثابة قارئ
للقوش المحفورة وقارئ للأفكار. وحقيقة الأمر أننى كنت إذ ذاك أعمل على
تهذية خصومه وكبح جماحهم، ولكن ما أثار حفيظة المغرور "بولاك Polak"
أننى لم أنفخ فى نفير الشهرة حين خرج علينا بأشعاره التى تهتز لها الدنيا
وأخرج للعالم اكتشافات حمورابى، وأننى لم أرحب قط باكتشافاته. وفى
الوقت ذاته قذم "بولاك" الماكر ورقة لدى أكاديمية فيينا ضدى،/ استنكر فيها ٢٦١
أننى لم أؤكد فى مقالى المنشور بمجلة "جلوبوس Globus" عن "موزيل
Musil"^(٢) خدمات الأكاديمية الجليلة التى قمتها بصدد أعمال موزيل، وهو ما
يعنى - كما يتبين من بطاقته المؤرخة بيوم ١٦ يونيو - عدم ذكر الحاخام
"د. ه. م." فى مقالى وتمجيده لموزيل. ولذلك - كما يتضح لى الآن - قام
باستنكارى وممارسة النيمة والوشاية بى لدى أصحاب الأمر هناك.

٣ أغسطس

سفرى من بودابست إلى ساسنيتس Sassnitz على جزيرة ريجن Rügen
حيث مكثت بها إلى يوم ١٢ من الشهر للسفر منها نحو كوبنهاجن لحضور
مؤتمر المستشرقين. وفى المؤتمر التقيت وأصدقائى القدامى من جديد:

(١) D. H. Müller

(٢) انظر B. Heller، مرجع سابق، تحت رقم ٥١٨.

أصدقاء جامعة كامبريدج، والبارون "أوبنهايم *Oppenheim*"^(١)، و"ماكس بيرشيم *Max Berchem*"، و"هارتمان *Hartmann*"^(٢)، و"باسيه *Basset*"، و"إدوارد ماير *Ed. Meyer*" وآخرين، كما تعرفت على أصدقاء جدد، وأخص منهم بالذكر العالمين اليسوعيين "شيخو *Cheikho*"^(٣)، و"لامينس *Lammens*"^(٤)، وقد أعربا عن عظيم تقديرهما لى. وقد وقع الاختيار على لأن أترأس شعبة الإسلام، الذى كان يرأسه حتى الآن العالم "دى خويه *de Goeje*" الذى تغيب عن المؤتمر الذى يرقد على فراش الموت لمرض لا شفاء منه. ويبدو أن هذا الاختيار قد أغضب بلاط فيينا - "آل كارابتشيك *Aal Karabaček*"؛ فقد كان تصرفه تجاهى يتسم بالبرود. ومن دواعى سعادتى جاعتى - فى إحدى الاحتفاليات - بحة الصوت التى تحدث لى أثناء المؤتمرات، ولكن - رغم ذلك - نالت محاضرتى عن "عناصر الأفلاطونية الجديدة والغنوصية فى الأحاديث النبوية القديمة *Neuplatonische und gnostische Elemente im alten Hadith*" إعجاباً كبيراً.

أود أن أذكر من بين الأشخاص الذين اقتربت منهم فى هذا المؤتمر المبعوث الألمانى فى المغرب، الدكتور "روزين *Dr. Rosen*" الذى أبدى علامات تقديره لى. وكذلك أعرب أصدقائى من كوبنهاجن أنفسهم عن تقديرهم لشخصى، فقد أبدى رئيس المؤتمر السيد "تومسن *Thomsen*"^(٥) كل

(١) *Max von Oppenheim* (1860-1946) هو الذى جمع نقوش عربية من سوريا وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى.

(٢) *Max Hartmann* (1851-1918) يقوم بتكرس للغة العربية منذ عام ١٨٨٧ بالسيمينار الشرقى ببرلين.

(٣) *L. Cheikho* (1859-1927) مستعرب فى بيروت.

(٤) *H. Lammens* (1862-1937) أستاذ بجامعة سانت جوزيف ببيروت.

(٥) *V. L. P. Thomsen* (1842-1927) عالم لغوى فى كوبنهاجن.

ألوان الاحترام والمجاملة نحوى. كما قام "فرانتس بول *Frants Buhl*"^(١) بتوجيه الدعوة لى ولآخرين من الصفوة على العشاء، واختصنى بكل أساليب الترحيب ووجب على توجيه الشكر لهؤلاء السادة فى اقتراحهم بتوجيه الدعوة لى على المائدة الملكية فى يوم ١٨ أغسطس. جلست إذ ذاك بين السير "شارلس لايل *Sir Charles Lyall*" وفخامة السيد "مول *Mohl*"، وهو ابن أخ "يوليس مول *Jules Mohl*" بحيث كانت جلستنا جميعاً وجهًا لوجه من الملكة وبعض الأمراء.

وأثناء قيامنا برحلة ترفيهية إلى فريديريكسبورج *Frederiksborg* وماريا ليست *Marya List* اقترب منى صاحب دار النشر (فينتر *Winter*) بمدينة هايدلبرج *Heidelberg* واتفق معى على إصدار محاضراتى الأمريكية. لم يقف موقف العداء تجاهى أثناء انعقاد هذا المؤتمر سوى فريق غزو من الحاخامات ممن وطموا أنفسهم هنا أكثر من أى مكان آخر وأظهروا نزعة انفصالية غريبة المنحى عند إقامتهم مأدبة كبرى لتناول الطعام المقدس وفقا للشريعة اليهودية. وفى يوم ٢٠ من أغسطس سارعت بالعودة إلى وطنى حاملا معى أفضل الانطباعات وأجل الذكريات، ولم أتوقف للمبيت أثناء عودتى سوى مرة واحدة فى ميكلنبورج شترليتز *Mecklenburg Strelitz*. فقد استدعيت من قبل سكرتير الدولة "توت *Tóth*" ومستشار الشعبة السيد "نيمينى *Neményi*" فى بلدى للحضور والتحدث معهما بخصوص مسألة تتعلق بابنى كارل *Karl* وأخذ الوعود منهما، وهما جديران بتحقيقها ما لم يتأثرا بالفكر

(١) *F. Buhl* (1850-1932) أستاذ كرسى بجامعة كوبنهاجن، عالم لاهوتى ومستعرب.

الرجعى المسيطر على المبنى الذى يعملان به؛/ فهذا مقر ينطبق عليه ما
ذكر فى سفر الأمثال "ذكر الصديق للبركة، واسم الأشرار ينخر"^(١)، فلا
يخرج منه إلا ما هو كاذب وما هو ظالم.

٢٤ - ٢٥ سبتمبر

جاء لزيارتنا فى أوفينكل *Auwinkel* صديقنا "سنوك" *Snouk*. وهذه
الفترة جلبت علينا السعادة فى يومين.

عام ١٩٠٩

١٥ يناير

أدركت اليوم دلالة الشرف الذى نلته فى شهر يوليو من العام الماضى
فى تسميتى عضواً بالأكاديمية الملكية للعلوم بأمستردام، لأن على أساس ذلك
تم إبلاغى باختيارى عضواً شرفياً بالجمعية المجرية الفنلندية فى هلسنغفورس
Helsingfors. فى يوم ٢٧ من مايو كنت قد قمت برحلة إلى روما لحضور
اجتماع لجنة المبعوثين الخاص باتحاد الأكاديميات. وأتاح لى هذا الاجتماع
مرة أخرى فرصة التواصل مع أفضل ممثلى العلم فى الوقت الراهن. وفى
الوقت ذاته قضيت أسبوعاً كاملاً فى التعرف على أغرب معالم المدينة
الخالدة؛ حضرت بها إذ ذاك أحد عيد العنصرة فى كل من كنيسة سانت بيتر،

(١) الإصحاح ١٠ الآية ٧.

وكنيسة اللاتيران *St. Peter/Lateran*. كما أن إقامتى بالمدينة كان لها أهمية خاصة عندي، حيث كان لى لقاء شخصى مع "ليونه كيتانى" ^(١) *Leone Caetani*، وهو واحد ممن يعشقون بشدة علمى ومن المبجلين له. وقد أتاحت لى فرصة التحدث معه حديثاً مطولاً خلال الدعوة التى وجهتها الكونتيسة "لوفاتيللى *Lovatelli*" لحضور عشاء عائلى يوم ٣ يونيو. والمراسلات التى كانت فيما بيننا توضح تفاصيل كثيرة خاصة بهذا اللقاء.

فى صباح اليوم ذاته استقبل الملك أعضاء الوفد فى المقر الرسمى للدولة. وفى يوم ٥ من الشهر توجهت ومعى "سالمان *Salemann*" إلى أسيسى *Assisi* حيث قمنا أيضاً بزيارة بيروجيا *Perugia* لكى نصل إلى بودابست معاً يوم ١٠ يونيو ويقضى معنا يوماً فى أوفينكل *Auwinkel*.

٢٩ يوليو

على أثر مرض ابنى كارل *Karl* وقلقى عليه اضطررت للسفر إلى جوتتجن *Göttingen*، وأحمد الله أننى حين وصلت وجدته فى مرحلة النقاهة. كما استطعت أن ألتقى بالمدينة "قيلهاوزن *Wellhausen*" لبضع ساعات.

١٥ أغسطس

ربطت بشكل جوهري بين قيامى بإجازة الصيف وضرورة إعداد المدونات والملحقات الخاصة بمحاضرتى عن الإسلام، نظراً لأن الناشر لها "وينتر *Winter*" فى هايدلبرج يلح على ولا يرغب بكل أسف فى التأخير أكثر

(١) *L. Caetani* (1869-1935) مستشرق إيطالى، وباحث فى تاريخ الإسلام.

من ذلك. / بعد ذلك انتهيت من جملة محاضرات جديدة، وبخاصة ما نشر
حديثاً من أجزاء كتاب "إبن سعد *Ibn Sa·d*" الغنية بمادتها للغاية وآمالى
القالى *Amāl al-Kāl* ^(١).

١١ سبتمبر

مكثنا فى أوفينكل *Auwinkel* حتى ينتهى وقت الأعياد الكبرى. وقد أقام
بنو عقيدتى الذين لم يغادروا المدينة مثلنا - كما فعلوا قبل عامين - قداساً
تقليدياً فى أيام العام الجديد وفى يوم كييور. بالأمس، طلبوا منى أن أكون
إماماً لهم فى صلاة نهاية عيد الغفران "*Ne·ilah*"، وطبيعى لا يصح أن
أرفض.

٤ أكتوبر

اليوم بداية جلسات الأكاديمية عقب إنتهاء الأجازات. ونظرًا لغياب
الرئيس تحتم على أن أجلس فى مقعد الرئاسة فى الجلسة الأولى المكتملة.
ولا أعتقد أن مؤسسى الأكاديمية سيعتبرون هذه الحالة مسموحاً بها.

١١ نوفمبر

وقفت أمام نعش "باول جيولاى *Paul Gyulai*" - صديقى القديم المحسن
والفاعل للخيرات - أستدعى ذكريات شبابى المعذب التى أخذت تتراءى أمام

(١) انظر جولدتسيهر: محاضرات عن الإسلام. هايدلبرج ١٩١٠ - ٧٨، ١٨٩، ٢٦٠.

عينى، إذ تربطنى بهذا العجوز الطيب منذ عام ١٨٧٤ علاقة حميمة، ولى أن أعتر بتقديره لى الذى تلقيت كثيرًا من الأدلة عليه بصفتى مساعدًا فى مجلته "شملة البودابستية Budapesti Szemle"، كما أعتر باحترامه لى.

كان هذا العام بحق عام وفاة أعز أصدقائى: فوللرز *Vollers*، دى خويه *de Goeje*، فرينكل *Fränkel* وغيرهم.. جميعًا انتقلوا إلى الدار الآخرة. ومن بين هؤلاء كان حزنى الشديد على العجوز الغالى "موزيس بلوخ *Moses Bloch*" الذى حُمل إلى قبره يوم ٢ أغسطس. وكان سفرى إلى جوتجن حائلًا لحضورى تشييع جنازته. وها هى عائلته تطلب منى أن أقوم بمراجعة النص التوراتى الذى سيُكتب على شاهده؛ إنهم لم يرغبوا أن يعهدوا بهذه الوثيقة الدالة على البر لرجال دائرة الأكاذيب الزائفة الخاصة بالمدرسة اليهودية الأم التى كان للرجل العجوز أثره البالغ بها على مدار ثلاثين عامًا، ثم قاموا بإزاحته من الدار بأدب. بالأمس قمت بعمل النص وإرساله.

٢٤ نوفمبر ١٩٠٩

بالأمس تلقيت - عن طريق "سودربلوم *Söderblom*"^(١) فى أوبساله *Upsala* - دعوة باسم الجامعة الأهلية بها، تحمل طلب الجامعة فى: (أ) أن ألقى محاضرة فى شهر سبتمبر من العام القادم باستوكهولم بمناسبة الاحتفال السنوى للجمعية العلمية، ثم: (ب) عقب ذلك مباشرة إلقاء ثلاث محاضرات عن الإسلام بجامعة أوبساله *Upsala*.

(١) *N. Söderblom* (1866-1931) أسقف فى أوبساله *Upsala*، مؤرخ أديان.

٢٠ - ٢٩ ديسمبر

كنا في لوفرانا / *Lovrana*

٢٦٤ عام ١٩١٠

٢٣ يناير

ارتباطا بالدعوة السويدية بعث اليهود باستوكهولم دعوة أخرى حملها إلى الحاخام الأستاذ الدكتور "كلاين *Prof. Klein*" يطلبون فيها أن ألقى في الوقت ذاته محاضرة ذات مضمون يهودي؛ "وسأحصل على مكافأة قدرها ٢٠٠ كرونة على الأقل".

٢٢ فبراير

اليوم اضطررت أن أبعث برسالة تتضمن شيئاً من الجراءة والصفافة. تعلق الأمر بامتحان الحاخامات، وكان المرشح السيد "شبيجل *Spiegel*"^(١) يفوق كل معايير الجهل، وقدم في الامتحان الدليل على أمية جامعة، بل إنه يجهل أوليات الأشياء تماماً؛ فلم تبلغ معارفه عن الموضوع الذي قمت بامتحانه فيه بعد مستوى تعليم متوسط لأحد الأشخاص العاديين من غير اليهود. وعلى غير عادتي ونزعتي وجب على أن أعلن وجهة نظري فيه وأبين أنه غير كفاء على الإطلاق. ومع ذلك وجدت الجالسين معي في اللجنة، ممن يتصفون بالسوء وعدم الضمير، وعلى رأسهم أحد الحاخامات - وهو "هيفيزي *Hevesi*"^(٢) - وهو بالمناسبة لا يملك سوى أهلية المرشح،

(١) *A. Spiegel (1883-1944)* حاخام في إسترجوم (*Esztergom (Gran)*).

(٢) *S. Hevesi (1868-1943)* حاخام، فيما بعد كبير الحاخامات ببودابست، وأستاذ بمدرسة الحاخامات الإقليمية ببودابست.

يعلنون عن عدم كفاءة صوتي، ويمنحون الرجل الشاب الجاهل شهادة الدبلوم على النقيض من حكمي عليه، بل ويشرعون أيضًا في إتمام تكريسه(!!!). أما زعيم هذه الضربة فكان بطبيعة الحال العجوز الصفيق المحتقن به "ريباخ" *Rebach*.

٥ مارس

تلقيت اليوم رسالة تهديد وقذف من جانب يهودي مجهول، يفهم منها أن الأوباش يعتزمون أن يضعوني في سلة أعداء السامية لكي يدمروا مكانتي بالجامعة. ولا أشك في أن هذه العصابة التي تملك المكائد والحيل قادرة على فعل وتنفيذ هذا الاعتداء الغادر. وتخميني هذا لا يخدعني لو سلّمت بأن هذه المؤامرة قد خرجت من عقل "جاعون بلاو" *Gaon Blau* - ابن أختي الذي أحبه كثيرًا؛ فرائحته العفنة تشير بشكل مباشر إلى هذه العقلية منبعًا للأفكار.

وقد ألحقت هذه القمامة المجهولة بسجل مراسلاتي الخاص "بالسيرة الذاتية" تحت عنوان "تمامًا". لعل الأجيال القادمة تتقّب عنه في هذا المكان.

في هذه الأثناء كانت عملية طباعة محاضراتي عن الإسلام (بدار نشر فنتر *Winter* بهایدلبرج) تسير بسرعة مذهلة لدى دار نشر "برايتكوبف وهرتل *Breitkopf und Härtel*" في لايبسيغ *Leipzig*.

٨ مارس^(١)

يجب أن أكمل ما قمت بتكوينه بتاريخ ٢٢ فبراير. فقد بلغني أن العصابة نشرت "الحدث" بطريقة وأسلوب في غير صالح. إنهم منعدمو

(١) كُتب هذا الجزء من اليوميات باللغة المجرية - بكل تأكيد بسبب ما تعرض له المؤلف من حالة اضطراب وقلق. ونقوم من جانبنا بترجمته إلى اللغة الألمانية.

الضمير./ وعليه: بعد أن أطلعت هيئة الأساتذة على نتيجة الامتحان، هاجت الدنيا وماجت ضدى، واستندوا فى حجتهم من أن مرشحين آخرين أيضاً لا علم لهم بطرح أسئلتى، وأنهم يطالبون بإرغامى على الموافقة بتمرير الشاب الجاهل. إن ضميرى يأبى مثل هذه الوضاعة. لم أخش أن أقول لهم مباشرة من أن أسلوب تقريرهم ينم عن جهله أيضاً فى باقى الموضوعات. ولو صدر الحكم بأهلية مثل هذا الشاب، فينبغى أن نعلق على صدارة السيمينار لافتة تحمل المثل (כי רבים חללים הפילה ועצומים כל הרוגיה) "لأنها طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوياء"^(١). ورغم ذلك أصروا أيضاً على تمرير الشاب، واتجهت نيتهم على إجبارى من أجل الحصول على موافقتى. ولكى نضع نهاية لهذا الموضوع طالبت بأخذ الأصوات. وكان ذلك خطأ منى. فلم يخطر ببالى أن الجراءة تصل بهم إلى حد أن يقوموا بالإجماع على إبطال صوت أستاذ ممتحن؛ ولكنهم كانوا فى حالة سرور من طلبى. وعلى الفور، قام الرئيس بإعلان النتيجة بناء على غالبية الأصوات وقرر إثبات كفاءة المرشح "سبيجل". مع ملاحظة: لم يطرح الرئيس ثمة إشكالية قط يؤخذ عليها التصويت؛ نعم، لم يكن هناك تصويت مطلقاً. وحين أجاز النتيجة طالبت بأن يذكر إلى جانب ذلك إعادة وتكرار حججى التى تعبر عن موقفى الخاص من قبول المحضر. كما أننى لم أوقع على الشهادة؛ فإننى كممثل لموقف خاص غير ملزم بذلك؛ وقد أرادوا من خلال رسالة رسمية أن يلزمونى بالتوقيع. وطبيعى أنه من المستحيل أن أكتب اسمى على مستند حقير كهذا - سواء من حيث الشكل أو بالنظر إلى جوهره - يقف تجاه العقيدة على نحو غادر. أما من حيث الجوهر: فنحن أمام كوميديا خالصة حين نمنح مرشح جاهل شهادة دبلوم؛ وأما من حيث الشكل: بالإقرار بالأهلية بناء على غالبية الأصوات فلم

(١) سفر الأمثال، الإصحاح ٧، الآية ٢٦.

يحدث أصلاً تصويت على طرح لإشكالية. والأمر كله يبدو كأننا نرفع له
الراية. فذلك هو الحال الصحيح للواقعة، وهم قادرون على عدم تسجيل رأيي
الخاص في المحضر، ولم أسع في تحرى الأمر، وكل ما يعارض ما قمت
بسرده هنا أو يحيد عما قلته فهو كذب لا حياء فيه؛ تشويه سافر للحقيقة.

١٣ مارس

من يرغب أن يغوص ببصره في هوة الحقارة، عليه أن يقرأ المرسوم
الذى وصل إلى مساء أمس من مقر رئاسة لجنة السيمينار (ألحقته في الملف
الخاص بالسيمينار تحت عنوان "لومة لائم")، والمحزن أننى اضطررت أن
أقضى اليوم - النهار بأكمله - فى الرد على هذه الرسالة المخزية./

٢٦٦

١٤ مارس

عشاء فى فندق "رومباور" *Rombauer* بمناسبة إحياء ذكرى مرور مائة
عام على ميلاد "باول هانفالفى" *Paul Hanfalvy*، وقد تم توجيه الدعوة إلى
أصدقاء المرحوم: "م. تشيلينسكى" *Mich. Zsilinszky* و"ك. تشيلى" *K. Szily*
و"ج. هاينريش" *G. Heinrich* و"ز. بوتى" *Z. Beöthy* والطبيب الأستاذ الدكتور
"هابر" *Prof. Haber* وشخصى المتواضع.

١٥ مارس

حضور شخصى لدى البارون "دويتش" *Deutsch* ^(١) بشأن المسألة
المؤرخة بتاريخ ١٣ مارس.

(١) *Baron J. Hatvany (1858-1913)* عالم اقتصاد.

٢٦ إبريل

اليوم بعد الظهر حضر لدى السيد البارون "يوزف هاتفانى-دويتش" *Josef Hatvany-Deutsch*، وهو العضو الرئاسى لما يطلق عليها اللجنة الرئيس لسيمينار الحاخامات، وهو على ما يبدو رجل محدود الأفق وغير عليم بالأمور، رغم أنه بالمفهوم الإنسانى "شريف"، وألح على - مع اعترافه وإقراره التام بعدالة وجهة نظرى - فى أن أوقع على شهادة الدبلوم الخاصة بالحاخام شبيجل، حيث إن الشهادة غير مكتملة الأركان ولم تستخرج منذ ثمانية أسابيع إلى الآن لضرورة توقيعى مع الآخرين، ولا غنى عنه فى الديوان. وأضاف بقوله، إن الموضوع يمكن أن يتسبب فى فضيحة على المستوى الخارجى إذا ما عرف العالم شيئا عن مجريات الأحداث التى كانت سببا فى رفضى التوقيع، وأنه (أى السيد البارون) سوف يعلن استقالته من منصب الرئاسة ما لم أوقع على الشهادة. لم استطع أن أفلت من الضغط الواقع على بشىء آخر سوى أن أنذل شهادة أهلية الحاخامات الموقعة من جميع "الأساتذة الدكتوراة" (أف لهؤلاء الأبالسة!!) بالكلمات التالية: "وبحضورى جولدتسيهر"

وهذا يعنى أنهم ارتكبوا سفالتهم فى حضورى. فى الوقت ذاته وعدنى السيد البارون أن يوجه إلى خطابا فى أقرب وقت، سوف يقر لى فيه بأننى أوضحت له بعدم تغيير رأىى بإضافتى لهذا التذييل مطلقا بالنظر إلى الكفاءة. قبل ذلك كان يحدثنى عن التدبير الاحتياطية التى من شأنها أن تمنع وقوع مثل هذه الفضيحة مستقبلا وعدم تكرارها إلى الأبد.

٢ مايو

السفر إلى نابولى *Neapel*، وبها أقمت ثلاث ليال حتى اليوم السادس من الشهر، فضلا عن زيارة بوزيليب *Posylib*، وجزيرة كابرى *Capri* وبومبجى *Pompeji*.

٦ - ١٧ مايو

كنت في روما وختمت رحلتى في أوستيا *Ostia*.

٢٢ مايو

الانتقال إلى أوفينكل *Auwinkel*./

٢٦٧

٢٢ يونيو

اليوم أقام لى أصدقائى حفل يوبيل بمناسبة عيد ميلادى الستين. وصفحات الجرائد فى هذا اليوم، وألبوم العناوين والكتاب التذكارى^(١) الذى ألفه تلاميذى - كل ذلك يحكى عما حدث فى هذه المناسبة. وأثناء ساعات الليل قمت بكتابة المقدمة الخاصة بكتاب "محاضرات عن الإسلام".

٢ يوليو

وصل إلى فى الأيام الأخيرة ٦٠٠ رسالة تهنئة، منها ما هو شخصى (كما هو الحال فى رسالة وزير المالية بالدولة الملكية القيصرية)، ومن هيئة التدريس، بل ومن الأساتذة الحاخامات القائمين على التدريس، ومن الجاليات اليهودية. ولا يوجد اسم يحمل "المعهد البودابستى" من بين حلقات درس الحاخامات، ولكن يتألق اسم "يهود المجر" بين الجاليات اليهودية. وهناك غياب حكيم لطائفة الأمراض العصبية. وكلاهما بمثابة شهادة على صدرى جديرة بالثناء والتمجيد حين يمكننى أن أضع عرائض الإفك والكذب الخاصة بهذه "المؤسسة العفيفة الطاهرة" فى الأرشفة الخاص بى!

(١) *Keleti tanulmányok* (دراسات شرقية)، بودابست ١٩١٠.

ولكن ينبغي قراءة ما كتبه لى "فيلهاوزن *Wellhausen*" وعظماء آخرون،
فهذا جدير بأن يستغنى به المرء إذ ذاك عن مشاعر الشائنين الظالمين.

١٩ يوليو

عيد ميلادى وفقا للتقويم اليهودى. وقد وقع اختيار "بوزنانسكى
Posnanski" على هذا اليوم السنوى لوقف أعمال "أ. جايجر *A. Geiger*" على
المخطوطات اليهودية.

٢٦ يوليو

عمت السعادة والفرحة دارنا باستلامى اليوم شهادة دبلوم عضوية
"الجمعية الملكية للعلوم" بجوتنجن *Göttingen*.

٢٧ أكتوبر

ظهور مجلد "المحاضرات" إلى النور.

١٦ نوفمبر

ألقى اليوم ابنى كارل *Karl* محاضرة على سبيل التجربة لحصوله على
وظيفة مدرس خاص بدرجة الدكتوراه فى كلية الفنون، وكانت قمة فى
النجاح. ومن خلال هذه المكانة ستزداد دائرة نفوذه وسيحوز مجال عمله
على مزيد من التقدير والفخر.

١٠ ديسمبر

تسلمت مساء اليوم شهادة الدبلوم بصفتى عضوا مراسلا بأكاديمية
بروسيا الملكية للعلوم ومقرها برلين./

نشرت اليوم الجريدة الرسمية خبر تعييني "مستشاراً بالبلاط الملكي المجري". وتعجبت من صدور هذا المرسوم بأعقاب تكريمي السابق ذكره مباشرة! وفيه ذكرت به العبارة التالية "اعترافاً بخدماته الجليلة في مجال التعليم العالي".

قام شباب الدارسين بسيمنار الحاخامات بالترحيب والاحتفاء بي بشغاف قلوبهم. وقد اعتبرت أن ما يتلاءم مع ذلك أن أعهد إليهم في إجابتي عليهم بالقول السديد *למוד מאזהבה וסוף הכבוד לבוא* "علينا أن نغنى بالعلم بالممارسة المثالية له، أما التكريم فهو آخر شيء يمكن أن نضعه في حسابنا".

في هذه الأثناء انهالت على رسائل التهنة بما يشبه الحملة - سواء مكتوبة أو منطوقة. في جلسة كلية الفلسفة المنعقدة بتاريخ ١٦ ديسمبر وجه العميد السيد "بيكفي" *Békefi*^(١) لي خطبة تقريظ وتمجيد، وكان يرافقه الزملاء مهللين، حيث وصف فيها بشكل مؤثر جانباً من سيرة حياتي، بدءاً من المرحلة الثانوية لدى طائفة السيستريسيان *Cisterciens* في شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* وحتى أكاديمية برلين. كما وجه مدير المدرسة الثانوية على عنواني رسالة تهنة مليئة بالمشاعر باسم دار الطائفة. وأعترف بأن هاتين التهنتين وحدهما من بين مئات التهاني هما اللذان مسا شغاف قلبي.

(١) *R. Békefi (1858-1924)* مؤرخ وأستاذ جامعي في بودابست.

ولعل عام ١٩١٠ هذا قد لحق بالأعوام السابقة عليه فى التكريمات الكبرى. وهكذا تخطيت عام الستين من عمرى - بتوقير وتبجيل للدوائر العلمية بجميع أنحاء العالم - باستثناء حلقة درس الحاخامات فى بودابست (برئاسة المحترم ريباخ *Rebach*): لعل السبب عدم وجود أكائيل بها! فضلاً عن منحنى شهادتي دبلوم لأبرز الأكاديميات، يضافان إلى جميع رسائل التكريم ووسائله السابقة عليهما. كما أن "محاضراتي" نُشرت ونالت إعجاب "تولدكه *Nöldeke*" و"سنوك *Snouk*". وشهد العام حصول ابني "كارل *Karl*" على درجة الدكتوراه. وختاماً جاء تعييني فى منصب مستشار بالبلاط الملكى المجرى!

أليس كل ذلك من شأنه أن يجعل هذا العام هو عام المجد والحصاد المثمر؟ وتتوالى الحياة.

عام ١٩١١

١٠ إبريل .

ودبلوم آخر هدية بمناسبة عيد القيامة. فقد بعثت لى الأكاديمية الملكية للعلوم بالدنمارك بشهادة دبلوم باعتبارى عضواً عاملاً.

٢٥ أغسطس - با. توفيسيجهازا *Pa. Tövisgyháza*

قضيئنا شهور الصيف مرة أخرى بفيلا "فيليش-أوفينكل *Villa Wellisch-Auwinkel*". اتجه عملى - بغض النظر عن كتابة بعض المقالات - إلى

تأليف مقالة مستفيضة للغاية لصالح موسوعة "Houstma" / : تعليم [٢٦٩] (مسلم) من أجل هستنجز ^(١) Hastings، قراءة في خطة ثقافتى الراهنة: الفلسفة اليهودية والإسلامية، للطبعة الثانية الخاصة بالجزء المخصص لذلك ^(٢)، فضلاً عن بعض الأشياء البسيطة ذات الطابع الخفيف، مثل عرض ونقد لها وغير ذلك.

وقد استهل ابننا فى هذه الأثناء قيامه برحلة من جوتجن *Göttingen* إلى بورنهولم *Bornholm* وتوقف للإقامة فى كل من ستوكهولم وأوبسالة *Upsala* حيث بعث إلينا منها برسائل شيقة للغاية عن إقامته لدى أصنقائى وزملائه فى التخصص. وكان من بين أول من ذكرهم لنا من "المعجبين بى لدرجة التعبد فى محرابى" على الأخص "سيدربلوم *Söderblom*" الذى رجاه أن يكون وسيطاً فى تنظيم سلسلة من المحاضرات لى بالسويد، حيث إننى دُعيت إليها منذ وقت طويل. ويجب أن أسافر إلى السويد لكى ألقى محاضرات عن تاريخ الديانات - وبطبيعة الحال أيضاً من أجل المال الوفير (بماذا سيعود على ذلك؟). هذا علاوة على أننى تلقيت فى السابق رسالة من أحد أعضاء جمعية البعثة الكنسية الموقرين والمتبحرين فى المعرفة والعلم، وهو السيد المحترم "جاردنر *W. H. T. Gairdner*" ^(٣) الذى يتخذ القاهرة مقراً له منذ أحد عشر عاماً، وقد أعرب فى رسالته عن رغبته الشديدة فى السفر إلى أوفينكل *Auwinkel* لكى يقف على نصيحة واستشارة جميع المختصين فيما

(١) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٣٢٧.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٣٣٨.

(٣) انظر كتاب بادفيك *C. E. Padwick* : *Temple Gairdner of Cairo. London 1930* ص ٢١٠،

يطرحه من أسئلة، ولكي يتلقى على يدي العلوم الإسلامية. وعلى مدار شهر كنت أقوم بتدريس علم الكلام والفلسفة والفقه والتصوف وغير ذلك بمنزلي وأثناء التزه في كل مساء. وكانت تقيم في جوارى عائلة "ريباخ" *Rebach*؛ ولم يتوقف هذا المسكن عن أن يكون المقر الرئيسي للهمز واللمز واغتيابي. ورغم كل ذلك فقد أصبحت في النصف الأخير من العام عضواً بأكاديميات جوتنجن وبرلين وكوبنهاجن. إن هذا شيء مزرب. علاوة على ذلك تجد من يأتي من الشرق والغرب لكي يستقى العلم على يدي. ولهذا بالضبط فإن ذلك شيء حقير. ويكفيني أن جاردنر كان سبباً في تحقيق كثير من السعادة، بل وأعترف بأنني شخصياً قد حققت إفادة من خلال تعاملتي معه. وبمناسبة توديعه لنا (أول أمس) وجه لي ولحرمة قصيدة عربية بديعة، فضلاً عن كلمات الشكر المليئة بالمشاعر. كل هذه الأشياء يمكن الاطلاع عليها في أوراقي.

في الوقت ذاته وصل إلى كثير من الخطابات من مصر تتأشدين بأن أقوم بعقد حلقة دراسية في الفلسفة بالجامعة الجديدة في القاهرة في الشتاء القادم (مرة أخرى من أجل حب المال والثراء!!). ويأتي على رأس المؤسسين لهذه الجامعة الأمير أحمد فؤاد بصفته رئيساً للجامعة. وقد أمر سكرتيره الخاص في تكليفه لي أن يسخر "كل ما هو ممكن وغير ممكن" من أجل الحصول على موافقتي على المشروع.

وفي نهاية الأمر تسلمت أيضاً خطاباً من الأمير شخصياً، مرسل من باريس بتاريخ ١٦ من هذا الشهر، ويمكن الاطلاع على أصل هذا الخطاب لدي. وقمت - قبل سفرى إلى هنا - بكتابة ردى عليه بالرفض. لماذا؟ ولأى سبب؟ ينبغي على كل منا أن يستحضر آثار الضرب بالسياط عليه، وإننى

لأحملها إلى الآن من جراء حياة العبودية التي عايشتها في الفترة من عام ١٨٧٥ وحتى عام ١٩٠٥، بل لا تزال علاماتها واضحة على جسدي، لكي أدرك أنني أشعر بعدم قدرتي على كل الأشياء غير المعتادة، وإنني الآن لا أحب شيئاً آخر سوى أن أشعر بالراحة من عناء عملي اليومي وأن أحتجب./ لقد بلغ هذا العمل اليومي إلى قمة الهرم في التتويج، كما أن محاضراتي تتال أفضل التقدير والتكريم في كل مكان؛ وآخرها كانت مقالتيين من الأستاذ الدكتور "روسكا" *Prof. Ruska* ^(١) (هايدلبرج) تم نشرهما في صفحة الأدب بجريدة فرانكفورت، وعددين أيام الأحاد (أغسطس) من "م. فان بيرشم *M. van Berchem*" نشر في عدد يوليو من جريدة "سافان *Journal des Savants*" حيث تم الحديث عني بالفعل ووصفي "بالأستاذ الكبير بلا منازع في العلوم الإسلامية".

١٣ أكتوبر

اليوم تم الإعلان عن وصول الأمير المصري أحمد فؤاد وزيارته لجامعتنا. وقد كلفني رئيس الجامعة بأن أكون في استقباله. وأثناء الحفل والتعريف بكل منا ومرافقته إلى المكتبة ألمح لي الأمير والمرافقين له، وهما الدكتور "فورتى" *Dr. Forti* - أمين مكتبة جامعة القاهرة، والقنصل "بوندى بك" *Bondy Bey*، بأنه زيارة الأمير لبودابست لم تكن إلا تقديرًا لشخصي. وأثناء تناول الغذاء الذي دعاني إليه فؤاد باشا بالفندق الذي يقيم به، انتقل الحديث إلى موضوع قبول الدعوة المذكورة آنفاً، وذكر قوله: "لم آت إلى هنا

(١) *J. Ruska (1867-1949)* باحث في العلوم الطبيعية في الإسلام.

إلا لإقناعك بقبول هذه الدعوة" وأضاف: "قأنت أكبر مستعرب على مستوى العالم.. والواجب يفرض عليك أن تتقل ثقافة وعلم الغرب إلى الشرق".

وفى فيينا قام فخامته بـرجاء الوزير الكونت "أيرنتال Graf Aehrenthal"، بل ووجه هذا الرجاء إلى الملك ذاته، بالألا يتوقف كل منهما عن الإلحاح على لتحقيق هذا الغرض، وأبلغهما أننى سأستقبل فى مصر استقبال الفاتحين، وسوف أنال أعلى درجات الرضى والسرور. هكذا دار الكلام على مدار ثلاث ساعات. وأيضاً جرت محاولات تجاهى فى هذا الشأن من جهة عناصر وطنية مقربة من الرجال الثلاثة. وفى أثناء رحلتى بأكملها فى أوربا كان جميع الميخصصين الأكفاء يشيرون إلى شخصى على أننى الأكثر حرفة فى مجال عملى، ووجب على أن أنحنى أمام تعظيم الكون لشخصى.

فى الوقت ذاته قرأت فى الصحيفة الرسمية الصادرة اليوم عن ترقية جملة من أساتذة الجامعات إلى المراتب الأعلى، وشهد هذا الاعتراف والترقية من هم فى المرتبة الأدنى والأقل كفاءة. ولم يكن اسمى مدرجاً فى القائمة. وسأتم فى هذه السنة عامى الأربعين من فاعليات عملى بالجامعة، بعد مرور أربعة وثلاثين عاما على عملى مدرسا بالجامعة بدون أجر. ينبغى أن أرحل إلى مصر لكى أحضر أكاليل الغار./

٢٧١ ١٧ أكتوبر

اليوم تلقيت رسالة من رئيس ووزرائنا - الكونت "خوين هيدرفارى Graf Khuen Héderváry"^(١) حاول فيها فخامته - بالنظر إلى رجاء الأمير فؤاد الذى تلقاه - أن يقرب لى من وجهة نظره، حيث إن تلبية النداء بالسفر

(١) Graf Khuen Héderváry (1849-1918) رئيس وزراء.

إلى مصر محل اهتمام المكانة العلمية المرموقة بالمجر. والخطاب وردى عليه موجودان بين الأوراق الخاصة بهذه المسألة^(١).

٢٨ أكتوبر

أخبرني وزير الدولة السيد "بالوغ Balogh" ^(٢) الذى التقينته مساء اليوم - بشأن مسألة فى تخصصه - أن أمامه خطاباً رسمياً من وزير الخارجية، السيد "أيرنتال Graf Aehrenthal" موجه إلى وزير التعليم بالوزارة ومؤشر عليه للتنفيذ. وفى الخطاب يتوجه "أيرنتال" بالرجاء لوزير التعليم تحديد موعد تلبية اهتمام المملكة لنداء السفر إلى مصر.

هكذا فجأة يرى الإنسان نفسه على هذا القدر من الاهتمامات الكبرى.. لابد وأن كل ذلك قد تم اكتشافه من خلال أمراء مصر.

٣١ ديسمبر

أودع هذا العام بقلب يمتلئ بالحمد والشكر. فقد حمل ختامه لى كل الرفعة والسمو، على غير العادة فى حياتى. كما أن أصدقائى فى أوربا أخذوا العهد على أنفسهم بأن يفاجئونى بإقامة حفل يوبيل لى يوم ٢٠ ديسمبر، وهو اليوم الذى اكتشفوا فيه مرور أربعين عاماً على مسيرة عملى مدرساً بالجامعة. وحضر لى شخصياً إلى هنا كل من "سنوك Snouck" و"بيتسولد Bezold" وحرمه، و"ياكوب Jacob" وأحضروا لى "كتاباً تذكاريًا لجولدنسيهر"^(٣) وكتب مقدمته "نولدكه Nöldeke".

(١) تتواجد هذه الأوراق بمكتبة الشرقيات لأكاديمية العلوم المجرية.

(٢) E. Balogh (1864-1953) عالم قانونى وأستاذ جامعي.

(٣) الكتاب التذكاري لجولدنسيهر، شتراسبورج ١٩١١ Festschrift Ignaz Goldziher, Strassburg

كما أن الأساتذة الذين يقيمون بالمناطق المجاورة لنا هنا لم يتأخروا عن الحضور، وجاءوا بأعداد غفيرة ويتقدمهم رئيس الجامعة، وعميد كلية الفلسفة وعميد كلية اللاهوت، وألقوا على سمعى خطابًا لا تخلو من التملق لشخصي، واحتفلوا بمرور أربعين عامًا على عملي بالجامعة الإقليمية، وهم الذين كانوا سببًا في أن أكون مدرسًا خاصًا فقيرًا على مدار خمسة وثلاثين عامًا. وتقدم أحد الأشخاص وقرأ على التماسي للأستاذية بدءًا من عام ١٨٧٠، وأكد أنني كنت أعنى ما قلته بالحرف الواحد ووفيت بوعدى الذى تضمنه التماسي.. ولكنهم جاءوا الآن ليحتفلوا بى ويعرفوا منى ما الذى يقوله العالم الكبير عنى. وفى المساء أقيمت مأدبة عشاء. وتناثرت الورود التى أرسلها زملائى الأجانب فى كل مكان بغرفتى وأضفت على المكان بهاء. كما شارك فى الكتاب التذكارى أفضل زملاء لى من جميع دول العالم.

ماذا يعنى هذا اليوم بالنسبة لى.. لا يمكننى أن أصف إذ ذاك الشعور الذى انتابنى من المفاجأة، حين رأيت الذين يزورونى فى منزلى "سنوك" و"بيتسولد" وآخرون.. إنه لحدث نادر.. كيف تحقّق فى عمري هذا كل تلك الآيات الربانية التى كنت أتلوها فى سنوات عذابى ومعاناتى السابقة، وكانت تؤاسينى فى محنى!

أمضيت الأيام الأخيرة من العام فى الرد على خطابات التهنئة والبرقيات الكثيرة. كما أنني وجهت شكرى - وهذا واجب على - إلى زملائى الذين شاركوا فى الكتاب التذكارى - فردًا فردًا. لقد ساعدنى العامان الأخيران على القيام بتدريب جيد فى الأسلوب التعبيري.

وأحمد الله على بلوغى عام ١٩١٢ /

عام ١٩١٢

٤ يناير

تلقيت اليوم خطاباً رسمياً يحيطنى علماً بأن جمعية الاستشراق الألمانية DMG - بمشاركة "فيلهاوزن Wellhausen" قد اختارتنى للعضوية الشرفية.

١٩ فبراير

أرسل لى "هورتن Horten"^(١) كتاباً موسوعياً "الأنساق الفلسفية...
Die philosophischen Systeme etc." حاملاً إهداءه لى بعبارة: "مع خالص
الاحترام والامتنان".

١٤ مارس

وصل إلينا اليوم السيد "يوهانس بيدرسن Johannes Pedersen"^(٢) من
كوبنهاجن، بعد مراسلات مطولة معى فى الفترة السابقة كى يبقى هنا لفترة
طويلة لينهل من علمى.

استعدادات للسفر إلى أثينا، حيث يتعين على موفداً من الجامعة التوجه
إلى هناك لحضور مؤتمر المستشرقين، فضلاً عن تمثيل جامعتى فى احتفال
جامعة أثينا بيوبيلها. وسأخذ معى للمؤتمر بحثاً شغل فكرى أثناء الخريف

(١) M. Horten (1874-1945) مستعرب ألمانى وباحث فى تاريخ الفلسفة الإسلامية.

(٢) J. Pedersen (?-1883) عالم باللغات السامية، ومؤرخ للأديان، وأستاذ فقه اللغات السامية فى

كوبنهاجن.

الأخير، وهو: "علم الكلام عند فخر الدين الرازي - *Theologie des Fachr al-din-al-Râzi*"^(١) وستبدأ رحلتى يوم ٢٩ من هذا الشهر عبر تريست *Triest*، ومنها سأبحر إلى أثينا.

١٦ مارس

تلقيت من بيترسبورج *Petersburg* (مكتبة بروكهاوس & إفرون *Brockhaus & Efron*) الترجمة التى قامت بنشرها "لمحاضراتى"^(٢).

٢٤ نوفمبر

أقيم اليوم حفل عشاء خاص للاحتفال بعيد ميلاد "أويجن راكوزى *Eugen Rákosi*"^(٣) السبعين. وقد حضر هذه الاحتفالية كل من الوزير "تسيشى *Zichy*"^(٤) وكل من سكرتيرى الدولة ورئيس مجلس النواب "شتيفان تيشا *Stephan Tisza*"^(٥) وآخرون من مستشارى الدولة وأصحاب الفخامة. وبعد تناولنا العشاء جلس إلى جوارى سكرتير الدولة السيد "أويجن بالوغ *Eugen Balogh*" وأخبرنى بأن الحاخام "فريدمان"^(٦) *Friedmann* فى فاجيلى *Vágujhely* تقدم بقرار إلى الوزير يعترض فيه على أن أعداء الديانة مثل

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٣٢٩.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٣٢٥.

(٣) *E. Rákosi* (١٨٤٢ - ١٩٢٩) كاتب وصحافى.

(٤) *Graf J. Zichy* (١٨٦٨ - ١٩٤٤) وزير ثقافة.

(٥) *Graf S. Tisza* (١٨٦١ - ١٨١٩) رئيس الوزراء فيما بعد.

(٦) *I. Friedmann* (١٨٦٠ - ؟) حاخام وكاتب فى فاجيلى *Vágujhely*.

مؤلف كتاب "أسطورة عند العبرانيين *Mythos bei den Hebräern*" ينتمى لهيئة تدريس حلقة الدرس الخاصة بالحاخامات. وقد سُئمت الشكوى إلى السيد البارون "جوزيف هاتفاني *Josef Hatvany*" وهو من المفترض أن يكون حكماً بشأن موقف الديانة الخاص بإجناس جولدتسيهر.

وهذا يعنى أنه بعد مرور ٣٦ عاماً (١٨٧٦) وجدت أخيراً "أسطورتى" أحد القراء اليهود؛ وهذا مكسب. والعجيب إن يصبح السيد "جوزيف" الألمانى حكماً للأديان! وهذا شيء عظيم للغاية!

٢٧٣

٣١ ديسمبر. ليلاً

فى اللحظات الأخيرة من ختام عام وقدم عام آخر جديد، لم أسجل - كما أرى - على صفحات تلك الذكريات الجديرة بالتدوين إلا للنزر القليل؛ ولكن حدثت هناك بعض الأمور لا يليق تركها دون تسجيل، لا سيما ما يتعلق بالمشاهد الدالة على الحفاوة والتكريم فى استقبال "محاضراتى" التى بات أثرها واضحاً فى كل مكان فى الوقت الراهن. فهناك أحاديث بشكل يفوق الوصف اعترافاً بقدرها فى كل اللغات؛ وصار كل مكان يقر بأننى معلم لجميع علماء الإسلاميات فى عصرنا (!) وأن أبحاثى دشنت لحقبة جديدة لهذا العلم. فالجميع يقرأ ما يسجله "بيكر *Becker*" فى أرشيف علم الأديان بالمدونة 3/4 عن أعمالى فى العامين الأخيرين. ولكن ألا يُعد كل ذلك من جانب شعور الصداقة نوعاً من المبالغة المملة؟ إننى أرى ذلك يقيناً.

ثم جاء وقت قيامنا برحلتين: السفر إلى أثينا في شهر إبريل للاحتفال ببوبيل الجامعة ومؤتمر المستشرقين، حيث تعين على أن أكون ممثلاً عن جامعتنا الإقليمية، وهي مهمة قمت بتنفيذها بخطاب ألقينته باللغة الفرنسية في جلسة الاحفالية لليوبيل^(١). وكان هذا الخطاب سبباً في طلب ملك الإغريق التحدث معي، حيث استغرق استقباله لي نحو ربع الساعة. وقد توقفنا أثناء الرحلة من تريست *Triest* إلى باريس في كورفو *Korfu*، إذ إنها تعد من أروع معاشياتنا؛ واستمتعنا بالفعل أثناء تلك الرحلة البحرية الهادئة بصحبة بعض الأصدقاء من ألمانيا وفرنسا. وأخيراً جاد على الدهر بالصعود إلى الأكربول ومشاهدة آثار العالم القديم للحضارة الهيلينية بعيني! حدث كل ذلك بصحبة كل من "سنوك *Snouk*" و"بيتسولد *Bezold*" و"بيكر *Becker*" و"ماسنيو *Massignon*"^(٢) و"لامينس اليسوعي *Lammens*" و"رونزفال اليسوعي *Ronzevalle*" و"شور *Schorr*"^(٣) و"زكي باشا *Zaki Pascha*"^(٤) و"بوده *Budde*" وأصدقاء آخرين من الشباب الأعزاء، والرسامين الذين قاموا بتنظيم الرحلة بأكملها وكانوا عوناً لنا منذ بدايتها وحتى نهايتها؛ تلك الرحلة الساحرة التي بدأت بزيارة ومشاهدة منطقة كهوف جبال النبلاء البديعة *Die Adelsberger Grotten*، وذلك لأن الرحلة لم تنته عند أثينا فقط، بل انطلقنا منها للقيام

(١) انظر كتاب "شير" في ذكرى جولدتسيهر *A. Scheiber, Ignace Goldziher Memorial*, Volume I, Budapest 1948, p. 424. No. 636.

(٢) *L. Massignon* (١٨٨٣ - ١٩٦٢) مستشرق، وأستاذ بالجامعة الفرنسية *Collège de France* ومدرسة الدراسات العليا *École des Hautes Études*.

(٣) *M. Schorr* (١٨٧٤ - ١٩٤٤) حاخام في وارسو وأستاذ اللغات السامية بجامعة وارسو.

(٤) أحمد زكي باشا الذي صار وزيراً للمعارف فيما بعد.

برحلة بحرية من ميناء بيريه *Piraeus* في اتجاه الدردنيل. وقد أتيحت لي الفرصة الآن لأن أزور - مرة ثانية - اسطمبول التي لم أراها منذ عام ١٨٧٣، حيث قمنا بزيارة للمساجد، ثم واصلنا رحلتنا البحرية مرورًا بالقرن الذهبي وحتى كاواك وإيوب *Kawak und Ejjub*. إنها ذكرى فريدة من نوعها سأعيش عليها ما تبقى لي من حياتي في هذه الدنيا!

وبعد عودتي من هذه الرحلة مكثت في أوفينكل *Auwinkel* عدة شهور حيث انشغلت فيها بدراسات تفسير القرآن، على الأخص كتاب الكشف *Kaśsaf* وابن عربي *Ibn'Arabî* اللذين قمت بدراستهما جيدًا وتقييمهما. وقد كان هذان العاملان بمثابة قوام درسى للدكتور "بيدرسين *Dr. Pedersen*" العالم الشاب الدنماركي الذي قضى الصيف كله لتحصيل العلم على يدي.

وفي يوم ١٥ أغسطس قمنا برحلة إلى هولندا، عبر مدينة بون *Bonn*، وقضينا مع عائلة "هورتن *Horten*" يومين بديعين على نهر الراين، وقمنا برحلات إلى منطقة الجبال السبعة. وبعد ذلك قضينا ثلاثة أسابيع في بلدة حمامات كاتويك *Seebad Katwijk*، ومنها توجهنا في فترة ما قبل الظهر إلى منطقة رينزبرج *Rhynsberg* لنحج إلى بيت سبينوزا *Spinoza* وهو أحد الأماكن الأكثر تقدسًا على الأرض.

لقد قمنا برحلتنا إلى هولندا بغرض المشاركة في/ المؤتمر الرابع ٢٧٤ لتاريخ الأديان في الفترة من (٩ - ١٥ سبتمبر). وقد وجهت الدعوة لي و"بييتسولد *Bezold*" معًا لأن نحل ضيفين على منزل "سنوك *Snouk*". وقد كان ذلك بمناسبة احتفالنا بمرور ثلاثين عامًا على علاقة الصداقة التي بيننا،

وهذا دليل المحبة على هذه الروح النبيلة. ستبقى هذه الأيام البديعة التى قضيناها فى هذا المنزل والجو العام الذى أحاط بنا فى كرم الضيافة، عالقة فى ذاكرتى إلى الأبد. ومن الأشياء التى لن أنساها أحاديث التبحر فى العلم التى دارت فيما بيننا على الموائد المستديرة، فقد وجدت فيها ما يثير فكرى ويحفزه على الإنتاج خلال هذه الأسابيع. كان لقاءنا مخصصا للحديث عن العالم الإسلامى. ولكن هل لى أن أتطرق للحديث عن أعلى التكريم الذى حظيت به وأحاطنى من كل جانب. وهل يمكن أن أحظى بهذا كله دون أن أشعر بالغرور دون تواضع ولو بداخلى فقط ؟ لقد وقع الاختيار على لأكون المتحدث العام عن المبعوثين من إحدى وخمسين جامعة وهيئة كبار العلماء الذين اجتمعوا هنا؛ وألقيت خطبة ترحيب تكرم على بها الرئيس "شائبه دى لا سوسى *Chantepié de la Saussay*" ! لقد صار بدهيا أن أكون دائما رئيسا لشعبة العلوم الإسلامية، كما حدث فى أثينا ومثلما كان فى المناسبات السابقة، ولأنهم سبق أن أطلقوا على لقب "المُعلم الشيخ"، نَحتم على الآن أن نُقلد هذا النور.

تخلل فترة إقامة المؤتمر قيامنا برحلات إلى مدينة لاهاى *Der Haag* ومدينة روتردام *Rotterdam* مع جولة حول الميناء. وغادرت المدينة حاملا معى أجمل المشاعر، تلك المدينة التى تعلمت بها الكثير فى عام ١٨٧١ وكانت سببا فى وضع لبنات فيض من علم منح حياتى فيما بعد مضمونا وجعلت لها معنى، واستطعت به أن أتخطى الأزمات النفسية التى مررت بها فى الأعوام من ١٨٧٦ - ١٨٩٥. ولكن لا تزال المواقع التى شغلها كل من "دى خويه *Goeje*" و"كونين *Kuenen*" و"تيله *Tiele*"^(١) وآخرون شاعرة منذ

(١) *C.P. Thiele* (١٨٣٠ - ١٩٠٢) عالم لاهوت وأستاذ فى ليدن *Leiden*.

أن وافتهم المنية. كما قمنا - بصحبة "بيتسولد Bezold" - قبل توديع هذه البلدة المباركة بزيارة أمستردام لمدة يومين، وهو ما دعانا إلى أن نقوم أيضًا برحلة لا ينبغي تركها إلى مدينة زاندام *Zaandam* (حيث ورشة بيتر الأكبر *Peter der Grosse*).

فى يوم ١٧ من سبتمبر قمنا بتوديع الأصدقاء الأعزاء وسافرنا بالقطار حتى بودابست. وفى اليوم الحادى والعشرين توقفت فى تسوجليجت *Zugliget* للصلاة مع جمع من الناس - بصفتى إمامًا لعيد الغفران "*Ne-ilah*"، وقد حظيت بإعجاب الناس هنا بذات القدر الذى نلتته فى ليدن *Leiden* فى اليوم التاسع من الشهر ذاته بعد خطابى الذى ألقيته بالمؤتمر باللغة الفرنسية للترحيب بالحضور!

هناك أيضًا بعض الملحوظات عن عام ١٩١٢ ينبغى تدوينها. فى شهر يوليو تلقيت خطابًا مطولاً من الأمير أحمد فؤاد يجدد فيه دعوته لى للحضور إلى القاهرة. كما وصلتنى رسالة تهديد مجهولة التوقيع، وهى من جانب عصابة "ريباخ *Rebach*". لم ترغب زوجتى أن أرى هذه الرسالة، ولم أعلم شيئاً عن مضمونها، ولكن من خلال ردودها المفاجئة المبتورة استنتجت الكثير بشأن نيّتهم فما يتعلق بعملى بالجامعة. فقد عقدت هذه العصابة العزم على هدم عملى بالجامعة. من مجهول.. كيف ذلك! فليحيا ريباخ *Rebach*!

هكذا ساستقبل عام ١٩١٣ وعلى صدرى كل ألوان التكريم من الأخيار.. وأما الأشرار فسوف يزينون صدرى بكل ألوان الخزي والعار! وسيكون ذلك باسم الرب ومن أجل تعظيمه وتوقيره! /

٦ مارس

لا أتصور مطلقاً أن هناك عملاً يمت إلى شجاعة الأبطال في شيء على صفحات تلك الذكريات في أن أحتفظ رغم ما حدث بمنصبى مندوباً عن الأكاديمية المحلية في تمثيلها لمنظمة الأكاديميات التي سوف تتعقد في إبريل في سانت بيترسبورج *St. Petersburg*، وذلك مرجعه إلى أننى لا أدخل العاصمة الروسية إلا بتصريح استثنائى، حيث إن اليهود عادة لا يسمح لهم بدخول المملكة المسيحية. وكان من البدهى بالنسبة لى ألا أقبل امتيازاً لا يملكه بنو عقيدتى، وبدون أى تدخل من جانبى إذ بالصحف فى بلاد عديدة (بل فى روسيا ذاتها) تتناول هذا الموضوع بشدة، كما تحتفل بالصحف اليهودية تحتفل بى من جراء هذا الفعل المروع الرخيص، وكأننى أحد أبطال العقيدة. ولا جدال فى أننى قد تحملت ما هو أشد من ذلك بسبب عقيدتى... وليت ذلك قد جاء من آخرين، بل من بنى عقيدتى! وهناك ورقة مرفقة تعرض توجه هذا الحدث المبالغ فى التقدير^(١).

٢٧ مارس

فى يوم ١٣ من هذا الشهر قمنا على مضض برحلة، بمناسبة عيد القيامة إلى دالاماتيا *Dalmatien*، وقضينا يومين فى سبالاتو *Spalato* فى ظل الإعجاب بالآثار الديوكليتيانوس *Die Diokletianischen Denkmäler*، ثم قضينا أسبوعاً فى راجوزا *Ragusa*، قمت فيه بكتابة فصل عن تفسير القرآن والحديث. وقد استمتعنا بمناخ رائع للغاية، سواء بحراً أو برّاً.

(١) انظر *Hazefirah* 28 II. 1913; 12 III. 1913; *Die Welt* 1913, pp. 337-338. *Egyenlőség*, 9. III. 1913

٩ إبريل

لم تتوقف مراسلات الإعجاب والتأييد من بلدان مختلفة من قبل بنى عقيدتي المتقنين، بخصوص موقفى من مسألة بيترسبورج؛ وكان من بينها رسالة من السيدة "سيرف Serf" من باريس وآخرين (انظر المراسلات).

١١ إبريل

عبد البهاء عندنا. قام النبي بزيارتي فى منزلى، وكان معه سكرتيرة الخاص. تحدثنا سوياً عن أمور تخص العقيدة البهائية. لقد جاء من شتوتجارت Stuttgart حيث قام بزيارة جالية ألمانية تؤمن بعقيدة بهاء (يبلغ عدد أفرادها نحو ١١٠ أفراد) منهم الشخص المرافق له، وهو "ف. هريجل W. Herrigel". وفى غرفتي أحضرت له مفاجأة ليراها - جزءاً من رسائل والده الروحي لم يعرفه من قبل. فقد كنت حاضراً حينما كان يلقي محاضراته هنا. /

٢٧٦

١٢ إبريل

تلقيت منذ قليل رسالة من الكونت "بوديسين Graf Baudissin" (١)، رئيس جامعة برلين الحالى، تحمل ذكرياته مع "كونراد أوريللى Conrad v. Orelli" الأستاذ الأورثودكسى ببازل Basel الذى وافته المنية منذ فترة وجيزة، وكان فى صدر حياته زميلى فى الدراسة بمدينة لايبسيغ Leipzig. وفى الرسالة يتحدث عن "الشاب المجرى النشط فى ذلك الوقت إيجناس جولدتسيهر" الذى كان إذ ذاك بمثابة "نجم" محاضرات فلايشر. كان ذلك فى عام ١٨٧١.

(١) Graf W.W. Baudissin (١٨٤٧ - ١٩٢٦) مؤرخ للأديان وعالم للأناجيل، وأستاذ بجامعة برلين.

١٧ إبريل

قام عبد البهاء بزيارتي اليوم قبل الظهر لتوديعي، حيث أعرب بكلمات مليئة بالحيوية والحماسة عن مدى سعادته بلقائي وقوله: "لا أنساكم أبدا". كما ألح عند توجيه الدعوة إلى بأن أكون ضيفه في فلسطين.

١٢ مايو

في اليوم الثامن من الشهر كنا في مقر إقامتنا الصيفية في تسوجليجت *Zugliget*. وفي اليوم الحادي عشر تسلمت رسالة مؤرخة بتاريخ ٣ من هذا الشهر عن طريق القنصل الإسباني، كانت قد وصلت من حكومته، وهي تخص الأستاذ بمدريد "ميجال أسين بلاسيوس *Miguel Asin Placios*"^(١) الذي بعث بها إلى ملتصنا إياي ما يلي:

(١) تقديم توصية بشأن تكوين هيئة تدريس ملائمة لقسم الحاخامات الذي يؤسسون له.

(٢) أن أقوم بتكريس هذا الفرع الجديد في الدراسة بإلقاء سلسلة من المحاضرات عن الأدب اليهودي بإسبانيا؛ فذلك من شأنه أن يمنح هذا التجديد والإحياء "رونقا وبهاء *sollenitá*" (انظر المراسلات الخاصة بـ: إسبانيا)

١٣ مايو

أعتقد أن "يهودا *Jahuda*" هو المرشح السفارديمي الذي أرسلته العناية الإلهية لهذه المهمة، ولهذا توجهت إليه بالسؤال عن مدى قبوله لها.

(١) *M. A. Placios* (١٨٧١ - ١٩٤٤) باحث الأفكار الدينية في الإسلام، وأستاذ بمدريد.

إن الجريمة التي حدثت عام ١٤٩٢ ينبغي أن يُكفّر عنها في عام ١٩١٤ على طريق العلم.

١٤ مايو

تكررت الدعوة لأن أتوجه إلى أوبساله *Upsala* بإلحاح من جهات متعددة، وقد أعربت عن موافقتي بأن أقوم بإلقاء سلسلة من المحاضرات بجامعة أوبساله - وعددها ثمان - تلبية لدعوة مؤسسة "أولوس بيتري - *Olaus Petri-Stiftung*"، وذلك في النصف الثاني من شهر سبتمبر. من هنا شرعت في العمل بهمة ونشاط في تحضير المحاضرات الثمانية. أما موضوعها، فهو: "تعدد المذاهب في تفسير القرآن *Die verschiedenen Richtungen in der Korānexegese*". ولكن كيف لاي أن أحقق ذلك مع كثير من الدعوات التي توجه إليّ: في السنوات الخمس الأخيرة تلقيت دعوات من: أمريكا، وأوبساله، والقاهرة، ورابطة أورانيا بفيينا، ومدرّد. ولكن كل ذلك ليس له أى جانب من الهول والترويع النفسى مقارنة بمقاطعة عصابة ريباخ هنا! /

٢٧٧

١٦ مايو

خطاب إلى مدرّد أوصى فيه بأن المرشح الوحيد الذى يوفى بأغراضهم فى الدراسة هو "يهودا *Jahuda*".

٢٢ يونيو

أخيرًا عادت أيام السعادة والفرح! فى مساء يوم ٢٣ من هذا الشهر، فى حوالى الساعة التاسعة احتفلنا هنا بحديقة دار "فيليش *Wellisch*" بخطوبة

الآنسة الفاتنة الجذابة "ماريسكا فرويدنبيرج" *Mariska Freudenberg* (١) على ابني، وكنت سعيدا بموافقتهما. لقد أصبحت الآن هذه الفتاة الفاتنة التي تتحلى بكل المزايا زوجة لابني. وإنني على يقين بأنه من خلال هذا الرباط مع هذه الكينونة المثالية وعائلتها التي تعتبر من أنبل عائلات مدينتنا، ستهل على نفوسنا حقبة من السعادة الأسرية. (כי מידודה היה הדבר) إن روحى على قناعة تامة بهذه الفتاة التي صارت من الآن ابنتى، وإنها ستكون سبباً فى أن ننسى كل أتراحنا التي واجهتنا فى الحياة.

٢٧ يونيو

كتبت إلى "ماسنيو" *Massignon* أبلغه بأن ابنتى "ماريسكا متقفة وتتحلى بكل فضائل الأخلاق الحميدة"، بل إنها تستحق أكثر من ذلك فى وصفى لها: فهي حسنة وطيبة القلب وبعيدة كل البعد عن كل ما هو سيئ فى الإنسان، وتميل إلى كل معانى النبل والأصالة والتأصل. وهى الآن كل شىء فى حياتنا. وأخيراً جاد علينا الدهر بما يغنيننا عن كل ما هو مؤلم، وينسينا كل من فارقناه بألم فى حياتنا: أقاربنا. إن وجود مثلها معنا هو كل ما تمنينته بحق منذ عشرات السنين.

٤ يوليو

من خلال وجود ماريكا معنا شعرت بعودة الروح لي، وانبعثت الحيوية فى نفسى. تلقيت دعوة من جمعية "رايدبرج" *Rydberg* باستوكهولم،

(١) (١٨٩٠ - ١٩١٨) عالمة مصريات.

يطلبون فيها أن ألقى محاضرة لديهم أيضًا أثناء فترة وجودي في أوبسالة، في يوم ٢١ سبتمبر. وحتى هذا الحين لم تواتني الشجاعة للرد بالموافقة؛ فقد ارتفع سقف عدد المحاضرات التي سأقوم بإلقائها في أوبسالة إلى تسع محاضرات كبرى، وهذا يعني أنني أمام عمل ضخم، وهو ما جعلني أشعر بالإجهاد. على أن قدرتي الذهنية على العمل قد تنامت منذ أن جاد الزمان على بأن أطلع يوميًا إلى وجه ماريكا وعينيها اللذين يمنحان كل معاني الراحة النفسية. ومنذ يوم الخطوبة أعمل على كتابة دراسة ليوم "رايدبرج"، عنوانها: "المخالفة والإجماع في الإسلام *Dissens und Konsens im Islam*"، وانتهيت منها صباح اليوم. لقد صارت زوجة ابني "كارل *Karl*" بالفعل بمثابة إلهة الوحي بالنسبة لي، أو هي تقوم على شئوني كأنها "حورية". فكم من أناس يمكن أن يكون لديهم زوجات لأبنائهم يفتخرون بهن في مثل هذه الفضائل الأخلاقية التي تملكها ماريكا؟ وقد سمحت لنفسى اليوم أن أقول لها إنني كنت أختلس النظر بالتطلع لعينيها الجذابتين عند كل كلمة أكتبها بشأن البحث السابق "المخالفة والإجماع"، وذلك لأن روحها كانت تحوم أمامي دائما حين أمسك بالريشة للكتابة. وكان ابني يطير من الفرح والسعادة لسماعه ذلك مني. وأعتقد أنه لا يوجد شخص آخر مثله يستحق هذه النعمة التي منحتها إياها العناية الإلهية في أن تكون رفيقة له في حياته. اللهم بارك فيهما وأفض عليهما بالسعادة، وأدم حبهما فيما بينهما! /

٩ يوليو

٢٧٨

بالأمس توجه الأرشيديوك "جوزيف *Josef*" إلى بالرجاء في رسالة تسلمتها باليد بأن أكتب له باللغة العربية خطابًا يرغب أن يبعث به إلى "سيدي

إبراهيم *Sidi Brahimi*، وهو أحد المرابطين بواحة كناسة *Kanasa* (بالمغرب).
وقد وفيت اليوم بهذا الرجاء، وبعثت بالخطاب العربي إلى الأرشيديوق.

١٥ يوليو

تلقيت من عبد البهاء رسالة غاية في المجاملة، بعث بها من بورسعيد،
حيث أعرب فيها عن شوقه لرؤيتي؛ كما أرسل لي في الوقت ذاته سجادة
فارسية تذكراً لتعارفنا.

تأتى ماريسكا - الجواهر الفريد - كل مساء إلينا في تسوجليجت
Zugliget. وهي تبدو كأنها نجمة السماء المتلألئة. إنها أسعد أوقات حياتي.
إنها فتاة تمتلئ روحها بالنفائس، وهي كنز للفضائل المتواضعة. وغاية
سعادتنا أن نطلق عليها "ابنتنا". أسألك يا ربي يا كريم أن تحرس هذا الرباط
بجنودك الأخيار!

٢٠ يوليو - ليلاً

إنه أسعد أيام حياتي حتى الآن. بعد أمسية حفل زفاف رقيقة المشاعر،
أقيمت اليوم مراسم الزواج، أتمننا أولاً مراسم الزواج المدني، ثم ذهبنا بعدها
إلى منزل عائلة فرويدنبرج، حيث أتمننا المراسم الدينية لزواج ابننا على
ماريسكا. وقد ألقى خطبة المراسم الدينية الصديق كوهن *Kohn* في أسلوب
بليغ ومؤثر في نفوس جميع الحاضرين؛ ثم بارك الزوجين بخطبة خالصة
من أعماق قلبه، حتى اغرورقت عيناه بالدموع. كانت ماريسكا تشبه إحدى
الآلهات تشع جمالاً وفتنة لا يملكهما غيرها من الكائنات. لم أر مثل هذه
الوجهة وقد تجسدت في عرس على هذا النحو المثير. فقد نالت إعجاب

وإجلال جميع الحضور. بعد ذلك أقيمت وليمة العائلة، وفي الختام ابتُهلت بالدعاء لهما على المائدة. وسرعان ما ظهر الزوجان وهما يرتديان ملابس السفر، وقاما بتوديعنا ليقوما برحلة الزفاف إلى تورنجن *Thüringen* عبر فيينا *Wien*.

٢١ يوليو

أتوجه في صلاتي اليومية في الصباح بالدعاء لأولادى - العروسين المسافرين. وفي مساء اليوم نفسه قامت عائلة فرويدنبرج بزيارتنا، كما فعلت في اليوم الرابع لأسبوع الخطوبة. سيصبح يوم الإثنين هذا عيداً، إذ إن فيه (يوم ٢٣ يونيو) أعربت الفتاة الجميلة عن موافقتها على طلب ابننا "كارل *Karl*" لتكون رفيقة حياته.

١٠ أغسطس

حقيقة الأمر إننى أعتبر أهم مهمة أقوم بها الآن هى كتابة رسالتى اليومية إلى العروسين المسافرين فى تورنجن *Thüringen* واستقبال ما يكتبانه لنا فى رسائلهما اليومية إلينا. / واليوم تسلمنا الخطاب رقم ٢١. كيف لى أن [٢٧٩] أصف ما تضمنته هذه الرسائل من ثراء فى الفكر، وهمة فى الروح، وعمق فى الوجدان.. خلاصة القول إنها تعبر عن ثقافة أصيلة لشخصية ابنتنا ماريسكا الجميلة التى لا مثيل لها! بل إننى شخصياً أشعر بعودة الشباب إلى بعد الزواج السعيد لابنى، وصغر عمرى بما لا يقل عن عشرين عاماً. فضلاً عن ذلك - ولعل هذا الأمر يكون موضع أمانة فى هذه الصفحات - فإن هذه

المرحلة فى حىاتى الآن تكشف لها سرًا من الأسرار - كلمة السر. ماذا أراد الرب لى من وراء فعل يبدو فى ظاهره بصورة حمقاء، حينما خضعت لكل ألوان الضغط والخزى وما أَلَمَ بي من حزن عميق على مدار عشرات السنين، وما عانيتَه من أوقات بائسة طويلة بعثت على البكاء، وصمدت بكل قوّة وعناد أمام الأنواء حتّى انفتحت لى كل أبواب النجاة بألمانيا وإنجلترا وثلت كل ألوان التكريم؟

لقد عرضت لى على مدار سنوات طويلة واجبات، كان من الممكن أيضًا تحقيقها دون وجودى الشخصى، إذ إنها مجرد أسباب مباشرة. ولكننى الآن تكشف لى العلة من وراء ما أرادته العناية الإلهية. أراد الرب ألا أرحل إلى مكان آخر، وأن أَرْضى بما يقدره لى من البقاء هنا، كل ذلك كى أظفر فى النهاية هنا بماريسكا. ولأجل ذلك فقط "تَحْتَم" على أن أبقى هنا. وحقيقة الأمر إن كل ما عانيتَه من أَلَمٍ وعذاب وسوء حظ، كان الثمن الذى توجب على أن أدفعه من أجل الحصول على هذا المكسب فى نهاية المشوار، وهو يستحق هذا الثمن.

١٣ أغسطس

كتبت خطابًا باللغة العربية إلى "عباس أفندى *Abbās Efendi*" ردا على رسالته إلى.

٢٠ أغسطس

جاء لزيارتنا الدكتور "شيختر *Dr. Schechter*" من نيويورك ومكث لتناول طعام العشاء معنا. كم يحتوى هذا الصندوق المتسخ من العلم وبحوره!

عندما يقابل المرء صدفة أحدًا له روح نقية غير عفنة، فلا بد أن يشمئز من المصطلحات عديدة اللغات. إن التلموديين ينتقون بقسوة عالمًا دينيًا لم يلطخ ثوبه أى بقع، مثل من يكره اسم الرب. والآن تجد أن أكبر عالم يهودى فى عصرنا يبدو فى هيئة ملطخة كهذه، ويتحدث بطريقة لا تليق فى خطاب مهمل كهذا بأى لغة يستخدمها.

٢٨ أغسطس - توفيسجيهاز Tövisgyház

وصلنا إلى هنا يوم ٢٥ من هذا الشهر كى نقيم يوم ٢٧ من الشهر حفلا تذكاريًا، سويًا مع شقيقات وأشقاء زوجتى بالمعبد اليهودى الصغير بسيمندر *Simánder*. اكتسب تجمع العائلة هذا العام أهمية خاصة، نظرًا لأن ابنى وزوجته ماريكا وصلا أيضًا إلى هذا المعبد لكى يختتما رحلة زواجهما الجميلة بتورنجن وبرلين *Thüringen-Berlin* بمشاركتهما حفل البر والإحسان الذى نقيمه. فبعد فراق دام خمسة أسابيع/ الآن يسطع النور عندنا [٢٨٠] مرة أخرى بعودة ابنتنا ماريكا وهى فى قمة الفتنة والجمال - جسداً وروحاً، أرى كمالات بلا أى نقيصة. وقد عرفت قدرها بحق خلال تبادل الخطابات معها لمدة خمسة أسابيع، فإننى أصبحت أقدر فى أعماقى الآن علو قدرها وسموها، إذ يغمرها الجلال والعظمة الهائلة تتضح على هيئتها.

بالأمس - بمناسبة عيد ميلاد "جوته *Goethe*" - استمتعنا بجمال قراءتها علينا من الجزء الثانى لفافوست، ولا يمكن مقارنة كمالها المتواضع وإيقاعها الدقيق بشيء آخر، إذ كانت عيناها - أثناء القراءة - تقصحن فى جدية عن هذا الكمال المتواضع الذى لا يحده شيء. إنها جوهر فريد،

حاضره يوقظ الشعور بالسعادة على كل من يدخل دائرتها. كما أنها تحتل أعلى معيار فى نفسى التى يسكن فيها هذا الجوهر النفيس.

فى يوم ٣٠ من الشهر غادرنا بوتسا *Pushta* لكى نستعد عقب عودتنا للمنزل لرحلة السويد.

قمنا بهذه الرحلة يوم العاشر من سبتمبر، وعدنا يوم السابع من أكتوبر. وأحداث هذه الأيام الرائعة فى كوبنهاجن *Kopenhagen* وأوبسالة *Upsala* واستوكهولم *Stockholm* ونجاح محاضراتى التى ألقيتها فى أوبسالة واستوكهولم، ثم محاضرتى فى المعبد اليهودى باستوكهولم فى اليوم الثانى من رأس السنة الموافق ٣ أكتوبر^(١) - كل ذلك قمت بقصه على ابنى فى خطاباتى اليومية إليهما، بالإضافة إلى ما نشرته بعض صحف استوكهولم التى جمعتها على وجه الخصوص فى ملف خاص.

٩ أكتوبر

بداية محاضرات الجامعة. بلغنى خبر من عميد كلية الحقوق بأن الوزارة تكلفنى بالتدريس بكلية الحقوق لمادة الفقه الإسلامى. وقد قمت بتدريسها فى الفصل الدراسى الثانى من العام.

١٠ أكتوبر

بالأمس - فى يوم الصفح الجميل - قمت مرة أخرى - بإحدى غرف الصلاة فى تسوجليت *Zugliget* - بدور الإمام فى صلاة عيد الغفران *"Neila"*.

(١) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٣٣٩.

٢٣ أكتوبر

احتفلنا اليوم بمرور أربعة شهور على الخطوبة بالجلوس حول مائدة عائلة فرويدنبيرج. إننى أتذكر ذلك المساء يوم ٢٣ يونيو، وكم أحمد ربى الذى وهب لنا جميلتنا ماريكا!

١١ نوفمبر

زارنى بالأمس العالم المصرى منصور فهمى *Mansur Fahmy* الذى أبلغنى تحيات الأمير أحمد فؤاد، وتحيات سنوك *Snouk* الذى قضى لديه عدة شهور، ثم أعطانى موضوع رسالته ببارس، وعنوانها: "مكانة المرأة....
[٢٨١] *La condition de la femme etc.* /". وكان يرافقه الطبيب العراقى "بهجت مسجه *Bahgat Mesajjah*". واليوم تطلعت إلى كل منهما عندما حضرا للاستماع لدرسى عن البخارى. وعند مرافقته لى إلى منزلى أعرب فهمى عن امتنانه وإطرائه، معبرا عن أن معرفته بشخصى تُعد بمثابة الإشراق لرحلته الكبرى بأوربا.
اقتتعت اليوم أيضا بجدية تكليفى بالتدريس بكلية الحقوق. فقد طلب العميد منى رسميًا نص الإعلان عن جدول محاضراتى للفصل الدراسى الثانى.

١٢ نوفمبر

هذا يوم له وضع خاص، فهو يوم الارتياح والرضى التام، ولكن عليكم أن تبحثوا عن السبب: فقد زارنى لأول مرة الحبر الأكبر "هيفيسى *Hevesi S. J.*"^(١) بعد ثمانية أعوام من وجوده بيننا. جاء ليطلب منى أن ألقى محاضرة فى "الرابطه

(١) *S. J.* أى اليسوعى.

القومية الثقافية الإسرائيلية بالمجر *OMIKE* التي يرأسها - وبشكل دائم. قال لى إنه علم من الصحف أنني ألقيت محاضرة واسعة الشهرة باستوكهولم، وأنه بهذا اكتشف وجودى هنا، وأنه يرغب فى أن يحقق إفادة من اكتشافه هذا لصالح الرابطة الثقافية التي يرأسها.

على هذا فالأمر من قبيل الاكتشاف! ويا له من شرف! أما ما هي إجابتى على الوصولى الخاوى، فلا تحتاج لأن أخلدها على وجه الخصوص.

١٦ ديسمبر

وثمة مدونة أخرى عظيمة القدر. فقد اكتشفتى أيضاً الجالية اليهودية. لقد وقع اختيارها على لأن أنضم لهيئة ممثليها. حقاً: أيها السادة، إننى لا أستحق ذلك!

عام ١٩١٤

ملصق بالمخطوطة الكتابية القصاصة الصحفية التالية، ونصها:

(محاضرات لعالم من بودابست فى باريس. حظى الأستاذ بجامعة بودابست الدكتور أجناس جولدتسيهر بامتياز نادر الحدوث، حيث وجهت هيئة الأساتذة العاملين بالكلية الفرنسية بباريس إليه الدعوة لإلقاء سلسلة من المحاضرات أثناء هذا العام برعاية مؤسسة ميشونيس *Michonis*، حيث إن مهمة المؤسسة تقتصر على إتاحة الفرصة أمام العلماء الأجانب ذاتعى الصيت للتفاعل والتعاون مع الكلية المذكورة.)

انظر خطاب الكلية الفرنسية Collège de France (توقيع كرويسيت
(Croiset) بتاريخ ٩ يناير ١٩١٤.

٢٦ يناير

بدأت اليوم محاضراتي بكلية الحقوق بالقاعة الكبرى رقم III. كان من المتوقع أن يُحصى عدد المستمعين بالمئات،/ ولكن لم يتجاوز عدد الحضور الثلاثين شخصًا. هل ستستحق قاعة المحاضرات المقزمة الجهد الذي بُذل ووافق الوزير على منحى ٣٠٠٠ كرونة مكافأة سنوية فى مقابله! يتحتم على شخصيًا أن أراجع تفكيرى فى هذا الأمر.

٩ فبراير

توقف السيد "على كردى Ali Kurdi" - محرر المكتبة فى دمشق - خلال سفره إلى القسطنطينية فى بودابست من أجل - وفقا لتعبيره- أن يتعرف شخصيًا على شيخ "الملل والنحل". قمنا بدعوته على العشاء، وكان ذلك مناسبًا بشكل كبير، نظرًا لأن اليوم يتوافق "اثنين الخطوبة" حيث يقضى المساء معنا أولادنا والأب "Rafael" و"ترسى Tercsi". استرجعت ذكرياتي مع الدمشقيين من جيلى الذين عرفتهم فى عام ١٨٧٣.

وعلى كردى تلميذ صديقى السابق الشيخ طاهر، والذي عرفت عنه [٢٨٢] الآن الكثير. وأكثر قيمة عرفتها أن هذا الصديق المسلم الذى قضيت معه قبل ما يزيد عن ٤٠ عامًا أيامًا وليالى فى دمشق، كانت غاية فى النفع والإفادة، لا يزال يتذكرنى ويذكرنى بكل حب. وقد حكى لي على كردى عن مكانة

أبناء أصدقائي المتوفين. واستطعت أن أظهر له كتبًا حصلت عليها من آبائهم في شكل هدايا وموقع عليها الإهداءات. وقد أخبرني ويا للعجب! - صديقي "مصطفى أفندي السباعي *Mustafa Efendi Sba'i*" (انظر: المناظرة الشيعية) لا يزال على قيد الحياة - فهو يبلغ من العمر ١٠٠ عام، وفي صحة وهمة!

١١ فبراير

كان يوم أمس مثيرًا بدرجة مفزعة. جلسة مجلس الكلية. أحد الموضوعات التي كانت منظورة ترقية ابن أختي الدكتور "بوشلر *Dr. Büchler*" لدرجة الأستاذية. وعرض علينا التقرير الشخصي الأول الذي كتبه "بالاجي *Ballagi*"^(١). ماذا أستطيع أن أفعله للكهنة والمعادين للسامية لكي أوقف تحريضهم للهاخام ولأصحاب الدعاوى وللقسم (تاريخ اليهودية) على الكراهية؟ والنتيجة: موافقة ٣١ مقابل ٣ اعتراض؛ بل إن الثلاثة منحوني بطبيعة الحال صوتهم (موافقة)! ولكن أخيرًا وافقوا بأغلبية عظمى. والآن في انتظار مجال الدراسة الثاني (بحث جدير بالتقدير).

٩ أغسطس - كاتويك على البحيرة *Katwijk ann Zee*

أخذنا قرارنا أن نتوجه أثناء الإجازة إلى شاطئ بحيرة هولندية لا يزال حيًا في ذاكرتنا. فقد تدهورت حالتى الصحية فى الشهور الأخيرة لدرجة أن نصحنى الجميع بالراحة على شاطئ بحيرة. وإننى أعرف كاتويك *Katwijk*

(١) *A. Ballagi* (١٨٥٣ - ١٩٢٨) مؤرخ، أستاذ بجامعة بودابست.

منذ عام ١٨٧١ حين كنت طالبًا في ليدن *Leiden* وأقيمت بها بعض الوقت؛ وفي عام ١٨٨٣ جئت إلى هنا مع لورا *Laura* لحضور مؤتمر المستشرقين؛ وفي عام ١٩١٢ انتظرنا عقد المؤتمر الرابع لتاريخ الأديان بها.

غادرنا بودابست في مساء يوم ٢٤ يوليو، بعدما احتفلنا في اليوم ٢٨٣ السابق بمرور عام على خطوبة ابنينا الطيبين بمنزل فرويدنبرج، وغمرتنا الفرحة. والحمد لله على أن يكون لدينا من الأسباب ما يجعلنا في حالة فرح وسرور ونقيم احتفالات. وبعد احتفالنا صاحبنا ابنينا وعائلة فرويدنبرج إلى محطة القطار الذي سيقلنا مباشرة إلى ليبزيغ *Leipzig* التي يقام بها معرض "بوجرا *Bugra*" وكان لدينا رغبة في مشاهدته. وقد حزم صديقي "شتومه *Stumme*"^(١) أمره على تدبير أمسية عشاء جماعية بحضور الزملاء المستشرقين على شرفي، وذلك في مساء يوم ٢٥ بمطعم قبو أورباخ الشهير. وبخلاف أهل لايبسيغ - والذي انضم إليهم أيضًا الصديق "سيدربلوم *Söderblom*" وتم اختياره مؤخرًا أرشيدوقًا للسويد - كان هناك من الحضور كل من الكونت "فون مولينن *Graf von Mülinen*" و"كاله *Kahle*"^(٢) و"بروكلمان *Brockelmann*"^(٣)، الذين جاءوا من مدينة هاله *Halle* مباشرة على شرفي. كانت أمسية مليئة بالمشاعر والراحة الوجدانية، وسأظل أذكر ما لقيته من حفاوة بها.

(١) *H. Stumme* (١٨٦٤ - ١٩٣٦) مستشرق ألماني وخبير بلغات البربر.

(٢) *P. Kahle* (١٨٧٥ - ١٩٦٥) مستشرق وباحث في الأناجيل، وأستاذ بجامعة هاله *Halle*.

وجيسن *Giessen* وبون *Bonn*.

(٣) *C. Brockelmann* (١٨٦٨ - ١٩٥٦) مستشرق وأستاذ في كونجزبرج *Königsberg* وهاله

Halle وبرلين *Berlin* وبريزلاو *Breslau*.

منذ يوم ٢٨ من يوليو ونحن هنا نستمتع بجمال الطبيعة وروعة ما يقدمه لنا البحر العظيم، وكنا تحت رعاية الأصدقاء من مدينة ليدن *Leiden*، ولحسن تعاملهم تجاهنا ورقة مشاعرهم تجمسنا للبقاء لفترة أطول. كنا نستقبل يوميًا تقريبًا ضيوفًا من الأصدقاء الأوفياء، ومنهم "سنوك" *Snouck* وحرمه، و"فينسينك" *Wensinc* ^(١) وحرمه، و"يوينبال" *Th. W. Juynball* وحرمه، و"فان لآرندونك" *van Arendonk*، والروسي "كراتشكوفسكي" *Kratschkowski* ^(٢) الذي قضى بضعة أسابيع هنا، وقضيت معه أيضًا وقتًا ممتعًا نتحدث في تخصصنا. وقد بدا لي الأمر في مجمله نوعًا من رحلة حج، إذ كان يزورنا يوميًا أناس أوفياء بفندق "دى رين *Hotel du Rhin*" لكي يتسامروا معي. كما كان كل من عالم الآشوريات "تيري" *Thierry* وعالم اللغة السنسكريتية "فوجل" *Vogel* يتبادلان زيارتي بانتظام، إذ كان كل منهما يأتي لزيارتي على حدة.

وأما بالنسبة للبحث العلمي أثناء هذه الفترة فقد انشغلت بكتاب *(المستظهرى)* "للغزالي" *Ghazali* ^(٣)، وكانت مشاركة "سنوك" *Snouck* لى فى موضوع الكتاب مشجعة للغاية. إذ أنجزت كل الموضوعات الرئيسة فى هذا الكتاب، ولم يبق إلا القليل، وسأتركه لغرفة الدارسين ببودابست.

(١) *A. J. Wensinck* (١٨٨٢ - ١٩٥١) مستعرب وأستاذ بجامعة ليدن *Leiden* ومحرر وأحد فريق الناشرين لموسوعة الإسلام.

(٢) *I. Kratschkowski* (١٨٨٣ - ١٩٥١) مستعرب وأستاذ بليينجراد.

(٣) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٣٥٦.

(أو فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية) أهدها إلى الخليفة المستظهر العباسي، نشر منه جولدتسيهر قسماً كبيراً، وكتب له مقدمة ودراسة بالألمانية ١٩١٦ (عدد صفحات المتن العربى) ٨ صفحة، والقسم الألمانى ١١٢ صفحة [*Streitschrift des Gazali gegen die Batiniya*

[*Sekte, Leiden 1918*

فجأة أفرعنا اندلاع الحرب العالمية، وأشعل نارها وخطط لها مخزون من البربرية - القيصرية الروسية التي يحكمها، وتسبب في وضع أساس نصب تذكاري سخيف للنفاق والرياء، وتأسيس قصر السلام في لاهاى *Haag* على وجه السرعة. وبعد تردد طويل حزمنا أمرنا على ضرورة العودة إلى وطننا. وتقطعت كل التعاملات البريدية مع أرض الوطن، وتخلفت منذ يوم ٣٠ يوليو الخطابات اليومية التي يبعث بها أولادنا الأعزاء إلينا، وقد كانت تمثل لنا أثناء إقامتنا هنا إكسير الحياة. لقد نفذ صبرنا؛ فرغم ما يبلغنا من تقارير عن صعوبات السفر فإنه تحتم علينا التفكير في العودة إلى أرض الوطن، لأن القلق والخوف بكل ألوانه جنما على صدورنا. فكم كنا سعداء من جراء رحيلنا في يوم ٢٤ يوليو.

لن ينمحي من ذاكرتي مشهد الوداع الرهيب المؤثر وتفكيرنا الدائم فيه، حين ركبنا القطار وكانت تودعنا ماريسكا مع تحرك القطار، وتجري معه وتلوح لنا بالمنديل حتى آخر لحظة ممكنة لرؤيتنا. تلك الجوهر الفريد: كم كانت رسائلها التي كنا نقرأها يوميا - بقدر ما منحنا الرب من وقت لها - ممتعة وروعة. لقد بلغ عددها ٣٥ رسالة.

أخيراً تحتم علينا العودة إلى أرض الوطن، ولكن كان يلزم لذلك / - في ظل تلك الأوقات المجنونة الهائجة غير المستقرة - جوازات سفر. وتولى [٢٨٤] الأمر "سنوك *Snouck*"، فاصطحبني في اليوم الرابع من الشهر إلى المبعوث النمساوي المجري - البارون "جيسكرا *Giskra*" في لاهاى *im Haagen* لإنهاء تلك المستندات. وقد وعدني الدبلوماسي الرقيق الذي استقبلنا بترحيب خاص

(وقدّمنا أيضًا للبارون) أن يرسل لنا الأوراق في أقرب فرصة ممكنة. واليوم، وبعد مرور أربعة أيام، لم تصل بعد، حيث إن وصولها يعنى إشارة لسفرنا الكئيب. ماذا ينتظرنا في أرض الوطن؟ أيها الصديق الطيب "سنوك هوجرونيه *Snouck Hurgronje*" كم كنت - وزوجك النبيلة معك - صديقًا وفيًا مخلصًا لنا - أثناء إقامتنا في بلدك طوال ستة أسابيع! لقد قدّمنا لنا كل ما يفوق الوصف من مشاعر طيبة تجاوزت ما علمته عنكم.

بودابست في ٢٠ أغسطس

في يوم ١٢ من الشهر غادرنا كاتويك *Katwijk*. وحتى آخر لحظة أحاطت بنا أسمى علامات الحب من قبل أصدقاء لايدن *Leiden*. سافرنا في قطارات تسير في ببطء بدرجة لا يمكن تصديقها، وتتوقف في محطات كثيرة، مرورًا بأمستردام *Amsterdam*، وأولدنتسال *Oldenzaal*، وبننهام *Bentheim*، ولونه *Löhne*، وشنتدال *Stendahl*، وبرلين *Berlin*، ودريسدن *Dresden*، وفيينا *Wien* ولمدة ثمانية أيام حتى وصلنا إلى هنا. ولو أردنا أن يكون لدينا تصور عن مدى التقدم في السرعة فعلينا أن نعرف الحقيقة التالية، وهي أننا قطعنا المسافة من دريسدن إلى فيينا في ٤٠ ساعة، وإلى حد كبير كنا بديوان غير مريح للغاية بالدرجة الثالثة. أيامًا وليالي. وأخيرًا وصلنا أمس مبكرًا - الساعة 6.34 - محطة بودابست الشرقية، وكان في استقبالنا ولدانا العزيزان. وفي الطريق أحاطت بنا على الدوام كل دلائل الشراسة والغضب لاندلاع حرب عالمية. فلا ترى سوى قطارات عسكرية في ألمانيا والنمسا - المجر. ويبدو للعيان أن هناك ولعًا ورغبة عارمة في القتال من قبل المجموعات

القتالية الوطنية الذين يستقلون عرباتهم وعليها الأكاليل، وشاهدنا الفرحة الحقيقية للرجال الراحلين لساحات القتال، كل ذلك من أجل وطنهم، ومن أجل العدالة، ومن أجل حضارة وتقاليد في مواجهة البربرية؛ والموضوع في هذه الحالة لا يتوقف فقط على الانتصار أو الموت في وجه رعايا القتل من الجنس السلافى، بل ضد فرنسا الغادرة وإنجلترا المناقفة.

١٩ نوفمبر

- لا شيء يمكن أن يُسجل عن هذا الوقت الشرير للحرب، فقط خوف وهلع من القتل العام العالمى الذى لا يعنى سوى إفلاس حقيقى للمسيحية. فماذا تمخض عن هذا النظام بعد قهر عالمى دام تسعة عشر قرنا من الزمان؟ لا شيء سوى عقائد جامدة وجبال من الفشل.

اليوم "أرى نفسى فى الصحيفة". وهذا شيء من أجل بودابست، لاسيما ما نُشر فى صحيفة المساء للويد "*Abendblatt des Pester Lloyd*". حضر الدوق "اويجن *Eugen*" إلى الأكاديمية لإزاحة ستار نصب إليزابيث التذكارى. وكنت محط "تكريم" فى دائرة الموجه إليهم الخطاب. فيما عدا ذلك كان بحثى عن الباطنية/ عند (الغزالى *Ghazâlî*) يسير ببطء شديد من خلال جميع المعوقات. هو فى واقع الأمر قد انتهى، ولكن لا أجد فى نفسى رغبة أو عزيمة.

٢٨٥

٢٧ نوفمبر

استقبلت اليوم شيخين من المغرب، جاءا إلى برلين فى مأمورية سياسية. وقد قَدما إلى فى صحبة الدكتور "شابينجر *Dr. Schabinger*"، وهو

ترجمان البعثة القيسرية الألمانية بطنجة. إنهما يحييان بكل ثقة في الله من انتصار كل ما يتعلق بالإسلام.

عام ١٩١٥

في يوم ٢٢ يونيو

جاء تلاميذى - ويتزعمهم "المعلم" "مالر Mahler" (١) - في أوفينكل Auwinkel ليعربوا لى فى حماس وتصفيق حار عن تهانيم بمناسبة عيد ميلادى الخامس والستين.

٢٨ أغسطس - توفيسجيهاز Tövisgyház

منذ يوم ١١ مايو ونحن نقضى الصيف فى ركننا المعتاد بمدينة تسوجليجت Zugliget، حيث تناولت أعمالا متعددة بهمة ونشاط. فقد انتهيت فى شهر يونيو من بحثى عن الباطنيين؛ كما كتبت - فى الفترة من شهر يوليو وحتى منتصف أغسطس - بحثين آخرين بديعين: أحدهما خاص "بالإسلام" عن "سفور الرأس" (٢)، والآخر خاص بأكاديمية برلين عن "موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة" (٣). وقد احتفظت (٤) بالنصف الثانى من شهر أغسطس للقيام بتأليف خطاب سألقيه فى ذكرى "فامبيرى Vámbéry"، وقد انتهيت منه فى الوقت الذى جاءت فيه "لاورا Laura" والأولاد لاصطحابى لحضور الاحتفال الخيرى التذكارى السنوى.

(١) E. Mahler (١٨٥٧ - ١٩٥٤) مستشرق وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) انظر B. Heller، مرجع سابق، تحت رقم ٣٥١.

(٣) المرجع السابق تحت رقم ٣٥٥.

(٤) للمرجع السابق تحت رقم ٣٤٧.

٣ سبتمبر

جاء اليوم الأخير لنا في توفيسجيهاز *Tövisgyház* حاملاً لنا معه نبأ مفزعاً عن وفاة السيدة الطيبة "مالناى *Málnai*" - هذه الصديقة المخلصة لمنزلنا. وقد أصابنا حزن بالغ للغاية من جراء حالة الوفاة تلك مثل لوعة قلوبنا على وفاة شخص من أعز أقاربنا شاركنا الأفراح والأفراح من كل قلبه فى منزلنا الذى وضع فيه أولادنا نقتهم فيه طيلة تسع سنوات. وقد رافقناها فى يوم ٣٠ من أغسطس لمثواها الأخير.

٥ سبتمبر

أسفرت الأحداث العالمية فى الوقت الراهن عن تدفق كم هائل من الكتب والأعمال الإسلامية فى دور النشر بألمانيا. وأغلب هذه الكتابات اتخذت أعمالى مرجعاً لها/ وأضفت على ألقاباً من المدح والتمجيد والإشادة ٢٨٦ يفوق كل تصور؛ وها هو - على سبيل المثال - أحد الكتب التى نشرها المبعوث التركى فى برلين - محمود مختار باشا، وآخرين يقتبس "فريدريش ديليتش *Friedrich Delitzsch*" مواضع من "محاضراتى" ويصفنى بقوله: "ويعد الأستاذ ا. ج. أفضل العارفين بالإسلام باعتراف العالم له". كما أن "إى. جاك *E. Jäckh*" الذى تواصل معى بالخطابات، يسعى لكسبى فى ضمى لفريق المعاونين بمكتبته - "مكتبة الشرق الألمانية".

٨ أكتوبر

لطمة وراء لطمة. عدنا اليوم من أراد *Arad* حيث قمنا بدفن شقيق زوجتى "إيزيدور *Isidor*". فى نهاية أغسطس كان قد استضافنا فى بهجة

وحب للحياة فى توفيسجيهاز توسكولوم *Tövisgyház Tusculum*. ولم يمر
أكثر من شهر على ذلك وكنا نرافقه إلى مثواه الأخير الذى اختاره ليكون فى
سيماند *Simánd* حيث سيرقد تحت أقدام والديه المرحومين!

١٧ أكتوبر

ألا يكفى ما نلقاه من أخبار مؤلمة للمشاعر؟ رافقنا اليوم أيضاً أفضل
صديق لى فى الشباب - موريس كارمان *Moriz Kármán* - إلى مثواه
الأخير. وبوفاته انطوت معه صفحة من زمن حياتى دامت نصف قرن. وقد
وصفت علاقتى به فى كلمات قليلة على صفحة إهدائى له لكتابى "أسطورة
Mythos". فى بهو المدرسة الثانوية التى قام بتأسيسها تحدث زملاؤه الذين
يعتصرهم الحزن عن إحدى خدماته الجليلة الباقية مع الزمان، عن قيامه
بوضع حجر أساس جديد لكيان مدرستا وهيئتها الوطنية... ولكن - ويا
للعجب - لا حديث عن مدى تعذيبهم للرجل وتجاهلهم له عن عمد! لقد عاش
الرجل حتى انتقل إلى جوار ربه حياة الشهداء بينهم، وهم يمجدون الآن
ذكره بكثير من القول الذى يجعل صاحبه من المشاهير. لقد عذبوه نفسياً،
كما أنهم ألحقوا به خسارة مادية فادحة وأبخسوا حقه فى منحه ما يكفيه من
وسائل معيشة محتملة، تسد على الأقل رفق أسرته. هكذا نرى لدينا من
البشر من يموت مقابل ما يؤدونه من خدمات ومن أعمال خير لا تقنى مع
مرور الزمان، بينما يعيش السذج والأغبياء السطحيون الذين يعملون وفقاً
لمتطلبات العصر وفى أريحية من العيش حياة مزدهرة. ولكن ماذا يفيد ذلك؟
بعد قضاء حياة بائسة مليئة بالألوان العذاب من جراء سفالات أصحاب المكانة
العليا يساق المرء إلى قبره فى أبهة وبهاء، ويمجد بالأكاليل والاختصاصيين
بسجلات الموتى والترثرة على القبور. وهم يعتقدون بذلك أنهم غسلوا أيديهم
من الشر الذى فعلوه مع الميت وهو حى.

٢٥ أكتوبر - ليلاً

ألقيت اليوم بالأكاديمية محاضرتى فى ذكرى "قامبيري Vámbéry"، وقد نالت إعجاباً كبيراً. وقد أديت هذا العمل المنهك على نحو يتسم بالأدب. وبذلك أتممت الفصل الخاص بسيرتى الذاتية الذى يحمل عنوان "قامبيري". /

٢٨٧

٤ نوفمبر

نجحت فى أن أقنع العضو الذى تم اختياره من الخارج للالتحاق بأكاديميتنا، وهو الأستاذ "شتومه Prof. Stumme" فى أن يلقى أول خطاب له على مائدة القراءة بالأكاديمية باللغة المجرية، حيث إنه على دراية بها. وفى اليوم الثانى من الشهر كان هذا بمثابة حدث. فقد ترأست الجلسة، ثم قدمت الضيف الذى سيقراً خطبته، ورحبت به فى خطاب نال إعجاب الحاضرين^(١). وعقب المحاضرة أقيمت وليمة على شرف الضيف. وكان معنا أيضاً "هاينريش Heinrich" بلونه الأخضر على الدوام.

١١ نوفمبر

[ملصق بالنسخة المكتوبة باليد القصاصة التالية، وهى مأخوذة هنا من صحيفة "قوس Vossische Zeitung":

من أكاديمية العلوم فى جلسة لجنة التاريخ والفلسفة المنعقدة بتاريخ ١١ نوفمبر، والتى ترأسها الأستاذ "ديلز Prof. Diels" تحدث الأستاذ "بورداخ Prof. Burdach" عن:....

(١) المرجع السابق تحت رقم ٣٤٩.

قام العضو المتواصل معنا من الخارج -الأستاذ "اجناس جولدتسيهر *Prof. Ignaz Goldziher*" - في بودابست بإرسال بحث له بعنوان: "موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة *Die Stellung der islamischen Orthodoxie zu den antiken Wissenschaften*". إن المسلمين يقصدون بمفهوم "العلوم القديمة *al-ulum al-kadima*" أو "علوم الأوائل *Ulum al-awa'il*" فروع العلوم التي غزت ثقافتهم من جراء الأعمال التي وصلوا إليها عن طريق ترجمة المصادر اليونانية. مع تفاقم هيمنة الأصولية فإن موقفها المتشكك من تلك العلوم قد تزايد باطراد، وبلغت ذروة هذا السلوك المنحرف في القرن الثالث عشر بعد الميلاد على يد "فتوى" ابن الصلاح الشهرزورى" الذى وقف موقف العداء من دراسة وتكريس "علم المنطق". وقد ألحقت بهذا أيضا نصوصا عربية أخرى تبين سلوك الأصولية العدائى من العلوم القديمة.]

١٢ نوفمبر

فى طريق رحلته إلى القسطنطينية، حيث تقلد منصب أستاذية بجامعة، قام "بيرجشتريسر *Bergsträsser*"^(١) بزيارتي مساء اليوم. وقد رثى أخين أصغر منه على قطعة من القماش، كانا قد سقطا فى الحرب التى دارت بمنطقة فلاندرى الهولندية، كما رثى أمه التى سارعها الموت على أثر تلقيها نبأ فقدانها لولديها ولم تتحمل الصدمة. وقد علمت منه أيضا أن السيد الفاضل المتفوق "شاده *Schaade*"^(٢) والذى كان قد زارنا أيضا فى الشتاء الأخير، صار بكل أسف من المفقودين/، حيث كان يرغب على أثر احتلال بولندا، فى الرحيل من منطقة جبال كارباثيان إلى الحدود الروسية.

٢٨٨

(١) *G. Bergsträsser* (١٨٨٦ - ١٩٢٣) مستعرب ومن تلامذة فيشر *A. Fischer*.

(٢) *A. Schaade* (١٨٨٣ - ١٩٥٢) مستشرق ألماني ومن تلامذة فيشر *A. Fischer*.

١٧ نوفمبر

استدعاني الوزير "يانكوفيتش Jankovic" ^(١) لكي يتشاور معي بشأن إرسال أحد العلماء الشبان لدينا إلى القسطنطينية لشغل منصب الأستاذية لفقه اللغات التركمانية. ويتحتم على أن أعترف بأنني لم أكن الناصح المناسب لهذه المشورة، رغم أن الأمر بدا لي بجدية الأخذ برأى؛ إن حاوية ذاكرتي تمتلئ بذكريات مكثرة للغاية من قبل وزارة الثقافة هذه، ولا أستطيع أن أدخلها دون استدعاء لمواقف وأحداث تريفورت التي تجعلني أشعر بالغم.

١٨ نوفمبر

قام القنصل العام لهولندا بتوسط حميد عن طريق البعثة الهولندية بفيينا، وأرسل لمؤسسة "دي خويه de Goeje" نسخة بخط يدي لمخطوطة "فضائح الباطنية" للغزالي من أجل نشرها لديهم.

٢ ديسمبر

كان لا بد - بناء على دعوة خاصة عاجلة من مركز البوسنة بمدينةنتا - أن أشارك في جلسة تكلم بها أشخاص عديدون يثرثرون عن آرائهم بشأن الأموال التي من شأنها أن تتوسع المجر في نشاطها الثقافي في دول البلقان. وقد تحدث في هذا الشأن كل من "جوستاف شفارتس Gustav Schwarz" و"بيلا أرودي Béla Erödi" و"ريزو هافاس Rezső Havas". وكان على أيضا أن أنلى ببلوى.

٦ ديسمبر

غشوات! تلطيخ وغشاوة سيئة القصد!

(٣) B. Jakovich (١٨٦٥ - ١٩٣٩) وزير الثقافة وعالم اقتصاد.

٣٠ ديسمبر

قمت ظهر اليوم بزيارة الأديب المريض البالغ من العمر ثمانين عامًا، الدكتور "إجاي gaiÁ"^(١). وعند دخوله غرفة الاستقبال لم يتعرف على في البداية حين وقع بصره على، وقال مشيرًا إلى شعر رأسي الأشيب: "أعتقد أن حضرتك تضع على رأسك قلنسوة الموتى!" علامة شوم! ولكن حالتى النفسية فى الوقت الراهن تعطى مبررا لهذا الخداع البصرى لأديبنا المريض. هل أضع بالفعل قلنسوة الموتى على رأسي؟/

عام ١٩١٦ ٢٨٩

٣ يناير

تعرفت اليوم أثناء حضوري جلسة اللجان النوعية بالأكاديمية على "سليمان البارونى Sulejmán el-Baruni" الذى يتردد اسمه كثيرا فى هذه الأيام لارتباطه بحركة "سنوسى Senusi" الذى يشاركنا الجلسة. وهو الآن عضو مجلس الشيوخ بالقسطنطينية، قبل قيام إيطاليا باغتصاب سلطة المبعوثين الأتراك لدى طرابلس.

٦ يناير

فى الوقت ذاته أقوم اليوم بأعمال التصحيح الخاصة بعمل برلين (انظر ما ذكرته آنفا بتاريخ ١١ نوفمبر) وما يتعلق بمخطوطتى عن الغزالي

(١) A. gaiÁ (١٨٢٦ - ١٩١٦) كاتب وصحفي.

(مؤسسة دي خويه)، إلا أن حالة المعاناة التي أشعر بها عند قيامي به لا تتناسب وهذا العمل الدقيق. ورغم ذلك فإن أصدقاء أعزاء قد وفروا على نير التصحيح الأول على أقل تقدير (من هنا "ميتفوخ *Mittwoch*"^(١)) وهناك "سنوك *Snouck*"، وهو ما خفف على الأمر بشكل أساسي.

٣١ يناير

أطلعني أحد المستمعين على عدد صحيفة "هيرلاب البودابستية *Budapesti Hirlap*" الصادرة بتاريخ ٣٠ من هذا الشهر. في هذا العدد جرت مقابلة للمراسل الحربى لتلك الصحيفة مع رئيس جامعة القسطنطينية - أحمد صلاح الدين *Ahmed Salā al-dīn*، حيث قال فيه: "تتمنى أن نكسب أستاذا عظيما فريدا من نوعه" - ثم أرفق بقوله: "وهو ابن بلدكم العظيم الأستاذ أيجناس جولدتسيهر، وهو أفضل محلل لفكر الإسلام"^(٢). وفى نهاية الأمر سيتم اكتشافى فى بودابست أيضا عن طريق القسطنطينية. يعيش قطار البلقان!

١ فبراير

بدأت مساء اليوم محاضراتى بكلية الحقوق، حيث يحضر أمامى عشرون مستمعا مقيدا بالكلية. وقيل إنه ربما يكون هذا العدد من المستمعين كبيرا، وفى موضوع ليس إلزاميا لهم أثناء فترة الحرب، حيث تم استدعاء زهرة شباب الطلبة للخدمة العسكرية فى هذه الفترة.

(١) *E. Mittwoch* (١٨٧٦ - ١٩٤٢) باحث فى ققه اللغات الحبشية والسبائية، وأستاذ بجامعة

جرايفسالد *Greifswald* وبرلين *Berlin*.

(٢) ذكرت العبارة (باللغة المجرية).

بعد عودتي للمنزل وجدت أمامي عضوا برئاسة تحرير مجلة "تابلو
 البودابستية *Pesti Napló*". وذكر لي أن زميلاً لهم - ويدعى "لازار *Lázár*" -
 قد عاد منذ فترة وجيزة من اسطنبول وأخبر بأن جميع الدوائر الرسمية
 بالباب العالي تتحدث عني وعن شهرتي (!). ثم استطرد بقوله، ولذلك فإن
 رئاسة التحرير تهتم اهتماماً بالغاً بي أن تجرى حواراً معي لينشر في عدد
 الغد، لكي تعرف وجهة نظري بشأن الوضع السياسي والاقتصادي لعلاقتنا
 مع تركيا.

وكموقفي الذي لا يتغير في غير ذلك من المواقف، فإنني لا أعبأ بمثل
 هذا الخداع./

٢٩٠ ٦ فبراير

لا تدعني لقاءات الصحفيين وشأني، ولا تتركني أعيش في هدوء.
 دائماً يطلبون مقالات ولا يدركون أنني قررت أن أصون مهامى العلمية
 النبيلة، وأن أحافظ على هدوئى مع ما لدى من "ثروة ستبقى معي" أمام
 الخداع والنصب الإعلامي.

١٢ إبريل

أحد الصحفيين الصغار واسمه "أرمين ساسفارى *Armin Sasváry*"
 (١) (بالطبع من أصل عائلة شوسبرجر *Schossberger*) حضر لدي وأزعجني

(١) *Armin Sasváry* (١٨٥٣ - ١٩٢٤) مترجم وصحفي. رئيس تحرير *Revue d'Orient et de Hongrie* (١٨٨٦ - ١٨٩٨).

طوال بعد ظهر اليوم من أجل حصوله على مقال لي لصحيفته "Junges Europa". وكذلك فوجئت بسيل من الصحف الأجنبية تطالبني بمقالات ذات لون سياسي؛ ومؤخرًا جاعني رجاء من إحدى الصحف المتخصصة بشئون الدول والاقتصاد بأوروبا قام بتأسيسها الوزير "Freuendorfer" بميونخ، وغيرها.

٢٠ إبريل

تلقيت اليوم صفقة مدوية من جديد. السادة الزملاء بالكلية الأعزاء ومن تولوا المناصب من بعد "جوزيف اتفوس Josef Eötvös" لم يكتفوا من إلحاقهم الأذى والمذلة بشخصي على مدار ٤٥ عاما. فقبل أربع سنوات كانوا قد تمكنوا - دون علم مسبق لي - من عرض أوبريت خاص باحتفالية مرور ٤٠ عاما على عضويتي بالتدريس بالجامعة، حيث ألقوا خطابًا مؤثرة وتمس المشاعر بشأن خدماتي التي قدمتها للجامعة. كانوا مضطرين أن يفعلوا ذلك لوجود زملاء أجنبى جاعوا من أقاصى الدنيا إلى هنا من أجل تعبيرهم عن حبهم الجم واحترامهم لى. واحتفل كل من السيد رئيس الجامعة والسيد العميد بمرور أربعين عاما على خدمتى بالتدريس بالجامعة فى منتهى السلاسة، ولكنهم التزموا الصمت بذكاء بأنهم تعاملوا معى على مدار خمسة وثلاثين عاما من السنوات الأربعين كأننى مدرس نكرة لا وجود لى. فضلا عن ذلك لم تحسب لى الحكومة الفاضلة من سنوات خدمتى التى دامت أربعين عاما سوى ثلاث سنوات - على حد قولهم - بينما أعتقد أنهم شهران فقط. وفى هذه السنوات قاموا بترقية جميع من سبقونى فى الخدمة من الأساتذة المتفرغين إلى الدرجة الخامسة؛ ثم جاعوا عند اسمى وتوقفوا كأنهم أمام

شخص غير جدير بالتقدير بأن يتساوى مع هؤلاء الذين سبقونى فى تحصيلهم للعلم (مع أن منهم جملة من المنتحلين له والجهلاء به). واليوم قاموا بتتويج ما قاموا به.. إنهم لم يقفوا أمام اسمى فقط بالتحقير، بل تعدوا ذلك بمراحل. ها هى الصحيفة الرسمية تنشر اليوم ترقية الأستاذ الذى يلينى إلى الدرجة الأعلى. إن النية مبيّنة لديهم أن يلقوا بصفعة رسمية ومعلنة على وجهي، ويتحتم على أن أقبلها. هكذا اكتملت دائرة الأذى والمذلة التى لحقت بى منهم منذ ٤٥ عامًا، وشارك فيها بنسب مختلفة جميع الوزراء الذين جاءوا من بعد "جوزيف إيتفوس Josef Eötvös". وعلى هذا الدرب تتوافر لديهم النية فى الحث على البحث العلمى والعمل على تشجيعه!

صار من الواضح كل الوضوح بأن ما قاموا به من وحشية تجاهي شخصيًا كان الهدف منها - رغم كل ألوان العذاب والهوان النفسى - تجميدى فى هذا المكان الموحش وعدم مغادرته. ولو أننى تمكنت من الانتقال للعيش - إلى هايدلبرج/ أو كامبريدج أو شتراسبورج - أو إلى أى مكان آخر حيثما تم تكريمى به، لما لحق بى مثل هذا الخزى والعار.

٢٩١

١٨ أغسطس

ولكن هناك أمارة ما فى الحياة تدل على أن هذا الصيف غير مثمر ومحمل بالهموم بالنسبة لى. منذ السابع من مايو انتقلنا مجددًا إلى ركننا المعروف فى منطقة تسوجليجت Zugliget. وحتى نهاية شهر يونيو كان شغلى الشاغل أن أنتهى من طباعة النسخة المنقحة للأصل الألمانى الخاص

بمحاضراتي في أوبسالة *Upsala* ^(١)؛ وفي هذه الأثناء لم يرغب الناشر من الاقتراب من طباعة هذا العمل لأسباب فنية أثناء فترة الحرب. فلم يكن هناك ورق ولا منضدة حروف الطباعة. وكان من الضروري الانتظار أولا لحلول السلام. وكان لدي ثمة تصحيحات خاصة بكتاب "مناظرة الغزالي *Streitschrift des Ghazālī*"، والآن خرج هذا الكتاب الصغير إلى النور. وتلقيت كل ألوان المجاملات بشأن بحثي عن "موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة *Stellung der alten islamischen Orthodoxie*" وعن "سفور الرأس *Entblössung des Hauptes*".

لقد سادت حياتنا الرثابة، كما غاب عنها أخبار "كارمان *Kármán*" المثيرة، وأخبار تلامذتي من الأجانب. ولا شك أنني وجدت ما يعوضني عن ذلك، باهتمامي مرتين في المساء من كل أسبوع بأحد التلاميذ النجباء والناهمين للعلم، وهو الدكتور "شرايبر *Dr. Ign. Schreiber*" ^(٢) الذي منحته الدكتوراه في يونيو، حيث أطلع معه باهتمام كتابي "إحياء *Ihjá* والكشاف *Kaššaf*". كما أن زيارة أبنائنا الأحباء لنا في المساء تضيء علينا الفرحة الحقيقية، رغم أننا سنحرم منها لمدة ثلاثة أسابيع حيث سيسافرون إلى رايشناو *Reichenau*.

في يوم ١٦ يونيو تلقيت طلباً من دار الثقافة بفيينا *Wiener Urania* لإلقاء محاضرة لديهم في الخريف أو الشتاء. ونظراً لتكرار رفضي نفس

(١) انظر *B. Heller* مرجع سابق، تحت رقم ٣٧١.

(٢) *I. Schreiber* (١٨٩١ - ١٩٢٢) حاخام في أوبودا *Öbuda*، وهو مؤلف كتاب "عن السببية"

Liber de Causis - المنسوب لأرسطو - يودايست ١٩١٦.

الطلب في السنوات السابقة، كان من الواجب على أن ألبى لهم هذه المرة طلبهم. وقد أعربوا عن رغبتهم في أن يكون موضوع المحاضرة يتعلق بما هو محل "اهتمام في الوقت الراهن"، ولدى مقال يمكن إدراجه تحت هذا العنوان، وهو "الفقه الإسلامى ومكانته في الوقت الراهن *Das muslimische Recht und seine Stellung in der Gegenwart*"، وقد أرسلت لهم هذا العنوان، وأهتم الآن بوضع وكتابة التصورات المألوفة عنه والنقاط الرئيسة به^(١).

بلغنى خبر نشر الترجمة الإنجليزية لمجلد "محاضراتى" (منشورات جامعة ييل *Yale University Press*)^(٢)، ولكنى لم ألتق بعد نسخة منه، وأتمنى ألا يكون ضحية سارقى رسائل البريد الإنجليزى التى اشتكى منهم أيضًا كل من له مراسلات من هذا النوع. فقد تسلمت فى يوم ٣ يوليو بطاقة كانت قد أرسلت من فيلادلفيا بتاريخ ٢٣ مارس. كما أن الخطابات المرسله من إسبانيا وإليها لا يمكن وصولها على نحو مباشر. ومما يجعلنى فى حالة تشاؤم أيضًا قرب حلول بداية الفصل الدراسى، حيث إن "طلبة السيمينارات" - على ما يبدو - يخططون لعمل "إضراب" ضدى. والأسباب: صعوبة وعدم جدوى ما أقوم موضوع التدريس؛ وشدة المعلم.

ونادرا ما تجد شخصا فى مثل حالتى، يقوم بالتدريس منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان ويستحوذ موضوع التدريس على اهتمامه العاطفى المفرط، ويضعه فوق اعتباراته الصحية والنفسية، ثم يتخلى عنه الجميع فى مثل هذه المواقف! /

(١) انظر *B. Heller* مرجع سابق، تحت رقم ٣٦٠.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٣٦٣.

صار الآن الاهتمام بالشرق لا حدود له لدينا، حيث بات من الحكمة ٢٩٢ وبعد النظر التوقع بأننا سننضم بعد الحرب العالمية من الناحية الاقتصادية والسياسية إلى أصدقائنا الأتراك على نحو متزايد وأكثر عمقا. ومن هنا نشأت - ولا شك بدون تخطيط أو نسق محدد - سلسلة من الاتحادات من شأنها أن تعمل على التحضير لمثل هذا الضم. كان هناك تحرك على الجانبين الاقتصادي والعلمي. فقد تأسس مركز "اقتصادي" للشرق؛ ثم أقيم مركز ثقافي شرقي. ولا شك أنه كان ينبغي أن يتم التحضير لكل هذه المشروعات، وإقامة قواعدنا على نحو علمي، كما حدث في ألمانيا، ولكن هذا ما لم يحدث لدينا، بل اتسم الأمر بالتهكم والاستهزاء (نوع من الهطالة!)، وراح الناس يرتجلون على درب الهواة. وفي حديث مباشر لي مع الدوق "باول تيليكي" *Paul Teleki* ^(١) الذي قام بزيارتي بمنزلي لهذا الغرض، طلبت منه أن يشركني في المركز الثقافي. وقد اختارني أحد أقسامه - وهو قسم علم اللغة - لأكون رئيسا له، إلا أنني لم أتحمل هذا التكريم إلا لفترة وجيزة؛ فلم تمر علينا سوى جلستين إلا ووجدت نفسي لا أطيق ما يدور حولى من ثرثرة بلا نهاية للأعضاء الهواة، بل ومشوبة بالتطاول، ولم أملك سبيلا آخر سوى أن تقدمت بإعفائي من مهمة هذا الشرف الذي قبلته أيضا طواعية منى. ومن الواضح أنه بات يروق للناس ألا أكون بينهم، ومن الأفضل أن يكون لديهم مراكز ثقافية دون وجودى.

علاوة على ذلك فإن وزارتنا قامت بوضع حجر أساس "لمعهد علمي" بالقسطنطينية. وفي يوم ٢٨ يوليو قام الوزير بتعييني باللجنة الإدارية للمعهد التى سوف تدار شئونها من بلدنا. ولم أعرف ما ينبغي على فعله، وما

(١) *Paul Teleki* (١٨٧٩ - ١٩٤١) عالم فى الجغرافيا، أستاذ بجامعة بودابست، ورئيس وزراء.

إسهامى فى هذا الشأن. فالدور الرئيس يقوم به أشخاص من أمثال التركى "ميزاروس جيولا Mészáros Gyula^(١)، وغير ذلك فلا أرى غير ماكينة لغوية جاهلة. فما عساي أن أقوم به؟

عدت للقراءة بنهم فى "الكشاف Kassaf"، كما قرأت كثيرا "لابن المنير Ibn al-Munajjir"، ولكن لم يفتنى أيضا أن أقرأ "فاوست" بأكملها مرة أخرى، وفى أوقات الليل كنت أقرأ كتاب "بدون عقيدة Ohne Dogma" التى ألفها "زينكيفيتش Sienkiewicz" - وأيضا قصة "الصلصال السحري للإنسان Der Golem" التى ألفها "جوستاف مايرنك Gustav Meyrink".

وقد جاءت العبارة التالية على لسان تلميذ القبلانية الفقير "شيمايه هيلل Schemaja Hillel" الذى عمل بأرشف الجالية فى المجلس المحلى اليهودى (فى براغ): "والإنسان الذكى يشرع فى البناء مبكرا، وأما الأذكى - على ما يبدو لى - فهو الذى ينتظر ويضع عينيه على كل شىء أولا .. وهذا ما كنت عليه أيضا طيلة ثلاثين عاما.

يجب أن أنتظر حدوث "إضراب طلاب السيمينارات" .. وبعد ذلك على أن أنتظر أيضا ابن أختى الجميل "ساس Sas"^(٢). ماذا فعلت فى دنياى حتى ينهش فى لحمى وينغص حياتى كل هؤلاء! لقد بلغت من عمرى الآن ٦٧ عاما، ولا يمكن أن يدوم هكذا هذا الوجود المشوه. ينبغى أن أحصل - وفقا لنظرية المعتزلة - على ما يعوضنى عن ذلك (عوض iwad).

(١) Mészáros Gyula (١٨٨٣ - ١٩٥٧) عالم باللغات التركية، ومدير المتحف الإثنوجرافى.

(٢) L. Blau.

١٩ أغسطس

تلقيت اليوم خطابًا من أمين المكتبة العامة "Public Library" بمدينة نيو أولم New-Ulm بالولايات المتحدة، ومدون عليه "تم فتحه بمعرفة الرقابة". وقد استغرق الخطاب ١٣٥ يومًا/ حتى تسلمته في يدي؛ وفيه ترجوني المكتبة أن ٢٩٣ أبعث إليهم بصورة كاملة لي - لمجموعة الخنافس عندهم. إن "كرامة" الولايات المتحدة لا تزال تتحمل مثل هذه المذلة.

٢٣ أغسطس

أعاد لي أحد معارفي القدامى - وكان في السابق "أحد الإخوة الماسونيين"^(١) - النسخة التي كانت لديه عن محاضرتي التي ألقيتها في قاعة "هومبولد Humboldt" في فبراير من عام ١٨٧٧، وعنوانها: "لا تمسني". لم أفكر على الإطلاق في هذا الموضوع الذي يعود إلى أربعين عاما مضت.

١٠ سبتمبر

تلقيت من المجلة الشهرية المصورة "شرق وغرب" التي تصدر في برلين، وهي متخصصة في شئون اليهودية رجاء - متضمنًا مقدمات تتسم بالتملق الزائف كلية - بأن أبعث إليهم بمقال عن مراحل تطور تحرير اليهود في المجر. كما تلقيت في الوقت ذاته رجاء آخر من الدوق "باول تيليكي Paul Teleki" في أن أكتب مقالًا للمجلة حديثة الإصدار الخاصة بالمركز الثقافي الشرقي الذي أسسه - وكذلك رسالة أخرى من مجلة "إسلام" تذكرني بكتابة مقال جديد. وبالطلبات التالية يكون وقتي قد اكتمل عن آخره: رسالة من

(١) وهو L. Wekerle.

"هانزليك *Hanslik*" بفينينا من أجل مقال سينشر في "مجلته الشهرية". وقد أملت "شرق وغرب" إلى ما كتبه "بوشلر ساندور *Büchler Sándor*"^(١) في هذا الشأن، كما حاولت أن أغرى "تيليكي *Teleki*" بأن يقوم بترجمة مجرية لمحاضرتي في أوبسالة *Upsala*، حيث إن المقال قد تم نشره في مجلة "للويد البودابستية *Pester Lloyd*" ويحوى تفاصيل كبيرة في معالجته. وقد تكرمت حبيبتي "ماريسكا *Mariska*" بأن أخذت على عاتقها عملية تحرير وتنقيح النسخة السيئة.

١٥ سبتمبر

علمت اليوم بطريق غير مباشر - عن طريق "زيجيد *Szeged*" (لوف *Löw*) - بأنه وفقا للتقرير الذي قدمه محامى هيئة الإصلاح الأمريكى بتاريخ ٢٤ يونيو من هذا العام، فقد قررت "الأكاديمية التاريخية بمديرية" بتاريخ ١٩ مايو اختيارى عضوا من الخارج بها. وهذا يعنى أننى أحظى بهذا التكريم منذ أربعة أشهر كاملة دون إدراك من الأكاديمية ذاتها، ولا شك أن المراسلات مع إسبانيا المحايدة "مستحيلة".

لقد نلت الآن عضوية ثمان أكاديميات، وحصلت على عضويات شرفية من الخارج من تسع جمعيات علمية مرموقة، فضلا عن نبلى لعدد اثنين من الدكتوراه الفخرية، وتسع عشرة شهادة دبلوم شرفي. ولعل من يطالع كل هذا العدد يصدقنى بأننى على استعداد تام لأن أستبدل كل هذه الشهادات بيوم واحد. هادئ أنعم فيه بالراحة فى حياتى.

(١) *A. Büchler*: تحرير اليهود فى المجر. "شرق وغرب" - العدد XVIII. عام ١٩١٨ - ص

فينا في الأول من نوفمبر

فى يوم ٢٨ من الشهر الماضى وصلت إلى دار ضيافة شقيق زوجتى "ألبرت *Albert*"، وقمت فى اليوم التالى ببعض الزيارات لأقارب "ماريسكا"، وفى يوم ٣٠ عنيت بموقف نشاط محاضراتى./

٢٩٤ ٢٩٤ إن إدارة "دار الثقافة الشعبية - اورانيا فيينا *Wiener Urania*" تعتبر أسوأ كيان يمكن أن يتخيله إنسان؛ لم يهتم أحد بها بالقيام بالدعاية اللازمة لمحاضرة ضيف عليهم جاء بدعوة ملحة منهم، حتى إننى اندهشت من وجود ما يقرب من ٢٠٠ مستمع لمحاضرتى رغم هذا التقصير، بل إن زملاى المتخصصين لم يعلموا عن محاضرتى التى نالت إعجاب المستمعين شيئاً.

بعد ذلك قمت بزيارة المكتبة الملكية؛ وتقابلت مع: "كارباتشيك *Karabaček*" و"متشيك *Mžik*" و"موزيل *Musil*"^(١) الذى أرانى الخرائط التى يملكها عن بلاد ما بين النهرين وشمال ووسط جزيرة العرب، كما عرض على نتائج رحلاته العجيبة الأخيرة.

وبعد المحاضرة كان لى زياره لطيفة. إنه الحقوقى الرومانى الأستاذ الدكتور "إرليش *Ehrlich*"^(٢) الذى يدرس فى (تشرنوفيتش *Czernowicz*) حيث نتاقش معى بشأن نتائج محاضرتى من وجهة نظر قانونية بحتة. بعد ذلك قضيت عدة ساعات مع العبقرى "تورتشيزنر *Torczyner*"^(٣) -الملقب بمجال بحثه "طور سينا". وفى مساء يوم ٣١ أقام "معهد أبحاث الشرق" حفل ترحيب

(١) *A. Musil* (١٨٦٨ - ١٩٤٤) منشرق تشيكى، وأستاذ فى جامعات أولمتس *Olmütz*، وفينا وبراغ.

(٢) *E. Ehrlich* (١٨٦٢ - ١٩٢٢) أستاذ قانون فى تشرنوفيتش.

(٣) *H. Torczyner - Tur-Sinai* (١٨٨٦ - ١٩٧٣) فقيه لغوى وباحث فى الأنابيل، وأستاذ فى برلين والقدس.

بي على شرفي (وحضره المدير "جاير Geyer")، ولم نتفارق إلا عند منتصف الليل. وقد أتاح لي هذا اللقاء فرصة التعرف على بعض زملاء نجباء في التخصص من الشباب الصاعد، أسعد بذكر بعض منهم على الأخص: "جرومان Grohmann"^(١) ومجال تخصصه (جنوب جزيرة العرب)، و"ب. جايجر B. Geiger"^(٢) (فقيه في اللغة الفارسية)، و"هروزني Hrosny"^(٣) (عالم في اللغة الآشورية وباحث في الحثيين)، والملازم أول "ديتس Diez"^(٤) (باحث في الفن وأثرى).

وقد تبين لي اليوم أن P. Li. قد قام بنشر محاضرتي في (extenso)، إلى جانب تمهيد لم يحل لي ولا يستحق التقريظ، في ذلك العدد الصادر بتاريخ ٣١ أكتوبر.

بودابست - ٣ نوفمبر

لم يرغب أقاربي الذين قاموا تجاهي بكرم الضيافة على أكمل وجه في التفريط في بسهولة، وأبقوا على معهم حتى اليوم في فيينا، كما قاموا بدعوتي (ثلاث مرات) لزيارة المسرح. وفي اليوم السابق لرحيلي تعرفت على عالم شاب من وارسو، وهو الدكتور "أوبرمان"^(٥) Dr. Obermann الذي نشر أشياء مهمة عن الفلسفة العربية.

(١) A. Grohmann (١٨٨٧ -) مستعرب وأستاذ علم الخطاطة العربية في براغ.

(٢) B. Geiger (١٨٨٨ - ١٩٥٦) عالم لغة فارسية وأستاذ بجامعة فيينا ونيويورك (المعهد الآسيوي).

(٣) B. Hrosny (١٨٧٩ - ١٩٥٢) مستشرق وأستاذ في براغ.

(٤) E. Diez (١٨٧٨ - ١٩٦١) مؤرخ فن في فيينا.

(٥) J. J. Obermann (١٨٨٨ - ١٩٥٦) مستشرق وأستاذ في هامبورج، ونيويورك (المعهد

الديني اليهودي)، ونيو هافن (جامعة ييل) (New Haven (Yale University).

٤ نوفمبر

قبل ظهر اليوم واصلت محاضرات تدريسي في السيمينار (والخاصة بـ Sa'adjah) والتي قطعناها بسبب سفرى إلى فيينا. لم أر فى حياتى - على مدار خمسة وأربعين عاما من عملى بالتدريس - من مستمعين مثل هؤلاء الرعاع المنحطين الحاضرين فى هذا الفصل الدراسى (وأيضا بالجامعة).

وبعد المحاضرة جاعنى الدكتور "شرايبر" Dr. Schreiber^(١) (وهو الوحيد الذى له قيمه من بين المستمعين) وأظهر لى حديثا صحفيا لأحد الصحفيين المجريين مع "سنوك" Snouk، نُشر فى صحيفة "Világ" بتاريخ يوم ٣ من هذا الشهر. وقد اهتم التقرير فى هذا اللقاء إلى حد كبير بإبراز شخصى المتواضع وعرض صداقتنا على مدار خمسة وثلاثين عاما.

أفيما يفكر أهل بودابست إذا حين يتم الكشف هكذا عن جوانب

شخصيتى/

٢٩٥

١٦ نوفمبر

احتفلنا مساء اليوم بعيد ميلاد عزيزتنا الغالية "ماريسكا" (١٥ نوفمبر). وبلغنى مع احتفالنا بهذه المناسبة خبر مفاجئ: حصولى على شهادة دبلوم أكاديمية العلوم ببفارييا؛ وهو الدبلوم الفخرى رقم ٢٠ (انظر ما ذكرته آنفا فى هذا الشأن بتاريخ ١٥ سبتمبر). وكانت أكثر من شعر بالفرحة العارمة هى ابنتنا صاحبة عيد الميلاد التى اعتبرت ذلك الخبر بمناسبة هدية عيد ميلادها.

(١) انظر A. Schreiber: يوميات اجناس جولتسيهر، المجلد الأول، بودابست ١٩٤٨، ص ٤٢٤،

٢١ نوفمبر

انعقدت بعد ظهر اليوم تحت رئاسة الدوق "جوزيف فرانس Josef Franz" لجنة مجلس إدارة المعهد العلمى بالمجر التى تشكّلت بشأن القسطنطينية. وبعد الجلسة أدار الأمير الشاب المحبوب محادثات مع الأعضاء، ثم تناقش معنى مستفسرا عن "الحرب المقدسة" وعن قبائل شعب البربر بشمال شرق الجزائر *Die Kabylen*.

٢٢ نوفمبر

على مدار الأسبوعين الأخيرين، منذ عودتى من رحلة فيينا، انشغلت بدراسة وعمل اقتباسات من كتاب الباطنيين للغزالي. وقد حصلت على صورة فوتوغرافية للمخطوطة اليدوية التى نشرتها (يونيكوم *Unicum*) وهى التى ترجع إلى جنوب الجزيرة العربية (وهى نسخة شديدة الصعوبة حيث لا تحتوى على علامات التنقيط)، وبعث لى بها بكل احترام وحب من زيوريخ (هرتر باشا *Herz Pascha*)، وقد حصل عليها من مالكها الأستاذ "جريفيني *Prof. Griffini*"^(١) (ميلانو) حيث البلاد الأكثر شقاء فى العداء، ومرفق بها خطاب (باللغة الإيطالية) بأسلوب دمث كأن كل شىء بين بلداننا على ما يرام. واليوم انتهيت من هذا الكتاب العصيب.

عام ١٩١٧

٢٠ يناير

[ملصق بالنسخة المكتوبة باليد^(٢) فى هذا الموضع القصاصة
الصحيفة التالية:

(١) *E. Griffini* (١٨٧٨ - ١٩٢٥) مستعرب إيطالى.

(٢) وهى مدونة باللغة المجرية.

أعلن بالصحيفة الرسمية الصادرة اليوم أن "فرانس هانوى *Franz Hanuy*" - أستاذ علم اللاهوت بجامعة بودابست قد قرر رفع درجة المرتب التى يحصل عليها الأستاذ الجامعى "أجناس جولدتسيهر" المستشرق الشهير، بناء على أمر من الملك".

٢٧ يناير

اعتقدت أنه ينبغى على أن أقنع - من حيث الشكل - بالعزف على نغمة هذا الحدث الجلل، وأن أقوم بزيارة شكر لوزير المعارف. ولحسن الحظ التقيت فى حجرة السكرتارية - حيث يتحتم على كل زائر التعبير/ عن [٢٩٦] آداب الزيارة بالانحناء وكلمات التملق - من أصدر القرار، وشريكنا الخامس "هانوى *Hanuy*"^(١)، رئيس الدير وأستاذ بكلية اللاهوت، وتمكنا من الذهاب سويا إلى طريق صلب المسيح. استقبلنا الوزير "يانكوفيتش *Jankovich*" - بالمكتب الذى كان البارون "انفوس *Eötvös*" يجلس به - بحفاوة وترحاب. وقال إنه استقبل مشروع الجامعة باندهاش. فقد اعتقد - وفقا لقوله - أننى ترقيت إلى هذه الدرجة بالفعل منذ زمن طويل. وهذا ما يعرفه عن شئون جامعته، ولكن من الهطالة تجاهل جولدتسيهر! وفى هذه الأثناء كنت ألتقى أيضا التهانى، ومن بينها خطاب تهنئة رقيقة من وزير العدل "بالوج *Balogh*"، وكان فى السابق سكرتير الدولة بوزارة المعارف عندما سعى الأمير أحمد فؤاد^(٢) لدى كل من الأرشيذوق "فرانس فرديناند *Franz*

(١) *F. Hanuy* (١٨٦٧ - ١٩٥٣) مؤرخ كنسى، وأستاذ جامعى ببودابست.

(٢) الملك أحمد فؤاد الأول، ملك مصر بعد ذلك، وكان آنذاك رئيس الجامعة المصرية. [عونى]

Ferdinand والوزير "أرينثال *Aerenthal*"، والوزير "خوين هيدرفارى *Khuen Héderváry*" لتوفير الإمكانات لي للسفر إلى القاهرة لعقد سلسلة من المحاضرات. "يا جلالة الملك" فيسفاميترا *Visvamitra* - "إبنى كنت المعنى بذلك - يا لك من ثور أحمق!

٢٨ يناير

أمر آخر عن حجرة السكرتارية لوزير المعارف: التقيت هناك الدوق "فون كليبلزبرج *Graf von Klebelsberg*"^(١) الذى ترقى مؤخرا لمنصب سكرتير الدولة، وهو فى السابق ربيب مدرسة "شتولفايسنبورج *Stuhlweissenberg*" الثانوية، وعلمت منه أنه يرغب فى إقامة احتفال بيوبيل هيئة تدريس طائفة السيسترسيان. وكتلميذ سابق بمدرسة شتولفايسنبورج فقد رجاني أن أنضم إلى الرئاسة الشرفية لهذا الاحتفال، وقد لزم على بطبيعة الحال قبول ذلك الشرف كسبيل دائم الامتثال لائتمائى ذات يوم لهذه الطائفة الدينية الطيبة محل التقدير بالدولة.

لم أعبأ بالمديح الفياض الذى قوبلت به من عباس *Abbas* الذى كان يرافقنى، والذى لم يكف عن ترديده فى حجرة الوزير، حيث قال إنه قد طوف من قبل بـمدن إنجلترا، ولما علم القوم بقدراته باعتباره أستاذًا مجريًا، كان عليه أن يجيب عن الأسئلة التى وجهت إليه مرارًا عما إذا كان يعرف جولدتسيهر، وماذا يفعل جولدتسيهر. وعليه فقد اكتشفنى هو الآخر فى إنجلترا!

(١) *Graf K. Klebelsberg* (١٨٧٥ - ١٩٣٢) أصبح وزير الثقافة بعد ذلك.

زارنى منذ عدة ساعات واحد ممن استمعوا إلى أثناء المناقشة بقاعة
السيمنار (Seminar)، وهو أحد من يعدون للحصول على درجة دكتوراه
الفلسفة، اسمه "ريشوفسكى" *Reschovsky* ^(١) لتوجيه بعض الأسئلة بشأن
رسالته. وفي ثنايا حديثه معى قنم أعظم افتتاحية تشخيصية: لم يكن هؤلاء
المستمعون بالسيمنار (سيمنار الحاخامات) يزورونه للإفادة مما ينفع وظائفهم
الدينية. ولم يكن لدى أى منهم رغبة فى استماع هذه المحاضرات التى
يعتبرونها مضيعة للوقت، وأن لا فائدة منها، ولهذا السبب لم تلق عندهم قبولا
حسنا، ولكن لأسباب خارجية لا صلة لها بالعلم والتعلم (وأغلبها تحمل دوافع
مستتكرة) كانوا يلتحقون بالمعهد الذى لا يهتمون بمواد الدراسة به أى
اهتمام. وقد أغلق الطابق العلوى للسيمنار - بعد وقت قصير - لقلة عدد
الطلاب. ولهذا لم يكن هناك داع لشغل كراسى للوظائف الجامعية بالمعهد،
وكذلك الكرسي/ الجامعى الذى أشغله لأن أكثرية المستمعين يعتزلونه.

وبهذا الأسلوب كانت نظرة المسئولين أيضا والإجراءات التى اتبعوها
بشأن تعليم مذهبنا المجرى، وبمثل هذه النتيجة كنت قد تنبأت قبل ٣٥ عاما
أو ٤٠ عاما، وقمت بإبلاغها لبعض القوم، ولكنهم أنكروا على القول بذلك.

تسلمت من الأستاذ "فيلهلم روشر" *Wilhelm Roscher* ^(٢) (من دريسدن
Dresden) كتابه الجديد "العدد ٥٠ فى الأساطير" إلخ " *Die Zahl 50 in*

(١) *A. Reschovsky* (1889-1944) حاخام فى كل من *Nagyatád* و *Abony* و *Losone*.

(٢) *W. Roscher* (١٨٨٩ - ١٩٤٤) عالم فقه اللغات القيمة وموجه دينى، أستاذ بجامعة جوتنجن.

"Mythos...etc.". وقد اندهشت من كتابة ملاحظته بأن الكتاب إهداء "لي" (باعتباري مشجعا لأعماله).

٢٢ مارس

ثانى مسلم يدعى بكير صدقى - وله هيئة مغولية - يقوم بالتسجيل مستمعا لحضور سيمينار الزمالة.

٢ مايو

أسبوع عظيم لأكاديميتنا. الأمور تسير هنا ببعض اضطراب فى التفكير. لقد اقترحت أن يعين الأستاذ "ياكوب Jacob" عضوا من الخارج بالصف الأول الذى أقوم بالإشراف عليه للأسباب التى ذكرتها بملحق العرض. ولم تبد هذه الأسباب كافية لدى مجموعة الجهلاء، ومن ثم كانت النتيجة التصويت بالصف فرفض الاقتراح، وعدم تعيين هذا الرجل الذى يخدم المجر. ولا أريد أن أعد هذه الفضيحة إهانة لي شخصيا، وعلى أية حال لم يكن مثل هذا الأمر غير متوقع.

٧ مايو

يبين الملحق أننى قمت بدعوة النخبة الأكاديمية لجلسة مغلقة فى هذا اليوم كى أعلن استقالتي من مهمتى، إذ إن المرء سيكون مذنباً فى حق وظيفته، لو تقبل مكائد - مثل تلك التى دبرت "لياكوب Jacob" وهوت به - بمنتهى الهدوء. ومن ثم وضحت للقوم الأمر فى خطبة اتسمت بالشجاعة فى الحديث والرصانة فى الخطاب، وعارضتهم فى قرارهم. وقد ترأس "بوتى

"Beöthy" هذا الجزء من الجلسة، نظرا لأننى لم أرد أن أكون أثناء التفاوض على رأسها فى مسألة تتعلق بى شخصيًا.

وبعد أن انتهيت من كلمتى أعلن الحاضرون بالإجماع عن ثقتهم فى شخصى، ورجونى أن أسحب استقالتى، فامتنلت لذلك، وشعرت بأن ذلك أعاد لى كرامتى، بخاصة أن استقالتى أحدثت إثارة بالصحف المعادية للأكاديمية، وراحت تشنع تشنيعًا على جلستنا. ورغم الكراهية السائدة، فظنى أن المسؤولية تقع فى هذا الأمر على عاتق المعهد./

٢٩٨

١٠ مايو

موجز وفقا لما ورد فى تسوجليجت

تحتم على صباح كل يوم أن أشارك "اللاهوتيين" فى مؤتمر لسيمنار الأخبار لمناقشة الأحوال الراهنة بالمعهد (٨ فبراير)، وعرض الحاخام الغبى "هيفيسى Hevesi" نظرية مضمونها أن الأخبار لا حاجة لهم بالعلم، بل إنه خطر عليهم. كذا!!! وأضاف إنه يجب عليهم فقط أن يستطيعوا الوعظ باللغة المجرية. وكلما كانت معلومات الواعظ أكثر سطحية أصبحت قدرته على التأثير أفضل - بالنسبة له وللعالم.

أول يوليو

جلسة الكلية لانتخاب عميد سنة ١٩١٧ - ١٩١٨. دار الحوار بالجلسة بأكملها فى ظل موضوع لم يعرض بالجلسات السابقة؛ معاداة السامية. وكان

الهدف الرئيس التصويت على تسجيل ثلاثة يهود بالدراسات العليا؛ حصل أولهم بالكاد على الأصوات المطلوبة بصوتين مرجحين، وأما الآخران فكان الرفض مع التهمك على تجاسرهما للتقدم للتسجيل. وكان أحدهما، وهو "روهايم Röheim"^(١) يريد أن يقدم رسالة في علم الشعوب البدائية *Ethnologie* للحصول على درجة دكتوراه الأستاذية *Dr. Habil.*، ولم يوافقوا على طلبه، ولم يتجاوز عدد الأصوات التي أقيت بصندوق الاقتراع السرى على الربع بالنسبة لهذا الشاب اليهودى.

وقد سيطرت روح المعاداة للسامية على انتخاب العميد أيضًا. كان الدور على لأكون المرشح لهذا المنصب من الناحية الرسمية. وقد أظهرت نتائج فرز الأصوات السرية بعد التصويت عن أن ثمة ثمانية عشر صوتا فقط ضدى. وحيانى العميد، وهنأنى باعتبارى التالى له فى العمادة فى الخريف القادم، معبرا عن ذلك بطريقة مجاملة. وكان لزاما على أن ألقى كلمة شكر، رغم ما يمليه على شعورى الداخلى بأن ألقى فى وجوههم رفضى لهذا التوقيير المزعوم بفوزى لعمادة هذه الكلية المتميزة؛ إذ أسفرت النتيجة عن أن ثلث الأعضاء ضدى - باعتبارى يهوديا. كما حدث قبل إجراء التصويت أن أفزعنى بعض الأعضاء من جمعة الأموال من توقعهم بأننى سأعانى عدم الاعتبار فى عام الحرب هذا عند تولية هذه المكانة المرموقة فى غير هذا التوقيت، ولهذا كان من المتوقع رفضى لتقلد شرف هذه العمادة؛ حيث ستكون بالنسبة لى حكما بالعبودية والإذلال، وكان من

(١) G. Röheim (١٨٩١-١٩٥٣) محلل نفسى، وعالم بالسلالات البشرية والأجناس (أنثروبولوجى)، وعين بعد ذلك بمستشفى بولاية وركستر، وبمعهد التحليل النفسى / بنيويورك.

المفترض أن يستند رفضي للمنصب إلى هذه النبوءة، فضلا عن إنه سيتحتم على ألا أشتغل بأى عمل علمى طوال السنة، وسأخضع على الدوام لنوايا شريرة، وسأعانى أموراً بائسة، وبيئة وضيفة. ليتهم قدموا لى التعازى وليس التهانى.

٦ - ٧ يونيو

توفى الرجل الطاعن فى السن "بينكاس بوشلر *Pinkas Büchler*"^(١)، وهو الحبر القدير، ووالد ابن أختى "ساندور *Sándor*". وهذا يجعلنى مضطراً أن أسافر إلى مور *Mór* / ولم يكن الأمر سهلاً، لأن السكة الحديدية من ٢٩٩ شتولفايسنبرج *Stuhlweissenberg* إلى مور *Mór* كانت معطلة. واضطرت إلى استخدام سيارة السيد "روزن سفايج *Rosenzweig*" فى صحبة الحاخام "شتاين هرتس"^(٢) *Steinherz*. وفى العودة قبلت دعوة الصديق القديم "هيرمان فون فيرتهايم *Hermann von Wertheim*" لقضاء الليلة بفندقه، ولكنى لم أشاهد مدينة والدى، إذ إننى وصلت المدينة الساعة العاشرة مساءً، وكنت أرجو أن أسترجم ذكرياتى الجميلة فى صباى.

وعند دفن الجثمان ألقى كثير من الأحبار كلمات وداع، وألقيت أنا أيضاً - أمام القبر المفتوح - بعض كلمات تأبين أودع بها الميت وأهديها له، إذ كان إنساناً نموذجياً، كما كان رجل دين نموذجياً أيضاً، وطالما رحب بى فى محبة واحترام.

(١) *P. Büchler* (١٨٤١-١٩١٧) حبر فى فيلك - سالجوتارين *Fülek-Salgótarjan*.

(٢) *J. Steinherz* (١٨٥٦-١٩١٧) حبر ناجيتاد وشتولفايسنبرج *Nagyatad und Stuhlweissenberg*.

١٨ يونيو

كان على في الثانية عشرة صباحًا أن أقوم بامتحان الطلاب الراغبين في الحصول على درجة الدكتوراه من شباب اليهود الذين يحضرون السيمينار، وأصبحت بخيبة أمل لما لقيته من فضيحة الجهل العلمي الذي يعانيه بعض الطلاب. ووقعت اليوم على أقصى درجات الجهل عند امتحان "ريشوفسكى *Reschofsky*". كان الرجل على درجة مفضوحة من الغباء، رغم أنني لم أسأله إلا عن أمور عبرية أولية. ولم يكن عند ممتحن الدراسات الدينية اليهودي أى معرفة عن هذه الأوليات، كان جهله مطبقًا، وبذلك تركته يرسب في الامتحان مثل الممتحن الذي سبقه.

ما هذا التجديف على الله! من الذى يتحمل انتهاك قداسة الجلالة^(١) ولا يشعر بالذنب؟ هل هو الشاب (*Bocher*)^(٢) أم ممتحنه اليهودي المشتبه في أنه ينتمى إلى الحزب المذهبي المعادى للجامعة المتهم بالخيانة عندما يوجه مثل هذا الجاهل إلى شرف التقدم لامتحان دكتوراه الفلسفة؟

٢٣ يونيو

عيد ميلاد. أرسلت إلى "ماريسكا *Mariska*" (أعلى طفل بالنسبة لى) سيفًا هدية يتناسب مظهره مع حلة العمادة الرسمية ويكتمل به هندامها. وفي هذه الأثناء بدأ رفاق العقيدة (اليهودية) يطرقون عنقى بالمديح ليزيدوا حياتى مرارة بسبب العمادة. عاد "إيجينلوزيج *Egyenlóság*"^(٣) مرة أخرى يهاجمنى

(١) قداسة الجلالة = كتبها بالعبرية *Chillul ha-schem* (تركيب إشكنازى [خليلو هاشيم] - (عونى)

(٢) الشاب = *Bocher* بالعبرية *Bachur* - (عونى)

(٣) *Egyenlóság* - ١٩١٧ رقم ٢٣.

بطريقة غير مستساغة. لم يتركوني قط أعيش حياة هادئة بكراهيتهم لى
أو بتوقيرهم.

٢٨ يونيو

إلحاقاً بما سبق جاعنى جميع أنواع التهانى التحريرية، ووصل إلى
أيضاً شعر باللغة العبرية من الحاخام "فيلدمان *Feldmann*"^(١)، ولكن أعجب
ما وصل إلى جاعنى يوم ٢٧ يونيو - محررات موجزة/ من مضبطة ٢١ ٣٠٠
يونيو لهيئة تدريس سيمنار "فرانز جوزيف *Franz- Josef*" يعبر عن افتخاره
بأن رجلاً مثلى أصبح عميداً فى معهده. وحدثت بعض الإشارات والعجائب،
ولكن أمراً جلاً مثل هذا الحدث ونقل مستخلص من تقرير جلسة أمر لا صلة
له بالمنطق وغير مفهوم.

٢٤ يوليو

قرأت بالصحيفة اليومية عن موت إنسان تضاقر اسمه فى زمنه بتاريخ
معاناتى فى سنوات الطفولة، واسمه فى غاية البساطة: "إمرى *Imre*"، وهو
البارون "سيزالاي *Baron Szalay*"^(٢) - مدير المتحف المجرى الوطنى. وهو
رجل لا قيمة له وبلغ أعلى مكانة بالمحسوبية، فهو زوج ابنة المرحوم غير
المأسوف عليه "تريفورت *Trefort*"، وكان سكرتيراً لمكتب رئاسته فى تلك الآونة
التي أوقعنى فى حباته وأطاح بكرامتى، وفضلت أن أتوارى بمحض إرادتى.
وكانت دعوة تريفورت إلى للمثول أمامه لمواجهة خديعته مرتبطة باسمه

(١) *M. Feldmann* (١٨٦٠ - ١٩٢٧) حبر فى بودابست، وأستاذ بمدرسة اللاهوت المحلية.

(٢) *Baron I. Szalay* (١٨٤٦ - ١٩١٧) مدير المتحف المجرى الوطنى.

وبتكليف من رئيسه. وقد ذكرتني الصحيفة بهذا عندما قرأت نعيه، وجعلت من هذا القزم بطلا يستحق الشكر لما قدمه لتاريخ الوطن وحضارته. أما عن سبب وفاته فقد قيل ارتجاج في المخ، ومن المرجح أن يكون هذا هو السبب.

٣ أغسطس

زارني اليوم الأستاذ "هيللر Prof. Heller"^(١)، وكان تلميذ النبيه. علمت منه المعلومة الأدبية التالية التي لم أعرفها مطلقاً: جاء في عدد من أعداد المجلة الطائفية المصورة "Múlt és Jövő"، ما يتعلق بأحكام لرجال يهود في الحياة العامة عن قيمة مذهب التجديد الديني *Neologism* وممثليه، وذكر بها "أن إجناس جولدتسيهر، وهو من الشخصيات المجرية اليهودية المشهورة، ذكر في تصريحاته: إن دين التجديدية ليس إلا بمثابة جثة في وضع تحلل، وتسهر الغربان على ألا تستوطن روح في الجيفة".

وفي العدد التالي للصحيفة ذاتها نشر عني خطاب صريح باعتباري البطل الذي يحاول أن يكون ضمن الشخصيات الرائدة في التجديد، وأننى أنكر هذا التصريح".

إننى لم ألمس هذه الصحف الطائفية بإصبعى (سفر اللاويين ١١، ٤٣)^(٢)، لذلك لم أعلم بهذه الأمور إلا عندما أخبرنى بها هيللر، ولم أطلع هذا كله بعينى.

(١) B. Heller (١٨٧١ - ١٩٤٣) أستاذ أدب شعبي ومستشرق، أستاذ بمدرسة الأخبار ببودابست.

(٢) إشارة إلى الموضع التالي سفر اللاويين: "لا تُنَسُوا أنفسكم بديب يدب، ولا تتجنسوا به، ولا تكونوا به نحسين".

هل صدر عنى هذا التصريح حقاً، ومن هو هذه الشخصية الرائدة اليهودية المجهولة الكفيلة بكتابة التصريح بهذه الصورة. لا علم لى بذلك. /
على أية حال فإننى قمت بالرد على هذا السؤال بكتابى "محاضرات عن الإسلام" على صفحة ٤٧، السطر ٣٠^(١).

١٣ أغسطس

قضيت فترة الصباح كلها - جلسة من عملى المحبوب - فى صحبة العميد "كوفيسليجيتى" *Kövesligethy*^(٢)، وذهبنا لتتوسل لدى وزارة الدفاع ووزارة التعليم فى مسألة إعفاء "سارفارى" *Sárváry* - وهو موظف بسيط بإدارة العمادة - من الخدمة العسكرية. أى وقت ضائع يتعذر تعويضه! وألقى ضياع وقت العمادة بظله بطريقة وحشية. نرى ما الذى سيعترينى فى العام المقبل (أى سنة العمادة) ! وأى معاناة سأمربها!

١٥ أغسطس

فى الدورات الحرة التى يعقدها المركز الاقتصادى المجرى الشرقى ألقىت بالأمس (من الساعة ٩ مساءً إلى العاشرة إلا ربعا) محاضرة عن الإسلام والحياة الاقتصادية *"Islam und Wirtschaftsleben"* وفقا لما طلب منى. وكان من المفترض أن يكون موضوع المحاضرة (الذات الجوهر للإسلام *"Hauptbegriffe des Islam"*)، إلا أن ما كان محل تمهيد للموضوع قد تحول فى خضم النقاش الحر للمحاضرة إلى الموضوع الرئيس. وكان عدد

(١) إن هذا التصريح يقترب من أسلوبى فى الحديث والكتابة، ولكننى لا أستطيع أن لوكد أننى قائله.

(٢) *Kövesligethy* (1862-1934) فلكى، أستاذ بجامعة بودابست.

المستمعين يبلغ ١٦٠ - ١٨٠ مستمعًا، وكانوا ينصتون بانتباه شديد، مستحسنين ما يسمعون. وقد أكدت لى "لاورا Laura" [زوجة جولدسبير] - التى كانت حاضرة - أننى أفلحت فى عرض ما تناولته بصورة سليمة، رغم أنه فى الحقيقة لم يكن فى صلب الموضوع.

١٦ أغسطس

تلفنت لى السيدة "كوفيسليجيتى v. Kövesligethy" بتكليف من زوجها لتسألنى إن كانت خلّتى الرسمية التى أرّتبها بالمناسبات جاهزة أم لا، إذ ينبغى أن أمثل زوجها باعتبارى العميد للكلية - فى الاحتفال بموكب "شتيفان Stephan" مرتديا هذه الخلّة، ولم تكن الخلّة جاهزة، ومن ثم لا أستطيع رسميا أن أكون بين يدى القديس شتيفان، ولكن ماذا يخفى عنى بمستقبلى فى هذه السنة القادمة [الذى سيكون عميدًا فيها] - حماقة وخديعة.

١٨ أغسطس

مارست اليوم - بعد الظهر - أول عمل بحكم وظيفتى بالعمادة ممثلًا للكلية بدلا لسلفى مؤقتًا، لعدم استطاعته حضور حفل تأبين أستاذ علم الحفريات النباتية "لورنتاى Lörenthey"^(١) الذى توفى فجأة. فارتديت خلّتى، ووضعت سلسلة العمادة الذهبية حول عنقى، وسرت على يسار رئيس الجامعة الذى يرتدى ثوب كهنة السيستريسيان - الأستاذ "ميهاليفى Mihályfi"^(٢). وقد اعترض القسيس الكاثوليكي المتعصب (ولعله عدو لليهود أيضا) على

(١) R. Lörenthey (١٨٦١-١٩١٧) أستاذ علم النباتات بجامعة بودابست.

(٢) A. Mihályfi (١٨٦٣-١٩٣٧) رجل دين، أستاذ بجامعة بودابست.

رؤيتى أسير بجانبه، كتفا إلى كتف وأخطو بجواره. وكان يمكننى أن أشعر بهذا من تعبير على قسّات وجهه. وبهذا كان أول عمل أزاوله بالعمادة نذيرا بالشؤم - السير بجنّازة! /

أول سبتمبر

٣٠٢

تسلّمت بعد ظهر الأمس العمادة من سلفى، أى كل ما يتعلّق بالمذكرات، ومصروفات العمادة، ودفاتر السجلات، وأى أوراق أخرى تصل إلى العمادة. وبدأت من اليوم أنقلّد مهمتى وأصرف شئون العمادة فى أوقات العمل الرسمية (أى خمس ساعات فى الصباح ممتدة إلى ما بعد الظهر) بفهرسة السجلات الجديدة والتوقيعات، والإجابة عن أسئلة الذين يحضرون للاستفهام عن الأمور الرسمية بالكلية. والترحيب بزيارات الأساتذة الزملاء. والحق أن هذه الزيارات كانت أكثر الأشياء مضايقة.. يا إلهى! آه لو علمت ما يبطنون! وعلى هذه الوتيرة ستمر السنة القادمة، وقد تحفل أحيانا ببعض المشاكل المزعجة. آه.. يا حسرتى على حياتى العلمية!

٧ سبتمبر

كان ظهورى لأول مرة عميدا للكلية صباح اليوم، وكان الأمر محتملا، ولكن ما لم أحتمله وقاسيت منه صامتا الهذيان الذى لا يمكن احتماله، والذى لا ينقطع من هؤلاء الثرثارين. أى وقت ضائع يتعذر تعويضه!

١٠ سبتمبر

كان الظهور صباح اليوم لأول مرة رسميا فى مجلس إدارة الجامعة بملابس الرؤساء الرسمية، وبطبيعة الحال يغلب عليه طابع الحزن، بلا أى

زينة لحضور صلاة الجنازة على المرحومة الملكة "إليزابيث Königin Elisabeth" بكنيسة ماتياس.

وقد أخذنى حاجب فى ملابس فرسان الهوزار من حى الهوللو *Holló* فى عربة مفتوحة معه، وهو يجلس فوق كرسى الحوزى عبر سقيفة حارة الطبل *Trommelgasse* بين صفين من الرهبان البولنديين مصطفين فى هندام أصيل. ترى أى أمر فكروا حينما طلعت عليهم بمظهرى، ولكن من المؤكد أننى ظهرت فى مدينة جولوز *Golusz*، وكأنى شخصية مجرية محترمة.

١١ سبتمبر

فى الوقت الذى كنت أعانى فيه بعد ظهر يوم أمس متاعب إدارة الجامعة، قام بزيارتى هنا فى أوفينكل *Auwinkel* أستاذ اللغات السلافية بمدينة ليبزيج *Leipzig* السيد "موركو *Prof. Murko*"^(١) واستطعت معه أن أستعيد ذكريات ليبزيج. وعلمت منه أن ليبزيج أنشئ بها معهد للدراسات الإسلامية، وكان من الأولى أن تكون بودابست هى المركز لهذه الدراسات. ولكننى هنا بما لدى من نوعية المستمعين "المساكين" الذين لم يتقبلوا علمى منذ ثلاث سنوات/ لا أستطيع أن أغريهم بالدراسات الإسلامية، وماذا سيكتب بكل البلاد بالنسبة لمكانتى تجاه هذا العلم سنة بعد أخرى.

١٤ سبتمبر

تصافرت مع الموقف البشع الذى وجدت نفسى فيه بهذه العمادة حالة غير مريحة من تأنيب الضمير التى تسببت فى قضائى ليالى قلقة محومة،

(١) *M. Murko* (1861-1952) أستاذ اللغات السلافية بجراتس، وليبزيج، وبراغ *Graz, Leipzig, Prag*

ومرجعها: المناسبات الخاصة بالأعياد اليهودية وعلاقتي بها، ثم المشاركة في احتفالات الكنيسة بالمسؤولين بالدولة، وهى تتسم بالغنوصية والأفلاطونية الجديدة ولا تؤمن بالتوحيد، ويتحتم على عمداء الكليات المشاركة بها على المستوى الرسمى وبالثياب الرسمية. ويتساوى ضميرى (ولا أظن أن هذه المعادلة ضرب من التصوف) مع تأنيب الضمير هذا حين يوضع فى الحساب أن عدم المشاركة فى كل هذه الأمور يستغلها الأعداء باستمرار، ويقدمونها دليلا على أنه من المستحيل داخل الديانة اليهودية أن تتوافر المشاركة فى مناصب الدولة بكامل الكفاءة. وهذا ما يبرهن عليه جدل العجوز "هامان Haman" فى حجته القائلة: [عبرى]^(١). لكن القلق المؤلم للنفس لا يفارق قلبى.

١٥ سبتمبر

قرأت اليوم - كى أشغل فكرى بموضوع آخر - الرسائل التى نشرها "فينيكة Wieneke" عن "كارولينا ودورتيا Caroline und Dorothea" شليجل Schlegel (هل الحقيقة: عن برايندل Breindel وكذلك عن فيرونিকা Veronica؟). والأخيرة ابنة "موزيس مندلسزون Moses Mendelssohn"، وبعد انفصالها عن "سيمون فايت Simon Veit" أصبحت صديقة لفريدريش شليجل، ثم زوجة له، وكانت بروتستنتية ثم عُمدت كاثوليكية. يا لها من رواية غير صحيحة! فالقارئ أمام رواية تدور أحداثها فى دائرة مجموعة من اليهوديات بالنعيم - رومانسيات ومنقّفات ثقافة عالية تبلغ حد العالمية، يتنقلن من يد إلى أخرى- كما تدور فى فلك الديانة اليهودية اللاتى يدن بالشكر فى فكرهن لها، ورغم ذلك لم يعزفن عنها فقط، بل يتهمن ويسخرن بحماقة بنفس القدر

(١) سفر إستير، الإصحاح ٣، آية ٨.

عليها؛ إذ إن ابنة موزيس مندل (وهي تدعى أنه جدّها الأكبر) تمقت اليهودية القديمة، ولهذا اعتنقت البروتستنتية ثم الكاثوليكية، وغررت بأبناء أبيها وقادتهم إلى الهاوية، ثم انغمست بفكرها وقلمها - وبخاصة بعد وفاة زوجها فريدريش - في يم نصوص الأرض المقدسة. أهذه ابنة مندلسزون! وكانت تؤرخ خطاباتها وفقا لتقويم القديسين الكاثوليك، فنقرأ نعيها في وفاة زوجها مقرونا بإقامة "قداسات أرواح الموتى" المقدسة، إلخ. كما دعت لأخ من أبيها ذاته بالهداية وأن تحل عليه الروح القدس الكاثوليكية حين قام برحلة ترفيهية إلى روما، وافترضت بدافع داخلي لا شعوري أن اليهودي المسن يقوم برحلته إلى روما من أجل ذلك.

ويبدو أن خصوم "حركة التنوير" التي قادها مندلسزون كانت لديهم نظرة ثاقبة تجاه ما أسفرت عنه نتائج طموحاته الجيدة والصالحة./

٢٢ سبتمبر ٣٠٤

المشاركة لأول مرة في امتحان مواد إجازة الدكتوراه.

٢٣ سبتمبر

ظهرت باحتفال بدء العام الدراسي للمعهد العالي للصناعة والهندسة - ممثلاً لمجلس الجامعة، وفي عنق ميدالية رئيس الجامعة الذهبية.

٢٤ سبتمبر

على إثر حالة الغم التي أصابتنا من السفريات الإجبارية إلى المدينة لقضاء أمور تتعلق بالعمادة، وجب علينا اليوم بطقسه الخريفى الرائع أن نسلم

أنفسنا إلى مكان راحتنا بأوفينكل، وننتقل إلى حي مدينتنا النتن الملوث
بالبهاب. وذاك أيضا نعمة من ربنا الذي ابتعدنا عنه بما حملناه من شرف
الأعباء. أهل هناك أكثر من كل هذه الهموم والمضايقات!

٢٧ سبتمبر

الاحتفال بعيد الأضحى لدى عائلة عبد اللطيف، مهلين "الله أكبر"!

٣٠ سبتمبر

العودة من تمثيل مجلس الجامعة في تومبا ^(١) Tompa بالاحتفال المنوى
لجمعية "بيتوفى Petöfi". ركبت العربى الحنطور - يقودها هوزار بملابسه
الأنيقة المزركشة. وحول رقبتى سلسلة الميداليات الذهبية، وسار بى فى
حارة هوللو - والملك Holló- und Königsgasse، فحملق اليهود الفقراء فى -
وهم يمرون بجوارى بما يحملون فى أيديهم من شارات محبة إعدادا للاحتفال
"بعيد الأكواخ" غدا.

ماذا يعنى الوزير العجوز بهذه القلادة الذهبية حول عنقه، والحوذى
الهوزارى المزركش يقود حنطوره؟
أقسم أنه كان أحب إلى أن أسير معهم، وشارة المحبة فى يدي عن أن
أركب الحنطور مع الحوذى الهوزارى، والقلادة فى عنقى.

(١) M. Tompa (١٨١٧ - ١٨٦٨) شاعر مجرى.

عام ١٩١٨

ليلة رأس السنة

منذ قليل غادرنا أطفالنا الأحياء وعائلة "فرويدنبرج" *Freudenberg*، وكنا احتفلنا بالجمع بين آخر السنة المنصرمة وبدء السنة الجديدة بنية خالصة. وكنت قبل ذلك بعدة ساعات قمت بالإراف على دفن أستاذنا العظيم دكتور "فانجل" *Vángel*^(١) باعتبارى العميد.

٣٠٥

منذ أن كتبت آخر يومياتى كانت وظيفتى عميدا، واهتماماتى الرسمية سببا لمناعبى. ولكى أعرض هذا تفصيلا فإننى لست فى حاجة للحديث عن العبودية المنهكة والتى لا فائدة فيها، إذ إن العمل العلمى هو السبب فيما وصلت إليه من حالة جمود، ولكننى أطلع على وجه السرعة كل ما يمكن قراءته فى ساعات فراغى، وغالبا ما كانت هناك أشياء أقوم بإعدادها بالفعل منذ سنوات؛ ولكن أحيانا تتطلب الأشياء القديمة إسهما لا يستهان به - تدوين بعض الملحوظات البسيطة تخص كتاباتى. على أية حال كتبت فى شهر نوفمبر عملا صغيرا جديدا: "العشق الإلهى فى اللاهوتية الإسلامية *Die Gottesliebe in der mohammedanischen Theologie*"^(٢). وربما لن يخرج كتابى عن القرآن إلى النور إلا بعد موتى، ووصل إلى طلبات بشأن نشره من "معهد المستعمرات بهامبورج *Hamburger Kolonialinstitut*" ومن "مؤسسة دى خويه الخيرية *de Goeje Stiftung*". ومن الممكن أن يلحق نشر هذا الكتاب بكتابى عن "الإسلام"، ولكننى أرجو أن أحصل على ناشر ألمانى لديه مكتبة لبيع الكتب مثل دار نشر فيديرىمو *Vederemo*، ولكن هذه المكتبة لم يكن لديها ورق وأدوات طباعة إلا الآن.

(١) *E. Vángel* (١٨٦٤ - ١٩١٨) باحث علم الحيوان. أستاذ بجامعة بودابست.

(٢) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٣٦٧.

قوبلت أمس بترحاب من رفاق في العقيدة، وكنت أتمنى أن أبعد عنهم، فإذا بأقربهم منى يشير إلى ملحق بالجريدة المسائية (P. LI.) الصادرة بتاريخ ٣١ ديسمبر، وكتب فيه صاحبه عنى مقالا يصفنى فيه بأننى عالم مجرى، "وأنتى سأكرم فى نصفى الكرة الأرضية" (حرفيا). ولكن يبدو أن صاحب هذه الكلمات قد نسى أن طرفى نصفى الكرة الأرضية ينتهيان عند نقطتين محددين، وهى حارة "Síp" من ناحية، وحارة "Laudon" من الناحية الأخرى، حيث يتعرض كل "تكريم" منذ عام ١٨٧٦ إلى كل ألوان الحقارة والطعن والمكايد، بل ولا يزال مستمرًا بعد أن أنقذت عنقى (يوليو ١٩٠٥) من نيرهم. ولكن يمكنهم التصفيق لى فقط. فينبغى على كل من يقرأ الصحف أن يتأكد من أنهم لا يقفون خلف نصفى الكرة الأرضية عند أى "تكريم" فى مواجهة - إنسان مسكين، لم يسع مطلقا إلى تكريم له، سواء فى نصفى الكرة الأرضية، ولا فى حارة "Síp" أو حارة "Laudon".

[الجزء المذكور آنفا بالصحيفة مأخوذ من المقال الذى يحمل عنوان:

"الاحتفال بتحرر اليهود"، وجاء بالخبر ما يلى: "وعليه أخذ الحاخام دكتور "إلياس أدلر" *Dr. Dr. Elias Adler*^(١) الكلمة ليتحدث باسم اتحاد اليهود المجريين، ويرحب بالضيوف العديدين، ومن بينهم رائد اليهودية المجرية، والمؤلف "ميزاى" *E. Mezai*^(٢)، والوزير الأسبق دكتور "ليوبولد فاداتز" *Dr. Leopold Vadász*^(٣)، والعميد الأستاذ دكتور إيجناس جولدتسيهر وآخرون فى صحبات الجمهور "يعيش يعيش...". وقد قدم الأستاذ دكتور "كارل

(١) *E. Adler* (١٨٦٨ - ١٩٢٤) الحبر الأكبر فى بودابست.

(٢) *E. Mezai* (١٨٥١ - ١٩٣٢) كاتب صحفى.

(٣) *L. Vadász* (١٨٦١ - ١٩٢٤) وزير ورئيس الجمعية الأدبية اليهودية.

سيبستين *Prof. Karl Sebestyén* ^(١) محاضرة تحدث فيها عن دور اليهود في الدراسات العلمية بالأمة المجرية في نصف القرن الماضي.. ولم تنته الصيحات "يعيش يعيش.." عندما استعاد ذكر المكاسب/ التي اكتسبها الوزير الأسبق ليوبولد فادنتز الذي كان حاضرا، والتي تجاوزت شهرتها حدود الأمة المجرية، فعرف العالم كله اسم العالم المبجل الأستاذ جولدتسيهر".

١٦ مارس

تعيش أسرتي منذ أسابيع في حالة هيجان، إذ إننا طولبنا بإخلاء مسكننا في حديقة فيلش *Wellisch-garten* الذي نسكنه منذ ثلاث عشرة سنة - بطريقة تعسفية - مع التنبيه على وجوب قبول عش مؤقت - لأحد الأقارب - وضع تحت تصرفنا. وقد حرمتنا العمادة من التمتع برحلة ترفيهية بسبب واجباتها التي يجب أن أؤديها، وكذلك بسبب الدراسات الصيفية، مما جعل غيابي عن الجامعة ولو لفترة قصيرة مستحيلا. وليس من الميسور أيضا أن نجد مسكنا بديلا بجوار المدينة بسبب الغلاء الفاحش للإيجارات، إذ يبلغ إيجار المسكن ذي الغرف المتواضعة خمسة آلاف كرونا، وهو أمر لا يمكن احتماله. ومن ثم أرغمنا على أن نقضى الصيف المرهق "بحارة هولو" ذات الرائحة الكريهة، والضجة الصاخبة.

يا لسوء حظي! لقد تمكنت في اثني عشر عاما من أن أفرغ من كتابة ثلاثة كتب في الحديقة الصغيرة، فضلا عن كثير من الدراسات الأخرى. والآن - نتيجة ما اكتسبته من خبرة في العمل بهذا المكان الشعبي الكريه - لا أستطيع ذلك.

(١) *K. Sebestyén* (١٨٧٢ - ١٩٤٤) مدرس علم الجمال وأستاذ بمدرسة ثانوية.

١٤ إبريل

لوحظ علىّ أن جسدى ضمير وأننى أعطى انطبعا بالإنجهد المصاحب بالعصبية. ويبدو أن هيتى تثير القلق، ولذلك خضعت للعلاج. وكل ذلك من جراء منصب العمادة، فلا شك أننى أعمل فى محيط خارج نطاق الإنسانية. ولا أرى أملاً فى راحة!

٢ مايو

فرغت من أداء مهمة الأيمة وأحمد ربى على أننى أنجزتها دون أن يشعر بها أحد. فقد انشغلت طوال الأسابيع السابقة بمراجعة مكاتبات أكاديمية أمستردام المرسلّة إلى عام ١٩١٦، ولاحظت أن معهد بودابست والمعاهد المجرية الأخرى مسجلة بالكتاب السنوى - بفهرس المعاهد التى تتبادل مراسلاتها مع أكاديمية أمستردام تحت عنوان *Oosterrijk* - دون أى تفرقة. واستنادا إلى أنه لم يلاحظ أحد لسبب أو لآخر - هذا الغباء منذ سنوات، الذى كان من الممكن أن يؤدى إلى "فضيحة" مدوية/ يستغلها المتطرفون - هذه [٣٠٧] المرة عن حق- فى التديد بنا، ومن ثم كان لزاما علىّ الإسراع فى تلافئها. وقد رأيت عدم جدوى اتخاذ خطوة رسمية لدى أكاديمية أمستردام، وسيحدث تغيير لهذا الوضع - على الأقل فى المستقبل - فى هدوء تام ودون طبل أو زمر. ولجأت إلى "سنوك" *Snouk* رجاء مساعدتى، وعندها علمت بأن الكتاب السنوى لعام ١٩١٧ قد تم طبعه وجاهز للإرسال بالبريد. فأصررت على ضرورة استبعاد الورقة المعنية فى هذا المجلد لعام ١٩١٧، واستبدل بها ورقة أخرى جديدة يوجد بها عمود خاص للمجر. وانتهى الأمر بأن كللت

جهود "سنوك" بالنجاح، والله الحمد. وقد وصل إلى من الأكاديمية - رسميا - منذ قليل أن تغيير الورقة تم وفقا للمراد في الكتاب السنوى لعام ١٩١٧. وبهذا تكون المعلومة قد صُححت في هدوء بالنسبة للمستقبل، ولم تحدث أية فضيحة.

٢١ مايو

فى يوم ١٨ مايو نشرت الجريدة المسائية (P. LI.) بصفحة الأدب ما كتبه عن الدراسة الفريدة التى نشرها "هيلار B. Heller" منذ أيام عن شخصية "عنتره - Antar-Monographie"^(١). وقد أهدى إلى الكتاب مرة أخرى.

٢٨ مايو

اشتد شعورى بالتعاسة. شعرت بالآلام جسدية ونفسية حتى بدت مريضا، واكتأبت، كما أن صحة زوجتى العزيزة "لاورا Laura" تبددت، وتملكنى الخوف والقلق عليها حين شاهدت علامات الضعف والهزال على وجهها. لم نكن نستطيع أن نستنشق هواء منعشا. لقد أصبحت ضحية للعمادة الكرية التى جعلتني أتهدج بلا سبب، إذ تأثرت بتعرف الأمراض الخلقية التى تصيب الزملاء، وتكاد تطرحنى أرضا، لم أشاهد فيهم سوى خلق وضع تبخرت معه كل المعانى الطبية، ولكن على أن أعمل معهم، وفضلا عن ذلك فهم أعداء للسامية. وفى الأيام الأخيرة كان على - مع ضرورة التوقيع مئات المرات - أن أنفق وقتا طويلا فى جلسات لجان عديدة، ومع الأساتذة

(١) انظر B. Heller ، مرجع سابق، تحت رقم ٥٨٠.

المساعدين والزملاء وامتحانات الصيادلة، وإن كنت أجد ما يُسرّى عني ويشرح صدرى فى خطاب أرسله إلى العالم المحبوب "Nöldeke".

وفى اليوم الثلاثين من هذا الشهر (مايو) كان ينبغي على مرافقة "موكب عيد القربان المقدس" مرتديا ثيابى الرسمية، ولو فعلت ذلك لمت فزعا. فهل يصح - وأنا اليهودي المخلص لعقيدتى الموحد بالله - أن أشارك فى الاحتفال بإنسان قد أصبح إلها؟ كان على أن أتخلص من هذا الموقف غير السار. إذ إننى سأكلف وكيل الكلية بذلك بنية خالصة، فهو كاثوليكي مؤمن، ويمكنه باقتناع أن يصاحب جثمان الإنسان الإله بأفخر ثيابه المجرية. / وبذلك نجوت عن هذا الإجبار المهين لعقيدتى، بل ولعقيدة الآخرين (لأننى أعتبر - من وجهة نظرهم أيضا - مشاركتى ووجودى معهم فى هذا الأمر مهانة ووقاحة). وأحمد ربى على أن هدانى لهذه الفكرة.

٣٠٨

١ يونيو

الخطوة الأولى على طريق الخلاص: أجريت انتخابات العميد لعام ١٩١٨ - ١٩١٩، وتم اختيار "مشوماد دافيد أنجيل *Meschummad David Angyal*"^(١) الذى قاد فى العام الماضى حملة معاداة للسامية ضدى. وقمت بإلقاء خطبة توديع، والتى استقبلت استقبالا حافلا من الجميع.

٧ يونيو

ترأست وفدا من الأساتذة وتوجهت به إلى وزير التعليم بهدف التأثير عليه فى ترك كل من الأساتذتين "بوتى *Beöthy*" و"هيجيدوس *Hegedüs*"^(٢) فى

(١) *D. Angyal* (١٨٥٧-١٩٤٣) مؤرخ وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) *S. Hegedüs* (١٨٤٨-١٩٢٥) أستاذ اللغات القديمة، ومترجم، وأستاذ بجامعة بودابست.

عملهما بالتدريس بعد تقاعدهما على المعاش. وقد نجحت المهمة بامتياز، إذ إننى قريبا سيأتى على الدور، ولن يتوجه أى وفد إذ ذاك للتحدث مع الوزير. فى هذه الأثناء وقع على عاتقى عمل مجهد فوق طاقة البشر فى أعمال العمادة بشأن إرسال خطابات مسجلة للطلاب المصرح لهم بالتغيب عن الدراسة لأداء الخدمة العسكرية. كدت أسقط مغشيا على من أعمال السخرة هذه. ويا ليت بعد كل ذلك نقابل بالشكر، بل بكثير من الغضب والقرق.

٣١ يوليو

لعل اليوم هو "يوم عيدى" - اليوم الذى كان يدق فيه جرس أجناس الكبير بمدرسة السيسترسيان الثانوية ببلدى شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* للاحتفال بمنحنا الإجازة. كنت أشعر بكثير من الفخر فى الاحتفال بنهاية الدراسة بالمدرسة حين أتسلم الكتب المهداة لى من يد ابينا المسن "جيرلاخ *Gerlach*". إننى احتفظ بهذه الكتب كوثائق على بهاء هذا الزمان حتى يومنا هذا. نعم.. كان يوم فخر بصيبة تتراوح أعمارهم بين ١٢ - ١٥ عاما! لا يفى أى فخر وشعور بالاعتزاز بعد هذا مثل هذا الفخر بنجاح هؤلاء الصبية، فضلا عن الكتب والهدايا التى شكلت عقلى ووجدانى وصارت جزءا من رأسى العجوز.

منذ بداية هذا الشهر بدأت تهدأ حدة المهام الخاصة بالعمادة، ورغم ذلك كنت أقضى ساعات طوال كل يوم بمكتبى فى إدارة العمادة لأداء الأعمال، ويا لها من إنجازات!

استقبلت في الأيام الأخيرة زيارتين ممتعتين. كانت الزيارة الأولى من الأمير السوري "شكيب أرسلان" *Schakib-Arslân* الذي أراد أن يتعرف على "صاحب كتاب الملل والنحل". وجدته إنسانا غاية في المعاصرة، وهو أيضا يقرض الشعر في شكل قصائد عربية قصيرة عذبة،/ وينوب عشقا في الأدب الإسلامي. وقد حكى لي عن كتاب تركي صدر حديثا للكاتب "محمود باشا غازي" *Mahmud Pascha Ghāzī* (والد جنرال أدنة ومبعوث برلين)، وهو في هذا الكتاب يتحدث عن دلائل الإعجاز القرآني في الاختراعات الحديثة. قام شكيب بدعوتي على طعام الغداء بفندق "بريستول آن دي" ولبيت دعوته بكل سرور.

كان لي أيضا كثير من اللقاءات مع دكتور "يونهج" *Dr. Junge* الذي حضر إلى هنا ليلقي بالدورة الصيفية التي يعقدها المركز الاقتصادي الشرقي سلسلة من المحاضرات عن الاقتصاد القومي التركي حيث كنت رئيسا لها.

٢ أغسطس

منذ ثلاثة أسابيع يستجم أولادنا في منطقة "السار" *Szár*، حيث حلوا ضيوفا على عائلة "كرونبرجر" *Kronberger*، وقد تسلمت منهم اليوم رسالة تهنئة عزيزة على نفسي، وضمنتها ابنتنا المحبوبة الغالية "ماريسكا" بطاقة مصرية من ورق البردي تهنئة لي في "يوم عيدي".

١٧ أغسطس

منذ مدونتي الأخيرة السابقة في يومياتي وأنا أعيش أسوأ أفعال اضطهادية من إدارة العمادة، وكأنهم بذلك أرادوا أن يجملوا لي طعم مرارة

هذه المهنة عند خروجي منها: جلسات عاجلة بالكلية مسبقة بلقاءات ونقاشات مع أعضاء لا قيمة لها بهيئة التدريس. أما موضوعهم: مطالب مالية للتدريس أثناء فترة الفصل الدراسي. دائما وأبدا لا حديث عن شيء آخر سوى المال ثم المال! وأما دوري فيتلخص في ضرورة أن أكون متحدًا عنهم لدى المسؤولين، والمعبر عن غضبهم في حرب مقدسة للقضاء على الإفتقار الشديد إلى المال. وبعد ذلك يأتي رد الوزير بأنه يعترم قريبا جدا تأسيس كلية تقوم على اقتصاد قومي جديد. والأكثر إلحاحًا رغبة الكلية في تحقيق الهدوء وراحة البال، ثم فجأة وعلى غير موعد: عقد جلسة لإحدى اللجان وجلسة غير عادية بالكلية بمناسبة الإجازات.

اليوم يوافق عيد ميلاد الملك. ولحسن حظي تغييت "إعفاء قانونيًا" عن حضور حفل الكنيسة (أما الدافع الداخلي: توافق ذلك مع يوم "السبت"؛ وأما الحجة الظاهرة: ضرورة حضوري بإدارة العمادة لإنجاز أمور رسمية لا تحتمل التأخير بخصوص إجازات الطلاب المطلوبين بالخدمة العسكرية). وأحمد الله على أنني تمكنت -بطلوع الروح- من العثور على شخصية من ينوب عني - الأستاذ "فيناتشي" *Prof. Fináczy* ^(١) - يوم ٢٠ من الشهر الجاري في حضور الاحتفال بموكب القديس شتيفان الذي يتحتم على جميع العمداء المشاركة في المراسم المقدسة. لا شك أنه من المبالغة أن أشعر بالاغتراب في حضوري هذا الحفل الذي نساق فيه خلف الكاردينال وموكبه الكاثوليكي (وهو في الأساس احتفال وطني لا علاقة له بطبيعة الدين)، ولكن أليس من

(١) *E. Fináczy* (١٨٦٠ - ١٩٣٥) باحث علوم التربية وأستاذ بجامعة بودابست.

العجب على موحد بالله أن يسير جنباً إلى جنب مع الصليب! (وهذا هو الدافع الداخلي؛ وأما الحجة الظاهرة: لاعتبارات صحية، وهي على أية حال واضحة للعيان). وقد سبق عثوري على من ينوب عني رفض من أربعة زملاء تحدثت معهم،/ والله الحمد لن أقوم بذلك شخصياً، ولن أثقل على نفسي [٣١٠] بعمل لا أرتاح إليه.

وفي هذه الأثناء سررت بالزيارات التي كررها "إمانويل ليف Immanuel Löw" الذي يقيم هنا في الوقت الراهن، وبحديثه معي عن بحثه العبقري - مخطوطاً - عن زهور ألوان الصبغة^(١) السامية.

إملصق بهذا الموضع في النسخة اليدوية قصاصة من صحيفة بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩١٨: "محاضرة". يلقي رئيس النخبة الأولى بالأكاديمية، الأستاذ الجامعي دكتور إجناس جولدتسيهر المستشرق النابه، الساعة السابعة مساء يوم الأربعاء بالجلسة الختامية للدروس الصيفية للشرقيات محاضرة بعنوان: "أثر الإسلام على العلاقات الاقتصادية لأتباعه *Die Wirkung des Islams auf die wirtschaftlichen Verhältnisse seiner Anhänger*". ويتشرف المركز الاقتصادي الشرقي بدعوة حضرائكم للمحاضرة التي تلقى بساحة مدرسة الحدائق (27 ut).

(١) I. Löw: *Semitische Färbepflanzen. Zeitschrift für Semitistik und verwandte Gebiete. I.* (١) 1922. Pp. 97-162 زهور ألوان الصبغة عند الساميين.. مجلة العلوم السامية والمجالات التطبيقية.

٣١ أغسطس بعد الظهر

الخلاص! تعقد اليوم - بعد الظهر - آخر جلسة لمجلس الجامعة؛ إذ أعيد - أمس قبل وبعد الظهر - النظر في الرسوم التعليمية، واحتفل بتسليم العمادة إلى خلفي الأستاذ "إنجيال Angyal" الذي أصبح أخيراً التالي لى فى تسلم المنصب. وقد قمت - بكل سرور - بتسليمه إمارات سلطائى، وخزانة العمادة، والسجلات، ومحاضر الجلسات، وكل المتعلقات والمفاتيح.

لقد انتهى عصر التعذيب بالنسبة لى، وغادرت - بقامة مرفوعة - القاعة الرائعة (قاعة العمادة). ويسعدنى فى الأمر أننى لم أشارك فى السير فى أى موكب جامعى، ولم أكن فى معية أى احتفال بالصليب أو المصلوب أو أى احتفال كنسى.

احتفل بتوديعى كل الموظفين والعاملين احتفالاً مؤثراً، مؤكدين أننى عاملت كلا منهم بلطف. واهتممت بتحقيق كل شئونهم، واشتهرت بينهم بأننى رئيس إنسانى المعاملة لطيف المعشر. وقالوا لى بأننى كنت أشد أزرهم، وأساعدهم فى الإخلاص بأداء واجباتهم بطريقة لم يعهدوها من عميد قبلى، فكانت شهادة مخلصه من أتباع مخلصين، وكانت غالية عندى.

استمتعت مع "لاورا Laura" [زوجته] بقضاء فترة استجمام فى فينوهازا Fenyőháza الرائعة، حيث انتهزت تحررى من أعمال العمادة فى إعداد دراسة ألقيتها فى مؤتمر الاستشراق، وتصفححت الجزء الثالث من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد مرة أخرى، وامضيت الأمسيات فى قراءة رواية دون كيشوت Don Quijote باشتياق - مرة أخرى - بعد أن كنت أحن إلى قراءتها سنوات طويلة.

٧ أكتوبر

كان آخر عمل لى بالعمادة حضور الاحتفال الرسمي ببدء العام الجامعى، حيث وجب على أن أرتدى الملابس المجرية المعدة للاحتفالات، واستمعت فى ملل إلى كلمات رئيس الجامعة وعميد كلية الطب. انتهت فترة العمادة بالنسبة لى نهائيا، وأصبحت ذكريات مباركة. وأصبحت بعدها نائبا للعميد وعضوا بمجلس الجامعة./

٨ أكتوبر

٣١١

بدأت المحاضرات بالجامعة، وكان بين المستمعين - فضلا عن الأعداد الكثيرة من الشباب اليهود - ثلاثة كهنة كاثوليكين؛ أحدهم من الموصل، وبالإضافة إليهم طالبان من البوسنة، وإحدى الطالبات أيضا.

٩ أكتوبر

بدأت المحاضرات كذلك فى الحلقة الدراسية التى تعقد للأخبار عن علوم الدين العامة. كان الطلاب يحملون فى صمت، وتبدو من نظراتهم عدم المبالاة. كان يبدو لى أننى عانيت تلك النظرات بجامعة كامبريدج، وهابديلبرج، وشتراسبورج أثناء إلقاءى المحاضرات بهذه الجامعات. وكنت أتعامل مع الطلاب بوحشية كى أتمكن من البقاء معهم، وأن أهيل عليهم التراب، وأتركهم يحملون فى.

١٠ أكتوبر

فرغت من تلاوة الدراسة الشرقية الشاملة التى أعدتها فى فينوهازا *Fenyőháza* أمام اللجان المرسلة ولحضور المؤتمر، ودوى تصفيق

واستحسان غير معتاد يعبر عن تقبل إجماعي لما سمعوه. والآن أبعث بهذا العمل إلى الكلية.

٢١ أكتوبر

تلوت اليوم الدراسة الشرقية نفسها في جلسة مجلس الكلية. واستمرت القراءة ساعة كاملة، ولكن السادة الزملاء لم يصغوا تماما لما بُح صوتي عند تلاوته، ولكنهم أجمعوا على ضرورة إرساله إلى الوزارة.

٤ ديسمبر

"سقط التاج من فوق رأسي.. وقعت محبوبتي "ماريسكا" ضحية الوباء المنتشر بإسبانيا. لقد تحطمت روحي، وانكسرت نفسي وصارت كقطع الزجاج المتناثر هنا وهناك. قلبي ينفطر على حالك يا بني.. مسكين يا "كارل"! (١)
[أرفق بهذا الموضع في النسخة اليدوية إعلانان عن وفاة شخصيتين، وقصاصة من صحيفة جاء فيها:

تلقى المدير السابق للبنك التجاري وتغيير العملة - بالمعاش - السيد "رفائيل فرويدنبيرج *Rafael Freudenberg*" خبرا مفاجئا آخر بعد فقدانه لابنه الوحيد قبل وقت قصير. فقد توفيت أمس كريمته "ماري *Marie*" في ريعان شبابها على أثر سقوطها ضحية الوباء بإسبانيا. والفقيدة تبلغ من العمر ٢٨ عامًا، وهى سيدة عالية الثقافة العلمية، وزوجة دكتور "كارل جولدتسيهر *Dr. Karl Goldziher*" المدرس الجامعي، نجل الأستاذ الجامعي دكتور "إجناس جولدتسيهر... إلخ.] /

(١) الترجمة الألمانية للأصل المجرى.

٤ فبراير

لم يدع لى شدة حزنى - لرحيل الكائن الحبيب إلى العالم الآخر [أى زوجة ابنه] - فرصة لفهم ما ذكر بالصحيفة. أينبغى أن أبكيه بالدمع؟ إننى لا أقوى على التلطف بأية كلمة. إن الأنوار المشعة التى كانت الشابة الوحيدة تبعثها فى حياتنا قد انطفأت الآن بعد موتها. استطاعت هذه الشابة بكيانها الرفيع حل لغز مسار حياتى النكد، ولكنه ارتد إلى بعد وفاتها.

أهدتتى الشعور بالعناية الربانية بعد أن كنت أشعر بالرثاء لحالى. كانت تواسينى وتخفف من مشاعرى القلقة، وأصبحت الآن دون بديل لها، وبلا مواساة لما تحل بى فى مصابى بوفاة عائلة "فرويدنبرج" بعد أن تحدد مسيرها بوحشية فى مدى شهرين بفقد الابنين الجميلين، فحرمت الأسرة من فخرها وبهجتها، ومن أمل كبارها. أما بالنسبة "لكارل" فقد انحنى ظهره بشدة حتى يكاد يلمس الأرض! لقد تبدل صاحب القامة الشامخة [ابنه] بعد وفاة زوجته التى كانت يمثل هذه الروح وهذا الخلق.

هل ينبغى أن تستمر على هذه الحال بضعة أشهر من بداية السنة دون التماذى فى أية إشارة أو تجميع لما دونته؟ (أى مضمون لها يمكن أن يساعدنى على مواصلة الحياة بعد ذلك؟)

ينبغى أن ينشر عملى العظيم أخيرا بمؤسسة "دى خويه" *de Goeje* بمدينة ليدن. لقد تكفلت الإرسالية الهولندية بإعداد وإرسال كل شىء، ثم تدخلت دولتنا ممثلة فى تشيكوسلافيا وفالاشين *Cyecho-Slovenen und Walachen* فأصبح التفاهم غير ممكن، وأصبح الإرسال إلى فيينا غير مؤكد حتى يمكن أن ترسل المخطوطات بطريق البريد الدبلوماسى إلى

هولندا، ومن ثم بقي لدى المخطوط ذو ٤٠٦ صفحات. وفي أثناء ذلك كان على أن ألوذ بالفرار إلى غرفتي بالجامعة هرباً من خطر اضطهاد اليهود الذي أعلن عن نفسه بشكل خطير، كي أحمي مخطوطي من أي تدمير من قبل أيديولوجية العداوة المسيحية.

في يناير حضرت - إلى مدينتنا - لجنة أمريكية برئاسة الأستاذ "كوليدج" *Prof. Coolidge* من جامعة هارفارد. وكانت تريد أن تتعرف على أحوالنا، ولهذا عقدت مؤتمراً لمعرفة مخاطر السلام. ووجد "كوليدج" أن مقابلتي تستحق أن يسعى من أجلها. ودعاني لمقابلته يوم الأحد الموافق التاسع عشر من يناير، من الساعة الثالثة إلى الرابعة بعد الظهر. ولم أكن في حالة نفسية تتيج لي أن أقابل الضيف النبيل، وأن أتبادل معه الحديث، والإجابة عن أسئلته. ولكنني فوجئت بحديث ابني تليفونيا ليذكرني بموعد الأمريكي، ومن ثم لم أستطع أن أعترض عنها. وطلبت من "كارل" أن ينبئه بقبولي الدعوة، ولكن بعد فوات الأوان، لأن الأمريكي كان عليه أن يفرغ من كتابة مراسلاته - قبل رحيله بست ساعات. / ولذلك لم تتم المقابلة، وهو ما تقبلته بكل ارتياح. ٣١٣

وبهذا انقضت يدي من هذه الأمور وعادت استسلامي لحزني على وفاة حبيبتي وقرة عيني مع نهاية الشهر الثاني على رحيلها.

أول سبتمبر

منذ أن سجلت يومياتي السابقة مرت بي فترة من أسوأ ما عانيت بحياتي؛ بعد أسبوعين من تسجيلي آخر مرة انزلت قديمي، ونتيجة لإهمالي للأمر تعرضت لمرض مصاحب بحرارة شديدة، مما ألزمني عدم مغادرة الفراش أسابيع طوالة، أمضيت بعدها فترة نقاهة نفسية وجسدية تعيسة لم أستطع التخلص منها، وما زالت تتخر في روحي.

منذ اليوم الأول من أغسطس انبعث عدااء وحشى للسامية عندنا، وانتقل إلى الجامعة والأكاديمية بصورة بربرية، واضطرت يوم الثامن عشر من الشهر من أن أرتجل محاضرة أرد فيها على نبوءات "لودفيج لوتشى Ludwig Łóczy"^(١) بالنسبة لعداوة السامية بالأكاديمية (انظر خطاب "لوتشى" يوم ١٩ من أغسطس، ومسودة الرد الذى كتبته). وفى اليوم الثلاثين من أغسطس قدمت استقالتي من وظيفة نائب عميد الكلية - التى تنقل على أعباؤها - كى أتححر من لهيبها المكروه، والذى كان من الممكن أن يتزايد، وأمضيت مع زوجتى "لورا" الفترة من ٢٨ يوليو إلى ٢٨ أغسطس بجزيرة مارجریت كى نقضى فترة النقاهة مما عانينا من أمراض. وكان حفيدى الغالى يقضى معنا فترة نقاهة بعد إجراء عملية جراحية أليمة له. وعندما عدنا إلى مسكننا بالمدينة فى الثامن والعشرين من أغسطس ألقيت بنفسى فى خضم العمل الذى أهملته طوال الشهر الماضى.

ولا أحب أن أصف ما عانيت من حالة نفسية طوال نصف العام التالى، وما أحاط بى من جميع الجهات من خوف ورهبة من المستقبل، وإن كنت قد تمكنت بوساطة الحكومة البلشفية من إرسال مخطوطتى فى شهر إبريل إلى هولندا حيث بدأ طبعها على الفور. وتأخر إرسال بروفات الطبع إلى نظرا لحالة الشلل الذى تمر به هيئة البريد، إلا أن "سنوك Snouck" وفينسك Wensink ساعدا فى إرسال البروفات كاملة عدا عشر أوراق^(٢).

(١) L. Łóczy (1849-1920) عالم جيولوجيا وباحث جغرافيا، أستاذ بجامعة بودابست.

(٢) Die Richtungen der islamischen Koranauslegung, "مذاهب التفسير" (بمعنى مخطوطة كتابه)

Leiden 1920

فهرس الیومیات^(*)

ص		ص	
٩	مقدمة	٢٢٥	١٩٠٠
١٣	٢٢ یونیو ١٨٩٠	٢٣٠	١٩٠١
١٥	١٨٦٦ - ١٨٥٠	٢٣٠	١٩٠٢
٢٣	١٨٦٨ - ١٨٦٦	٢٣٣	١٩٠٣
٣٦	١٨٧٣ - ١٨٦٨	٢٣٤	١٩٠٤
٥٥	١٨٧٤ - ١٨٧٣	٢٤٠	١٩٠٥
٦٥	القاهرة	٢٤٨	١٩٠٦
٧٤	١٨٧٥	٢٥٦	١٩٠٧
٨٠	١٨٨٣ - ١٨٧٦	٢٥٨	١٩٠٨
٩٦	١٨٨٩ - ١٨٨٣	٢٦٢	١٩٠٩
٩٨	١٨٨٣	٢٦٤	١٩١٠
٩٩	١٨٨٥	٢٦٨	١٩١١
١١٦	١٨٨٦	٢٧٢	١٩١٢
١٢٢	١٨٩٠	٢٧٥	١٩١٣
١٢٤	١٨٩١ - ١٨٩٠	٢٨١	١٩١٤
١٣٣	١٨٩٢	٢٨٥	١٩١٥
١٥٧	١٨٩٣	٢٨٩	١٩١٦
١٦٨	١٨٩٤	٢٩٥	١٩١٧
١٨٨	١٨٩٥	٣٠٤	١٩١٨
١٩٨	١٨٩٦	٣١٢	١٩١٩
٢٠٦	١٨٩٧		
٢٠٨	١٨٩٨		
٢٢٠	١٨٩٩		

(*) الفهرس وفق صفحات الأصل الالمانی.

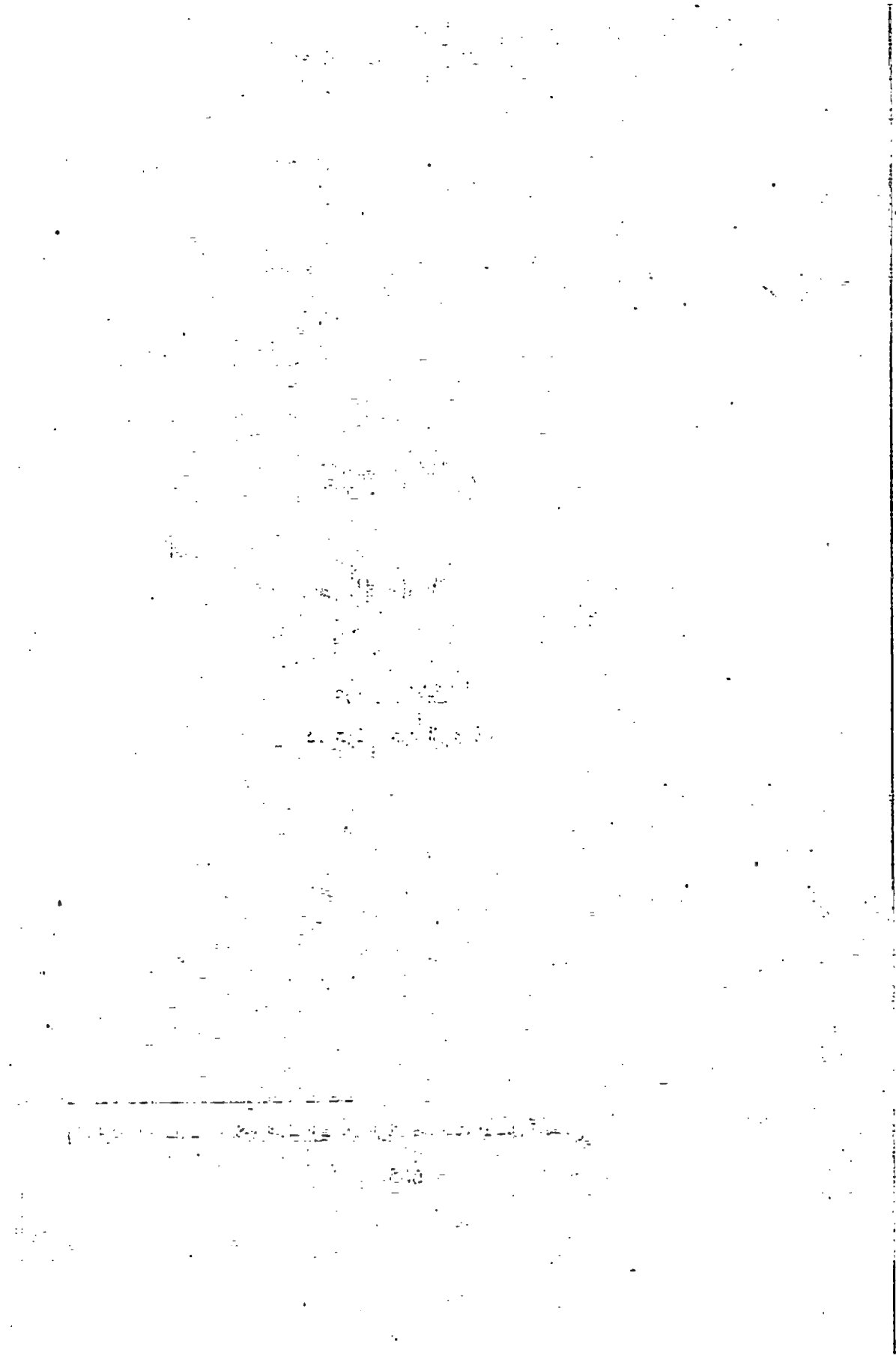
الجزء الثاني

الدراسة

عرض وتعليق^(١)

د. عوني عبد الرؤوف

(١) أرقام الصفحات المذكورة بالدراسة هي أرقام صفحات الأصل الألماني.



ملخص ما جاء باليوميات عن ثقافة جولدتسيهر العامة والشرقية

كتب مقدمة اليوميات المستشرق المجري إلكسندر شايبير *Alexander Scheiber* عندما نشرها بعد وفاة جولدتسيهر؛ إذ توفي عام ١٩٢٠، وقد بدأ جولدتسيهر في كتابة هذه اليوميات في ٢٢ من يونيو سنة ١٨٩٠، في ذكرى ميلاده الأربعين، مستخدمًا فيها ما كتبه في يومياته عن رحلته إلى الشرق الأوسط (١٨٧٣ - ١٨٧٤) في شبابه. وزار آنذاك تركيا وسوريا ومصر.

وهي اليوميات التي نشر ترجمة إنجليزية لها رافائيل باتاي *Raphael Patai* عام ١٩٨٧ بمدينة ديترويت بالولايات المتحدة، عن مخطوطة ألمانية قدمها له "شايبير" *Scheiber*، ونشرها في ديترويت عام ١٩٨٧.

يقرر له "شايبير" في المقدمة أن قيمة هذه اليوميات ترجع إلى أنها تُعرّف بجميع علماء الإسلام الشرقيين واللغويين؛ الذين قابلهم جولدتسيهر في رحلته إلى الشرق الأوسط.

والحق أن هذه اليوميات تبين أيضًا ما رجع إليه جولدتسيهر، وما قرأه من كتب التراث العربي، وتُعرّف بأعلام المستشرقين الذين قابلهم، أو رجع إلى كتبهم ناصيًا على قيمتهم العلمية، ومناقشًا ما ذهبوا إليه من آراء ونظريات.

وإنني أحاول بعد تقديم ترجمة عربية لأصل اليوميات باللغة الألمانية - التي يشاركني فيها دكتور عبد الحميد مرزوق - أن أقدم تلخيصًا لما جاء

باليوميّات بالنسبة إلى جهود جولدتسيهر في اكتشاف المعارف طوال حياته، وبخاصة تعلمه اللغات الشرقية، واهتمامه باللغة العربية وآدابها، والدين الإسلامي، شريعة وفقهاً وقرأناً وحديثاً.

وفضلاً عن ذلك كله، أحاول أن أشرح ما ينبغي أن أقدمه للقارئ العربي مما أوجزه جولدتسيهر في تقديمه لنجليه وأحفاده، وبخاصة ما نقله شاير إلى القارئ الأوروبي بعد ذلك، وكذا ما يشير إليه جولدتسيهر من أمور أو أحداث أو مصطلحات اكتسبها من معارفه الواسعة، وثقافته التي شملت كل ما يهتم به العالم العربي المتبحر في عصره، وما أفاد منها في قراءاته ورحلاته، من أمور قد يعزز على القارئ العربي الرجوع إليها.

وحرصت أيضاً على أن أزود الترجمة بملاحق، أقدم فيها سيرة لأعلام المشرقيين الذين ورد ذكرهم باليوميّات أو قابلهم جولدتسيهر في رحلاته، كما أشير إلى كتب ألفها العلماء منهم أو صنفوها.

وقد حاولت ما أمكن أن أشرح ما أشار إليه من مصطلحات في الديانة اليهودية ونصوصها التي يكثر من استخدامها؛ إذ إنه كان وثيق الصلة بالكتابات اليهودية القديمة وبمصطلحاتها، وتاريخها، وإن كان يبدي تأفّفه واستنكاره لكل ما يمارسه اليهود في عصره في حياتهم وشؤون دينهم.

ص ١٥- ذكر الشعارين اللذين يتحكمان في حياة جولدتسيهر:

الأول: ما ورد بسفر ميخا بالإصحاح السادس، آية ٨.

الثاني: ما ورد بالقرآن الكريم: ﴿فصبر جميل، والله المستعان﴾^(١).

(١) سورة يوسف (٨١ : ٨٣).

ص ١٨- نص جولدتسيهر على أنه تعلم منذ طفولته كتاب هارزان قلب الباشا " *Herzen-Pflichter Bechj*، وهو كتاب باجيا بن فاقودا، يتناول فيه ما يجب على الإنسان اليهودي القيام به؛ للتقرب إلى الله تعالى^(١). وباجيا بن فاقودا هو من أهم فلاسفة اليهود، في النصف الأول من القرن الحادي عشر.

- التلمود: تعاليم. وهو مجموعة الشرائع اليهودية (الهالاكا) التي يتناقلها اليهود شفويًا عبر القرون، ثم جمعها في كتاب واحد عام ٥٠٠ ميلادية.

ويوجد من التلمود كتابان:

التلمود الفلسطيني الذي جمعه الفلسطينيون اليهود الذين بقوا بها بعد أن دمر البابليون أورشليم عام ٥٨٦ ق.م.

التلمود البابلي الذي جمعه يهود بابل، الذين أخذهم البابليون إلى الأسر البابلي^(٢).

ص ١٩- ويسمى كتاب الكازاريم *kuzarim* الذي يبحث فيه علاقة الدين بالفلسفة، وتأثر في هذا العمل بكتاب "المنقذ من الضلال" للإمام أبي حامد الغزالي الذي انتقد فيه الأثر الأرسطي المبالغ فيه على الفلسفة الإسلامية - *Moreh Nebuchim* = دليل الحائر - كتاب جامع للأجاده *Ein Jacob Aggada*.

والأجاده *Aggada* = نصوص تعالج المواعظ الدينية والتشريع الأخلاقي، وتشرح أدب الأحرار القدماء الكلاسيكي، وبخاصة المدون بالتلمود

(١) سفر التثنية، ١٨: ٣.

(٢) يرجع في التعريف بكل المصطلحات اليهودية بعد ذلك إلى الملحق الثالث (عن المصطلحات العبرية).

والمدرّاش، وتعدّ خلاصة وافية لعظات الأبحار، ويتضمن نصوصاً شعبية، ومواد تاريخية، وعظات ومواعظ أخلاقية، ونصائح عملية.

المدرّاش: سلسلة مجموعة من التعليقات القديمة على كل أجزاء التناخ، بتقسيم وتقييم مختلفين من مجموعة إلى أخرى، لإيضاح النقاط القانونية لتقديم تعليم أخلاقي.

ص ٢٢- عبادة الرب تتصل بواجبات اليهودي المتدين *Barmizwahtag* تبدأ بمرحلة من العمر مع بداية يوم بارتيسفا (أي ذكرى الأحداث النازية عند اليهود) *Sabbath Balak* - تعلم جولدتسيهر اللغة العبرية في سن الرابعة.

ص ٢٣- ٢٤- ما درسه في صباه من دراسات دينية ولغات، وحياته مع أسرته، وما لقيه من أحوال معيشية وأحداث، وانتقال الأسرة إلى بودابست.

ص ٢٥- تسجيل اسمه مستمعاً غير نظامي بالجامعة، والتّردّد على مكتبها قبل الحصول على شهادة الثانوية- الاستماع إلى محاضرات الجامعة لبعض الأساتذة والقراءة بمعجم جيزينيوس للغة العبرية (عبرية التوراة)، وتعرف الحروف السريانية.

ص ٢٦- بدء تعلم الفارسية والتركية، وقراءة "جلستان" للشاعر الفارسي السعدي- تعلم اللغة العربية، والتلمذة على المستشرق فامبيري *Vámbéry*.

ص ٢٧- ترجمة جولدتسيهر لمختارات تخصصية تركية إلى اللغة الألمانية (١٨٦٦)، وكان عمره آنذاك ستة عشر عاماً، كما ترجم بعض النصوص عن تاريخ العلاقات التركية المجرية، والمصادر الألوهيمية، والمصادر الياهووية بأسفار موسى الخمسة.

ص ٢٨- دراسة اللغة اللاتينية واللغة اليونانية، وتقدمه في دراستهما،
ومواصلة دراسة التلمود.

ص ٢٩- ٣٠- حديثه عن أستاذه فامبيري، ومينشهاوزن (١٧٢٠-
١٧٩٧) أول من قص حكايات لا تصدق أو مغامرات قام بها في البر والبحر
والجو وغزوات ومغامرات.

ص ٣١- تلمود خوليه: يعالج قوانين الذبح، واستهلاك الحيوانات يوميًا،
وفي المناسبات المقدسة- إعداده لامتحان الأبيتور (شهادة الثانوية العامة)-
إعطائه دروسًا خاصة.

ص ٣٢- دراسة فقه اللغة المجرية- مواصلة دراسة العربية والسريانية
دون معلم- الفوداشيم= الأشياء المقدسة- فيلهلم باخر^(١).

ص ٣٣- الاحتجاج على فساد الروح والخلق، وعدم طهارة في القلب
والفكر المتأصل في اليهودية المجرية آنذاك بعد دراسة الأدب اليهودي،
وتأثره بما قرأه عن الوحي بكتابات جايجر Geyger، فاتبع نظامه في التفكير،
وهو ما زال في السابعة عشرة من عمره.

ترشيحه للدراسة بالجامعات خارج الوطن في برنامج "إعداد وتكوين
هيئة تدريس بجامعة بودابست"، بعد حصوله على شهادة الأبيتور مباشرة.
وكان عمره ثمانية عشر عامًا، واختيار الوزير له.

ص ٣٥- اعتراض أستاذ ريدز (أستاذ الدراسات العليا)، على حصول
غلام يهودي على منحة للدراسة بالخارج، واعتباره أن هذا سيكون عارًا
على الحكومة المجرية الجديدة، فرفض العرض الذي قدم لجولنتسيهر-
قضاء بضعة أيام ببرلين.

(١) يرجع لمعرفة ترجمات الأعلام الغربيين إلى الملحق الثاني.

ص ٣٦- المعيشة في برلين، وسخرية الأساتذة منه، ومن رغبته في دراسة فقه اللغات، والدراسات الإسلامية، ولكنه سجل بالجامعة- إلى جانب دراسته- فرعاً من فروع الفلسفة- دراسة الكتاب المقدس واللغتين العربية والسريانية.

ص ٣٧- موسى ميندلزون.

ص ٣٨- التعليق على كيفية تدريس بعض الأساتذة- تعمقه في دراسة المؤلفات النحوية والفلسفية- إقامته في السكن مع أسرة عطف عليه ورحبت به- ابن حيوج، وابن جناح، وموسى بن ميمون، وجيزنيوس.

ص ٣٩- توديع برلين في أغسطس ١٨٦٨، والعودة إلى بودابست- جوستاف بان، وهيجل، وفلايشر.

ص ٤١- الذهاب إلى ليبزج للالتحاق بالجامعة، والدراسة على فلايشر *Fleischer*.

-تسجيل رغبته في حضور جميع محاضرات فلايشر عن اللغة العربية واللغتين التركية والفارسية، كما سجل محاضرات كريل *Krel*، وبروك هاوس *Brockhaus*، ودروبش *Drobisch*- واهتم بخاصة بتاريخ الإسلام ومؤسساته- درس الشريعة الإسلامية والتقى تلاميذ فلايشر، وهم كثيرون، وأصبحت لهم جميعاً شهرة في الاستشراق- درس تفسير البضاوي للقرآن- قرأ مخطوطات عن الرفاعية- درس مادتي التاريخ والفلسفة.

ص ٤٤- الحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة في ديسمبر عام ١٨٦٩، وكان عمره تسع عشرة سنة- الاحتفال بهذه المناسبة.

ص ٤٥- مطالعة الدوريات الألمانية والفرنسية والإنجليزية- قراءة المخطوطات بمكتبة جامعة ليبزج.

ص ٤٦- الاهتمام بالدراسات اللغوية، والتاريخ اللغوي، والدراسات الدينية- دراسات في التلمود والفلسفة اليهودية على ديليتش *Delitzsch*- ابن حزم، والثعالبي، وابن السكيت، والهمذاني- التقدم للحصول على درجة دكتور هابيل *Habilitation* درجة الأستاذية، ولكن رفض الطلب؛ لأنه كان أول مدرس يهودي في الكلية، ولأنه كان تلميذاً لفامبيري المحنّال، واعترض البعض على أن يكون زميلاً لغلام حدث أن صرح له بالتقدم للحصول على هذه الدرجة.

-دراسة الأدب المجري والتاريخ- الاضطراب لإعطاء دروس خصوصية لسوء حال الأسرة- فهرست الكتب بمكتبة ناجشمين.

-الحديث عن معركة سيدان *Sedan* التي وقعت بين الفرنسيين والبروسيين عام ١٨٧٠، ونتج عنها أسر نابليون الثالث، وعدد كبير من جيشه.

ص ٤٧- دراسة المصريات وتعلم الهيروغليفية والهيراطيقية، وتعرف كيفية التغلب على صعوبات طباعتها- حضور محاضرات في جامعة ليدن (بهولندا)- مواصلة الدراسات في تاريخ علم اللغة- الاطلاع على المخطوطات الموجودة بمكتبة الجامعة.

-التعرف على كتب ابن حزم، وعن طريقه عرف أدب الجدل الذي ساعدته المراجع الموجودة في ليدن على تبينه كاملاً- قراءة كل ما وجد منها بالكتب الأدبية المماثلة- نسخ كتاب ابن السكيت^(١)، وكتاب الهمذاني^(٢)، وكتاب فقه اللغة للثعالبي^(٣).

(١) لا أدري أي كتاب من كتب ابن السكيت يقصد، فالسكيت له أربعة كتب: إصلاح المنطق، وتهذيب الألفاظ، والقلب والإبدال، وقد حققه أوجست فيشر ١٩٠٣، والأضداد ١٩١٢.

(٢) لعله يقصد ببيع الزمان الهمذاني الذي طبعت مقاماته في ليزر سنة ١٨٤١.

(٣) أي أبي منصور الذي نشره الكونت رشيد الدحاح بفرنسا (باريس ١٨٤١).

ص ٤٨ - ٤٩ - السفر إلى لندن للإفادة من مدرستها العلمية مباشرة، والتقيّب عن كنوزها بعد أن درس اللغة الهولندية- التعرف على المستشرقين بها، والاستماع إلى محاضراتهم، وبخاصة المحاضرات الدينية وفقه اللغة- قراءة بعض المخطوطات والمطبوعات بالمكتبة- إلقاء بعض المحاضرات عن البيضاوي وتفسيره للقرآن الكريم.

- كانت لندن عنده مدرسة للفروع الدينية، ولتاريخ الديانة الإسلامية، تعامل معها بمفهوم التحليل للنصوص كما ينبغي، والالتزام بالتقاليد الفلسفية الهولندية في نقد الوثائق الدينية التي تختلف في دلالتها عن تلك الطريقة المعتادة لقراءة هذه النصوص التي يسهل بها تصديق النص التاريخي تارة، والتحيز ضده تارة أخرى، وقد تأثر تأثراً شديداً بهذه الطريقة، واتخذها أساساً للطريقة العلمية التي اتبعها بعد ذلك- التمكن من إدراك الأسس الأساسية للإسلام وبوضوح تام، وتعرف مذاهبه، والتطور التاريخي للإسلام وذلك من أقدم المصادر- التقرير بأن الكتابات الجدلية بما فيها من خلاف أساسي فيما بينها حقيقة الإسلام- بدأ دراسة الحديث النبوي بعد أن فرغ من قراءة البخاري كله بانتباه ووعي، وبداية التدفق في ملاحظة ما يتصل به من مواد في كتابات أخرى- قضاء نصف عام بلندن- المزهر للسيوطي- كلمة *Toébha* العبرية بمعنى نجس (سفر التثنية ٤٨: ٣).

ص ٥٠- الموافقة على إعطائه منحة دراسية للحصول على الأستاذية، وإلقاؤه محاضرات عن "تطور التاريخ الأدبي عند العرب" (وكان ما يزال في العشرين من عمره).

ص ٥١- الرحيل إلى فيينا للإفادة من مخطوطات البلاط الملكي- تنقيح كتاب "قواعد اللغة العربية" الذي ألفه بالاجي *Ballagi*- بدأ المحاضرات بالجامعة.

ص ٥٢- ٥٥- الدراسة بالجامعة وأساتذتها- كتابات ومقالات عن تاريخ تعلم اللغة، وعن الأدب الصوفي، وعمر المغربي والسيوطي- كتابة الجزء الأول من دراسات "الإصلاح الديني بالمجر" للرجوع إلى الأسس الأصلية التي بنى عليها تاريخ العالم (أي الدراسات التوراتية الإنجيلية)- الحديث عن دراسات المذهب البروتستانتي المسيحي بالمجر، ونقد هذه الدراسات، وما يقوم به المصلحون الدينيون- الحصول على الموافقة بسفره في بعثة إلى سوريا ومصر، وسفره في أغسطس ١٨٧٣.

ص ٥٦- ٥٨- السفر إلى الشرق الأوسط والحديث عن الرحلة بالباخرة إلى اسطنبول، ثم دمشق، ولقاؤه مع عزت باشا محافظ مدينة دمشق، وبطرس البستاني، وخليل الخوري، والشيخ الذهبي التاجر- الحديث عن مبادئ المسيحية واليهودية- الظاهرية- نظرة إلى الإسلام- الشيخ الميداني هو عبد الغنى الميداني (١٢٢٢- ١٢٩٨هـ/ ١٨٠٨- ١٨٨١م)، وهو قاض حنفي دمشقي الموطن، وكان صوفيًا على طريقة ابن عربي *Abdul-ghani al-Maydani*- هاشم الوراق، وصالح شاهبندر.

ص ٥٩- الأخوان المنير- التعرف بأسد الإسلام عبد القادر وابنه محمد.

والأمير عبد القادر ابن محي الدين (ت ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م) هو القائد السابق للمقاومة الجزائرية الذي حضر إلى دمشق منذ عام ١٨٥٥. كان من أتباع محي الدين بن عربي. طبع كتابه "الفتوحات المكية"، ولما توفي دفن بجواره في المسجد الذي دفن فيه ابن عربي، والذي بناه السلطان سليم بضاحية الصالحية. وقد أرسل ابنه إلى أوروبا وإيطاليا، وإلى فرنسا التي كان يحاربها، ثم أصبح هذا الابن من عظماء الرجال بسوريا. وهو محمد بن عبد

القادر بن محي الدين (١٢٥٦-١٣٣١هـ / ١٨٤٠-١٩١٣م) وهو الذي كتب سيرة والده "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر". توفي في اسطنبول، وعرف باسم محمد باشا.

-قراءة ميزان الشعراني- التجول في دمشق، والتعرف على الكثيرين من تجارها وعلمائها- فرخي وكتاب ابن مدارس (أي دار الدراسة حيث تدرس مدارس دينية عن علم الحاخامات اليهود، ومبادئ الديانة اليهودية).

ص ٦٠- ميزان الشعراني- رئيس الأساقفة مقاريوس.

ص ٦١- معاملة اليهود له بارتياح؛ لأنهم شكوا في أنه مبشر مسيحي، رغم أنه حدثهم عن التلمود، وعن معرفته به- لقاء الجراف لندنبرج ومساعدته له في تعلم العربية.

ص ٦٢- ٦٥- التتزه في ربوع الشام مع من تعرف عليهم من عرب وأوربيين- السفر إلى مصر- مناطق الموآبيين.

ص ٦٦- القاهرة وملاحظة الفرق بينها وبين دمشق- بنيوتي اليوناني الذي تعرف عليه بدمشق، والبحث عنه بالقاهرة- زيارته للكتبخانة (دار الكتب المصرية)، ولقاؤه مع شترن Stern مدير المكتبة.

زيارته لأسواق الكتب- تعرفه على صالح بك مجدي ودور بك Dor، ثم على السيد علي باشا مبارك، والسيد عبد الخالق- تعرفه على السيد جمال الدين الأفغاني، وسماعه لحديثه مع شباب الأزهر، ووصفه له ولحديثه- تعرفه على مصطفى رياض باشا، وزيارته لمنزله عدة مرات- توصية رياض باشا لشيخ الأزهر طالبًا السماح لجولدتسيهر بزيارة الأزهر واستماعه للدرس به- حضور جولدتسيهر لجلسة المشايخ عند شيخ الأزهر، والسماح

له بالزيارة بعد اختبار معلوماته عن الفقه ومسائله- الدراسة على مہشاخ
الأزهر وترحبهم به وترحب الطلاب أيضا به، بعد قراءة خطاب شيخ
الأزهر عنه.

ص ٦٧- قراءة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني- تفسير الرازي-
مخطوطة القسطلاني- شرح النووي على صحيح مسلم- سيرة عنثرة بن
شداد- سيرة سيف بن ذي يزن- حضور حلقات صالح مجدي عن الحضارة
الإسلامية وانتشارها أمام الوباء الأوربي المتحكم في الشرق- كتاب سيبويه-
المفتي العباسي المهدي.

ص ٧٢- الرغبة في مشاركة الشيوخ في صلاة الجمعة؛ رغبة في
الانحناء معهم والركوع والسجود أمام الله، والمناداة "الله أكبر"، وتعفير وجهه
في التراب مع الآخرين، وتنفيذ ذلك.

ص ٧٣- الرحيل عن مصر بعد التزود بمعرفة العلوم الإسلامية-
الحديث عن رحلته التي اعتبرها من أجمل أيام حياته.

ص ٧٤- نشر مقالات كثيرة بالصحف ومجلات الاستشراق للحصول على
مصادر رزق تزيد من دخله- الانشغال بكتابته عن الأساطير- للكتابة عن الألب
الشعبي- وفاة والده- لقاءه مع وزير التعليم، وعدم حصوله على الأستاذية.

ص ٧٦- نشر يوميات رحلته ووصفه للأزهر، واعتبار زيارته له بأنها
كانت معينا يغرف منه ما تعلمه عن الشريعة الإسلامية، وعن حضارة
المسلمين، وما قرأه في كتاب الأغاني للأصفهاني.

ص ٧٧- الحصول على منحة دكتور فلاشر- عرض لشغل وظيفة
مدير المكتبة المصرية بالقاهرة بعد رحيل شترن Stern، ولكنه رفض
لارتعابه من فكرة الابتعاد عن الوطن.

ص ٧٨- تقديم طلب بالتعيين بالجامعة، ورفض الطلب.

ص ٧٩- زيارة فلايشر بمدينة ليبزج- نشر كتاب الأساطير.

ص ٨١- ٨٣- عرض من رئيس الجالية المجرية ببودابست لشغل وظيفة سكرتير الجالية، وقبول العرض- سوء معاملة كبار القائمين على العمل له- القيام بمهام الوظيفة.

ص ٨٤- الحديث عن الشماسين والطريقة اللادينية التي يتصرفون بها- عدم اتباع قواعد ربانة موسى أو الرجوع إلى أسفار موسى.

ص ٨٥- الحديث عن علم العقيدة- انتشار شائعة أنه ملحد.

ص ٨٦- إنشاء وظيفة موجه مدرسي- نشر كتاب الأساطير- ظهور ترجمة إنجليزية للكتاب والترحيب به- ورد في مقدمة الكتاب أنه يعترف بكل الديانات العالمية وأنبيائها الممثلين لها، وهو ما يشعر به منذ ولادته يهوديًا- تجاهل اليهود والألمان لكتابه، مع ترحيب الإنجليز به.

ص ٨٩- الحديث عن استيائه من ترك أكوام ما نقل عن ابن حزم من جزايات، وعن الجدليين المسلمين الآخرين- فوق مكتبته.

ص ٩٠- قصة زواجه.

ص ٩٢- ٩٤- الحديث عن أعماله التي أنجزها في الفترة الزمنية (١٨٧٦- ١٨٩٣) ونشرها- مخطوطات القسطلاني- مسلم، وابن حزم- ألف ليلة وليلة- مواصلة دراسة تاريخ الأديان بهمة، وعقد حلقات النقاش بالجامعة، والدراسات الإسلامية والفقهاء الإسلاميين.

الرجوع إلى تفسير الفخر الرازي بمجلداته المخطوطة العشرة- القراءة في كتاب شرح النووي على صحيح مسلم، وغير ذلك من كتب ومخطوطات- كتابة مقالات ودراسات بمجلة المستشرقين الألمان.

ص ٩٣- أدب الجدل في الإسلام.

ص ٩٤- حضور مؤتمر المستشرقين بليدن، واختياره أمين عام المؤتمر - الترحيب به وبكتبه.

ص ٩٧- حياته الوظيفية وسوء معاملة رؤسائه له - حياته الأسرية.

ص ١٠٤- صداقاته مع المستشرقين وبخاصة سنوك وأوجست ميللر - صلته بفامبيري والتخلص منها.

ص ١٠٨- تعرفه على رينان بباريس، ومقابلته لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده عنده.

ص ١٠٩- فان دايك، وبطرس البستاني، وفولتير.

ص ١١٠- الإشادة بأعمال سنوك التي جعلته ينشط لفهم مشكلات جدلية - ارتفاع صورة التطور التاريخي للإسلام أمامه من بين الدراسات بمقالة جديدة - الأغاني، والطبري، واليعقوبي - سنة من كتب الحديث - بعض الكتب غير الشرعية - كتابته عن حركة الموحدين، والجزء الثاني من دراسات محمدية سنة ١٨٨٦.

ص ١١٢- الترشيح للعمل بجامعة براغ (١٨٨٥ - ١٨٨٦) - عدم قبوله عرض جامعة براغ لرغبته في حضور مؤتمر الاستشراق في فيينا في سبتمبر ١٨٨٦ - حضور المؤتمر وسروره بلقاء زملائه المستشرقين والعلماء الشرقيين.

ص ١١٣- اتهام دكتور هـ. ميللر *Dr. D. M. Müller* له بأنه وإن كان رجلاً مجتهداً جداً، وعالمًا جادًا إلا أن ميدان أبحاثه بعيد عن اهتمامات

المستشرقين وعن دراساتهم. ويعني بذلك أبحاثه في علم الفقه؛ ولذلك لم يقض وقتاً طويلاً بالمؤتمر - نشر كتاب عن الظاهرية - مصطفى السباعي.

ص ١١٥ - نشر كتابه عن بقايا الوثنية العربية (قبل الإسلام) - وفاة فلاشر أستاذه في عام ١٨٨٨ عن ثمانية وثمانين عاماً.

ص ١١٦ - سلافة العصر شرح ابن حديد.

- الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ - ١٣٣٨ هـ / ١٨٥١ - ١٩١٩ م): من أسرة الأدارسة بالمغرب، رحل والده السيد محمد صالح بن أحمد بن موهوب الجزائري الإدريسي إلى دمشق عام ١٨٤٦. ولد الشيخ طاهر بدمشق ١٨٥١، وتلقى علوم العربية وآدابها على مشاهير علماء عصره، وعنى بجمع الكتب والمخطوطات منذ حداثة. يرجع إليه الفضل في إنشاء كثير من المؤسسات في دمشق؛ مثل الجمعية الخيرية. أنشأ مدارس عديدة ومطبعة قامت بطبع كثير من الكتب المدرسية. هاجر إلى مصر ١٩٠٥، وحمل معه أكثر محتويات مكتبته، وأوقف الباقي على المكتبة الظاهرية. ومن أعماله:

- بديع التلخيص وتلخيص البديع ١٨٧٨.

- منية الأنبياء في قصص الأنبياء، وعَرَبَه عن التركية ١٨٨٣.

- تمهيد العروض إلى فن العروض ١٨٨٦.

- كتابان في مصطلح الحديث.

- كتاب في التجويد "تدريب اللسان على تجويد البيان".

ص ١١٧ - ١١٩ - نشر الجزء الأول من كتاب دراسات إسلامية، وإعداد كتابه عن تاريخ تطور الحديث - حضور مؤتمر الاستشراق بستوكهلم

١٨٨٩- الاعتراف بقدراته العلمية- لقاء أوجست فيشر، وساليمن- زيارة لاندنبرج في استوكهلم؛ حيث التقى المستشرق جوزيف هاليفي ويقاضيين من تلمسان بالجزائر، وعبد الله فكري باشا، والشيخ حمزة فتح الله من مصر.

- حضور الملك أوسكار الثاني *Oskar II* المؤتمر، وترحيبه بجولدتسيهر، ومنحه إياه أعظم وسام للمؤتمر، كما منحه للمستشرق تيودور نولدكه أيضاً- معاملة الملك لجولدتسيهر بلطف، ودعوته له بأن يصحبه إلى عربته عند مغادرته لمبنى المؤتمر.

- سرور جولدتسيهر بالجائزة وبخاصة أن زميله في الحصول عليها كان دكتور تيودور نولدكه المستشرق العظيم (إذ حصل كلاهما على الميدالية الذهبية).

ص ١٢٠- الاحتفالات بالمؤتمر.

ص ١٢١- عدم الترحيب به بعد عودته إلى بودابست- عدم حصوله على أي تهنئة من أي شخص خلافاً لأسرته، وعدم مشاركة أصدقائه له مشاركة وجدانية- لم يجد أي تقدير من مجلس الجالية اليهودية التي يعمل بها.

ص ١٢٣- البدء في العمل بتحقيق ديوان الأخطل، وقراءة شعر زهير بن أبي سلمى، وعنترة- الأمير عبد القادر طاهر الجزائري.

نشر الجزء الثاني من دراسات إسلامية (محمدية)، واستحسان القراء لما اشتمل عليه مضمونه، وإعجابهم بطريقة دراسته للأحاديث وفقاً للمصادر الدينية بنظرة جديدة- تكليفه بتحرير مواد إسلامية وعربية للطبعة الرابعة عشرة من دائرة معارف بروك هاوس- مواصلة العمل على تحقيق ديوان الحطيئة.

ص ١٢٤- لقاء أوجست ميللر بميونخ- ولقاء إيبيرس *Ebers* بقرية
تونسجر- الظاهر بيبيرس، وصالح منير- الشيخ عبد الغني- مخطوطة ابن
فارس.

ص ١٢٥- وفاة زوج أخته *Glück* (جليك)، وشعوره بأنه أصبح مهملاً
في وطنه.

العمل على إعداد الجزء الثاني من كتاب دراسات إسلامية، وتنقيحه
قبل النشر- دراسة الكتالوج البرليني الذي وضعه ألفارت *Ahlwardt*
Berliner Katalog.

قراءة الخطط التوفيقية الذي أهده له صاحبه "علي باشا مبارك".

الشعور بالراحة النفسية بعد اعتراف العالم به رغم زيادة إهمال
مواطنيه اليهود بالجالية له- دراسة شعر ما قبل الإسلام- استعانته بمكتبة
المستشرقين الألمان، ومكتبة جامعة فيينا أثناء عطلاته- حضور اجتماع
مندوبي المجموعات اليهودية في برلين.

عيد الشابات- زيارة مدينة هاللي للاحتفال بعيد الشابات- لقاء ميللر
وكاوتس وماير وأستاذة بجامعة هاللي- زيارة مكتبة جمعية المستشرقين
الألمان لمطالعة مكتبة توربك، وانتقاء مخطوطات ديوان كعب بن زهير
لدراستها- الاتفاق مع أوجست ميللر على كتابة تاريخ الأدب العربي في
جزأين كي يسدًا نقصًا أدبيًا في هذا التاريخ، وإحياء ذكرى أوتولوت الذي
ترك عند أوجست ميللر ما كان يعده من دراسات لهذا الغرض.

ص ١٢٧- إتمام تحقيق ديوان الحطيئة- طلب مخطوطة ديوان كعب
بن زهير- مطالعة في كتب دانتي *Dante* الشاعر الإيطالي صاحب "الجحيم"،

وشوبنهاور الفيلسوف الألماني- لقاء المستشرق جان *Jahn*- حضور دفن كبير الكهنة فريدمان.

ص ١٢٨- قراءة في أعمال جوتا *Goethe* الشاعر والأديب الألماني.
الانتقال من المبنى القديم إلى المبنى المركزي الجديد للجالية اليهودية المسمى بالبوابة العالية.

ص ١٢٩- دراسة عن رؤية العرب قبل الإسلام عن الجن التي تلهم الشعراء- الدعوة لإقامة حلقة تدريس محاضرات عن الاستشراق وتجاهله، رغم أنه دعى للقيام بذلك عام ١٨٧٢، وهو في الثانية والثلاثين، ولكن لم يدع وهو في الحادية والأربعين رغم أنه أصبح من المتخصصين في الاستشراق.

ص ١٣١- وفاة والدته وزوجها- الدعوة لحضور مؤتمر الوفد الثاني للجنة المركزية المهمة بشئون اليهود الروس ببرلين.

ص ١٣٢- الانشغال بالقراءات اللاهوتية- القول بأن موسى لم يكن أباً للأنبياء، بل كان الحفيد الذي خرج معهم. وهو الحلقة الأخيرة في سلسلة النبوة، وأن التوراة التي جاء بها هي ختام القوة النبوية في بني إسرائيل- وفاة هيرشلر *Hirschler* الذي اعتبره جولدتسيهر مثل "الحصان الطائر تحت التير" في قصيدة شيللر *Pegasus im Joche*.

ص ١٣٣- تحذير لابنيه وأحفاده من الوقوع في أيادي الأغنياء اليهود- هجومه على أعضاء من إدارة الجالية اليهودية المجرية- جمعية الإثنوجرافي.

ص ١٣٤- تعيينه بالجمعية نائباً للرئيس- ذكر للمزامير ٥٥، ٥٦، ٨٨،
١٠٩، كي يتبين أفراد أسرته الجو النفسي الذي وضعه عضو مجلس إدارة
الجالية به.

ص ١٣٥- إلقاء محاضرة عن الحقب العظمى للتطور العالمي للإسلام.

*"Die grassen Epochen der weitlichen Entwicklung des
Islam".*

ص ١٣٨- ترشيحه لشغل وظيفة عضو عامل بأكاديمية "سيموني
المجرية"؛ لخدمة العمل القومي، وحصل على ١٨ صوتاً مؤيداً ضد صوت
واحد معارض، وألغى الترشيح حتى لا يتم تعيينه- اختياره عضواً عاملاً
بالأكاديمية المجرية- تعليق جولدتسيهر على ذلك بقوله: "إن المسيحيين
يغفرون لي أنني يهودي، وأن اليهود لا يقدرون أنني إنسان محترم وعفيف"-
التصريح بأنه يقبل على الاشتغال بالعلم كلما ازداد اليهود في تكديره.

ص ١٣٩- كتابة مقالة عن "صالح بن عبد القدوس والزنادقة". أثناء
حكم الخليفة المهدي- بدء دراسة عن "تراث الشعر العربي القديم".

ص ١٤٠- الإنياداة: ملحمة فرجيل نظمها للتغني بنشأة روما. وصف
فيها هروب إينتناس الطروادي من طروادة إلى قرطاجة ليقابل ديدو، ويروي
لها مغامراته، ثم تركها وأبحر إلى صقلية، وزار العالم الآخر. وبعد ذلك
أبحر إلى إيطاليا، ووضع الأساس الأول للدولة الرومانية. والإنياداة أروع
ملحمة لاتينية نظمها فرجيل على غرار الإلياذة لهوميروس- شبه جولدتسيهر
بها قصة عن الشاعر اليهودي سيمون باخر الذي كان يعمل أميناً لصندوق
تلك الجالية، كما قدم سيرة الشاعر نفسه حتى وافته المنية.

ص ١٤٣- السفر إلى لندن لحضور مؤتمر الاستشراق التاسع، ومقابلة بعض الشخصيات أثناء الرحلة.

ص ١٤٤- في مدينة روبيه *Roubaix* كان الكاثوليك المتشددون ينظرون إليه معتبرين إياه السليل المباشر للشيطان؛ لأنه يأكل اللحم أيام الجمع، وهذا ما لا يفعلونه أبداً، ثم يعرض الموضوع من وجهة نظر الميثولوجيا الكاثوليكية.

ص ١٤٥- سماعه عن مرض أوجست فيشر، وكان يجري تصويبات عن تحقيق ديوان الحطينة الذي أرسله جولدتسيهر إليه.

ص ١٤٦- ١٤٧- التهاني التي وصلت إليه، وبخاصة من نولده، لما كتبه في مقدمة تحقيقه لديوان الحطينة- تخيل جولدتسيهر وفاته حين يكون بين الكاثوليكين، وكيفية تدبير تغسيله وفقاً لمراسيم اليهود *Chevre Kaddischa*- وصول ما كتبه عن "منكرات مدام ملك" قرينة معالي محمد كيرزلي باشا، وغيره من قسم الاستعارات بالمكتبة، ومنها كتاب "كارل ماي" عن سوريا، ومجموعة كتب رحلات أخرى- كتاب "معركة الإيمان" دراسات في السيرة الذاتية وغيرها- كارل ماي مؤلف ألماني الجنسية (١٨٤٢- ١٩١٢) كتب قصص مغامرات خيالية على طريقة مغامرات الغرب الأمريكي، ومنها *Venitu*.

ص ١٤٩- قضاء ليلة في بروجس، وزيارته مكتبة العروض الكاثوليكية- الوصول إلى لندن- رؤية بعض المستشرقين، وإلقاء محاضراته عن "صالح بن عبد القدوس والزندقة".

ص ١٥٠- لقاءات أحاديث عن المؤتمر وما حدث به- رؤية أحدث كتب اقتنتها المكتبة ومنها كتاب الوصايا، وكتاب المعمرين للسجستاني،

وأمثال المفضل الضبي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر - المستشرق بيفان - نشأة فكرة عمل موسوعة متخصصة عربية إسلامية مع روبرتسون.

ص ١٥١ - ١٥٢ - إقامة حفل على شرفه في كمبردج - السفر إلى أكسفورد وزيارة جميع المكتبات - ثم السفر إلى لندن - تقرير دافيد هاينزيس ميلر عن المؤتمر، وإهماله ذكر جولدتسيهر ومحاضراته بالمؤتمر، وحوار جولدتسيهر معه بسبب ذلك - الحديث عن ميلر الذي ينقل عن تلميذه جابر، وينسب الأعمال لنفسه (أي ينتحل أعماله) ورأي جلازر فيه - تقديم جولدتسيهر تقريره إلى الأكاديمية المجرية، وإعجاب الحاضرين به.

ص ١٥٢ - ١٥٣ - تكليف الأكاديمية له بإلقاء خطاب في ذكرى رينان الذي كان عضواً فخرياً بها - اقتصاره في الحديث عن رينان باعتباره مستشرقاً فقط حتى لا يتعرض لنقده باحثاً، أو تلميذاً لشتراوس وباور - لا يوجد بالشعر العربي من يدعى *Addscadsch*^(١) - وفاة آخر عم لجولدتسيهر، وكيف كان أقارب أبيه يبتعدون عنه وعن أمه وعائلتها - تأسيس مدرسة يهودية في مسقط رأسه، وهي مدينة صغيرة - إلقاء محاضرة عن العلاقات الإثنوجرافية لعلم الأديان المقارن.

ص ١٥٥ - إرسال مقالات في علم الآشوريات إلى مكتبة جلوبوس، ومقالات عن فلسطين - وفاة رئيس الجالية فارمات إثر نوبة قلبية - يتحدث جولدتسيهر عن صبره على ما يوجه إليه من رئيسه طوال فترة رئاسته قبل أن يصاب بالنوبة القلبية (أي ظل يعاني ذلك تسع سنوات من عمره / أي

(١) ولعله يقصد المعاج؛ إذ إن جابر قدم دراسته عن عجاج ورؤية. وقد رجعت إلى كل الدراسات التي قام بها جابر بكتاب Bär، فلم أجد هذا الاسم (ج-٢، ص ٩٦). (عوني).

٣٣-٤٢)، ويستشهد بالشعار الذي تمسك به طوال حياته "الصبر مفتاح الفرج" - الحديث عن جنازة الرجل وتكريمه.

ص ١٥٦- المشاركة في العمل على إدخال اللغة المجرية إلى الجالية، بعد أن تمكن من إدخال الاصطلاح على درس الدين بها- الحديث عن أفضال غيره في الإصلاح، وعن أعماله هو، وما قام به.

ص ١٥٨- اختياره عضواً شرفياً بالجمعية الملكية الآسيوية بلندن.

ص ١٥٩- كتابة بحث صغير عن "سكينة" في المراجع الإسلامية، ومقالة عن "ابن هود والحي اليهودي بدمشق في القرن الثالث عشر"- الشروع في كتابة المقالة عن "رينان" الذي وصفه بأنه أخطر معاد للسامية- اختياره رئيساً أولاً لقسم الشرقيات.

ص ١٦٠- ١٦١- تذكر فكرة ملك السويد "أوسكار الثاني" أثناء المؤتمر الذي عقد باستوكهلم برغبته في استبقائه بالسويد، وتعيينه أساتذاً بالجامعة، وما أثارته الفكرة من هجوم الكاثوليكين عليه.

ص ١٦٢- الانتهاء من كتابة المقالة عن رينان.

ص ١٦٣- الطوطمية: كان لكل عشيرة عند الشعوب البدائية حيوان يرتبط باسم العشيرة عندها، وبخاصة في إفريقيا وأستراليا وأمريكا الشمالية. وكل عشيرة تحترم الحيوان الذي يكون طوطماً لها، فلا تؤذيه، ولا تقتله، ولا تمسه بشيء. ويعتبر أفراد العشيرة أنهم ينحدرون من الطوطم. ويزعمون أن جدهم الأول أحد توأمين، والتوأم الآخر هو الحيوان الذي غدا للعشيرة طوطماً. ولذلك فإنه يجب عليهم القيام نحوه بشعائر وطقوس معينة

في مواسم خاصة. وتتخذ بعض العشائر طوطماً من النباتات أو الكائنات المادية أو من الظواهر الطبيعية (وهذا نادرٌ جداً).

ص ١٦٤ - ١٦٥ - نص الإنيادة - وفاة أوجست ميللر - تصحيح المقالة البحثية، ومحاضرة "الزنديق".

- أوفيد *Ovid* (٤٣ ق.م - ١٧ أو ١٨م) شاعر روماني قديم، من أشهر أعماله التحولات *Metamorphoses* وهي عن الميثولوجيا الإغريقية والرومانية، اشتهر بكتابته عن الحب مثل قصيدته "فن الحب" *Ars Amatoria*، كتبها في السنة الأولى قبل الميلاد. كانت له شعبية، وكان الإمبراطور أوغسطس يقدره، إلى أن أبعد من روما لأسباب غير معروفة في العام الثامن الميلادي. ترجم الشاعر أدونيس قصيدة له إلى العربية. ولشعره تأثير على الأدب الغربي، وبخاصة مجموعة قصائده أموريس *Amores*، وهي ثلاثة أجزاء من قصائد الحب.

ص ١٦٦ - عرض جامعة هيلبرج ليكون أستاذًا بها.

ص ١٦٨ - الحديث عن ستراك، وهيللر - تفضيله لمؤانسة المسلمين عن علماء اليهود. يقول: "إنني أشعر بالاشمئزاز والنفور من مجتمعكم، حتى إنني أفضل مؤانسة أتباع محمد عنكم، وذلك تضحية كبرى من جانبي لا يدفع ثمنها أي فرد عن أن أحيا معكم ولكم".

- عرض عميد كلية الآداب بالجامعة الإقليمية على جولدتسيهر أن يعمل بالكلية أستاذًا عاملاً بالتكليف.

ص ١٧٠ - ثيوغنيس *Theognis* شاعر غنائي يوناني بالقرن السادس قبل الميلاد.

ص ١٧٢- عرض من جامعة كمبردج لمنصب أستاذ كرسي
الاستشراق بالجامعة بعد كتابة ثلاث مقالات صغيرة: عن العناصر العبرية
في صياغات السحر عند المسلمين، وعن الحرف اليدوية عند العرب، وعن
حرب علي المئين *Alis Kampf mit den Drachen*.

ص ١٧٤- كتابة مقالة عن الدعاية المحمدية في أمريكا *Muhammed*
adanische Propaganda in America، ويلاحظ أنه يوجد تبشير في الإسلام
(إنه كان يعني ذلك بقوله "الدعاية").

زيارة مدينة ميونخ وقصر توتسنج ضيفاً على الكونت لاندبرج،
ومقابلة عدد كبير من الضيوف بالقصر.

ص ١٧٩ - ١٨٠- حلول طغريني باشا وزير الشؤون الخارجية بمصر
سابقاً ضيفاً بقصر توتسنج.

- عائلة روتشلد *Rothschild* إحدى العائلات ذات الأصول اليهودية
الألمانية، تأسست بجهود إسحق إكانان. أما لقب روتشيلد فهو يعني "الدرع
الأحمر" إشارة للدرع الذي ميز باب قصر مؤسس العائلة في فرانكفورت في
القرن السادس عشر.

- حديث عن المسيحية واليهودية، وقيل: "إن أخلاقيات اليهود تختلف
عن أخلاقيات العالم أجمع"- الشريف المكذبورجي هو لندبرج- الحديث مع
الوزير عن رياض باشا، وعلي مبارك، ودور- سؤال الباشا المصري: "هل
يعتبر اليهود يسوع المسيح منتحلاً، مثلما ننظر نحن لمحمد؟"

ص ١٨٠ - ١٨٢- الإجابة من جولدتسيهر بإلقاء محاضرة في تاريخ
الأديان *Vortrag über dies Iakonoscher Frage*.

الرحيل عن توتسنج إلى ميونخ ومقابلة هوميل بمحطة السكة الحديد، والانتقال إلى مدينة لنداو، حيث استلم جولدتسيهر من مكتب البريد خطاباً يخبره بتعيينه أستاذاً جامعياً بجامعة بودابست، بهذا أصبح أول أستاذ يهودي يعين بجامعة بودابست.

باندورا Pandora: أول امرأة يونانية وجدت على الأرض طبقاً للعقيدة اليونانية. باندورا خلقت بأمر زيوس من الماء والتراب، ومنحت العديد من المزايا مثل الجمال والإقناع وعزف الموسيقى. نزلت باندورا إلى الأرض، وألقت شباكها حول يروميتوس الذي منحه زيوس الأرض كلها، ولكنه لم يأبه لها، وهام بها أخوه ابيميتوس وتزوجها. وأرسل زيوس صندوقاً إلى الزوجين هدية. وكان الصندوق مغلقاً. رفض ابيميتوس فتحه، لكن زوجته ألحت عليه أن يفتحه لعل به كنوزاً وفتحه، فأظلم العالم، وخرج من الصندوق أرواح شريرة يحمل كل منها اسماً مثل: "النفاق"، و"المرض"، و"الجوع"، و"الفقر"، فحاولت أن تغلق الصندوق فلم تغلق إلا بعد أن حلت الكارثة، وتحولت الجنة إلى جحيم حقيقي للبشر.

الحديث عن الكنيسة الحقيقة التي تستحق الشكر، وما صارت إليه من مسخ في أبغض صورته للإنجيل؛ لأنها لم تحافظ على الإنجيل في صورته النقية.

- التنزه مع الباشا.

ص ١٨٣ - عازف آلة النفخ هو الشاعر فيكتور شيفل *Victor Scheffel* ورد ذكره بالصفحة نفسها - الحديث عن الشاعر شيترون (١٠٦ - ٤٣ ق.م) واسمه كاركوس توليوس (خطيب وكاتب ومحام وسياسي روماني) - أبيقور (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م) فليسوف يوناني، عرّف الفلسفة بأنها فن إسعاد الذات بالمتعة العقلية، وهي الخير الأوحد.

ص ١٨٥ - لقاء أحد شيوخ جماعة الإخاء البيض بإفريقيا واعتقاده بأن جولدنسيهر مسلم؛ لدفاعه عن الإسلام في حديثه معه، كما دافع عن القرآن فيما نسب إليه من نصوص مغلوطة واستشهاده بالصحيح منها.

ص ١٨٦ - انعقاد مؤتمر المستشرقين في جنيف، ولقاؤه مع الأصدقاء المستشرقين - اختياره ليكون نائباً لرئيس شعبة العلوم الإسلامية مع دي خويه وزاخو - إلقاءه محاضرة بالمؤتمر عن الأصول التاريخية للشعر العربي (*Zur Urgeschichte der arabischen Poesie*)

ص ١٨٧ - زيارة وزير التعليم المجري - سوء معاملة اليهود له، وتقريرهم بأن تعيينه أستاذاً لا قيمة فعلية له، وفي مقابل ذلك قابلته الجامعة بكل ترحيب وتكريم - ترحيب عميد الكلية به في أول جلسة عقدتها الكلية - قراءة تقريره بشأن مؤتمر المستشرقين في جنيف.

ص ١٨٨ - وصف معاناته مع اليهود - إلقاء محاضرة تلبية لطلاب رئاسة الأكاديمية والتعليق عليها.

ص ١٨٩ - التوجه إلى الديوان الملكي لشكر الملك على اللقب والوظيفة وترحيب الملك به وإطراؤه عليه - فراغه من كتابة دراسات فقه اللغة العربية *Abhandlungen zur arabischen philologie* - حديثه عن الكتاب، وعن تطور المصدر التاريخي للعرب في ظل التأثير الفارسي، وعن الروافد الفارسية وعن المزدكية والزرادشتية.

- والمزدكية ديانة فارسية قديمة أسسها الداعية الفارسي مزدك، ووفقاً للعقيدة المزدكية يدين المزدكيون بوجود مبدئين (الخير والشر)، و(النور والظلمة). وأقرت العقيدة النظام الاشتراكي في الأموال والنساء. وأيد الملك الفارسي قباذ الأول عام ٤٨٨م المذهب، وظل المذهب معترفاً به إلى أن خلع الملك أنوشروان. وأعاد المذهب الزرادشتي.

- الزرادشتية: أسسها زرادشت، وهي ديانة قديمة، تعد أقدم الديانات التوحيدية المعروفة في العالم. تأسست منذ ٣٠٠٠ سنة. يعتقد معتقوها بوجود إله واحد أزلي هو أهورامزدا بمعنى الإله الحكيم. وهو خالق الكون. بشر زرادشت بالقوة الشافية للعمل الصالح والقوة الخيرة، والنار والشمس هما رمزا المجوسية، ولذلك فإن النار مقدسة لأنها تمثل عن نور أو حكمة أهورامزدا، ولهذا يحرص الزرادشتيون على ألا تتطفئ في معابدهم، وتزعم الديانة أن أهورامزدا خلق العالم الذي هو خير في سبع مراحل، ولكن أنكرامينو دخل فيه ليفسده، ومن ثم يتصارع الخير والشر في العالم. ويعتقد الزرادشتيون أن الخير سينتصر في النهاية، ويعتقدون أيضاً بالحياة الآخرة حيث تمتد الأرواح مع الأجسام، ويصب النهر الملتهب في جهنم فيطهرها، وتعود الأرض إلى حالتها الأولى الخيرة. أمر زرادشت أتباعه بالصلاة أمام النار التي هي (رمز) للنظام والعدل في معتقدتهم. وهم يصلون خمس صلوات في اليوم، عند شروق الشمس، وعند الظهر، وعند المغرب، وفي منتصف الليل والفجر، ويصلون وقوفاً وهم يربطون ويحلون زناراً مقدساً حول وسطهم وتسبق الصلاة طهارة^(١). وكتابهم الديني هو الأفستا، ومعناه الأساسي أو الأصل أو المتن. وهي عندهم وحي من أهورامزدا، وتشتمل على خمسة أسفار: (١) سفر اليسا ومعناها العبادة، (٢) سفر الوسيرو أو الفسبرد، (٣) اليشتان أي الترنيمات أو المزامير، (٤) الوانديداد أو الفانديداد أي القانون، (٥) الخودة افستا^(٢). وقد انحسرت الديانة الزرادشتية بشكل كبير،

(1) Ejabal google com.

(2) Goldziher Memorial conference, Edited Eva Apor and Istvan Ormos, Buda Pest, 2005.

حيث لم يبق من أتباعها في العالم سوى ٢٠٠ ألف نسمة ينتشرون في الهند والباكستان وأمريكا الشمالية^(١).

وقد ورد ذكر الزرادشتية وزرادشت لدى الشهرستاني بالملل والنحل ولدى ابن حزم بالفصل، وعدّهم فقهاء مسلمين من أصحاب الكتاب الذميين، وما زالوا يعدونهم كذلك في الدولة الإيرانية الحديثة، ويرى ابن حزم الأندلسي أن زرادشت من الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم.

ص ١٩٠- اكتشاف يهودي اعتنق الإسلام اسمه سعد بن حسن الإسكندر، ألف كتابًا دفاعًا عن الإسلام- تكليفه بتنظيم وترأس رحلة دراسية لأساتذة جيل الوسط المجريين إلى مصر، وترحيبه بذلك؛ لأنه سيخطو بقدميه مرة أخرى بوابات الأزهر بعد مرور ٢٢ عامًا على زيارته الأولى للأزهر ودراسته به.

ص ١٩١- إجراء امتحان لأحد المسلمين بالبوسنة يرغب في تعيينه أستاذًا لفقه اللغة العربية بسراییفو- فكرة تنظيم محاضرات عن موضوع "المؤسسات الإسلامية" ببودابست و مرور ٢٠ عامًا على خدمته للجالية اليهودية في سودوم.

ص ١٩٢- ١٩٣- زيارة لندبرج في تونسج وبقاؤه بالمكتبة فترات طويلة للقراءة، وتعرف ما بها من مخطوطات نفيسة، وكتب عربية مهمة (مدة ستة أسابيع)، منها مؤلف عن أبي نواس، وسيرة الطبري، والبخاري، والشافعي لابن عساكر، ومخطوطات لابن حزم- تبادل خطابات مع نولدكه.

طبع ديوان أبي نواس بتحقيق فون/ كريمر، فيينا ١٨٥٥، وطبع في مصر/ طبع حجر مشروحًا بقلم محمد واصف بمصر ١٢٧٧، ويتقدمه فصل

(1) SKjoervo. P. Okto: Goldziher and Iranian Elements in Islam, P. 245-250.

لجامع الديوان حمزة بن الحسن الأصفهاني في شعر أبي نواس، طبعة
العمومية ١٨٩٨^(١).

ص ١٩٤- إرسال خطاب إلى جمعية المستشرقين الألمان التي طلبت
منه- مع غيره- تأليف موسوعة متخصصة عن الإسلام، ومع الخطاب
قصيدة على وزن بحر الرجز.

ص ١٩٥- توديعه عند مفارقة قصر توتسينجن في مدينة ميونخ،
والتقى هوميل وجلزر، وأمضوا وقتًا بالمدينة- الحديث عن جلزر وكيف
أنه يلاقي الاضطهاد بجامعة فيينا باعتباره يهوديًا بولنديًا وتحاك ضده
الدسائس- الشروع في كتابة بحث عن المدائح المحمدية.

ص ١٩٦- وصفه لصديق الطفولة الذي انقلب عليه- وليام باخر- مقالة
عن ابن عساكر الذي كتب عن سيرة الطبري- وإرسال مقالة: "المدائح
المحمدية" *Enlogie der Muhammedaner*- قراءة دراسة عن "تطور الأدب
التاريخي على يد العرب" باللغة المجرية:

*Studie über die Entwicklung der historischen Literatur unter
den Arabern.*

- الكتابة عن قصة الراهب بارصيفا (القديس بارصيفا. كان في زمن
بني إسرائيل يعيش في قرية صغيرة، وكان مسيحيًا حقيقيًا موحدًا ومؤمنًا
بعيسى-عليه السلام - وأنه رسول الله، ويحكى عنه أن ثلاثة إخوة تركوا في
رعاية أختهم، ولكن الشيطان وسوس له مرة أخرى، وفي كل مرة ينفذ ما

(١) لم أجد لدى سركيس أي ذكر لما نسبته جولدتسيهر إلى ابن عساكر؛ إذ لم أجد له بسيرته إلا
التاريخ الكبير لدمشق، وتبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي حسن الأشعري.

يوسوس به الشيطان حتى حملت هذه الأخت منه، وقتل طفلها ودفنه في
غرفتها ثم قتلها، ولما عاد الإخوة الثلاثة أخبرهم أنها مرضت مرضاً خطيراً
ثم توفيت. ولكن الشيطان وسوس للإخوة الثلاثة حتى عرفوا القصة كلها،
وحفروا القبرين، وأخذوا الحاكم، فوسوس له الشيطان بأنه يستطيع أن ينقذه
من تنفيذ الحكم عليه بالرجم إذا كفر بالله. فلما كفر بالله وسجد له (أي
للشيطان) قال الشيطان: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين. فذلك
قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. القصة موجودة لدى ابن كثير "بداية
ونهاية"، بالجزء الثاني.

بيغان يرسل إليه صورة فوتوغرافية لمخطوطة كتاب "المعمرين" لأبي
حاتم السجستاني الموجودة بكمبردج.

ص ١٩٣ - الاستعداد للرحلة إلى مصر، وأخبار عن انتشار مرض
الكوليرا بها، تأجيل مشروع السفر - رسالة المستشرق اليهودي البولندي إليه
(يقصد د. هـ ميللر *D. H. Müller*، ومعها كتابه الذي نشره عن بناء الشعر
المقطعي عند أنبياء الكتاب المقدس والقرآن الكريم والكتابات السماوية.

*Der Strophenbau der biblischen Propheten, des Korans und
der Keilschriften.*

وطلب نولده منه أن يكتب نقدًا عنه، ولكنه لم يرسل النقد حتى
لا يصاب كاتبه (أي د. ميللر) بالإحباط.

ص ١٩٨ - الرحيل إلى مصر ورؤية أمين فكري باشا (محافظ
الإسكندرية آنذاك)؛ لأنه تعرف عليه في زيارته السابقة لمصر، واستضافه
أمين باشا يومًا بمسكنه بالزيتون، والتقى فوللرز *Vollers* عنده - زيارته

للأزهر ولكن لم يعجبه ما يدرس به مثلما أعجبه بالمرة السابقة قبل ٢٣ عامًا- زيارة معالم القاهرة وبعض المساجد والمقابر - تجوله بالإسماعلية- زيارة دار العلوم بتصريح من يعقوب أرتين باشا (١٨٤٢-١٩١٩)^(١)- زيارة درب الجماميز- لقاء عميد دار العلوم أمين بك سامي الذي أطلعه على النظام المدرسي للدار، وطاف معه بقاعاتها، وحضور بعض المحاضرات- تعليق جولتسيهر على ما رأى وسمع- زيارته للمدرسة الناصرية التي يلتحق بها أبناء الطبقة الراقية- زيارة جيلاردو بك رئيس تحرير مجلة أخبار مصر له- زيارة تكية المغاوري بالأزهر والحديث عن ساكنيه- زيارة الإسكندرية والرحيل بالباخرة.

ص ٢٠٠- ما لقيه في موطنه من مضايقات بسبب الرحلة ماديًا وإداريًا- وما لقيه بإدارة الجالية أيضًا.

ص ٢٠٣- الكتابة عن "الحركة في مملكة المهدي".

über die Bewegung im Reiche des Mahsi.

وعن مظاهر تقديس الأولياء بمصر *Muhammedanische Heiligenlcultus in Ägypten*، وهذه ثمرة رحلته إلى مصر- لقاء د. هـ. ميللر *D. H. Müller* الذي كان غاضبًا منه لعدم تأييده لما يراه عن شعر المقاطع- حضور دكتور شيبستر *Chester* من بوسطن للتلمذ عليه- نشر المجلد الأول من كتاب "أبحاث ومقالات" *Abhandlung*، وامتداح نولذكه، وجويدي له بالمجلات الأدبية.

(١) من أبرز رجال التعليم في مصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر - شغل منصب وكيل نظارة المعارف العمومية ١٨٨٤-١٩٠٦ وهو أرمني الجنسية بذل جهودا مشكورة في تطوير التعليم في مصر، وكان من الرعيل الأول الذين بذروا فكرة إقامة أول جامعة مصرية. (عوني)

ص ٢٠٤ - الاستشهاد بسطرين من شعر بلاتن.

ص ٢٠٦ - جولدتسيهر يتذكر ما لقيه من إطراء الملك أوسكار *Oskar* ملك السويد ومديحه له في المؤتمر الاستشراقي الذي عقد بستوكهلم، عندما اشتد عليه الهجوم من أبناء وطنه واليهود ببودابست - تدريس صحيح البخاري وشرح القسطلاني لتلميذه شيستر الأمريكي.

ص ٢٠٧ - خطاب البارون روزن *Rosen* طالباً منه السماح لأحد المستشرقين - ويدعى شميدت *Schmidt* - بالحضور إليه في بودابست ليتعلم منه لأنه من المقرر أن يعين أستاذاً للدراسات الإسلامية بجامعة بيرزبورج - قراءة في كتاب المعمرين للسجستاني لينتهي من تحقيقه وتزويده ببعض الملحقات - المرصع لابن الأثير.

ص ٢٠٨ - طلب دكتور أخيلس *Achelis* منه مشاركته في تأسيس مجلة خاصة بعلم الأنثروبولوجي وعلم الأديان المقارن - تدشين المدرسة اليهودية الجديدة.

- الحديث عن تقديم المساعدة لرفقاء تخصصه وتصويب أخطائهم، ولم يعترف منهم بمساعدته لهم في التصويب إلّا نولدكه، وفان بريشم، وزايبولد. وهو الذي أصر على ذكر مساعدة جولدتسيهر إلى جوار جويدي ونولدكه وإهدائه تحقيقاً لكتاب المرصع لابن الأثير^(١)، وافتخار جولدتسيهر بوضع اسمه مع المستشرقين المشهورين.

ص ٢٠٩ - انشغاله بوضع تصور عن دواوين القبائل العربية التي أعاد فيها نصاً مفقوداً من الأدب العربي، ومنح بسببها العضوية الشرفية لصحيفة *RAS*.

(١) وهو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم بن الأثير الجزري، وكتابه "المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأنواء والنوات"، الذي حققه زييولد C. T. Seybold عام ١٨٩٦.

ص ٢١٠- حضور السيد ف. شميدت إليه للتكلم عليه في العلوم الإنسانية- كان يجلس سعيدًا بالتدريس لهذين الطالبين (الأمريكي والروسي) ثلاث مرات أسبوعيًا، ودرّس لهما صحيح البخاري وميزان الشعراني- الانشغال بالحقبة الجاهلية وفرسانها وشعرائها- الاستشهاد بالمزمور الأول.

ص ٢١١- الحديث عن العهد الجديد (أي الإنجيل)، وأوضاع الدرس والتربية فيه، وعن التجار والحاخامات الجهلاء والمدرسين الذين لا ضمير لهم- الاستشهاد بسفر حزقيال (١٣: ١٢).

ص ٢١٢- تمثيل الحكومة والجامعة في مؤتمر الاستشراق بباريس.

ص ٢١٣- جلسات هيئة اللجنة اليهودية وما يجري بها- مقالة عن حماسة البحرري.

ص ٢١٤- كتابة التقرير السنوي للجنة اليهودية، وتصويبات رئيس المجلس المزعومة للتقرير- الاعتراض على لغة جولدنسيهر المجرية، وعلى أسلوبه في الكتابة وتصويبات الرئيس له.

ص ٢١٥- كتابة نعي للمرحوم بريل بتوقيع غير توقيعه- اقتراح فامبيري على العميد إعطاء جولدنسيهر مكافأة تدريس وليس مرتبًا- الاستشهاد بنص لياقوت الحموي. وقد راجعت الحديث النبوي في كتابي لياقوت الحموي الاثنين: "معجم البلدان"، و"المشترك وضعًا والمفترق صقًا" وكلاهما من تحقيق فيستنفلد *Wüstenfeld* (١٨٠٨-١٨٩٩)، لأول مرة نشر معجم البلدان (١٨٦٦-١٨٧٣)، ونشر "المشترك وصفًا والمختلف صقًا" عام ١٨٤٦، فلم أجد الحديث النبوي بهما تحب "حماة" كما جاء باليوميات.

ولكنني وجدت الحديث كاملاً، وليس مطابقاً تماماً لما جاء بترجمة جولدنسيهر، وإنما نص الحديث كما جاء في صحيح البخاري: كتاب العلم،

باب فضل من علم وعلم (طبعة الشعب)، وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي جـ ١، ص ١٩ (دار الشعب)، وصحيح مسلم (كتاب الفضائل)، رقم ٢٢٨٢، وهو كالتالي:

مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، منها بقعة قبلت الماء فأنبئت الكلاً والعشب الكثير، وبقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها ضائقة قيعان لا تمسك ماءً ولا نبت فيها، فذلك من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لو يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به.

وجاء الحديث رواية عن أبي موسى الأشعري، وقيل حديث متفق عليه.

ص ٢١٦- التماس معونة للجالية من البارونة هيرش.

ص ٢١٧- تعيينه عضواً من الخارج بأكاديمية فيينا- كتابة تمهيد لمقالة عن أبي حاتم السجستاني- كتابة مقالة عن إبداع وفوضوية جونكل.

ص ٢١٨- السفر إلى باريس ولقاء أصدقاء مستشرقين- تعيينه مديراً عاماً للجنة دولية استشرافية- الانقطاع فترة عن تدوين يومياته لبلوغ ولديه فترة النضوج التي تجعلهما قادرين بأنفسهما على مراقبة أحداث حياته.

ص ٢١٩- السفر إلى باريس لحضور مؤتمر المستشرقين- برقيات تهنئة لاختياره عضواً بالأكاديمية الملكية للعلوم بسانت بيترسبورج، وعدم اهتمام رؤسائه بالجالية اليهودية بذلك، وعدم اهتمام أصدقائه اليهود.

ص ٢٢٠- موافقة الأكاديمية المجرية على منحه ٣٠٠ فلورين- ونشاطه في كتابة مقالات عن تاريخ الأدب العربي وغيره لجمعية فرانكلين-

مشاركته في وضع خطة لكتابة تاريخ الأدب العربي- تعيين شخص مكان كاوفمان، واقتراح تقسيم ما كان يتقاضاه بين باخر، وبلاو.

ص ٢٢٢- سحب هيئة التعليم العرض لينشارك باخر وبلاو في العمل في المكان الذي كان يشغله المرحوم كاوفمان على أن يقتسما المكافأة الشهرية التي كان يحصلها من اللجنة.

- السفر مع زوجته إلى إيطاليا- حضور مؤتمر الاستشراق ممثلاً للحكومة والجامعة والأكاديمية بروما، واحتفاء أعضاء المؤتمر به- لقاءه مع كاوتش، وبوده، ونوفال، وكون، وهولسينجر، ومصادقته لهم.

ص ٢٢٣- معاناته مع المسؤولين عن الجالية اليهودية- بارميزوا Bar-Mizwah بالعبرية معناها ابن الواجب: "تدل على الصبي البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة، ويقوم بالواجبات الدينية التي يكلف بها- وخداع الجالية له ليبقى القيام بمثل تلك الواجبات رغم معاملتهم القاسية له.

انتحار بيترفاي خبوا بإطلاق الرصاص على نفسه بقطار السكة الحديد- ترحم جولدتسيهر عليه وعلى من ماتوا من الأصدقاء قبله.

ص ٢٢٤- زيارة إدوارد نويمان له بعد إلقائه محاضرة بمنتدى الأدب اليهودي Abraham Geiger (١٨١٠- ١٨٧٤) وهو حبر يهودي ألماني تناول بالدراسة المشابهة بين القرآن الكريم وبعض الكتب المقدسة عند اليهود (موسوعة المستشرقين لدكتور بدوي)- فريدريش نيتشه (١٨٤٤- ١٩٠٠) Friedrich Nietzsche فيلسوف وشاعر ألماني، كتب نصوصاً وكتباً عن المبادئ الأخلاقية والنفعية.

ص ٢٢٥- حفل استقبال مسائي عند بائع الكتب ريفاي، وسعادة جولدتسيهر أن يكون ضيفاً مع علية القوم.

- عرض السيدان كرنوس ومونكاشي على جولدتسيهر أن يضعوا اسمه على صدر غلاف صحيفة جديدة ليُتشرَّفَ به، ورفضه.

- تحسره على ما فات من عمره لما عاناه من مضايقات وألم في سنوات شبابه- عرض تدريس مادة الفلسفة الدينية على جولدتسيهر؛ لأن القائم على تدريسها وجد أنه غير قادر على تدريسها.

ص ٢٢٦- مواصلة العرض مع الإغراء بأن المقابل سيكون ٥٠٠ جولدن.

حديثه مع فامبيري الذي يصفه بأنه درويش عن قيمة المال وفضله على العلم- وصف للمستشرق فامبيري المستشرق مومزن *Mommsen* بأنه حمار وهو تيودور مومزن *Mommsen, Teodor* مستشرق عالم بالدراسات اليهودية، والتاريخ اليهودي.

- الكونت د. جيزا فون كوون يرغب في الاستفسار عن فهارس المراجع الجغرافية، ومقتطفات من الجغرافيين العرب- مؤتمر تاريخ الأديان بباريس ودعوته لجولدتسيهر لإلقاء محاضرة.

ص ٢٢٨- البحث عن تمويل للسفر إلى باريس لحضور المؤتمر- إصدار مرسوم وزاري بتكليفه رسمياً بتدريس محاضرات للحاخامات- استقبال القراء لكتاب "دراسات إسلامية"، وامتداحهم له.

ص ٢٢٩- تصريح جولدتسيهر بأنه لا يستطيع أن يستودع شعوره بالنعاسة إلّا لكتابة يومياته- وفاة مساعد- معاملة مجلس إدارة الجالية له بغلظة وسوء أدب.

ص ٢٣٠- طلب حاكم الجزائر العام منه أن يكتب مقدمة لطبعة خاصة عن "ابن تومرت" ستصدرها الحكومة.

وابن تومرت هو محمد بن تومرت (١٠٨٧-١١٣٠) مصلح ديني وزعيم من البربر يسمى مهدي الموحدين، اتصل عن قرب بأراء ابن حزم والغزالي، وتأثر بها. وبعد عودته من زيارة الأندلس ومصر والحجاز إلى المغرب، أخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولاقى في ذلك عنتاً، وبخاصة لأنه استنكر المعتقدات وطريقة الحكم. كَوّن أتباعاً علمهم ونظمهم، وسماهم المؤمنين أو الموحدين، وبدأ يحمل على دولة المرابطين، ووضع أساس دولة الموحدين التي أقامها تلميذه عبد المؤمن بن علي. وكانت دعوته سياسية دينية، سفكت فيها دماء كثيرة، وآراؤه مزيج من تعاليم الشيعة وأهل السنة.

- أرسلته الأكاديمية اليهودية مبعوثاً لها لحضور الجمعية العمومية للمنظمة الدولية للأكاديميات بباريس حيث قوبل بالتكريم- ألقى محاضرة عن انتشار الإسلام في فارس- قيامه برحلة في أوروبا بإجازة الصيف، ولقاؤه من فيلهاوزن في جوتنجن.

ص ٢٣١- الاحتفال بمرور أربعين عاماً على مشوار عمله في الكتابة (١٦ من مايو ١٨٦٢)- تقويمه لأعماله- عنايته بالأدب المجري أيضاً- الرضا عمّاً كتب- عدم الرضا عن وظيفته التي استمرت ٢٧ عاماً- التنويه بدعوة رئيس تحرير جريدة الأدب الألمانية وامتداحه له باعتباره شيخ المستشرقين الأحياء- سعادته أيضاً بإهداء شواللي كتابه عن البيهقي إليه.

والبيهقي (١٠٧٧-١١٥٠) هو أحمد بن علي بن محمد. لغوي ألف كتاب المحيط بلغات القرآن، ويناابيع اللغة، وتاج المصادر (الثلاثي المجرد، الثلاثي المزيد وغير الثلاثي). وقد حقق فريدريش شفاللي (١٨٦٣-١٩١٩) Friedrich Schwally من كتبه: "المحاسن والمساوي" ووضع له فهرس. وشفاللي هو الذي أعاد تهذيب كتاب نولدكه عن تاريخ القرآن (الجزء الأول) *.Geschichte des Qorans*

-البداء في كتابة دراسات عن الإسلام، الخرافة الإسلامية بشأن قوة
الذاكرة، القرنين في الاسلام، أعداء الكلام في الفلسفة واللاهوت.

- حضور مؤتمر المستشرقين في هامبورج- الاعتراف بإنتاجه العلمي
بالمؤتمر- كتاب الحكومة الملكية لروبرتسون سميث (١٨٩٤-١٨١٩) *Robert*
Payne Smith, عالم لاهوت، كتب عن محمد- صلى الله عليه وسلم- وظهور
الإسلام، وعن تطور مبكر للإسلام، وكان أستاذًا بجامعة كمبردج

- *Muhammed and the Rise of Islam, 1905.*

- *Erly development of Mohammedanism, 1914.*

أما كتاب "النسب" *Kinsip* الذي يذكره جولدتسيهر فقد سبق ذكره في
صفحة ٢٠٧ بتاريخ ١٥ من يونيو ١٨٩٧، يستعمل فيه دار النشر *Black*
في لندن بضرورة الاهتمام بالطبعة الجديدة لكتاب روبرتسون سميث
"النسب". وفي ٢٨ من إبريل ١٨٩٤ عرض على جولدتسيهر شغل مكان
سميث بجامعة كمبردج بعد وفاته.

ص٢٣٢- التفاوض على كتابة مختصر لفقه اللغات السامية- ووصف
أحد الكتاب له بأنه "شيخ العلوم الإسلامية"- دعوة باسم الباحثين الأمريكيين له
ووصفه بأنه "ضيف رسمي" على مؤتمر العلوم والفنون بالمعرض الدولي
المقام في سانت لويس- جامعة كونزبيرج طرحت اسمه لنيل درجة
الأستاذية في العلوم الشرقية.

- معاملة المسؤولين بالجالية له معاملة مزرية- عرض لتولي منصب
بالأمانة (الأمين العام للمكتبة الأكاديمية)، ثم سحب العرض دون ذكر
السبب- تعيين ابنه الأصغر أستاذًا للرياضيات- نشر ست عشرة مقالة
بالمجلات المختلفة.

ص ٢٣٥- نشر مقدمة كتاب محمد بن تومرت وإعجاب النقاد بها، ومنهم نولدكه، ودي خويه- الجمعية الآسيوية للبنجال تعرض عليه العضوية الشرفية بها، كما عرضتها على زميله سزوما كوروزي *Csoma Körösi* من قبل.

وساندور كوروزي سزوما (١٧٨٤-١٨٤٢) *Csoma, Sándor Körösi* لغوي مجري ومستشرق- خاطب نولدكه يستأنذه في أن يجعل الإهداء في أحدث إصداراته له فاعتبر ذلك أعظم شرف- زيارة كاوتش له في طريق رحلته إلى القسطنطينية- حصول ابنه كارل على الأستاذية في الرياضيات، وحصوله على وظيفة باتحاد الجمعيات المجرية للتأمين على الحياة بفيينا.

ص ٢٣٦- خطاب مستشار نائب رئيس جامعة كمبردج باختياره لنيل "الدكتوراه الفخرية في الأدب"، وأن الاحتفال به سيكون ٢٨ من شهر يونيو، وذهابه إلى كمبردج وعودته مظفراً.

ص ٢٣٧- معاملة رؤسائه في الجالية السيئة- السؤال عن اعتزامه الاستقالة من منصبه بالجالية.

ص ٢٣٨- خطاب الأكاديمية بلندن بتعيينه عضواً من الخارج.

- إيفاد لجان امتحانات الثانوية بمدرسة الطائفة الكاثوليكية في بايا *Baja*.

- جولدتسيهر مفتشاً على امتحانات المدرسة، وتعجب الوزارة (وزارة التعليم) كيف يرسل مفتش يهودي الديانة إلى مدرسة كاثوليكية- وصول خطاب مصلحة الجالية، تتعجب من حصوله على إجازة مدة خمسة أسابيع كاملة ليقوم بزيارته لأمريكا- سفره إلى أمريكا عن طريق بريمن بالباخرة- "القيصر فيلهلم الكبير"، وإلقاء محاضرات عن الفلسفة اليهودية.

ص ٢٣٩- قراءته أثناء الرحلة من بريمن، والتعليق على ما قرأ.

ص ٢٤٠ - كتابة بعض الملحوظات عما رآه بأمریکا بالصحف - كتابة استقالة من وظيفة السكرتارية بالجالية اليهودية - الاحتفال بعيد ميلاد الحاخام بلوخ Bloch لبلوغه التسعين - جلسات مجلس الجالية، والنظر في شأن استقالته.

ص ٢٤١ - قبول الاستقالة من الناحية الشكلية - مطالبه بكتابة دراسة إسلامية على هيئة مقالات - ترشيحه لشغل منصب مستشار التعليم بجلسة الكلية.

ص ٢٤٢ - مقابلة فامبيرى بالشارع، وقد أطلق عليه لقب "الكذاب الأعرج"، الذي سألته "متى سيرضى الله عنك ويتم تعيينك؟" - وصول رسالة من سكرتير المعهد المصري يعلمه فيها بأن المعهد ضمه إلى عضويته بصفته "عضواً شرفياً" - العجز المالي في خزانة أموال الجالية، والتفكير في تعيين من يشغل منصب سكرتير الجالية بعده - ورود خطابات من نيويورك تبلغه رغبة ثلاثة معاهد عليا يهودية بنيويورك في الاستماع إلى محاضراته على وجه السرعة، مع إبلاغه بعرض القاضي سالبرجر باستضافته في فيلادلفيا.

ص ٢٤٣ - انتخابه رئيساً للأكاديمية المجرية.

ص ٢٤٨ - حضور احتفال بإزاحة الستار عن تمثالين تذكاريين لفيراج وأنبوس اللذين كان لهما دور مؤثر في نهاية القرن الثامن عشر في التدريس بالمدارس الثانوية، واللذين علماه وهو صغير، موفداً من الأكاديمية.

العشاء مع طائفة السيسترسيان Cistercien، وهي طائفة كهنوتية لها مدارس منتشرة في أوروبا آنذاك، باسم Cistercien Congregation of St Bernard.

- الشكر لله إذ أصبح حراً بين الأحرار بعد طول معاناة عندما كان سكرتيراً للجالية اليهودية.

ص ٢٤٩ - الانشغال بالتدريس - كراهية بني عقيدته له - خطاب نولده
إليه - الدعاء لله رجاء أن يمنحه السعادة والتوفيق مع زوجته وأبنائه - الاحتفال
بיום ميلاد جوليس الذي بلغ الثمانين من عمره.

حفل تكريم لنولده في هايدلبرج وقضاء يومين مع زملائه
المستشرقين.

ص ٢٥٠ - التعرف على البريشت ديترش أستاذ اللغات القديمة
ومؤرخ الأديان - السفر إلى شتراسبورج ومقابلة بعض المستشرقين وتقديم
الكتاب التذكاري لنولده.

- السفر إلى عدة بلدان بألمانيا - محاضرة عن كتابه "جوهر الطوائف
في الإسلام"، وإعجاب السامعين به.

ص ٢٥١ - تسلم خطاباً من جامعة إيردين لحضور احتفالها باليوبيل -
دعوته لإلقاء محاضرات في ثمانية جامعات بالولايات المتحدة عن تاريخ
الإسلام.

- الاتفاق على تقديم معالجته لكتاب باتسيه *Pseudo - Bachja* (هو
كتاب معاني النفس لجولدتسيهر).

- أما بنيامين بن يوسف بن باقودا *Benchja ben Josef ben Pakuda*
فقد كان ممثلاً مهماً للفلسفة اليهودية. عاش في النصف الثاني من القرن
الحادي عشر، وألف أول نظام يهودي للأخلاق بعنوان *Pflichten des*
Herzen "واجبات القلب".

ص ٢٥٢ - تأبين الكونت جيزاكون - منحه الدكتوراه الفخرية في
الحقوق من جامعة أبردين وتسلمه الشهادة في حفل مهيب. وهي ثاني
دكتوراه فخرية تمنح له، (والأولى كانت في الأدب).

ص ٢٥٣ - حضور بعض المستشرقين إليه، ومنهم بولاك الذي حضر إليه من براغ لكي يأخذ عنه تعاليم الفلسفة اليهودية.

- تسلم ابنه كارل عمله مدرسًا تحت التدريب بالمدرسة الثانوية "ألت أوفن".

- قرار الوزارة بإرساله مع الأسقف كيس إلى أبردين لتمثيل الجامعة.

- قضاء بضعة أيام مع سنزك في هاج *Haag*، وتعرفه على دي بور صاحب "تاريخ الفلسفة في الاسلام".

ص ٢٥٤ - السفر إلى ليند لمقابلة دي خويه، ثم إلى أبردين.

ص ٢٥٥ - الاحتفالات على المستوى الكنسي.

ص ٢٥٦ - اختياره رئيسًا للدور القادمة للجمعية العمومية للأكاديمية، ومدتها ثلاث سنوات.

ص ٢٥٧ - السفر إلى فيينا مبعوثًا من الأكاديمية لحضور العام الثالث لاتحاد الأكاديميات - الانتهاء من إعداد المحاضرات التي يلقيها بأمريكا - تطليخ سمعته بجميع الجيتوهات بالعالم - ظهور كتابه "معانى النفس" بالأسواق.

ص ٢٥٨ - وفاة أوسكار ملك السويد - تكليفه بتأليف كتاب عن تاريخ الأدب العربي - اختياره عضوًا بأكاديمية العلوم الملكية بأمستردام - طلب إعفائه من تدريس المحاضرات في فترة غيابه للسفر إلى أمريكا - اختياره عضوًا بهيئة العلماء بأكاديمية العلوم الملكية بأمستردام.

ص ٢٥٩ - رئاسة الجلسة العمومية للأكاديمية نيابة عن رئيسها بيرزيفتشي - طلب هيئة تدريس المعهد تعيين نائب له في شهور (سبتمبر -

يناير) عند سفره إلى أمريكا، وتحويل مخصصاته المالية في هذه الأشهر الخمسة إلى من ينوب عنه؛ كي يتساوى مع أي حاخام مرغوب فيه، ولو كان غير مؤهل.

ص - ٢٦٠ - ٢٦١ - مرضه وشكواه من عدم مساعدة عائلته له عدا دكتور كوون - الاستعداد لعقد مؤتمر المستشرقين في كوبن هاجن - دراسة عن عناصر الأفلاطونية الجديدة والغنوية في الأحاديث النبوية القديمة.

الأفلاطونية الجديدة: مذهب فلسفي صوفي يقوم على أصول فلسفية وغير دينية، وانفراد بعدم التعرض للأفراد للأخلاق، نشط في القرون الأولى بعد الميلاد. ظهر في الإسكندرية، ويعد أفلوطين مؤسسه الحقيقي في القرن الثالث الميلادي. عارض حجج الماديين السائدة آنذاك، وفرق بين النفس وشتى الأجسام المادية، فوجود العلم المرئي قائم على "الواحد" الذي هو علة العلل والمبدأ الأول. وفوق كل تقليد وكل وجود. ومن هذا الواحد فاض "العقل الإلهي" أو الذكاء الخالص، ومنه فاضت نفس العالم. ومن النفس الكونية فاضت أنفس جزئية وأشياء مادية قابلة للتغيير.

- الغنوصية: نسبة إلى غنوصيس *Gnosis* الإغريقية بمعنى المعرفة. وهي حركة فلسفية دينية. نشأت في العصر الهليني. وأساسها أن الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالإيمان والأعمال الخيرة. ويقول الغنوصيون بالثنائية؛ أي بالتمييز بين الخير والشر المعبرين عنصريين أساسيين للوجود. واندمجوا في تعاليمهم شيئاً من السحر والشعوذة.

- تأثرت بالغنوصية بعض الفرق اليهودية مثل الأسينيين الذين رفضوا فكرة العهد القديم عن الإله العادل، واستبدلوا به الحكمة الإلهية.

- زيارة السيد ماكس هرتز بك (ثم باشا) الرجل الذي أنقذ القاهرة. وهو مجري، درس بالمجر والنمسا، وأمضى حياته العملية بمصر. وتوفي

بسويسرا ودفن باييطاليا. درس بمصر الآثار الإسلامية والقبطية. كانت زيارته الأولى بمصر ١٨٨٠. عينه فرانز باشا (مدير المكتب الفني بوزارة الأوقاف) رسامًا، ثم عُين مهندسًا ومديرًا للمتحف الإسلامي عام ١٨٩٢. وفي عام ١٩٠٠ عين مديرًا لجمعية صيانة التماثيل. حصل على لقب "بك" عام ١٨٩٥، ولقب باشا ١٩١٢. وقد رمم الكثير من المباني الأثرية بالقاهرة وأعاد بناء ما انهار منها.

- جلازر *Glaser* (١٨٥٥-١٩٠٨) اهتم بجنوب الجزيرة العربية، ورحل إليها أربع مرات (١٨٨٢-١٨٩٤)، ووُضِع ما جمعه منها (من صور النقوش) بأكاديمية فيينا، أسفرت رحلاته عن اكتشاف ١٠٣٢ كتابة قديمة منقوشة على الأحجار (باعها للمتحف البريطاني ومتحف فيينا)، واقتنى ٢٥٠ مخطوطًا من مؤلفات الزيديين وضعت بمكتبة فيينا الوطنية.

- هوميل *Hommel* (١٨٥٤-١٩٣٦) من تلاميذ فلايشر. تعلم اللغات السامية وعلمها في جامعة ميونخ. وأهدى إلى فلايشر كتابه لتكريمه بعنوان الدراسات الشرقية في جزأين (١٩١٧-١٩١٨).

- حمورابي *Hammurabi*: حكم بابل بين عامي (١٧٢٨-١٦٨٦) ق. م. سادس ملوك بابل، وأول ملوك الإمبراطورية البابلية. كان قائدًا عظيمًا، وكان له قدرة إدارية وتنظيمية. وله مسلة مشهورة منحوتة من حجر الديوريت الأسود بمتحف اللوفر ببائيس، وألواح لقانونه (قانون حمورابي).

- الويرموزيل (١٨٦٨-١٩٤٤) *Musil* مجري، تخرج في جامعة براغ، وأشرف على الدراسات العربية بها، ودرس اللغات السامية. تكررت رحلاته إلى الشرق العربي (١٨٩٦-١٩٠٢)، (١٩٠٨-١٩٠٩)، (١٩١٢)، (١٩١٤-١٩١٥). تعلم في معهد الآداب الشرقية ببيروت، وعلم في مدرسة الكتاب المقدس للأباء الدومينيكيين بالقس.

- لويس شيخو (١٨٥٩ - ١٩٢٧) *Cheikho*، راهب يسوعي كلداني، وأديب ومؤلف، كان مدرساً في مدرسة الآباء اليسوعيين. تنقل في بلدان أوروبا والمشرق. أكثر من كتابة المقالات منذ كان في سن الخامسة والعشرين. من تصانيفه "المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، ومعرض الخطوط العربية، ومجلة الأدب العربي، وعلم الأدب".

- روزين (١٨٥٦ - ١٩٣٥) *Rosen, Fr*: أثنى اللغة العربية كتابة وخطابة. عين أستاذاً للغة الهندستانية في معهد اللغات الشرقية ببرلين، ثم سفيراً إلى طهران، وقنصلاً في بغداد (١٨٩٨)، وفي القدس (١٨٩٩)، وسفيراً في طنجة حتى عام ١٩١٠، وفي بوخارست (١٩١٠ - ١٩١٢)، ولشبونة (١٩١٢ - ١٩١٦)، ولاهاي (١٩١٦ - ١٩٢٠) ومريد. واعتزل السياسة في عام ١٩٢١؛ لينصرف إلى الفنون والعلوم.

ومن آثاره: أنتكلم الفارسية (برلين ١٨١٩)، وقصص فارس مع معجم (١٩١٥)، والمفاهيم من خلال الكلمة والصورة (١٩٢٥)، وتاريخ الأدب الأوردي، في كتاب معرفة الأدب ١٩٥٢.

- تشالز لايل (١٨٥٤ - ١٩٢٠) *Lyall, Charles*، تخرج في كمبردج، وعمل بالهند، ودرس العربية وأتقنها، وعنى بالشعر قبل الإسلام. وشرح المعلقات السبع للتبريزي (١٨٨١ - ١٨٨٤)، وحقق دواوين عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل بشرح الأنباري متناً وترجمة (١٩١٣)، والمفضليات للمفضل الضبي بشرح الأنباري متناً وترجمة وفهارس (١٩٠٨ - ١٩٣٤).

- الاتفاق مع دار النشر (فينتر) على إصدار محاضراته الأمريكية.

ص ٢٦٢ - زيارة سنوك *Snouk* له في مدينة أوفينكل - اختياره عضواً شرفياً بالجمعية المجرية الفنلندية - حضور اجتماع لجنة المبعوثين الخاص باتحاد الأكاديميات - لقاء فيلهاوزن بمدينة جوتجن.

ص ٢٦٣- قراءة ما نشر من أجزاء الطبقات الكبير لابن سعد الذي حققه فليجل وتلاميذه، وكتاب أمالي علي القالي- رئاسة بداية جلسات الأكاديمية لغياب الرئيس- وفاة فوللرز ودي خويه وفرينكل وبلوخ- طلب جامعة أوبسالا منه إلقاء ثلاث محاضرات عن الإسلام.

ص ٢٦٤- طلب يهود استوكهولم منه إلقاء محاضرة ذات مضمون يهودي- امتحان شبيجل للتعيين حاخام، وتبين جهله بأوليات الدراسات الكهنوتية، ومنحه الشهادة رغم معارضته في قرار لجنة التحكيم- نشر محاضراته عن الإسلام بدار فنتر.

ص ٢٦٦- اضطراره للتوقيع على شهادة شبيجل وإقراره بكتابة "بحضوري والامضاء جولدتسيهر".

ص ٢٦٧- وصول التهاني إليه على صدور محاضراته عن الإسلام، وعدم وصول تهنئة من الحاخامات اليهود- إشادته بتهنئة فيلهاوزن وآخرين له- عيد ميلاده وفقاً للتقويم اليهودي يوم ١٩ من يوليو- وقف أعمال جايجر على المخطوطات اليهودية- شهادة دبلوم عضوية الجمعية الملكية للعلوم بجوتجن- ظهور مجلد المحاضرات- عضوية مراسلة بأكاديمية بروسيا الملكية للعلوم ببرلين.

ص ٢٦٨- تعيينه مستشاراً بالبلاط الملكي المجري اعترافاً بخدماته الجليلة في مجال التعليم العالي- تعيينه عضواً عاملاً بالأكاديمية الملكية للعلوم بالدانمارك.

ص ٢٦٩- تدريس العلوم الإسلامية للسيد جاردنر من القاهرة (علم الكلام والفلسفة والفقه والتصوف) بمنزله- وصول دعوة من القاهرة (في أغسطس ١٩١١) تناشده بعقد حلقة دراسية في الفلسفة بالجامعة الجديدة في

القاهرة- تسلمه خطابًا من الأمير أحمد فؤاد (ملك مصر بعد ذلك) رئيس الجامعة بتكليفه بذلك، بتاريخ ١٦ من أغسطس.

ص ٢٧٠- وصول الأمير أحمد فؤاد إلى بودابست وزيارته للجامعة، وتكليف رئيس الجامعة لجولدتسيهر أن يكون في استقباله- الاحتفال بزيارة الأمير بالجامعة بحضور فورتي بك أمين مكتبة جامعة القاهرة، والقنصل بوندي بك القنصل بالقاهرة، والتصريح بأن الزيارة لم تكن إلا تقديرًا لشخص جولدتسيهر- دعوته لغداء مع الأمير بالفندق الذي يقيم به، وقول الأمير له: "لم آت إلى هنا إلا لإقناعك بقبول هذه الدعوة... فأنت أكبر مستعرب على مستوى العالم.. والواجب يفرض عليك أن تتغل ثقافة وعلم الغرب إلى الشرق".

- رجاء الأمير للوزير الكونت إيرنتال (ولملك المجر أيضًا) بألا يتوقف كل منهما عن الإلحاح على جولدتسيهر لتحقيق هذا الغرض- تسلم جولدتسيهر في ١٧ من أكتوبر من رئيس الوزراء (كونت خوين هيلدفاري) طالبًا منه أن يلبي طلب الأمير أحمد فؤاد.

ص ٢٧١- في ٢٨ من أكتوبر أخبره وزير الدولة السيد بالوغ أن أمامه خطابًا رسميًا من وزير الخارجية (السيد إيرنتال) بالرجاء لوزير التعليم تحديد موعد لتلبية اهتمام المملكة لنداء السفر إلى مصر- الاحتفالات به والتهاني بمرور أربعين عامًا على عمله مدرسًا بالجامعة وزيارة سنوك له.

في ٢٠ من مايو ١٩٠١ صُنفت الجمعية العمومية للمكتتبيين لتأسيس الجامعة المصرية، على قانونها. وتم اختيار مجلس إدارة الجامعة في ٢٤ من مايو من خمسة عشر عضوًا، وعقد أول اجتماع للمجلس مكونًا من الأمير أحمد فؤاد باشا، وأربعة عشر عضوًا من بينهم مسيو ماسبيرو عالم الآثار

المصرية (وكان من المستشرقين الذين استعان بهم الأمير أحمد فؤاد باشا في شئون الجامعة المصرية).

وفي الأيام الأولى للجامعة زار الأمير أحمد فؤاد إيطاليا طالباً المساعدة والعون، فوعدت إيطاليا بإمداده بأساتذة في كل المجالات، والمساعدة أيضاً في دفع مرتباتهم.

وكان الأمير أحمد فؤاد يرى الاستعانة بأساتذة من المستشرقين الأوروبيين لتدريس العلوم التي تعهد إليهم باللغة العربية في قسم الآداب، ومن ثم تابع رحلاته إلى البلاد الأوروبية المختلفة ملتقياً ملوكها ورؤساء حكوماتها ملتصاً منهم المعاونة، والمساعدة في إرسال أساتذته في مختلف العلوم، ومستشرقين للتدريس بالجامعة، وأن تستمر حكوماتهم في دفع مرتباتهم الأصلية، في المدة التي يكونون فيها في خدمة الجامعة، وبهذه الطريقة لا يكلفون الجامعة إلا مرتبات يسيرة جداً، فتستطيع الجامعة بهذا تنظيم قسم الآداب بما لا يتجاوز مواردها.

وقد أورد أحمد بدير بعض صور للمكاتبات التي أرسلها بعض المستشرقين ردّاً على دعوة الأمير أحمد فؤاد لهم للتدريس بالجامعة المصرية، ومنها: رد الأستاذ جولتسيهر المستشرق المجري في ٢٧/١٠/١٩١١ من بودابست، مع رد كون هروفاري من بودابست للاعتذار عن عدم قبول عرض الأمير^(١).

٢٧٢- عام ١٩١٢ واختياره عضواً شرفياً بجمعية المستشرقين الألمان DMG- أرسل إليه هورتن كتاباً موسوعياً "الآفاق الفلسفية" بإهداء "مع

(١) أحمد بدير: الأجانب في الجامعة المصرية، ص٤٧، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٨.

خالص الاحترام والامتنان"- زيارة يوهانس بيدرس له؛ لينهل من علمه- الاستعداد للسفر إلى أثينا لحضور مؤتمر المستشرقين، وتمثيل جامعة بودابست في احتفال جامعة أثينا بيوبيلسل- تلقيه ترجمة لمحاضراته، نشرتها مكتبة بروكهاوس- الاحتفال بعيد ميلاد أديجن راكوزي السبعين- اعتراض الحاخام فريدمان على تدريس جولدتسيهر في حلقة الدرس الخاصة بالحاخامات؛ لأنه ألف كتاب "الأسطورة عند العبرانيين" وهو فيما يرى أن جولدتسيهر من أعداء الديانة- إرسال الشكوى إلى البارون جوزيف هانفيًا في للتحكيم.

٢٧٣- علًا صيت جولدتسيهر بين المثقفين، وأقرّ الكثيرون بأنه معلم لجميع علماء الإسلاميات في عصره- تسجيل بيكر *Becker* في أرشيف علم الأديان أعمال جولدتسيهر- الرحلة إلى أثينا لحضور الاحتفال بيوبيل الجامعة بأثينا، ومؤتمر المستشرقين- استقبال ملك الإغريق له بعد إعجابه بالخطبة التي ألقاها جولدتسيهر بالفرنسية- التوقف في كورفو- رؤية الأكروبول ومشاهدة آثار العالم القديم للحضارة الهيلينية بصحبة سنوك، وبتسولد، وبيكر، وماسنيو، ولامينس، وشور، وزكي باشا، وبوده- رحلة بحرية من ميناء بيريه في اتجاه الدردنيل وزيارة اسطنبول، والقرن الذهبي- دراسات تفسير القرآن، وعلى الأخص كتابا الكشف، وابن عربي اللذان درسهما بيترسن الدنماركي- رحلة إلى هولندا.

٢٧٤- عبر بون *Bonn*، وزيارة عائلة سنوك- المشاركة في المؤتمر الرابع لتاريخ الأديان (٩- ١٥ سبتمبر) بهولندا، وضيافة سنوك له؛ حيث احتفلوا بمرور ثلاثين عامًا على علاقة الصداقة بينهم- القيام برحلات إلى مدينة لاهاي وروتردام- السفر إلى بودابست- التوقف في تسوجليجت لصلاة

عيد الغفران بإمامة جولدتسيهر- استلام خطاب مطول من الأمير أحمد فؤاد
يجدد فيه دعوته لجولدتسيهر للحضور إلى القاهرة (١٧ سبتمبر ١٩٠٢).

٢٧٥ - عام ١٩١٣ ورحلة بمناسبة عيد القيامة إلى دالاماتيا- قضاء
أسبوع في راجوزا حيث كتب فصلاً عن تفسير القرآن- عبد البهاء وزيارته
لجولدتسيهر في منزله مرتين.

٢٧٦- تسلمه خطاباً من المستشرق الإسباني بلاسيوس طلباً للمساعدة
في تكوين هيئة تدريس لقسم الحاخامات بإسبانيا، وأن يقوم جولدتسيهر
بتدريس الفرع الجديد بإلقاء محاضرات عن الألب اليهودي- الاستعداد
لتدريس عدد من المحاضرات عن "تعدد المذاهب في تفسير القرآن" بأوبسالة.

٢٧٧- إرسال خطاب إلى مدريد بتزكية يهودا للقيام بتدريس
المحاضرات المطلوبة بقسم الحاخامات- الاحتفال بخطبة ماريكا فرويندبرج
لابنه كارل- خطابه إلى ماستيو يصف فيه خطيبة ابنه- مديحه لماريسكا
ومساعدتها له في أعماله.

٢٧٨- كتابة خطاب باللغة العربية؛ بناء على طلب الأرشيديون
جوزيف؛ لإرساله إلى سيدي إبراهيم المراتب بواحة كناسة بالمغرب- تلقى
رسالة من عبد البهاء بعث بها من بور سعيد- إتمام مراسم الزواج المدني
لابنه وماريسكا وقيامهما برحلة الزفاف إلى تورنجن- الكتابة إلى العروسين
رسائل يومية وتسلم مثلها منهما.

٢٧٩- كتابة خطاب إلى عباس أفندي ردًا على رسالته- زيارة دكتور
شيختر من نيويورك له- إقامة حفل تذكاري بمدينة توفيسجيهاز بالمعبد
اليهودي الصغير بسيمندر، مع الزوجين السعيدين- الاحتفال بعيد ميلاد

الشاعر جوته بقراءة من الجزء الثاني لروايته "فاوست" - الرحلة إلى السويد
لإلقاء محاضراته التي طوّل بها في المدن السويدية المختلفة.

٢٨٠- بداية محاضرات جامعة بودابست- طلب عميد كلية الحقوق
منه تدريس مادة الفقه الإسلامي بالفصل الدراسي الثاني من العام، وقيامه
بالتدريس- الاحتفال بمرور أربعة أشهر على الخطوبة بالجلوس حول مائدة
عائلة فرويدنبرج- زيارة منصور فهمي له مبلغاً إياه تحيات الأمير أحمد
فؤاد، وتحيات سنوك الذي كان لديه (بالقاهرة) وقضى عدة شهور، وكان معه
الطبيب العراقي بهجت مسجة- حضور الاثنين محاضراته عن البخاري-
الاقتناع بجدية التكليف بالتدريس بكلية الحقوق وطلب العميد منه رسمياً نص
الإعلان عن جدول محاضراته للفصل الثاني- طلب الحبر الأكبر هيفيسي
منه إلقاء محاضرة في الرابطة القومية الثقافية الإسرائيلية بالمجر بشكل دائم-
اكتشاف الجالية اليهودية لقدره واختياره للانضمام بهيئة ممثليها- إعلان عن
محاضراته بصحيفة عن محاضراته بالكلية الفرنسية بباريس ووصفه بأنه
متميز نادر الوجود- إلقاء المحاضرات بكلية الحقوق- توقف محمد كرد علي
ببودابست وطلبه أن يتعرف على جولدتسيهر ملقباً إياه "شيخ الملل والنحل"،
وزيارته لمنزل جولدتسيهر حيث استرجعا ذكرياته عن الدمشقيين من جيل
جولدتسيهر في عام ١٨٧٣.

ص ٢٨٢- تحدث جولدتسيهر عن صداقته للشيخ طاهر أستاذ كرد
علي، وعن صديقه مصطفى السباعي الذي يبلغ من العمر مائة عام، وهو في
صحة وهمة- قضاء الإجازة على شاطئ بحيرة هولندية- السفر إلى ليبزج
حيث يقام معرض "بوجرا"- أمسية عشاء جماعي بحضور الزملاء
المستشرقين على شرفه، ومنهم فون مولينن، وكاله، وبروكلمان الذين جاءوا

من مدينة هاله- انشغاله بكتاب المستظهوري للغزالي- اندلاع الحرب العالمية الأولى- تقطع كل التعاملات البريدية مع أرض المجر.

ص ٢٨٣- ٢٨٤- صعوبات السفر- السفر بالقطار والعودة إلى بودابست ثمانية أيام- رؤية الكثير من القطارات العسكرية في ألمانيا والنمسا والمجر، تحمل المجموعات القتالية.

ص ٢٨٥- الانتهاء من بحث الباطنية- حضور شيخين من المغرب كانا في برلين لأمر سياسية- في صحبة دكتور شابينجر لزيارته وهما واثقان في الله بانتصار كل ما يتعلق بالإسلام- حضور تلاميذه وعلى رأسهم المعلم مالر إلى أوفينكل؛ ليحربوا له في حماس عن تهنئتهم بمناسبة عيد ميلاده الخامس والستين- انتهاءه من بحثه عن الباطنية، ومن مقالتين؛ الأولى عن سفور الرأس والأخرى عن موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة.

ص ٢٨٦- تدفق كم هائل من الكتب والأعمال الإنسانية في دور النشر بألمانيا- المبعوث التركي في برلين محمود مختار يمجّد جولدتسيهر ويشيد به في كتابه، وآخرون يقتبسون نصوصًا من كتبه- إلقاء محاضرة في ذكرى فامبيري.

ص ٢٨٧- ترأس جلسة الأكاديمية وإلقاء الأستاذ شتومة محاضرة بالمجرية- في جلسة لجنة التاريخ والفلسفة ألقى بحثًا بعنوان "موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة- فتوى ابن الصلاح الشهرزوردي المعادي لتدريس علم المنطق- زيارة برجشتراسر له في طريقه إلى القسطنطينية- وفاة الأستاذ شاده.

ص ٢٨٨- إرسال نسخة خطية من "فضائح الباطنية" للغزالي إلى مؤسسة دي خويه.

ص ٢٨٩- التعرف على سليمان الباروني الذي يرتبط اسمه بحركة السنوسي- تصويب ميتفوخ وسنوك لطبعة مخطوطته "قضايح الباطنية" (وهو التصحيح الأول)- محاضراته الأولى بكلية الحقوق.

ص ٢٩٠- مطالبة كثير من الصحف له بمقالات ذات لون سياسي- سوء معاملة زملائه اليهود بالجامعة له.

ص ٢٩١- تصويبات كتاب "مناظرة الغزالي" ونشره- التهاني بصدور بحثي "مواقف الأصول الإسلامية من العلوم القديمة"، و"سفور الرأس"- الاهتمام بقراءة إحياء علوم الدين، والكشاف- طلب دار الثقافة بفيينا إلقاء محاضرة في الخريف أو الشتاء وإرسالها بعنوان: "الفقه الإسلامي ومكانته في الوقت الراهن"- نشر الترجمة الإنجليزية لمحاضراته.

ص ٢٩٢- الاهتمام بالشرق في أوروبا- تأسيس مركز اقتصادي للشرق، ثم مركز ثقافي، اختير جولدتسيهر؛ ليكون رئيساً لقسم علم اللغة به، استقال منه بعد جلستين- وضع حجر أساس لمعهد علمي بالقسطنطينية تابع لوزارة المجر- قراءة الكشاف، وكتب لابن المنير.

ص ٢٩٣- تلقى عددًا من مجلة "شرق وغرب" التي تصدر في برلين (متخصصة في الشؤون اليهودية) مع رجاء للكتابة بها- كذلك رسالة من مجلة إسلام بالطلب نفسه- اختياره عضوًا من الخارج بالأكاديمية التاريخية بمدريد، وبذلك أصبح عضوًا في أكاديميات ثمان فضلاً عن دكتوراه فخرية مرتين، وتسع شهادات دبلوم شرفي.

ص ٢٩٤- إلقاء محاضرة بدار الثقافة الشعبية بفيينا وزيارة المكتبة الملكية- لقاءه مع إيرلش أستاذ القانون.

ص ٢٩٥- حصوله على شهادة دبلوم أكاديمية العلوم ببافاريا (وهو الدبلوم الفخري رقم ٢٠)- انعقاد لجنة مجلس إدارة المعهد المجري العلمي

المشكل بشأن القسطنطينية- الانشغال بدراسة وعمل اقتباسات من كتاب الباطنيين للغزالي- رسالة هرتز باشا إليه (المقيم بمصر)، ومعه صورة فوتوغرافية لمخطوطة فريدة ترجع إلى جنوب الجزيرة العربية لا يوجد عليها علامات تنقيط- رفع مرتب جولدتسيهر بناء على أمر الملك- زيارة وزير المعارف لشكره.

ص ٢٩٦- لقاءه مع الوزير الذي رحب به، وبمكتبه التقى بالبارون إيتفوس- خطابات التهئة ومنها تهئة رقيقة من وزير العدل الذي كان سكرتير الدولة بوزارة المعارف عندما سعى الأمير فؤاد لدى الأرشيدوق فرانس فرديناند، والوزير إيرنال والوزير خوين هيدوفاري لتوفير الإمكانيات لجولدتسيهر للسفر إلى القاهرة.

ص ٣٠٢- ممارسة أعمال عميد الكلية بدلاً من سلفه بحضور حفل تأبين أستاذ علم الحفريات النباتية- اعتراض القس الكاثوليكي على سيره بالجنازة؛ لأنه يهودي- تسلم كل ما يتعلق بالمذكرات ومصروفات العبادة ودفاتر التسجيلات- بقاءه بالكلية لتصريف أمور العمادة مدة خمس ساعات- عدم احتماله ثثرة من يزورونه باعتبار أنه وقت ضائع- حضور صلاة الجنازة على الملكة إليزابيث- زيارة ميركو أستاذ اللغات السلافية بجامعة لبيزج، الذي أحاطه بإنشاء معهد للدراسات الإسلامية بليبيزج.

ص ٣٠٣- الأعياد اليهودية وعلاقته بها والمشاركة في احتفالات الكنيسة (التي تنسم بالغنوصية والأفلاطونية الجديدة، ولا تؤمن بالتوحيد)، ووجوب مشاركة الغمءاء بملابسهم الرسمية- قراءة الرسائل التي نشرها فينيكه كارولينا ودوروتيا. وهي تعد رواية تدور أحداثها في دائرة مجموعة من اليهوديات بالتعميد، وهن مثقفات ثقافة عالية.

ص ٣٠٤- المشاركة لأول مرة في امتحان إجازة الدكتوراه- تمثيل مجلس الجامعة في احتفال بدء العام الدراسي للمعهد العالي للهندسة والصباغة- السفر الإجباري إلى المدينة لقضاء أمور تتعلق بالعمادة- الاحتفال بعيد الأضحى لدى عائلة عبد اللطيف- تمثيل مجلس الجامعة في تومبا بالاحتفال بجمعية "بينوخي"- ليلة رأس السنة لعام ١٩١٨- الاشراف على دفن دكتور فانجل.

ص ٣٠٥-٣٠٦- عبودية العمل عميدًا- تدوين بعض الملحوظات عن كتاباته- كتابه "العشق الإلهي في اللاهوتية الإسلامية"- الاحتفال بتحرير اليهود- ذبوع شهرته- المطالبة بإخلاء شقته- حرمانه من رحلة ترفيهية بسبب واجبات العمادة والدراسات الصيفية، وإجهاده، وعصبية، نتيجة ذلك- غلاء إيجار المساكن- كتابة عمل عن "العشق الإلهي في اللاهوتية الإسلامية"- ترحيب اليهود بعد صدور ملحق بجريدة مسائية يوصف فيها بأنه عالم مجري، وأنه سيكرم في نصفي الكرة الأرضية.

ص ٣٠٧- اللجوء إلى سنوك في ذلك- كتاب هيلر عن شخصية عنتره- زيادة شعوره بالمرض ومرض زوجته، واحتياجهما للسفر للترفيه والنقاهة، ولكن كان عليه إنفاق أوقات طويلة في لجان عديدة بالجامعة- إرسال نولدكه خطابًا إليه خفف عنه شعوره بالاكتئاب.

ص ٣٠٨- إجراء انتخابات العمادة واختيار مشوماد انجيل الذي قاد حملة العداء للسامية ضد جولدتسيهر في العام الماضي- إلقاء جولدتسيهر خطبة توديع وترحيب به- زيارة وزير التعليم ورجاؤه أن يترك أستاذ ين بلغاش المعاش، للتدريس بالجامعة ونجاحه في ذلك- طلب الوزير منه إرسال خطابات مسجلة للطلاب المصرح لهم بالتغيب عن الدراسة لأداء الخدمة

العسكرية- انتهاء العام الدراسي بمدرسة السسترسيان الثانوية في الاحتفال بهذه المناسبة- هدوء العمل بالعمادة- زيارة الأمير السوري "شكين أرسلان" للجامعة القادم لزيارة جولدتسيهر صاحب الملل والنحل.

ص ٣٠٩- الحديث عن محمود باشا أرسلان، والحديث عن كتابه عن دلائل الإعجاز القرآني- عيد ميلاد جولدتسيهر وإهداء زوج ابنه تهنئة له على ورق البردي- القيام بأعمال العمادة التي أصبحت كثيرة وثقيلة.

ص ٣١٠- زيارات إمانويل ليف وحديثه معه عن زهور ألوان الصبغة السامية- إلقاء محاضرة عن "أثر الإسلام على العلاقات الاقتصادية لأتباعه"- عقد آخر جلسة لمجلس الجامعة وتسليم العمادة لخلفه- الاحتفال بانتهاء العام الدراسي الجامعي- بدء فترة إنبائه للعميد وتعيينه عضواً بمجلس الجامعة.

ص ٣١١- بدء الدراسة بالجامعة في ٨ من أكتوبر- وجود كثير من المستمعين، وثلاثة كهنة كاثوليك، ورجل من الموصل، ومسلمين من البسنة، وفتاة- اللامبالاة عند الطلاب في محاضراته عن علوم الدين- تلاوة الدراسة الشرقية الشاملة التي أعدها في فينوهازا أمام اللجان المرسل، والاستحسان الذي قوبل به- إعادة تلاوتها في جلسة مجلس الكلية- مرض زوج ابنه ووفاتها.

ص ٣١٢- عبارات يندب بها زوج ابنه- إرسال مخطوطة كتابه عن "مذاهب التفسير" إلى هولندا- حضور لجنة أمريكية من جامعة هارفارد لتعرف الأحوال في بودابست.

ص ٣١٣- مرض جولدتسيهر، وقضاء فترة نقاهة- عداء السامية وانتقاله إلى الجامعة والأكاديمية، والرد بارتجال محاضرة- تقديم استقالته من

وظيفة نائب العميد - قضاء فترة نقاهة مع زوجه بجزيرة مارجريت، ومعها
حفيد له بعد إجراء عملية جراحية له - إرسال مخطوطة كتابه عن مذاهب
التفسير، ومساعدة سنوك وفيشنك في إرسال البروفات. وظهور الكتاب في
عام ١٩٢٠.

الملاحق

أولاً: الأعلام:

- ١ - أعلام المشرقيين:
- فهرس أعلام المشرقيين:
- إبراهيم السقا: ص ٧٠.
- ابن الأثير الجزري: ص ٢٠٨.
- أحمد زكي باشا: ص ٢٧٣.
- أحمد صلاح الدين: ص ٢١٩ ، ٢٨٩.
- أحمد عزت باشا: ص ٥٧ ، ١٨٩.
- أحمد فؤاد باشا: ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٩٦.
- أرتين باشا: ص ١٩٨ ، ١٩٩.
- الأصفهاني (صاحب الأغاني): ص ٦٥ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨٦ ، ٢٦٧ ،
٢٧٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩.
- الأصمعي: ص ١٩٦.
- امرؤ القيس: ص ٥٦.
- أمين سامي باشا: ص ١٩٨ ، ١٩٩.
- البخاري: ص ٥٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٨٠.
- بطرس البستاني: ص ٥٦ ، ٥٨ ، ١٠٩.

- البیرونی (أبو الريحان): ص ۵۰، ۲۸۹.
- البیضاوی: ص ۴۱، ۶۹.
- البیهقی (إبراهیم بن محمد): ص ۲۳۲.
- البیهقی (أبو بکر): ص ۲۳۱.
- الثعالبی: ص ۴۶.
- جمال الدین الأفغانی: ص ۶۶، ۶۸، ۷۱، ۱۰۸.
- ابن حزم: ص ۴۷، ۴۹، ۸۹، ۹۱، ۹۲، ۱۹۳.
- الحطینة: ص ۱۲۳، ۱۲۵، ۱۲۷، ۱۳۱، ۱۴۵، ۱۴۷.
- حمزة الأصفهانی: ص ۱۹۳.
- حبوج: ص ۳۸.
- الخطیب البغدادی: ص ۱۵۰.
- خلیل الخوری: ص ۵۶، ۵۸، ۶۱، ۶۲.
- الرازی (فخر الدین): ص ۶۷، ۹۲، ۹۵، ۲۷۲.
- الزمخشري (أبو القاسم): ص ۲۹۱، ۲۹۲، ۲۷۳.
- السجستانی، أبو حاتم: ص ۱۶۶، ۲۰۷، ۲۷۱.
- ابن سعد: ص ۲۶۳، ۳۱۰.
- السعدی الشیرازی: ص ۲۶، ۳۲.
- ابن السکیت: ص ۴۹.

- سيبويه: ص ٦٥، ٦٨.
- سيف بن ذي يزن: ص ٩٢.
- السيوطي: ص ٤٨، ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٦٠.
- الشافعي: ص ٧٢، ١٩٣.
- الشعراني، الميزان: ص ٦٠، ٢١٠.
- الشهرزوري، ابن الصلاح: ص ٢٨٧.
- شيخو (لويس): ص ٢٦٠.
- صالح بن عبد القدوس: ص ٣٩، ١٣٥، ١٥٠.
- صالح مجدي بك: ص ٦٧.
- طاهر الجزائري: ص ٥٩، ١١٦، ١٢٣، ٢٨٢.
- الطبري (ابن جرير): ص ١١، ١٩٣، ١٩٦.
- عبد اللطيف البغدادي: ص ٣٤.
- ابن العربي (أبو بكر): ص ٢٧٣.
- ابن عساكر: ص ١٩٣، ١٩٦.
- علي سليمان الباروني: ص ٢٨٩.
- أبو علي القالي: ص ٢٦٣.
- علي باشا مبارك: ص ٦٧، ١٢٢، ١٨٠، ١٩٩.
- عنتر بن شداد: ص ٦٧، ٩٢، ١٢٣، ٣٠٧.

- الغزالي: ص ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٧.
- ابن فارس: ص ٥٨، ١٢٤.
- فتح الله حمزة: ص ١١٨.
- القسطلاني: ص ٦٧، ٩٢، ٩٤، ٢٠٦.
- كعب بن زهير: ص ١٢٦، ١٢٧، ١٥٧.
- محمد الأشموني: ص ٧٠، ٧٦.
- محمد العباسي المهدي: ص ٦٩، ٧٠.
- محمد علي كردي: ص ٢٨٢.
- محمد مختار باشا المصري: ص ٢٨٦.
- مسلم بن الحجاج: ص ٩٢، ٢٠٦.
- مصطفى السباعي: ص ٥٩، ٦٠، ١١٣، ١١٦.
- مصطفى رياض باشا: ص ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٧، ١٨٠.
- المفضلّي الضبي: ص ١٥٠، ٢٦١.
- منصور فهمي باشا: ص ٢٨، ٢٨١.
- ابن المنير السكندري: ص ٢٩٢.
- الفيداني: ص ٥٨.
- أبو نواس: ص ١٩١.
- النووي (محيي الدين): ص ٩٥.

-الهمداني: ص ٤٦ ، ٤٩ .

-ياقوت الرومي الحموي: ص ٢١٥ .

-اليقوبي: ص ١١٠ .

التعريف بأعلام المشرقيين:

الشيخ إبراهيم السقا (١٧٩٨ - ١٨٨٠):

درس بالأزهر الشريف، وتولّى التدريس به، كما تولّى خطبة الأزهر
مدة تربو على عشرين سنة.

من مؤلفاته:

- حاشية في مجلدين على شرح الشيخ إبراهيم البيجرمي لعقيدة الشيخ
محمد السباعي.

- شرح على منظومة السيد محمد بليحة في التوحيد.

- رسالة في الطب للنووي مستخرجة من المواهب اللدنية.

- رسالة في مناسك الحج على المذاهب الأربعة.

- حاشية على فضائل للأجهوري.

ابن الأثير الجزري، ضياء الدين (٥٥٨ - ٦٣٧هـ / ١١٦٢ -

١٢٣٩م):

أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد
الشيباني، استكثر من حفظ الشعر؛ فحفظ شعر أبي تمام وشعر البحتري،

وشعر أبي الطيب المتنبّي. ووزر للملك الأفضل نور الدين بن السلطان صلاح الدين، ثم انتقل معه إلى صرخد وسمياط، وانتقل إلى خدمة الملك الظاهر غازي صاحب حلب. وعاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته. وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين بن نور الدين أرسلان شاه. توفي ببغداد.

من كتبه:

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وهو لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه لاستنباط أدلة الأحكام. بولاق، ١٢٨٢.
- المرصع في الأبيات، الأستانة ١٣٠٤، وطبع في فرنسا/ ديمار، ١٨٩٦.
- الوشي المرقوم في حل المنظوم، بيروت ١٢٩٨.

أحمد زكي باشا (١٨٦٧ - ١٩٣٤):

أحد أعيان النهضة الأدبية في مصر، ومن رواد إحياء التراث العربي الإسلامي. اشتهر في عصره بلقب شيخ العروبة. وشارك في مؤتمرات المستشرقين، وعمل بالجامعة المصرية.

يعد أول من استخدم مصطلح تحقيق على أغلفة الكتب العربية. وأدخل علامات الترقيم في العربية، وعمل على اختصار عدد حروف الطباعة العربية.

أنشأ مكتبة تعد من كبريات المكتبات في الشرق الإسلامي.

تأثر بحركات رفاة الطهطاوي في الترجمة ونقل الآثار الأدبية والفكرية عن الفرنسية، وبنهضة جمال الدين الأفغاني في تحرير الفكر

والإيمان بالشرق، وبالنهضة التي تصدر لها محمد عبده في تحرير الأسلوب العربي من التقليد، وتوجيه الكتابة إلى المضمون والهدف دون الاعتماد على السجع والزخارف والمقدمات. وحضر المؤتمر التاسع في لندن ١٨٩٢ بترشيح من الخديوي إسماعيل، وكان يصاحبه الشيخ محمد راشد.

من أعماله:

- أسرار الترجمة.
- قاموس الجغرافيا القديمة.
- موسوعات العلوم العربية.
- ذيل الأغاني.
- نتائج الإلهام في تقويم العرب قبل الإسلام.
- تاريخ المشرق.
- الدنيا في باريس.
- عجائب الأسفار في أعماق البحار.
- واهتم في حياته العلمية بميادين ثلاثة:
- إحياء التراث العربي وتحقيق مخطوطات التراث ونشرها.
- العناية بالآثار العربية، والبحث عن القبور والمواقع المندثرة، والدعوة إلى تكريم أصحابها.
- تحقيق أسماء الأعلام والبلدان والوقائع والأحداث في مجال اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا.

أحمد عزت باشا (١٢٤٤ - ١٣١٠ هـ / ١٨٢٨ - ١٨٩٢ م):

ولد بمدينة الموصل في العراق ونشأ بها ودرس العلوم الدينية والعربية. وسافر إلى بغداد، وأقام عند عمه الشاعر عبد الباقي باشا العمري، وكان يشغل منصب كتخدا بغداد (أي منصب الوالي بالوكالة)، وقرأ عليه ألفية ابن مالك. ودرس علم الأدب وفنون الشعر عليه أيضاً.

رحل إلى الأستانة، وولى بعض الأعمال. وعين متصرفاً في شروز، ثم في الأحساء، ثم في تعز باليمن. وعاد بعدها ليقم بالأستانة منشغلاً بالعلم والأدب ونظم الشعر والتأليف.

من مؤلفاته:

- ديوان شعر ما زال مخطوطاً في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية.

- العقود الجوهريّة، وهو كتاب فيه تراجم شعراء عصره.

- رحلة إلى نجد.

- رسالة في التصوير الشمسي.

- أحكام الأراضي (ترجمه عن التركية).

أحمد فؤاد ملك مصر (١٨٦٨ - ١٩٣٦):

ابن إسماعيل باشا خديوي مصر. ألحقه والده بالمدرسة الخاصة بقصر عابدين، وبعد عزل والده عام ١٨٦٩ صحبه معه إلى المنفى في إيطاليا، والتحق بالمدرسة الإعدادية الملكية في تورينو، ثم انتقل إلى تورين الحربية، ثم انتقل إلى الأستانة مع والده وعين ياوراً فخرياً للسلطان عبد الحميد الثاني،

ثم ملحقاً حربياً لسفارة الدولة العليا في فيينا. وعاد إلى مصر ١٨٩٠، وكان كبير الياروان في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، وتدرج في الوظيفة حتى أصبح ياوراً للخديوي ثلاث سنوات متتالية، وعنى بالشئون الثقافية؛ فرأس اللجنة التي قامت بتأسيس وتنظيم الجامعة المصرية الأهلية.

وعند وفاة السلطان حسين كامل اعتلى عرش مصر، وفي عهده قامت ثورة ١٩١٩، واضطر الإنجليز إلى رفع حمايتهم عن مصر والاعتراف بها مملكة مستقلة ذات سيادة، فأعلن الاستقلال في ١٥ من مارس ١٩٢٢، وتم في عهده تأليف أول وزارة شعبية برئاسة سعد زغلول، وذلك في يناير ١٩٢٤. وعقدت معاهدة بين مصر والمملكة المتحدة اعترفت بإنجلترا بمصر دولة مستقلة. وتوفي في ٢٨ من إبريل ١٩٣٦.

أرتين باشا يعقوب (المتوفى ١٩١٩):

كان وكيل نظارة المعارف بمصر.

من أعماله

- الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية، ترجمه إلى العربية سعيد أفندي عمون، بولاق ١٣٠٧.

- القول التام في التعليم العام، ترجمة علي بك بهجت، بولاق ١٨٩٤.

الأصفهاني، أبو حمزة (٢٨٤-٣٥٦هـ / ٨٩٧-٩٦٦م):

الكاتب الأصفهاني البغدادي مصنف كتاب الأغاني.

من كتبه:

- الأغاني، وبه المئة صوت المختارة لهارون الرشيد، جمع فيه الأغاني العربية قديمها وحديثها (آنذاك)، وهي عشرون جزءاً، بون ١٢٨٥. والجزء الحادي والعشرون بتحقيق برونو رودلف، ليدن ١٣٠٥. وطبع فهرس به باعتناء جويدي بعنوان: "جداول كتاب الأغاني".

- مقاتل الطالبين وأخبارهم، طهران ١٣٠٧.
الأصمعي (١٢٣-٢١٦هـ / ٧٤٠-٨٣١م):

أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي من أهل البصرة. قدم بغداد في خلافة هارون الرشيد، وهو صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح.
من آثاره:

- الإبل، بيروت ١٣٢٢، ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي.
- أسماء الوحوش وصفاتها، تحقيق جابر، ومعه كتاب ما قال قطرب ١٨٨٨.
- الأصمعيات، قصائد للعرب، رواية الأصمعي، وتحقيق ألفارت "مجموع أشعار العرب".
- الأضداد، تحقيق هفتر، بيروت ١٩١٢.
- الخيل، تحقيق هفتر ١٨٩٥.
- الدارات، مقالة مفيدة لمعرفة جزيرة العرب، تحقيق هفتر، بيروت ١٨٩٨.
- الشاء، تحقيق هفتر، بيروت ١٨٩٦.

- الفرق في اللغة مع شروح وفهرست، تحقيق ميللر ١٨٧٦.

امروء القيس بن حُجر بن الحارث الكندي (٥٢٠ - ٥٦٥م):

صاحب المعلقة المشهورة. كان من فحول شعراء الطبقة الأولى مقدمًا على سائر شعراء الجاهلية. سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعت عليها الشعراء. كان أبوه حجر ملكًا على بني أسد فقتلوه غيلة، فذهب امرؤ القيس لأخذ الثأر فخذله قومه، فاستعان بقيصر الروم بواسطة الحارث بن أبي شمر الغساني من أبناء الملوك؛ ولكن رجلاً وشى به إلى قيصر، فأرسل إليه القيصر رجلاً معه حلة مسمومة، فلما وصلت إليه لمسها، فأسرع فيه السم وسقط جلده وتوفي.

من أعماله:

- ديوان امرئ القيس، طبع في باريس ١٨٣٦.

- معلقة امرئ القيس وهي أشهر المعلقات، طبعت مع تعليقات وشروح باللغة الألمانية، تحقيق أوجست ميللر ١٨٦٣.

أمين سامي باشا (١٨٥٧ - ١٩٤١م):

ابن الشيخ محمد حسن البرادعي المصري من قرية البرادعة بمركز القناطر الخيرية. تخرج من مدرسة المهندسخانة ١٨٧٤، وعمل مفتشاً بنظارة المعارف، وفي دار المحفوظات المصرية منذ ١٨٨٠، قبل أن يتولى نظارة مدرسة الناصرية "المبتديان" لمدة ربع قرن، ثم اختير عضواً في مجلس الشيوخ. ويوجد باسمه شارع بحي السيدة متفرع من شارع قصر العيني.

من مؤلفاته:

- كتاب تقويم النيل في ستة مجلدات اشتملت على تقويم شامل لحال النهر، ومقدمة توضح أسس مشروعه، وتتحدث عن جهوده وأهدافه في هذا العمل.

البخاري (٨١٠ - ٨٧٠هـ / ١٤٠٧ - ١٤٦٥م):

أبو عبد الله بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، وهو الواضع الحقيقي لعلم الحديث. حفظ الحديث وهو في العاشرة، ولما بلغ السادسة عشرة استن في جمعه سنة جديدة. رحل إلى الأقطار والأمصار في طلب الرواة والحفاظ، وقضى ١٦ عامًا، زار فيها مصر والشام والحجاز وخرسان والعراق، وجمع نحو ستمائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته مميزًا بين الحديث الصحيح والضعيف. وضع كتابه "الجامع الصحيح" في ستة عشرة سنة.

بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣م):

تعلم السريانية واللاتينية والإيطالية إلى جانب اللاهوت والفلسفة والشرع الكنسي، ودرس الإنجليزية. وذهب عام ١٨٤٠ إلى بيروت واتصل ببعض المبعوثين الأمريكيين يعلمهم العربية، ويعرّب لهم الكتب، واستعانوا به على إدارة الأعمال في مطبعتهم. وعين أستاذًا في مدرسة عربية عام ١٨٦٠، فمكث فيها سنتين، ثم عين مترجمًا للقنصلية الأمريكية في بيروت. أنشأ في عام ١٨٦١ جريدة "نفيير سورية"، وفي عام ١٨٦٣ أسس المدرسة الوطنية فيها.

من آثاره:

- دائرة المعارف التي عرفها بقوله: "إنها قاموس عام لكل فن ومطلب"، صدر منها في حياته ستة أجزاء، وبعد وفاته خمسة أجزاء.
- معجم محيط المحيط وهو أول قاموس عام في اللغة العربية، طبعه في مجلدين كبيرين في بيروت. عام ١٨٧٠.

الببيروني "أبو الريحان" (٣٦٢ - ٤٤٠هـ / ٩٧٢ - ١٠٤٨م)

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي. والبيروني نسبة إلى بيرون (مدينة في السند). له في السبق في الرياضيات. صنف القانون

المسعودي، وله شرح شعر أبي تمام والتعليل بإجالة الوهم في معاني نظم أولي الفضل، والمساورة في أخبار خوارزم، أما تصانيفه في النحو والهيئة والمنطق والحكمة فهي تفوق الحصر.

من آثاره:

- الآثار الباقية في القرون الخالية، حققه زاخاو (١٨٧٦-١٨٧٨م) بليبيزج، وترجمه إلى الإنجليزية مع تعليقات وفهرست ١٨٧٩.

- تاريخ الهند، أو تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، حققه زاخاو، لندن وجوتا ١٨٨٧، مع الترجمة إلى الإنجليزية، لندن ١٨٨٥.

- القانون المسعودي في الهيئة والنجوم (غير مطبوع)، ويقال إنه طبع في ليبزج ١٨٧٨.

- التفهيم لأوائل صناعة التتجيم (مخطوطة في دار الكتب المصرية/ من كتب أحمد زكي باشا).

البيضاوي (١٢٢٦-١٢٨٢هـ):

ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي. ولد بفارس بالمدينة البيضاء قرب شيراز. مفسر ومتكلم. ولى قضاء شيراز مدة، ثم صرف عنه، فرحل إلى تبريز وعاش فيها.

أهم كتبه:

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وهو تفسير لغوي، نحوي، تاريخي، بلاغي، جدلي، مختصر ومركز.

- منهاج الوصول إلى علم الأصول.
- طوابع الأنوار من مطالع الأفكار، في الإلهيات.
- نظام التواريخ، بالفارسية.
- الغاية القصوى في دراية الفتوى، في فقه الشافعية.
- رسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها.
- لب الألباب في علم الإعراب.
- البيهقي "إبراهيم بن محمد" (٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م):
من آثاره:

- المحاسن والمساوي، طبع بليبزج باعتناء د. فريدريك شفالي (١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م) في ثلاثة مجلدات.
- البيهقي "أبو بكر" (٣٨٤ - ٣٥٨هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٥م):
أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي، الفقيه الشافعي،
الحافظ المشهور. أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر المروزي. غلب عليه
الحديث واشتهر به.
من كتبه:

- كتاب الأسماء والصفة (رجال الحديث)، طبع حجر بالهند.
- القراءة خلف الإمام.
- الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩هـ / ٩٦١ - ١٠٣٧م):
أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري.

قال عنه ابن بسام في الذخيرة: "كان في وقته راعي تطلعات العلم، وجامع لشتات النثر، والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفي بحكم أقرانه". أخذ عن أبي بكر الخوارزمي.

من مؤلفاته:

- فقه اللغة وسر العربية: حققه الكونت رشيد الدحداح بباريس ١٨٦١، ثم طبع في مصر ١٨٨٠.

- يتيمة الدهر في شعر أهل العصر، طبعة المطبعة الحنفية في أربعة أجزاء ١٣٠٣هـ.

جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧م):

محمد جمال الدين الأفغاني أحد الأعلام البارزين في النهضة المصرية، ومن أعلام الفكر الإسلامي بالنسبة إلى التجديد. جاء إلى مصر لأول مرة سنة ١٨٧٠، واتجهت إليه أنظار النابهين من أهل العلم.

زار الأزهر الشريف واتصل به كثير من الطلبة، وأقبلوا عليه يتلقون بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، ثم رحل إلى الحجاز والأستانة. ورجع إلى مصر بعد أن ابتعد عنها عام ١٨٧١. ورغب رياض باشا في بقائه بمصر، وأجرت عليه الحكومة راتبًا مقداره ألف قرش شهريًا، وزاره كثير من الطلاب يأخذون عنه العلم، ويقتبسون الحكمة من بحر علمه، فظهرت على يده نهضة في العلوم والأفكار؛ أنتجت أطيب الثمرات، ثم أكرم إسماعيل باشا مثواه.

واتصل به الشيخ محمد عبده ولازمه، وتأثر به؛ لكن نتيجة لتأثير الأفغاني الأخلاقي والسياسي، كان الاستعمار الأوربي ينقم عليه روح الثورة

والدعوة إلى الحرية والدستور، فأوعز إلى الخليفة توفيق بإخراجه من مصر في أغسطس ١٨٧٩. ورحل معه الشيخ محمد عبده إلى فرنسا، وأصدر جريدة العروة الوثقى، وكان لجمال الدين مع المستشرق الفرنسي رينان أبحاث في العالم الإسلامي، وقال عنه رينان: "كنت أتمثل أمامي عندما كنت أخاطبه ابن سينا أو ابن رشد أو واحدًا من أساطين الحكمة الشرقيين".

والأفغاني كاتب وخطيب ومصلح ديني واجتماعي وسياسي، حضر إلى مصر وأقام دعوته على دعائم مستمدة من فكرته عن الجامعة الإسلامية، وكان منزله بالقاهرة ملتقى لتلاميذه ومريديه. واستطاع بدروسه في الدين والفلسفة والأخلاق والاجتماع والسياسة وبمقالاته - أن يثير الشعور الوطني، ويحيي الشعور الديني في قلوب المسلمين. وتوفي عام ١٨٩٧.
من آثاره:

- رسالته في الرد على الدهريين.

- إصدار جريدة العروة الوثقى مع تلميذه الإمام محمد عبده.

ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤ م):

أبو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي، كان جده من أصل فارسي، وأول من أسلم من أسلافه جد يدعى يزيد، مولى ليزيد بن أبي سفيان (ابن خلكان، ج١، ص ٣٤٠).

هو عالم عربي أندلسي، مؤرخ وفقيه ومحدث وأديب مؤلف في علم الكلام والعقائد والفلسفة.

كان شافعي المذهب، ثم أصبح ظاهريًا. له مصنفات في مختلف العلوم: منها طوق الحمامة، وفضل الأندلس، وإبطال القياس والرأي والاستحسان،

والتقليد والتعليل، والأحكام والأصول، ورسالة في أصول الفقه، والفصل في المال والأهواء والنحل، والتقريب في حدود المنطق، والناسخ والمنسوخ، والأخلاق والسير في مداراة النفوس. وبلغت كتبه نحو أربعمائة مجلدًا.

ومؤدى مذهبه الفقهي الظاهري أن كل قياس لا يستند إلى القرآن والحديث باطل. وهو يأخذ بظاهر المعنى لألفاظ القرآن والحديث.

قال جولدتسيهر عنه (اليوميّات، ص ٤٩): "عرفت (عنه) أدب الجدل الذي ساعدتني المراجع الموجودة في ليدن على تبنيه كاملاً".

الحطينة (المتوفى ٤٥٥هـ):

أبو مليكة جرول بن أوس بن مخزوم العبسي من الشعراء المخضرمين، من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، متين الشعر، شروء القافية، منصرف في جميع الفنون من المديح والهجاء والفخر والنسب.

- ديوان الحطينة، حققه جولدتسيهر، ليبزج ١٨٩٣، بشرح أبي الحسن السكري.

حمزة الأصفهاني "ابن الحسن" (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م):

من أهل أصفهان. كان أديبًا مصنفًا. وكان يتعصب لغير العرب وعول فيما كتب على المصادر الفارسية.

من كتبه:

تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (وصل فيه إلى سنة ٣٥٠هـ)، ومعه ترجمة لاتينية لجوتفالد Gottwaldt، في جزأين، الأول طبع في ليبزج ١٨٤٤-١٨٤٨م، والثاني طبع في برلين ١٣٤٠هـ.

حيوج (٩٤٥ - ١٠٠٠م):

يحيى بن حيوج الفاسي من أهم النحويين العبرانيين. ويعتبره الكثير من المتخصصين أول نحوي عبري بمعنى الكلمة.

ولد في مدينة فاس بالمغرب عام ٩٤٥م، وتوفي عام ١٠٠٠م في قرطبة بأسبانيا.

وضع كتيبتين في النحو العبري: "كتاب الأفعال نزلت حروف اللين"، و"كتاب التنقيط"، عالج في الكتيب الأول الأفعال المعتلة، وفي الثاني نظام الإعجام والتشكيل في العبرية. ولكنه أخفق في استنباط بنىوية اللغة العبرية المطابقة تقريباً لبنىوية العربية، وذلك رغم اعتماده الكلي على نظام التحليل وسيبويه في النحو العربي.

الخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٩٣هـ / ١٠٠١ - ١٠٧٠م):

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، صاحب تاريخ بغداد. وهو عشرة مجلدات، وبه ترجمة أحوال علماء بغداد إلى زمانه، وذيل له محب الدين بن نجار بذيل أطول من التاريخ نفسه في بضعة عشر مجلداً، وكتب في ذيله أيضاً أبو سعد السمعاني مجلداً.

وطبع تاريخ بغداد، الذي يشتمل على أهل بغداد واسمها وتاريخ أبنائها وأقسامها، باعتناء المستشرق سلمون *Salmon*.

خليل الخوري (خليل بن جبرائيل بن يوحنا بن ميخائيل):

شاعر وكاتب وأديب، ولد في الشويفات بلبنان. وتعلم في بيروت وأنشأ بها جريدة "حديقة الأخبار" سنة ١٨٥٨. وعُين مديراً للجريدة الرسمية ومطبعتها في سوريا، ثم مديراً للأمور الأجنبية بها.

توفي في بيروت، وله ديوان شعر في ستة أجزاء، وقصص، ورسائل.
الرازي "فخر الدين" (٥٤٣ أو ٥٤٤ - ٦٠٦هـ / ١١٤٨ أو ١١٤٩ - ١٢٠٩م):

الإمام أبو عبد الله محمد بن العمر بن الحسين الرازي الملقب فخر الدين. أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء المحدثين، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وكثر تلاميذه. وكان يلقب بشيخ الإسلام.
من مؤلفاته:

- أساس التقديس في علم الكلام، طبعة كردستان ١٣١٨.
- شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا للنصير الطوسي، وشرح آخر للفخر الرازي.
- لباب الإشارات، طبعة مطبعة السعادة ١٣٢٦.
- اللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، طبعة الشرقية ١٣٢٣.
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، طبعة الحسندية ١٣٢٣.
- مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير، ستة أجزاء، بولاق ١٢٧٩ - ١٢٨٩.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، طبعة الآداب ١٣١٧.
- الزمخشري "أبو القاسم" (٤٧٦ - ٥٣٨هـ):

هو محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي المعتزلي، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، من أكابر الحنفية. فرغ من تأليف الكشاف ٥٢٨هـ، وطبع بلكنتا في جزأين.

السجستاني "أبو حاتم" (ت ٢٥٠ أو ٢٥٥هـ / ٨٦٤ أو ٨٦٨م):

أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني النحوي اللغوي المقرئ نزيل
البصرة وعالمها.

من كتبه:

- الأضواء، باعتناء لويس شيخو (طبعة اليسوعيين ١٩١٣).

- كتاب المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في
منتهى أعمارهم، تحقيق جولدتسيهر، لين ١٨٩٩، ثم بتصحيح أمين
الخانجي، طبعة السعادة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م.

- النخلة أو كتاب النخل، بعناية لاغوفينا، باليرمو ١٨٧٣.

ابن سعد (١٦٨ - ٢٣٠هـ / ٧٨٤ - ٨٤٥م):

كاتب الواقدي. هو أبو عبد الله محمد بن سعد منيع الزهري البصري.
صحب الواقدي زماناً، وكتب له، وعرف به، وجاء بالفهرست أنه ألف كتبه
من تصنيفات الواقدي. وله:

- كتاب الطبقات الكبير (أو الطبقات الكبرى)، صدر منه من سنة
١٩٠٥ إلى ١٩٢١ تسعة مجلدات بأربعة عشر قسماً، اشترك في
تحقيقه وتصحيحه المستشرقون: زخاو، وهودوفتش، وليبرت،
وستراستين، وبروكلمان.

السعدي الشيرازي (١١٨٩ - ١٢٩١هـ):

أحد الشعراء الفرس الثلاثة الكبار (الآخران هما الفردوسي وأنسوري)،
له غزليات أطلق عليها "الطييات"، وله شعر في الهزل باسم "الخبثات".

عاصر محنة غزو المغول للعالم الإسلامي ودخولهم بغداد التي رثاها. ترك بغداد، وطوّف بالبلاد، ثم استقر بعد ثلاثين سنة بشيراز. وكتب فيها كتابيه؛ الجلستان (وهو كتاب نثري)، والبستان (وهو ديوان شعري). وله أشعار بالعربية.

ابن السكيت (١٩٦ - ٢٤٤هـ / ٨١١ - ٨٥٨م):

أبو يوسف يعقوب بن إسحق الشهير بابن السكيت اللغوي. كان يتصرف في أنواع العلوم. قال أبو العباس المبرد: "ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتب يعقوب بن السكيت في المنطق".

من كتبه:

- إصلاح المنطق.
- الأضداد، نشره أوجست هفتر، طبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٢.
- تهذيب الألفاظ، مع ضبط وتعليق حواشيه وفهارسه للأب لويس شيخو ببيروت.
- القلب والابدال، على نفقة أوجست هفتر، الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٣.

سيبويه (٧٦٥ - ٧٩٦هـ / ١٣٦٣ - ١٣٩٣م):

عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، إمام نحاة البصرة. درس النحو على الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وعيسى بن عمر. ألف كتابه المسمى "كتاب سيبويه"، الذي يعد أصل النحو وأشهر كتبه، واعتمد عليه نحاة المدارس جميعاً.

- طبع "الكتاب" بعناية الأستاذ ديرنبورج *Derenbourg* (كلكتا ١٨٨١)، ثم بمطبعة بولاق (١٣١٦هـ / ١٨٩٨)، ولعلها كانت الطبعة الثانية ببولاق حين كان جولدتسيهر بمصر في أوائل عام ١٨٧٤.

سيف بن ذي يزن (ولد ٥١٦م):

هو آخر الملوك من دولة التباغة في اليمن.

كتب عنه سيرة في ١٧ جزءاً، طبعة بولاق ١٢٩٤، وطبعة شرف ١٣٠٥، وطبعة الخيرية ١٣١٠.

السيوطي "جلال الدين" (٨٤٩ - ٩١١هـ / ١٤٤٥ - ١٥٠٥م):

جلال الدين السيوطي صاحب المؤلفات الحافلة الجامعة. ولد بالقاهرة، وحفظ القرآن وهو دون الثامنة من عمره، ودرس بالأزهر، وسمع من البلقيني ومن أبيه وغيرهما. وسافر إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب.

من كتبه:

- الإتيان في علوم القرآن، كلكتا ١٢٧١هـ / ١٨٥٢م.

- إتمام الدراية لقراء النقاية.

- الأشباه والنظائر النحوية.

- الاقتراح في علم أصول النحو، حيدر آباد ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م.

- المزهري في علوم اللغة وأنواعها. جعله خمسين نوعاً؛ ثمانية في اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر من حيث الألفاظ، وثلاثة عشر من حيث الألفاظ، وثلاثة عشر من حيث المعنى، وخمسة من حيث

لطانفها، والباقية راجعة إلى رجال اللغة ورواتها، طبع بتصحيح نصر الهوريني، بولاق ١٢٨٢، في جزأين.

الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ / ٧٦٧ - ٨١٩م):

أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي المكي. صاحب المذهب. وهو أول من أظهر أصول علم الفقه ودوته. أخذ العلم عن مالك بن أنس ومسلم بن خالد الرنجي وسفيان بن عينية. وسمع الحديث من إسماعيل بن عليه وعبد الوهاب عبد المجيد بن الثقفي، ومحمد بن الحسن الشيباني.

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر. وقدم على مالك وهو ابن خمسة عشر سنة.

سافر إلى بغداد سنة ١٧٥هـ فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه، ثم عاد إلى مكة. وخرج إلى بغداد ثانية ١٧٨هـ، ومنها إلى مصر، وصنف بها كتبه؛ كالأم، والأمال، والكبرى.

من كتبه:

- اختلاف الحديث، رواية أبي محمد الربيع بن سليمان الجيزي.
- أصول الفقه أو رسالة الشافعي، برواية الربيع.
- كتاب الأم، برواية الإمام أبي محمد الربيع بن سليمان المرادي.
- رسالة (الإمام الشافعي) في أصول الفقه، وهو أول كتاب ألف في هذا العلم، الطبعة الأولى بمصر ١٣٥٨هـ / ١٩٤٠م.
- سنن الإمام الشافعي - في الحديث - رواية أبي إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل عنه رواية أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الطحاوي بن أخت الإمام المزني، مصر ١٣١٥.

- مسند (الإمام محمد بن إدريس)، طبعة الخيرية ١٣٢٨، والهند ١٣٠٦.

الشعراني (٨٩٨ - ٩٧٣هـ):

أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي. كان إماماً في العلوم الشرعية. أخذ العلم عن مشايخ عصره؛ كالشيخ جلال السيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشيخ محمد الشناوي، والشيخ علي الخواص من علماء الباطن. سلك طريق التصوف بعد تضلعه في علوم الشريعة. وجاهد نفسه مدة، وقطع العلائق الدنيوية.

من آثاره:

- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية.

- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير.

- تنبيه المفتريين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر.

- الجواهر والدرر الكبرى.

- الميزان، الكبرى الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين وتعديلهم وتقليدهم في الشريعة المحمدية (فقه شافعي)، طبعة بولاق ١٢٧٥ (جزآن).

الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م):

ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصري.

أحد علماء الحديث، وتفقه على والده بشهرزور، ثم اشتغل بالموصل مدة، ثم درس بالمدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ونزح إلى الشام، فدرس

بالروحية في دمشق عندما أنشأها الواقف، فلما أنشئت الدار الأشرفية صار شيخها، ثم ولى تدريس الشامية الصغرى.

من أعماله:

- علوم الحديث أو معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.
- أدب المفتي والمستفتي.
- فوائد الرحلة.
- صيانة صحيح مسلم.
- الأمالي.
- الفتاوى (جمعه بعض أصحابه).
- شرح الوسيط في فقه الشافعية.
- صلة الناسك في صنعة المناسك.

شيخو "الأب لويس" (١٢٧٥ - ١٣٤٦هـ / ١٨٥٩ - ١٩٢٧م):

رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح شيخو. تلقى العلم وخدمة الدين والأدب، فزار أبوه القدس، وبقي في لبنان حيث درس رزق الله وهو ابن ثماني سنوات، ثم أبحر إلى أوروبا ليدرس العلوم في مدارس الرهبانية اليسوعية، وتعلم اليونانية واللاتينية والفرنسية، وأصبح مدرسا للغة العربية بمدرسة غزير اليسوعية، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية، وانتقل بالتأليف ونشر الآداب العربية، وأنشأ مجلة الشرق التي خدمها مدة خمس وعشرين سنة، وشرع في نشر الكتب العربية النفيسة بهمة.

وله رحلات كثيرة إلى أوروبا لزيارة مكنتاتها والبحث عن المخطوطات العربية القديمة، وكذلك رحل إلى بلاد المشرق كالشام وحلب والموصل وبغداد.

من مؤلفاته وتحقيقاته:

- الآداب العربية في القرن التاسع عشر، جزآن، ١٨٠٠-١٩٢٦.
- الأحداث الكتابية والتشابه النصرانية في أقوال بعض شعراء الجاهلية، ١٩٠٤.
- أسباب الطرب في نواذر العرب.
- الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني.
- انتقاد كتب تاريخ آداب اللغة العربية لرجي زيدان، ١٣٢٠هـ.
- أنيس الجلساء في ديوان الخنساء.
- البلغة في شذور اللغة (مع د. هفتر).
- تهذيب الألفاظ لابن السكيت.
- شعراء النصرانية ١٨٩٦.
- فقه اللغة للثعالبي مع شرح له.
- كتاب كليلة ودمنة ١٣٣٠هـ.
- نبذة في ترجمة وتأليف أبي الفرج المعروف بابن العبري ١٨٩٨.
- كتاب الهمز لأبي سعيد بن أوس الأنصاري.
- مختصر تهذيب الألفاظ لابن السكيت.

صالح بن عبد القدوس (ت ١٦٧هـ / ٧٨٣م):

من حكماء الشعراء، متهم بالزندقة، كان قوي الحجة، وله منزلة كبرى عند أهل مذهبه. نشأ بالبصرة، وكان يقص على الناس ويعظهم. بلغ المهدي خبر زندقته، فاستقدمه من دمشق، وكان آنذاك شيخاً طاعناً في السن، فسأله المهدي ألسن القائل: "والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارى في ثرى رَمسه". قال: "بلى يا أمير المؤمنين". قال: "وأنت لا تترك أخلاقك حتى تموت". فأمر بقتله، فقتل وصلب على جسر بغداد عام (١٦٧هـ / ٧٨٣م).

قال ابن المعتز في طبقات الشعراء: وله في الزهد في الدنيا والترغيب في الجنة والحث على طاعة الله والأمر بمحاسن الأخلاق وتذكر الموت والقبر ما ليس لأحد. وكان شعره كله أمثالاً وحكماً.

وكانت أشعاره في الحكم الفلسفية. (يرجع إلى أخباره في فوات الوفيات، ج ١، ص ١٩١).

صالح مجدي بك (١٨٢٦ - ١٨٨١م):

من تلاميذ رفاة الطهطاوي، ألحقه أستاذه بقلم الترجمة، ثم عهد إليه بتدريس اللغتين العربية والفرنسية في المدرسة الهندسية الخديوية.

ترجم الكثير من كتب الجيولوجيا والميكانيكا والحساب والجبر والهندسة.

تولى رئاسة قلم الترجمة، ثم جعله إسماعيل باشا في المعية السنية، وولاه مناصب أخرى، وكان آخر ما عهد إليه قضاء القاهرة، فلزمه حتى وفاته. وقد اشتغل بتأليف مطول لتاريخ مصر مع علي باشا مبارك.

له ديوان شعر طبع في بولاق (١٣١٢هـ / ١٨٥٦م).

الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨-١٣٣٨هـ/ ١٨٥٢-١٩٢٥م):

الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري. سوري الجنسية ومن أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره. هاجر إلى مصر (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م). أولع باقتناء المخطوطات وحافظ عليها. وكان مديراً لدار الكتب الظاهرية بعد عودته من مصر ١٩١٩.

من مؤلفاته:

- التبيان لبعض المصطلحات المتعلقة بالقرآن.

- توجيه النظر إلى أصول الأثر.

- الملتقى من الذخيرة لابن بسام.

- تفسير القرآن الكريم (مخطوط).

الطبري، ابن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ/ ٨٨٨-٩٢٢م):

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الأملي، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير. قرأ الفقه على داود، وأخذ الفقه الشافعي عن الربيع بن سليمان بمصر، وعن الحسن بن محمد الزعفراني ببغداد. أخذ الفقه (فقه مالك) عن يونس بن عبد الأعلى، وابن عبد الحكم محمد، وعبد الرحمن وسعد. وأخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري. وأدرك الأسانيد العالية بمصر والشام والعراق (الكوفة).

من آثاره:

- تاريخ الأمم والملوك الشهير بتاريخ الطبري، (١٣ جزءاً)، طبع في

لیدن (١٨٧٦-١٩٠١) بعناية دي خويه وغيره من المستشرقين. وله مقدمة باللغة اللاتينية، وفهارس بالعربية، وتعليقات بجزأين.

- اختلاف الفقهاء، صححه د. فريدريك كيرن المستشرق الألماني.

- الاعتقاد، الهند ١٣١١هـ.

- جامع البيان في تفسير القرآن (ويعرف بتفسير الطبري)، طبعة بولاق (١٣٢٢-١٣٣٠هـ)، في ثلاثين جزءاً.

عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧-٦٢٩هـ / ١١٦٢-١٢٣١م)

الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد علي بن سعد البغدادي الشافعي المعروف بأبي اللباد. موصلّي الأصل، بغدادي المولد، وكان معروفاً بالعلوم، عارفاً بعلم الكلام والطب.

من كتبه:

- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، طبع في باريس ومعه ترجمة فرنسية باعتناء سلفستر دي ساسي ١٨١٠، وترجمه الأستاذ هيل إلى الألمانية، أكسفورد ١٧٩٠م، وترجمه هويت، أكسفورد ١٨٠٠.

ذيل الفصيح (فصيح ثعلب)، مصر ١٢٨٥هـ.

ابن العربي، أبو بكر (٤٦٨-٥٦٤هـ / ١٠٧٥-١١٥١م):

أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي.

ولد بإشبيلية وسافر إلى دمشق، ولقى بها أبا بكر الطرطوشي وتفقه عنده. ودخل بغداد وسمع بها من جماعة من أعيان مشايخها. ثم حج عام ٤٨٩، وارتحل إلى بغداد فصحب أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الغزالي وغيرهما

من العلماء والأدباء. ولقى بمصر والإسكندرية جماعة من المحدثين، فكتب عنهم وأفاد منهم، ثم عاد إلى الأندلس سنة ٤٩٣هـ، وقبل ٤٩٥هـ. من أعماله:

- أحكام القرآن، جزآن، مطبعة السعادة ١٣٣١هـ.

- عارضة الأحوزي في شرح الترمزي، رواية عمر بن الحسن بن دحية.

ابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١هـ / ١١٠٥ - ١١٧٦م):

أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر الشافعي الملقب ثقة الدين.

كان محدث الشام، وإمام أهل الحديث في زمانه، وحامل لوائهم.

سمع في بغداد عام ٥٢٠هـ من أصحاب البرمكي والتخوي والجوهري، ثم رجع إلى دمشق، ورحل بعد ذلك إلى خرسان، ودخل نيسابور، وهرارة، وأصبهان.

من مصنفاته:

- التاريخ الكبير لدمشق، في ثمانين جزءاً، نشره ورتبه وصححه الشيخ بدران.

- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي حسن الأشعري، طبع بعض نبذ منه باعتناء ميرن (١٨٢٢ - ١٩٠٢م) Mehren، لندن ١٨٧٨.

علي سليمان الباروني:

هو سليمان بن عبد الله بن عبد الله بن يحيى بن سليمان الباروني (١٨٧٠م)، الذي تعرف على الشيخ المجاهد من علماء الأباجية في القرن العشرين.

أبو علي القالي صاحب الأمالي (٢٨٨ — ٣٥٦هـ):

كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين، أخذ عن ابن دريد، وابن الأنباري ونفطوية وابن درستويه. وله من التأليف:
"كتاب الأمالي" في اللغة والأدب مع ذيله ونوادره. طبع في جزأين
ببولاق ١٣٢٤هـ، ووضع له الفهرس الأستاذان كرنكو وبيفان، وطبع في
لیدن ١٩١٣.

علي باشا مبارك (١٨٢٣ - ١٨٩٣م):

- درس بمدرسة المهندسخانة في بولاق ١٨٣٩م، حيث درس الجبر
والهندسة والكيمياء والمعادن والجيولوجيا والميكانيكا والفلك
والأراضي وغيرها، حتى تخرج عام (١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م).

- اختير ضمن مجموعة من الطلاب النابهين للسفر إلى فرنسا في بعثة
دراسية عام ١٨٤٤. وبعد عودته إلى مصر عمل بالتدريس، ثم التحق
بحاشية عباس الأول وأشرف مع زميلين له على امتحان المهندسين،
وصيانة القناطر الخيرية.

- عرض على عباس الأول مشروعًا لتنظيم المدارس، فأحاله إلى علي
مبارك وزميليه، وكلفهم بوضع إدارة ناظر واحد وإلغاء مدرسة
الرصدخانة.

- تولى إدارة ديوان المدارس وأعاد ترتيبها وفق مشروعه، واشترك
مع عدد من المدرسين في تأليف بعض الكتب المدرسية، وأنشأ
لطبعتها مطبعتين.

- عزله سعيد باشا من ديوان المدارس في يوليو ١٨٥٤، ومن نظارة
مدرسة المهندسخانة، وألحقه بالقوات المصرية التي تشارك الدولة

العثمانية في حربها ضد روسيا، وانتصر بانتصار العثمانيين في حرب القرم.

- تعلم أثناء إقامته باسطنبول مدة سنتين ونصف اللغة التركية، وشارك في المفاوضات التي جرت بين الروس والدولة العثمانية.

- عاد إلى مصر وعمل بديوان الجهادية، ثم التحق بمعبة سعيد، وكون فريقاً لتعليم الضباط وصف الضباط القراءة والكتابة والحساب، ووضع المناهج وطريقة التدريس، ثم أدخل مادة الهندسة وقربها إليهم، حتى فصله سعيد باشا في مايو ١٨٦٢.

- عند تولي الخديوي إسماعيل الحكم في ١٨ من يناير ١٨٦٣ عهد إليه قيادة مشروعه المعماري العمراني، وأسند إليه أيضاً نظارة القناطر الخيرية، ثم عهد إليه بتمثيل مصر في النزاع بين الحكومة المصرية وشركة قناة السويس.

- في ٢٣ أكتوبر ١٨٦٦ عينه الخديوي وكيلاً عاماً لديوان المدارس أيضاً، وغير ذلك من الوظائف المهمة.

- أنشأ دار العلوم، وتولى نظارة المعارف في وزارة رياض باشا إلى أن استقالت ١٨٩١.

من مؤلفاته:

، - الخطط التوفيقية.

- كتاب علم الدين، في أربعة أجزاء.

عنتر بن شداد (٥٢٥ - ٦٠٨ م):

عنتر العبسي بن شداد أحد أغربة الجاهليين، ومن شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية.

- له ديوان عنتره بن شداد، طبع بعناية أبكار يوس، ببيروت ١٨٨١، وبالمطبعة الحسينية بشرح محمد العناني ١٣٢٩هـ. وبشرح رشيد عطية ببيروت ١٨٩٣.

- أما سيرة عنتره بن شداد. وهي سيرته الحجازية قصة خيالية فيها أشعار وأحوال كثيرة عن عنتره، ولا يعلم واضعها بالتحقيق. طبعت في ٣٢ جزءاً بمطبعة شاهين ١٢٨٦هـ. وطبعت في بيروت ونسبت إلى يوسف بن إسماعيل المصري (وقيل لعلها السيرة الشامية) سنة ١٨٦٩م، وترجم مختصر لها إلى الفرنسية دوفيك عام ١٨٦٤ - ١٨٧٠م.

الغزالي (٤٥١ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٩ - ١١١١م):

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الملقب بحجة الإسلام زين الطوسي الفقيه الشافعي.

أصله من غزّالة من أعمال طوس، كان والده يغزل الصوف، تعلم بطوس وعمل بها، ثم قدم نيسابور، واتصل بإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، ثم خرج إلى المعسكر، ولقى الوزير نظام الملك، وحضر اللقاءات التي كان يعقدها، فجرى بينه وبين جماعة من الأفاضل جدال ومناظرات في مجالسه. ثم فوض إليه نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية. وتوجه بعد ذلك إلى الشام وأقام بها عشرين عاماً، ثم رحل إلى بيت المقدس، وقصد مصر، وأقام بالإسكندرية، وعاد بعد ذلك إلى طوس. توفي بالطبران، وهي قسبة طوس.

من كتبه:

- الأجوبة الغزالية في المسائل الأخراوية.

- إحياء علوم الدين، بولاق ١٢٦٩هـ، في أربعة أجزاء.

- الأدب في الدين.

- أربع رسائل للغزالي.

- كتاب الأربعين في أصول الدين.

- أسرار الحج.

- الجام العوام من علم الكلام.

- تهافت الفلاسفة.

- المصنفون به على غير أهله.

- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال.

ابن فارس (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م):

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي
القزويني المالكي.

كان من أكبر أئمة اللغة. أخذ عن ابن الحسن الخطيب وأبي الحسن
علي ابن إبراهيم القطان، وأحمد بن طاهر المنجم. وأخذ عنه أحمد بن
الحسين المعروف بالبديع الهمداني.

كان مقيماً بهمدان فحمل منها إلى الري ليقرأ عليه أبو طالب بن فخر
الدولة ابن بوبة الديلمي.

من كتبه:

- الاتباع والمزاوجة، باعتاء رودلف برونو Brunnnow ١٩٠٦.

- الصاحبى (فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها)، طبعة المؤيد ١٣٢٨هـ، واعتمد ناشرها على نسخة بخط الأستاذ الشنيطى نقلها عن مخطوطة بالقسطنطينية عام ٣٨٢هـ.

- المجلد فى اللغة (معجم التزم فيه الصحيح والواضح من كلام العرب)، مطبعة السعادة ١٩١٤ (الجزء الأول فقط).

فتح الله حمزة (١٢١٦-١٣٣٦هـ / ١٨٤٩-١٩١٨):

أحد مشايخ الأزهر، وأحد أعلام اللغة العربية فى العصر الحديث، وله مؤلفات متنوعة. درس بالأزهر علوم الفقه والتفسير والأدب واللغة، وكان مهتمًا باللغة العربية حريصًا على الحفظ والقراءة فى علومها.

شغل وظيفة المفتش الأول للعلوم العربية بنظارة المعارف العمومية ثلاثين عامًا. أسهم فى تحرير جريدة الكوكب الشرقى وعمل فى تحرير جريدة البرهان الأسبوعية فى الإسكندرية، كما عمل مفتشًا للغة العربية، وتولى قلم الإنشاء والترجمة، واستعان به علي مبارك فى تطوير المناهج فى مدرسة دار العلوم.

ألقى بالمؤتمر الثامن للمستشرقين فى استوكهولم ١٨٨٩ محاضرة عن الإسلام.

من كتبه:

- باكورة الكلام عن حقوق النساء فى الإسلام، بولاق ١٣٠٨.

- العقود الدرية فى العقائد التوحيدية، ١٣٠٨.

- قصيدة بهية فى مدح حضرة أوسكار الثانى *Oskar II* ملك السويد والنرويج، لين ١٨٨٩.

- الكلمات غير العربية في القرآن الكريم، بولاق ١٩٠٤.
- المواهب الفتية في علوم اللغة العربية. بولاق ١٣٠٩، ١٣١٢، ١٣٢٦/١٨٩٢، ١٨٩٥، ١٩٠٩.
- هداية الفهم إلى بعض أنواع الوسم، بولاق (١٣١٣هـ / ١٨٩٥م).
- القسطلاني (٨٥١ - ٩٢٣هـ / ١٤٤٧ - ١٥١٧م):
- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن ميمون القسطلاني المصري. نشأ بمصر وحفظ القرآن والشاطبية والوردية. ذكر له السخاوي عدة مشايخ منهم: خالد الأزهرى، والفخر المقيمي، والجلال البكري.
- قرأ صحيح البخاري في خمسة مجالس على العلوي، وتلذذ له وقرأ عليه السخاوي بعض مؤلفاته. وكان علامة في الحديث.
- من أعماله:
- شرحه على صحيح البخاري بعنوان "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، عشرة أجزاء، بولاق ١٢٧٦، ١٢٨٥، ١٢٩٢هـ، بهامشه صحيح مسلم مع شرح النووي.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، رتبها على عشرة مقاصد، طبعة مصطفى شاهين ١٢٨١هـ.
- كعب بن زهير (ت ٢٤هـ / ٦٤٤م):

من الشعراء المخضرمين. كان شاعرًا مجيدًا، مقمًا في طبقة. وكان من أكثر الشعراء هجوًا للنبي، ثم جاءه وأسلم ومنحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها

باتت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم عندما لم يجز مكبول

وقد حققها جويدي (١٨٧١-١٨٧٣) مع ترجمة فرنسية للمستشرق
روكسي مع شرح الباجوري في باريس ١٩٠٤م.

محمد الأشموني (١٢١٨-١٣٢١هـ / ١٨٠٣-١٩٠٣م):

- تلقى عن شيوخ الأزهر: القويسني، والبولاقي، والفضالي، والأمير،
والباجوري، والمرصفي.

- اشتهر بالذكاء، وإتقان التحصيل، والتعليق على ما يقرأ.

- لم يؤلف كتابًا، وإنما كتب عنه بعض الطلبة تقييدات للعقائد النسفية،
ومختصر السعد.

- هو والد أبي الحسن نور الدين علي بن محمد الأشموني صاحب
التأليف الجلية في النحو والمنطق وغيره.

- عمّر عمرًا طويلًا، وتوفي عام ١٣٢١هـ، عن مائة سنة وثلاث
سنوات هجرية.

- لم ينقطع عن التدريس والإفادة إلّا قبل وفاته ببضع سنوات؛ لضعف
أصابه من الكبر، وأبطل حركته.

- هو الذي يعنيه جولدتسيهر، وليس الشيخ الأشموني (ابنه) صاحب
شرح الألفية.

محمد العباسي المهدي (١٢٤٣-١٣١٥هـ / ١٨٢٧-١٨٩٧م):

تولى إفتاء الديار المصرية عام (١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م)، وهو في نحو
الحادية والعشرين من عمره بفرمان من إبراهيم باشا. وتعرض للنفي في

عهد عباس الأول وأعاد الخديوي إسماعيل إلى منصبه (١٢٨٨هـ / ١٨٧١م)، ونصبه أيضًا على مشيخة الأزهر (١٢٩٩هـ / ١٨٧١م) استجابة لطلب عرابي باشا، وأعيد في السنة نفسها إلى المشيخة. ولم يكن جده رابن كما ذكر جولدتسيهر بل كان مسيحيًا وأسلم.

محمد كرد علي (١٢٩٣ - ١٣٧٢هـ / ١٨٧٦ - ١٩٥٣م):

اسمه محمد كرد علي ولد في دمشق (١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م). مفكر سوري، ومن رجال الفكر والأدب والصلاح والمدافع عن اللغة العربية. أول وزير للمعارف والتربية في سوريا، وصاحب مجلة المقتبس، ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، وكان رئيسًا لمجمع اللغة العربية منذ تأسيسه ١٩١٩ حتى وفاته.

اتصل بعدد من علماء دمشق المعروفين مثل: الشيخ سليم البخاري، والشيخ محمد المبارك، والشيخ طاهر الجزائري، وقرأ عليهم كتب الأدب واللغة والبلاغة والفقه وعلم الاجتماع والتاريخ والفقه والتفسير والفلسفة. وتوفي في دمشق ١٩٥٣م.

من كتبه:

- تاريخ الحضارة (ترجمة). تأليف شارل سنيوبوس أحد أساتذة السربون بباريس، في جزأين، مطبعة الظاهر ١٩٠٨.

- الرحلة الأنورية إلى الأصفاع الحجازية والشامية، بيروت ١٨٩٦.

- رسائل البلغاء. فيها قسم من رسائل ابن المقفع، وأربع رسائل لعبد الحميد بن يحيى الكاتب باعتناء الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي، مطبعة الظاهر ١٣٢٦هـ.

- غرائب الغرب، دمشق ١٩١٠م.

محمد مختار باشا المصري (١٢٦٢ - ١٣١٥ هـ = ١٨٤٦ - ١٨٩٧ م):

تلقى الفنون العسكرية بمدرسة البوليتكنيك، وخدم في الجيش المصري حتى نال رتبة لواء سنة ١٨٨٦ م. شارك في فتح إقليم هرر بالسودان، وعين رئيس عموم أركان حرب السودان.

اخترع دليل القبلية الإسلامية في العالم بآلة دقيقة. وعين مأمورًا خاصًا للخدوي. وله تأليف باللغة الفرنسية وبالعربية.

ومن أعماله:

- التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية (من سنة الهجرة إلى سنة ١٥٠٠)، بولاق (١٣١٠ هـ - / ١٨٩٢ م).

- جدول لتحويل المسطحات المترية إلى ما يقابلها من الفدن وكسورها وبالعكس، بولاق ١٣١٤ هـ.

- رسالة في تحديد أطول المقاييس والموازين والمكاييل المستخدمة في مصر، ويليه جدول لمقارنة المقاييس المصرية بالمقاييس الإنجليزية والفرنسية، بولاق ١٨٩١ م.

- المجموعة الشافية في علم الجغرافيا، ومعها أطلس جغرافي، بولاق ١٢٨٩ هـ.

مسلم بن الحجاج (٢٠٦ - ٢٦١ هـ / ٨٢٠ - ٨٧٤ م):

الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري النيسابوري الشافعي، صاحب الجامع الصحيح، وأحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين.

رحل إلى الحجاز والعراق وسمع من أئمتها وقدم بغداد مراراً، وأخذ عن النجاري، وعن أحمد بن حنبل، وإسحق بن راهوية. جمع صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث.

من كتبه:

- صحيح مسلم أو الجامع الصحيح، بولاق ١٢٩٠هـ، ١٣٢٧هـ،
كلكتا ١٢٦٥هـ.

- المتفرقات والوحدان (من رواية الحديث) ومعه الضعفاء الصغير
للبخاري والضعفاء والمتروكون للنسائي، حيدر آباد ١٣٢٣هـ.

مصطفى السباعي (١٣٣٣ - ١٣٨٤هـ / ١٩١٥ - ١٩٦٤م) :-

هو أحد الرجال الأفاضل، من أسرة تولت الخطابة في مساجد دمشق.
كان صديقاً لجولدتسيهر عندما زار دمشق. وهو ابن حسني السباعي. وهو
مؤسس حركة الإخوان المسلمين في سوريا. أول مراقب للإخوان المسلمين
ولد في حمص في سوريا.

من أسرة معروفة بالعلم منذ مئات السنين وكان أبوه وأجداده يتولون
الخطابة في الجوامع. درس بالجامع الأزهر، وشارك زملاءه المصريين عام
١٩٤١ في المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني، كما أيد ثورة رشيد عالي
الكيلاني في العراق ضد الإنجليز، فاعتقلته السلطات المصرية بأمر من
الإنجليز مع زملائه بقرابة ثلاثة أشهر ثم نقل إلى معتقل صرغند بفلسطين
حيث بقي أربعة سنوات ثم أطلق سراحه بكفالة. وأثناء دراسته بالأزهر
اعترض على ما قاله أستاذه د. علي حسن عبد القادر عن جولدتسيهر وبين
أخطاءه، ثم كتب عنه كتاب "الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم".

تعرف أثناء دراسته بمصر بمؤسس جماعة الإخوان حسن البنا، وظلت الصلة قائمة بعد عودته إلى سوريا، وأسس جماعة الإخوان بسوريا.

عين عام ١٩٥٠ أستاذًا بكلية الحقوق بالجامعة السورية. أسس كلية الشريعة بجامعة دمشق ١٩٥٥ وكان أول عميد لها.

في عام ١٩٥٦ طلب من الحكومة السورية السماح لجماعة الإخوان المسلمين بسوريا بالمشاركة إلى جانب المصريين، فقامت حكومة الشيشكلي بحل الجماعة، واعتقال السباعي وإخوانه، ثم فصل من الجامعة وأبعد خارج سوريا إلى لبنان.

بعد اعتقال حسن الهضيبي في مصر خلال مواجهة الإخوان مع حكومة بعد ثورة يوليو، شكل الإخوان في البلاد العربية مكتبًا تنفيذيًا تولى د. مصطفى السباعي رئاسته.

كان من العلماء المحققين الذين استوعبوا الفقه الإسلامي من أصوله المعتمدة ودرسوا قضايا العصر المستجدة وقاسوها على ما سبق من أحكام مستمدة من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

وأصيب بالشلل النصفي، وتوفي في أكتوبر ١٩٦٤م.

مصطفى رياض باشا (١٨٣٤ - ١٩١١م):

اختلف المؤرخون في جنسيته، فيرى بعضهم أنه كان يهوديًا من سميرنا (مدينة على الشاطئ الشرقي لبحر أيجة)، وينتمي إلى أسرة من المرابين وزراني الذهب. وأن اسمه الحقيقي هو يعقوب، بينما يرى آخرون أنه تركي مسلم، وأنه نجل ناظر الضربخانة المصرية (مصلحة سك العملة).

عينه الخديوي إسماعيل حاملاً للختم في يناير ١٨٦٣، ثم أصبح عضوًا بمجلس الأحكام (يوليو ١٨٦٤)، فناظرًا لخاصة إسماعيل في أكتوبر ١٨٦٤،

وتولى مناصب ناظر (وزير) المدارس والأوقاف في أغسطس ١٨٧٣، ثم مستشاراً لناظر الداخلية، ورئيساً لمحكمة الوصاية على الأيتام (مارس ١٨٧٤)، ورئاسة المجلس الحسبي ١٨٧٥.

شكل وزارته الأولى (٢١ من سبتمبر ١٨٧٩ - ١٠ من سبتمبر ١٨٨١)، والثانية (٩ من يونيو ١٨٨٨ - ٢ من مايو ١٨٩١)، والثالثة (١٩ من يناير ١٨٩٣ - ١٥ من إبريل ١٨٩٤)، وعين فيها ناظرًا للمعارف العمومية.

من أهم أعماله:

- أوقف ١٥٠٦ فدأناً بالوجه البحري مساهمة منه في إنشاء دار الكتب.
 - أصبحت جريدة الوقائع المصرية في عهده يومية بعد أن كانت تصدر مرتين أسبوعياً.
 - وضع خطة مع دور بك *Dor* خبير التعليم السويسري للنهوض بالتعليم الشعبي.
 - نشر التعليم في أنحاء القطر المصري عن طريق إصلاح الكتاتيب.
- المفضل الضبي (١٦٨ أو ١٧٠ هـ / ٧٨٠ أو ٧٨٦ م):

أبو العباس المفضل بن محمد الضبي.

كان عالماً بالنحو والشعر والغريب وأيام الناس. وكان ثقة من أكابر الكوفيين. وأخذ عنه أبو زيد الأنصاري.

له من الكتب:

- كتاب أمثال العرب.

- كتاب معاني الشعر.

- كتاب العروض.

- كتاب المفضليات (حققه توربك *Turbuke*، ليزج ١٨٨٥، وتشارلز لايل *Lyall*، بيروت ١٩١٢).

منصور فهمي باشا (١٨٨٦ - ١٩٥٩م):

أحد أساتذة الفلسفة. درس الحقوق عامين بمصر، ثم أرسل إلى باريس مع عدد من زملائه للتأهيل للتدريس بالجامعة التي أنشئت عام ١٩٠٨؛ حيث حصل على درجة دكتوراه في الفلسفة من السوربون، وكانت رسالته عن "أحوال المرأة في الإسلام"، وكان لها صدى واسع عام ١٩١٣. وعاد للتدريس بالجامعة بعد ثورة ١٩١٩، وتدرج في عمله إلى أن كان عميداً لكلية الآداب/ جامعة القاهرة، ثم اختير مديراً لدار الكتب ثم مديراً لجامعة الإسكندرية، وعضواً في مجمع اللغة العربية منذ إنشائه.

ابن المنير السكندري (٦٢٠ - ٦٨٣هـ):

أبو العباس ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبي بكر منصور بن منير السكندري المالكي قاضي الإسكندرية وخطيبها وفتيها وأديبها. ألف كتاب المقتفي تبع فيه الشفا للقاضي عياض. كان مدرساً، وولى الأحباس والمساجد وديوان النظر، ثم ولى القضاء نيابة عن القاضي ابن التنسي، ثم ولى القضاء استقلالاً عام ٦٥٢هـ.

من آثاره: الانتصاف من صاحب الكشاف، طبع ١٣١٨هـ.

الميداني (ت ٥١٨هـ / ١١٢٤م):

أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري. أخذ عن أبي الحسن علي بن أحمد الواجدي.

من كتبه:

- السامي في الأسامي.
- مجمع الأمثال، تحقيق فرايتاج، جزآن، بون ١٨٣٨-١٨٤٣م.
- نزهة الطرف في علم الصرف. طبعة الجوائب ١٢٩٨هـ.

أبو نواس (١٤٥ - ١٩٥ هـ / ٧٦٢ - ٨١٠ م)

أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي، ولد بالأهواز. كان أبوه من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية. وكان من أهل دمشق أسلمته أمه إلى بعض العطارين، فرآه أبو أسامة من بني الحباب فأعجبه، فقال له: "إني أرى فيك مخايل أرى أن لا تضيعها، وستقول الشعر، اصحبني أخرجك". فسأله: "ومن أنت؟". فقال "أنا أبو أسامة والبه بنني الحباب". فقال: "تعم أنا والله في طلبك. ولقد أردت الخروج إلى الكوفة بسببك لأخذ عنك واسمع عنك شعرك". فسار أبو نواس معه فقدم به بغداد.

قال أبو نواس الشعر وهو صبي واختلف إلى أبي زيد الأنصاري وكتب عنه الغريب. وحفظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أيام الناس، ونظر في نحو سيبويه. توفي في القمنة قبل قدوم المأمون من خراسان.

- له ديوان أبي نواس، حققه ألفارت في جريفالد ١٨٦١، (الجزء الأول)، ويلتوه الجزء الثاني شعره في الطرد، باعتناء فون كريمر ١٨٥٥، وحققه جريجور شيلر، وإيفالد فاجنر، وفوكرينر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، عدد ٦١ - ٦٥.

النووي أو النواوي (محيي الدين) (٦٣١ - ٦٧٧ هـ):

أبو زكريا يحيى بن شرف محيي الدين النووي الشافعي.
برع في العلوم، وكان مدققاً في عمله حافظاً للحديث، عارفاً بأنواعه.

من أعماله:

- الأربعون حديثاً النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، بولاق ١٢٩٤هـ.
- التبيان في آداب حملة القرآن، مصر ١٢٨٦، ١٣٠٧هـ.
- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير، اختصره من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، طبع جزء منه مع ترجمة فرنسية وشرح للأستاذ مرسدة، باريس ١٩٠٢م.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصر ١٣٨٣هـ، في خمسة أجزاء.

الهمداني (ت ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م):

- أبو محمد الحسن بن أحمد، ويعرف بابن الحائلة، جغرافي عربي ومؤرخ، ومثابه وشاعر.
- ولد بصنعاء (باليمن). وعني بدراسة الأدب الشعبي القديم في جنوب شبه الجزيرة العربية.

من مؤلفاته:

- صفة جزيرة العرب. تناول فيه مظاهرها الطبيعية، وأجناسها وقبائلها، وعلاقتها الحيوانية والمعدنية وطرقها ومواطن الاستقرار البشري بها.

ياقوت الرومي الحموي (٥٧٥ - ٦٢٦هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٨):

- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار الملقب شهاب الدين.

طالع كثيرًا من كتب الخوارج، بعد تعصبه على عليّ بن أبي طالب، فاشتبك في ذهنه منها طرف قوى. ولما توجه إلى دمشق ٦١٣هـ — ناظر بعض من يتعصب لعليّ، فنار الناس عليه ثورة وكادوا يقتلونه، فخرج إلى دمشق ثم إلى حلب ووصل إلى إربل وخراسان، وساح في البلدان العربية، ثم استقر في حلب وأقام بها إلى أن مات.

من كتبه:

- معجم البلدان، جعله هدية لجمال الدين القفطي. حققه فيستفاد في ستة أجزاء، لبيزج ١٨٦٦-١٨٧٣.

- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ويعرف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء. حققه مرجليوس وطبع على نفقة لجنة جب التنكارية بمطبعة هندية بالقاهرة (١٩٠٩ - ١٩١٦) في سبعة أجزاء.

- المشترك وضعًا والمفترق صفعًا، حققه فيستفاد، جوته ١٨٤٦م.

اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ / ٧٩٨م):

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب العباسي. كان رحالة ساح في بلاد الإسلام شرقًا وغربًا.

زار أرمينية عام ٢٦٠هـ ثم رحل إلى الهند وعاد إلى مصر وبلاد المغرب. ألف في سياحته: "كتاب البلدان"، وله التاريخ المعروف بتاريخ اليعقوبي.

من كتبه:

- كتاب البلدان، حققه جوينبول، ليدن ١٨٦٠.

- تاريخ ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، ويعرف
بالتاريخ اليعقوبي، تحقيق هوتسما في جزأين، ليدن ١٨٨٣.

٢- أعلام الغربيين.

فهرس أعلام الغربيين:

- *Ahlward, W.* فيلهلم ألفارد (اللورد): ص ١٢٢.
- *Almkvist, H.* المكفست: ص ٤١، ١٢٢.
- *Aristotalis* أرسطو: ص ٤٤.
- *Arnold, T. W.* أرنولد: ص ١٤٩.
- *Asin Palacios, M.* أسين بالاثيوس: ٢٢١، ٢٢٤.
- *Bacher, Wilhelm* باخر: ص ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤٢، ٤٦، ١٠٦،
١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٨٧، ١٩٦، ١٩٧،
٢٠٧، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٥٧،
٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٦.
- *Basset, René* رينيه باسيه: ص ٣، ١٦٩، ١٧٠.
- *Becker, Carl Heinrich* بيكر، كارل هينريش: ص ٧٩، ١٠٢،
١٤٩، ١٥١، ١٨٠، ٣١٠، ٣١٧.
- *Bergsträsser, G.* برجشتراسر: ص ٢٨٧.
- *Bevan, A. A.* بيفان: ص ١٥٠، ١٩٦، ٢١٩.
- *Bezold, Carl* بيتسولد: ص ٢٤٩، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٤٧.
- *Brockelmann, C.* كارل بروكلمان: ص ٢٩، ٤٠-٤٣، ٤٦،
٥٧، ٦٠، ٦٧، ٧٧، ٩٠، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦،
٢٢٤، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٨.
- *Browne, E. G.* براون: ص ٢٢٨، ٢٥٧، ٣٠٩، ٣٢٢.
- *Buhl, Frants* فراتس بول: ص ٦٩.

- *Caetani, Leone* کایتاني: ص ۲۹، ۶۹، ۲۷۳.
- *Carra de Vaux* کارا دي فو: ص ۲۰۲.
- *Casanova, P.* کازانوفا: ص ۳۳، ۲۷۴.
- *Delitzsch* ديلتش، فرانس: ص ۴۵.
- *Derenbourg, J.* جوزيف ديرنبورج: ص ۹۵.
- *Dozy, W. Reinhart* دوزي: ص ۴۸، ۵۰.
- *Ewald, H.* ايفالد: ص ۲۷.
- *Fischer, August* اوجست فيشر: ص ۵۲۱.
- *Fleischer, H. L.* هينريش فلايشر: ص ۳۹، ۴۱، ۴۴.
- *Geiger, Abraham* ابراهام جيگر: ص ۲۹.
- *Gesenius* جيزينيوس: ص ۲۵.
- *Geyer, Rudolf* رودلف جاير: ص ۱۲۵، ۱۵۱، ۱۵۲، ۲۹۴.
- *Glaser, E.* اڤوارد جلازر: ص ۱۲۳، ۱۵۱، ۱۵۲، ۱۹۵، ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۶۱.
- *Goeje, M. de* دي خويه: ص ۴۸، ۴۹، ۵۰، ۹۴، ۱۱۲، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۸۶، ۲۰۳، ۲۰۸، ۲۱۹، ۲۲۴، ۲۲۷، ۲۳۵، ۲۵۰، ۲۵۳، ۲۶۱، ۲۶۳، ۲۷۴، ۳۰۵.
- *Guidi, Ignazio* اڤناتسيو جويدي: ص ۱۱۶.
- *Guyard, Stainlaus Guyar* جويار: ص ۹۴، ۱۰۸.
- *Haarbrücker, Th.* نيودور هاربريکر: ص ۳۷.
- *Hammer-Purgstall* همر بورجشتل: ص ۳۷.
- *Hatala, P.* الاب بيتر هاتالا: ص ۱۲.
- *Hegel, Georg Wilhelm* هيگل: ص ۳۹.

- Hommel, Fr. فریتز هومیل: ص ۱۵۲، ۱۹۵، ۱۸۰، ۱۸۲، ۲۶۰، ۲۶۱.
- Houtsma, Martin Theodor هوتسما: ص ۴۹.
- Jahn, G. جوستاف یان: ص ۳۹.
- Kant, I. کانت، ایمانول: ص ۴۴.
- Kaufmann, D. دافید کوفمان: ص ۱۲.
- Kraft کرافت: ص ۴۸.
- Kremer, A. von البارون فون کریمر: ص ۲۱۷، ۲۲۱، ۲۳۸، ۳۰۰.
- Krel, Ludolf کریل: ص ۴۱.
- Land, J. P. N. لاند: ص ۴۸.
- Landberg, Carlo لندبرج: ص ۶۳، ۱۰۴، ۱۱۳، ۱۱۸، ۱۲۲، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۴۳، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۵، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۸۱، ۱۸۲، ۱۸۶، ۱۸۹، ۱۹۲، ۱۹۳، ۱۹۶.
- Mendelson, Moses موسی مندلسون: ص ۳۷.
- Müller, August اوجست میلر: ص ۹۵، ۱۰۴، ۱۱۴، ۱۱۶، ۱۱۸، ۱۲۳، ۱۲۵، ۱۲۶.
- Müller, D. H. دافید هنریخ میلر: ص ۵۱، ۹۵، ۱۰۵، ۱۱۲، ۱۱۳، ۱۹۳، ۲۰۳.
- Müller, Max ماکس میلر: ص ۲۷، ۸۶.
- Nöldeke, Th. نولدکه: ص ۱۵۴، ۱۵۷، ۱۸۵، ۱۹۳، ۱۹۷، ۲۰۳، ۲۰۸، ۲۰۹، ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۴، ۲۳۰، ۲۳۵، ۲۴۴، ۲۴۹، ۲۵۰، ۲۶۸، ۲۷۱، ۳۰۷.

- Orelli, K. Von أورللي: ص ٤١، ٢٦١.
- Platon أفلاطون: ص ١٤٦، ١٨٠.
- Pollak بولاك: ص ١٣٦، ٢٥٣، ٢٦٠.
- Renan, E. رينان: ص ٦٨، ١٠٨، ١٥٣، ١٦٢، ١٦٥، ١٩٩.
- Ritterhausen, H. W. ريترهاوزن: ص ٤٩.
- Rödiger, E. إميل ريدجر: ص ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١.
- Rosen, Baron V. R. روزن: ص ٤١، ٤٤، ١١٢، ١١٣، ٢٠٧، ٢١٩.
- Sachau, Ed. زخاو: ص ٥١.
- Schopenhauer شوپنهاور، أرثر: ص ٤٤، ١٢٧.
- Simon, J. سيمون: ص ٥٣، ١٠١، ١٦١، ١٨٧، ٢١٠، ٢٢٨.
- Smith, W. R. روبرتس سميث: ص ٩٥، ٢١٧، ٢٣١.
- Snouck Hurgronje, Ch. سنوك هورجروني: ص ٥٦، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠٤، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ٢٠٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٤، ٣٠٧، ٣١٣.
- Socin, A. سوسين: ص ٩٥، ١٩٦.
- Spinoza, Baruch سبينوزا: ص ٢٢.
- Steinschneider شتاين شنيدر: ص ٣٨.
- Stern, Dr. Ludwig دكتور لودفيج شترن: ص ٦٦، ٧٧.
- Thorbecke, H. ثوربيك: ص ٩٥.

- Vambéry, A. آمن فامبيري: ص ٢٥-٢٩، ٣٢، ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٥٤-٥٦، ٧٢، ٧٨، ٩٤، ١٠٥، ١١٢، ١٢٩، ١٦٩، ١٧١، ١٨٧، ٢١٥-٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٨٥، ١٨٦.
- Van Dyk, E. فان دايك: ص ٥٦، ٢١٦.
- Wellhausen يوليوس فيلهاوزن: ص ٨، ٩، ١٧٧، ٣٠٦.
- Wetzstein, Johann Gottfried فيتزشتاين: ص ٦١.
- Wolf, M. موسى فولف: ص ١٦.

التعريف بأعلام الغربيين:

Ahlward, W. فيلهلم ألفارد (اللورد) (١٨٣٨ - ١٩٠٩):

ابن اللورد البروسي، ولد في جرايفسفالد، وتعلم العربية، ورحل إلى عواصم الاستشراق؛ لنسخ مخطوطاتها، وعمل على تحقيقها وشرحها والتعليق عليها. ووضع فهرس مكتبة برلين.

آثاره:

- نشر ديوان طهمان الكلاي (اليدن ١٨٥٨).
- نشر الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي (جوتجن ١٨٦٠).
- نشر ديوان أبي نواس على مخطوطتي برلين وفيينا (جرايفسفالد ١٨٦١).
- نشر فتح البلدان للبلاذري في ثلاثة أجزاء بمعاونة دي خويه (جرايفسفالد ١٨٦٣ - ١٨٦٨).

- نشر العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين، مع مقدمة إنجليزية (لندن ١٨٧٠، باريس ١٩٠٢).

- نشر الجزء الحادي عشر من أنساب الأشراف للبلاذري، (جرايفسالد ١٨٨٣).

- وضع فهرست المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية، في عشرة أجزاء كبيرة، وصف فيها ما يربو على عشرة آلاف مخطوطة (برلين ١٨٨٧-١٨٩٩).

- نشر مجموعة أشعار للعرب في ثلاثة أجزاء ونيول تفسير وفهارس (برلين ١٩٠٢).

H. Almkvist المكفست (١٨٣٩-١٩٠٤):

تلميذ فليشر. عين أستاذًا بجامعة أوبالا، تخصص في اللغات السامية، ودرس غيرها أيضًا. زار مصر والشام والسودان.

تعلم لغة أهل بجاوة "البشارية" (يضرِبون خيامهم بين العرب والحِش)، ولغة البرابرة. جمع الكثير من المفردات بلهجاتي مصر والسوريا. من آثاره:

- نشر جزءًا من رحلة ابن بطوطة.

- كتب عن الخصائص لضمائر اللغات السامية.

- صنف ثلاثة كتب عن لغة بجاوة (١٨٨٥)، تشتمل على مفردات وفيرة (١٨٨١-١٨٨٥).

- كتب عن اللهجة العامية بمصر والشام (١٨٩٢ - ١٩٢٥).

- كتب عن البربر (١٩١١).

Aristotalis أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م)

فيلسوف يوناني تتلمذ لأفلاطون، وكان يحاضر ماشيًا فسمي وأتباعه بالمشائية. من مؤلفاته:

- "الأورجانون" عن التصورات.

- "كتاب العبارة" عن الأقوال المؤلفة من التصورات.

- "كتاب التحليلات" ومبحثه الاستدلال.

- "السماع الطبيعي" ومبحثه الموجود الطبيعي.

- "الكون والفساد".

- "السماء".

- "النفس".

- وله كتب في الأخلاق والسياسة والخطابة والشعر.

Arnold, T. W. أرنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠):

سير توماس ووكر أرنولد. قضى سنوات طويلة في الهند. كان أستاذًا للفلسفة في الكلية الأنجلو- شرقية التي أسسها سيد أحمد خان ١٨٧٥، ثم انتقل إلى الكلية الحكومية في لاهور (١٨٩٨ - ١٩٠٤)، واتصل بحركة عليكرة للتحديث الإسلامي الهندي، وصادق بشبلي النعماني أهم من يمثلها، ومن ثم تمكن من إصدار كتابه عن الدعوة الإسلامية *The Preaching of Islam* (١٨٩٦)، تناول فيه انتشار العقيدة الإسلامية بالتحليل، وذكر الأسباب

التي أدت إلى ذلك. وقد أعطاه أحمد خان وأتباعه الحافز لأن يهتم بالمعتزلة، ويحقق السير المتعلقة بذلك من كتاب "المنية والأمل" للزبيدي بن المرتضى. وبعد عودته إلى إنجلترا في المكتب الهندي (١٩٠٤ - ١٩٢٠) كتب حول موضوعات إسلامية، فاشترك في موسوعة الدين والأخلاق *Encyclopedia of Religion and Ethics* وكتب عن الخلافة. (يرجع إلى كتاب يوهان فيك "الدراسات العربية في أوروبا"، ص ٢٨٤ - ٢٨٥).

Asin Palacios, M. أسين بلاثيوس (١٨٧١ - ١٩٤٤):

تلقى العربية على ريبييرا (١٨٩١). حصل على الدكتوراه من جامعة مدريد ١٨٩٦. ونشر رسالته عن العقيدة والأخلاق والتصوف عند الغزالي (١٩٠١)، وخلف كوديرا على كرسي العربية في جامعة مدريد (١٩٠٣).

انضم إلى مجمع العلوم الأخلاقية والسياسية في مدريد. وألقى خطاباً عن ابن مرة ومذهبه (١٩١٢). وانضم إلى المجمع اللغوي في مدريد وحاضر عن المصادر الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتى (١٩١٩)، وإلى مجمع التاريخ في مدريد وحاضر عن دراسة الفصل لابن حزم (١٩٢٣)، ثم حققه فيما بعد ونشره في خمسة أجزاء. وعين رئيساً للمجمع اللغوي (١٩٤٣)، وفي مجامع علمية عديدة، منها المجمع العربي في دمشق. ومثل بلاده في معظم مؤتمرات المستشرقين.

واشتهر الأب أسين بلاسيوس بدراسة حركة التفاعل الثقافي بين المسيحية والإسلام وتخصص في الفلسفة والتصوف.

آثاره:

- العقيدة والأخلاق والتصوف لدى الغزالي (١٩٠١ - ١٩٣٤).

- مذهب ابن رشد ولاهوت توما الأكويني (تكريم كوديرا، سرقسطة ١٩٠٤).

- دراسات متنوعة عن محيي الدين بن عربي.

- دراسة عن ابن مسرة ومدرسته وأصول الفلسفة الأندلسية (مدريد ١٩١٤).

- نشر كتاب المدخل إلى صناعة المنطق لابن طملوس، الجزء الأول، وكتاب المقولات وكتاب العبادة، متناً وترجمة إسبانية (مدريد ١٩١٦).

- ترجم إلى الإسبانية كتاب الأخلاق والسلوك لابن حزم (مدريد ١٩١٦).

- صنف كتاباً عن ابن حزم (مدريد ١٩٢٤). ونشر له الفصل في الملل والنحل متناً وترجمة أسبانية مع تحليل الأفكار الدينية ونقدها في خمسة أجزاء (مدريد ١٩٢٧ - ١٩٣٢).

Bacher, Wilhelm باخر (١٨٥٠ - ١٩١٣):

تعلم في جامعة بودابست، والمعهد اليهودي في برسلاو، وتخرج من جامعة ليبزج. عين أستاذاً للغات السامية في جامعة بودابست، وفي المعهد اليهودي (١٨٧٧)، وأصبح مديراً للمعهد، وعنى بدراسة العلوم اليهودية والأدب العربي اليهودي،

من آثاره:

- موسى بن ميمون في جزأين (ليبزج ١٩٠٨ - ١٩١٤).

- التطور التاريخي للغات السامية (١٩٠٩).

- المستعمرات اليهودية في البلاد العربية (الفصول اليهودية ١٩٠٥).

Basset, René رينيه باسيه (١٨٥٥ - ١٩٢٤):

عين عام ١٨٨٢ بمدرسة الدراسات العليا بالجزائر ثم أصبح مديراً لها. قام برحلات عديدة في شمال إفريقيا، ودرس لغة البربر.

من آثاره:

- دراسات عدة بالمجلة الإفريقية، ومجلة المراسلات الإفريقية، ومكتبة الآثار الإفريقية، ووصف شمال إفريقيا.

- مجموعة من المذكرات والنصوص صدرت بتوصية من مؤتمر المستشرقين الدولي السادس عشر بالجزائر.

Becker, Carl Heinrich بيكر، كارل هينريش (١٨٧٦ - ١٩٣٣):

تعلم الآشوريات على بتسولد *Bezold*، وبارت *Barth*. وتأثر بمؤلفات فلهاوزن وجولدتسيهر، وسنوك هورجرونية عن الإسلام، وتعرف مشكلات الإسلام في العصر الحديث من قراءة بحوث هارتمان *Hartmann*.

- شغل كرسي تاريخ الشرق وحضارته بجامعة هامبورج بعد أن درس على بتسولد وبارت الآشوريات، ثم اتجه إلى بحث الإسلام بعد قراءته مؤلفات فيلهاوزن، وجولدتسيهر وسنوك ومورجرونية.

- باشر دراساته عن تاريخ الإدارة والاقتصاد بمناهج النزعة التاريخية النقدية.

- أسس معهداً لتاريخ الشرق وحضارته في هامبورج.

- أحيا في عام ١٩١٠ مجلة "الإسلام" Der Islam، وهي مجلة متخصصة في الإسلام.

- زار فرنسا عام ١٩٠٠ حيث أقيم المعرض الدولي في باريس.

- وارتحل إلى إسبانيا؛ حيث بدأت دراساته في المشرقيات، واشتغل بمكتبة الإسكوريال بالمخطوطات العربية.

- زار القاهرة مرتين وتعلم العربية على أستاذ مصري. وقام برحلة طويلة بالصعيد، واصلها حتى الخرطوم وأم درمان (إبريل ١٩٠١). والزيرة الثانية في ديسمبر ١٩٠١ عرف فيها بعض الشخصيات المصرية مثل الإمام محمد عبده.

من آثاره:

- نشر مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي مع مقدمة ألمانية (ليبزج ١٨٩٩).

- مصر في عهد الإسلام (ستراسبورج ١٩٠٣).

- مجموعة بحوث في الإسلام بالألمانية (١٩١٦ - ١٩١٨).

Bergsträsser, G برجشتراسر (١٨٨٦ - ١٩٣٣):

التحق بجامعة ليبزج (١٩٠٤) حيث درس الفلسفة، واللغات السامية على أوجست فيشر، ونال الدكتوراه عام ١٩١١، وشهادة الأستاذية في اللغات السامية والعلوم الإسلامية ١٩١٢.

رحل إلى تركيا وفلسطين ودرس لهجاتها العامية، ومرت بمصر في طريق عودته إلى ألمانيا. وفي أوائل الحرب الكبرى انتدب للتدريس في

جامعة الأستانة. ثم درس اللغات السامية والعلوم الإسلامية في جامعات
كونجسبرج وبرسلاو، وهایدلبرج، وميونخ. وتولى تحرير المجلة الألمانية
للدراسات السامية.

قدم إلى مصر أستاذًا زائرًا وألقى في جامعتها (١٩٣١-١٩٣٢)
سلسلة محاضرات في تطور نحو اللغة العربية، ومحاضرات في قواعد نشر
النصوص العربية (نشرها د. حمدي البكري ودكتور خليل عساكر. وهما من
تلاميذه الذين ألفت عليهم هذه المحاضرات). وفي القاهرة استمع إلى القرآن
الكريم من مقرئ مشهور فذهب إليه، ودون أنغامه بالنوتة.

وكان مولعًا بتسليق جبال الألب، وقد سقط عن أحد جباله سقطة أودت
بحياته.

من آثاره:

- حروف النفي في القرآن، رسالة الدكتوراه.
- ما لم ينشر من الترجمات العربية لأبقراط وجالينوس (البيزج
١٩١٣).
- حنين بن إسحق وتلاميذه وترجماتهم للكتب من اليونانية إلى العربية
(البيزج ١٩١٤).
- كتاب الأسابيع لأبقراط (١٩١٤).
- اللهجات العربية العامية في سوريا وفلسطين (الجمعية الألمانية
للدراسات الفلسطينية ١٩١٥).
- نصوص باللهجة الآرامية الحديثة للمعلولا ١٩١٥، ومعجم تلك
اللهجة (١٩٢١).

- راجع كتاب قواعد اللغة العبرية لجيزنيوس في طبعته التاسعة والعشرين (١٩١٨-١٩٢٩).

- رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى متنا وترجمة ألمانية (ليبزج ١٩٢٥).

Bevan, A. A. بيفان (١٨٥٩-١٩٣٣):

تلقى العلم في لوزان، وعلى نولده في ستراسبورج، وحصل على درجة الليسانس في دراسات اللغات السامية في كمبردج ١٨٨٧. وكان قد نال منحة دراسية في العبري، وظفر بجائزتها (١٨٨٢).

عين محاضراً للغات الشرقية في كلية ترينيتي (١٨٩٠)، واختير أستاذاً للغة العربية في كمبردج (١٨٩٣-١٩٣٣).

من آثاره:

- نشر نقائض جرير والفرزدق في ثلاثة مجلدات (ليندن ١٩٠٥-١٩١٢).

- وضع فهرس الأمالي لأبي علي القالي، بمعاونة كرنكوف (لندن ١٩١٣).

- وضع فهرس المفضليات التي نشرها لایل سنة ١٩٢٤.

Bezold, Carl بيتسولد (١٨٥٩-١٩٢٢):

تعلم في جامعات ميونخ، وليبزج، وستراسبورج، ونال شهادة الليسانس من ميونخ ١٨٨٣. وذهب إلى لندن لتصنيف تقويم الألواح المسمارية في المتحف البريطاني (١٨٨٨-١٨٩٤). ورجع إلى ألمانيا ليشغل وظيفة أستاذ لفقه اللغات الشرقية بجامعة هايدلبرج، ويصبح مديراً لمعهدا الشرقى ١٨٩٤. وأسس المجلة الآشورية.

من آثاره:

- عهد آدم - تاريخ ملوك الحبشة - كهف الكنده (١٨٨٣ - ١٨٨٨).
- تقويم الألواح المسمارية لمكتبة آشور بنينبال في المتحف البريطاني، في خمسة مجلدات.
- الدبلوماسية الشرقية في الخطوط المسمارية والأواح مصر، واكتشافات تل العمارنة (١٨٩٣).
- دراسات في فقه اللغات السامية في ألمانيا (١٩١٦).
- *Brockelmann, C.* كارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦):

ولد في روستك. ودرس على نولنكه وغيره، وعرف بإتقانه لفقه العربية، وقدرته على قراءتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة، وبمعرفته بتاريخ الأدب العربي.

عين أستاذًا للغة العربية في جامعات: برسلاو (١٨٩٣ - ١٩٠٣)، كونسبرج (١٩٠٣ - ١٩٠٩)، هاللي (١٩٠٩ - ١٩٢٠)، برلين (١٩٢٠ - ١٩٢١)، برسلاو (١٩٢١ - ١٩٣٧)، هاللي (١٩٣٧ - ١٩٤٧).

انتخب عضوًا في مجامع برلين، وليبزيغ، وبودابست، وبون، ودمشق.

من آثاره:

- تاريخ الآداب العربية في مجلدين (فايمر ١٨٩٨ - ١٩٠٢)، وأكملها بثلاثة أجزاء (لين ١٩٣٧ - ١٩٤٢).
- تاريخ الشعوب والدول الإسلامية في خمسة أجزاء (ميونخ، برلين ١٩٣٩).

- ديوان لبېد تحقيقا وترجمة ألمانية، ومزودًا بالحواشي (البدن
١٨٩١).

- عيون الأخبار لابن قتيبة، في أربعة أجزاء (١٩٠٠-١٩٠٨).
Browne, E. G. براون (١٨٦٢-١٩٢٦):

إدوارد جرانفيل براون. درس الطب في كلية بمبروك في كمبردج
(١٨٧٩)، ودرس العربية على بالمر، وتعلم الفارسية أثناء العطلات
الدراسية.

قصد الأستاذة ١٨٨٢ بعد حصوله على شهادة الطب، وعندما عاد إلى
كمبردج درس اللغات الشرقية، وحصل على مرتبة الشرف في اللغات الهندية
(١٩٨٤).

وزاول الطب في كمبردج وإيران إلى (١٨٨٧-١٨٨٨)، وعند عودته
عين محاضرًا للغة الفارسية في كمبردج، ثم خلف ريو في كرسي العربية
حتى وفاته (١٩٠٢-١٩٢٦).
من آثاره:

- مقالات في التاريخ الفكري والأدبي، أربعة مجلدات (١٩٠٢-
١٩٢٤).

- نشر مختارات من قصائد ديوان "شمس تبريز" لجلال الدين الرومي
مع ترجمة إنجليزية وتعليقات.

- نشر ديوان ابن عربي "ترجمان الأسواق".

- "تذكرة الأولياء" لفريد الدين العطار (١٩٠٥-١٩٠٧).

- كتبت مجلة العالم الإسلامي تحت عنوان: ثلاثة أساتذة في الدراسات الإسلامية مارت هارتمان، وسنوك هرجرونييه، وإدوارد براون (١٩١٠).

Buhl, Frants فرائس بول (١٨٥٠ - ١٩٣٢):

خلف ميرن *Mehren* على كرسي الدراسات السامية في كوبنهاجن، بعد أن درّس العهد القديم بكلّيات اللاهوت بكوبنهاجن (١٨٧٨ - ١٨٩٠)، وليبيزج (١٨٩٠ - ١٨٩٧) خلفاً لـ *Delitzsch*. ودرس العربية على ميرن، وفلايشر.

من آثاره:

حياة محمد *Muhammad's live* (١٩٠٣)، ثم أعاد طباعته باللغة الألمانية *Das Leben Muhammads*.

Caetani, Leone كاييتاني (١٨٦٩ - ١٩٢٦):

مستشرق إيطالي، ولد في روما، ودرس سبع لغات شرقية منها الفارسية والعربية. كان سفيراً لإيطاليا بواشنطن. ورحل إلى الهند وزار مصر وسوريا ولبنان وإيران.

من آثاره:

- انتشار الإسلام وتطور الحضارة (بولونيا ١٩١٢).

- سيرة الرسول (ميلانو ١٩١٤).

- تاريخ الإسلام من العام الأول الهجري إلى عام ٩٢٢هـ -
(١٥١٧م).

Carra de Vaux كارآ دي فو (ت ١٨٦٧):

مستشرق فرنسي، من آثاره:

- كتب عن الغزالي سنة ١٩٠٢.

- كتب عن ابن سينا ١٩١٠ (نشر في خمسة مجلدات ١٩٢٦-١٩٢٧).

- كتب عن الإسلام: العبقريّة السامية والعبقريّة الآرية ١٨٩٩:

Le Mohamétisme le genie semitique et le genie aryen, 1899.

Casanova, P. كزانوفا (ت ١٩٢٦):

مستشرق فرنسي. تعلم العربية في معهد فرنسا ١٩٢٠، وانتدبته مصر ليدريس بالجامعة المصرية فقه اللغة العربية.
من آثاره:

- ضمن مشورات المعهد الفرنسي بالقاهرة.

- كرة سماوية (٦٨٤هـ / ١٦٨٨م).

- أواخر الفاطميين (١٨٨٩).

- تاريخ ووصف قلعة القاهرة ١٨٩٤.

- ترجمة كتاب الخطط للمقرئزي، وتحقيقه.

Delitzsch ديلتش، فرانس (١٨١٣ - ١٨٩٠):

من تلاميذ فلايشر. درس اللغات السامية على فلايشر، ودرّسها في برلين وليبزيغ. ورحل إلى دجلة والفرات.

اشتهر بمصنفاته عن الآثار البالية. وشرح الأسفار المقدسة العبرية والأرامية.

من آثاره:

- الشعر العربي اليهودي (ليبزج ١٨٧٤).
- أصول اللغة الآشورية (برلين ١٩٠٦).
- العلوم الآشورية (ليبزج ١٩١٤).
- ساعد في نشر ٢٥ مجلدًا للمكتبة الآشورية (ليبزج ١٩٢٠).

Derenbourg, J. جوزيف ديرنبورج (١٨١١-١٨٩٥):

تخرج على فرايتاج، وقصد باريس، وعين مصححًا في المطبعة الوطنية (١٨٥٢-١٨٧٧)، وعنى بالتلمود عناية شديدة، وأصبح من كبار علماء العبرية والعربية.

من آثاره:

- أمثال لقمان، حققه اعتمادًا على عدة نسخ (ليبزج ١٨٥٠).
- رسائل لابن جني (باريس ١٨٥٠) بمعاونة ابنه.
- كتاب اللمع لابن جني (١٨٨٦).
- كتاب "ليس" لابن خالويه (١٨٩٤).

Dozy, W. Reinhart دوزي (١٨٢٠-١٨٨٣):

مستشرق فرنسي درس في جامعة ليدن، ودرس على أستاذه فايجر (١٨٠٥-١٨٤٤) *Weiger, Hendrik Engelin*، وتعمق في دراسة الشعر الجاهلي. ودرس تاريخ إسبانيا تحت حكم المغاربة.

رحل إلى ألمانيا عام ١٨٤٥؛ حيث عثر على الجزء الثالث من كتاب
الذخيرة لابن بستم فاستأن في حمله إلى ليدن.

تعرف بفلايشر. وفي عام ١٨٤٦ قصد إنجلترا فنسخ الجزء الثاني
من الذخيرة وغيرها. وهو أول من درس الأندلسيات. وعين أستاذًا للعربية
بجامعة ليدن (١٨٥٠-١٨٧٨).

من آثاره:

- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان نقلًا عن المصادر العربية.
- المعجب في تلخيص أخبار الغرب لعبد الواحد المراكشي مع مقدمة
بالإنجليزية (ليدن ١٨٤٧-١٨٨١).
- البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذاري المراكشي، مع
مقتطفات من تاريخ عريب بن سعيد الكاتب في جزأين (اعتمادًا على
مخطوطة بالأسكوريال/ ليدن ١٨٤٨-١٨٥١).
- تاريخ المسلمين في إسبانيا إلى فتح المرابطين لها في أربعة أجزاء
(ليدن ١٨٤٩-١٨٦١).

Ewald, H. إيفالد (١٨٠٣-١٨٧٥):

درس اللغات الشرقية بألمانيا، وذهب إلى فرنسا للدراسة على دي
ساسى مع فلايشر، ولما رجع عين أستاذًا للغات الشرقية في جوتنجن،
فوجهها وجهة تاريخ العرب وآدابهم وأديانهم. ومن تلاميذه فيلهاوزن.

آثاره:

- العروض العربية (براونشفيج ١٨٢٥).

- فتوح أرمينيا وبلاد ما بين النهرين للواقدي، متناً وترجمة (جوتجن ١٨٢٧).

- قواعد اللغة العربية بالألمانية في مجلدين (ليبزج ١٨٣١-١٨٣٣).

Fischer, August أوجست فيشر (١٨٦٥-١٩٤٩):

درس اللغات الشرقية على توربكه، وخلف سوسين عليها في ليبزج (١٨٦٩-١٩١٢). وتلمذ له: شاده، وجراف، وبرجشتراسر.

عنى بفقه اللغة أساساً؛ لدراسة النصوص وتحقيقها. وتناول أصول اللغة، وفن المعجمات، والشعر القديم، ولهجات الشعوب.

أنشأ مجلة الساميات في ليبزج (١٩٣٢). وانتخب عضواً في المجمع العلمي بدمشق، والمجمع اللغوي بمصر.

آثاره:

- كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري (ليبزج ١٨٩٦).

- مخارج الأصوات اللغوية في اللهجات العربية (ليبزج ١٩٣٧).

- نشر "زمام الغناء المطرب من النغم السائر في أقاصي المغرب" متناً وترجمة (ليبزج ١٩١٨).

- ألف ليلة وليلة (ليبزج ١٩١٨).

- القرآن لأبي العلاء (ليبزج).

- تذكرة الحفاظ للذهبي.

- معجم اللغة العربية القديمة مرتباً على المصادر. أصدر منه كراسة الجزء الأول مبتدأ بحرف الكاف.

Fleischer, H. L. هينريش فلايشر (١٨٠١ - ١٨٨٨):

تخرج في جامعة ليبزج، ورحل إلى باريس، ودرس على دي ساسي، وتعلم على برسفال العربية الفصحى والفارسية والتركية. وبعد عودته إلى ألمانيا، عين أستاذ اللغات الشرقية في جامعة درسدن ١٨٢٦. وأسس الجمعية الشرقية الألمانية في هاللي ١٨٤٥ *DMG* التي أصدرت مجلة باسمها *ZDMG*.

من آثاره:

- صوب ما كتبه دي ساسي عن قواعد اللغة العربية.
- نشر القسم الخاص بالجاهلية من تاريخ أبي الفداء، متناً وترجمة لاتينية، وعلق عليها بالحواشي (ليبزج ١٧٣١).
- حقق المفصل وأطباق الذهب للزمخشري (١٨٣٨).
- Geiger, Abraham** أبراهام جيجر (١٨١٠ - ١٨٧٤):

حبر يهودي ألماني حاول بالدراسة المشابهة بين القرآن وبين الكتب المقدسة عند اليهود. من آثاره:

Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen.

ويعد هذا الكتاب أول كتاب في موضوعه كتبه الباحثون الأوربيون المحدثون، وتتوالى الكتابة في هذا الموضوع عند اليهود الأوربيين بشكل متواصل حتى اليوم، ومن أبرز من كتبوا في هذا الاتجاه نذكر: جولدتسيهر - هرشفيلد - هوروفتش - اشباير - سيدرسكي.

وكما أقر هؤلاء أنفسهم فإن كتاب جيجر حافل بالأخطاء، وبالأراء المتحيزة غير القائمة على أسانيد وثيقة، وفيه نزعة مغالية إلى تلمس أشباه

ونظائر بين المثنويين والقرآن على أسس واهية وعبارات شكلية، وبالجمله فلم تعد لكتاب جيجر هذا أي قيمة علمية اليوم.

Gesenius جيزينيوس (١٧٨٦ - ١٨٤٢):

حجة في اللغة العبرية، فنشر نصوصًا منها (١٨٣٧)، وله دراسات عن السريانية والكنعانية والفينيقية والحميرية والسامرية.
من آثاره:

- معجم المفردات العبرية بالكتاب المقدس.

- كتاب عن حضرموت مشاركة مع ريديجر الأب.

Geyer, Rudolf رودلف جاير (١٨٦١ - ١٩٢٩):

مستشرق نمساوي من تلاميذ دافيد هاينريش ميللر *Müller, David*

Heinrich، من آثاره:

- أصدر دراسة معجمية لكتاب الأصمعي "الوحش".

- ثم عمل في مجال الشعر العربي. فحاول إعادة بناء قصائد أوس بن حجر من استشهادات سنة ١٨٩٢؛ لوضع البحث وطبيعة الموضوع، بعد أن جمع مجموعة من المصادر المخطوطة والمطبوعة.

- أضاف بعض الملحوظات على طبعة ألفارت *Ahlwardt* لمجموعة أشعار العرب في *Altarabische Dilamben* (أراجيز العجاج، ديوان رؤبة، الأصمعيات).

- بحوث في ديوان رؤبة.

- قصيدتان للأعشى ثم طبع الديوان كله.

Glaser, E. إدوارد جلازر (١٨٥٥ - ١٩٠٨):

تخرج من جامعة فيينا. وعين أستاذًا للغة العربية بها، ومشرقًا على المرصد القيصري.

اشتهر بارنياد بلاد العرب وشمال إفريقيا من قبل مجمع الكتابات والآداب، والتتقيب عن آثار اليمن في رحلاته العلمية (١٨٨٢ - ١٨٨٨) أسفرت عن ١٠٣٢ كتابة قديمة منقوشة على الأحجار باعها للمتحف البريطاني ومتحف فيينا، واقتناء ٢٥٠ مخطوطاً من مؤلفات الزيديين وضعت في مكتبة فيينا الوطنية.

من آثاره:

- نشر كتابات حميرية قديمة كشف بها عن ملوك التباينة وملوك الحبشة الذين استولوا على اليمن بعد نكبة نجران (المجلة الأسبوعية الفرنسية، الصحيفة المشرقية لفيينا)، ونقوش صنعاء (برلين ١٨٩٣).

Goeje, M. de دي خويه (١٨٣٦ - ١٩٠٩):

تخرج في جامعة ليدن بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الآداب والفلسفة. تتلمذ على دوزي *Dozy*. اشتهر بمعرفته باللغة العربية. وقصد أكسفورد حيث أتم دراسته، واكتشف مخطوطة تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري، وأخطر جمعية المستشرقين الألمان بذلك *DMG*. ونسخ مخطوطة قديمة من أساس البلاغة للزمخشري بمعاونة أستاذه دوزي. ونسخ المسالك والممالك لابن حوقل، وقسمًا من نزهة المشتاق في وصف إفريقيا والأندلس لابن حوقل. ونشر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (من أقدم المخطوطات العربية في أوروبا إذ يعود إلى عام ٣٥٢هـ).

عندما رجع إلى هولندا عين مترجمًا للغات الشرقية، ثم عين أستاذًا
للعربية بجامعة ليدن.

من آثاره:

- وفيات الأعيان لابن خلكان (ليدن ١٨٤٠).
- تهذيب الأسماء للنووي (ليدن ١٨٤٧).
- طبقات الحفاظ للذهبي (ليدن ١٨٤٧).
- البيان والإعراب مما في أرض مصر من الأعراب للمقريزي (ليدن ١٨٤٧).
- عجائب المخلوقات للقزويني (جوتنجن ١٨٤٩).
- فتوح البلدان الصغير للبلاذري بمعاونة ألفارت *Ahwardt* في ثلاثة أجزاء (ليدن ١٨٦١ - ١٨٧٠) (جرايفسالد ١٨٦٣ - ١٨٦٨).
- سيرة الرسول لابن هشام متنا وترجمة لاتينية بمعاونة دي يونج (ليدن ١٨٦٥)^(١).

Guidi, Ignazio إجناتسيو جويدي (١٨٤٤ - ١٩٣٥):

مستشرق إيطالي. تعلم العربية في جامعة روما وقارنها باللغات السامية، ودرس تاريخ الحبشة ولغاتها حتى انتدبته الجامعة المصرية أستاذًا للأدب العربي جغرافيًا وتاريخيًا (١٨٠٨).
عين عضوًا بمجلس الأعيان بروما، وعُيِّن شيخ المستشرقين في اللغات السامية، ولا سيما السريانية والحبشية والأمهرية.

(١) يرجى الرجوع إلى آثاره الكاملة لدى نجيب العقيلي، المستشرقون، ج٢، ص ٦٦٣-٦٦٦.

من آثاره:

- دراسة نص كليلة ودمنة (روما ١٨٧٣).
 - نشر قصيدة "بانة سعاد" لكعب بن زهير بشرح جمال الدين بن هشام (ليبزج ١٨٧١ - ١٨٧٤).
 - كتب دراسة عن علاقة النحو العربي بمنطق أرسطو.
 - عاون في نشر الطبري (لين ١٨٧٦ - ١٩٠١).
 - نشر الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني (١٨٨٨).
 - نشر كتاب الاستدراك على سيبويه لأبي بكر الزبيدي (روما ١٨٩٠).
 - نشر كتاب الأفعال لابن القوطية (لين ١٨٩٤).
 - عاون في تصنيف فهرست كتاب الأغاني (لين ١٨٩٥ - ١٩٠٠).
 - محاضرات أدبيات الجغرافيا والتواريخ واللغة عند العربي (الجامعة المصرية ١٩٠١).
 - لغة الحبشة وآدابها (باريس ١٩٠٨).
 - *Guyard, Stainlaus Guyar* جويار (١٨٢٤ - ١٨٨٤):
درس العربية والفارسية بمعهد فرنسا، وفي مدرسة الدراسات العليا،
وعنى بالسكريتية والآشورية.
- من آثاره:

- بحث في صلاح الدين (باريس ١٨٧٠).

- ترجمة فتوى ابن تيمية في النصيرية (١٨٧٢).
- ترجمة رسالة في القضاء والقدر للسمرقندي (١٨٧٣)، نشرت بالمتن العربي (١٨٧٩).
- نصوص في مذهب الاسماعيلية، متناً وترجمة مع حواشٍ (١٨٧٤).
- *Haarbrücker, Th.* تيودور هاربريكر (١٨١٥ - ١٨٨٠):
- تخرج من جامعة هاللي، وعمل مدرساً. وقال عنه فيك *Fück*: "قدم ترجمة بها عيوب إلى حدّ ما، ولكن لم تحل مكانها ترجمة أخرى لكتاب الشهرستاني في الملل والنحل".
- من آثاره:
- نشر بالعربية تفاسير الأنبياء لنحوم بن يوسف الأورشليمي، وهي رسالة الدكتوراه (هاللي ١٨٤٢)، وترجمها إلى اللاتينية (١٨٤٤).
- سفر يشوع بن نون - أسفار الملوك الأربعة (برلين ١٨٦٢).
- ترجم إلى الألمانية كتاب الملل والنحل للشهرستاني في جزأين (١٨٥٠ - ١٨٥١).
- إرشاد القاصد لابن ساعد الأنصاري الأصفهاني (برلين ١٨٥٩).
- *Hammer-Purgstall* همر بورجشتل (١٧٧٤ - ١٨٥٦):
- تخرج من مدرسة اللغات الشرقية. وتكلم العربية والفارسية والتركية قبل أن يبلغ العشرين. وأوفدته حكومته إلى الأستانة (١٧٩٧) مترجماً، فأرسله السفير بنين إلى إيران لتحقيق كنز اللغات الشرقية (وهو المعجم العربي التركي الفارسي) بترجمة لاتينية فرنسية ألمانية بولونية.

عمل قنصلًا ومستشارًا في باريس (١٨١٠)، ومستشارًا للحكومة (١٨١٥)، ومستشارًا للإمبراطور فرانز الأول، فمنحه لقب بارون (١٨٣٥)، وأصبح عضوًا بمجلس الشورى.

تنقل في أوروبا بحثًا عن المخطوطات الشرقية، وطوّف بمصر وفلسطين وسوريا ولبنان وإيران.

قاوم الفرنسيين عندما استصفوا من المكتبة الوطنية- بعد استيلائهم على النمسا- ثلاثة مخطوطات، واستعاد منها مائة، ثم مائة أخرى بمعاونة دي ساسي.

من آثاره:

- تاريخ الشرق وآدابه.

- تاريخ الغساسنة (١٨١٦-١٨٢١).

- ترجم مقدمة ابن خلدون عن التركية إلى الفرنسية (الكنوز الشرقية- فيينا ١٨١٨).

- سيرة عنتر بن شداد (فيينا ١٨٢٣).

- ترجم ما لم يترجم من ألف ليلة وليلة. وديوان المتنبي شعراً بالألمانية (فيينا ١٨٢٣).

- البردة للبوصيري (فيينا ١٨٢٤ - ١٨٦٠).

- أطواق الذهب للزمخشري، متناً وترجمة ألمانية (فيينا ١٨٣٥).

- أيها الولد للغزالي، متناً وترجمة ألمانية (١٨٣٨ - ١٨٣٩).

- تاريخ الأدب العربي في سبعة مجلدات (فيينا ١٨٥٠ - ١٨٥٦).

Hatala, P. الأب بيتر هاتالا (١٨٣٢ - ١٩١٨):

درس الفلسفة في جامعة بودابست، وتخرج من جامعة ليبزج، وأصبح
كاهنًا، وأُرسل إلى فلسطين ١٨٥٧.

عين أستاذًا في كلية اللاهوت بجامعة بودابست ١٨٦١، ومديرًا لها
١٨٧٣، وأستاذ اللغات السامية في كلية العلوم.

من آثاره:

- الأجرومية العربية، ضمنها فقه اللغات السامية (بودابست ١٨٧٧).

- حياة محمد وأفكاره (١٨٧٨).

Hegel, Georg Wilhelm هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١):

فيلسوف ألماني، بسط مذهبه في مؤلفات أهمها:

- علم المنطق، موسوعة العلوم الفلسفية.

- كتب في الأخلاق والجمال والتاريخ والدين.

- فلسفته مثالية مطلقة. فعنده أن للكون روحًا يتبدى في مراحل
تطورية يعينها المنطق الجدلي، ومحصلة فكره أن ما تولد نقيضها،
ومن تفاعل النقيض تنتج فكرة جديدة تؤلف بينهما، ثم تأخذ الفكرة
الجديدة المراحل الثلاث. ففكرة الوجود تولد فكرة العدم، ومن تألفهما
تنتج الصيرورة.

ودراسة الطبيعة والعقل تبين أن المنطق يكشف عن نفسه في الوجود،
وفي مراحل التاريخ. خالصًا لما يسير متطورًا من الجماد إلى النبات
فالحويان، والمجتمع يسير نحو الملكية، وهذه تستتبع القوانين، ومن علاقة

الفرد بالقوانين تنشأ مبادئ الأخلاق، حيث تتفاعل حرية الأفراد مع التزامهم،
فتنشأ فكرة الدولة التي تسمو على الأفراد، والتي يتجسد فيها المطلق.

Hommel, Fr. فريتز هوميل (١٨٥٤ - ١٩٣٦):

تعلم اللغات السامية على فلايشر، ودرّسها بجامعة ميونخ.

أهّدي كتاب لتكريمه بعنوان "الدراسات الشرقية" في جزأين (١٩١٧ -
١٩١٨).

من آثاره:

- النسخة الأثيوبية لعلم الأعضاء.
- أسماء الحيوانات ذات الثدي بين الشعوب السامية (١٨٧٩).
- الشعوب السامية ولغاتها (البيزج ١٨٨٣).
- جمهرة أشعار العرب (١٨٨٥).
- عبيد بن الأبرص (ميونخ ١٨٩٠).
- قواعد اللغة العربية الجنوبية/ مع ثبت بالمراجع والنصوص ومعجم
(ميونخ ١٨٩٣).
- دراسة عن فقه اللغات السامية (تكريم زاخاو ١٩١٥).

Houtsma, Martin Theodor هوتسما (١٨٥١ - ١٩٤٣):

درس اللغة العربية والفارسية والتركية بجامعة أوترخت، وتولى
تعليمها بالجامعة نفسها وفي جامعة ليدن. ثم اعتزل التدريس (١٩٠٧)،
وانصرف للتأليف.

كلف بإنشاء دائرة المعارف الإسلامية (١٨٩٥)، وأشرف عليها (١٩١٣-١٩٢٤). وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وفي غيره من المجمع والجمعيات.
من آثاره:

- العقيدة الإسلامية والأشعري (لیدن ١٨٧٨).
- مقصورة ابن دريد، والأضداد لابن الأنباري (لیدن ١٨٨١).
- تاريخ اليعقوبي في جزأين مع فهرس وحواش (لیدن ١٨٨٣).
- ساعد في نشر الطبري في خمسة عشر جزءاً (لیدن ١٨٧٦-١٩٠١).
- فهرست الكتب الشرقية المحفوظة في أكاديمية لیدن الجزء السادس.
- فهرست الكتب العربية والتركية الموجودة عند بريل صاحب مكتبة لیدن الجزء الثاني (لیدن ١٨٨٦-١٨٨٩).

عنى بنشر:

- كتاب الأضداد لأبي بكر الأنباري.
- زبدة النصر ونخبة العصرة لعماد الدين الكاتب الأصفهاني.

كتب عن:

- مخطوطات فهرست لابن النديم (الصحيفة الشرقية لفيينا ٤، ٢١٧).
- نشر نصوصاً عن تاريخ السلاجقة في أربعة أجزاء..

Jahn, G. جوستاف يان (١٨٣٧-١٩١٧):

تلقى اللغات الشرقية في جامعات ألمانيا على ريدر وفلايشر،
وفيستفالد، وايفالد.

آثاره:

- شرح المفصل لابن يعيش الحلبي في مجلدين (البيزج ١٩٨٢-
١٩٨٦).

- كتاب سيبويه بشرح السيرافي، متناً وترجمة ألمانية وتعليقاً، وترجمة
ديرنبورج (برلين ١٨٩٤-١٩٠٠).

Kant, I. كانت، إيمانول (١٧٢٤-١٨٠٤):

فيلسوف ألماني، ولد في كونزبرج، وتعلم في جامعتها، ثم عين بها
لتدريس المنطق والميتافيزيا.

فند مذهب الشك الذي انتهى إليه الفيلسوف هيوم *David Hume*؛ لأنه
لم يحل المعرفة الإنسانية تحليلاً واقعياً. ففي نظرية المعرفة، بعد أن كان
صواب فكرة ما، متوقفاً على كونها مطابقة لخارج ثابت، أصبح الواقع
الخارجي نفسه هو الذي يتشكل وفق ما تقتضيه مبادئ العقل ومقولاته، فإذا
كانت خبرة الحواس تأتي بالمواد الخام للمعرفة، فالعقل هو الذي يصوغها في
مكان وزمان.

وعنى أيضاً بالتربية، وقام بتدريسها، وفيها دافع عن التجريب في
المسائل التربوية، وحدد وظيفة التربية بأنها المساعدة على تنمية استعدادات
الإنسان حتى يستطيع التمتع بالحرية والوصول بعقله إلى تحقيق أغراض
وجوده.

Kaufmann, D. دافيد كوفمان (١٨٥٢ - ١٨٩٩):

تخرج من جامعة برسلاو، عين مدرساً في المعهد اليهودي في بودابست (١٨٧٧). وعنى بأصول الدين اليهودي وعلومه وتاريخه، ووقف مكتبته على مجمع العلوم.
آثاره:

- نشر سلمون بن جبيرول (بودابست ١٨٩٩).

- وخلف مجموعة آثار نشرت في ثلاثة مجلدات بعد وفاته (فرانكفورت ١٩٠٨).

Kraft كرافت (١٨١٦ - ١٨٧٤):

ولد في فيينا. درس اللغات الشرقية بمدارس الرهبان البنديين، ثم درس النقود، والنقوش والأيقونات وصنف لها فهرساً (فيينا ١٨٤٠). وفي العام التالي عين أمين مكتبة الإمبراطور، و مترجماً للغات الشرقية في المحكمة العليا، ومصححاً للمطبوعات الشرقية في المطبعة الإمبراطورية النمساوية. فوضع فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة الجمعية الشرقية بفيينا.

Kremer, A. von البارون فون كريمر (١٨٢٨ - ١٨٨٩):

مستشرق نمساوي تخرج بالجامعة النمساوية. وأرسلته دولته قنصلاً لها إلى مصر، ثم إلى بيروت (١٨٧٠). عمل بوزارة الخارجية وغيرها من الوزارات. وقد ابتاعت مكتبة المتحف البريطاني مكتبته الشرقية.
من آثاره:

- نشر الاستبصار في عجائب الأمصار (فيينا ١٨٥٢).

- المغازي للواقدي، مع مقدمة وشروح إنجليزية (كلكتا ١٨٥٥ - ١٨٥٦، وبرلين ١٨٨٨).

- الأحكام السلطانية للماوردي، والقصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميري (ليبزج ١٨٦٥).

- مقالات عن: أبي نواس ونشر شعره في الطرد بعنوان "أبو نواس، أكبر شعراء العرب" (فيينا ١٨٥٥)، وعن أبي العلاء وكتب عنه "أشعار أبي العلاء المعري (فيينا)، وترجم بعض أشعاره إلى الألمانية.

- كتب عن تاريخ الفرق في الإسلام (ليبزج ١٨٦٨).

- كتب عن تاريخ الحضارة في المشرق تحت حكم الخلفاء، في جزأين (فيينا ١٨٧٥ - ١٨٧٧) ونقله إلى العربية د. مصطفى بدر.

- كتب تاريخ العرب وعاداتهم قبل الإسلام، مستعيناً بالذاكرة الحمونية.

- كتب عن "ابن خلدون وتاريخ الحضارة بالدولة الإسلامية".

- كتب "تاريخ الفكر الإسلامي، ومفهوم الألوهية والنبوة، والدولة".

Krel, Ludolf كريل (١٨٢٥ - ١٩٠١):

تلميذ فلايشر بجامعة ليبزج.

من آثاره:

- عاون على نشر الجزأين الأولين من نفح الطيب للمقري بمقدمة فرنسية (١٨٥٥ - ١٨٦١).

- نشر من الجامع الصحيح للبخاري ثلاثة أجزاء (ليند ١٨٦٢ - ١٨٦٨).

- صنف كتاباً بعنوان "حياة محمد ودعوته" (ليبزج ١٨٨٥).

Land, J.P.N. لاند (١٨٣٤ - ١٨٩٧):

من آثاره:

- نشر معظم كتاب الموسيقى الكبير للفارابي (من أعمال مؤتمر المستشرقين السادس، ليدن ١٨٨٤). وترجم فقرات منه إلى الفرنسية وإلى الهولندية (ليدن ١٨٨٠).

- صنف كتابًا بعنوان "أبحاث في تاريخ الموسيقى العربية" (ليدن ١٨٨٤).

Landberg, Carlo لندبرج (١٨٤٨ - ١٩٢٤):

اعتنى بالدراسات السامية، وصار أحد نبلاء لاندبرج- هاليرجر من ١٨٤٨ - ١٩٢٤. كان عضو بعثة جنوب الجزيرة العربية التي أرسلتها أكاديمية فيينا سنة ١٨٨٨ - ١٨٨٩ إلى عدن وسقطرة وساحل المهرة. ورغم أن البعثة لم تتمكن من التوغل إلى الداخل لخلاف بين هاينريش ميللر (١٨٤٦ - ١٩١٢) *Heinrich Müller* رئيس البعثة ولاندبرج قائد الرحلة في هذه البلاد، فإنها حصلت على تسجيلات للنصوص من لغات المنطقة التي ما تزال حية في جنوب الجزيرة العربية، وهي المهرية والسوقطرية والشحرية، والصومالية أيضًا.

- ورد بكتاب يوهان فيك "الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين"، أنه من تلاميذ فلايشر *Fleischer*.

- وجاء لدى نجيب العقيقي ج٣، ص ١١٠٠، أنه كان من العلماء الذين زاروا اليمن لدراسة ما بها من نقوش وكتابات لدول المعينيين والسبأيين والحضرميين والقبتانيين في حياتها التاريخية والدينية والسياسية والثقافية.

Mendelson, Moses موسى مندلسون (١٧٢٩ - ١٧٨٦):

- فيلسوف ألماني، وصديق الشاعر لسينج *Lessing*. عمم مبادئ التنوير، وأفكاره، وأثر بذلك في تحرير اليهود الألمان.
- ألف حوارًا بعنوان *Phädom* سنة ١٧٦٧ عن الخلود أو الأبدية. وهو حوار لأفلاطون بالعنوان نفسه.

Müller, August أوجست ميللر (١٨٤٨ - ١٨٩٢):

- ابن الشاعر الألماني فيلهلم ميللر. تخرج باللغات الشرقية في ليبزج. ورحل في طلب الاستزادة إلى برلين، وباريس، وإنجلترا. وعين لتدريس العربية بجامعة فيينا. وتسمى بامرئ القيس الطمان وأنشأ دورية بعنوان: المكتبة الشرقية في برلين (لناشرين رويتر وريتاشرد ١٨٨٧).
- من آثاره:

- معلقة امرئ القيس مع تعليقات وشروح بالألمانية (هاللي ١٨٦٣).
- أتم ما حققه فليجل من كتاب الفهرست مع يوهانز ريدير.
- حقق عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لأبي أصيبعة بمعاونة الأستاذ مصطفى وهبه.
- أعد كتاب تاريخ الحكماء للقفطي فنشره (ليبز ١٩٠٣).

Müller, D. H. دافيد هنريخ ميللر (١٨٤٦ - ١٩١٢):

- درس في برسلاو، وفيينا، وستراسبورج، ونال درجة الدكتوراه من فيينا (١٨٧٥)، والأستانية (١٨٧٦).

تتلمذ للمستشرق زخاو، وخلفه في جامعة ميونخ أستاذًا (١٨٨١)، ثم عين أستاذًا للغات السامية (١٨٨٥).

درس مجموعات المخطوطات في مكتبات لندن، وباريس، واسطنبول.
تولى رئاسة الصحيفة الشرقية بفيينا. ورأس بعثة علمية إلى اليمن (١٨٩٨)، وعنى بفقہ اللغة والكتابات الأثرية.
من آثاره:

- نشر كتاب الفرق للأصمعي، مع شرح وفهارس (فيينا ١٨٧٦-١٨٩١).

- جزء من كتاب الإكليل لابن الحائك الهمداني متناً وترجمة ألمانية، مع تعليقات (لييزج ١٨٧٩).

- صفة جزيرة العرب لابن الحائك الهمداني، الجزء الثاني، مع تعليقات وحواشي وفهارس تاريخية وجغرافية وشرح بالألمانية (لين ١٨٨٤).

- اشترك في نشر الطبري، ونشر له جزءاً مستقلاً (لين ١٨٨٥-١٨٨٩) والذيل (لين ١٨٩١).

Müller, Max ماكس ميللر (١٨٢٣-١٩٠٠):

عالم ألماني اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة.

أسهم في الدراسة المقارنة في مجالات الدين وعلم الأساطير رغم أن علماء العصر الحديث نبذوا الكثير من نظرياته.

من مقولاته: "إن فكرة التعبد من الغرائز التي فطر عليها الإنسان منذ نشأته الأولى".

Nöldeke, Th. نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠):

مستشرق ألماني تعلم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية على إيفالد *Ewald* في جوتنجن. وحصل على الدكتوراه عام ١٨٥٦، واستكمل دراسته في ليبزج وفيينا ولبين وبرلين. ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس على رسالة أصل وتركيب سور القرآن (١٨٥٦-١٨٦٠). وزار إيطاليا ١٨٦٠.

عين أستاذًا للغات السامية والتاريخ الإسلامي في جوتنجن ١٨٦١، وأستاذ التوراة واللغات السامية والسنسكريتية والآرامية في كيل (١٨٦٤)، وخلف ديلمان وأستاذ اللغات الشرقية في ستراسبوج، ثم جوتنجن وكارلسروه. من تلاميذه زخاو، وياكوب، وبروكلمان، وشفاللي. من آثاره:

- أصل وتركيب سور القرآن - وهي رسالته (جوتنجن ١٨٥٦).
- عاون شبرنجر في كتابه: سيرة محمد (برلين ١٨٦١ - ١٨٦٩).
- اللغات السامية (دائرة المعارف البريطانية ١٨٨٧ - ١٨٩٩).
- معجم اللسان العربي الفصيح، رتبّه وبوبه ونشره كرايمر في جزأين (برلين ١٩٥٢ - ١٩٥٤).
- تاريخ النص القرآني (جوتنجن ١٨٦٠).
- ديوان عروة بن الورد متناً وترجمة بشروح (١٨٦٣).
- تاريخ الشغوب السامية (١٩٠٣).
- قواعد اللغة العربية الفصحى (فيينا ١٨٩٦).
- ترجمة كليلة ودمنة (ستراسبورج ١٨٩٦).

Orelli, K. Von أورللي (١٨٤٦ - ١٩١٢):

مستشرق روسي. من آثاره:

- كتب مقدمة لكتاب "قصص لكتاب الشرق" (١٩٥٨).

Platon أفلاطون (٣٤٧ - ٤٢٧):

فيلسوف يوناني تلمذ لسقراط.

أسس الأكاديمية حيث علم الرياضيات والفلسفة وحاول تطبيق (جمهورية) في صقلية.

مؤلفاته عبارة عن محاورات تقسم في مجموعات ثلاث وفق زمان تأليفها:

الأولى: المجموعة المعروفة باسم المحاورات السقراطية.

الثانية: مجموعة فيدرون في البلاغة وجورجياس في الصواب والخطأ "ومينون" في صعوبة تحصيل المعرفة.

الثالثة: من المادية وموضوعها حب الجمال، وفيديون في خلود الروح... إلخ.

Pollak بولاك:

من آثاره:

- نشر كتاب أرسطو في العبارة لإسحق بن حنين مع مقدمة بالألمانية، وفهرس المفردات مع الأصل السرياني واليوناني (البيزج ١٩١٣).

Renan, E. رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢):

تضلع من اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها. أخذ بمذهب حرية الفكر، ورحل إلى المشرق، ونزل لبنان حيث صنف كتابه حياة يسوع في دير الآباء اليسوعيين بغزير. وعنى بالعقائد الإسلامية. انتخب عضواً في المجمع اللغوي الفرنسي ١٨٧٨. وكان بينه وبين جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده في باريس جدل ديني.
من آثاره:

- كتاب ابن رشد والرشديين (باريس ١٨٥٢ - ١٨٦٩). قال: لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو.
- تاريخ اللغات السامية؛ تناول فيه علاقة النحو العربي بمنطق أرسطو في جزأين (١٨٥٣ - ١٨٦٢).
- تاريخ الأديان (١٨٥٧).
- كتاب القديس بولس (١٨٧٠).

Ritterhausen, H. W. ريترهاوزن:

نشر طبقات الشعراء لابن قتيبة بمقدمة فلمنكية (لين ١٨٧٥).

Rödiger, E. إميل ريدجر (١٨٠١ - ١٨٧٤):

اشتهر بفقهِ اللغة، وعُيّن أستاذاً للغات الشرقية في برلين ١٨٦٠.

من آثاره:

- شارك جزيبيوس في تأليف مصنف عن حضرموت (هاللي ١٨٢١).
- أمثال لقمان (هاللي ١٨٢١).

Baron Rosen V. R. روزن (١٨٤٩ - ١٩٠٨):

ولد بليبزج، وقضى صباه في القدس، وأتقن العربية كتابة وخطابة.
عين أستاذًا للغة الهندستانية في معهد اللغات الشرقية في برلين
(١٨٨٧). وشغل مناصب عديدة في السلك الدبلوماسي.
من آثاره:

- أتكلم الفارسية (برلين ١٨٩٠)، وترجمة إنجليزية (١٨٩٨).
- الخيام من خلال الكلمة والصورة (١٩٢٥).
- تاريخ الأدب الأوردي، في كتاب معنون بمعرفة الأدب (١٩٢٥).

Sachau, Ed. زخاو (١٨٤٥ - ١٩٣٠):

تعلم اللغات الشرقية على ديلمان في كيل (١٨٦٤)، وعلى فلايشر في
ليبزج. عين بجامعة فيينا (١٨٦٩)، ثم أستاذًا بجامعة برلين (١٨٧٢)-
(١٨٧٦). زار سوريا والعراق موفدًا من الحكومة الروسية (١٨٧٩-
١٨٨٠)، وأسس معهد اللغات الشرقية في برلين (١٨٨٨).
من آثاره:

- المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي (ليبزج ١٨٦٧).
- حقق الجزء الثالث من طبقات ابن سعد، وأشرف على تحقيق أجزائه
الأخرى، ٩ أجزاء (١٩٠٤-١٩٠٧).
- ترجم الآثار الباقية للبيروني (ليبزج ١٨٣٨).
- حقق ما للهند من مقولة للبيروني (١٨٨٧)، وترجمه إلى الإنجليزية
في جزأين (لندن ١٨٨٨).

Schopenhauer شوبنهاور، أرثر (١٧٨٨ - ١٨٦٠):

تعلم في برلين وفيينا. وأقام فلسفته على مثالية كانت، وبيّن أن جوهر الوجود الحقيقي قوة عمياء تعبر عن نفسها في الأفراد على صورة إرادة الحياة. ولما كان كل فرد يحاول تحقيق ما لم يتحقق قط تحقيقاً كاملاً، وهو رغبات إرادته القلقة، نشأ عن ذلك صدام مستمر بين الإرادات المختلفة. فالأحياء في كفاح متصل، وقوام العالم حاجات لم تشبع ولهذا مليء بالألم؛ وما اللذة إلا انتقاء الألم.

Simon, Max ماكس سيمون (١٨٦٣ - ١٩٠٩):

نشر من كتاب التشریح لجالينوس ترجمة حبیب للأبواب ٩ - ١٥ متناً وترجمة (البيزج ١٩٠٦) سبعة كتب. وأرفق بالترجمة معجماً للمصطلحات الطبية (والترجمة الألمانية في جزأين).

Smith, W. R. روبرتس سميث (١٨٤٦ - ١٨٩٤):

اسكتلندي، درس اللغة العربية في جامعة إدنبرا ثم في جامعات أوروبا. وخلف وليم رايت على كرسي العربية بكمبردج. وانتخب رئيساً للجنة المعارف البريطانية.

قام برحلات إلى الشرق الأدنى وزار مصر وفلسطين ولبنان وسوريا في عامي ١٨٧٩، ١٨٨١، وزار جدة والطائف. من آثاره:

- محاضرات عن أديان الساميين (١٨٨٩).

- كتاب في أنساب العرب وزواج الجاهلية وما يتصل بتاريخ العرب قبل الإسلام (الطبعة الثانية، لندن ١٩٠٧).

Snouck Hurgronje, Ch سنوك هورجروني (١٨٥٧ - ١٩٣٦):

درس في ليندن على دي خويه، وفي ستراسبورج على نولدكه. وأقام في جاوة سبع عشرة سنة يعمل بحكومتها، وزار مكة باسم عبد الغفار (١٨٨٤).

عين أستاذًا للعربية في باتافيا، ثم خلف هوتسما للتدريس على كرسي العربية في جامعة ليندن (١٩٠٧ - ١٩٢٧).

عدّ عميدًا للعربية بعد جولدتسيهر، وفي طليعة رواد دراسات الفقه الإسلامي والأصول والحديث والتفسير في أوروبا.
من آثاره:

- الحج إلى مكة باللغة الهولندية.
- أمثال أهل مكة المكرمة، متناً وترجمة ألمانية بمقدمة (لاهائي (١٨٨٦).
- الفقه الإسلامي (١٨٨٦).
- مكة وجغرافيتها في القرن التاسع عشر، مع عدة خرائط في جزأين بالألمانية (ليندن ١٨٨٩).
- مقالات عديدة عن الإسلام، وقوانينه.

Socin, A سوسين (١٨٤٤ - ١٨٩٩):

تخرج دارساً للعربية على فلايشر.
زار فلسطين وسوريا، ومصر والعراق (١٨٦٨ - ١٨٧٠ - ١٨٧٩).

وعين أستاذًا للعربية في جامعة بال، ثم في جوتنجن (١٨٧٣)، وخلف
فلايشر في ليبزج (١٨٩٠).

من آثاره:

- ديوان علقة الفحل، مع نبذة من سيرته بالعربية والألمانية (١٨٦٧).

- قواعد اللغة العربية، وجدده بروكلمان.

- اللهجات العربية العامة في سوريا وفلسطين، وجدده براجشتراسر.

Spinoza, Baruch سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧):

فيلسوف هولندي، من أسرة يهودية فرّ من إسبانيا والبرتغال؛ بسبب
محاكم التفتيش. كان مستقل الرأي، فطرد من الجماعة اليهودية، وحرّم من
حقوقه الدينية ١٦٥٦.

عرضت عليه الأستاذية بجامعة هيدلبرج، فاعتذر.

خلاصة فكره وفلسفته أن جوهرًا واحدًا (الله) يتمثل في الموجودات
كافة. فالعقل والمادة والزمان وسائر الظواهر هي صورة يتبدى بها.
والجوهر الواحد يفسر نفسه، لكن يستحيل على شيء متناه ذي حدود مكانية
وزمانية أن يكون كافيًا بذاته؛ لأنه وجه من أوجه كثيرة يتبدى فيها اللامتاهي

- *Bar mizwah tag.*

Steinschneider شتاين شنيذر (١٨١٦ - ١٩٠٧):

تعلم العربية في فيينا (١٨٣٢ - ١٨٣٨)، وفي ليبزج، وعمل في
المكتبة البودلية (١٨٥٢ - ١٨٦٠)، وفي مكتبة برلين الوطنية (١٨٦٩).

آثاره:

- فهارس المخطوطات العبرية في أكسفورد، وليدن، وميونخ،
وهامبورج، وبرلين.

- الترجمة العبرية في العصر الوسيط.

- اليهود ترجمة العلوم العربية إلى اللغات الأوربية؛ استنادًا إلى
مخطوط (وقع في ألف صفحة)، ونال عنه جائزة المجمع (برلين
١٨٩٣).

- الترجمة العربية عن اليونانية.

Stern, Dr. Ludwig دكتور لودفيج شترن (١٨٤٦ - ١٩١١):

تولى نظارة الكتبخانة المصرية عام (١٨٧٢ - ١٨٧٤)، وهو أحد
تلاميذ إيفالد (١٨٠٣ - ١٨٧٤)، وتخصص في الدراسات القبطية. درس
بجامعة جوتنجن فتعلم العربية والعبرية والحشية بكلية الفلسفة. وعلم نفسه
الإيطالية والإسبانية واللغات السلافية وبخاصة الروسية.

في عام ١٨٦٨ درس المصريات، وواصل دراساته وبحوثه بالقسم
المصري بمتحف برلين عام ١٨٦٩.

من مؤلفاته:

- كتاب في قواعد اللغة القبطية ١٨٨٠.

- القاموس الهيروغليفي اللاتيني ١٨٧٥.

Thorbecke, H. ثوربيك (١٨٣٧ - ١٨٩٠):

تخرج على فلايشر، وعين أستاذًا للغة العربية وآدابها في جامعتي
هايدلبرج، وهاله.

من آثاره:

- نشر كتاب النحو العربي والسوري والمصري لميخائيل صباغ
بعنوان: الرسالة التامة في كلام العامة بشرح الشريشي (جوتجن
١٨٦٦).

- درة الخواص للحريري (ليزج ١٨٧١).

- كتاب الملاحن لابن دريد (هايلبرج ١٨٨٢).

- عاون على نشر تاريخ الطبري (لينن ١٨٧٦ - ١٩٠١).

- ترجم نشيد الإنشاد لسعديا.

Vambéry, A. آمن فامبييري (١٨٣٢ - ١٩١٣):

تعلم اللغات الشرقية دون معلم. وأقام في تركيا ست سنوات مدرسًا
وباحثًا عن وثائق الوطن الأصلي للمجريين.

تزيًا بزي الدراويش واخترق بلاد فارس إلى خيفا وبخارى وسمرقند.
وعُين في المجر أستاذًا للغة التركية والفارسية في جامعة بودابست
(١٨٧٠).

وانتخب عضوًا في مجمع العلوم المجري (١٨٧٦)، وعضو مجلس
إدارته (١٨٩٤).

آثاره:

- الشعوب الشرقية (١٨٧٦).

- أصل المجريين (١٨٨٢).

- الثقافة العربية في المشرق (١٨٧٦).

Van Dyk, E. فان دايك (١٨١٨ - ١٨٩٥):

ابن دكتور نيلْيوس فان دايك، هولندي الأصل، وأمريكي المولد، وبيروتي الموطن. قدم لبنان مع البعثة الأمريكية طبيباً لها (١٨٤٠).
تعرف بالمعلم بطرس البستاني وأخذ العربية عنه، وعن الشيخين:
الأسير واليازجي.

ودرس السريانية والعبرية. وأنشأ مع المعلم بطرس البستاني مدرسة
في عبية (١٨٤٧)، ثم نقلها دكتور دانيال بلس إلى بيروت (١٨٦٦)، ثم
عرفت بالجامعة الأمريكية.

درس فان دايك الكيمياء، والفلك، والأمراض. وأنشأ مرصداً، ونشرة
أسبوعية.

من آثاره:

- شارك بطرس البستاني وناصيف اليازجي، ويوسف الأسير في
تكملة ترجمة التوراة إلى العربية التي باشرها سميث (١٨٤٨).
- نشر محيط الدائرة في علمي العروض والقوافي (١٨٥٧).
- النقش في الحجر، في ثمانية أجزاء (١٨٨٦ - ١٨٨٩).
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع/ فهرس الكتب القديمة والحديثة التي
صدرت عن مطابع الشرق والغرب (الهلل ١٨٩٦).
- نشر ترجمة كلية ودمنة لكاناشبول (أكسفورد ١٨١٩، والقاهرة
١٩٠٥)، ثم نشرها فرنكلين، متناً وترجمة في جزأين (نيو هيفن
١٩٢٤).
- ترجم مقالة في النفس لابن سينا بعنوان: هدية الرئيس للأمير (دار
المعارف بالقاهرة ١٣٢٥هـ)، وترجمها إلى الإنجليزية (فيرونا
١٩٠٦).
- صنف "تاريخ العرب وآدابهم" بمعاونة فيليببيدس (بولاق ١٣١٠هـ).

Wellhausen يوليوس فيلهاوزن (١٨٤٤-١٩١٨):

من أول من بدأ بدراسة نقدية للمصادر الجديدة التي وفرها تاريخ الطبري الذي عرف بأوربا سنة ١٨٧٩، وشاركه في هذا دي خويه، ونولدكه.

كان أول من عرض التاريخ الإسلامي منذ بدايته حتى سقوط الدولة العربية من وجهة نظر جديدة، من خلال ربط المصادر والنقد التاريخي.

بدأ فيلهاوزن بدراسة اللاهوت لنقد التوراة وتخرج باللغات الشرقية على إيفالد في جونتجن، وخلفه فيها.

من آثاره:

- تاريخ اليهود.

- محمد في المدينة؛ استنادًا إلى الثلث الأول من المغازي للواقدي، بتحقيق كريمر، وإلى ثلاثة مخطوطات بالمتحف البريطاني (١٨٨٢).

- التمهيد للتاريخ الإسلامي، في ٦ أجزاء عن مخطوطي ليدن وباريس، متًا وترجمة ألمانية (برلين ١٨٨٧)، نشر الجزء الأول كوزيجارتن.

- ديوان الهذليين (مجلة المستشرقين الألمان ٣٩، ٤١١).

- الاستهلال لأقدم تاريخ في الإسلام (برلين ١٨٨٤-١٨٩٩).

- أدب العرب في الجاهلية، مع دراسة عن الدين الإسلامي (برلين ١٨٨٧-١٨٩٧).

- دستور المدينة أيام النبي (١٨٨٩).

- السيادة العربية، نقله إلى العربية د. حسن إبراهيم، ومحمد زكي إبراهيم.

- تاريخ الدولة الأموية وحروبها مع الروم (برلين ١٩٠١).
- الخوارج والشيعة، نقله إلى العربية د. عبد الرحمن بدوي.
- الدولة العربية وسقوطها من ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية (برلين ١٩٠٢)، ترجمه د. محمد عبد الهادي أبو ريده، وراجعه د. حسين مؤنس.

من أبحاثه:

- نقد الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى (التوراه)، فقلب كافة المعايير في بحث العهد القديم ونادى بضم السفر السابع (سفر يشوع)؛ لأنه يشرح ما بها ومكمل لها، لتكون أسفار موسى ستة وليست خمسة فقط.
- كتب عن ذلك "المدخل إلى تاريخ بني إسرائيل" و"تأليف الأسفار الستة، والأسفار التاريخية في الكتاب المقدس" (١٨٨٥)، و"التاريخ الإسرائيلي اليهودي" (برلين ١٨٩٤).
- تبين بقايا الوثنية العربية فيما وصل إلينا بشعر ما قبل الإسلام، وقارنه بالنفوس القديمة اللاتينية واليونانية، وكتب عن ذلك في "بقايا الوثنية العربية" (١٨٩٧)^(١).

Wetzstein, Johann Gottfried فيتزشتاين (١٨١٥ - ١٩٠٥):

درس علم اللاهوت والدراسات الشرقية.

وأصبح أستاذًا بجامعة برلين في اللغة العربية ١٨٤٧، وعمل قنصلًا بدمشق (١٨٤٨ - ١٨٦٢).

(١) يرجع إلى كتاب يوهان فيك، وكتابي جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة.

جمع مخطوطات عربية في أربع مجموعات، قدم منها مجموعتين إلى مكتبة برلين، وواحدة إلى مكتبة توبنجن، وأخرى إلى مكتبة لينزج.

Wolf, M. موسى فولف (ت ١٩٠٤):

من آثاره:

-أحوال القيامة لعبد الرحيم بن أحمد القاضي متناً وترجمة ألمانية (البيزج ١٨٨٧).

- ثمانية فصول من كتاب موسى بن ميمون.

- كتاب الجمل للزجاجي/ رسالة دكتوراه (بيننا ١٩٠٤).

٣- أعلام اليهود والمصطلحات اليهودية:

فهرس أعلام اليهود ومصطلحاتهم الدينية:

- أجاده *Aggadah*: ص ١٩.
- إلياس اللفظ الإغريقي لاسم إيليا: ص ٦٠، ٦٣، ٣٠٥.
- أين ياكوب *Ein Jakob*: ص ١٩.
- البابا بيوس التاسع *Pope Pius IX*: ص ٦٠.
- بارميز فاتاج *Barmizwahtag*: ص ٢٢.
- بنيامين بن يوسف بن باقودا *Penchja ibn Pakuda*: ص ٢٥١.
- البوق (شوفار) *Shofar* (שופר): ص ١٤٨، ١٩٧.
- تسو بوتليتز، جوستاف هينريش جانز *Putlitz, Gustav Heinrich Ganz zu*: ص ٥٥.
- التلمود (תלמוד): ص ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٨، ٤٥، ٦١، ٨٦، ٢٤٠، ٢٥٧.
- الحاخام أبو الوليد بن مروان بن جناح: ص ٣٨.
- خولين *Chllin*: ص ٣١.
- دليل الحائرين *Moren Nebuchim* (מורה הנבוכים): ص ١٩.
- ذكرى المذبحة النازية *Yom Ha-Shoah* (יום השואה): ص ٢٢.
- الزرادشتية: ص ١٨٩، ١٩٠.
- شيفرا كاديشا *Chevra Kaddischa*: ص ١٤٥.

- عيد الغفران (أقدم الأعياد على الإطلاق لديهم) *Yom Kippur* (يوم كפור): ص ٥٦، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٨٠.
- عيد الفصح (פסח): ص ٥١، ١١٨، ٢٢٧، ٢٥٩.
- عيد رأس السنة (روش هاشانا) (חג ראש השנה): ص ٢٥٤.
- كتاب الكازاريم *Kuzarim*: ص ١٩.
- كتاب فرائض القلوب *Herzen Flicht* (ספר חובות הלבבות): ص ٢٥١.
- المدرش (המדרש): ص ١٩.
- مدراشيم *Midraschim* (מדרישים): ص ١٢٨.
- يحيى بن حيوج الفاسي: ص ٣٨.

التعريف بأعلام اليهود والمصطلحات اليهودية:

أجاده *Aggadah*:

نصوص تعالج المواعظ الدينية والتشريع الأخلاقي، وتشرح أدب الأخبار القدماء الكلاسيكي، وبخاصة المدون بالتلمود والموراش. فهي تعد خلاصة وافية لعظات الأخبار، تتضمن نصوصاً شعبية، ونوادر تاريخية، وعظات ومواعظ أخلاقية، ونصائح عملية.

وأجاده مدينة في بلاد ما بين النهرين (العراق)، أسسها سرجون (٣٣٣٤ - ٢٢٤٩ ق. م)، وقيل إنه رممها، ثم أصبحت عاصمة أكد السامية.

إلياس اللفظ الإغريقي لاسم إيليا:

نبي يهودي اشتهر بتصديه لأخاب ملك إسرائيل وزوجه إيزابيل إيتو
بعل الفينيقي ملك صوب، بسبب إدخال إيزابيل عبادة بعل إلى المملكة العبرية
(القرن التاسع ق. م)

حياة هذا النبي مدونة في سفري الملوك، وكان اليهود زمن المسيح
لا يزالون ينتظرون عودته.

وضع كأس نبيذ خاص بالنبي إيليا في الليلة الأولى لعيد الفصح عندما
يقيمون الليلة. كذا فهم يقومون بعد المأدبة، وقبل أن يستمروا في قراءة
الأجاده- بفتح باب المسكن، ويصيح المحتفلون "أهلاً وسهلاً" ثم يقرأون
الفقرات: "أنزل غضبك على الأغيار الذين لم يعرفوك"^(١).

البابا بيوس التاسع (١٧٩٢ - ١٨٧٨) *Pope Pius I* :

البابا بيوس التاسع المبارك، هو بابا الكنيسة الكاثوليكية التاسع
والخمسون. خدم ٣٢ سنة (١٨٤٦ - ١٨٧٨).

- حدد عقيدة حمل مريم العذراء بلا دنس (أي أنها كانت بلا خطيئة)،
وأنها عاشت حياة خالية من الخطيئة.

بارميز فاتاج *Barmizwahtag* :

عبادة الرب تتصل بواجبات اليهودي المتدين، تبدأ بمرحلة من العمر
مع بداية بارمتر (ذكرى الأحداث النازية لليهود بألمانيا).

(١) د. رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ٢٠٠٣،
ص ١٦٥.

بنيامين بن يوسف بن باقودا *Pachja ibn Pakuda*

كان من أهم الفلاسفة اليهود. وعاش في النصف الأول من القرن الحادي عشر.

كتب أول كتاب يهودي عن النظام الأخلاقي "واجبات القلب" *Herzen Pflicht*. وكان يعيش بالأندلس بين المسلمين (وقيل في سراجوستا).

- نظم البيوتيم *Pijjutim* (شعر أدبي منظوم).

- كتاب الهداية إلى فرح القلوب (١٠٨٠). وترجمه يهودا بن طيبون إلى العبرية بعنوان: "واجبات القلوب"، سنة ١١٦١.

البوق (شوفار) *Shofar* (שופר):

كلمة بوق تقابلها في العبرية لفظة شوفار. والبوق يكون مصنوعاً من قرن كبش، ويقال إن أول بوق صنع من قرن الكبش الذي ضحى به إبراهيم افتداءً لابنه. ويبلغ طول البوق في المناسبات ما بين عشر بوصات واثنني عشرة بوصة. وقد استخدم العبرانيون البوق في المناسبات الدينية، مثل إعلان السنة السبتية، وسنة اليوبيل، وتكريس الملك الجديد عن طريق مسحه بالزيت، كما يُنفخ في البوق في عيد رأس السنة، وتكريس الملك الجديد عن طريق مسحه بالزيت، كما ينفخ في البوق في عيد رأس السنة، وفي يوم الغفران بعد صلاة الختام (نعילה)، ويُتلى في رأس السنة مزموّر (٤٧): "يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي لأن الرب عليّ مخوف ملك كبير على كل الأرض. يخضع الشعوب تحتنا، والأمم تحت أقدامنا".

تسو بوتليتز، جوستاف هينريش جانز (١٨٢١ - ١٨٩٠م)

Putlitz, Gustav Heinrich Ganz zu

درس في برلين وهايدلبرج. وخدم بحكومة الإقليم بمجديرج.

- كتب مجلدًا يشتمل على قصص رومانسي على لسان غابة، طبع عام ١٨٥٠، وطبع خمس مرات، ولقى قبولًا شعبيًا.

- وفي عام ١٨٥٩-١٨٧٠ كتب "حمامات الاستشفاء المشهورة"

The notably Badekuren, 1859.

- لا تلعبوا بالنار *Spielt nicht mit Feuer, 1887.*

- عروس الألب *Die Alpenbraut, 1870.*

التلمود (תלמוד):

هو مصدر التشريع الرئيس الذي يرجع إليه في جميع تفاصيل حياة اليهود اليومية، وقد وضعه الحكماء اليهود من أهل النقة بناء على فهمهم للتوراة الشفوية والمكتوبة. وهو خلاصة ما جاء به موسى وأنبياء بني إسرائيل، وينقسم إلى قسمين المشنا (משנה)، والجمارا (גמרא).

- المشنا: وهي مجموعة القوانين والشرائع المعروفة باسم الهالاخاي، والتي وردت في الشريعة الشفوية، وفي أسفار التوراة الخمسة. وقام بتدوينها "التنائيم" أو المعلمين، وتتألف من ستة مباحث تعرف باسم سداديم.

- الجمارا: وهي التكملة والتتمة؛ أي الشروح والحواشي التي تحيط بالمشنا، لتوضيح القواعد والأحكام الواردة بها بذكر أمثلة وحكايات أو مناقشاتها. وغالبًا ما يكون بجانبها الحكم الفقهي.

وتحتوي الجمارا على الهالاخاه؛ أي الجانب القصصي والأسطوري بما يشمل من أقوال مأثورة، وقام بتدوينها الأمورائيم وهم الشراح، ولغتها الآرامية.

الحاخام أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي:

وُلد في قرطبة بالأندلس، ودرس في لوسينا بعد مغادرة مدينته الأصلية عام ١٠١٢، واستقر في مدينة سرقسطة. وأصبح باحثًا ومعلمًا بارعًا في الأندلس لمعرفته باللغتين العبرية والعربية.

وفضلاً عن ذلك كان طبيباً ومؤلفاً، وله عناية بصناعة النطق والتوسع في اللسانين العبري والعربي.

تابع أبحاث حيوج، وكتب عمله الأول "كتاب المستحق" الذي نقد فيه عمل حيوج ووسع نطاقه. و"كتاب التقريب والتسهيل" في تعلم العبرية، و"كتاب التوبة"، و"كتاب التشوير" ضد الحاخام أبي إسحق إسماعيل بن النغريلة الأندلسي حول قواعد اللغة العبرية.

كتب جميع كتبه باللغة العربية، وكتب "كتاب التلخيص"، و"كتاب الأصول" وهو معجم الكلمات في الكتاب المقدس. توفي في سرقسطة عام ١٠٥٠.

دليل الحائرين *Moren Nebuchim* (מורה הנבוכים):

من أشهر كتب موسى بن ميمون وأهمها، ويتكون من اثني عشر جزءاً، وهو كتاب تشريعي شامل لكافة مناحي حياة اليهودي.

ذكرى المذبحة النازية *Yom Ha-Shoah* (יום השואה):

في ٢٧ نيسان، و"Shoah" تعني المذبحة في العبرية. وهذا اليوم لذكرى ضحايا مذبحة *Holocaust* النازية ... وتسمى هذه الذكرى بـ (ذكرى الكارثة والبطولة).

الزرادشتية:

زرادشت:

مؤسس الديانة الزرادشتية. عاش في مناطق أذربيجان وكردستان، وإيران الحالية وانتشرت ديانته وتعاليمه في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران حتى ظهور الإسلام. عاش بين ١٤٠٠ و ١٢٠٠ ق.م. وقيل ٦٢٨ - ٥٥١ ق.م.

الزرادشتية:

للديانة الزرادشتية كتاب مقدس عند أتباعها اسمه الأبستاق أو الأفتسا، ويحتوي على معتقداتهم وتعاليمهم والتشريعات. وقد ضاع الكتاب بعد غزو الإسكندر المقدوني لفارس سنة ٣٣٠ ق.م، وفقدت معه كل تفاسيره.

انتشرت الزرادشتية بعد أن بلغ زرادشت ثلاثين عامًا فيما يقول الشهرستاني بالملل والنحل. ويتمثل جوهرها في فكرة الصراع بين الخير والشر. وتزعم أن أهورامازدا خلق العالم الذي هو خير في سبع مراحل، ولكن أنكرا مينو دخل فيه ليفسده، ومن ثم يصارع الخير والشر في العالم. ويعتقد الزرادشتيون بانتصار الخير في النهاية.

- يعتقد الزرادشتيون بالحياة الآخرة حيث تتحد الأرواح مع الأجساد، ويقوم الناس للحساب. ويزعمون بأن الجميع سيعبرون نهرًا من الحمم وفيه يهلك الأشرار من الوجود، أما المقسطون فينجون، ويصب النهر الملتهب في جهنم فيطهرها، وتعود الأرض إلى حالتها الأولى الخيرة، ويؤسس أهورامازدا مملكته الأرضية حيث يعيش الأخيار السعداء حياة سعيدة خالدة.

- أمر زرادشت أتباعه بالصلاة أمام النار التي هي رمز للنظام والعدل في معتقداتهم. وهم يصلون خمس صلوات في اليوم: عند شروق الشمس، وعند الظهر، وعند المغرب، ومنتصف الليل والفجر. ويصلون وقوفاً وهم يربطون زناراً مقدساً حول وسطهم. وتسبق الصلاة الطهارة.

- الأسفار المقدسة ومعناها الأساسي، وهي عندهم وحي من أهورامازدا. وهي أسفار خمسة لا تتعدى في جملتها ربع الأقسا الأصلي. وهي: (١) سفر أليسنا ومعناها العبادة. (٢) سفر الوسيرو. (٣) سفر اليشتنان أي الترنيمات أو المزامير. (٤) سفر الوانديدا أي القانون. (٥) سفر الخودة أقسا.

وهناك شروح على الأقسا، وشروح على تلك الشروح يطلق عليها اسم الزند والبازند والآيرة.

- كان الزرادشتيون يعتقدون بأن الله تعالى بعث زرادشت نبياً ورسولاً لعبادة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتباب الخبائث. وأن النور والظلمة أصلان متضادان، "فيزدان" هو النور و"أهرمن" هو الظلمة. وهما مبدأ الموجودات في العالم، والله خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له.

- يعتقد الزرادشتيون بالطوفان الذي حدث زمن نوح وبالميعاد الأخروي، لذلك فإن العالم عندهم له نهاية محتومة، وحينها سينتصر أهورامازدا وسيهلك أهرمان وكل قوى الشر.

- ولابن الجوزي رأي آخر عند الجاحظ يخالف الشهرستاني ويرى أن زرادشت قد جاء من الأساس بعقيدة ضالة.

- ويرى دكتور مصطفى حلمي أن الزرادشتية دعت إلى التوحيد الخالص لله تعالى في بدايتها، ثم تغيرت وانتهت إلى تقديس النار في ذاتها وعبادتها بعد أن كانت رمزاً للإله.

شيفرا كاديشا *Chevra Kaddischa*:

منظمة يهودية مقدسة مكونة من رجال ونساء، يتأكدون من أن خثمان الميت تكفن وفقاً للتقاليد اليهودية، وأنها محمية من التآكل قبل الدفن، ثم تلقى خطبة الوداع بقراءة نص من التوراة على روح الميت.

عيد الغفران (أقدم الأعياد على الإطلاق لديهم) *Yom Kippur* (יום כיפור):

اليوم العاشر من الشهر السابع *Tishri* من التقويم اليهودي. يوم الغفران ترجمة للأسم العبري "يوم كيפור"، وكلمة كيפור من أصل بابلي ومعناها "يطهر"، والترجمة الخرفية للغارة العبرية هي "يوم الكفارة"، ويتوم الغفران هو في الواقع يوم صوم، ولكنه مع هذا أضيفت على أنه عيد، يطلق عليه اسم "سبت الأسبات"، وهو اليوم الذي يظهر فيه اليهودي نفسه من كل ذنب. وبحسب التراث الحاخامي، فإن يوم الغفران هو اليوم الذي نزل فيه موسى من سيناء، للمرة الثانية، ومعه لوحا الشريعة؛ حيث أعلن أن السرب غفر لهم خطيئتهم في عبادة العجل الذهبي.

عيد الفصح *(Pesach)*:

فؤصح: اسم عبري معناه "عبور"، ويمكن تأويلها بمعنى "العفو".

والفصح عيد يحتفل به اليهود في اليوم الرابع عشر القمري متن أول أشهر سنتهم الدينية، تنكراً لخروجهم من مصر (سفر الخروج ١٢).

كان اليهود في عهودهم الأولى يضحون في هذا العيد ببواكير قطعانهم من الأغنام، وطلائع الشعير على صورة خبز فطير.

وقد جعل موسى من هذا الاحتفال السنوي بهذا العيد فرضاً سنوياً دينياً يستمر سبعة أيام يحتفل به جميع أفراد "شعب الله المختار"^(١).

عيد رأس السنة (روش هاشانا) (חג ראש השנה):

يحل عيد رأس السنة العبرية بعد انتهاء شهر أيلول العبري، وقد حدثت أضحية إسحق حسب العقيدة اليهودية في رأس السنة العبرية، كما أن الملائكة بشروا سارة بولادة إسحق في مثل هذا اليوم أيضاً.

كتاب الكازاريم Kuzarim

وضع يهودا اللاوي كتاب الكوزاري، وبحث فيه علاقة الدين بالفلسفة، وتأثر في هذا العمل بكتاب "المنقذ من الضلال" للإمام أبي حامد الغزالي، حيث انتقد فيه الأثر الأرسطي المبالغ فيه عن الفلسفة الإسلامية.

كتاب فرائض القلوب *Herzen Flicht* (ספר חובות הלבבות):

كتاب بنيامين بن باقودا. وهو كتاب فلسفي صوفي يتناول ما يجب على المرء اليهودي القائم به للتقرب من الله تعالى. (سفر التثنية ١٨ : ٣).

المدراش (הדרש):

سلسلة مجموعة من التعليقات القديمة على كل أجزاء التناخ بتنظيم وتقسيم مختلفين من مجموعة إلى أخرى، لإيضاح النقاط القانونية لتقديم تعليم أخلاقي.

(١) معجم الحضارات هنري عبودي، طرابلس- لبنان، جروس برسي، ١٩٨٨.

مدراشيم Midraschim (מדרשים):

مصطلح عبري للحكايات التي رواها الربانة اليهود لشرح التناخ.

مدراشيم الهجاده:

تتضمن تفاسير وتأويل النص المقدس أو التوسع عليه بإضافة أساطير جديدة غير مذكورة في النصوص الشرعية للكتاب المقدس بأسلوب وعظمي أو أخلاقي، وأحياناً تكون الأساطير الهاجادية وثيقة الصلة والتشابه، أو حتى التطابق مع الكتب غير الشرعية (الأبوكريفية) كقصة أخنوخ وحياة آدم وحواء، وموت موسى.

يحيى بن حيوج الفاسي (٩٤٥ - ١٠٠٠م):

يعد أبو زكريا يحيى بن حيوج الفاسي من أهم النحويين العبرانيين، ويعتبره الكثير من المتخصصين أول نحوي عبري بالمعنى الدقيق للكلمة. ولد في فاس بالمغرب، وتوفي في قرطبة بإسبانيا، وضع كتابين: الأول عن الأفعال المعتلة "الأفعال ذات حروف اللين". والثاني عن التنقيط (عالج فيه نظام الإعجام والنشكيل في العبرية).

مصطلحات أخرى:

باريزيس Pharisaes:

في الدراسات اليهودية كانت الباريزيس في حقب مختلفة جماعات سياسية، أو حركات اجتماعية، أو مدارس فكرية بين اليهود أثناء فترة المعبد

الثاني، بدءًا من العصر الزموتي *Hasmoneandynasty* (١٤٠ - ٣٧ ق.م) أثناء ثورة المؤابيين.

وأول من تحدث عن الباريزيس تاريخيًا اليهودي الرومي المؤرخ زوسبيوس (٣٧ - ١٠٠م) *Josephus* عند وصفه للمدارس الفكرية الأربع (أو المذاهب الأربعة) التي انقسمت إليها اليهود في القرن الأول الميلادي.

بتاج تكفا (פתח תקפה):

بمعنى فتحة الأمل. سميت به مدينة تقع في الغرب الأوسط من إسرائيل، شرق تل أبيب ويافا. تأسست عام ١٨٧٨ كبلدة زراعية تأسيسًا لكيان إسرائيل، حيث توسعت وأصبحت مدينة صناعية، وجزءًا من كتلة المدن "غوش دان" حول تل أبيب. وفيها يتم تصنيع الأنسجة واللدائن، والأطعمة، وإطارات العجلات، والمنتجات المطاطية، والصابون. كما يوجد فيها يساتين ليمون.

بهجة التوراة (שמחת תורה):

ترجمة لعبارة "سمجة تورا" العبرية، وهو عيد يلي اليوم الثامن الختامي (شميني عتسيريت). وهو اليوم الأخير من عيد المظال وداخل فلسطين يدمج العידان، ويحتفل بهما في يوم واحد؛ وهو عيد ظهر متأخرًا في العراق (في القرن التاسع والعاشر). وهو أيضًا اليوم الذي تختتم فيه الدورة السنوية لقراءة أسفار موسى الخمسة في المعبد، ويحتفل به داخل المعبد بأن تحمل لفائف الشريعة، ثم يتم الطواف بها سبع مرات (أما الأولاد، فإنهم يحملون الأعلام الصغيرة ويسيرون أمام الكبار)، ويسمى كل طواف باسم أحد الآباء، فالطواف الأول باسم إبراهيم، والثاني باسم إسحق، والثالث باسم

يعقوب، والرابع باسم موسى، والخامس باسم هارون، والسادس باسم يوسف، والسابع باسم داود، ويقرأ في هذا الاحتفال آخر سفر من أسفار موسى الخمسة، والمصلي الذي يقوم بالقراءة يطلق عليه اسم "عريس التوراة" ثم يدعى مصل آخر، ويسمى "عريس سفر التكوين"؛ لبدأ الدورة السنوية لقراءة أسفار موسى الخمسة مرة أخرى. ويسمى القارئ باسم العريس لأن التوراة عروس جماعة إسرائيل، وكل قراءة جديدة هي بمثابة حفل عرس متجدد. وقد سمي هذا العيد بعدة تسميات؛ إلى أن استقر اسمه علي ما هو عليه. ففي فترة التلمود، كان يسمى "آخر أيام العيد" وعلى أيام الفقهاء (جاءونيم) كان يسمى (يوم الكتاب)، و(يوم النهاية)، ولم يسم (سمحات تورا)، إلا في آخر أيام هؤلاء الفقهاء.

يأتي في ٢٢ و ٢٣ من شهر *Tishri*؛ أي بعد *Sukkot* بسبعة أيام يكون عيد *Shemini Atzeret*، وهو في الأراضي المحتلة نفس عيد *Simchat Torah*، وخارجها يكون *Simchat Torah*، اليوم الثاني فقط من *Shemini Atzeret*؛ أي يوم ٢٣ فقط.

Tu B'Shevat الخامس عشر من شباط ٦ في الخامس عشر من الشهر ١١ *Shevat*، ويعرف أيضاً باسم عام الأشجار الجديد.

بيت مدرashi (بيت מדרש):

في المصادر اليهودية في القرن الأول قبل الميلاد، والقرنين الأولين للميلاد، تذكر مدارس دينية تسمى مدارس مدرashi "دار دراسة"؛ حيث علم الحاخامات اليهود مبادئ الديانة اليهودية لليهود بطريقة مماثلة لطريقة التعليم في اليشيفات المعاصرة.

وبعد دمار هيكل هيرونس عام ٧٠ للميلاد زادت أهمية المدارس الدينية من هذا النوع؛ لأنها اتخذت طريقة التعليم المفضلة على الفريسيين الذين بقوا الشيعة اليهودية الأقوى بعد دمار الهيكل. واعتبر الفريسيون التعليم الديني بديلاً جديراً للطقوس التي كانت تقام بها في الهيكل مثل التضحية بالقرابين وغيرها. واعتبروا الكنائس والمدارس الدينية بديلاً للهيكل بذاته.

التدشين (חנוכה): (Hnuchah Chanuchah) (חג חנוכה):

عيد من أعياد اليهود. والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي دخول يهودا الحشموني (أو المكابي) القدس، وإعادته للشعائر اليهودية في الهيكل، من هنا كانت تسميته بعيد التدشين. اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع Kislev، ويستمر ثمانية أيام ولياليهم، ويسمى أيضاً عيد الأضواء.

توعيباه (תועבה):

أي عمل فظيع، رجس، دنس، كرية. لا تأكل أي نجس (سفر التثنية ١٤: ٣).

سمحة تورا Simhat Tora (שמחת תורה):

موعد يهودي يشير إلى انتهاء قراءة التوراة وبداية قراءتها مرة أخرى بشكل دوري كل عام.

شولحان عاروخ Sholhan 'aruch (שלחן ערוך):

عبارة عبرية تعني "المائدة المنضودة" أو "المائدة المعدة". والشولحان عاروخ هو مُصنّف تلمودي فقهي يحتوي على سائر القواعد الدينية التقليدية

للسلوك. ويعد حتى الآن المصنف المعول عليه بلا نزاع للشرعية والعرف اليهوديين، ويشار إليه باعتباره التلمود الأصغر أعده دوزيف كارو ونشره عام ١٥٦٥ مستنداً إلى العهد القديم والتلمود، وآراء الحاخامات اليهود وفتاواهم وتفسيراتهم (الشرعية الشفوية). ومما هو جدير بالذكر أن حياة اليهود تكبلها العديد من الشعائر والقيود والتشريعات، الأمر الذي يضطرهم إلى البحث عن مصدر دائم للفتاوى. ولكن التوصل إلى إجابة على أحد التساؤلات الدينية من خلال التلمود مسألة شاقة جداً، إذ يتعين على المتسائل أن يقرأ أربع أو خمس فقرات في مجلدات مختلفة منه، ثم يبحث عن التعليقات المختلفة على كل الفقرات، وهي تعليقات تحوي كل واحدة منها تفسيرات مختلفة ومتناقضة. ولتبسيط هذه العملية لجأ مؤلف الشولحان عاروخ إلى إسقاط جميع المناقشات الفقهية الطويلة والآراء المختلفة والأحكام المتناقضة، فلم يدون إلا الأحكام الشرعية المستقرة التي تبين ما هو حلال وما هو حرام، وأوردها في نص واحد أقسامه أربعة.

عيد الأسابيع (שבועות) Shavu'ot:

يشار إليه بالعبرية بكلمة شفوعوت (أي الأسابيع)، وعيد الأسابيع أحد الأعياد اليهودية المهمة، فهو من أعياد الحج الثلاثة مع عيد الفصح وعيد المظلة (أو المظلات) جنباً إلى جنب. ويأتي هذا العيد بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح، ومن هنا تأتي تسميته، ولهذا العيد مناسبة تاريخية، وهي نزول التوراة والوصايا العشر على موسى فوق جبل سيناء.

يتم الاحتفال بعيد الأسابيع - شافوعوت - خلال الفترة ما بين غروب الشمس - يوم ثمة - وغروب الشمس في اليوم التالي له.

ويزور أنيهود فيه هيكل سليمان مثل العيدين الآخرين (عيد الفصح وعيد المظلة).

عيد الاستقلال Yom Ha-Atzmaut (יום העצמאות):

عيد الاستقلال ترجمة لعبارة "יום העצמאות" العبرية، وعيد الاستقلال هو العيد الذي يحتفل فيه الإسرائيليون بإنشاء الدولة الصهيونية (يوم ١٤ مايو حسب التقويم الميلادي، ٥ أيار حسب التقويم اليهودي). ويشير له الفلسطينيون بيوم "النكبة"، باعتبار أنه ذكرى ما حل بهم من تشريد نتيجة لاغتصاب المستوطنين الصهاينة لوطنهم، وإذا كان ٥ أيار يوم جمعة أو سبت، فإن الاحتفال بالعيد يكون يوم الخميس الذي يسبقه، ويكون عطلة رسمية في إسرائيل، وتبدأ احتفالات العيد على جبل هرتزل في القدس بجوار مقبرته، ويبدأ المتحدث باسم الكنيست الاحتفال بأن يوقد شعلة، ثم اثنتي عشرة شعلة أخرى رمزاً للقبائل العبرية الاثنتي عشرة، ثم يسير حملة المشاة في استعراض، وفي الاستعراض العسكري للقوات المسلحة الإسرائيلية الذي كانت تعرض فيه أحدث الأسلحة التي حصلت عليها، ويعتبر العرض أهم فقرات الاحتفال، ولكنه توقف بعد عام ١٩٦٧، وقد حل محله الآن استعراض عسكري لفصائل الجند، وتقام احتفالات رياضية وراقصة، كما تمنح جوائز إسرائيل في ذلك اليوم، وينتهي الاحتفال بإطلاق المدافع على أن يكون عدد الطلقات مساوياً لعدد سنين الاستقلال.

عيد الثامن الختامي (شميني عسريت):

الثامن الختامي تطابق العبارة العبرية "شميني عسريت"، وعيد الثامن الختامي عيد يهودي مستقل عن عيد المظال، ولكنه ضم إليه كيوم ثامن، ولا يعزف السبب في الاحتفال بهذا العيد، وإن كان من الواضح أنه عيد زراعي قديم؛ إذ يتم فيه ترديد دعاء خاض بطلب نزول المطر، وذلك أثناء دعاء الصلاة الإضافية (موساف)، فقد جاء في سفر اللاويين (٢٣/٣٦): "في اليوم

الثامن يكون لكم مخفل مقدس". ويضاف يوم تابع للاحتفال خارج فلسطين، وهو يوم بهجة التوراة (سمحات تورا). أما في فلسطين، فإنهم يحتفلون ببهجة التوراة وعيد الثامن الختامي في يوم واحد.

عيد الشجرة (طو بشفاط):

طو بشفاط (الخامس عشر من شهر شباط حسب التقويم العبري). هو عيد الأشجار، ويحل عادة في شهر يناير كانون الثاني أو فبراير شباط. وقد ورد ذكر هذا العيد في مصادر تفسير التوراة على أنه رأس السنة لأشجار الفاكهة، إلا أنه غير مرتبط بأي احتفالات أو طقوس دينية.

عيد الفصح "بيساح": Pesach (פסח):

عيد الفصح أو "عيد الفصح" هو المصطلح العربي المقابل للكلمة العبرية "بيساح". ويبدأ عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان، ويستمر سبعة أيام في فلسطين (وعند اليهود الإصلاحيين)، وثمانية أيام عند اليهود المقيمين خارج فلسطين. ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير (وفي اليومين الأولين واليومين الأخيرين خارج فلسطين). وتقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة. أما الأيام الأربعة الوسطى فيلزم فيها بتناول خبز الفطير.

عيد المظال Sukkot (חג הסוכות):

يبدأ هذا العيد في الخامس عشر من الشهر السابع Tishri، بعد عيد الغفران بخمسة أيام ويستمر يومًا بليته. عيد المظال ترجمة إلى كلمة "سوكوت" العبرية (סוכות) وهي صفة الجمع لكلمة مظلة، وعيد المظال ثالث أعياد الحج عند اليهود إلى جانب عيد الفصح وعيد الأسابيع، وقد سمي هذا

العيد على مدى التاريخ بعدة أسماء من بينها "عيد السلام"، و"عيد البهجة". وهو يبدأ من الخامس عشر من شهر تشرين (أكتوبر)، ومدته سبعة أيام، بعد عيد يوم الغفران. والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي إحياء ذكرى خيمة السعف التي أوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر، وكان هذا العيد في الأصل عيدًا زراعيًا للحصاد، وكان يحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية الغذائية للسنة كلها، ولذا فإنه يسمى بالعبرية "حج ها آسيف"؛ أي "عيد الحصاد"، وفي إسرائيل يُحتفل باليوم الأول من أيام عيد المظال على أنه يوم مقدس.

عيد النصيب (חג הנסיון):

هو الاسم العربي لعيد البوريم، و"بوريم" كلمة عبرية مشتقة من كلمة "بور" أو "تور" البابلية؛ ومعناها "قرعة" أي "نصيب". وكان عيد النصيب يُدعى أيضًا "يوم مسروخت" إشارة إلى "الباروكة" التي كان يرتديها الشخص في عيد النصيب في القرن الأول قبل الميلاد، وقد سمى العرب هذا العيد "عيد الشجرة" أو "عيد المساخز". وعيد النصيب يحتفل به في الرابع عشر من آذار "قبرابر"، وهو عيد بابلي، كانت الآلهة البابلية تقرر فيه مصير البشر.

ويوم الرابع عشر من آذار هو اليوم الذي أنقذت فيه إستير يهود فارس من المؤامرة التي دبرها هامان لنزحهم، ولهذا ففي اليوم الذي يسبق العيد يصوم بعض اليهود ما يسمى "صوم (تعنيت) إستير"؛ إحياءً لذكرى الصوم الذي صامته إستير وكل اليهود في شوشانه قبل ذهابها إلى الملك تستعطفه لإلغاء قرارات هامان (حسب الرواية التوراتية)، وكان قد تقرر بالقرعة (أي النصيب) أن يكون يوم الذبح في الثالث عشر من آذار، ومن هنا جاءت التسمية.

فيجيل Vigil:

من الكلمة اللاتينية *Vigilia* بمعنى اليقظة، وتعني الأمسية السابقة للاحتفال الديني والطقوس التي تقام بها، تتضمن نصوصاً من المزامير، والصلوات، والأناشيد.

وثمة طقوس تماثل ذلك عند وفاة أي إنسان يهودي.

فيلون الإسكندري (ت ٤٠ م) *Philon von Alexandrie*:

يعد أهم مفكر يهودي في العصر الهليني. وشغل وظيفة مهمة بالجالية اليهودية بالإسكندرية.

عرف الكثير عن الحياة اليهودية بالأديرة والسيناجوجن، وكان له صلة بيهود فلسطين، وأقام الشعائر الدينية بالقدس.

ومعظم أعماله عبارة عن مقالات فلسفية عما ورد بالعهد القديم.

قوداشيم:

تتحدث هذه الفقرة عن "قوداشيم"، وهو أحد أجزاء المشنا.

قوداشيم بالعبرية (קדושים) تعني الأشياء المقدسة، وهو الجزء الخامس من المشنا، وكذلك التوسيفتا، التلمود، من الستة أجزاء التي تتضمنها المشنا، ويعد هذا الجزء الثالث من حيث الطول.

قوداشيم يعالج في الأساس الخدمات الدينية متضمنة المعبد والقرابين، وغير ذلك مما يتعلق بالمقدسات.

قيدار Qedar:

أحد القحطانيين. قامت مملكة قيدار وسط وشمال الجزيرة العربية وامتد حكم القيداريين حتى فلسطين وسيناء.

وقيدار ثاني من أبناء نبي الله الذينم إسماعيل، وهو جد العدنانيين الذين منهم نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم).

استمرت المملكة من ٧٥٠ إلى ١٧٣٥، وظهر في النصوص الآشورية غير مرتبطًا بقيدار.

وورد الاسم بسفر التكوين ٢٥: ١٣.

كازارين Chasaren, Kazarim:

جنس تركي نورماندي بالقرن السابع بجوار البحر الميت (بين البحر الميت والبحر الكاسيبي).

احتله الروس في القرن العاشر. والأصل كان شعبًا بدويًا، ثم أصبح نصف بدوي في القرن السابع.

اتخذ في القرن السابع في شمال القوقاز موطنًا *Khoganat* مستقلاً على شاطئ الكسبي. واعتباراً من القرن التاسع أصبحت الديانة اليهودية أهم ديانة بالإمبراطورية. ولا يعرف إن كانت للطبقة العليا فقط أم للشعب كله. ولكن كان بينهم مسيحيون ومسلمون. وكان الكاسارون حلفاء للدولة البيزنطية، وضد الإمبراطورية الساسانية والخلافة الإسلامية. وأصبحوا أمة قوية لا يستهان بها بفضل اشتغالهم بالتجارة العالمية.

وانتهت دولتهم في نهاية القرن العاشر بعد أن هزمهم *Kiewer Rus*، فلم يذكروا بعد ذلك. واعتنقت البقية منهم في شرق أوربا الديانة المسيحية. الاسم بالعبرية (כזרקים) وبالتركية *Hazarkar*، وبالفارسية خزر.

مدارشيم الهاجادة:

تتضمن تفاسير وتأويل النص المقدس، أو التوسع عليه بإضافة أساطير جديدة غير مذكورة في النصوص الشرعية للكتاب المقدس، بأسلوب وعظمي أو (أخلاقي).

وأحياناً تكون الأساطير الهاجادية وثيقة الصلة والتشابه أو التطابق مع الكتب غير الشرعية (أبوكريفية)، مثل قصة أخنوخ وحياة آدم وحواء، وموت موسى.

وهي تقوم بالتأثير على عقل الإنسان وتقنعه بالعيش على أسمى الأفكار والمعتقدات في الفلسفة الدينية والأساطير، والتصوف، والأخلاق.

وهي توجد مخلوطة أحياناً بعناصر أجنبية وافدة من الزرادشتية الفارسية واليونانية والرومانية- في كتب الأبوكرفا، والأعمال زائفة النسب، وأعمال المؤرخ اليوناني اليهودي فلافيوس يوسيفوس *Flavius Josephus*، وأعمال *Philo* الفيلسوف اليهودي، والمتبقي من الأدب اليهودي الهيليني.

هل اقتبس اليهود قصصهم المدراسية أم أن العكس هو الصحيح؟

تبين نقاد المدراسيم في القرن الماضي إلى أن تأريخ النصوص المدراسيم القديمة المختلفة كان في عصر متأخر بعد نزول القرآن، وأن

بعضها، مثل ترجوم أستير الثاني، كتب أساسًا بعد النظر في النص ونقده في فترة ما بعد الإسلام. وهي فترة ظهر فيها اختلاط ثقافي بين المسلمين واليهود، مما يظن أن اليهود هم الذين نقلوا عن النصوص القرآنية، وعن التراث القصصي الإسلامي^(١).

إذ إن ثمة بضعة مدراشيم تعود إلى عصر ما قبل الإسلام، وربما أضيفت لها بعض المواد بعد ذلك؛ فقصّة آدم وحواء، وسفر أخنوخ تعود إلى ما قبل عصر تدوين التراث الشفهي (أي إلى عصر ما قبل المسيح، أو بعده بقليل).

ولكن ثمة ٦٠٪ من هذه القصص غير مذكورة في الكتاب المقدس، وهي تبدي تشابهًا أكبر مع الإسرائيليات الإسلامية ومع التراث التفسيري الإسلامي. ومن القصص المدرashية ما يبدي انسجامًا أكبر مع التراث اليهودي. فالقرآن يقول مثلاً إن الجن بنوا "محاريب" لسليمان، بينما القصّة المدرashية تقول إنهم ساعدوا في بناء الهيكل. ويتكلم القرآن الكريم عن ملكة سبأ فيعلق كعب الأحبار أو (وهب بن منبه)؛ فيقول إن ساقها مشعرة، وهذا موجود في القصّة المدرashية.

قال وهب بن منبه: "قرأت نيفاً وتسعين كتاباً من كتب الله منها سبعون ظاهرة في الكنائس، ومنها عشرون لا يعلمها إلّا القليل"، علماً بأن أسفار الكتاب المقدس اليهودي هي ٤٦ سفرًا فقط.

وربما تحير المرء في بعض القصص الموجودة في القرآن الكريم، ولا توجد في الكتاب المقدس بشقيه، ورغم ذلك كان يهود العرب يوافقون عليه،

(1) <http://www.islamic-awareness.org/Quran/Sources>

وقد يكون سبب هذا هو ما كانوا يعلمونه من هذه الكتب. وعلى أي فإنه من الصعب الجزم بأن أحدهما أخذ عن الآخر.

وفي سورة يونس [آية ٩٤]: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

وبهذا نتبين أن الأمر يرجع إلى أن الديانتين من عند الله. وأن ما جاء بالقرآن الكريم أمكن تفسير بعضه بالإسرائيليات.

ويظهر التأثير الإسلامي العام على سعديا الفيومي في معظم أعماله التفسيرية للتوراة وأسفار العهد القديم الأخرى. وفي كتابه "الأمانات والاعتقادات" الذي يبدو فيه الرؤية المنهجية التفسيرية لمدرسة المعتزلة الإسلامية، التي أسس سعديا من خلالها مدرسة الكلام اليهودية. أما بالنسبة إلى موسى بن ميمون منظم اليهودية وواضع أركانها، فإن التأثير الإسلامي يظهر في كل أعماله وبخاصة في عمله الأساسي "دلالة الحائرين"؛ الذي وصفه الشيخ مصطفى عبد الرازق بأنه عمل في الفلسفة الإسلامية.

وقد كتب دكتور محمد جلاء محمد إدريس في كتابه "التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي"؛ الكثير من هذا التأثير مقتبساً من كتاب جولدتسيهر في كتابه "العقيدة والشريعة"، والحق أن هذا كله يرجع إلى مقارنة الأديان وينظر إليه في هذه الدائرة، سواء أكان الدين سماوياً أو وضعياً^(١).

(١) ويرجع في هذا كله إلى ما ورد بالشبكة الدولية للمعلومات "جوجل"، وإلى ما ورد بالملل والنحل للشهرستاني، والفهرست لابن النديم، والفصل في الملل والنحل لابن حزم، وإلى ما كتب عنهم عند الدارسين المحدثين.

ميشكان *Tabernacle*:

أي مكان الإقامة، وهي في العهد القديم "مسكن محمول" *portable dwelling* لحضور ديني *divine presence* أيام الخروج من مصر عبر أرض كنعان المنزعة أو المفتوحة، بنيت بخاصة لظهور الرب لموسى في جبال سيناء أيام تيه الإسرائيليين في الصحراء واستيلائهم على أرض الميعاد (مزمور ١٠٦).

المينوراه أو الشمعدان السباعي *Menorah* (مزمور ١٠٦):

هو شمعان ذهبي، كان موضوعًا في خيمة الاجتماع وفيما بعد في الهيكل. وكان الكهنة يشعلون فيه الشموع كل ليلة.

وتحولت المينوراه في التاريخ اليهودي لتصبح رمزًا من الرموز اليهودية، وهي الآن الشعار الرسمي لإسرائيل منذ عام ١٩٤٩.

الهاجاداه (موريا هاجاداه):

أهم النصوص التي يعشقها اليهود في التراث اليهودي في بداية عيد الفصح، يجمع اليهود في مختلف أنحاء العالم حول الموائد لقراءة أسطورة الهاجاداه، وهو عبارة عن كتاب يحتوي على نصوص تقليدية من سفر الخروج من مصر.

وكلمة الهاجاداه تعني السرد أو الرواية بما تحتويه القصة القديمة من أغان وحكايات، والتأكيد على تلقين الأطفال. فإنها تمثل كتاب الصلوات

اليهودية الأكثر انتشاراً. قام الفنان اليهودي افنمويا بتأليف موريا هاجادا، وقد استلهم النماذج من الرسومات والأشكال الجدارية المصرية الأصلية لعيد الفصح. استخدم موريا في لوحاته مجموعة من الألوان الزرقاء، والبرتقالية، والذهبية التي تعكس الطابع الشرقي. والنص مكتوب بالعبرية. وكتب الخطوط إيزي بلودفيسكي. وهناك مجلد مفصل باللغة الإنجليزية يحتوي على مقدمة الكتاب، وتعليق لراين شلوموفوكس، وترجمة وشرح الصور.

الهاجاداه

تفسير للمنطلقات الفكرية الدينية والأخلاقية اليهودية، تقوم بالتأثير على عقل الإنسان وتقنعه بالعيش عيشة دينية وأخلاقية، وهي لا تحصر نفسها بالتأثير البسيط للكتاب المقدس، بل تحتوي في حلقات النقاش دائمة الانعقاد على أسمى الأفكار والمعتقدات في الفلسفة الدينية اليهودية والأساطير والتصوف والأخلاق.

وهي تفسر كل التاريخ المذكور في الكتاب المقدس بتفسير ديني وقومي بحيث يصير أبطال الزمن الماضي قنوات محتذاة، بينما يصير مستقبل تاريخ أمة إسرائيل مجيداً، وقد صارت الهاجاداه إلهاماً مستمراً عن حب الله وعدله.

يوم التاسع من آب (Tisha B'Av):

هو عيد التاسع من آب، وعادة ما يقع في شهر أغسطس التاسع من آب ترجمة لعبارة "تسעה بأف"، وهو يوم صوم وحداد عند اليهود في ذكرى

سقوط أورشليم وهدم الهيكلين الأول والثاني (وهما واقعتان حدثتا في التاريخ نفسه تقريبًا حسب التصور اليهودي). وتربط التقاليد بين هذا التاريخ وكوارث يهودية أخرى يقال إنها وقعت في اليوم نفسه، حتى وإن كان الأمر ليس كذلك، مثل: سقوط قلعة بيتار (١٣٥م)، وطرد اليهود من إنجلترا (١٢٩٠م)، وطردهم من إسبانيا (١٤٦٢م). وفي التاسع من آب، يحرم الاستحمام والأكل والشرب والضحك والتجمل، ولا يحيي المصلون بعضهم بعضًا في ذلك اليوم. وقد اقترح مناحيم بيغن أن يحتفل بذكرى الإبادة في التاسع من آب، ولكن المؤسسة الدينية رفضت اقتراحه بدعوى أن التاسع من آب مناسبة دينية، أما الإبادة فليست كذلك.

يوم الذكرى Yom Ha-Zikaron (יום הזכרון):

يوم الذكرى هو ترجمة لعبارة "يوم هازيخارون" العبرية، ويوم الذكرى هو يوم يقيمه المستوطنون الصهاينة قبل يوم ٥ أيار، وهو اليوم الذي يحتفل فيه بعيد الاستقلال، ويكرس هذا اليوم لذكرى الجنود الذين سقطوا في حرب ١٩٤٨ والحروب التي تلتها، ويبدأ هذا اليوم بإطلاق صفارة إنذار في كل أنحاء إسرائيل في مغرب اليوم السابق، فتتكس الأعلام، وتغلق دور اللهو بأمر القانون، وتقام الصلوات في المعابد اليهودية، وتوقد الشموع فيها، كما تعلن صفارات الإنذار في الصباح عن دقيقتي حداد يتوقف فيهما النشاط تمامًا في إسرائيل بكاملها، ثم تطلق صفارة إنذار أخرى للإعلان عن انتهاء اليوم وبداية عيد الاستقلال.

قائمة الأعياد السنوية وطبيعتها (١):

طبيعة العيد	التقويم الميلادي	تاريخه في التقويم اليهودي	طريقة لفظ الاسم العبري	اسم العيد بالعبرية	اسم العيد بالعربية السبت
يوما عطلة بمناسبة بداية السنة اليهودية الجديدة وموعد التراث اليهودي	سبتمبر أو مطلع أكتوبر	١-٢ تشرية	روش هشناء		رأس السنة
يوم عطلة وصيام للاستغفار من الخطايا	سبتمبر أو مطلع أكتوبر	١٠ تشرية	يوم كييور/ يوم هكيبوريم		يوم الغفران
٧ أيام، الأول منها يوم عطلة، لإحياء ذكرى سفر بني إسرائيل في البادية بعد خروجهم من مصر.	نهاية سبتمبر أو أكتوبر	١٥ - ٢١ تشرية	سوكوت		عيد المظال/ عيد العرش
يوم عطلة بمناسبة إكمال الدورة السنوية من قراءة فصول التوراة.	نهاية سبتمبر أو أكتوبر	٢٢ تشرية	شعشع عاتسيرت وسمحات توراه		الثامن الختامي والفرح بالتوراة

(١) وفقاً لما جاء بشبكة المعلومات الدولية "جوجل" Google.

عيد التدشين/ عيد الأنوار		حانوكاه/ حاج هاؤريم	٢٥ كيسليف والأيام السبعة التالية	نهاية نوفمبر أو ديسمبر	٨ أيام لإحياء ذكرى إعادة تدشين الهيكل الثاني أيام الحشمونيين
صوم العاشر من طيفيت		عساره بطيفيت	١٠ طيفيت	ديسمبر أو مطلع يناير	صوم في ساعات النهار حدادا على بداية الحصار في أورشاليم (القدس) قبل خراب الهيكل.
عيد الأشجار		طو بشفاط / هشناه لإيلانوت	١٥ شفاط	يناير أو مطلع فبراير	ظهور أول الزهور على الأشجار في نهاية الشتاء
عيد الفور / عيد المساخر/ عيد القرعة		بوريم	١٤ أو ١٥ أدار	نهاية فبراير أو مارس	مهرجان إحياء ذكرى إنقاذ اليهود من الإبادة أيام الإمبراطورية الفارسية (حسب التراث الوارد في سفر أستير).
الفصح		بيسح	١٥ - ٢١ نيسان	نهاية مارس أو إبريل	٧ أيام، الأول منها يوم عطلة، لإحياء ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر

لأج باعومر		لأج باعومر	١٨ أأار	نهاية إبريل أو مايو	إأواء ذكرى انأصار المنأرأين الأيهور بأقواءة أار كوآفا في إأأأى المعارك ضد الإمبراطورية الرومانية (القرن الأأاني للميلاد)
عيد الأسابيع (العنصرة اليهودية)		شافو عوت	٦ سيفان	نهاية مايو أو يونيو	يوم عطلة بمناسبة نهاية فترة الحصاد والأأمع بأول الأأار موعأ نزل الأأورا في أيل السبناأ حسب الأأراأ اليهودي
صوم الـ ١٧ من أأوز		يود زابين بأأوز	١٧ أأوز	أوليو	صوم في ساعات النهار بأواءة فترة الأأار على آراب الهيكل.
ذكرى آراب الهيكل		أأشعاه بأاف	٩ آف	أوليو أو أأأع أأسطس	صيام لمأة ٢٤ ساعة أأاراً على آراب الهيكل.

ثانياً: عقد تأسيس الجامعة المصرية

[الملحة الأولى من قانون الجامعة الأساسي ، وترى في ذيل الملحة الأخيرة من القانون توصيات
الأمير أحمد نواز مدير الجامعة إذ ذاك ، وحسن وعدي إياها ، وإبراهيم نجيب إياها واحد ذكر بك
سك حرمها للعام] .

عقد التأسيس

مستعجلة مجلس إدارة

جامعة مصر

والغرض من هذه الجامعة ترقية دارك وافتتاح المصريين على نهضة

وذلك بشهر الآداب والعلوم تكون هذه الجامعة فاعلة فاعلة في النهضة

وموارد هذه الجامعة هي ما يأتي

أولاً: ابلغ بمقتضى ما في تحصيل طريق الكتاب العربي

ثانياً: الاغاثة بكونه ابلغ قدما ختمت في جنبه مصري التي تخرج بها ايدان كرم الدولة

ثالثاً: الاشتراك بسوى

رابعاً: الهبات والاعمال التي صدرت او تصدر في المستقبل برصد نفقات ومعارفهم بجامعة

خامساً: الاعانات الدورية او غير الدورية التي يمكن ان تمنحها جهات الحكومة بمصر في الاعمال الهامة والخدمية

او الاخرى

ومجلس الادارة الاول هو محمد عثمان

فأذا رقصتها أجبته العمريه فلا يجوز لاي عضو آخر ان يقيم هذه المناسقه
 مرة ثانية باسم الشعب
 الا اذا قبلتها الجمعية العمريه فتعين مدونة واحدة او اكثر مباشرة الدعوى
 وجميع اوردان العقابيه يجب اعلانها الى المنه وبين المذكورين والاقا
 تكون حقة

المادة التاسعة والعشرون

بني كل ما خالف هذه القانون من القرارات والاعكام واللائح العادة
 قبل هذا اليوم

المؤيدون
 محمد بن محمد
 محمد بن محمد

ثالثاً: خطابات بعض المستشرقين إلى الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة:

بريد است. ٢٢ أغسطس سنة ١٩١٦

مولاي :

تحررت بكتاب دولتك ، الذي تفضلتم بإرساله إلى في ١٦ الجاري ، وأبدوا السحر من خالص
شكري لمعظمكم السامي .

وما أكرر شكري لو أستطيع النذل على قدر الطاقة ، لاجابة الصرة الطيبة الفان ، التي تصرف
دولتكم فيها الجهد المستطاع ازقتها .

ولقد قضيت في حداثة سني زمني في التحصيل بالجامع الأزهر الشريف ، ودار الكتب
الحدوية ، وذلك بريلني بالفخرة بملة مينة ، ولا توجد هناك صعوبة من قبل حكومة بلادى ،
في الترخيص لي بأجازة رسمية ، غير أن أمورنا تعلق بشئون مهني ، لا تسمح لي الآن أن أترك
وظيفة التدريس مسئلة أنفرا متوالية ، ولذا أبدى مزيد أسنى الشكر ، على أني برغم إبلادتي ،
قد حالت هذه الأسباب التي أبديتها بين وبين تلبية طلب دولتكم .

وإني أكرر لدولتكم يا مولاي عبارات الشكر ، ولم أزل خادمكم للطبع

الدكتور
أ . جولدزيهر

بودايت في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١١

مولاي :

أشرف بإخباري محوكم ، أني لم أقصير في السعي لدى جناب الأستاذ جولد زهير ، لقبول دعوكم الكريمة ، بحضور الجامعة المصرية بالقاهرة ، وكنت أظن أن أقوم بهذا السبل ، لما فيه من الشرف العظيم ، ليس فقط للأستاذ جولد زهير ، بل له ولعلم المجري ، وماتالته أيضا جامعة بودايت . غير أن الأستاذ جولد زهير أبدى مع مزيد الأسف ، أنه لا يمكنه أن يقبل الآن ذلك ، لأسباب شخصية ، ومع ذلك فإنه يستعمل مجدي ، لينسج له إجابة هذا الطلب . وقال لي أيضا إنه سبق أن أشرف ببلع دوتكم أسباب تردده .

وإن يسوءني أن مساعي لدى الأستاذ جولد زهير لم يأت بالنتيجة المطلوبة ، ولذا أفسح دوتكم في بلع هذا الجواب ، وأطلب قبول المذمة .

وإن أشير هذه الترجمة لأجده دوتكم عبارات الاحترام العظيم ما

كون هنروفازي

ليون ٢٧ أغسطس سنة ١٩١١

مولاي :

تلست كتاب دولكم المؤرخ في ١٦ أغسطس سنة ١٩١١ ، تيتا الدعوة التي تمكرم بتمريض بها ، وحاطبتم في شأنها حضرتي وزير الداخلية ووزير المستعمرات ، وبما أنها بقطبان إجازتهما في السياحة ، فمن المحتمل أن يسلمكم جوابهما متأخرين .

هذا ، وأبدى أن أعمال المدينة ، التي أنوم بأدائها ، لا تسمح لي أن أهيب مدة السنة الدراسية أكثر من شهرين ، كما أحصلت دولكم علما بذلك سابقا .

ومن حيث إن السنة المكتبية للتداخلة في ماضي ١٩١١ ، ١٩١٢ دعوني استثناء إلى القيام بأعمال جسيمة غير اعتيادية ، لا يتسنى تأجيلها ، وكلها محتاج إلى عمل وسفر ، ومنها مؤتمري المستشرقين الذي سيقتد بمدينة آتينا ، الذي يجب أن أراس فيه الجلسة العامة لجمعية دائرة المعارف الإسلامية ، وجلسات المجلس الاستشاري الدولي ، الذي يتقدم بروكسل ، حيث طلب مني عمل تقرير من أحد الموضوعات التي سيتناولها البحث ، فضلا عن ذلك فقد عينت وكلاء لجمعية تحضير المؤتمر الدولي لتاريخ الأديان ، التي سيقتد هنا بمدينة لندن .

فلهذه الأسباب جميعها ، زرون أنه ليس يسمر علي فقط قبول عمل جديد مهد به إلى في هذا العام ، وهو يستمر غيا باطويلا ، بل يتقصى أيضا الوقت الذي يمكن من تحضير دروس أنوم بإلتفاتا بالغة الرعاية كما ينبغي .

وحتى لو وجد الوقت الضروري ، فلا أنكر الصعوبات العظيمة في تحضير دروس كهذه ، فإذا ضاق الوقت وتمكنت تحضيرها ، فالنتيجة المنتظرة بالضرورة خيبة آمال كلية جامتكم وآمال أيضا ، وأكون بذلك قد استنمت بالغة التي شرقتي دولكم بإحلالها في .

وبما أنه يجب علي أن أعرض الاعتبارات المذكورة على ذوي السلطة التي أنا تابع لها ، رأيت من الواجب جلبها لدولكم بلا توان ، كي يتسنى لكم اتخاذ التحولات اللازمة .

وليس من الحكمة أن أعددكم بالتدريس في جامتكم في السنة للمكتبية القادمة ، وعدا يسر على إنجازها ، فيتوجه إلى أنوم .

أما في العام التالي ، فربما تساعدني الظروف على القيام بهذا العمل ، وذلك إذا لم يكن ثمة موانع من قبل السلطة الإدارية لجامتكم ، ولست بمجرد تقديم اعتذاري لتخلفي في هذا العام ، أعبر مدعوا لسنة آتية بل يمين تحييد دعوني من دولكم ، أما إذا تمكنت من إيجاد أستاذ لسنة المكتبية للتداخلة في ١٩١١ - ١٩١٢ ، فيكون من مصلحة الجامعة استمراره في التدريس .

وكونوا على ثقة يا مولاي من خالص إعجابي بسلمكم الحليل ، ورغبتي الشديدة في خدمة الجامعة ، كلما سنحت الفرصة ، لأن أفيدها بسلا ما .

سنوك هرغروني

وتحفظوا بقبول عبارات الاحترام ما

نظارة الخارجية

نمرة ١٥٢٧

اللازمة لـ ٥ نوفمبر سنة ١٩١١

مولاي :

طلب من جناب المتمد السياسي لحكومة هولندا ، أن أبلغ دولتك بأنتم حكومتكم ، أن ناظر الداخلية بمدينة لاهاي ، إجابة لرغبتكم ، على تمام الاستعداد لأن يفتح الأستاذ سنوك مرغروق ، مدرس اللغة العربية بجامعة لندن ، إجازة رسمية ، وأن هذا الأستاذ من جهة لا يتأخر عن الحضور لإلقاء دروس طالية بالجامعة المصرية ، غير أن ظروف مختلفة تمنع من الاستعداد بإجازة في السنة المكتبة ١٩١١ - ١٩١٢ ، ويرض على دولتك الحضور بالقاهرة ، في السنة المكتبة ١٩١٢ - ١٩١٣ إذا لم تزوا ضررا في ذلك .

وتفضلوا بامولاي بقبول خالص احترامى ما

حسين رشدى

براج في ١٢ أكتوبر سنة ١٩١١

مولاي :

إن سنة الأسابيع السابقة ليماد التدريس ، قليلة جدا لإعداد المحاضرات المطلوبة ، ولا سيما أنها بالغة البرية ، وقد قال سموكم إنا للفرسين مغرطون في التدقيق في العلم ، أفلا يكون هذا التدقيق هو الذي يجعل علومنا مرغوبا فيها حتى عند الشرقيين .

على أن أثنائي العملية التي بدأت فيها ، لا تتمكني من تنهي عن براج في وقت قريب .
وإني لا أزال في خدمة سموكم في المستقبل . هذا مع إعجابي بشركم لواء العلم العربي .
وإني يا مولاي المحض لكم ما

الأستاذ

رودلف دور زالك

براج في ٢١ أكتوبر سنة ١٩٧١

مولاي :

طبقا للرجعة التي أظهرتموها عند مبارحتكم براج ، قد طلبت الإلتحاق إلى الدكتور رودلف دور ذلك ، أستاذ الجامعة الوجيبة بمدينة براج ، أن يجيب دعوة دولتكم في الذهاب إلى مصر ، للقيام بالتدريس بالجامعة المصرية ، ولقد بحث لي جنبه جوابا وقيق العبارة ، أظهر لي فيه مبلغ الشرف الذي تاله جامعة براج ، من جراء ذلك ، غير أنه لا يمكنه قبول هذه الدعوة ، التي يفتخر بها هو ومن جينا ، ويقدم لدولتكم وأثر الشكر على كل حال ، فيسدي مسيو دور ذلك ، أنه لا يستطيع البدء بالتدريس في شهر ديسمبر من هذا العام ، وأن خيق الوقت هو الباهت القوي لعدم قبوله ، حيث قال ما نصه :

« لا يصدني عن الإجابة عدم الميل إلى هذا العمل ، ولا قلة الإخلاص فيه ، ولا حب الميعة السهية ، وإنما ينحني اعتقادي أن هذه المدة الوجيزة لا تفي للقيام بهذا العمل » .
وما أسعدني أن أعمل على ربط الصداقة بين مصر ووجيبيا بروة وثقى ، وسأبذل أيما جهد طاقتي في هذا السبيل . وإلى سيدي بتقديم دولتكم بمدينة براج .

وأرجوكم أن تتأثروا بقبول عظيم إجلالي ما

عمدة براج
ك . غروس

رابعاً: فهرس الأعلام الكامل بالحروف اللاتينية:

Namenverzeichnis

A

'Abbās Efendi 279
 — Abbāsi al-Mahdi 69, 70
 — Abd al-Chābik Scheich al-Sādi 67
 — Abd al-Dechakāl 68
 'Abdelbehū 275, 276, 278
 Abdolkader 58, 59
 Abdellatif 304
 Abū Nuwās 193
 Abūnā Mūsā 60
 Achelis, Th. 207
 Ahmed Fuad 269, 270, 274, 280, 296
 Adler, E. 305
 Ashrenthal 270, 271, 296
 Āḡal, A. 288
 Ahlwardt, W. 122
 Ahmed Salāh al-dīn 289
 Alexander, B. 31
 — Ali Bascha Mubārek 67, 122, 180, 199
 Alma-Tadema, L. 178
 Almkvist, H. 41, 119
 Amīn, Scheich 94
 Andrassy, J. 78
 Andreas, F. C. 250
 Angyal, D. 308, 310
 Anyos, P. 248
 'Arabi 72
 Arany, J. 163
 Arany, L. 55
 Arendonk, C. van 283
 Aristoteles 44
 Arnold, T. W. 149
 Artin Pascha, J. 198, 199
 Aschmuni 70, 76
 Asin Pulacios, M. 276
 Al-Asma'ī 196

B

Bacher, S. 140, 141
 Bacher, W. 32, 33, 39, 42, 46, 106, 140, 142,
 145, 154, 169, 171, 172, 187, 196, 197.

207, 211, 220, 221, 223, 225, 226, 240,
 256, 257, 259, 264, 268, 269, 274, 276
 Badics, F. 244
 Bagehot 83
 Baldāwī 41, 49
 Balhaki 232
 Bakst, A. 256
 Ballagi, A. 282
 Ballagi, M. 27, 29, 34, 45, 128
 Balogh, E. 271, 272, 296
 Bang 143
 Bánóczy, J. 31, 106
 Barbier de Meynard, A. C. 186, 219, 224, 230
 Barjisi 196
 Barth, J. 104, 250
 el-Bārūnī, Sulejman 289
 Basset, R. 156, 172, 261
 Baudissin, W. W. 41, 44, 276
 Bauer 153
 Baumgarten 242
 Baunard 147
 Becker, C. H. 249, 250, 273
 Békefi, R. 268
 Benet, M. 17
 Benzew, J. L. 19
 Beöthy, Zs. 168, 187, 200, 266, 297, 308
 Berger, I. 16
 Bergsträsser, G. 287
 Berilner, A. 38, 48
 Bernard 143
 Bertrand 60
 Berzeviczy, A. 244, 259
 Bevan, A. A. 150, 196, 219
 Bezold, C. 249, 250, 259, 271, 273, 274
 Bickell, G. W. H. 160, 161
 Binder, E. 162
 Biran, M. de 147
 Bīrūnī 51
 — al-Bīstānī, Botrus 56
 Black 214, 217
 Blau, L. 220, 221, 240, 264
 Bloch, M. 221, 226, 240, 263
 Boer, T. J. de 253, 254

Bondy Bey 270
 Boschan, J. 247
 Brill, S. L. 28, 32, 214, 215
 Brockelmann, C. 283
 Brockhaus, H. 41, 44
 Broda, H. 16
 Brody, S. 214
 Brogli 188
 Brönle, P. 218
 Browne, E. G. 150, 158, 172, 219
 Brugsch, H. 66
 Büchler, A. 218, 245, 282, 293
 Büchler, P. 298
 Budde, K. 218, 219, 222, 259, 273
 Budenz, J. 27, 45, 137
 Buhārī 50
 Buhl, F. 261
 Buhturī 213
 Buonazza, L. 41
 Burdach 287
 Burian 71, 258
 Burnouf 153

C

Caboga 65
 Caetani, L. 262
 Casanova, C. 186
 Castelar 190
 Cerf 275
 Chajjug 138
 Chantepie de la Saussaye 274
 Cheikho, L. 261
 Chester, F. D. 203, 206, 209
 Cheyne, Th. K. 151, 214
 al-Chūrī, Chalī 61, 62
 Clermont-Ganneau, Ch. S. 94
 Cobet, C. G. 49
 Coolidge 312
 Cousin, V. 147
 Csánády 31
 Csengery, A. 52

D

al-Dahabi, Mohammed 57, 60
 Dallos, J. 37
 Dante, A. 127
 Deissmann, A. 249, 256
 Delitzsch, Franz 45

Delitzsch, Friedrich 286
 Demkó, G. 245, 252
 Derenbourg, H. 95
 Derenbourg, J. N. 95, 108
 Dessauer, M. 19
 Deutsch, S. 156
 Diels 287
 Dieterich, A. 249
 Dieterici, F. H. 37
 Diez, E. 294
 D'Israeli 149
 Dobrovics 250
 Dor Bey 67, 68, 180
 Dozy, W. R. 48, 50
 Drobisch, M. W. 41, 44
 Deschelāl ad-dīn 71, 108
 Duka, T. 158
 Dünner, J. H. 48
 Dupert 49
 Dzierżanowsky Bey, W. 198

E

Ebers, G. M. 47, 48, 66, 76, 77, 93, 104, 124, 178, 179, 193, 209
 Ehrlich, E. 294
 Elisabeth, Königin 302
 Ellenberger 88
 Eneberg, W. 41
 Eötvös, J. 33, 34, 35, 36, 40, 42, 45, 46, 48, 50, 51, 81, 128, 182, 192, 290, 296
 Eötvös, L. 182, 183, 184, 187
 Erődi, B. 288
 Eugen, Erzherzog 284
 Euting, J. 186, 193
 Evans 255
 Ewald, G. H. A. 27

F

Fahmy, Mansūr 280, 281
 Farchi 61
 Farcy, G. 147
 Fathalla, Hamza 118
 Fatima 67
 Felbermann, F. 149
 Felbermann, L. 149
 Feldmann, M. 299
 Fell, W. 95
 Fenyvessy, A. 42, 43

Feridun 29
 Ferrand, G. 250
 Fetscherin, F. 146
 Fikri, Emin 118, 198, 199
 Fináczy, E. 309
 Fischer, E. 21
 Fleischer, H. L. 39, 41, 44, 46, 47, 48, 50, 56,
 58, 76, 77, 79, 104, 115, 116, 214, 235
 Fleischl, J. 130
 Forgó, P. 134
 Forti 270
 Frank, L. 19
 Franke 45
 Fränkel, S. 165, 263
 Franz Ferdinand 296
 Freudenberg, M. 277, 278, 279, 280, 283,
 293, 295, 299, 309, 311
 Freudenberg, M. W. 19, 20, 22, 28, 33, 42,
 164, 214
 Freudenberg, R. 311
 Freyendorfer 290
 Friedmann, I. 272
 Friedmann, M. 127
 Fröhlich, R. 52
 Fürst, J. 44
 Fürst, L. 44

G

Gaillardot-Bey 199
 Gairdner, W. H. T. 269
 Gannach 38
 Garneray, L. 146
 Garsusi 72, 73
 Geiger, A. 28, 33, 39, 123, 224, 267, 324
 Geiger, B. 294
 Gerlach, B. L. 21, 308
 Gesenius, W. 25, 38
 Geyer, R. 125, 151, 152, 294
 Ghazali, 283, 285, 288, 289, 291
 Glakra 284
 Glaser, E. 123, 152, 192, 195, 260
 Glück, N. 30, 51, 73, 90, 121
 Goeje, M. de 48, 49, 50, 94, 112, 114, 115,
 116, 186, 203, 208, 219, 224, 227, 235,
 250, 253, 261, 263, 274, 305
 Goethe, J. W. 128, 157, 280
 Goldzieher, E. 149
 Goldzieher, W. 21, 167
 Goldzieher, Isak 154

Goldzieher, K. 115, 161, 230, 235, 253, 256,
 261, 262, 267, 268, 269, 277, 311, 312
 Goldzieher, M. 120, 123, 161, 173, 228
 Goldzieher, M. A. 15
 Goldzieher, V. 16
 Gönczy, P. 27
 Görög 32
 Gottheil, R. J. H. 186
 Graetz, H. 167
 Graf 43
 Grant Duff, M. E. 151
 Grempler 176
 Griffini, G. 295
 Grohmann, A. 294
 Grünsu 176
 Grünert, M. 159
 Grünhut, N. 28
 Gubernatis de, A. 149
 Guggenheimer, J. 19, 22
 Guidi, I. 116, 203, 208
 Gunkel, H. 218
 Guthe, H. 179
 Guyard, S. 94, 108
 Gyulai, P. 244, 249, 263

H

Haarbrücker, T. 37
 Haber 266
 Habuba 198
 Hajja 61, 62, 63, 73
 Halevy, J. 118
 al-Hamadani 49
 Hamburg, J. 16
 Hammer-Purgstall, J. 37
 Hamzat Isfahani 193
 Hanslik 293
 Hanuy, F. 295, 296
 Hare, A. J. C. 239
 Harkavy, A. E. 184
 Hartmann, M. 172, 224, 261
 Hasanein Efendi 66
 Häschem 58, 60
 Hase 163
 Hastings, J. 241, 269
 Hatula, P. 54, 72, 74, 75, 76, 171, 226, 241,
 245, 292
 Hatvany-Deutsch, J. 266, 272
 Havas, R. 288
 Hechler 195

Hegedüs, S. 308
 Heinrich, G. 52, 53, 55, 192, 238, 266, 287
 Kelly, L. 54
 Kell, J. 250
 Keller, B. 300, 307
 Herbart, F. J. 44
 d'Herbelot 26
 Herman, O. 133
 Herrigel, W. 275
 Herz, M. 198, 200, 260, 295
 Hevesi, S. 264, 281, 298
 Hieronymi, K. 174
 Hifzallah Efendi Muftië 191
 Hillel, Sch. 292
 Hinneberg, P. 232
 Hirsch, M. 216
 Hirschler, I. 83, 132
 Hochmuth, A. 31
 Hoffmann, G. 165
 Holländer, L. 101
 Holzinger, H. 218, 219, 222
 Homer 202
 Hommel, F. 152, 159, 174, 182, 192, 195, 250, 260
 Hopfer, H. 176
 Hornyánszky, A. 250
 Horten, M. 272, 273
 Horváth, C. 25
 al-Hotej'a 123, 125, 127, 131, 145, 157
 Houdas, O. 186
 Houtsma, M. T. 49
 Hrozny, B. 294
 Hummel 63
 Hunfalvy, P. 27, 45, 112, 120, 121, 133, 266
 Hurter 170

I

Ibn 'Arabi 273
 Ibn 'Asakir 193, 196
 Ibn al-Athir 208
 Ibn 'Arak 58
 Ibn Hazm 89, 92, 193
 Ibn Hüd 159
 Ibn al-Munajir 292
 Ibn Sa'd 263, 310
 Ibn al-Sikkil 49
 Ibn Tournier 230, 235
 Imrû'l Kajs 56
 Isma'il Pascha 65
 Izzet Pascha 57

J

Jacob, G. 171, 196, 253, 271, 297
 Jahn, G. 39, 127
 Ja'kûb, 110
 Jäküt 215
 Jankovich, B. 287, 296
 Jellinek, A. 16, 160
 Josef, Erzherzog 278, 295
 Jouffroy, Th. 147
 Jung, J. 309
 Juynboll, Th. W. 254, 283

K

Ka'ib b. Zuhejr 126, 127
 Kahle, P. 283
 Kalî 179
 Kann, E. 129
 Kant, I. 44
 Karabacek, J. 216, 227, 261, 294
 Kármán, M. 41, 42, 43, 44, 48, 52, 74, 158, 162, 164, 169, 202, 217, 219, 224, 286, 291
 Karpeles 21
 Kastallani 92, 206
 Katz 225
 Kaufmann, D. 87, 88, 89, 115, 203, 212, 220, 221, 224
 Kautzsch, E. 41, 112, 125, 149, 150, 151, 157, 159, 218, 219, 222, 235
 Kayserling, M. 221, 222, 229, 243
 Keleti, I. 215
 Keller 148, 176
 Kern, F. 228
 Kernback, G. 170
 Khuen-Héderváry, K. 270
 Kibrizli Pascha, Mehmet 146
 Kingsley 186
 Kirkisani 184
 Kiss, J. 253, 255
 Klamarik, J. 200
 Klausner 36
 Klobelsberg, K. 296
 Klein, G. 119, 264
 Kleinmann, M. siehe Kármán, M.
 Kochanof 175
 Kohn, S. 79, 80, 81, 137, 143, 162, 169, 174, 208, 213, 225, 226, 260, 278
 König, J. 53

Konstantin 220
 Kornfeld, S. 205, 229, 236
 Kőrösi-Csoma, A. 234, 235
 Kövesligethy, R. 301
 Kraft 48
 Kratshkowski, I. 283
 Krzsmárik, J. 258
 Krehl, L. 41
 Kremer, A. 113, 115
 Krumbacher, K. 175, 192
 Kuenen, A. 43, 49, 94, 95, 274
 Kuhn, E. 192, 222, 253
 Kunos, L. 225
 Kurdi, 'Ali 282
 Kuun, G. 138, 226, 227, 234, 243, 256

L

al-Lakānī 72
 Lambert, E. 146, 233
 Lammens, H. 261, 273
 La Morcière 148
 Lanckorovsky 251
 Land, J. P. N. 48
 Landberg, C. 63, 104, 113, 118, 122, 124,
 125, 143, 172, 173, 175, 176, 177, 181,
 182, 186, 189, 192, 193, 196
 Lang 252
 Láng, L. 252
 Lázár 289
 Lebrecht, F. 38
 Lederer 64
 Le Hire 153
 Leo, F. 251
 Leopardi 147
 Lewetzow 175, 176, 179, 180, 181, 189, 193
 Léwi 62
 Liebenau 181, 193
 Lindner, E. 45
 Lippmann 147
 Lóczy, L. 313
 Löffler, E. 102, 103, 115
 Löffler, H. 126
 Lörentley, I. 301
 Loth, O. 87, 126
 Lovatelli 262
 Löw, I. 106, 171, 211, 219, 248, 293, 310
 Löw, L. 42, 106
 Löwentritt 39
 Lyall, Sir Ch. 261

M

MacDonald, D. B. 233
 al-Magdī, Scijid Sālih Bey 67
 al-Mahdī 139
 Mahfuz 70, 71
 Mahler, F. 273, 285
 Mahmud Muchtar Pascha 286
 Maimonides 38
 Makkarius 60
 Málnai, M. 285
 Mansur 193
 Marc Aurel 180
 Marillier, L. 230
 Martineau, R. 149
 Massignon, L. 273, 277
 Masznyi, E. 250
 Matta 66, 71
 May, K. 146
 McClymont 252, 254, 255
 Al-Mejdānī 58
 Melek Hanum 146
 Mendelssohn, M. 37, 303
 Merx, A. 249
 Mesajjah, Bahgat 281
 Mészáros, J. 292
 Meyer, E. 125, 261
 Meyrink, G. 292
 Mezei, F. 305
 Mezey, F. 95, 162
 Mihályfi, A. 301
 Minor 143, 144
 Mittler, L. 89, 90, 94, 161, 230, 232, 282,
 285, 301, 307, 310
 Mittler, P. 236
 Mittwoch, E. 289
 Mohammed 70, 194, 197
 Mohl, J. 261
 Molla Ishak 26
 Molnár, A. 45
 Mommsen, Th. 50, 224, 226
 Mülinen 283
 Müller, A. 95, 104, 114, 116, 118, 123, 125,
 126, 131, 145, 147, 165
 Müller, D. H. 51, 95, 104, 112, 113, 115,
 151, 152, 160, 197, 203, 260
 Müller, M. 27, 86
 Muncijir 59
 Munk 225
 Munkácsi, B. 130, 201, 225
 Murko, M. 302

Mustil, A. 261, 294
 Muslim 92, 206
 Musset, A. 148
 Mustapha Pascha Fahmi 92
 Mzik, H. von 294

N

Naville 200
 Nawawif 92
 Nehama 218
 Neményi 261
 Neubauer, A. 151
 Neumann, E. 224
 Neuwelt, A. 96, 97
 Niemeyer 114, 126, 228
 Nietzsche, Fr. 224
 Nöldeke, Th. 95, 105, 112, 115, 116, 119,
 145, 157, 184, 193, 197, 203, 208, 218,
 219, 224, 230, 235, 244, 249, 250, 268,
 271, 307
 Nordau, M. 30, 184
 Nowack, W. 218, 219, 222

O

Obermann, J. J. 294
 d'Ohsson, M. 26
 Onody, V. 31
 Oppenheim, M. 261
 Orelli, K. 41, 276
 Oscar II. 118, 130, 132, 206, 258
 Orthoff, H. 166
 Othmān 97
 Ovid 164

P

Pápay, J. 244
 Pauer, I. R. 192
 Pauler, T. 50, 51, 54, 129
 Pedersen, J. 272, 273
 Péterfy, E. 202, 223, 224
 Peterson 255
 Petőfi, A. 304
 Petrik 51
 Petschewi 27, 29
 Petz, G. 241

Fillitzer 157
 Fischel, R. 218
 Fitzi 233
 Plato 147, 171, 180
 Platz, F. B. 190, 200, 238
 Playte, W. 48, 49
 Pollak, I. 253
 Poznanski, S. A. 253, 267
 Pražak, J. 174
 Pulszky, A. 52, 53
 Pulszky, F. 52, 53
 Pulszky, P. 52, 53, 135

Q

Quatremère 153
 Quinet, Ed. 147

R

Rainer, Erzherzog 251
 Rákossy, E. 272
 Rauch 56, 63
 al-Rāzī, Faḥr al-dīn 92, 272
 Rackendorf, H. 250
 Reid 255
 Renan, E. 68, 108, 153, 159, 162, 165, 199
 Reschofsky, A. 296, 299
 Reuther 220
 Réval, M. J. 225
 Révay, F. 71, 72, 93
 Réville, A. 230
 Réville, J. 230
 Riaz Pascha 67, 68, 69, 71, 72, 77, 180
 Riedl, F. 233, 238
 Riedl, Sz. 25
 Ritterhausen 49
 Rodor, A. 34
 Rödiger, E. 37, 38, 39, 41
 Röheim, G. 298
 Rombauer 266
 Ronzevalle, L. 273
 Roscher, W. 297
 Rosen, V. R. 41, 44, 112, 113, 207, 219
 Rosenzweig 299
 Roitschild 179
 Rudstob, Th. 44
 Rilling 196
 Ruska, J. 270
 Ruzsicska, J. 32, 70

S

- Sachau, E. 51, 95, 186
 Sa'd b. Mansûr 197
 Sa'dî 26, 32
 al-Sahrazuri, Ibn al-Salah 288
 Sa'Id 193
 Sa'Id b. Hasan al-Iskânder 190
 Sakkâ 70
 Salemann, K. 118, 262
 Sâlih b. Abd al-Kuddûs 139, 150
 Sâmi, Emin Bey 198, 199
 Santa-Rosa 147
 Sasvári, A. 290
 Savvas Pascha 201
 Sax 66
 Sbâ'i, Mustapha Beg 58, 60
 Schaade, A. 287
 Schabinger 285
 Schack 179
 Schaep 181
 Schafi'i 72, 193
 Schahbender, Sâlih 58
 Schakib Arslân 308, 309
 al-Schami, Abdallah 72
 Schapira, M. W. 65
 Scha'rânî 210
 Scharf, M. 95
 Schechter, S. 242, 279
 Scheffel, V. 183, 184
 Schever, E. 147
 Schiller, F. 147
 Schlegel, C. 303
 Schlegel, D. 303
 Schmid, A. 19
 Schmidt, A. E. 207, 209, 217
 Scholten, J. H. 49
 Schopenhauer 127
 Schorr, M. 273
 Schreiber, I. 291, 294
 Schultess, F. 250
 Schulze, O. 114, 115
 Schwally, F. 232
 Schwarz, G. 288
 Schwarz, W. 137, 143
 Schweiger, M. 208, 210, 217, 224
 Sebestvén, K. 306
 al-Sejdi, Moham med 59
 Sephâr, Bschâra 64
 Seybold, F. 208
 Seyer 254
 Sherffy 64
 Sibawehi 68
 Sidkî, Bakîr 297
 al-Sidshistânî, Abû Hâtim 196, 207, 218, 218
 Sienkiewicz, H. 292
 Sijufi Pascha 198
 Silberman 178
 Simon, J. 53, 101, 161, 187, 210, 228
 Simonyi, S. 137
 Smith, W. R. 95, 113, 114, 131, 150, 172, 214, 217
 Snouck Hurgronje, Ch. 56, 93, 94, 95, 104, 110, 112, 113, 114, 115, 202, 253, 254, 262, 268, 271, 273, 274, 280, 283, 284, 289, 294, 307, 313
 Socin, A. 95, 196
 Söderblom, N. 263, 269, 283
 Sofer, M. 38
 Somogyi 21
 Spiegel, A. 264, 265, 266
 Spinoza, B. 83, 95, 254, 273
 Spiro, J. 48
 Stade, B. 41, 44
 Stein, L. 185
 Stein, M. A. 228
 Steinhart, J. 101
 Steinhart, J. 299
 Steinschneider, M. 38, 197
 Steintal, H. 87, 138
 Stern, A. 208
 Strack, H. L. 168
 Strassmaier, J. N. 161
 Strauss 153
 Stremayer 77
 Strzygowski, J. 186
 Stumme, H. 283, 287
 Sujûti 48, 49
 Sulzberger, M. 242
 Surur 71
 Szalay, L. 77, 299
 Szapáry, J. 149
 Szász, K. 128
 Széchenyi, S. 243
 Szilágyi, D. 56
 Szilasi, M. 244, 246
 Szily, K. 244, 266

T

Tabari 110, 193, 196
 Tafler 149
 Tâhir 282
 Tanárky, G. 35
 Tannera 176
 Tano, P. 66
 Teleki, P. 292, 293
 Télfy, I. 25
 Thallóczy, L. 258
 Than, K. 236, 251
 Thiele, C. P. 274
 Thierry 283
 Thomsen, V. L. P. 261
 Thorbecke, H. 95, 125
 Tigrene Pascha 179
 Tischendorf, C. 41
 Tissot, V. 146
 Tisza, S. 234, 272
 Toldy, F. 32, 78, 244
 Tolnai, A. 28
 Tompa, M. 304
 Torczyner-Tur-Sinai, H. 294
 Torma 184
 Török, P. 27, 31, 53
 Tóth, L. 35
 Trefort, A. 52, 53, 54, 74, 75, 76, 77, 78, 105, 106, 237, 262, 287, 300
 Trestel 176
 Trübner 230, 233
 Tschermak, E. 176

V

Vadász, L. 305, 306
 Vámbéry, A. 25, 26, 27, 29, 32, 34, 45, 46, 54, 55, 56, 72, 78, 94, 105, 106, 112, 129, 169, 171, 187, 215, 216, 217, 226, 227, 242, 285, 286
 Van Berchem, M. 186, 208, 261, 270
 Van Dyck, E. 216
 Várgel, E. 304
 Vatke 43
 Venetianer, L. 259
 Veüillet, L. 146
 Vitrág, B. 248

Virgil 164
 Vogcl, J. Ph. 283
 Vollers, K. 149, 198, 263
 Voltaire 147

W

Wagner, R. 144
 Wahrmann, M. 96, 97, 100, 101, 124, 126, 127, 130, 140, 141, 154, 155, 156, 208
 Weinmann, F. 237, 238
 Weinmayer, B. 17
 Weissenburg (Stern); Ch. 17
 Weisz, J. siehe Bánóczy, J.
 Weiszbürg, J. 245
 Wekerle, L. 293
 Wellhausen, J. 114, 230, 251, 252, 262, 267, 272
 Wensinck, A. J. 283, 313
 Werthoim, H. 299
 Wetzstein, J. G. 37, 61
 Wickes, W. 41
 Wimpffen, W. 35, 36
 Windisch, F. 114
 Wieneke 303
 Winter 261, 263, 264
 Wlassics, J. 191, 192, 200, 228, 234

Y

Yahuda, A. S. 248, 258, 276, 277
 Young, F. M. 228

Z

Zaki Pascha, Ahmed 273
 Zaluskí 36, 37
 Zarifa 66
 Zichy, E. 244, 248
 Zichy, J. 272
 Zipser, Marcus 19
 Zipser, Mayer 19
 Zomber, L. 38
 Zotenberg, H. 108
 Zsilinszky, M. 228, 266
 Zunz, L. 28

نبذة عن تاريخ المجر

تقع جمهورية المجر (التي تعرف أيضا "بهنغاريا" وتبلغ مساحتها ٩٣,٠٣٠ كم² ويعيش عليها نحو ١٠ ملايين نسمة، وعاصمتها بودابست) في وسط أوروبا، يحدها من الشمال سلوفاكيا، ومن الشمال الشرقي أوكرانيا، ومن الشرق رومانيا، ومن الجنوب كرواتيا وسلوفينيا، ومن الغرب النمسا. وتبين من الخريطة المرفقة أن هنغاريا ليس لها منفذ على البحر. وإلى جانب السكان المجرين أو الهنغاريين الذين يبلغ عددهم حوالي ٨٩,٩% هناك أقلية كبيرة من شعب روما، وتبلغ نسبتهم ٤% من مجموع السكان، وأقليات أخرى من ألمان ٢,٦%، ورومانيين ٠,٧%، وصرب ٢%، وسلوفاك ٠,٨%، وغيرهم. هذا وتعاني البلاد من انخفاض نسبة نمو السكان.

وتتقسم المجر إلى قسمين بواسطة ممرها المائي الرئيس، نهر الدانوب (دونا)؛ وهناك غيره من الأنهار الكبيرة مثل تيسا ودرافا، في حين أن منطقة الدانوب تحتوي على بحيرة بالاتون، وهي مساحة كبيرة من المياه. وتمثل بحيرة هيفيز (منتجع هيفيز) أكبر بحيرة حرارية في العالم، وثاني أكبر بحيرة في حوض بانونيا هي البحيرة الاصطناعية تيسا (تيسا - تو). ومنطقة الدانوب هي منطقة جبلية في المقام الأول مع تضاريس متنوعة من جبال منخفضة. وتحتوي هذه المنطقة على آخر الأمتداد الشرقي لجبال الألب - ألبوكاليا - في غرب البلاد، وجبال منطقة الدانوب المتوسطة، في المنطقة الوسطى من الدانوب، وجبال ميشيك، وجبال فيلاني في الجنوب. وأعلى

نقطة في هذه المنطقة هي إيروت-كو في جبال الألب، التي تبلغ ٨٨٢ مترًا. وتقع أعلى الجبال في البلاد في منطقة الكاربات - في الأجزاء الشمالية - في نطاق واسع على طول الحدود مع سلوفاكيا.

والشعب الهنغاري أو المجيار ينتمي إلى الفصيلة اللغوية الفينية-الأجرية، وكانوا قبائل رحالة، هاجروا من الأورال إلى منطقة القوقاز؛ حيث اتصلوا بالشعوب التركية، ومنهم تعلموا الزراعة، واقتبسوا نظمهم السياسية والحربية، ثم أجبرهم شعب البتشنجز على الارتحال غربا، وحطوا رحالهم واستقروا تحت زعامة أرباد في هنغاريا حوالي عام ٨٩٥. وكان المجيار فرسانا محاربين، فتحوا مورافيا، وتغلغلوا في ألمانيا، حتى تمكن الإمبراطور أوتو من وقف زحفهم في ليشفلد عام ٩٥٥، ليبدأ تاريخ هنغاريا مع مجيء الملك ستيفان الأول عام ٩٩٧ م (وهو من أسرة أرباد الذي كان رئيسا لاتحاد القبائل المجرية) في نهاية القرن العاشر. وتتحول المجر مع مطلع عام ١٠٠٠م من إمارة تتألف من شعب أفراده شبه رحال إلى إمبراطورية مستقرة حصلت على استقلالها من الإمبراطورية الرومانية، وأصبح الدين المسيحي هو دين المملكة، وتضم المناطق الحالية للمجر وسلوفاكيا وترانسيلفانيا وكرواتيا وشمال صربيا. وفي عام ١٢٤١؛ تعرضت للغزو المغولي الذي أضعفها وقضى على الأسرة الحاكمة في عام ١٣٠١ لتعيش بعد ذلك فترات تتراوح بين الضعف والقوة بين أفراد طبقة النبلاء حتى أواخر القرن الخامس عشر. ومع بداية القرن السادس عشر سيطر العثمانيون على منطقة البلقان، وانتصر سليمان القانوني في موقعة موهاج على الملك لويس الثاني المجرى، وقضى على ما كان يعرف بمملكة المجر؛ وبذلك تتحول المجر إلى إمارة عثمانية تابعة. بقيت معظم أراضي المجر تحت سيطرة الدولة العثمانية لمدة

١٥٠ عامًا لحين اندلاع الحروب التركية ١٦٨٣م - ١٦٩٩م التي استطاعت فيها النمسا الاستيلاء على هنغاريا، وفشلت الثورة الهنغارية عام ١٨٤٨م ١٨٤٩م أمام النمساويين. ثم اتفق الهنغار والنمساويون عام ١٨٦٧م على إعلان هنغاريا مملكة ذات سيادة ضمن المملكة النمساوية - الهنغارية (مملكة النمسا والمجر أو المملكة الثنائية المعروفة باسم إمبراطورية هابسبورج) حتى سقوطها في عام ١٩١٨، وكان أشهر ملوكها: فرنسيس جوزيف (١٨٦٧ - ١٩١٦)، وشارل الأول (١٩١٦ - ١٩١٨). وفيما بعد أدت النتائج السلبية للحرب العالمية الأولى إلى إعلان جمهورية هنغاريا عام ١٩١٨ مستقلة. وكانت مملكة النمسا والمجر قد عقدت في عام ١٨٧٩ معاهدة تحالف مع ألمانيا (انضمت إليها إيطاليا في عام ١٨٨٢)، وهو المعروف بالتحالف الثلاثي أو الاتفاق الثلاثي، حتى وصل الأمر إلى الصراع المسلح في الحرب العالمية الأولى عقب مقتل الأرشيدوق فرنسيس فرديناند عام ١٩١٤. دخلت هنغاريا الحرب العالمية الثانية في نهاية عام ١٩٤٠ إلى جانب دول المحور، وساعدت في البداية ألمانيا في هجومها على يوغوسلافيا والاتحاد السوفيتي، ثم دخلت في مفاوضات سرية مع الحلفاء لإنهاء الحرب، مما دعا الجيش الألماني لاحتلال عدة مواقع حساسة بالبلاد وتصيب سياسيين موالين للألمان. واستولى الجيش الأحمر على هنغاريا عام ١٩٤٥، بعد معارك طاحنة، وخاصة حول العاصمة بودابست التي سلمت شبه مدمرة تمامًا في فبراير ١٩٤٥.

بعد ذلك دخلت البلاد في حقبة شيوعية تحت السيطرة السوفيتية إلى عام ١٩٩٠، إلا أنه في تلك الفترة وبالتحديد عام ١٩٨٨ بدأت عملية الإصلاح السياسي مع بدء انهيار الاتحاد السوفيتي. ثم فاز المنتدى

الديمقراطي بقيادة جوزيف انتال بانتخابات عام ١٩٩٠ الحرة. وبدأت هنغاريا مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي لسحب قواته من البلاد ومفاوضات أخرى مع الاتحاد الأوروبي لمناقشة عضوية البلاد في الاتحاد، التي تمت عام ٢٠٠٤.

كانت بلاد المجر عبر التاريخ مسرحًا للتداخل الثقافي، وخاصة بين الأبعاد السلافية والبلغارية، والمؤثرات المسيحية والإسلامية، والتقاليد الألمانية والعثمانية. وبتتبع جذور الإسلام الضاربة في أعماق هذا البلد نلمس الكثير من المفاجآت التي تتفق عنها معالم متداعية منذ قرون، أو ما تنطق بها كتب خطها أعلام المؤرخين والرحالة في القرون الغابرة التي امتدت ما يقارب من ١٠ قرون؛ أي ألف عام ضرب فيها الوجود الإسلامي بجذوره في أعماق تاريخ المجر، ويؤكد ذلك وجود ثلاثين بلدة مسلمة قبل ألف سنة!

عرفت المجر الإسلام عن طريق القبائل البلغارية التي هاجرت إلى المجر في أواخر القرن الرابع الهجري/ القرن التاسع الميلادي من المنطقة ما بين الفولجا والأورال. وتضم مدينة بودابست وحدها المساجد والمؤسسات الإسلامية: ٦١ مسجدًا جامعًا، و٢٢ مسجدًا للصلوات الخمس، و ١٠ مدارس إسلامية، وعدد من المكتبات الإسلامية.

تأسست بالمجر جالية مسلمة على مذهب الإمام أبي حنيفة، وهاجر إليها بعض علماء الإسلام من الأندلس في القرن السادس الهجري؛ حيث شهد هذا القرن التحول الأهم، عندما تمكن السلطان سليمان القانوني من الانتصار على المجر؛ ليدخل عاصمتها بودابست. وبذلك لم تصبح المجر ولاية عثمانية فحسب، وإنما باتت بلدًا حافلًا بالمعالم الإسلامية ومنشآت العلوم والصناعة والحضارة أيضًا. وتزايد تعداد المسلمين في هنغاريا مع الغزو التركي للمجر؛ ليلبلغ نحو ربع المليون نسمة مع نهاية العهد العثماني. ولكن سرعان ما

تعرضوا للتكبل والتهجير القسري لتتبقى منهم مئات قليلة، سرعان ما ذابت في المجتمع الرافض للإسلام. ولم يبق بعد انتهاء الحكم التركي في عام ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م سوى جالية إسلامية تركية استقرت بالمجر.

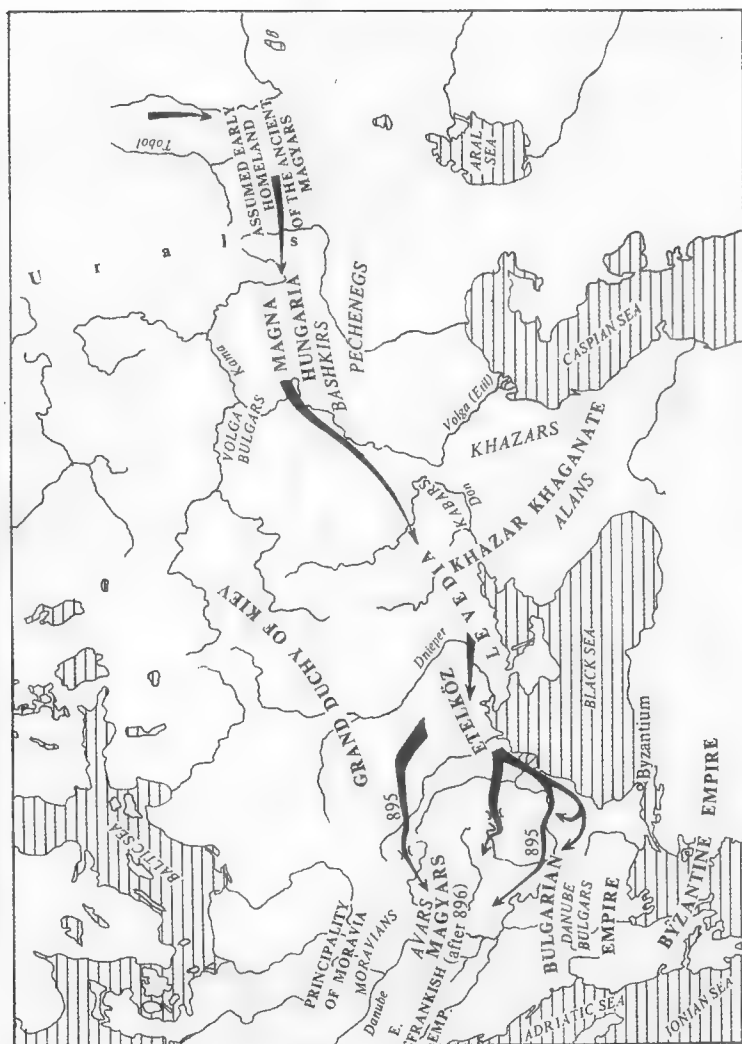
ويعيش في المجر اليوم أكثر من ٣٠ ألف مسلم، معظمهم من الوافدين من العالم العربي، وبشكل خاص من اليمن وبلاد الشام ومصر والعراق، ويكثر من بينهم التجار والطلبة الأكاديميون. ويأتي هذا الوجود المحدود، الذي لا يمثل أكثر من اثنين في الألف من سكان البلاد بقايا معالم الحضارة الإسلامية هناك.

وقد كانت العاصمة المجرية ذات طابع معماري إسلامي، إلا أن المؤسسات الدعوية والتعليمية قد تعرضت للتدمير في القرن السابع عشر الميلادي، وبهذا فقدت هذه البلاد - التي تجمع بين بهاء الطبيعة وعراقة التاريخ - معالمها الحضارية الكبرى التي تشير إلى العهد الإسلامي.

فمن المؤسف أن طالت معاول التدمير مساجد بودابست التي بلغ عددها في أواخر القرن السابع عشر ٨٣ مسجدًا، منها ٢٢ مسجدًا جامعًا.



THE MIGRATIONS OF THE MAGYAR PEOPLE AND THE CONQUEST



المحرر في سطور:

أليكسندر شايبير (١٩١٣ - ١٩٨٥م):

باحث ومستشرق يهودى مجرى، وهو أيضًا مؤرخ أدبى ولغوى بارز، أخذ على عاتقه استكشاف ماضى اليهودية الهنغارية، كما قام بنشر أعمال كبار المستشرقين الهنغاريين اليهود.

المترجمان فى سطور:

أ.د. محمد عونى عبد الرعوف

- أستاذ اللغويات وصاحب الدراسات العلمية القيمة تأليفًا وتحقيقًا وترجمة.
- حصل على دكتوراه الفلسفة فى اللغات السامية من كلية الفلسفة بجامعة جوتنجن ١٩٦٥.
- عمل عميدًا لكلية الألسن بجامعة عين شمس (١٩٨٧ - ١٩٨٩). كما عمل مدرساً فمديراً للمدرسة الألمانية الإنجيلية بالدقى (١٩٥٣ - ١٩٩٤).
- رئيس قسم اللغات السامية (١٩٨٩/٦/٤ - ١٩٩٥/١٠/٢٦).
- قائم بأعمال رئيس مجلس قسم اللغات الأفريقية بكلية الألسن اعتباراً من نوفمبر ٢٠١١.
- عضو العديد من اللجان والهيئات العلمية منها:
جمعية المستشرقين الألمان - جمعية الكتاب العلمى بألمانيا - لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة - المجالس القومية المتخصصة - اتحاد الكتاب - مقرر لجنة قطاع الآداب العليا لفحص بيانات المتقدمين لقوائم المحكمين، وعضوية اللجان العلمية العاشرة (٢٠٠٨ - ٢٠١١) بالمجلس الأعلى للجامعات.

الجوائز:

جائزة فريدريش ريكتر من ألمانيا الغربية (١٩٨٦) - جائزة جامعة
عين شمس النقدية (١٩٩١) - جائزة اتحاد الكتاب في مجال دراسات
الاستشراق (٢٠٠٣).

من أعماله العلمية:

- قواعد اللغة العبرية (١٩٧٤ ، ٢٠٠٦).
- فريدريش ريكتر عاشق الأدب العربي ١٩٧٤ ، ٢٠٠٦.
- كتاب القوافي لأبي يعلى التنوخي (تحقيق) ١٩٧٥ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٩.
- بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف ١٩٧٦ ، ٢٠٠٥.
- القافية والأصوات اللغوية ١٩٧٧ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠١٠.
- جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة،
بالاشتراك مع إيمان السعيد جلال، (ثلاثة أجزاء) ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٦ ،
٢٠١٥
- كتاب الفهرست لابن النديم، تحقيق جديد، بالاشتراك مع إيمان السعيد
جلال، (جزآن)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٦.
- تأريخ الحكماء للفقطي، تحقيق ليبرت، ترجمة وتقديم وتعليق: عوني
عبد الرعوف، ٢٠٠٨.
- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي والغرب الأوربي،
٢٠٠٨ ، ٢٠١٢.

- الله ليس كمثله شيء: ترجمة عن الألمانية لكتاب سيجريد هونكه (المركز القومي للترجمة ٢٠١٠).
- مقدمة ودراسة لترجمة كتاب "مذاهب التفسير الإسلامى" لجولدتسيهر / ترجمة د. عبد الحليم النجار (المركز القومي للترجمة ٢٠١٣).
- مقدمة ودراسة لترجمة كتاب "العقيدة والشريعة فى الإسلام لجولدتسيهر / ترجمة د. محمد يوسف موسى، د. على حسن عبد القادر، د. عبد العزيز عبد الحق (المركز القومي للترجمة ٢٠١٣).

د. عبد الحميد محمد مرزوق

- * من مواليد القاهرة عام ١٩٥٧.
- * مدرس الألب والترجمة بقسم اللغة الألمانية -كلية الألسن / جامعة عين شمس.
- * نال درجة ماجستير الألسن بدرجة ممتاز عن موضوع "ملحمة العباسيين" للأديب الألماني أوجست جراف فون بلاتن.
- * نال درجة دكتوراه الألسن مع مرتبة الشرف عن موضوع "مصر فى أدب الرحلات الألماني المعاصر".
- * قام بترجمات تعريفية إلى اللغة الألمانية عن التراث العربى القديم، منها: "كتاب الصناعتين" لأبى هلال العسكري، وكتاب "شرح نهج البلاغة" لابن أبى الحديد، وكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، وكتاب "الزيج الصابى" للبتانى، و"شروح ابن رشد لأرسطو - ما بعد الطبيعة"، و"رحلة ابن بطوطة" - معرض فرانكفورت/ماين ٢٠٠٤.

* قام بترجمة كتاب هايكو فلوتاو "الشرق الأوسط والنظام العالمي الجديد - من النيل إلى تورا بورا"، مراجعة د. محمد سليمان، صدر في دار نهضة مصر عام ٢٠٠٦.

* قام بترجمة الكتاب التذكاري للمتحف المصري بالقاهرة وبرلين عن مؤسس علم المصريات بألمانيا - ليبسيوس، وصدر فيهما عام ٢٠٠٧ تحت عنوان "ليبسيوس - البعثة الاستكشافية الألمانية على أرض النيل".

* قام بترجمة مقال المستشرق الألماني فولفديتريش فيشر "فى نشأة التدوين وضبط كتابة اللغة العربية" عام ٢٠٠٨ والمنشور فى الكتاب التذكاري "فى اللغة والأدب والحضارة" تكريما للأستاذ الدكتور عوني عبد الرؤوف.

* قام بترجمة كتاب "مواطن الاقتصاد - مواطن الدولة - المواطن العالمي. الأخلاق السياسية فى عصر العولمة" تأليف أوتفريد هوفه (٢٠٠٩)، بتكليف من معهد جوته الألماني بالقاهرة وإصدارات المشروع القومى للترجمة.

* قام بترجمة رواية "غدا" للأديب النمساوى فالتر كاباخ (٢٠١٠) الحائزة على جائزة جورج بوشنر عام ٢٠٠٩، سلسلة الجوائز بالهيئة العامة للكتاب.

* قام بترجمة النص الخاص بكتالوج إقامة معرض "المجلس الأعلى للآثار المصرية" بقصر الأمير طاز تحت عنوان "مكتشفات الفن القبطى - Coptic Art Revealed" فى الفترة من ٩ ديسمبر ٢٠١٠ وحتى ٣١ يناير ٢٠١١.

- * قام بترجمة دراسة بعنوان "التحليل الاجتماعي لمسرح برخت في مصر" ،
مراجعة أ. د. محمد العبد- تحت النشر بالمركز القومي للترجمة
(٢٠١٢).
- * قام بمراجعة كتاب "ماذا يتحمل كوكبنا أكثر من ذلك؟" - المركز
القومي للترجمة (٢٠١٥).
- * شارك في مؤتمر الترجمة وتفاعل الثقافات بالمجلس الأعلى للثقافة عام
٢٠٠٤ ، بمحاضرة عنوانها "ثقافة المترجم وصحة الترجمة"-
دوريات المجلس.
- * شارك في الملتقى الدولي الثالث للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة عام
٢٠٠٦ بمحاضرة عنوانها "ترجمة الثقافة العربية في ظل المتغيرات
السياسية العالمية"- دوريات المجلس.
- * شارك في ملتقى الترجمة المنعقد في مدينة ليبزيج بألمانيا عام ٢٠١٠
(LICTRA).
- * بدعوة من معهد جوته بالقاهرة شارك مترجم الأدب العربي الشهير
"هارتموت فينديرش" في ندوة لهما عن "منهجية الترجمة" في
معرض القاهرة الدولي للكتاب عن عام ٢٠٠٩.
- * بدعوة من الهيئة المصرية العامة للكتاب ساهم بمحاضرة عن "الرواية
الألمانية المعاصرة - الموضوعات والاتجاهات" في معرض
القاهرة الدولي للكتاب عن عام ٢٠١٠.
- * تم اختياره عام ٢٠١٣ لحضور "الملتقى الدولي لمترجمي الأدب
الألماني" ومقره برلين (LCB).

الإشراف الفني: حسن كامل